

دَارُ الْكِتَابِ السُّنِّيَّةِ

S 824.5.1

QAL

RUS.

صُنْعُ الْأَكْبَرِ
٢٠١٦
١٤١٧

الجزء الثاني عشر

طبع

بالمطبعة الاميرية بالقاهرة

١٣٣٧ هـ
١٩١٨ م

دَارُ الْكِتَابِ السَّيِّدِيَّةِ

صَنِيعُ الْأَمِيرِ

الجزء الثاني عشر

طبع
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة
سنة ١٣٣٦ هـ
١٩١٨ م

فهرس

الجزء الثاني عشر

من كتاب صبح الأعشى للقلقشنديّ

صفحة

- القسم الثانى — مما يكتب من الولايات عن الأبواب السلطانية
ما يكتب لأرباب الوظائف بالممالك الشامية ،
٥ وهى على ضربين
الضرب الأول — من لا تصدر عنه منهم تولية فى عمل نيابته ... ٥
» الثانى — من تصدر عنه التولية والعزل فى عمل نيابته ،
٦ وهى سبع نيات
النيابة الأولى — نيابة دمشق ، ويعبر عنها بكفالة السلطنة بالشام ،
٧ ووظائفها على نوعين
النوع الأول — ما هو بمحاضرة دمشق ، ويشمل ما يكتب به عن
الأبواب السلطانية على أربعة أصناف ... ٨
الصف الأول — أرباب السيوف ، وهم على طبقات ... ٨
الطبقة الأولى — من يكتب له تقليد فى قطع الثلاثين ... ٨
» الثانية — من يكتب له تقليد فى قطع النصف ... ٢٤
» الثالثة — من يكتب له مرسوم ، وهى على مرتبتين ... ٢٦
المرتبة الأولى — من يكتب له فى قطع النصف ... ٢٦
» الثانية — من المراسيم التى تكتب بمحاضرة دمشق لأرباب
السيوف ما يكتب فى قطع الثلث ... ٣٣
الصف الثانى — من الوظائف بدمشق الوظائف الديلية ، وجميع
ما يكتب فيها تواقع ، وهى على مرتبتين ... ٣٨
المرتبة الأولى — ما يكتب فى قطع النصف الخ ... ٣٨
» الثانية — ما يكتب فى قطع الثلث الخ ... ٥٩
الصف الثالث — تواقع أرباب الوظائف الديوانية ، وهى مرتبتان
المرتبة الأولى — ما يكتب فى قطع النصف الخ ... ٨٦
» الثانية — من يكتب له فى قطع الثلث الخ ... ٩٩

صفحة

- الصنف الرابع — وظائف المتصوفة ومشايخ الخواص، وفيها مرتبان ١٠١
- المرتبة الأولى — ما يكتب في قطع الثلث الخ... ١٠١ ... ١٠١
- » الثانية — من يكتب له في قطع العادة الخ... ١٠٣ ... ١٠٣
- النوع الثاني — من وظائف دمشق ما هو خارج عن حاضرتها ١٠٤
- الطبقة الأولى — ما يكتب به مرسوم في قطع النصف ... ١٠٦ ... ١٠٦
- الصنف الثاني — من هم خارج دمشق أمراء العرب، وم على طبعين ١١٨
- الطبقة الأولى — من يكتب له منهم تقليد في قطع النصف ... ١١٨ ... ١١٨
- » الثانية — من يكتب له مرسوم شريف، وم على مرتبين... ١٢٤ ... ١٢٤
- المرتبة الأولى — من يكتب له في قطع النصف ... ١٢٤ ... ١٢٤
- » الثانية — من يكتب في قطع الثلث ... ١٣٥ ... ١٣٥
- النيابة الثانية — من نيابات البلاد الشامية نيابة حلب ، ووظائفها التي يكتب بها من الأبواب السلطانية على توصين... ١٤٠ ... ١٤٠
- النوع الأول — من بحاضرة حلب، وم على أصناف... ١٤٠ ... ١٤٠
- الصنف الأول — منهم أرباب السيوف ، وم على طبعين ... ١٤٠ ... ١٤٠
- الطبقة الأولى — من يكتب له تقليد في قطع الثلثين ... ١٤٠ ... ١٤٠
- » الثانية — من يكتب له في قطع الثلث ... ١٥١ ... ١٥١
- الصنف الثاني — أرباب الوظائف الدينية بحلب ، وم على طبعين ١٥٥
- الطبقة الأولى — من يكتب له في قطع الثلث الخ... ١٥٥ ... ١٥٥
- » الثانية — من يكتب له في قطع العادة ... ١٦٠ ... ١٦٠
- الصنف الثالث — من أرباب الوظائف بحلب أرباب الوظائف الديوانية، وم على طبعين ... ١٦٠ ... ١٦٠
- الطبقة الأولى — من يكتب له في قطع الثلث ... ١٦٠ ... ١٦٠
- » الثانية — من يكتب له في قطع العادة... ١٦٧ ... ١٦٧

صفحة

النوع الثانى - من أرباب الوظائف بالملكة الحليية من هو

خارج عن حاضرتها، وعم على أمانف ... ١٦٨

الصف الأول - أرباب السيوف ... ١٦٨

» الثانى - الوظائف الدينية ... ١٧٤

» الثالث - الوظائف الديوانية ... ١٧٥

النسابة الثالثة - نيابة طرابلس ، ووظائفها التى جرت العادة بالكتابة فيها

من الأبواب السلطانية على نوعين ... ١٧٦

النوع الأول - ما هو بمحاضرة طرابلس ، وهو على ثلاثة أمانف ... ١٧٦

الصف الأول - أرباب السيوف ، وهم على طبقتين ... ١٧٦

الطبقة الأولى - من يكتب له تقليد ... ١٧٦

» الثانية - من يكتب له مرسوم فى قطع الثلث ... ١٧٩

الصف الثانى - الوظائف الدينية ، وهم على مرتبتين ... ١٨٢

المرتبة الأولى - من يكتب له فى قطع الثلث ... ١٨٢

» الثانية - من يكتب له فى قطع العادة ... ١٨٧

الصف الثالث - الوظائف الديوانية ، وهم على مرتبتين ... ١٨٨

المرتبة الأولى - ما يكتب فى قطع الثلث ... ١٨٨

» الثانية - من يكتب له فى قطع العادة ... ١٩٤

النوع الثانى - ما هو خارج عن حاضرة طرابلس ، وهم على ثلاثة أمانف ... ١٩٥

الصف الأول - أرباب السيوف ، وهم على طبقتين ... ١٩٥

الطبقة الأولى - الطبليخاناه ... ١٩٥

» الثانية - العشرات ... ١٩٧

الصف الثانى - الوظائف الدينية ... ١٩٨

» الثالث - أرباب الوظائف الديوانية ... ٢٠٠

صفحة

النيابة الرابعة — نيابة حماة، وهي على ثلاثة أصناف ٢٠٠

الصف الأول — أرباب السيوف ٢٠٠

» الثاني — أرباب الوظائف الدينية ٢٠٤

النيابة الخامسة — نيابة صفد، ووظائفها على ثلاثة أصناف ٢٠٥

الصف الأول — أرباب السيوف، وفيه وظيفتان ٢٠٥

الوظيفة الأولى — نيابة السلطنة ٢٠٥

» الثانية — نيابة قلعة صفد ٢٠٨

الصف الثاني — أرباب الوظائف الديوانية ٢١١

» الثالث — أرباب الوظائف الدينية ٢١١

النيابة السادسة — نيابة غزة، ووظائفها على صنفين ٢١٢

الصف الأول — أرباب السيوف ٢١٢

» الثاني — الوظائف الديوانية بغزة ٢١٩

النيابة السابعة — نيابة الكرك، وأرباب الولايات فيها على أصناف ٢٢٠

الصف الأول — أرباب السيوف ٢٢٠

» الثاني — أرباب الوظائف الدينية ٢٢٢

» الثالث — أرباب الوظائف الديوانية ٢٣٢

القسم الثالث — مما يكتب من الولايات عن الأبواب السلطانية

بالديار المصرية ما يكتب لأرباب الوظائف

بالمملكة الحجازية، ويشتمل على ثلاث فئات ٢٣٢

القاعدة الأولى — مكة المكرمة، وبها وظيفتان ٢٣٣

الوظيفة الأولى — الإمارة ٢٣٣

» الثانية — قضاء مكة ٢٤٠

القاعدة الثانية — المدينة النبوية، وبها ثلاث وظائف ٢٤٢

صفحة

- الوظيفة الأولى — الإمارة ٢٤٢
- » الثانية — القضاء ٢٥٨
- » الثالثة — مشيخة الحرم الشريف ٢٦٠
- القاعدة الثالثة — البنج ، وبها وظيفة واحدة وهى النيابة ٢٦٢
- القسم الرابع — مما يكتب من الولايات عن الأبواب السلطانية
بالديار المصرية ما يقع على ميل الندور ٢٦٥
- الفصل الثالث — من الباب الرابع من المقالة الخامسة فيما يكتب من
الولايات عن قواب السلطنة ، وفيه طرقتان ٢٨٠
- الطرف الأول — فى مقدمات هذه الولايات ، ويتعلق بها مقاصد ٢٨٠
- المقصد الأول — فى بيان من تصدر عنه الولايات من قواب السلطنة ٢٨٠
- » الثانى — فى بيان الولايات التى تصدر عن قواب السلطنة
بالممالك الشامية ٢٨١
- » الثالث — فى افتتاحات التواقيع والمراسم بتلك الولايات ٢٨٢
- » الرابع — فى بيان الألقاب ، وفيه أصناف ٢٨٣
- الصفى الأول — أرباب السيوف ، ولألقابهم مراتب ٢٨٥
- » الثانى — أرباب الوظائف الديوانية ، وفيهم مراتب ٢٨٧
- » الثالث — من أرباب الولايات بالممالك الشامية أرباب
الوظائف الدينية ، وفيه مراتب ٢٩٠
- » الرابع — من أرباب الولايات بالممالك الشامية مشايخ الصوفية ٢٩٢
- » الخامس — من أرباب الولايات بالممالك الشامية أمراء العربان ٢٩٣
- » السادس — من أرباب الولايات بالممالك الشامية أرباب
الوظائف العادية ٢٩٣
- » السابع — من أرباب الولايات بالممالك الشامية زعماء
أهل النعمة ٢٩٤

- منه المقصد الخامس - في بيان مقادير قطع الورق المستعمل فيما يكتب عن تواب الممالك الشامية... ٢٩٤
- » السادس - في بيان ما يكتب في طرة التواقيع... ٢٩٥
- » السابع - في بيان كيفية ترتيب هذه التواقيع... ٢٩٩
- الطرف الثاني - في نسخ التواقيع المكتوبة عن تواب السلطنة بالممالك الشامية، وفيه ثلاث نيات... ٢٩٩
- النيابة الأولى - الشام، والتواقيع التي يكتب بها على خمسة أستاذ... ٣٠٠
- الصف الأول - ما يكتب بوظائف أرباب السيوف، وهو على ضربين... ٣٠٠
- الضرب الأول - ما هو بحاضرة دمشق، وهو على مراتب... ٣٠٠
- المرتبة الأولى - ما يفتح بالحمد لله... ٣٠٠
- » الثانية - ما يفتح بأما بعد حمد الله... ٣٠٤
- » الثالثة - ما يفتح برسم بالأمر العالي... ٣٠٦
- الضرب الثاني - ممن يكتب له عن نائب السلطنة بالشام من أرباب السيوف من هو بأعمال دمشق، ومواضع على ثلاث مراتب... ٣١١
- المرتبة الأولى - ما يفتح بالحمد لله... ٣١١
- » الثانية - ما يفتح بأما بعد حمد الله... ٣١٧
- » الثالثة - ما يفتح برسم... ٣٢٥
- الصف الثاني - تواقيع أرباب الوظائف الدينية، وهي على ضربين... ٣٣٧
- الضرب الأول - ما يكتب لمن هو بحاضرة دمشق، وهو على ثلاث مراتب... ٣٣٧
- المرتبة الأولى - ما يفتح بالحمد لله... ٣٣٧
- » الثانية - ما يفتح بأما بعد حمد الله... ٣٥٩
- » الثالثة - ما يفتح برسم بالأمر... ٣٧٢

صفحة

- الضرب الثاني — ما يكتب به لمن هو بأعمال دمشق، وهو على مرتبتين ٣٧٧
- المرتبة الأولى — ما يفتح بأما بعد حمد الله ٣٧٧
- » الثانية — ما يفتح برسم بالأمر ٣٧٩
- الصف الثاني — ما يكتب لأرباب الوظائف الديوانية ،
- وهي على ضربين ٣٨٣
- الضرب الأول — ما يكتب لمن يحاضرة دمشق منهم ،
- وهو على ثلاث مراتب ٣٨٣
- المرتبة الأولى — ما يفتح بالحمد لله ٣٨٣
- » الثانية — ما يفتح بأما بعد حمد الله ٣٩٠
- » الثالثة — ما يفتح برسم بالأمر الشريف ٣٩٣
- الضرب الثاني — ما هو خارج عن حاضرة دمشق ، وغالب ما يكتب
- فيها من التواريخ مفتح برسم ٤٠٤
- الصف الرابع — تواريخ مشايخ الخواص ، وهي على ضربين ٤١٠
- الضرب الأول — ما هو بحاضرة دمشق ، وهي على ثلاث مراتب ٤١٠
- المرتبة الأولى — ما يفتح بالحمد لله ٤١٠
- » الثانية — ما يفتح بأما بعد حمد الله ٤١٧
- » الثالثة — ما يفتح برسم بالأمر ٤١٩
- الضرب الثاني — ما هو بأعمال دمشق ، وفيه مرتبة واحدة
- وهي الافتاح برسم ٤٢٠
- الصف الخامس — تواريخ العريان ٤٢٢
- » السادس — تواريخ زعماء أهل الزمة من اليهود والنصارى ٤٢٤
- النيابة الثانية — نيابة حلب ٤٢٨
- » الثالثة — نيابة طرابلس ٤٥٠

(تم فهرس الجزء الثاني عشر من كتاب صبح الأعشى)

صَبْحُ الْأَسْبَحَةِ

الجزء الثاني عشر

دَارُ الْكِتَابِ السُّلْطَانِيَّةِ

كِتَابٌ

صُنْحُ الْأَمِيرِ

تَالِيَةً

الْشَيْخِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ الْقَلَقَشَنْدَرِ

الجزء الثاني عشر

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب السلطانية

طبع
المطبعة الأميرية بالقاهرة

سنة ١٣٦٦ هـ
١٩١٨ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد وآله وصحبه

القسم الثانى

(مما يُكْتَب من الولايات عن الأبواب السلطانية - [ما يكتب لأ] رباب

الوظائف بالممالك الشامية)

وأعلم أن تُواب السلطنة فى التولية على ضربين :

الضربُ الأول

(من لا تصدر عنه منهم توليةٌ فى عمل نيابته)

وهم تُواب الديار المصرية : من النائب الكافل ، ونائب الإسكندرية ، ونائب الوجه البحرى ، ونائب الوجه القبلى ، فليس لأحد منهم تصرف فى ولاية ولا عزل لنائب ، ولا كاشف ، ولا والى حرب . إنما النائب الكافل يكتب فى بعض الأمور على القصص ، والسلطان هو الذى يباشر الكتابة على الولايات بنفسه ، والنائب الكافل يكتب بالاعتماد على ما يكتب عليه السلطان ، كما تقدّمت الإشارة إليه فى موضعه .

الضرب الثاني

(من تصدر عنه التولية والعزل في عمل نيابته)

وهم ثواب السلطنة بالمالك الشامية السبعة المقدم ذكرها : من النيابات الصغار ،
والوظائف الديوانية ، والوظائف الدينية ، ووظائف مشايخ التصوف ، والوظائف
العادية : كرياسة الطب ونحوها ، ووظائف زعماء أهل الذمة : من رئاسة اليهود ،
وبطركية النصارى ، وغير ذلك .

فأما النيابات الصغار التي في أعمال النيابات العظام : فما كانت نيابته إمرة
عشرة فأكثري في التواب ؛ وربما ولى فيه السلطان . وما كانت نيابته إمرة
طبلخاناه فأكثر : يولى فيه السلطان ، وربما ولى فيه التواب . وما كانت نيابته
تقدمة ألف ، فولايته مختصة بالسلطان دون التواب .

وأما الوظائف الديوانية ، فما كان منها صغيرا ككتابة الدرج وما في معناها ،
فاكثرا يوليها التواب . وما كان منها جليلا : ككتابة السر وما في معناها ، ونظر
الجيش ، ونظر المال ، فتوليته مختصة بالسلطان . وما كان منها متوسطا بين
الطرفين : ككتابة الدست ونحوها : ففي دمشق تارة يولى فيها السلطان ، وتارة يولى
فيها النائب . وفيما دونها من النيابات غالب من يولى فيها التواب ، وقد يولى فيها
السلطان .

وأما الوظائف الدينية ، فما كان منها صغيرا : كالتدريس الصغار ، والخطابات
بالجوامع الصغار ، وأنظار المدارس والجوامع الصغار ، ونحو ذلك ، فإنه يولى فيها

التَّوَابُ ولا يُوَلَّى فيها السلطانُ إلا نادرًا . وما كان منها جليلًا : كقضاء القضاة ، فإنَّ توليته مَحْتَصَةٌ بالسلطان . وما كان منها متوسطًا بين الرتبتين : كقضاء العسكر ، وإفتاء دار العدل ، والحسبة ، ووكالة بيت المال ، ومشيخة الشيوخ ، ونحو ذلك : فتارة يُوَلَّى فيها السلطانُ ، وتارة يُوَلَّى فيها التَّوَابُ . إلا أنَّ تولية السلطان فيها في النيابات الجَّار كالشام أكثر ، وتولية التَّوَاب فيها فيها دون ذلك أكثر .

وأما مشيخة الخواص فقد يُوَلَّى فيها السلطانُ ، وقد يُوَلَّى فيها التَّوَابُ : إلا أنَّ تولية السلطان في مشيخة الشيوخ بالشام أكثر ، وتولية التَّوَاب في غير مشيخة الشيوخ بدمشق وفي غيرها من وظائف الصُّوفية في غير دمشق أكثر .

وأما الوظائف العادية : كرياسة الطب ونحوها ، فهي جميع النيابات توليتها من التَّوَاب أكثر ، وربما ولى فيها السلطان .

وأما وظائف زعماء أهل الذمَّة : كرياسة اليهود ، وبطركية النصارى ، فيستبد بها التَّوَاب دون السلطان : لزيادة حقارتها في الوظيفة والبعد عن حضرة السلطان .

وقد تقدّم في الكلام على ترتيب الممالك بالبلاد الشامية أنه كان بها سبع ممالك عظام استقرت سبع نيابات :

النيابة الأولى

(نيابة دمشق ويعبر عنها بكفالة السلطنة بالشام)

وظائفها على نوعين :

النوع الأول

(ما هو بمحاضرة دمشق ، ويشتمل ما يكتب به من وظائفها
عن الأبواب السلطانية على أربعة أصناف)

الصنف الأول

(أبواب السيوف ، وهم على طبقات)

الطبقة الأولى

(من يكتب له تقليد في قطع الثخين به «المقرّ العالي» مع الدعاء
ب«عزّ الأنصار» : وهو نائب السلطنة بها)

وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة بالشام ، كُتِبَ به عن السلطان الملك العادل
«كُتِبْنَا» للأمير «سيف الدين غرلو العادلي» من إنشاء الشيخ شهاب الدين
محمود الحلبي ، وهو :

الحمد لله الذي جعل لسيف دولتنا على عاتق الملك الأعزّ نجاحاً ، وأدّخر لكفالة
مملكيتنا من الأولياء من تناسب وصفاه آجناداً في مصالح الإسلام وجهاداً ، وعَدّق
أمرَ رعايانا بن أيقظ لها سيفه وجفّته فأمّلات عيوشهم بما وهب وسلّب من نومه
ونوم العدا رقّاداً ، ورفع ألوية إحساننا على من زاد برفعها ظلّ عدله أنيساطا على
الرعية وأمّداداً ، ووطّد قواعد ممالكنا بمن أجلّنا الفكر في حسن اختياره انتقاءً
لمصالح الإسلام وآتقاداً ، وأدى لشكر نعم الله التي لا يؤدّي شكر بعضها ولو أن
ما في الأرض من شجرة أقلام أو كان البحر مداداً .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي جَعَلَتْ عِزًّا ثَمًا عَلَى الْأَبَدِ مَنصُورَهُ ، وَهَقَاصِدَنَا عَلَى مَصَالِحِ الْمَسْلُومِينَ مَقْصُورَهُ ، وَأَرَاءَنَا تَفْوُضَ زَعَامَةِ الْحَيُوشِ إِلَى مَنْ تُصْبِحُ فِرْقُ الْأَعْدَاءِ يَفْرِقُهُ مَغْرُورَةً وَمِمَّا لِكُفْمِ بِمَهَابَتِهِ مَحْضُورَهُ .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تزال تَنْشُرُ دَعْوَتَهَا فِي الْأَفَاقِ ، وَتُزِيهِفُ لِإِقَامَتِهَا فِي مَمَالِكِنَا سَيْفًا يَصِلُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِقَطْعِهِ وَيَقْطَعُ إِلَّا الْأَرْزَاقَ ، وَتُزِيهِبُ مِنَ الْحَدِّ فِيهَا بِكُلِّ وَلِيٍّ لِرُغْبِهِ فِي الْقُلُوبِ رَكْضَ وَلَرَايَةِ فِي الْجَوَانِحِ خَفَقَ وَلَا سِتَةَ فِي الصُّدُورِ إِشْرَاقَ ؛ وَنشهد أن محمدا عبده ورسوله أشرف من قَوْصِ حُكْمَا فِي أَيَّامِهِ إِلَى مَنْ اعْتَمَدَ عَلَيْهِ ، وَأَرَأَيْتُ مَنْ اسْتَخْلَفَ عَلَى مَنْ بَعْدَ عَنْهُ مِنْ أُمَّتِهِ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ صَلَاحَهُمْ فِي يَدَيْهِ ، وَالطُّفُّ مِنْ عَدَقِ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ أَهْلِ مِلَّتِهِ بَيْنَ أَعَانَةِ اللَّهِ وَسَدِّدِهِ فِي دَفْعِ عَدُوِّهِمْ وَصَلَاحِ مَا يَرْقِعُ مِنْ أَحْوَالِهِمْ إِلَيْهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ وُلُّوا عَلَى الْأُمَّةِ فَعَدَلُوا ، وَأَمَرُوا بِمَا جَبَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الرَّأْفَةِ وَالنَّعْمَةِ وَالرَّحْمَةِ فَامْتَسَلُوا ، وَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ فِيمَا نَهَجَ لَهُمْ مِنْ طُرُقِ طَرِيقَتِهِ الْمُثَلَّى فَمَا مَالُوا عَنْ ذَلِكَ وَلَا عَدَاوًا ؛ صَلَاةً لَا تَقْرُبُ شَمْسُهَا ، وَلَا يَعْزُبُ أُنْسُهَا ، وَلَا تُعْتَبَرُ أَوْقَاتُ إِقَامَتِهَا إِلَّا وَيُقَصَّرُ عَنْ يَوْمِهَا فِي الْكَثْرَةِ أَمْسُهَا ؛ وَسَلَمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فإنَّ أَوَّلَى مَا أَعْمَلْنَا إِلَيْهِ رَكَابَ الْآرَاءِ الْمُؤَيَّدَةِ ، وَصَرَفْنَا إِلَيْهِ أَرِزْمَةَ نَجَائِبِ الْأَفْكَارِ الْمَسْدَدَةِ ؛ وَاجْتَلْنَا فِيهِ طَرَفَ النِّظَرِ الَّذِي لَا يُسْقُ فِي بُلُوغِ الْغَايَةِ غُبَارُهُ وَلَا يُدْرِكُ ، وَاحْتَلْنَا الْأَمْرَ فِيهِ عَلَى التَّايِيدِ الَّذِي هُوَ عِمْدَتُنَا فِيمَا يُؤْخَذُ مِنْ تَوَاقِبِ الْآرَاءِ وَمَا يُتْرَكُ ؛ وَقَفْنَا فِيهِ مِهْمَ الْأَسْتِخَارَةِ الَّذِي يَتْلُوهُ التَّوْفِيقُ ، وَعَلِمْنَا أَنَّ الذُّلَّ سَبَابِ الْأَهْتِدَاءِ إِلَيْهِ سَلُوكُ طَرِيقِ النَّصِيحِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَاللِّإِسْلَامِ فَسَلَكْنَا إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ

الطريق ؛ وقصّرنا النية فيه على مصالح الأمة التي هي فرض العين بل عين الفرض ،
وأطلقنا الإرتياد فيه لتعين من نرجو له ممن عناهم الله بقوله : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَانُهمُ
فِي الْأَرْضِ ﴾ . ونذبنا له سيقا لم يزل في صدور الأعداء صدره وفي يد جبار السموات
قائمه ، وأردنا لتقديم الحيوش فيه زعيما طالبا مل ضوء الصبح مما يغيره ومل سواد
الليل مما يراجه ؛ وقتلنا له من نسا في حجر ولائنا ، وغدّى بلبان ربنا وآلائنا ؛
وشهد الوقائع بين يدينا ، وخبرنا من سيرته النهوض في الرعايا بما كتب الله لهم من
الرأفة والرحمة علينا - أمر نياية ساطتنا الشريفة بالمالك الشامية التي نابت فيها
مهابتنا ، عن الإقامة فيها ، وجعلتها عنايتنا ، من أشرف ممالكنا التي تخصها على البعد
بدوام الملاحظة ونُصفها ؛ وهي واسطة عقد ممالكنا ، ومحط رحال طرُقنا إلى
جهاد الأعداء ومساكيننا ، وهالة أهلة سرى القصد إلى لحظها في أديم الأرض مواقع
سنايكنا ؛ ومواطن القربات التي نصّت الآثار الصحيحة عليها ، ومظان العبادات
التي طالما نصّت ركائب العباد العباد إليها ؛ ومقام الأبدال الذين هم أهل دار المقامة ،
ومستقر طائفة الدين الذين لا يزالون ظاهرين على أعدائهم لا يضرهم من خذلهم إلى
يوم القيامة ؛ وفلك الثغور الذي تُسرق منه كواكب سعودها ، وتتصرف من نوته
إلى من جاورها من العدا خاطفات بروقها وقاصفات رعودها ؛ فكم ذى جنود
أمها فهلك وما ملك ، وسلك إليها يجيوشه فزلت وتزلزلت قدمه حيث سلك ، وبلجيشها
البأس الذي وجود الأعداء به علم ، والحلّة الذي يعرفه أهل السباق و [ان] أنكرته
اعتاقهم « فما بالمهد من قديم » .

وأن نفوض [أمرها] إلى من ينشر بها على الأمة لواء عدلنا ، ويسطّط فيها بالرأفة والرحمة
رداء فضلنا ، ويحيي بها مسنن الإحسان التي مبدأ أيامها غايه من سآف من قبلنا ؛

وَيَقِيم مَنَارَ الْمَلِكِ مِنْ بَاسِهِ عَلَى أَرْفَعِ عِمَادٍ ، وَيُنِمْ الرِّعَايَا مِنْ عَتْلِهِ فِي أَوْطَانِ مِهَادٍ ؛
وَيَكْفُفُ أَكْفَ الظُّلَمِ إِلَى مَا يَتَجَسَّرُ إِلَى إِعَادَةِ يَدِهِ إِلَيْهَا عَادٍ وَمَنْ عَادَ ، وَيَجْرُدُ إِلَى
الْعِدَا مِنْ خِيَالِهِ وَخِيَلِهِ سَرِيًّا تَطْرُدُ عَنْ مَوَارِدِ جَفُونِهِمْ بِقَوَائِمِهَا الرُّقَادَ ؛ وَتَسْتَعِيدُ
عَوَارِي أَرْوَاحِهِمْ مِنْ مُسْتَوْدَعَاتِ أَجْسَادِهِمْ فَهِيَ بِحُكْمِ الْعَارِيَةِ غَيْرُ مُسْتَقَرَّةٍ
فِي الْأَجْسَادِ ، وَيَصُورُ الرُّبَّ عَنْ تَطَرُّقٍ مَنْ يُفْسِدُ أَحْوَالَهَا لِعَدَمِ أَهْلِيَّتِهِ : فَإِنَّهُ مَا سَلَكَ
أَحَدٌ فِي آيَانَا طُرُقَ الْقَسَادِ قَسَادٌ ؛ وَيَعْلَمُ بِهِ أَنَّا جَرَدْنَا عَلَى الْعِدَا سَيْفًا يَسْبِقُ إِلَيْهِمْ
الْعَدْلَ ، وَيَزَاحِمُ عَلَى قَبْضِ نفوسِهِمِ الْأَجَلَ ، وَتَحْتَلُّ بِتَقْلِيدِهِ الدُّوَلُ ، وَيُحَقِّقُ بِنَتِكَ
أَنَّهُ لَا حَاسِمَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ إِلَّا السَّيْفُ الَّذِي إِنْ جَارَ فِهِمْ فَقَدْ عَدَلَ .

وَلِذَلِكَ لَمَّا كَانَ الْمَجْلُسُ الْعَالِي الْفَلَائِي : هُوَ الَّذِي اخْتَرَنَاهُ لِنَاكَ عَلَى عِلْمٍ ، وَقَلَّدَنَاهُ
أُمُورَ الْمَمَالِكِ : لَمَّا فِيهِ مِنْ حِدَّةٍ بِأُسِّ آيَةٍ حِلْمٍ ؛ وَنَجَمْنَا عُودَهُ فَكَانَ لَيْثًا عَلَى الْأَوْلِيَاءِ
فَقَطًّا عَلَى الْعِدَا ، وَبَلَوْنَا أَوْصَافَهُ فَعَلِمْنَا مِنْهُ السَّدَادَ الَّذِي لَا يَضَعُ بِهِ النَّدَى فِي مَوْضِعِ
السَّيْفِ وَلَا السَّيْفُ فِي مَوْضِعِ النَّدَى ، وَعَرَضْنَا سَدَادَهُ عَلَى حُسْنِ اعْتِبَارِنَا لِأَكْفَاءِ
فَكَانَ سَمِيرَنَا (وَحِيلَ ، فَزَيْنَ مَعْرُوضًا وَرَاعَ مُسَدِّدًا) ؛ وَهَزَنَ زَنَا فَكَانَ سَيْفًا يُنْصَلُّ
حَدَّهُ الْخَطْبُ إِذْ أَعْضَلَ ، وَأَعْطَيْنَاهُ أَمْرَ الْجُيُوشِ فَلَمْ يَخْتَلِفْ أَحَدٌ فِي أَنَّهُ أَفْضَلُ
مِنْ الْأَفْضَلِ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ يَصْطَلِفِي مِنَ الْأَوْلِيَاءِ كُلِّ كُفٍّ كَرِيمٍ -
أَنْ تَفُوضَ إِلَيْهِ نِيَابَةُ السَّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ بِالْمَمَالِكِ الشَّامِيَةِ : تَفْوِيضًا يُعْلِي قَدْرَهُ ، وَيُسْطِ
فِي مَصَالِحِ الْمَلِكِ وَالْمَمَالِكِ أَمْرَهُ ؛ وَيُطْلَقُ فِي مَصَالِحِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ سَيْفَهُ وَكَلِمَتَهُ ،
وَيُدْرَى عَلَى الْأَوْلِيَاءِ إِحْسَانَتَا الَّذِي إِذَا جَارَى النَّيْتُ أَجْمَلَ دَوَامُهُ دِيمَةً ؛ وَيَرْفَعُ بِالْعَدْلِ

مَنَّ دَوَامُ مُلْكَا الَّذِي قَرَنَهُ اللَّهُ لِلأُمَّةِ بِجُودِنَا ، وَيُضِيفُ بِاسْتِرْفَاعِ الأَدْعِيَةِ الصَّالِحَةِ
لِدَوْلَتِنَا مِنْ كُلِّ لِسَانٍ جُنُودَ اللَّيْلِ إِلَى جُنُودِنَا ؛ وَيَنْظُرُ فِي أُمُورِ الْمَمَالِكِ الشَّامِيَةِ نَظَرًا
طَاقًا ، وَيُعْمَلُ فِي سِدَادِ نَفُورِهَا وَسِدَادِ أُمُورِهَا رَأْيًا ثَاقِبًا وَفِكْرًا ثَابِتًا ؛ وَيَأْمُرُ النَّوَابِ
مِنْ سِدِّ خَلِيلِهَا بِمَا كَفَايَتُهُ أَدْرَى بِهِ مِنْهُمْ ، وَيَذْهَبُ مِنْهُمْ مَنْ مَصَالِحُهَا عَلَى مَا ظَهَرَ لِفِكَرِهِ
الْمُصِيبِ وَخَفِيَ عَنْهُمْ ؛ وَيُلَاحِظُ أُمُورًا مَا بَعْدَ مِنَ الْبِلَادِ كُلَّاحِظَتِهِ أُمُورًا مَا دَنَا ،
وَيَنْظُرُ فِي تَفَاصِيلِ أُمُورِهَا ؛ فَإِنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ عَلَى السِّدَادِ فَلَيْسَ بِهَا عَنْ حُسْنِ نَظَرِهِ
غِيًى ؛ وَيَسْلُكُ بِالرَّعَايَا سُنَنَ إِنْصَافِهِ الَّتِي وَكَلَّتْهُ مَعْرِفَتُنَا بِهِ إِلَيْهَا ، وَيُجَرِّمُ عَلَى عَوَائِدِ
الْإِحْسَانِ الَّتِي كَانَتْ مِنْ خُلُقِهِ سَجِيَّةً وَزِدْنَاهُ تَحْرِيسًا عَلَيْهَا .

وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَقَامَنَا مِنَ الْجِهَادِ فِي أَعْدَائِهِ بُسْتَةً وَقَرَضَهُ ، وَمَكَّنَ
لَنَا فِي الْأَرْضِ : لِإِقَامَةِ دَعْوَتِهِ وَإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ وَتَطْهِيرِ أَرْضِهِ ؛ وَعَضَّدَنَا بِتَأْيِيدِهِ لِنُصْرَةِ
الْإِسْلَامِ ، وَأَمَدَّنَا مِنْ عُدَدِ نَصْرِهِ بِكُلِّ سَيْفٍ تَرَوَّعَ الْأَعْدَاءُ بِهِ الْيَقَظَةُ وَتَسْلُهُ
عَلَيْهِمُ الْأَحْلَامُ ، وَبَثَّ سَرَايَا جِيُوشِنَا بَرًّا وَبَحْرًا : فِيهِ إِمَّا سَوَارٍ فِي الْبَرِّ تَمْتَرُ مَرَّةً
السَّحَابِ أَوْ جَوَائِرُ مُنْشَأَتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ؛ وَيَتَعَاهَدُ أَحْوَالُ الْجِيُوشِ الشَّامِيَةِ
كُلَّ يَوْمٍ بِنَفْسِهِ ، وَيُعَلِّمُ فِي غَدِهِ بِاعَادَةِ مَا أَعْتَبَرَهُ مِنْ عَرَضِهِمْ فِي أَمْسِهِ ؛ وَيُرَتِّبُ
أَمْرَ كُلِّ إِقْلِيمٍ وَحَالَهُ ، وَيَتَقَدَّدُ مَنْ يَبَاشِرُ بِالتَّقْدِمَةِ تَقْدِمَةً إِلَى الْأَطْرَافِ وَآرْتِيحَالِهِ ؛
وَيَأْمُرُهُمْ كُلَّ يَوْمٍ بِالنَّاهِبِ لِلْعَرَضِ الَّذِي يَبَاشِرُهُ غَدًا بَيْنَ يَدَيْنَا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة تقاليد بكتالة السلطنة بالشام بكتب به للأمر « جمال الدين أفرش
الأشرفي » في جمادى الأولى ، سنة إحدى عشرة وسبعائة ، من إنشاء الشيخ شهاب
الدين محمود الحلبي رحمه الله تعالى ، وهي :

الحمد لله الذى جعل الدين فى أيماننا الزاهرة زاهياً بجماله ، سامياً بتقديم من إذا أرفف فى الذب عنه بسيف عزه غدت الجنة تحت ظلالة ، حاليًا بتفويض زعامة جيوشه إلى من لو فأنخر به البلور تصجبت من قصفانها وكاله ، عاليًا بإيالة من تتولد معانى النصر والظفر بين الكاملين : من روية رأيه وأرجاله ، راقياً على هام الكفر بعزائم من لا يزال تصبح مهابة العدا بطلائح خيله وتبيتهم بطوارق خياله ، نامياً بإستناد الحكم فيه إلى من يقطع أنصافه بين المبطل ورجائه ويصل العذل [منه] بين الحق وبين آماله .

نحمده على نعمة التى أنامت الرمايا من معدلتنا فى أوطن مهاد ، وأدامت الدعاء الصالح لأيماننا بإعلاء كلمتي العذل والجهاد ، وأقامت الإيالة فى أسنى ممالكنا بمن هو أجزى من النيوث ، وأجزأ من الليوث ، فى مصالح البلاد والعباد .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تزال الألسن لإقامتها مديمة ، والضمائر على إدامتها مقيمة ، والقلوب تقعد من كلمة إخلاصها وإخلاص كلمتها فى جيد الإيمان تيممه ، والتوحيد يظهر أنوارها فى الوجوه الوسيمه ، بأمرين مطالع القلوب السليمه .

ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى جبّله على خلق عظيم ، وجعله وإن تأثر عضره من مقام النبوة فى أعلى رتب التقديم ، ومن على الأئمة بإرساله إليهم من أنفسهم وأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين دُعوا إلى طاعته وأجابوا ، وحكوا بسنته وأصابوا ، وجاهدوا المعرضين عن ملته حتى رجعوا إلى الهدى وأتابوا ؛ صلاة لا تغيب أنوارها ، ولا يفارق وجوه أهلها وقلوبهم روائها وإروائها ؛ وسلم تسلياً كثيراً .

وبعد، فإنه - لما أجزانا الله عليه من عوائد نصره، وأغرانا به من حصد الشرك وحصره؛ ومنحنا من بسطة ملك زينت بها أسارى البسيطة وأسرتها، ووهبتنا من فوائح فتوح علت على وجوه الكفر مسامتها وبتت على وجوه الإسلام مسرتها - لم نزل نُؤدّي شكر نعم الله بالإحسان إلى عباده، ونستريد منها بتفويض أمورهم إلى من يقوم في الذب عنهم مقام الجيش على أفرادهم؛ فلا تقدم على الرأفة بخالق الله أمرا، ولا تحاي في بسط المعدلة عليهم زيدا ولا عمرا؛ ولا نعيدل بهم عن إذا ركب في موكب نيابتنا زانه وجهه، وإذا جلس على بساط عدلنا زاده وكله؛ وإذا رسم بأمرنا أصغت السيوف إلى مراسيمه، وإذا نظر بعين عنايتنا نفرا أهدى الشلب إلى مباهيمه؛ وإذا رام في مصالح الإسلام أمرا قرب على رأيه بعيد، وإذا رمى في حماية الممالك عدوا سبق إلى مقاتله قبل السيوف وعيده؛ وإذا جرد جيشا إلى أعداء الإسلام جرت قبل اللقاء ديوول هزائمها، ورأت الفرار أمتع لها من صواريخها، وتثلت مافي تكائنها من سهام ضعفت عن الطيران قوى قوايدها .

ولما كان الجتاب العالي القلاني هو معنى هذه الفرائد، وسر هذه الأوصاف التي للشرك منها مصائب هي عند الإسلام فوائد، وفارس هذه الخلبة، التي أحرز [قصب] سبقها، وكف هذه الرتبة، التي أخذها دون الأكفاء يحققها؛ لا تأخذ في الحق لومة لائم، ولا يأخذ أمر الجهاد إلا يحده «وما ليل المحد بناتم» يسرى إلى قلوب الأعداء رعبه وهو في مكانه، وتؤدّي مهابته في نكاية الكفر فرض الجهاد قبل إمكانه، ويشفع العدل في الرعايا بالإحسان إليهم، ويجمع بين إرهاب المعتدين وشدة الوطأة عليهم؛ ويفيق في أحكامه مع الشريعة التي أعلى الله تعالى منارها، ويستضيء بأحكامها التي هي لأبصار النظر تغير أنوارها .

وكانت المملكة الشامية المحروسة من الممالك الإسلامية بمنزلة القوة في ايمن ،
والواسطة في العقد الثمين ؛ والإدراك في الصدور ، والإشراف في البدور ؛ وبها الأرض
المقدسة ، والحُصُون التي هي على نكاية الأعداء مؤسسه ؛ ولها الجيوش التي ألفت
في الجهاد السري ، وأُفنت لسيوفها في الجُفُون الكرى ؛ ومرت على مقابيل العدا
أستها ، وصرفت في مسالك الحرب أعتها ؛ وراعت ملوك أهل الكفر مُنعة
أمراتها ، وحاطتها أمداد النصر في حروبها من بين يديها ومن ورائها ، وفيها من الأئمة
العلماء الأعيان من يسيل دم الشهداء بمداد أقلامهم ، ومن الأقياء الصلحاء من
لا تطيش دون مقاتل أهل الكفر مواقع مهادمهم - أقتضت آراؤنا الشريعة أن تمتع
هذه الرتبة السنية بجمالها ، وأن تبلغ هذه الدرجة السرية بن حوى هذه الأوصاف
الفائقة غاية آمالها ؛ ليصبح بها لواء عدلنا ، مرفوع النواشب ، ومتهل قضيانا ، متفوع
الشواشب ؛ وكلمة جهادنا ، نافذة في المشارق والمغارب ، وقبضة بأسماء ، أخذة من أعداء
الدين بالذرا والغوارب ، وطلعة كآتنا مؤمنة بن توفيق الطير أن فريقه إذا ما ألقى
الجمعان أول غالب .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لازالت صوارمه للشرك قايمة ، ومراسمه لمصالح
الدين والدنيا جامع - أن تفوض إليه تفويضاً يرفع علمه ، ويمضي في مصالح
الإسلام سيفه وقلمه ؛ وينشر في آفاق الممالك الشامية علمه ، ويسط على رعايا
تلك الأقاليم المحروسة فضله وظله ؛ فيطلع في أفق المواقب هالة أهدتها ، وطرار
حلتها ؛ وطلعة لوائها ، وواسطة عقود مقدمها وآرائها ؛ وزينة تسييرها ووقوفها ،
وحلية طلائعها وصقوفها ؛ ويجلس في مواطن الجلوس صديعاً بالحق في حكمة ،
أمرًا بإدامة التأييب للعدوى أيام رساميه ؛ مُعطيًا منصب النيابة الشريفة حقه من
الجلالة ، مُوفياً رتبته المنيفة ما يجب لها من أهبة المهابة وكفاءة الكفالة ؛ ولا يزال

لمصالح الجيوش المنصورة ملاحظًا، وعلى إزاحة أعذارهم مُحافظًا؛ وإلى حركات عُدُو
الإسلام وسكَّاته مُتطلِّعًا، وإلى ما يتعين من إبطال مكايده متسرِّعًا؛ ولِبوَاطِن أحوالهم
بِحسَنِ الأطلاع مُحققًا، ولِجَمْعِهِمْ بَيْنَ الاجْتِمَاعِ لِقائِهِمْ مُفرِّقًا؛ فلا يُضْمِرُونَ مَكِيدَةً
إِلَّا وَاعِلُهَا عنده قبل ظهورها لديهم، ولا يُسِرُّونَ غَاةً إِلَّا وَرَآئَنَا خَيْلَهُ الْمُغِيرَةَ
أَسْبَقُ مِنْهَا إِلَيْهِمْ .

وَيْتَكُنْ لِمَنَارِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ مُعَلِّيًا، وَلِأَقْدَارِ أَرْبَابِهِ مُعَلِّيًا؛ وَلِرُتَبِ الْعُلَمَاءِ رَافِعًا،
وَلِأَقْوَالِهِمْ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ سَامِعًا؛ وَلِذَوِي الْبُيُوتِ الْقَدِيمَةِ مُكْرِمًا، وَلِأَهْلِ الْوَرَعِ
وَالصَّلَاحِ مُعَقِّيًا؛ وَعَلَى يَدِ الظَّالِمِ ضَارِبًا، وَفِي أَقْتِنَاءِ الْأَدْعِيَةِ الصَّالِحَةِ لِدَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةِ
رَاضِيًا؛ وَلِحِيلِ النَّظَرِ فِي عِمَارَةِ الْبِلَادِ مُدَبِّبًا، وَبِحُسْنِ الْفِكْرِ فِي أُمُورِ الْأَمْوَالِ مُعَمِّلًا
رَأْيًا بِمَصَالِحِهَا عَلِيًّا، وَلِحِلَاطِ الْبِرِّ بِجَلِيلِ الْعَنَاءِ وَالْإِعَانَةِ عَامِرًا، وَعَنْ كُلِّ مَا لَا يَجِبُ
أَعْتَادُهُ نَاهِيًا وَبِكُلِّ مَا يَتَعَيَّنُ فَعْلُهُ أَمْرًا . وَفِي كَمَالِ خِلَالِهِ، وَأَدْوَاتِ جَمَالِهِ، مَا يُغْنِي عَنْ
الْوَصَايَا إِلَّا عَلَى سَبِيلِ الذِّكْرِ الَّتِي تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَرْفَعُ الْمُتَّقِينَ؛ وَمِلَاكُهَا تَقْوَى
اللَّهِ تَعَالَى وَهِيَ مِنْ خَصَائِصِ نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ، وَعَوَائِدِ سِيرَتِهِ الْحَدِيثَةِ وَالْقَدِيمَةِ؛ وَاللَّهُ
تَعَالَى يُسَدِّدُهُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَيُؤَيِّدُهُ وَقَدْ فَعَلَ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة بالشام، كتب بها للأمر «سيف الدين سكر
الناصرى» في ربيع الأول سنة أثنى عشرة وسبعائة، من إنشاء الشيخ شهاب الدين
محمود الحلبي، وهى :

الحمد لله مَفُوضُ أَسْنَى الْمَالِكِ فِي أَيَّامِنَا الزَّاهِرَةِ إِلَى مَنْ تَزْهَوُ بِتَقْلِيدِهِ، وَمُسَيِّدُ
قَوَاعِدِ أَسْمَى الْأَقَالِمِ فِي دَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةِ بِمَنْ يعلو بِإِيَّائِهِ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ مَعَاقِدُ مَقَالِيدِهِ؛

وُسَدَّ الآراء في تصرف أَعْتة جيوشنا المنصورة بتقديم مَنْ تَقْدُسُ سِيوفُهُ مِنْ
عُنَى كُلِّ مُتَوَجِّعٍ مِنَ الْعِدَا فَلَادَةَ جِيَدِهِ ، وَثَامِرَ لَوَاءِ الْعَدْلِ فِي رِطَابَانَا وَإِنْ بَسَدُوا
بِئْنَ تُنِيمُ كُلًّا مِنْهُمْ فِي مَهْدِ الْأَمْنِ وَالذِّعَةِ يَدُ مَهَاتِهِ وَتَمَهِّدُهُ ، وَمُعَلِّي مَنَارِ الْجِهَادِ
فِي سَبِيلِهِ بَيْنَ إِذَا جَرَدَ سَيْفُهُ فِي وَغَى تَهَلَّلَتْ تَوَاجِدُ أَفْوَاهِ الْمَنَايَا الضَّوَاحِكِ بَيْنَ تَجَرِّيهِ
وَتَجَرِيدِهِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي أَبْلَتْ آرَاءَنَا بِوَضْعِ كُلِّ شَيْءٍ فِي مُسْتَحَقِّهِ ، وَقَلَّدَتْ سَيْفَ
النَّصْرِ مِنْ أَوْلِيَانَا مَنْ يَأْخُذُهُ فِي مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ بِحَقِّهِ ، وَجَدَّدَتْ آلَاءَنَا لِمَنْ إِذَا جَارَتْ
الْخُتُوفُ سِيوفُهُ إِلَى مَقَاتِلِ الْعَدَا فَاتَهَا وَفَاقَهَا بِمَزِيَّتِي كِفَاتِهِ وَسَبْقِهِ .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً لَا تَزَالُ أَلْسِنَتُنَا تَرْفَعُ مَنَارَهَا ،
وَسُيُوفُنَا تَصِلُ مِنْ بَحْمِهَا قَبْلُ نَارِهَا ؛ وَأَرَاؤُنَا تُفَوِّضُ مَصَالِحَ جُمَّلِهَا إِلَيْنَا مَنْ إِذَا رَجَعَتْهُ
لِنُصْرَةٍ أَنَالَهَا وَإِذَا أَسْدَى مَعْلِلَةً أَنَارَهَا .

وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَيْدَى اللَّهُ بَنَصْرِهِ ، وَجَعَلَهُ سَابِقَ مَنْ تَقَدَّمَ
مِنَ الرُّسُلِ عَلَى عَصْرِهِ ، وَآتَاهُ مِنَ الْفَضَائِلِ مَا يَضِيقُ النُّطْقُ عَنْ إِحْصَائِهِ وَمِنْ
الْمُعْجَزَاتِ مَا يَحُولُ الْخَصَرُ دُونَ حَضْرِهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ تَمَسَّكُوا
بِهَيْدَاهُ ، وَهَجَرُوا فِي طَاعَتِهِ مَنْ عَادَاهُ ، وَنَهَضُوا فِي رِضَا اللَّهِ تَعَالَى وَرِضَاهُ إِلَى مَقَاطِنِ
الْجِهَادِ وَإِنْ بَعْدَ مَدَاهُ ؛ صَلَاةُ يَشْفَعُهَا التَّسْلِيمُ ، وَتَبَتُّغِي إِقَامَتَهَا عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَنْهُ
أَجْرٌ عَظِيمٌ ، وَسَلَمٌ تَسْلِيًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَا أَعْمَلْنَا فِي مَصَالِحِ الْفِكْرِ ، وَتَدَبَّرْنَا أَحْوَالَهُ بِكُلِّ رَأْيٍ يُسَدِّدُهُ
الْحَزْمُ الْمُرَوَّنُ وَيُؤَيِّدُهُ الْإِلْهَامُ الْمُبْتَكَّرُ ؛ وَقَدَّمْنَا فِيهِ الْأَسْتِخَارَةَ عَلَى مَا حَرَّمَ الْيَقِينُ بِأَنَّ
الْخَلِيقَةَ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ فِي آعْتَادِهِ ، وَتَمَسَّكْنَا فِيهِ بِحَبْلِ التَّوْفِيقِ الَّذِي مَازَالَ تَشْكُفُّلُ

لنا في كُلِّ أمرٍ بِسَادِهِ وفي كُلِّ مَعْرِ بِسَادِهِ - أمرُ الممالك الشامية التي هي وَاسِطَةُ
عَقْدِ الممالك ، ومُجْتَمَعُ ما يُقْضَى إلى مواطن النَصْر من المسالك ؛ ومَرْكَزُ فَلَكَ الأقاليم
الذي تَنْتَظِمُ عليه بُرُوجُ ثُغُورِها ، ونُقْطَةُ دائِرَةِ الحُصُونِ التي منها مادَّتُها وعليها مَدَارُ
أُمُورِها ؛ وَغَيْلُ بُيُوتِ الحربِ التي كمُ أَتَشَبَتْ أَطْفَارُ أَسَدِها في طُورَةِ ظَفَرٍ ، ومَوَاطِنُ
فُرسانِ الوَعْيِ التي كمُ أَسْفَرَمَنَ إِطْلَاقِ أَعْيُنِها إلى غَايَاتِ النَصْرِ وَجْهَ سَفَرٍ ؛ وأن
تَرْتَادَ لِكِفَالَةِ أُمُورِها ، وَكِفَايَةِ جُمُهورِها ، وَحِمَايَةِ مَعَاقلِها المَصُونَةِ وَثُغُورِها ؛ وَزَعَامَةُ
جُيُوشِها ، وإِرْطَامُ طَارِقِ أطرافِها من أعداءِ الدينِ وَثَلِ عُرُوشِها ، مَنْ جَرَدَ الدِّينُ
فكان سَيِّقًا على أعدائِهِ ، وَأَنْتَقَاهُ حُسْنُ نَظَرِنا لِلسَّامِينَ فكانَ التَّوْفِيقُ الإِلَهِيُّ مُتَوَلَّى
جَمِيلِ أَنْتَقَاهُ وَأَنْتَقَاهُ ؛ وَتَجَمُّعًا عُدَدَ أوصافِهِ فوجَدناه قَوِيًّا في دِينِهِ ، مُتَمَكِّنًا في طَاعَتِهِ
بِإِخْلَاصِ تَقْوَاهُ وَصِحَّةِ يَقِينِهِ ؛ مَنِقَظًا لمَصالِحِ الإسلامِ والمُسلمينِ في حَالَتِهِ حَرَكَتِهِ
وَسُكُونِهِ ، آخِذًا عِنانَ الحَزْمِ بِمُسرِّسِرائِهِ وَيَسْتَنانَ العَزْمِ بِمِمنِّ يَمِينِهِ ؛ وَأَقِفًا معَ الحقِّ
لِذاتِهِ ، مَقْتَدِمًا مَشاقَّ الجِهادِ على سائرِ مآرِبِهِ وَلِذاتِهِ ؛ ماضِيًا كَسِيفِهِ [إلا] بِالْف
كَالسيفِ الجُفُونِ ، رَاضِيًا في رَاحَةِ الآخِرَةِ بِمُتاعِبِ الدُّنْيا وَمُصاعِبِها فَلَا يَرْعَى في مَوَاطِنِ
الجِهادِ إِذا حَلَّها أَثْقالُها المُؤِنَا ولا رَوْضَ المُتَدُونِ ؛ ما نَمَّا حَمَى الإسلامَ لا "يَحْيَى الوَقْتي"
يَضْرِبُ" يَفَرِّقُ بَيْنَ أسبابِ الحِياةِ و"يُؤَلِّفُ بَيْنَ أَشْأَاتِ المُنُونِ" .

ولما كانَ فلانُ هو الذي تَشَوَّفَتْ هذه الرِّبَّةُ إلى أَنْ تَجْمَلَ بِهِ مَواعِبُها ، وتُتَكَلَّمُ بِهِ
مَرَاتِبُها ، وتَنْتَظِمُ على دَسْتِهِ هَالَةُ أَمْرانِها كما تَنْتَظِمُ على هَالَةِ بَدْرِ السَّما كَواعِبُها ؛ فَإِذا
طَلَعَ في أَفْقِ مُوكِبِ أَعْيُنِ الأعداءِ جَلالَتُهُ ، وَأَعَدَّتِ الأُولِياءُ بَسائِلَتَهُ ؛ وَسَرَى إلى
قُلُوبِ أَهلِ الكُفْرِ رُعبُهُ ، وفَعَلَ فيهِم سِلْسِلَتُهُ ما يَفْعَلُ مِنْ غَيْرِهِ حَرْبُهُ ؛ وَإِذا جَلَسَ
على إِسْاطِ عَدْلٍ نَحْرَسَ الباطِلُ ، وَأُنْجِزَ ما في ذِمَّتِهِ المَاطِلُ ؛ وتَكَلَّمَ الحقُّ بِمِلٍّ فيه ،
وَتَبَرَأَ الباطِلُ حَتَّى مَن يُسِرُّهُ وَيُخْفِيهِ ؛ وَإِنْ نَظَرَ في مَصالِحِ البلادِ أَعانَ الغَيْثَ على

رَبِّهَا بِرِفْقِهِ ، وَأَعَادَ رَوْتَقَ عِمَارَتِهَا بِكَفِّ أَكُفِّ الظُّلْمِ وَوَصُولِ كُلِّ ذِي حَقٍّ إِلَى حَقِّهِ . أَقْتَضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةُ أَنْ نَجْعَلَ قُنُونَ أَقْنَانِهِ بِحُجْنِ إِيَالَتِهِ دَانِيَةَ الْقُطُوفِ ، وَأَنْ نُصَبِّرَ جَنَّتَهَا تَحْتَ ظِلَالِ سَيْفِهِ : فَإِنْ «الْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ» .

فلذلك رُسِمَ بالأمر الشريف - لازال زَمَنُ عَصْرِهِ ، مَوْرَخًا بِالْفَتْوحِ ، وَسَيْفٌ نَصِيرُهُ ، عَلَى مَنْ كَفَرَ دَعْوَةَ نُوحٍ - أَنْ تَهْوِضَ إِلَيْهِ نِيَابَةُ السُّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ بِالشَّامِ الْمُحْرُوسِ : تَفْوِيضًا يُحْسِنُ بِهِ الْمَنَاسِبَ فِي تِلْكَ الْمَسَالِكِ عَنَّا ، وَيَنْشُرُ فِيهَا مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ مَا يَلْقَاهُ مِنَّا ؛ وَيُلِيسُهَا مِنْ حُلِّ الْمَهَابَةِ مَا يَضَاعِفُ بِهِ أَمْنَ مَرِيئِهَا ، وَتُصْبِحُ بِهِ السُّيُوفُ الْحَبْرَدَةُ أَحْفَظَ لَهَا مِنْ قُرْبِهَا ؛ وَيَطْلُعُ فِي أَفْقِ مَوَاقِبِهَا الْجَلِيلَةِ طُلُوعُ الشَّمْسِ الَّتِي يَمُوتُ نَفْعُهَا ، وَيُعْشَى التَّوَاطُرَ لَمَعُهَا ؛ وَيَجْلِسُ فِي دَسْتِ نِيَابَتِنَا حَاكِمًا فِيهَا بِأَمْرِنَا ، جَازِمًا بِحُكْمِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ الَّذِي قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ حَلِيَّةٌ سِرًّا وَجَهْرًا ؛ نَاشِرًا مِنْ مَهَابَةِ الْمُلْكَ مَا تَرْجُو لَهُ الْقُلُوبُ مِنَ الْعِدَا ، وَتُصَبِّحُهُمْ بِهِ سَرَّاءَ رُغْبِهِ عَلَى بُعْدِ الْمَدَى ؛ مُلْزِمًا مَنْ قَبِلَهُ مِنَ الْجِيُوشِ الْمَنْصُورَةِ بِمُضَاعَفَةِ إِعْدَادِ الْقُوَّةِ ، وَإِدَامَةِ التَّأْهِيبِ الَّذِي لَا تَبْرَحُ بِسَمْعَتِهِ بِلَادُ أَهْلِ الْكُفْرِ مَغْرُورَةً ؛ مُطْلِعًا عَلَى أَحْوَالِ الْعِدَا بِلُطْفِ مَقَاصِدِهِ ، وَنِكَايَةِ مَكَايِدِهِ ، وَحُسْنِ مَصَادِرِهِ فِي التَّنْذِيرِ وَمَوَارِدِهِ ؛ فَلَا يَرْمُونَ أَمْرًا إِلَّا وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى نَقِضِ مُبَرَمِهِ ، وَلَا يَقْدَمُونَ رِجْلًا إِلَّا وَقَدْ أَخْرَجْنَا بَوْتَبَاتِ إِقْدَامِهِ وَتَبَاتِ قَدَمِهِ . وَلِيُعْظَمَ مَنَارُ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ بِتَكْرِمِ حُكْمِهِ ، وَالْوُقُوفِ مَعَ أَحْكَامِهِ ؛ وَيرْفَعَ أَقْدَارَ حَمَلَةِ الْعِلْمِ بِرَفْقِهِ أَسْرَارِهِمْ ، وَتَسْهِيلَ مَارِئِهِمْ وَأَوْطَارِهِمْ ؛ وَلِيُعْمَرَ الرِّعَايَا بِعَدْلِهِ وَلِنُصَافِهِ ، وَيُسْتَرْفَعَ لَنَا أَدْعِيَةُ الْأَوْلِيَاءِ وَالصُّلَحَاءِ بِإِسْعَادِهِ وَإِسْعَافِهِ . وَفِي خُصَائِصِ أَوْصَافِهِ الْكَرِيمَةِ ، وَتَجَايَاهِ الَّتِي هِيَ لِمَصَالِحِ الْإِسْلَامِ مُسْتَدِيمَةٌ ؛ مَا يُفْنِي عَنْ تَسْلُطِهِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، وَاللَّهِ تَعَالَى يُرِيدُهُ وَقَدْ فَعَلَ ، وَيَحِلُّهُ مِنْ أَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ وَقَدْ جَعَلَ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة بالشام، كتب به للأمر «يلبغا الكامل» بعد نيابته بحلب وحمّاء، من إنشاء المقرّ الشهابي بن فضل الله، وهي :

الحمد لله مجرى الأقدار، برّقة الأقدار، ومثري آمالٍ من حسنت له في خدمتنا
الآثار، بمواهب العطايا والإيثار، ومثري غرورٍ نعم أولياتنا التي رعى عهدنا عهد
محبّ جودنا الفزار، جاعلٍ أصفياء مملكتنا الشريفة كلّ حين في ازدياد، وما نلج
المخلصين في خدمتنا مزينة الإسعاف والإسعاد، وفاتح أبواب التأييد بسيف أنصارنا
التي لا تهجّع في الاعتماد .

نحمده على مواهب نصيره، ونشكره على إدراك المآرب من جوده الذي يعجز
لسان القلم عن حصّره؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تؤيد
قائلها في موافقه، وتجمع له من خير الدنيا بين تآليه وطآرفه؛ ونشهد أن محمدا عبده
ورسوله الذي هدانا الله به هذه الأمة من الضلال، وقضّل به المجاهدين حيث
جعل الجنة تحت ما يسوفهم من ظلال . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة
لا انفصام لعرويتها ولا انفصال، ولا انقضاء لأسبابها ولا زوال؛ وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد، فإن أولى من استدب لحفظ ممالك الإسلام، وأتمن على صونها بعزمه
الذي لا يسامى ولا يسام؛ وأسند إليه من أمور الرعايا بأجل الممالك ما يقضى بزيادة
التكريم، واعتمد على صيانتة وديانته كما شهد الاختبار بأنه أهل للتقديم؛ وجرّبت
الدول محالّصته، وتحقق آهتاهم الذي بلغه من العزّ غايته؛ وأثبتت على حسن سيرته
وسيرته سوابق خديمه، وشكر آهتاهم في المخالصة التي أعربت عن عزمه؛ ففاق
أشباهها وأفتارا، وكفل الممالك الشريفة الحليّة والمحميّة فأيدها أعوانا وأنصارا .

وَبَسَطَ فِيهَا مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ مَا أَعْلَى لَهُ شَأْنًا وَرَفَعَ لَهُ مِقْدَارًا ، وَسَلَكَ فِيهَا مَسَلَكًا شَفَّ أَسْمَاؤُا وَشَرَّفَ أَبْصَارًا .

ولما كان المقر الكريم (إلى آخره) هو صاحب هذه المناقب ، وقَارِسَ هذه المَقَانِبَ ، ونَظَرَ هذه الكواكب ، كم أبهج النفوس بِمَالِهِ من عَزَمٍ مشكور ، وحزم مَأْمُور ، ووَصَفَ بِالْجَمِيلِ مَوْفُور .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال لسيِّف أوليائه مُرْهِفًا ، ولا بِرَحِّ لأخصائه مُسْعِدًا ومُسْعِفًا - أن تَقْوُضَ إلى المِشَارِ إِلَيْهِ نِيَابَةُ السُّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ بِالشَّامِ المحروس ، على أَجْمَلِ عَوَائِدٍ من تَقَدُّمِهِ فِي ذَلِكَ وَأَكْمَلِ قَوَاعِلِهِ . فليتناوَلْ هذا التقليد الشريف بيدٍ لم يَزَلْ لما في الْوَلَاءِ الْبَاطِعِ الْمَدِيدِ الطَّوِيلِ ، وَيَتَلَقَّ هذا الْإِحْسَانَ بِالشُّكْرِ الَّذِي هُوَ بِدَوَامِ النِّعْمَةِ خَيْرٌ كَفِيلٍ ؛ وَيَضَاعِفُ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ أَهْتَامٍ لَمْ يَزَلْ مِنْهُ مَا لَوْفَا ، وَأَعْتَامٍ إِذَا لَاقَى غَيْرَهُ مُهِمًّا وَاحِدًا لَاقَى هُوَ الْأَوْفَا ؛ وَيُعْرِفُ النَّظَرَ فِي مَصَالِحِ هَذِهِ الْمَمْلُوكَةِ الشَّامِيَةِ المحروسه ، وَيَعْتَمِدُ مِنْ حُسْنِ تَدْيِيرِهِ مَا تَغْدُو رُبُوعُهَا بِحَسَنِ مِلَاحَظَتِهِ عَامِرَةً مَانُوسَةً . وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ الْعَدْلَ مِنْ شَيْمِ دَوْلَتِنَا الشَّرِيفَةِ ، وَنَجِيَّةِ أَيَّامِنَا الَّتِي هِيَ عَلَى هَامِ الْخَوْزَاءِ مَنِيْفَةٍ ؛ فَلَيْسَ لَكَ سَنَّتُهُ ، وَيَتَبَقُ قَرْضُهُ وَسُنَّتُهُ ؛ وَيَعْلَمُ أَنَّ حِلَّ سَنَةِ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً ، وَلَيَنْشُرْ عَلَى الرِّعَايَا مَلَاسَهُ الْحَسَنَةَ ؛ وَيُعْظِمَ الشَّرْعَ الشَّرِيفَ وَحُكْمَهُ ، وَيُعَيِّنَ الْإِقْطَاعَاتِ لِمَنْ يَسْتَحِقُّهَا مِنَ الْإِيْتَامِ أَوْ يَوْجِبُ الْأَسْتِحْقَاقَ إِكْرَامَهُ ؛ وَاللهُ تَعَالَى يَجْعَلُ السَّعْدَ خَلْفَهُ وَأَمَامَهُ ، وَيُؤَيِّدُهُ تَأْيِيدًا يُلْغِيهِ مُرَادَهُ مِنَ النَّصْرِ وَمَرَامَهُ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة بالشام :

الحمد لله الذى طهر الشَّامَ وقَدَّسَه ، وصانَه وحَرَّسَه ، وجعل لسلطاننا فيه قواعدَ
بالنَّصْرِ مُؤَسَّسَه ، وأنوارا للهُدَى مَقْتَبَسَه ، وكَفَّلَه مِن إِذَا صَفَّ لَهُ الْعَدُوُّ أَقْتَرَسَه ،
وَأَذَلَه وَأَرْكَسَه ، وأَرْغَمَ مَعْطَسَه ، وَقَطَفَ بِسَيْفِهِ أَرْؤُسَه ، وَمَنْ يُعْطَى النَّصْرَ إِذَا أَمْتَطَى
فَرَسَه ، وَمَنْ كَرَّمَ اللَّهُ نَفْسَه ، وَكَثَّرَ أُنْسَه ، وَعَطَّرَ نَفْسَه ، وَمَنْ يُنْصَفُ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ
وَيَبْلُغُ السَّائِلَ مُتَمَسَّه ، وَمَنْ لَيْسَ تَوْبَ الْعَافِ وَالْتَقَى فَكَانَ خَيْرَ تَوْبٍ لَيْسَه .

نحمده على أَصْلِ جُودِ غَرَّسَه ، وعَارِضِ سَوْءِ حَبَسَه ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له شهادة أزالَتِ الشُّرْكَ وَحَتَّتْ نَجَسَه ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله
الذى أُنْعِمَ اللهُ مِنْ أَصَابِهِ عَيْنًا مُبْتَجِجَه ، وَأَخْضَرَ الْعُودَ الْيَابِسَ لَمَّا لَمَسَه ، وَأَضْعَفَ
الْوَسَاوِسَ الْمُخْتَلَسَه ، وَأَتَرَعَ الْحَقَّ مِنْ بَحْسَه ، وَحَمَاهُ اللهُ مِنَ الشَّيْطَانِ لَمَّا وَلَدَ
فِي بَيْتِهِ ، وَتَوَرَّ الْقَلْبَ الَّذِي خِمْ عَلَيْهِ الضَّلَالُ وَطَمَسَه ، وَكَانَ الشُّرْكَ قَدْ أَثْبَتَ
فِي الْأَرْضِ فُطُوَاهُ دِينُهُ وَكَبَسَه ، وَحَمَاهُ وَدَرَسَه ، وَجَاءَ بِالْقُرْآنِ فُطُوبَى لِمَنْ تَلَاهُ
وَدَرَسَه ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُهُ ﴾ صلى الله
عليه وعلى آله وصحبه ما أَوْجَلَ اللهُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَغَمَسَه ، وَمَيَّزَ بِنُصْفِ الْعَدَدِ مِنْ
الثَّلَاثِ سُدُسَه . وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد ، فَإِنَّ الشَّامَ هُوَ عَقْدُ النَّظَامِ ، وَأَجَلُ مَمَالِكِ الْإِسْلَامِ ، وَمَعْدِنُ النَّصْرِ
الَّذِي بُرُوقُهُ نُشَامٌ ، وَمُسْتَقَرُّ الْبَرَكَاتِ الْيَوْمَامِ ؛ وَعَسْكَرُهُ أَفْضَلُ عَسْكَرٍ فِي حَسَنِ
الْإِعْتَرَاءِ وَالْإِعْتَامِ ، لَا يَرْهَبُونَ الْحِمَامَ ، وَيَخْضَعُونَ لِحُجَجِ الْمُنُونِ بِالْحُسَامِ ؛ وَنِيَابَةُ
السلطنة الشريفة به من أَجَلِ النِّيَابَاتِ مِقْدَارًا ، وَأَكْرَمِهَا أَتَارًا ، وَأَعَزَّهَا أَنْصَارًا .

إذ هو تلقاء أوامرنا الشريفة المنطوية عليها أمرار البريد، ومن عنده تتفرع المهمات للقريب والبعيد، وعنه يصدر البريد، وإليه يرد بكل شيء جديد، ومنه يأتى إلى مسامعنا الشريفة بما نريد، فلا يحل دار سعادتها إلا من هو منصور سعيد، ونور رأي سليم، وحزم حديد، وقد اخترنا لها بحمد الله كفاها المعيد.

ولما كان فلان هو الضاري على العدا، وألغيت المتوالي الندى، والمهام الذى جرد سيف عزيمه أبدا فلا يرى مقمدا، وأنصف بحسن الصفات فما ساد سدى، قد تجملت الممالك بأرائه ورأياته، وثباته وثباته، وروض تديره وطيب نباته، وحسن اعتاده فى خدمة ملكنا الشريف ومهماته، إن ذكرت الموالاة الصادقة كان راوى مستنبا، وحاوى جديدا، والآوى إلى ظلها المديد وطيب مورها، وإن ذكرت الشجاعة كان زعيم كائنها، ومظهر عجائبها، وليث مضاربها، ومجرد قواضيه، وفارس جنائنها، ومطلب أطلالها ومُنَجَّح مطالبها، ومجلى غياها - أقتضى حسن الرأي الشريف أن يُعقد عليه لواء الاحتشام، فى الشام؛ وأن يُخص بالبركات، المخلصة من الدركات.

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالشام المحروس، على عادة من تقدمه وقاعدته، وأن يكون داخلا فى نيابته الشريفة ما هو مضاف إلى الشام المحروس : من ممالك وقلاع، ومدن وضياع، وقصور وموانى، وسواحل فى أقاص وأداني؛ تفويضا أُنسقت دُرره، وأشرقت غُرره، وتليت آياته وسوره.

فليهد بالعدل أمكاف البلاد، ولينظر بعين الرعاية والسداد؛ ولينشر لواء الإنصاف، لتكون الأمة تحت ظله الصافي وإليه الحق مضاف. وليُنذر الأرزاق

من الأخلاف ، ولأمر بإقامة الحدود على شارب السلاف ، وعلى السارقين بالقطع من خلاف ؛ وليستهدف عزائم العساكر المنصورة في القتال والجهاد ، وليأخذهم بحسن الاستعداد ، وليعرف للأمراء منازلهم : فإنهم أركان وأعضاء ، وأنصار وأتجاد ، وأولياء توليتا الشريفة المأخون للفساد ، ومن نجمل بهم الموارب وتتطربهم للعدا الأجاد ؛ والله الله في الشريع الشريف وإقامة مناره ، وتنفيذ كلمة أحكامه وإزالة أعذاره ، والتقوى فهي أفضل شعاره ، وقرة أبصاره ، والوصايا منه يشرق هلالها إلى أن يتم في إبداره ، ويتكلم بأنواره ، وهو غني عن إكثاره .

نخذ تقليدنا هذا باليمن ، وآلئس من هذا التفويض الملبس الأسنى الثمين ؛ وأخبار البريد المنصور فلا تقطعها عنا ، فنه إلينا ترد أخبار البريد وإليه ترد المهمات منا ، والله تعالى بخوله كل يوم من إحساننا في الزيادة والحسن ؛ والخط الشريف أعلاه .

الطبقة الثانية

(من يكتب له تقليد شريف في قطع النصف بـ «المجلس العالي»
وهو الوزير من أرباب السيوف ، وهو بالملكة الشامية
على حد الوزير بالديار المصرية)

وهذه نسخة مرسوم من ذلك :

الحمد لله مسدد سهام الاختيار ، ومسير الأولياء إلى منازل العللاء مسير الأهلة إلى منازل الإبتدأ ، الذي جدد بها ، وعدد كرمها ، وعلم مواقع الاضطراب ، إلى . وأقبح الأوزار ، فأرسل إليها من تستهل آراؤه ديمًا .

نحمده حمدا كثيرا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لم يتخذ صاحبا ولا وزيرا ، ونصلى على سيدنا محمد الذي عمر الله به البلاد تعميرا ، وأحسن بالعدل

تقرياً ؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين ظاهروهم بالسيوف والأقلام كاتباً
وأميراً ؛ صلاة لا ينقطع تواليها ، ولا تزال الآفاق تلتاقها وتستهدبها .

وبعد ، فإن أولى من عظم شأنه ، وكرم مكانه ، وثبت إماكنه ، وأثبت في منابته
الرماح قلته الذى هو ترجمانه ، وبسطت في تشيد الممالك يده وأطلق لسانه من
كان علامة العلم ، وفداً بالنشاط في كبره قتي السن كهل الحلم ؛ الذى فاق جلالة
ونسبا ، وأستعلى همة وأدبا ، وعرف بالديانة التى طار صيتها فى الآفاق شرقاً
ومغرباً ، والهبة التى سواء عليها أحلت قلباً أم أنتضت قضيماً .

ولما كنت أيتها المجلس الفلانى - أدام الله تأييدك ، وتسديدك وتمهيدك ؛
وكبت حسودك ، وضاعف صمودك - أنت المعنى بهذه المآثر ، المنصدة عليك
هذه الجواهر ، الدالة على مناقبك هذه المقارير ؛ الذى وجدناك على الاقتاد تزيد
استخلاصاً ، وتعلو على السبك خلاصاً .

فلذلك خرج الأمر الشريف أن تؤزر ، وتحمى موارد أرائك لتستغزر ؛ ويكون
لك الحكم فى المملكة الشامية عموماً ، وتصرف فى معاملاتها مجهولاً ومعلومياً ؛ على
أكل قواعد الوزراء وأعمها ، وأجلها وأعمها ؛ متصرفاً فى الكثير والقليل ، والحقير
والجليل ؛ تعزل وتولى من شئت ، وتكفى وتستكفى من أرتضيت . ونحن نوصيك
بالرفق الذى هو أخلق ، والعدل الذى تستدرك به محب الأموال وتستغنى ؛ والحق
فإن كل القضايا به تتعلق ، ويمن السياسة فإن الرئاسة بها تكمل وتعلق ؛ وإياك
والفرص الذى هو يهوى بصاحبه ، ويريد به فى عواقبه ؛ وأتى الله الذى لا تم
الصالحات إلا بتقواه ، وأحذر أن تكون مع من ضل سبيله وأتبع هواه ؛ والله تعالى
يُنجح رجاءك ويوضح منهجك ، ويعلى درجك ، ويلقنك إذا خاصمت واختصمت
مُجيبك ؛ إن شاء الله تعالى .

الطبقة الثالثة

(من يُكْتَبُ له مرسومٌ شريف، وهي على مرتبتين)

المرتبة الأولى

(من يُكْتَبُ له في قطع النصف وهو نائب قلعة دِمَشْق)

إن كان مَقْدَمُ أَلْفٍ كما كان أولاً، كتب له بـ «المجلس العالي» . أو طبلخاناه
كما هو الآن، كتب له بـ «الساحى» بغير ياء . وبالجملة فإنه يكتب له مفتحا
بـ «الحمد لله» .

وهذه نسخة مرسوم شريف بناية قلعة دِمَشْق المحروسة، من إنشاء المقر الشهابي
أبن فضل الله رحمه الله، وهي :

الحمد لله مُشْرِفِ الْقَلَاعِ ، وَمُصَرِّفِ رِجَالِهَا فِي الْأَمْتِنَاعِ ، وَمُعَرِّفِ مَنْ جَادَلَهَا
أَنَّ الشَّمْسَ عَالِيَةُ الْأَرْتِفَاعِ .

نَحْمَدُهُ حَمْدًا يُسَنِّفُ الْأَسْمَاعَ ، وَيُسَرِّفُ الْإِنْجِمَاعَ ، وَيُحَقِّقُ فِي صُعودِهِ الْمَلَائِكَةَ
أُولَى أَجْنَحَةٍ مَتْنَى وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
شَهَادَةً نَرْجُو بِهَا لِمَا بَقِيَ مِنْ قِلَاعِ الْكُفْرِ الْإِفْتِلَاعَ ، وَأَسْتِعَادَةَ مَا قَرَّ مَعَهُمْ مِنْ قُرَى
وَضَاعَ مِنْ ضِيَاعَ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي حَمَى بِهِ دِرَّةَ الْإِسْلَامِ
مِنَ الْأَرْتِفَاعِ ، وَصَانَ بِهِ حَوْزَةَ الْحَقِّ أَنَّ تُنْفَاعَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
صَلَاةً دَائِمَةً مَا أَسِيلَ لِلَّيْلِ ذَيْلٌ وَأَمْتَدَّ لِلشَّمْسِ شُعَاعَ ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فإنَّ لِلْمُحْصُونِ حَوَاضِرَ كَمَا لِلْسِلَادِ ، وَحَوَاضِنَ تَضُمُّ بِقَايَاهَا ضَمَّ الْأَهْمَاتِ
لِلْأَوْلَادِ ؛ وَمَعَاقِلَ يُرْجَعُ إِلَيْهَا إِذَا نَابَتِ الثُّوبُ الشَّدَادِ . وَمَعَاقِدَ يَعْتَصِمُ مِنْ مَنَعَتِهَا
بِجِبَالٍ وَيَتَسَكَّ بِأَطْوَادِ ؛ وَقَلْعَةً دِمَشْقَ الْمَحْرُوسَةِ هِيَ الَّتِي تَفْتَخِرُ بِقَايَا الْبِقَاعِ بِالْإِتِّصَالِ

بَسْبِهَا، وَاتَّسَكَ فِي الشَّدَائِدِ بِذَيْلِ حَسَبِهَا لَا يُهْتَدَى فِي السَّلْمِ وَالْحَرْبِ إِلَّا بِمَنَارِهَا،
وَلَا يُقْتَدَى فِي التَّسْلِيمِ وَالْإِمْتِنَاعِ إِلَّا بِأَنَارِهَا، وَلَا يُسْتَقَى إِلَّا بِمَا يَفِيضُ عَلَى السُّحُبِ
مِنْ قَيْضِ أَمْطَارِهَا؛ قَدْ تَرَجَّلَتْ لُبَّارِزٌ، وَتَهَلَّلَتْ لُتَاهِزٌ، وَدَلَّتْ بِقُوَاهَا مَا
أَحْتَجَبَتْ مِنْ مُجُوفِ الْجَبَلِ بِجَبَابٍ وَلَا أَحْتَجَزَتْ مِنَ الْهَامِ بِحَاجِزٍ؛ بَلْ أَلْقَتْ إِلَى
قَرَارِ الْمَاءِ جَمَلَهَا، وَأَثْبَتَتْ فِي مَسْتَقَمِّ الْمَوْتِ رَجُلَهَا؛ وَكَشَفَتْ لِلْعَرَبِ الْعَوَانَ
قِنَاعَهَا، وَأَشْعَلَتْ أُنْيُتَهَا مِنَ الذَّهَبِ شُعَاعَهَا، وَأَشْفَلَتْ أُنْيُتَهَا الْبُرُوقَ أَنْ تُطَاوَلَ
بَاعَهَا، أَوْ تُحَاوَلَ أَرْفَاعُهَا؛ قَدْ جَاوَرَتْ قُبَّتُهَا الزُّرْقَاءُ أَخْتَهَا السَّمَاءَ، وَجَاوَزَتْ بُرُوجَهَا
مِنْطَقَةَ الْبُرُوجِ اعْتِلَاءً، وَهِيَ مَعْقِلُ الْإِسْلَامِ يَوْمَ فَرَجِهِمْ، وَأَمْسُ قُلُوبِهِمْ أَعَاذَهَا
اللَّهُ مِنْ جَرَعِهِمْ؛ وَقَدْ نَزَلَ الْعُدُوُّ عَلَيْهَا وَنَازَلْنَا زَمَانًا يُجْمَعُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ،
وَأَقْدَمُوا وَتَقَدَّمُوا وَهُمْ مُتَأَخَّرُونَ؛ وَطَاوَلُوهَا فَكَانَتْ حَصْرَةً عَلَيْهِمْ، وَنَكَالًا لِمَا
خَلْفَهُمْ وَمَا يَنْدِيهِمْ؛ وَثَبَّتَ اللَّهُ بِهَا أَقْدَامَ بَقِيَّةِ الْقَلَاعِ، وَقَوَّى بِعَزَائِمِهَا إِقْدَامَ مَنْ فِيهَا
عَلَى الْإِمْتِنَاعِ؛ وَقَلْعَةُ الْجَبَلِ الْمَحْرُوسَةِ وَإِبَاهَا كَالْأَخْتَيْنِ، وَهِيَ لَهَا تَائِيَةٌ اثْنَتَيْنِ؛
وَكَتَبْنَا لَهَا لِكُرْسِيِّ مُلْكِكَ الشَّرِيفِ مِثْلَ سَعِيدٍ، وَمَتَرَهُ يَوْمَ صَفِيحِ الْأَفْلَاكِ لَوْ تَرَأَى
إِلَيْهِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ .

فَلَمَّا رَسَمْنَا بِنَقْلِ مَنْ كَانَ فِي النِّيَابَةِ الشَّرِيفَةِ بِهَا فِي مَنَازِلِهَا مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ،
وَقَدَّمَاهُ أَمَامَهَا كَمَا يَهْتَرُ فِي قَادِمَةِ الرِّيحِ السَّيَّانُ؛ وَاتَّخَذْنَا مِنْ بُرُوقِ عَزَائِمِهِ لِبَعْضِ
تُغْوِيرِهَا الضَّاحِكَةِ شَبَابًا، وَمِنْ هِمَمِهِ الْمُتَّصِلَةِ الْمَدِيدِ بِهَا مَا تَمْتَدُّ مِنْهَا إِلَى سَمَائِهَا سَبَابًا -
أَقْضَى رَأْيُنَا الشَّرِيفُ أَنْ نُعَوِّلَ فِي أَمْرِهَا الْمُهِمِّ، وَبَرَّهَا الَّذِي بِهِ مَصَالِحُ كَثِيرٍ مِنْ
مَمَالِكِ الشَّرِيفَةِ تَمِّمْ؛ وَنَحْمَلْ مَشَارِفَهَا بِمَنْ تُضَاهِكُ الْبُرُوقُ سُيُوفُهُ فِي لَيْلِ كُلِّ قَعٍ
مُدْلِمٍ، وَنَعْمِي حِمَاها بِرَجُلٍ تَمْتَعُ مَهَابَتُهُ حَتَّى عَنْ قَعْلِ الْأَسْنَةِ (٥) طَارِقِ الطَّيْفِ
أَنْ يَلِمَ؛ وَهُوَ الَّذِي لَا تَرَعِزُ لَهُ دُرَا، وَلَا يُنَاخِ لِإِدَارَةِ سَيْلِهِ فِي دَرَا، وَلَا يَقْدُرُ مَعَهُ

الأسد أن يبيت حول غايه مضجراً، ولا الطير أن يخلق إليه إلا ما يحيا بجناحه على الثرى، ولا أدبكت إليه زمر الكواكب إلا تقاعست فلا تستطيع السرى.

وكان فلان هو حاي هذا الحى، ومانع ما يحلو في الثغور من موارد الآلى، وغور الحى فلا تبرز له إلا من عقائل المعازل قاصرات الطرف كالدعى، وحافظ ما استودع من مصون، واستجمع من حصون، واستجهر من موارد تردها من زرد الدروع عيون، ويشرق منها المجانيق بحائب ممطرة بالنون؛ فصمم رأينا الشريف على اختياره ليوقل صهوة هذا الجواد، ويوفى ما يجب لهذه العقيلة من مرتقى لحظ ومرتمى فؤاد، ويبحث من الشغف بها عن أمل أمل أو مراد مراد، ويسجب من عقيلتها المصونة أن أبراجها تتبرج وما لنعماماً إنعام ولا لسعادها إسعاد.

فرسم بالأمر الشريف العالى المولى، السلطانى، الملكى، الفلانى - أعلاه الله وشرفه، وأدام فى الأرض ومن عليها تصرفه - أن تهوؤ إليه النيابة بقلة دمشق المحروسة : على عادة من تقدمه وقاعدته، ومقاربتة ومباعدته، وتحليه ومساعدته ؛ وكل ما جرت به العوائد فى رجائها ورجالها، وما لها وما لها ؛ وهذه نيابة شريفه، وبحابة مطيقه ؛ ونعمة تقابل برايتها، وتكمم نواحيها بإذاعتها ؛ وتهوى الله حليته عقمها، وحلة أقمها، ويجرى المجرة إجلالا فى طرفها .

فعلبك بحفظها ليلاً ونهاراً، وتفقّد أحوال من فيها سراً وجهاراً ؛ وفج بابها وغلقها مع الشمس، وتصفح ما بها من ليس ؛ وتبج أسبابها كما فى النفس ؛ والتصدى للالزمة الخدمة الشريفة فى أبوابنا العالية ببابها ، والأخذ فى أدوات حفظها بجامع أطرافها دون التمسك بأهدابها ؛ والتجسس على من يلم فيها جفته بكرى وما أثقله مناما ،

والإزام كُلِّ واحدٍ بما يلزمه من الوظائف في ليله ونهاره ، وإدلاجه وابتكاره ،
ومن عليه في هذا المعقل إشراف من شرفاته أو تسور على أسواره ؛ وإظهار الرِّيح
والصَّبَبِ والسَّمْعَةِ بِالْإِهْتِمَامِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ زَيْفَافٍ عَرُومِهَا ، وَضَرْبَ الْحَرَمِ لِنَوَاقِيسِهَا ،
وَالِإِعْلَانِ لَصَبَاحِ الْخَيْرِ لَنَا فِي صُبْحَاتِهَا وَالِدَعَاءِ الصَّالِحِ فِي تَغْلِيصِهَا ؛ وَصِيَانَةِ مَا فِيهَا مِنْ
حَوَاصِلٍ ، أَوْ يَصِلُ إِلَيْهَا مِنْ وَاصِلٍ ؛ وَمَا فِيهَا مِنْ ذَخَائِرٍ ، وَمَا فِي خَزَائِنِهَا الْعَالِيَةِ مِنْ
مَدَدِ الْبَحْرِ الرَّائِحِ ؛ وَمَا تَشْمُلُ عَلَيْهِ دَارُ الضَّرْبِ مِنْ أَمْوَالٍ تُقَرَّبُ لِلْهَيْبَاتِ بِرَتِيمَا ،
وَأَمْوَالِ النَّاسِ [التي] حُمِلَتْ إِلَيْهَا تُشْرَفُ تَقْوَدُهَا بِاسْمَتَا ؛ وَخَزَائِنِ السِّلَاحِ الْمَنْصُورَةِ
وَمَا يُسْتَكْتَرُ فِيهَا مِنْ عَدَدٍ ، وَمَا يُسْتَفْزَرُ مِنْ مَدَدٍ ، وَالْمَجَانِيقُ الَّتِي تَحْطُرُ مِنْهَا كُلُّ
خَطَاةٍ كَالْفَيْنِيقِ ، وَتَصْعَدُ وَمَرْمَاهَا إِلَى السَّمَاءِ كَأَنَّمَا تَحْطُفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ
فِي مَكَانٍ يَحْيِي ؛ شَائِلَةً عَقَارِهَا ، آفِلَةً بِالْأَعْمَارِ كَوَافِهَا ؛ وَالْحُدُوجُ وَالْقِمَى
وَالرَّايَاتُ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ سِلَاحٍ ، أَوْ دُرُوعٍ زُدَّ السَّهَامُ عَلَى أَعْقَابِهَا وَنَحْنِي قَامَاتٍ
الْعَوَالِي وَتُضَيِّقُ صُدُورَ الصَّفَاحِ . وَالْبَحْرِيَّةُ وَغَيْرُهُمْ مِنْ رِجَالِ هَذِهِ الْقَلْعَةِ الْمَحْرُوسَةِ
مِنْ نَجُومِ آفَاقِهَا ، وَغُيُومِ إِرْعَادِهَا وَإِبْرَاقِهَا ، وَدِيَمِهَا إِذَا أُسْبِلَتِ الْمَسَالِمَةُ ذُبُوبَهَا وَأَعْوَانِهَا
إِذَا شَمِرَتْ الْحَرْبُ عَنْ سَاقِهَا . وَبِقِيَّةِ الْمُسْتَخْلَمِينَ وَأَرْبَابِ الصَّنَائِعِ الَّذِينَ هُمْ عِمَارَةُ
أَوْطَانِهَا ، وَأَمَارَةُ الْعُنَايَةِ بِهَا مِنْ سُلْطَانِهَا ؛ فَكُلُّ ذَلِكَ مَنْخُورٌ لِمَنَافِعِ الْإِسْلَامِ ،
وَمَا رِيَشَ السَّهْمِ لِأَنَّهُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ يَرْمَى وَلَا طَبَعَ السَّيْفِ لِأَنَّهُ فِي كُلِّ بَارِقَةٍ يُنَامُ ؛
فَاحْفَظْ لَأَوْقَاتِهَا تِلْكَ الْمَوَادَّ الْمَنْخُورَةَ ، وَالْحَظْ هَؤُلَاءِ الرِّجَالَ فَإِنَّهُمْ ظَهَرُ الْعَسَاكِرِ
الْمَنْصُورَةِ ؛ وَخُذْ بِقُلُوبِهِمْ وَأَوْصِلْ إِلَيْهِمْ حُقُوقَهُمْ ، وَاجْتَمِعْ عَلَى طَاعَتِنَا الشَّرِيفَةِ
مُتَّفِقِينَ وَأَكْرَمَ فَرِيَقَهُمْ ؛ وَمِنْهُمْ الْمَالِكُ السُّلْطَانِيَّةُ وَهُمْ إِخْوَانُكَ فِي وَلائِنَا ، وَالَّذِينَ
تَشْرُكُهُمْ فِي آلَائِنَا ؛ وَبِالْإِخْفِ فِي حِفْظِ الْمَعْتَقَلِينَ فِي سُجُونِهَا ، وَلِغَيْظِ الْمَعْتَقِدِينَ خِلَافًا
فِي مَكْنُونِهَا ؛ وَتَحَنَّنْ نَعِيمُهَا بِاللَّهِ إِنْ هَوَى : تَفَقَّهْهَا بِالتَّرِيمِ وَالْإِصْلَاحِ ، وَلِكَيْ نَأْمُرَكَ

أَنْ نَتَعَهَّدَهَا بِمَا نَتَعَهَّدُهُ مِنَ الزَّيْنِ الْمَلَّاحِ ؛ وَلَكِنْ مِنْ مُعَاوَضَةٍ مَنْ فِي ذَلِكَ الْإِقْلِيمِ ،
مَنْ لَكَ بِرَأْيِهِ طَرِيقٌ مُسْتَقِيمٌ ؛ وَمَنْ تُرَاجِعُهُ فِيهَا أَشْكَالٌ عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ ، وَتَجِدُ بِهِ
فِي طَاعَتِنَا الشَّرِيفَةِ نُورًا عَلَى نُورٍ ، وَاتَّبِعْ مَرَامِنَا الْمُطَاعَةَ فَهِيَ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ ؛
وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُكَ عَلَى بَصِيرَةٍ ، وَيَتَوَلَّاكَ بِمَا فِيهِ حُسْنُ السَّيْرِ ،
وَصَلَاحُ الْمَرْيَرِ ؛ وَالْإِعْتَادُ



وهذه نسخة مرسوم شريف بناية قلعة دِمَشْقِ الحُرُوسَةِ ، كُتِبَ بِهَا الْحُسَامُ
الدين «لأچين الإبراهيمي» من إنشاء الشريف شهاب الدين ، رحمه الله ، وهي :
الحمد لله الذي صَانَعَ الْحُصُونُ بِاتِّصَاءِ الْحُسَامِ ، وَزَانَ الْمُلُوكَ بِارْتِضَاءِ ذَوِي
الْيَقِظَةِ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَالْأَهْتَامِ ، وَأَبَانَ سَبِيلَ السَّعَادَةِ لِمَنْ أَحْسَنَ بِفُرُوضِ الطَّاعَةِ
وَأَجَمَلَ الْقِيَامِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى أَنْ جَعَلَ نِعْمَتَنَا لِأَصْفِيائِنَا وَافِرَةِ الْأَقْسَامِ ، وَنُشْكِرُهُ عَلَى أَنْ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ
بِأَوْجُهُ إِقْبَالِنَا الْوِسَامِ ، وَنُشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً لِعُقُودِ
إِخْلَاصِنَا أَنْتِظَامِ ، وَلِسَعُودِ اخْتِصَاصِنَا الْإِتْمَامِ ، وَنُشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ
الَّذِي مَنَحَهُ الْإِجْلَالَ وَالْإِعْظَامَ ، وَمَنَحَهُ بِالْإِفْضَالِ وَالْإِكْرَامِ ، وَرَبَّجْهُ بِمَزَايَا الْفَضْلِ
عَلَى جَمِيعِ الْأَنْامِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ بِدُورِ الْقِمَامِ ، وَرَضِيَ عَنْ أَصْحَابِهِ
الَّذِينَ لَهُمْ صِدْقُ الْأَعْتَامِ ، صَلَاةً وَرِضْوَانًا لَهَا تَجْدِيدٌ وَمَزِيدٌ وَتَأْيِيدٌ وَدَوَامٌ ؛ وَسَلَّمَ
تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد : فَإِنَّ أَلَاءَنَا لَا تَزَالُ تَخْتَارُ الْأَكْفَاءَ ، وَآرَاءَنَا لَا تَبْرَحُ تَمْنَحُ ذَوِي الْمَاصِحَةِ
الْإِصْفَاءَ ، وَنِعْمَانَا تُدِيمُ لِلْمَلِكِ إِجْلَالَهَا عَلَى أَوْلَى الْخِدْمِ الْإِفَاضَةِ وَالْإِصْفَاءِ ، وَتَقْبِي
بُوعُودَ جُودِهَا لِمَنْ أَدَامَ لِمُنَاجِيهِ الْخَالِصَةِ الْإِقْتَاءَ .

ولما كان فلان هو الذى عُرفَ له فى مُهمَّاتنا خِلمٌ مسالفة ، وألقت منه همَّةٌ
عليه خَصَّتْهُ بكلِّ عَرفَةٍ ، وخولناه نِعَمًا الوَأكِفَ ، وأهلناه لِمَسْتَحْفاظِ الحصون
فساعده توفُّرُ التوفيقِ وساعفه ، وتقلناه فى الممالك فسارِيرةً حَمِيدَةً أَقْنَضَتْ لِمَوَاهِبِنَا
لَدَيْهِ المضاعفه - أَقْنَضَى حَسَنُ الرَّأْيِ الشَّريفُ أَنْ نَرْفَعَ مَحَلَّهُ بِاعْرِزِ القِلَاعِ ، ونُطْلِعَهُ
بِأَقْي سَعْدِهَا أَيْمَنَ إِطْلَاعٍ ، ونُتَدِّبَهُ لِنَضْبِطِهَا فَيَحْسُنَ لَهُ فِيهَا الاسْتِقْرَارُ وَيُجِدُّ مِنْهَا لَهُ
الاسْتِبداعُ .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زالت صدقاته تُحَقِّقُ الأَطْماعَ ، وهِبَاتُهُ تُفِيضُ
مَلَائِئِهَا الَّتِي لَيْسَ لَهَا أَتْرَاعٌ - أَنْ يَسْتَقَرَّ فى نِيَابَةِ قَلْعَةِ دِمَشْقَ

فليأشِرِ النِّيَابَةُ بِالْقَلْعَةِ الْمَذْكُورَةِ بِأَذِلَّةٍ الاجْتِهَادِ ، مُوَاصِلًا لِلْعَزْمِ وَالسَّدَادِ ، عَامِلًا
بِالْحَزْمِ فى كُلِّ إِصْدَارٍ وَإِيرَادٍ ، كَافِلًا مِنْهَا بِحَسَنِ الْاعْتِمَادِ ؛ حَافِظًا حَوَاصِلَهَا مِنْ
الضَّيَاعِ ، مُقَرَّرًا أَحْوَالَهَا عَلَى أَجْمَلِ الْأَوْضَاعِ ؛ وَلِيَأْخُذَ رِجَالُهَا بِالِاسْتِلَافِ عَلَى الْخَلِصَةِ
وَالِاجْتِنَاعِ ، وَلِيُحَرِّضَهُمْ عَلَى الْمُبَادَرَةِ إِلَى الْمِرَاسِمِ وَالْإِسْرَاعِ ؛ وَلِيُطَالِعَ مِنْ أُمُورِهَا
بِمَا يَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ لِأَبْوَابِنَا الْعَالِيَةِ فِيهِ الْمِطَالَعَةُ وَيَجِبُ لِعُلُومِنَا الشَّرِيفَةِ عَلَيْهِ الْإِطْلَاعُ ،
وَلِيَرَاجِعَ كَافِلَ الْمَالِكِ الشَّامِيَةِ بِمَا جَعَلْنَا لِآرَائِهِ فِيهِ الْإِرْجَاعَ ؛ وَلِيَكُنْ لَهُ إِلَى إِشَارَتِهِ
إِصْغَاءٌ وَاسْتِمَاعٌ ، وَإِلَى سَبِيلِ هَدْيِهِ أَقْنَاءٌ وَاتِّبَاعٌ ؛ وَلِيَقِفَ عِنْدَ مَا يَتَقَدَّمُ بِهِ إِلَيْهِ
فَبِذَلِكَ يَحْصُلُ لَهُ الرُّشْدُ وَالِاتِّفَاعُ ، وَاللهُ تَعَالَى يَجْتَدُّ عَلَيْهِ سَوَائِغَ نِعَمَاتِنَا الَّتِي جَادَتْ
بِاجْتِنَاسِ وَأَنْوَاعِ ؛ وَيَجُودُ فى نُصْرَتِنَا حُسَامَهُ الَّذِى مِنْ بَاسِهِ الْأَعْدَاءُ تَرْهَبُ وَتَرْتَاجُ ،
وَيَدِيمُ لَهُ وَلِجَمْعِ الْأَوْلِيَاءِ مِنْ صَدَقَاتِ دَوْلَتِنَا الشَّرِيفَةِ الْإِمْتِنَاعُ ؛ وَالْخَطُّ الشَّرِيفُ
أَعْلَاهُ ، حِجَّةٌ بِمَقْتَضَاهُ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .



وهذه وصية نائب قلعة أوردها في "التعريف" :

وعليه يحفظ هذه القلعة التي زُفَّتْ إليه عقيلتها المُنَمَّه، وجليَّتْ عليه سافرة ودُونَهَا
السَّماءُ بالسُّحُبِ مُقَنَّه، وُسِّلَتْ إليه مَفَاتِيحُهَا، وخَوَاتِيمُ الثُّرَيَّا أَقْعَالُ، وأَوْقَدَتْ له
مَصَابِيحُهَا، وَقَتَائِلُ الْبُرُوقِ لَا تُسَبُّ لِقَعَالُ^(١). فليبدأ بعبارة مَا دَعَتْ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنْ
تَجْدِيدِ أُنْبِيئِهَا، وَتَشْيِيدِ أَقْبِيئِهَا؛ وَشَدَّ عَقُودَهَا، وَعَدَّ مَا لَا يَحْصَى [فِي الذَّخَائِرِ] مِنْ^(٢)
نُقُودِهَا؛ [وَتَنْبِيهِ أَعْيُنِ رَجَالِهَا وَالْكُوكُبِ قَدْ هَمَّتْ بِرُقُودِهَا]^(٣)، وَالْأَخْذَ بِقُلُوبِ مَنْ
فِيهَا، وَتَذَارِكَ بَقِيَّةَ ذِمَّتِهِمْ وَتَلَايِفِهَا؛ وَجَمْعِهِمْ عَلَى الطَّاعَةِ، وَبَذْرِ الْإِحْسَانِ فِيهِمْ
إِذَا عَرَفَ أَرْضًا تَرْكُوفِهَا الزَّرَاعَةَ، وَالتَّمَادِي لَهَا: فَرُبَّ رَجُلٍ تَجَزَّى عَنْ عِدَّةِ سَنِينَ
فِي سَاعَةٍ؛ وَتَحْصِينَ هَذَا الْحِصْنِ الْمَنِيعِ بِمَا يُذْخِرُ فِي حَوَاصِلِهِ، وَيُسْتَمْدُ بِعَبَارَةِ الْبِلَادِ
الْمُخْتَصَةِ بِهِ مِنْ وَاصِلِهِ؛ وَمَا يَكُونُ بِهِ مِنَ الْمَجَانِقِ الَّتِي لَا تُرْفَى عَقَارِبُهَا، وَلَا تُوقَى
مِنْهَا أَقَارِبُهَا؛ وَلَا تُرَدُّ لَهَا مَضَارِبُهَا، وَلَا يُكْفَى مِنْ زُبَانِ زَبَانِيَّتِهَا كُلِّ ضَارِبٍ؛
وَلَا يُخَطِّئُ سَهْمُهَا، وَلَا يَنْفِي بَيْنَ التَّجُومِ تَجْمُهَا؛ وَلَا يُعْرِفُ مَا فِي صُنُوفِهَا [الْمَقْفَلِ]،
مِنْ الْبَلَاءِ الْمُرْسَلِ، وَلَا مَا فِي نَحْوِهَا الْمُشْمِرِ السَّاقِ مِنَ النِّشَاطِ الَّذِي لَا يَكْسَلُ؛
وغيرها مِنَ الرَّايَاتِ الَّتِي فِي غَيْرِهَا لَا تُسَدُّ، وَلِسَوَى خَيْرِهَا لَا تُعْقَدُ؛ وَمَا يُرْمَى فِيهَا
مِنْ السَّهَامِ الَّتِي تَشُقُّ قَلْبَ الصَّخْرِ، وَتُبْكِي خَنَسَاءَ كُلِّ قَافِدَةٍ عَلَى صَخْرٍ؛ وَكَذَلِكَ قَسَى
الْيَدَ الَّتِي لَا يَدَّ بِهَا وَلَا قِيلَ، وَكَثَّرَتْ السَّهَامَ الَّتِي كَمَ أَصْبَحَ رَجُلٌ وَبِهِ مِنْهَا مِثْلُ
الْجِلْبِ؛ وَمَا يُصَانُ مِنَ الْبُوسِ، وَيَعْدُ لِلنَّعِيمِ وَالْبُوسِ؛ وَمَا يَمُذُّ مِنَ السَّائِرِ الَّتِي

(١) التي في "التعريف" «وقناديل» .

(٢) الزيادة من "التعريف" (ص ٩٥) .

(٣) في "التعريف" «من العدد والعدد والقبوس» .

هى أسوار الأسوار ، ولعاصم عقائل المعاقل منها حلى سوى كل سوار ؛ وهى التى ثلاث لثمها على مباسم الشرفات ، وتضرب حجبها على أعالى الغرفات ؛ وسوى هذا مما تعتصم به شواخخ القلال ، ويتنوّأ به مقاعد القتال ؛ فكل هذا حصّله وحصّنه ، وأحسبه وحسنه ؛ وأعدّ منه فى الأمن لأوقات الشدائد ، وأجر فيه على شأونه هتّم وزدّ فى العوائد ؛ وهكذا ما يذخر من عدد أرباب الصنائع ، وممدّ التحصين المعروف بكثرة التجارب فى الوقائع ، والأزواد والأقوات ، وما لا يزال يفكر فى تحصيله لأجل بعض الأوقات ؛ ولكن من هذا مستكثرا ، وله على ما سواه مؤثرا ؛ حتى لا تزال رجالك مطمئنة الخواطر ، طيبة القلوب ماعليها إلا السحب الموأطر ؛ وأعمل بعادة القلاع فى علق أبواب هذه القلعة وفتحها ، وتفقد متجندات أحوالها فى مساء كل ليلة وصبحها ؛ وإقامة الحرس ، وإدامة العسس ، والحذار ممن لعله يكون قد تسوّر أو اختلس ؛ وتعرف أخبار من جاورك من الأعداء حتى لا تزال على بصيره ، ولا تبيع تبعك لكل أمر مصيره ؛ وأقم نوب الحماة التى قد لا تجد فى بعض الأوقات سواه رسولا ، ولا تجد غيره خبرا ولا سواه مسئولاً ؛ وطالع أبوابنا العالية بالأخبار ، وسارع إلى ما يرد عليك منها من آتئاء وجواب ؛ وصب فكرك كله إليها وإلى ما تضمنته من الصواب .

المرتبة الثانية

(من المراسيم التى تكتب بمحاضرة دمشق لأرباب السيوف -

ما يكتب فى قطع الثلث ، وفيها وظيفتان)

الأولى — شدّ الدواوين بدمشق . وصاحبها يتحلت فيها يتحلت فيه شاد

الدواوين بالديار المصرية ، وقد تقدم .

وهذه نسخة مرسوم شريف بشد الدواوين يدمشق :

الحمد لله الذي أرفف لمصالح دولتنا القاهرة من الأولياء ، سيقاً ماضياً ، وجرّد
لمهمات خدمتنا الشريفة من الأصفياء ، عَضْباً يَفْلُو المُلْكُ عن تَصْرِفِهِ الجميل رَاضِياً ،
وجدد السُّعُود في أمانتنا الزاهرة لمن لا تحتاج هممه في عمارة البلاد المحروسة
مُقَاضِياً .

لحمده على نِعَمِهِ التي تستغرق المحامد ، وتستوجب الشُّكْرَ المستأنف على الخامد ؛
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مُجَاهِدٍ لأعدائها ، مُجَاهِرٍ لإعلامها ؛
ونشهد أن محمداً عبده ورسوله أشرف الأتقياء قدراً ، وأَوْفَمُ في الرتبة مكانةً وإن كان
أَحْرَمُ عَصراً ؛ صَلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين نَهَضُوا بِأُمُورِنا ، وعَمَرُوا الدِّينَ
قبل الدنيا فلم تَمُكِّنِ الأيامُ من [قَضِ] ما عَمَرُوا ؛ صَلَّاةٌ يَتَأَزَّجُ نَشْرُها ، وَيَتَبَلَّجُ
بِشْرُها ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى من عُذِقَ به من مهماتنا الشريفة أعمها نَعْمًا ، وأَحْسَنُها في عمارة
البلاد وَقْعًا ، وأكثرُها لخزائن الأموال تَحْصِيلًا وَجَمْعًا ؛ واجمعها لمصالح الأعمال ،
وأَضْبَطُها لحواصل الممالك التي إذا أعد منها جِبَالًا تَلَا عليها لِسَانُ الإِنْفَاقِ :
(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ) مَنْ زَانَتْ عَزَمَهُ زَوَاهَتُهُ ، وَكَلَّتْ قُوَّتُهُ فِي الْحَقِّ خَبْرَتُهُ
وِنَبَاهَتُهُ ؛ وكان من أولياء دولتنا المُعَلِّينَ لشد أركانها ، وإشادة بُيُنَانِها ؛ والنُّهُوضِ
بمصالحها المتنوعة ، ونَشِيرِ كَلِمَةِ عَدْلِها التي تَقْلُو بالأدعية الصالحة مبسوطَةً وبِالْأَنْبِيَةِ
العاطرة مُتَضَوِّعَةً .

ولما كان فلان هو الذي أُشِيرَ إلى مُحَاسِنِهِ ، وَنُبِّهَ عَلَى إِبْرَازِ فَضْلِهِ الْمُظْهِرِ من
معادنه ؛ مع صَرَامَةِ تُخَيِّفُ اللُّيُوثَ ، وَزَوَاهَةِ تُعِينُ عَلَى عِمَارَةِ البلاد النُّيُوثِ ؛ وَخَبْرَةِ
يُظَاهِرُ المصالح الخفية وَفِيَّهِ ، وَبِإِبْرَازِ معادن الأموال من وجوهها الجليَّةِ مَلِيَّهِ ؛

ومعرفة نعم البلاد بين الرغبة والرهبة ، وتجعل مثل ما يُودع فيها بالبركة والنماء مثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة - أفضت آراؤنا الشرفة أن ننبه على حسن اعتنائنا بأمره ، واعتنادنا بما قدمه من أسباب إسنائه رُبته ورفعة قدره ؛ فذلك رسم - زاد الله في علاقه - أن يفوض إليه

فليأشرك ذلك مظهرًا من مصالح الدولة القاهرة ما كان في ضمير كفايته مكتونًا ، مبرزًا من تميز الأموال وتعمير الأعمال ما يحقق به : من خصيب البلاد بمشيئة الله تعالى ما كان مظنونًا ؛ مواليًا إلى الخزانة المعمورة من محول تديره ما يُمسي به طائر تضره ميمونا ، وسبب توقفه مأمونا . وليكن النظر في عمارة البلاد هو المهيم المقدم لديه ، والأمر الذي يتعين توفرها اهتمامه عليه ، فليجتهد في ذلك اجتهدًا يظهر أثره ، ويحتج ثمره ، ويحمد ورده وصلته ؛ وتتفرع عنه أنواع المصالح ، وتترتب عليه أسباب النتائج ؛ وملاك ذلك بسط المعللة التي هي خير للبلاد من أن تُعطر أربعين يوما ، واعتناء الرقيق الذي لا يضر معه البأس قوما ، ولا يجلب على فاعله مع الحزم لوما ، ولا يطرد عن أئامه العدل في مهاد النعمة نوما ؛ وليصرف إلى استجلاب الأموال وموالاتها حثها همة ناهضة ، وعزيمة إلى ما قرب ونأى من المصالح راكضة ، وقوة بأسباب الحزم آخذة وعلى أعية التدبير قابضة ؛ وفيما خبرناه من عزائم المشكورة ، وسيرته التي ما برحت بين أولياء دولتنا القاهرة مشهورة ؛ ما يكتفى به عن الوصايا المؤكدة ، ويوثق به فيما علق به من الأمور المستددة ؛ لكن هوى الله تعالى أولى الوصايا وأولى ، وأحق ما تليت عليه تقاصيلها وجملها ؛ فليقدم هوى الله بين يديه ، ويجعلها العمدة فيما اعتمد فيه عليه ؛ بعد الخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه .

الوظيفة الثانية - شدّ المهمات . وصاحبها يتحلى فيها يطلب للأبواب السلطانية من المستعجلات وغيرها . وقد ذكر في "التخفيف" أن عادته أن يكون مقدم ألف .

وهذه نسخة توقع بشدّ المهمات بدمشق ، وهى :

الحمد لله الذى شدّ عُرَا المصالح من الأولياء بكل ذى أيدٍ ، وكلّ مَنْ هو فى المهمات أبطلشُ بعمرو من زيد ، ومن له تدير كم أغنى باقتناصه لشوارد الأمور عن حباله صيد .

(١١) [وبعد] فإن أحق من استخلص لاستخلاص الأموال ، وأختير لصونها من الاختلال وحفظها من الاختلال ، وأهل قلبه وكتبه : هذا للتمثيل وهذا للامثال ؛ وفوض إليه التصرف فى الترغيب والترهيب ، والاجتهاد فى التمييز والتحرير والتوفير إذ كل مجتهد مضىب - من اشتهر بأنه ذو حزم لا ينى ، وعزيم عن المصالح لا يفتنى ، واحتفال بالأحوال التى منها نكر لمن يحنى وشكر لمن يحنى ؛ وله نباهة يدرك بها كل إيهام وكل إيهام ، ويطلع [بها] على قللت ألسنة الأفلام . ويفهم بها مقاصد كل من هو من الجنة فى كل وإديهم ، ولا يحنى عليه جرائر الجرائد ولا يخازى المخازيم ؛ وفيه راحة كم أصبح بها وهو الأتقى ، ولم يأت قساوة يكون بها هو المنبت الذى لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى ؛ وكم ماس الأمور ودبرها فاحسن فيها السيامة وأجمل التدبير ، وأستخرج [الشيء الكثير] بالتخويف اليسير ؛ حتى جمع حسن تدبير واستطرط ، وصنع حسنا وأحسن صنعا .

(١) زدنا هذه القطة لروها واستقامة الكلام يا . فتنه .

ولما كان فلان هو لهذا الأمر الجليل المسترعى، واسمه في أول مدارج التنويه والتوبييل خير مُستدعى؛ وفيه من جميل الأوصاف ما يرضى حسن الاقتراح وقد خبر أمور الكتبة، وقد علم من أحوالهم ما هو آخرى لهم بالتجربة؛ وعرف خفايا المعاملات معرفة تامه، وأحاط بمجزيات الجهات وكلياتها إحاطة خاصة وعامة - أقتضى حسن الرأي المنيف، أن رسم بالأمر الشريف - لا يرحسُ ضد كل مُهم من الأولياء يأتي كل عزم، ويجعل له سلطاناً لا يكل مصلحة إلى حزم ذى حزم - أن يفوض إليه شد المهام بالشام المحروس .

فليضبط الأمور ضبطاً مستوعباً، وليتصّب لنلك أنصباً مترتباً؛ وليحتزّ مقتداً ومصرفاً، ومسيراً ومُستوففاً؛ ومقّ ظهر حقّ يمسك به تمسك الغريم، ولا يُحاب فيه ذا بأس قوى ولا ذا منتهج إلى المنع والدفع غير قويم؛ وما من جهة إلا ولها شروط صوب الصواب، ولا يعتمد على غير الحق منجاً عن ترويح الكباب؛ ولتكن الحول مسيره، والمتخرجات متوقّره؛ وجهات الخصاص مقرّره، إذ الضمان لا ينتظر لهم نظرة إلى ميسره؛ فإنهم مؤوس المعاملات، وكواسر الجهات؛ ومنهم يحفظ أو يضياع، وبهم يترقى أو ينحط الارتفاع؛ وجهات المقطعين الواجب له أن يجعل عليها واقية باقيه، ولتحم لهم حتى لا يتناول إلى ذروتها امتداد الأيدي المتتركة ولا خطأ العُدوان الراقية؛ وليصرف وجهه بحفظه إلى مراقبة من في باب الشد من مقدّمين ومن رُسُل ياكلون أموال الناس بالباطل، ويبيعون الآجل بالعاجل؛ ويخفون العام والخاص، وكل منهم يروم الغناء وهو رفاص .

هذه زبدة من الوصايا مقننه، وعزّ مات غنية عن تكثير في القول أو توسعه؛ والله تعالى يكون له ويعينه، بمنه وكرمه، إن شاء الله تعالى .

الصفحة الثاني

(من الوظائف بدمشق الوظائف الدينية ، وجميع ما يكتب
فيها توافيع ، وهي على مرتبتين)

المرتبة الأولى

(ما يكتب في قطع النصف بـ «المجلس العالي» بالياء مفتوح بـ «الحمد لله»
وبذلك يكتب للقضاة الأربعة بمحاضرة دمشق .

وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة الشافعية بدمشق المحروسة ، كُتِبَ به لقاضي
القضاة «بهاء الدين أبي البقاء السبكي» وهي :

الحمد لله الذي أقرَّ أحكام الشرع الشريف ، في أيامنا الزاهرة على أكمل القواعد ،
وأمر مدَّار الحكم المنيف ، في دولتنا القاهرة على أجهل العوائد ؛ وأمضى فصل
القضاء في ممالك الشامية بيد إمام غيّت فضائله عن الشواهد ، وأتمه الأئمة
لاكتباس القوائد ؛ وعُدَّت أحكام الملَّة منه مجاهر في الحق مجاهد ، مُسدِّد في الدين
سهم اجتهد رعى به شاكَّة الصواب عن أثبت يد وأشدَّ ساعد .

نحمده على نعمه التي حلت مناصب الدين في ممالك الشريفة بأكفائها ، وعلت
رتب العلم في دولتنا القاهرة بامستقرار من جعلته فضائله غاية اختيارها ونهاية
أصطفاؤها ، ودلَّت على اعتنائنا بتنفيذ أحكام من أعتبت سيرته الجميلة من سيد
في اتباعها وجهد في أفتائها ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
لا تزال أعلامنا بها تتنصر ، وأيامنا على الجهاد لتكون كائنها هي العليا تقتصر ،
وأقلامنا لنشر دعوتها في الآفاق تُسهب ولا توجر وتطنب ولا تختصر ؛ ونشهد أن
مجا عبده ورسوله أشرف من قضت أمته بالحق فعدلت ، وتلقَّت عنه أحكام ملته

فَقَافَتْ بِذَلِكَ الْأُتَمِّ وَفَضَّلَتْ ، وَحَكَّتْ بِمَا أَرَاهَا اللَّهُ مِنْ شَرْعِيهِ فَمَا مَالَتْ عَنْ سَنَنِهِ الْقَوِيمِ وَلَا عَدَلَتْ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا فَهَ فَسَلِمُوا ، وَعَمِلُوا فِي دِينِ اللَّهِ بِمَا عَلِمُوا ، وَبَذَلُوا النُّفُوسَ فِي طَاعَتِهِ فَمَا اسْتَكَانُوا إِلَيَّ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا أَلُمُّوهُ ؛ صَلَاةٌ تُوَدَّى بِهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ الْمُفْتَرَضِ ، وَتُرْغَمُ بِإِقَامَتِهَا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ؛ وَسَلَّمٌ سَلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فإنَّ أَوَّلِيَّ مَنْ تَقَلَّ فِي رُتْبَةِ السَّنِيَّةِ ، وَوُطِّدَتْ لَهُ بِمِصْرٍ وَالشَّامِ قَوَاعِدُ سِيرَتِهِ السَّيْرِيَّةِ ؛ وَأُطْلِقَتْ جِيَادُ الْبِرَاعَةِ فِي إِمْضَاءِ حَكَمِهِ فِي الْمَلَكَاتِ مَشَانِي أَعْيُنِهَا ، وَأَنْطَقَتْ صِعَادُ الْبِرَاعَةِ فِي إِعْلَاءِ بَهَائِهِ فِيهَا [السَّنَةُ] أَسْتَبَاهُ ؛ وَأَرَدْنَا أَنْ نُرَدَّهُ إِلَى أَعْرَ الْمَالِكِ عَلَيْنَا لِتَغَرِّعِهَا ، وَقَصَدْنَا أَنْ نُعِيدَهُ إِلَى رُتْبَتِهِ بِهَا لِنُوفِّيَ بِاسْتِعَادَتِهِ دِينَهَا ؛ وَأَخْرَجْنَا أَنْ نَجِدَ لَهُ هَذِهِ الْوُضُفَةَ سَالِفَ عَهْدِهِ ، وَأَنْ نُزِيَهُ أَعْتَانَا بِأَمْرِ مَنَصِبِهِ الَّذِي لَمْ يَلِهِ مِثْلُهُ مِنَ الْأَتَمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ ؛ وَعَلِمْنَا أَنَّ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ قَدْ أَخْنَصَتْ بِفَضَائِلِهِ زَمَنًا طَوِيلًا ، وَأَنَّ الْبِلَادَ الشَّامِيَّةَ قَدْ أَلْقَتْ مِنْ أَحْكَامِهِ مَا لَمْ تُرْدِ بِهِ بِدِيلًا - مِنْ ظَهَرَتْ فَضَائِلُهُ ظُهُورَ نَعْتِهِ ، وَتَبَادَلَتْ قَوَائِدُهُ رِفَاقُ الْآفَاقِ ؛ مِنْ عِلْمَاءِ زَمَانِهِ وَأُتَمِّهِ وَقَتِهِ ، وَعُلِمَتْ أَوْصَافُ الصُّدُورِ الْأَوْبِ مِنْ عِلْمِهِ وَوَرَعِهِ وَبُحْبُوحِهِ ؛ وَنُشِرَتْ الْأَيَّامُ مِنْ عُلُومِهِ مَا لَمْ يُطَوَّلْ يُطَوِّلُ إِلَيْهِ الْمَرَا حِلَ ، وَقَلَّتِ الْأَقْلَامُ مِنْ فُتُونِهِ مَا يُرَوِّى فَيُرَوِّى بِهِ السَّمْعُ الظَّامِي وَيُنْجِصِبُ بِهِ الْفِكْرُ الْمَالِحِلُ ؛ وَأَلْقَتْ الْأَقَالِيمُ مِنْ حُكْمِهِ مَا فَتَتْ بِهِ بَيْنَ مَسْرُورٍ بِإِسْرَافِهِ ، وَمُرُوعٍ بِفِرَاقِهِ ، فَمِنْ أَقْضِيَّةٍ مُسَدَّدَةٍ ، وَأَحْكَامٍ مُؤَيَّدَةٍ ؛ وَأَقْوَالٍ مُتَزَهِّةٍ عَنِ الْهَوَى ، وَأَحْوَالٍ صَادِرَةٍ عَنْ زَهَادَةٍ مُحْكَمَةِ الْقَوَاعِدِ وَزَاهَةِ الْجُمُعَةِ الْقَوِيَّةِ ؛ وَإِسَابَةِ دَالَّةٍ عَلَى مَا وَرَاعَهَا مِنْ عِلْمٍ وَوَرَعٍ ، وَإِحْيَايَةِ فِي الْحَقِّ تَحْيَا بِهَا السُّنَنُ وَمَمُوتُ الْبَدَعِ ، وَشِدَّةٍ فِي الدِّينِ تَصَدِّعُ فِي كُلِّ حُكْمٍ بِالْحَقِّ وَإِنْ صَدَعَ ، وَعَدْلٍ لَا يُسْتَلَانُ

جَانِبُهُ، وَحَزْمٌ لَا يُسْتَرْكَلُ صَاحِبُهُ، وَلَا يُسْتَنْزَلُ رَاكِبُهُ؛ وَقُوَّةٌ فِي الْحَقِّ تَمْنَعُ الْمُبْطِلَ مِنَ
الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ، وَلِينٌ فِي اللَّهِ يُفَسِّحُ لِلْحَقِّ جَمَالَ الْقَوْلِ بَيْنَ يَدَيْهِ؛ وَجَمَالٌ غَدَّتْ بِالْعِلْمِ
طَيِّبَةُ الْأَرْجِ، وَفَضَائِلُ يُحَدِّثُ فِيهَا عَنْ مَوَادِّ فِكْرِهِ عَنِ الْبَحْرِ وَلَا حَرَجَ؛ وَبَدَائِعُ
تُضْرِبُ إِلَى أَسْمَاعِهَا أَجْدَادُ الْإِبِلِ، وَبَدَائِعُ تَهْرُمُ الْأَيَّامُ وَتُغْمَرُ شَبَابُهَا مُقْتَبِلٌ .

ولما كان المجلس العاشر - أدام الله نعمته - هو الذي ورد على أبوابنا العالية ونور
لآلئِهِ يَسْعَى بَيْنَ يَدَيْهِ، وَصَدَرَ الْآنَ عَنْهَا وَحُلُّ الْآلِثَاتِ تَضْفُو عَلَيْهِ؛ وَأَقَامَ فِي خِدْمَتِنَا
الشَّرِيفَةِ مَعْدُودًا فِي أَكْرَمِ مَنْ بِهَا قَطَنَ، وَعَادَ إِلَى الشَّامِ بِمَجْمُوعَةٍ لَهُ بَيْنَ مُضَاعَفَةِ النِّعَمِ
وَالْعَوْدِ إِلَى الْوَطَنِ . وَهُوَ الَّذِي تَحْتَالُ بِهِ الْمَنَاقِبُ، وَتُخْتَارُ فَضْلُهُ الْعَوَاقِبُ؛ وَيُسْرَقُ
قَلْبُهُ بِالْفَتَاوَى إِشْرَاقَ النَّهَارِ، وَتُقْنِطُ مَنَافِعُهُ إِغْدَاقَ السُّحُبِ بِالْأَمْطَارِ، وَتُحْدِقُ
الطَّلِبَةُ بِهِ إِحْدَاقَ الْيَكَاةِ بِالْثَمَرِ وَالْمَالَاتِ بِالْأَقْفَارِ؛ وَهُوَ شَافِي عَنِ كُلِّ شَافِيٍّ،
وَدَوَاءُ أَلَمِ كُلِّ أَلْمِيٍّ؛ طَالَمَا جَانَبَ جَنْبَهُ الْمُضَاجِعُ سُهَادًا، وَقَطَعَ اللَّيْلَ ثُمَّ أَسْتَمَدَهُ
لَمَدٍ فَتَاوِيهِ مِدَادًا؛ وَجَمَعَ بَيْنَ الْمَذْهَبَيْنِ نَظْرًا وَتَقْلِيدًا، وَالْمُذْهَبَيْنِ مِنَ الْقَوْلَيْنِ قَدِيمًا
وَجَدِيدًا؛ وَسَلَكَ جَمِيعَ الطَّرِيقِ إِلَى مَذْهَبِ إِمَامِهِ، وَمَلَكَ حِسَانَهَا فَأَسْفَرَهُ كُلَّ وَجْهِ
تَغَطَّى مِنْ أَوْرَاقِ الْكُتُبِ بِلَتَائِمِهِ؛ وَأَنْفَتَحَتْ بِفَهْمِهِ لِلتَّصَانِيفِ أَبْوَابُ شَغَلَتْ
«الْقِفَالَ» أَقْفَالُهَا، وَتَهَضَّتْ [لَهُ] نَفَحَاتُ مَا «لَلْأَوْرِدِي» مِثَالُهَا، وَمَنْعَتْ حُلَا لَا يَفْخَرُ
«الغَزَالِي» إِنْ نُسِجَ عَلَى مِثْوَالِهِ سِرْبَالُهَا؛ فَلَوْ أَدْرَكَ «الرَّافِعِي» لَشَرَحَ «الْوَجِيزَ» مِنْ
لَفْظِهِ، وَأَمَلَى أَحْكَامَ الْمَذَاهِبِ مِنْ حِفْظِهِ؛ وَصَدَّرَ الْمَسَائِلَ بِأَقْوَالِهِ؛ وَأَعَدَّ لِكُلِّ
سُؤَالٍ وَارِدٍ حُجَّةً مِنْ بَحْنِهِ وَبُرْهَانًا مِنْ جِدَالِهِ؛ فَلَمْ يَكُنْ فِي الصِّلَمِ الْمُرْتَقِيَ الَّذِي لَا يَدْرِكُ،
وَالْمُنْتَهَى الَّذِي لَا يُنَازَعُ فِي تَقْرِيدِهِ وَلَا يُشْرَكُ، وَالْعَايَةُ الَّتِي أَعْرَضَهَا دُونَ عَيْدِ فَلَوْلَا
الْمَشَقَّةُ لَمْ تُرَكَ؛ وَهُوَ الَّذِي مَازَالَ بِهَذِهِ الرِّتْبَةِ مَلِيًّا . وَبِمَا عَلِقَ بِذِمَّتِهِ مِنْ أَحْكَامِهَا

وَقِيَا، وَبِكُلِّ مَا يُرِضِي الْخَلِيقَةَ عَنْهُ مِنْ أحوالها قَامَا وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا، وَبِأَعْيَابِهَا مُسْتَقْبَلًا مِنْ حِينَ مَنَحَهُ اللَّهُ الْعِلْمَ نَاشِئًا وَأَتَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا . وَمَا بَرِحَ تَدْعُوهُ التَّقْوَىٰ فِيحْيِيهَا، وَيَتْرَكَ مَا لَا يُرِيبُ نَفْسَهُ تَتَرَّبَهَا عَمَّا يُرِيبُهَا، فَكَمْ جَعَرَ بِالْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ مِنْ عَلَيْهِ حَيَوْنًا، وَغَرَسَ بِهَا مِنْ أَفْئَانٍ فَضْلَهُ فَنُونًا؛ وَكَانَ لَهَا خَيْرٌ جَارٍ تَرَكَ لَهَا مَنَاسِوَاهَا، وَأَكْرَمَ تَزِيلِ نَوَىٰ بِالْوَصُولِ إِلَيْهَا مَصْلَحَةَ دِينِهِ فَلَمْ يُضَيِّعِ اللَّهُ لَهُ نَيْتَهُ الَّتِي نَوَاهَا، وَأَلْفَ قَوَاعِدَ أَهْلِهَا وَعَوَائِدَهُمْ، وَعَرَفَ مُحْسِنَ أَطْلَاعِهِ مَا جَبَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ غَائِبَهُمْ وَشَاهِدَهُمْ؛ وَعَدُوَّهُ مِنَ النِّعَمِ الْمُقْبِلَةِ عَلَيْهِمْ، وَأَقْتَدُوا فِي مَحَبَّتِهِ بِالَّذِينَ تَبَوَّعُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُجِبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ؛ ثُمَّ قَدِمَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَهِيَ كَانَتْ قُدُومُهُ إِلَّا عَلَيْنَا، وَوَقَدَ إِلَيْهَا مُحْسِنٌ مَوَدَّتِهِ وَمَحَبَّتَهُ الَّتَيْنِ مَا وَقَدَ بِهِمَا إِلَّا إِلَيْنَا؛ فَزَيْنَا مِنْهُ إِمَامًا لَا يُحْكَمُ فِي تَوَلِيَّتِهِ الْحُكْمَ بِالْهَوَىٰ، وَلَا يُنَوَّىٰ فِي تَقْلِيدِهِ الْقَضَاءَ غَيْرُ مَصْلَحَةِ الْمُسْلِمِينَ « وَلِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَىٰ »؛ وَهُوَ - بِحَمْدِ اللَّهِ - لَمْ يَزَلْ بِقَوَاعِدِ هَذَا الْمُنْتَصِبِ خَيْرًا، وَبِعَوَائِدِ هَذِهِ الرِّبَةِ بَصِيرًا، وَبِإِحْرَاسِهَا عَلَى أَكْلِ السَّنَنِ وَأَوْضَحِ السَّنَنِ جَدِيرًا، وَبِإِمْضَاءِ حُكْمِ اللَّهِ الَّذِي يُحَقِّقُ إِحْيَادَ الْحَقِّ فِيهِ لِلأُمَّةِ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾؛ مَعَ مَا تَكَلَّمْتُ بِهِ فُضَائِلُهُ مِنَ الْوُقُوفِ مَعَ الْحَقِّ الْمُتَيْنِ، وَالتَّحَلِّيِ بِالْوَرَعِ الْمُتَيْنِ، وَالتَّحَلِّيِ لِلْعِبَادَةِ الَّتِي أَصْبَحَ مِنْ أَتَصَفَّ بِهَا مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ .

فَلِذَلِكَ رَسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْأَشْرَفِ فِي النَّاصِرِيِّ - لِأَزَالِ عِلْمِ الْعِلْمِ فِي أَيَّامِهِ مَرْفُوعًا، وَلَمْ أَتَّهَلْ بِمَا خَصَّ اللَّهُ بِهِ دَوْلَتَهُ مِنَ الْأُتَمَّةِ الْأَعْلَامِ مَدْفُوعًا - أَنَّ يَفُوزَ إِلَى الْمَشَارِ إِلَيْهِ قَضَاءُ الْقَضَاءِ الشَّافِعِيَّةِ، وَنَظَرُ الْأَوْقَافِ بِدِمَشْقِ الْحُرُوسَةِ وَأَعْمَالُهَا بِالْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ؛ وَهِيَ هِيَ مِضافٌ إِلَى ذَلِكَ مِنَ الصَّدَقَاتِ وَالتَّدَارِيسِ وَالتَّصَدِيرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، عَلَى عَادَةِ مَنْ تَقَدَّمَ فِي ذَلِكَ وَقَاعَدَتِهِ وَمَعْلُومِهِ .

فَلْيَقَابِلْ هَذَا التَّقْلِيدَ السَّعِيدَ بِيَدِ زَيْدٍ فِي الْحَقِّ تَمَكُّنَهَا ، وَعَلَى الْخَيْرِ تَمَرُّنَهَا ؛ وَفِي الْعَدْلِ
 أَنْيَسَاطُهَا ، وَفِي أَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى بِحَسَنِ الْمَاعِضَةِ عَلَى الْحَقِّ قُوَّتُهَا وَآخِتْيَاطُهَا ؛ وَيُمَيِّضُ
 عَلَى مَا أَلْفَ مِنْ مِيزَانِهِ إِلَى زَانِ الْعِلْمِ أَوْصَافُهَا ، وَزَانَ الْوَرَعِ أَتْصَافُهَا ؛ وَحَلَّى الْعَدْلُ
 مَقَانِيرَهَا ، وَأَحْيَا التَّقْيَ مَا ثَرَمَهَا ؛ وَتَنَاقَلَتْ رِفَاقُ الْآفَاقِ أَحْكَامُهَا ، وَأَسْتَصَحَبَتْ مِنْ
 هُدَايَا هُدَايَا مَا تُخَيِّفُ بِهِ حُكْمُهَا ، وَفِيهَا نُفُتٌ مِنْ عَاسِنِهِ مَا يُغْنِي عَنْ الْوَصَايَا الْمَجْدَدَةِ ،
 وَالْإِشَارَاتِ الْمَرْتَدَّةِ ؛ لَكِنَّ الذِّكْرَ يُتَقَوَّى اللَّهُ تَتَفَعُّ الْمُؤْمِنِينَ ، وَتَرْفَعُ الْمُتَّقِينَ ، وَتَجْمَعُ
 مَصَالِحُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؛ فَلْيَجْعَلْهَا خُلُقَهُ مَا أَسْتَطَاعَ ، وَلْيَرَحُكْهَا هُوَ الْحُكْمُ الْمُنْتَبِعُ
 وَأَمْرُهَا هُوَ الْأَمْرُ الْمَطَاعُ ؛ وَالْإِعْتَادُ رَابِعُ عَشَرَ الْحَرَمِ سَنَةِ
 خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ .

قُلْتُ : وَلَمْ أَقِفْ عَلَى تَفْوِيضٍ لِقَاضٍ مِنْ كِتَابَةِ مَنْ هَدَّمْ سَوَى تَفْوِيضٍ وَاحِدٍ ،
 مِنْ إِنْشَاءِ الْمُقَرَّرِ الشَّهَابِيِّ بْنِ فَضْلِ اللَّهِ ، كَتَبَهُ لِقَاضِي الْقَضَا « شَهَابُ الدِّينِ بْنِ الْمَجْدِ
 عَبْدِ اللَّهِ » بِالشَّامِ الْحَرُوسِ ، عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ . وَهَذِهِ نَسَخَتُهُ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى التَّمَسُّكِ بِشَرَائِعِهِ ، وَالتَّنَسُّكِ بِذُرَائِعِهِ ، وَالتَّوَسُّلِ إِلَى اللَّهِ بِتَأْيِيدِ أَحْكَامِ
 شَارِعِهِ ، وَالتَّوَسُّلِ بِهِ إِلَى دِينٍ يُقَطِّعُ بِهِ مِنَ الْبَاطِلِ أَعْنَاقُ مَطَامِيحِهِ .

نَحْمَدُهُ حَمْدًا يَأْخُذُ مِنَ الْخَيْرِ بِجَمَامِعِهِ ، وَيُضَاهِي النِّعَامَ فِي عُمُومِ مَنَافِعِهِ ، وَيُضَاهِي
 السِّيفَ بِقَلَمِ الشَّرْعِ فِي قَهْرِ عَاصِيهِ وَحِمَايَةِ طَائِعِهِ . وَنَشْهَدُ أَنَّ لِلَّهِ إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ
 لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُوَدَّى لِلْإِيمَانِ أَمَانَةً وَدَائِعِيهِ ، وَتَهْدِي إِلَى صِيَانَةِ مَشَارِعِهِ ، وَتُقِيمُ
 مِنَ الْعُلَمَاءِ كُلِّ شَهَابٍ تُقِيمُ الْأَنْوَارُ بِلَوَائِعِهِ ، وَتُقِيمُ الْأَبْصَارُ بِبَدَائِعِهِ ، وَتَجُولُ
 الْفَتَاوَى فِي صَدْرِهِ الْقَمِيحِ وَتَجُولُ فِي شَوَارِعِهِ ، وَتُرْفِعُ مِنْهُمْ لِلْحُكْمِ الْعَزِيزِ كُلَّ قَلَمٍ
 يَدُلُّ السَّهْمَ عَلَى مَوَاقِعِهِ ، وَيُنَبِّئُ الرَّجْحَ مِنْ مَقَاتِلِ الْأَعْدَاءِ عَلَى مَوَاصِعِهِ ، وَتُسْرَى

عَمَّامُهُ إِلَى الْأَعْدَاءِ بِصَوَاعِقِهِ وَإِلَى الْأَوْلِيَاءِ بِهَوَامِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الَّذِي أَسْعَدَ الْأُمَّةَ بِطَاعَتِهِ ، وَأَصْعَدَ الْأُمَّةَ فِي مَطَالِعِهِ ، وَأَسْعَفَ الْمَلَّةَ بِمَا أَلْقَى اللَّهُ فِيهَا مِنْ حَسَنِ صَنَائِعِهِ وَيَمِّنَ طَلَاتِهِ ، وَمِنْ شَرِّ مَتْنِهِ الَّتِي آمَنَ جَبَلُهَا الْمُحْدَوْدُ مِنْ جَنْبِ قَاطِعِهِ ، وَكُنْفَى شَرِّ قَاطِعِهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً [تَتَوَالَى] إِلَيْهِ تَوَالِي الْعَذْبِ إِلَى مَتَابِعِهِ ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمَّا أَقَامَنَا لِحِمَايَةِ شَرِّهِ الشَّرِيفَ أَنْ يُسَبِّحَ حِمَاهُ ، أَوْ يَبَاحَ لِأَحَدٍ مِنْ حُكَّامِهِ أَنْ يَرْكَبَ هَوَاهُ ، أَوْ يَتَعَدَّى حُدُودَهُ فِي مَنَاطِعِهِ أَوْ رِضَاهُ ، أَوْ يُخْبِتَ فِي أَمْرِهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَدًّا عَلَى سِوَاهُ - [جَعَلْنَا] نُجْدًا عَلَى إِقَامَةِ مَنَارِهِ أَنْ يُطْمَسَ ؛ وَإِدَامَةِ مَبَارَاهُ أَنْ يُقْلَعَ مَنَارُهَا أَوْ يُخْسَ ؛ أَسْتَدَامَةً لِتَأْيِيسِ حُكَّامِهِ ، وَتَأْيِيدَ أَحْكَامِهِ ؛ لِأَنَّهُ تَحَابُّبُ أَنْوَاءِ يَمِّ الرِّبْعِ دُبُوعَهَا ، وَمِشْكَاتُ أَنْوَارِ بُكَارِ الصَّبَاحِ لَمُوعَهَا ، وَأَفَاقِيُ وَقَاقِيُ تُلْمِمْ بِهِ الْأُمَّةَ ضُرُوعَهَا ، وَشَجَرَةَ مَبَارَكَةِ إِسْلَامِيَّةٍ زَكَتْ أَصُولُهَا وَنَمَتْ فُرُوعُهَا ؛ شُكْرًا لِلَّهِ عَلَى مَا خَصَّنَا بِهِ : مِنْ تَحْصِينِ مَمَالِكِ الْإِسْلَامِ ، وَتَحْصِينِ مَسَالِكِ دَارِ السَّلَامِ ؛ لِنَمْتَعَ بِالْحَيَاةِ أَنْ تُسَامَ ، وَبِرُوقِ الْفَتَنِ أَنْ تُسَامَ ، وَوُجُوهَ الْفَتَوَى أَنْ تَمَرَّ إِلَّا بِسَامَةِ السَّامِ ؛ غِبْطَةً بِأَنَّ اللَّهَ جَعَلَ لِلْإِسْلَامِ مِنْهَا مَا هُوَ خَيْرٌ وَأَقْبَى ، وَأَشْرَفُ وَأَتْقَى ، وَأَعْظَمُ بَلَدٍ نَتَشَعَّبُ بِالْمَذَاهِبِ طُرُقًا ، وَتَوَدُّ الْحَجَرَةَ لَوْ وَقَفَتْ بِهَا عَلَى الشَّرِيعَةِ نَسَقًا . نَتَرَاخُمُ فِي مَرَكِزِهَا الْأَعْلَامِ ، وَنَتَضَافَرُ عَلَى الْجِهَادِ فِي اللَّهِ بِالْجِلْدِ وَالْجِدَالِ تَارَةً بِالسِّيفِ وَتَارَةً بِالْأَقْلَامِ . وَدِمَشْقُ حَرَمِهَا اللَّهُ هِيَ أُمُّ ذَلِكَ الْإِقْلَامِ ، وَمَدَنُهُ الَّذِي يَحْتَوِي عَلَى مَشَارِعِهَا حُنُوُ الْوَالِدَةِ عَلَى الْفَطِيمِ ، وَتَبَّتْ بِهَا فَوَائِدُ لَا تَأْمَسُ مَعَهَا الْغَوَاقِي حَتَّى تَأْمَسَ «جَانِبَ الْعِقْدِ النَّظِيمِ» ؛ وَهِيَ دَارُ الْعِلْمِ ، وَمَدَارُ الْحُكْمِ ، وَمَوْطِنُ عُلَمَاءِ نَتَعَاقِبُ

فيها كواكبهم ، وَتَتَأَوَّبُ صَحَائِهِمْ ؛ وَتَنَاهَى إِلَى حَكْمِهَا الْعَزِيزُ الشَّكْوَى ، وَتَتَفَصَّلُ بِحَكْمِ حَاكِمِهَا الدَّعْوَى ، وَيَتَسَدَّ جَنَاحُ طَلِيسَانِهِ عَلَى رَضْوَى ، وَيُحَقِّقُ الْبَرَقُ وَرَاءَ قَهْمِهِ وَلَا يَبْلُغُ غَايَتَهُ الْقُصْوَى ؛ وَيَطْوُلُ قَلَمُهُ عَلَى السِّيفِ الْمَشْهُرِ ، وَيُرْقِفُ بِحِجْلِهِ عَلَى الشَّرْعِ الْمُطَهَّرِ ؛ كَمْ حَلَّتْ فِي صُدُورِهِ صُدُورٌ ، وَكَمْ طَلَعَتْ مِنْهُمْ شُمُوسٌ وَبُدُورٌ ، وَكَمْ حُدَّتْ مِنْهُمْ أُمُورٌ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ؛ كَمْ آدَاءُ دَرَسَ بِهِمْ ذِكْرٌ ، وَكَمْ أَدَبٌ تَقَيَسَ شِكْرٌ ؛ كَمْ يَوْمٌ سَجَدَ رَمَحٌ ، وَجَدَّ لَمْلَمَةً مَمْلَاةٌ نَسَخَ ؛ كَمْ أَقْضِيَتْ لَهُمْ بِالْحَقِّ وَصَلَتْ ، وَقَضِيَتْ لِلْحَقِّ فَصَلَتْ ، وَمَهْنَةٌ مِنْ غَلَبِهِمُ الْآلِاقُ حَصَلَتْ ؛ كَمْ سَجَلٌ صَاحَبُ هَذَا الْمَنْصِبِ حَامِلٌ عَلَيْهِ الْمَنْشُورَ ، وَمَصْبَاحٌ دِيمِهِ الْحَافِلَةُ عَلَى مِزِ الدُّهُورِ ؛ بِشَرَفٍ مُدْرَسٍ عَلَيْهِ يُطْلَعُ مِنْ مَحْرَابِهِ ، وَتَسَاكُ حِلْمٌ يَدُوبُ بَدْرُهُ الْتِمَامُ خَلْفَ صَحَابِهِ ؛ وَتَجْلِسُ إِفَادِيَةٌ ، أَعْقَدُ عَلَيْهِ فِيهِ الْإِجْمَاعُ ، وَتَحْفِلُ سَادَةٌ ، كَانَ فِيهِمْ وَاسِطَةٌ عَقْدُ الْاجْتِمَاعِ .

[ولما] تزلزلت قَدَمُ مَنَابِرِهِ ، وَأَتَهَكَ حِجَابُ صَمَائِرِهِ ؛ وَأَسْرَتَهُ الشَّيْطَانُ بِكَيْدِهِ الْمَتِينِ ، وَأَضْلَهُ عَلَى عِلْمِهِ الْمُبِينِ ؛ وَسَبَقَ الْقَلَمُ الشَّرْعِيَّ ، بِمَا هُوَ كَائِنٌ ، وَمَضَى الْحَكْمُ الْقَطْعِيَّ ، بِمَا هُوَ مِنْ تَصَرُّفِهِ بَاطِنٌ - تَرَدَّدَ الْإِخْتِيَارُ الشَّرِيفُ فِيمَنْ يُحْلِي جِيدَهُ بِتَقْلِيدِهَا ، وَهُوَ هَلْ يَرَاغُهُ لَتَسْلِيمِ مَقَالِيدِهَا ؛ وَصَوَّبْنَا صَوَابَ النَّظَرِ فِيهَا مَضْرًا وَشَامًا ، وَأَسْتَشْرِفْنَا أَعْلَامًا ، وَتَبَيَّنَّا لِأَقْوَى مَا يَكُونُ [لَهَا] قَوَامًا ؛ وَابْتَكَرْنَا أَنَّهُ لَا يَصْلُحُ إِلَّا مَنْ كَانَ لِحُلَّةِ الْحَجِّ طَرَازًا ، وَزَيْدُ الْعَمَلِ إِلَيْهِ أَعْتَرَاءُ وَالْعِلْمِ بِهِ اعْتَرَاظًا ؛ إِلَى أَنْ أَجْمَعَ رَأْيُنَا الْعَالِي عَلَى مَنْ لَا يَنْبَغُ دُوقِمَ وَلَا قَتَمَ وَلَا قَلَمَ ، أَنَّهُ السَّابِقُ ؛ وَلَا يَحْدُ رَبُّ عَلَيْهِ وَلَا عَمَلٌ وَلَا عِلْمٌ ، أَنَّهُ الْبَاسِقُ . وَلَا يُسَكُّ أَنْ مِنْ فَوَائِدِهِ يُسْتَمَدُّ الْمَطَرُ وَمِنْ تَوْقِدِهِ ذَهَبُهُ يُقَدِّحُ زِنَادُ الْبَارِقِ ، وَلَا يَرْتَابُ الْبَحْرُ أَنْ فَوَائِدِهِ مَا يُطَوِّقُ الْعُنُقَ وَيُسْتَفُّ الْأُذُنَ وَيَسُجُّ الْمَفَارِقَ ؛ وَلَا يَمَارِي فِي فَضْلِهِ الَّذِي لَوْ طُلِبَ لَهُ مَثِيلٌ لَمْ يُصَبْ ، وَلَوْ أَدْعَى الْكَوْكَبُ السَّارَى أَنَّهُ لَهُ شَيْءٌ لَكَسَهُ النَّصَبُ ، أَوْ تَلَفَّتَتْ أَعْنَاقُ الْقَنَا إِلَى قَلَمِهِ لَا يَقْنَتُ أَنَهَا كُلُّ عَلَى الْقُضْبِ ؛

وهو الذى أفتى عُمره فى تحصيل العلم اشتغالا ، وجدّ فى الطلّب لصالح العمل وإن تَغَالَى ؛ وبقيَ فقيهَ قَوْمٍ ماجدٍ منهم مثله ماجد ، ولا جادَتْ يدُ كَرِيمٍ منهم تمتدّ بما هو جَائِدٌ ؛ ودرَجَ أَقْرَانُهُ إلى الله وخُلِّ دونهم شرّاً لا يردّ واردا ، وخُلفَ بعدهم سَنَهماً فى الكثانة وإحدا .

وكان المجلس العالى - أدام الله تأسيده - هو الذى تَخَطَّلَ به المناقب ، وتَجَسَّارَ فضائله العواقب ؛ وتُشْرِقُ بقلبه الفتاوى إشراق النّهار ، وتُغْلِقُ مِنافيه إغداق السُّحب بالأمطار ، وتُحْدِقُ به الطُّلبة إغداق الكِجامة بالتمر والبالآت بالأقمار ؛ وهو شافى عيِّ كُلِّ شافعيٍّ ، ودوّاءُ أَلَمِ كُلِّ أَلَميٍّ ؛ طالما جَنَّبَ جَنَبَهُ المضاجعُ سُهادا ، وقَطَعَ الليلَ ثم أَسْمَدَهُ لمدد فتاويه مِدَادا ؛ وجمعَ بين المنهين نظراً وهليدا ، والمنهيين من القولين قديماً وجديدا ؛ وسلكَ جميعَ الطرق إلى مذهب إمامه ، ومَلَكَ حَسَانَهَا فأسفرَ له [كل] وجه تغطّى من أوراق الكتب بلثامه ؛ وَأَنْفَتَحَتْ [بفهمه] للتصانيف أبواب شَفَلَتْ « القفال » أَقْفَالُهَا ، وَفَتَحَتْ له نَفَحاتُ ما « لَأَوْرَدِي » مِثْلُهَا ، وسَفَعَتْ دِيمَ غِرَارِيسِقِ « المزني » سِجْلُهَا ، ومنَعَتْ حِلَالُهَا « الغزالي » إِذَا تُسِجَّ عَلَى مِثْوَالِهِ سِرْبَالُهَا .

فرسم بالأمر الشريف - لا زال يَحْدُدُ مَلَأَيْسَ فَضْلِهِ ، ويَقْدُرُ كُلَّ عَمَلٍ لِصَالِحِ أَهْلِهِ - أن يَفُوضَ إليه قضاءَ قضاةِ الشافعية بدمشق المحروسة وأعمالها وجُنْدِهَا وضَوَائِحِهَا ، وسائرِ الممالك الشامية المُضَافَةِ إليها والمنسوبة لها والمحسوبة فيها ؛ يُوَلِّي ذلك ولايةً صحيحةً شرعيةً ؛ على عادة من قَدَّمَهُ وَقَاعِدَتِهِ المَرعِيَّةُ ؛ مع ما هو مضاف إلى من كان قبله من تدريس المدارس ، تَقْوِيضًا لَا يُنَافِسُهُ فِيهِ مُنَافِسٌ ، ولا يَحَالِسُهُ فِي دَرَسِهِ إِلَّا من ارتضى من العجوم أن يحالس ؛ وَأَدْنَاهُ أَنْ يَسْتَتِيبَ عَنْهُ من

لا يَحْجُلُ عند الله ولا عِنْدَنَا بِاسْتِنَائِهِ ، وَلَا يُدْخِلُهُ ظَنٌّ فِي خَلَاصِ نِعْمَتِهِ بِإِنَابَتِهِ إِلَى اللَّهِ فِي نِيَابَتِهِ ؛ عَلَى أَنَّهُ يَتَفَقَّدُ أَتْمَالَهُمْ ، وَيَتَصَفَّحُ أَحْوَالَهُمْ : فَمَنْ قَعَلَ إِلَيْهِ نِقْمَاتُهُ أَنَّهُ عَلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ أَقْرَهُ ، وَإِلَّا صَرَفَهُ ثُمَّ لَا يَكُونُ لَهُ إِلَى عَمَلِهِ كَرَهُ ؛ وَهُوَ الْقَائِمُ بِحُجَّةِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ وَحُجَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِ قَائِمُهُ ، وَعَلَيْهِ إِنْ قَصَرَ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - فِي أُمُورِهِ تَعُودُ الْأَلَامَةُ ؛ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّنَا كُنَّا نَعْرِفُكَ عِيَانًا ، وَأَنْتَ وَصِفْتَ لَنَا حَتَّى كَأَنَّا نَرَاكَ وَسَمِعْتَ بِمَا نَحْنُ عَلَيْهِ حَتَّى كَأَنَّا نَرَاكَ ؛ فَشَيْدَ مَنْ شَيْدَ لَكَ شُكْرُهُمْ أَرْكَانًا ، وَأَصْلَ ذِكْرُهُمْ لِمَعْجِدِكَ بِنِيَانًا ، وَجَعَلَ لَكَ قَلْبُهُمُ الْجَمِيلُ مِنَّا سُلْطَانًا ؛ وَأَقِمْ بِحُسْنِ سُلُوكِكَ عَلَى مَا قَالُوا فِيكَ بُرْهَانًا ؛ وَأَعْرِفْ لَهُمْ حَقَّ مَعْرُوفِهِمْ وَجَازِيَهُمْ عَنْ حُسْنِ ظَنِّهِمْ بِالْحَسَنَاتِ إِحْسَانًا .

وَنَحْنُ نُوصِيكَ بِوَصَايَا تَشْهَدُ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْكَ بِبِلَاغِهَا ، وَيَعْتَرِضُ مِنْهَا فِي الْخَلْقِ شَيْءٌ : فَأَيُّ الرِّجَالِ يَقْدِرُ عَلَى مَسَاعِيهَا ؛ فَإِنْ قُمْتَ بِهَا كَأَنَّ لَنَا وَلَكَ فِي الْأَجْرِ أَشْتَرَاكَ ، وَإِنْ أَضَعْتَ حَقُوقَهَا فَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّنَا أَنْخَرَجْنَا هَذِهِ الْأَمَانَةَ مِنْ عُنُقِنَا وَقَلَدْنَاكَ ، وَاللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ بَيْنَا وَبَيْنَكَ شُهُودٌ عَلَى مَا أُولَيْنَاكَ وَمَا وَلَيْنَاكَ ؛ فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ ، وَالْعَمَلِ بِمَا تَعْلَمُهُ سَوَاءٌ رَضِيَ فَلَانٌ أَوْ سَخِطَ فَلَانٌ ؛ وَالْإِتِّهَاءِ إِلَى مَا يَقْتَضِيهِ عُمُومُ الْمَصَالِحِ ، وَإِمْضَاءُ كُلِّ أَمْرٍ عَلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ ؛ وَإِقَامَةُ حُدُودِ اللَّهِ وَلَا تَتَعَدَّ حُدُودَهُ ، وَقَبْحُ الْبِدْعِ لِإِظْهَارِ الْحَقِّ لَا لِإِثَارَةِ فِتْنَةٍ مَقْصُودَةٍ ؛ فَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْكَرْتَهُ أَنْتَ وَأَمَثَلُكَ مِنَ الْأُئِمَّةِ الْعُلَمَاءِ عَلَى مَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ تَسْرُعِهِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ ، وَتَطَلُّعِهِ إِلَى مَطَالِبِ سَقَطِ دُونِهَا فِي مَهَاوِي الْمَهَالِكِ ؛ فَإِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَنْبَسِعَ فِي هَذَا النَّحْوِ سُبُهْلَةً ، أَوْ «تَتَه» عَنْ خُلُقِي وَتَأْتِي مِثْلَهُ» .

والصدقات الحكيمة على مادة المساكين، وجادة الشاكرين؛ ففرقتها على أهلها،
وآجمع لك الحسنات عند الله بتبليد شملها؛ ولا تبقى منها بقية تبقى معرضة لأكلها،
فلو أراد واقفوها - رحمهم الله - أنها تبقى مخزونة، لما سمحوا ببذلها؛ وبقية الأوقاف
شارف في أمورها، وشارك الواقفين - رحمهم الله - في أجورها؛ وخص الأسارى -
أحسن الله خلاصهم - بما يصل به إحسانك إليهم، ويضع عنهم إصرهم والأغلال
التي كانت عليهم .

والأيتام - جبرهم الله - : منهم الطفل والمراهق ومن لم يملك رشدَه، ومن
يحتاج أن يبلغ في جواز التصرف أشده؛ وكل هؤلاء فيهم من لا يعلم من يضره من
ينفعه، ولكن الله يعزفه في أعماله يرفعه؛ فاجتهد أن تكون فيهم آبا برا، وأن
تتخذ فيهم عند الله أجرا، وأن تعامل في بينك بمثل ما عاملتهم إذا أنقبت إلى الدار
الأخرى، وأحفظ أموالهم أن تنهبكم أجرة العمال، وترجع في قراضها إلى ما يحيف
برعوس الأموال؛ ومثل أعمالك [المعروضة] على الله في صفاتها المعروضة، وأحذر
من المعاملة لهم إلا بفائدة ظاهرة ورهن مقبوضه .

والجهات الدينية هي بضاعة حفظك، ووداعة لحظك، فلا تول كل جهة إلا من
هو جامع لشرطها، قائم بموازين قسطها .

والشهود هم شهداء الحق، وأمناء الخلق؛ وعلى شهادتهم تبقى الأحكام، فإياك
والبناء على غير أساس ثابت فإنه سريع الانهدام؛ ومنهم من يشهد في قيمة المنزل
ويتعين أن يكون من أهل البلد الأمثل، لأنه لا يعرف القيمة إلا من هو ذو سعة
ممول؛ ومنهم من أذن له في العقود فامنع منهم من تسهل بسبب من الأسباب، وما
تمهل إشفاقا لا خسلاط الأنسال والأنساب؛ يقبل بالتعريف ما يخلو من الموانع

الشرعية مَنْ كَانَ، وَلَا يُحْسِنُ فِي تَرْوِيحِهِ يُمْسِكُ إِمْسَاكًَ بِمَعْرُوفٍ وَلَا يُسْرَحُ تَسْرِيحًا
بِإِحْسَانٍ؛ وَهَؤُلَاءِ مَقَاسِلُهُمْ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى، وَالْبَلَاءُ بِهِمْ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُسْتَقْصَرَ
أَوْ يُسْتَقْصَى؛ فَاعْتَبِرْ أَحْوَالَهُمْ أَعْتَابًا جَلِيًّا، وَفَكِّرْ فِي آسْتِدْرَاكِ فَارِطِهِمْ فِكْرًا مَلِيًّا؛
وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالدِّينِ مَا يُوضِّحُ لَهُ الْمُشْتَبَهَاتِ، فَإِيَّاكَ وَتَرْكَهُ قُرْبٌ مُعْتَقَدٌ أَنَّهُ
يَطَّأُ وَطَأً حَلَالًا وَقَدْ أَوْقَعَهُ هَذَا وَمِثْلُهُ فِي وَطْءِ الشُّبُهَاتِ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْمَدُ إِلَى
التَّحْلِيلِ، وَيَرْتَكِبُ مِنْهُ عَثُورًا غَيْرَ قَلِيلٍ؛ وَهُوَ بَيْنَهُ نِكَاحُ الْمُتْعَةِ الَّذِي كَانَ آخِرَ
الْأُمَرَاءِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّهْيُ عَنْهُ، وَقَامَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ
أَبْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُحْذِرًا مِنْهُ؛ فَاحْشِمْ هَذِهِ الْمَسَاعِدَ الرَّدِيَّةَ الَّتِي تُؤْلِمُ عُضْوَا
فَيْسَرِي إِلَى سَائِرِ الْأَعْضَاءِ أَلْمَهَا، وَيَتَّقِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الدَّرَارِيِّ الْمَوْلُودَةِ مِنْ هَذِهِ الْأَنْكَحَةِ
الْقَاسِدَةِ تَأْلُمُهَا.

وَالرُّسُلُ وَالْوُكَلَاءُ يَجْلِسُ الْحُكْمَ الْعَزِيزُ وَمَنْ يَأْمُرُكَ فِي الصَّدَقَاتِ، وَمَا نَزَلَ فِي أُمُورٍ
مَا يَرِيدُونَ بِهَا تَهْلِيلَ حُكْمِكَ بَلْ مَا يَقْضُونَ بِهِ الْأَوْقَاتِ؛ فَلَا تَدْعُ مَنْ تَرِيدُ مِنْهُمْ
إِلَّا كُلَّ مَشْغُورٍ الطَّرِيقِ، مَشْهُورٍ الْقَصَةِ بَيْنَ الْخَصُومِ بِطَلَبِ التَّوْفِيقِ.

وَالْمَكَائِبُ هِيَ سِهَامُكَ النَّافِذَةُ، وَأَحْكَامُكَ الْمُؤَاخَذَةُ؛ فَسَدِّدْ مَرَامِيهَا، وَلَا
تُرْدِفْهَا مَا عَرَضَ عَلَيْكَ مِنَ الْأَحْكَامِ حَتَّى لَا يَسْبِغَ الدُّخُولُ فِيهَا؛ وَالتَّحَاضُرُ هِيَ عِلُّ
التَّقْوَى، فَاجْتَهِدْ فِيهَا أَجْتِهَادًا لَا تَنْدُرُ مَعَهُ وَلَا تُشَقِّقُ.

وَأَمَّا قَضَايَا الْمُتَطَاكِبِينَ إِلَيْكَ فِي شِكَاوِيهِمْ، وَالْمُخَاطَبِينَ فِي دَعَاوِيهِمْ، فَانْتَهِمْ
خَيْرًا، وَلَمْ نَأْقِدْ بَصِيرًا؛ فَإِذَا أَتَوَكَ لَتَكْشِفَ بِحُكْمِهِمْ لَأَوَاءَهُمْ، فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ
وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ؛ وَقَدْ فَتَّهَكَ اللَّهُ فِي دِينِهِ، وَأَوْرَدَكَ مِنْ مَوَارِدِ يَقِينِهِ، مَا حَاطَهُ لَكَ

نُورًا، وَجَلَّاهُ لَكَ سُفُورًا ؛ وَأَقَامَهُ عَلَيْكَ سُورًا، وَعَلَمَكَ مَالَم تَكُنْ تَعْلَمُ مِنْهُ أُمُورًا،
فَإِنْ أَشْكَلَكَ عَلَيْكَ أَمْرٌ فَرُدَّهُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِجْمَاعِ
أَصْحَابِهِ فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَعِنْدَكَ مِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَجْعَلُ الْأَمْرَ بَيْنَهُمْ شُورَى ؛ وَلِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كِتَابٌ كَتَبَهُ إِلَى بَعْضِ الْقَضَاةِ، فَأَعْمَلَ بِمَقْتَضَاهُ،
وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَرْتَضَاكَ لَخَلْقِهِ فَأَعْمَلْ عَلَى رِضَاهُ .

وَالْأئِمَّةُ الْعُلَمَاءُ هُمْ إِخْوَانُكَ فِي الدِّينِ ، وَأَعْوَانُكَ عَلَى رَدِّعِ الْمُبْتَدِعِينَ، وَلِسَانُكَ
فِي الْحَقِّ وَالْجَنَاحُ إِذَا جَلَسُوا ذَاتَ الشِّمَالِ وَذَاتَ الْيَمِينِ؛ فَتَرْتَمِ مَنْزِلَهُمُ الَّتِي أَحْلَاهُمْ
اللَّهُ فِي شُرَفَاتِهَا ، وَبَوَاهُمْ رَفِيعَ غُرْفَاتِهَا ، وَتَأَلَّفَ خَوَاطِرَهُمْ فَإِنَّكَ تَنْظُرُ إِلَى كَثِيرٍ
مِنَ الْأُمُورِ فِي صَفَاهِ مُصَافَاتِهَا .

وَمَنْ نُسِبَ إِلَى خِرْقَةِ الْفَقْرِ وَأَهْلِ الصَّلَاحِ هُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الْمُقَرَّبُونَ ، وَأَحِبَّاءُ
الْأَقْرَبُونَ ، فَعَظُمَ حَيَاتُهُمْ، وَجَانِبَ عِبَادَتِهِمْ، فَمَا مِنْهُمْ وَإِنْ أَخْتَلَفَتْ أَحْوَالُهُمْ إِلَّا مِنْ
هُوَ عَلَى هُدًى مُبِينٍ، وَأَحْرِصْ أَنْ تَكُونَ لَهُمْ جِبَا يَمْلَأُ قُلُوبَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ يَنْظُرُ إِلَى قَوْمٍ
مِنْ قُلُوبِ قَوْمٍ آخَرِينَ .

وَأَنْتَصِبْ لِلدَّرُوسِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ بِهَا عَلَى وَافِدِ الطَّلِبَةِ فَإِنَّ الْكِرَامَ لَا يَمُحِقُهُ الْإِقْتِمَاسُ،
وَالْمُصْبَاحَ لَا يُفْنِي مُقَلَّهُ كَثْرَةُ الْإِقْتِمَاسِ، وَالنَّهَامَ لَا يَنْقُصُهُ تَوَالِي الْمَطَرِ وَلَا يَزِيدُهُ طُولُ
الْإِقْتِمَاسِ، وَالْبَحْرَ لَا يَتَغَيَّرُ عَنْ حَالِهِ وَهُوَ لَا يَجْلُو عَنْ الْوَرَادِ فِي عَدَدِ الْأَنْفَاسِ .

وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَإِنَّمَا هَذِهِ بُدَّةٌ جَامِعَةٌ ، وَبَارِقَةٌ لِأَمِعَةٍ ؛ وَمَنْكَ يُسْتَفَادُ بِسَاطِ
الْقَوْلِ، وَأَنْبَسَاطِ الطُّوْلِ؛ وَلِهَذَا يُكْتَفَى بِمَا فِيكَ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَكْفِيكَ، وَيُجِصِي
حِسَابَ أَعْمَالِكَ الصَّالِحَةِ لِيُوفِكَ؛ حَتَّى تَجِدَ فَلَا يَتَخَلَّفُ بِكَ السَّيْرُ، وَتَسْتَعِدَّ لِيُخْتَمَ لَكَ
بِنِخَامَةِ الْخَيْرِ ، وَالْإِعْتِدَادُ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ .

(١) فِي الْأَصْلِ «حَلَا يَمْلَأُ قُلُوبَهُمْ» فَتَامِلْ .



قلت : وهذه نسخة توقيع بقضاء ، أنشأه بَشَّاقُ للقاضي «شرف الدين مسعود»
وهي :

الحمد لله الذي شَيَّدَ أَحْكَامَ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ وَزَادَ حُكْمَهُ فِي أَيَّامِنَا شَرَفًا ، وَرَفَعَ
مَنَارَ الْعِلْمِ عَلَى كُلِّ مَنَارٍ وَبَوَّأَ أَهْلَهُ مِنْ جَنَّاتِ إِحْسَانِنَا غُرَفًا ؛ وَأَبَاحَ دَمَ مَنْ أَلْحَدَ فِيهِ
عِنَادًا أَوْ وَجَهَ إِلَيْهِ طَعْنًا ، وَأَوْجَبَ الْإِقْيَادَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ
الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ ؛ وَاهْتَمَّ
الصَّوَابَ فِي اخْتِيَارِ مَنْ لَمْ يَزَلْ لَهُمُ الرِّبَّةُ مُعَدًّا وَمِنْ رَجَالِنَا مُعْتَدُونَ ، وَصَرَفَ وَجْهَهُ
إِقْبَالًا إِلَى مَنْ أَرْضَيْنَاهُ لِلْمُسْلِمِينَ حَاكِمًا فَاصْبَحَ بِنَظَرِنَا مَسْعُودًا .

نَحْمَدُهُ مُحَمَّدٌ مَنْ آتَنَى بِالْقِيَامِ بِشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَتَعْظِيمِ شَعَائِرِهِ ، وَنَصَحَ الرِّعْيَةَ
فِيمَنْ وَلَّاهُ عَلَيْهِمْ وَأَعْطَى مُنِصَّبَ الشَّرْعِ حَقَّهُ بِتَقْدِيمِ أَكْبَارِهِ . وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يُقْضَى لِصَاحِبِهَا بِالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ ، وَيُسَجَّلُ لِقَائِهَا بِالثَّبُوتِ
فِي دِيَارِنِ الْأَبْرَارِ ؛ وَأَنْ عَمِدَا عِبْدَهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي شَرَطَ الْإِيمَانَ بِالرِّضَا بِحُكْمِهِ
وَأَوْجَبَ طَاعَتَهُ أَمْرًا وَنَهْيًا وَاسْتِجَابَةً وَتَحْكِيمًا ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
حَتَّى يُحْكَمَوكَ فِيمَا تَحْجَرُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجْعَلُوا فِي أَنْفُسِهِمْ سِرًّا مِمَّا قُضِيَتْ وَاسْتَأْمَرُوا
تَسْلِيمًا ﴾ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَوَجَّهَهُ الَّذِينَ نَحْنُ بِسَيْرِهِمْ مُهْتَدُونَ ، وَبِأَنَارِهِمْ
مُقْتَدُونَ ، وَعَلَى آلِهِ وَوَجَّهَهُ الْفَرَّ الْكَرَامَ الَّذِينَ قَضَوْا بِالْحَقِّ وَبِهِ كَانُوا يَعْدِلُونَ ؛ صَلَاةُ
لَا يَخْتَلَفُ فِي فَضْلِهَا أَتَّانَ ، وَلَا يَتَنَازَعُ فِي قَبُولِهَا خَصَّانَ ؛ وَسَلَامٌ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فلما كانت مرتبة الشرع الشريف هي أعلى المراتب ، ومنصب حكامه
في الوري أرفع المناصب ؛ إليه تنتهي المخاصمات فيفصلها ثم لا تنوّه ، ونعكم فيه على

الخصم فُذعن لِحُكْمِهِ ثم لَا يَسْنُوهُ ؛ بل يَتَفَرَّقُ الْخَصَمَانِ وَكُلٌّ مِنْهُمَا بِمَا قُضِيَ لَهُ
وَعَلَيْهِ رَاضٍ ، وَيَقُولُ الْمُتَمَرِّدُ الْجَائِرُ لِحَاكِمِهِ : قَدْ رَضِيتُ بِحُكْمِكَ فَاقْضِ فِي مَا أَنْتَ
قَاضٍ ؛ وَفَاهِيكَ بُرْتَبَةً كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْمُتَصَدِّقُ لِلْقِيَامِ بِوَاجِبِهَا ،
وَالْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - مُحَافِظِينَ عَلَى آدَاءِ رَوَايَتِهَا ؛ ثُمَّ اخْتَصَّ
بِهَا الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الْخَلِيقَةِ ، وَأَسْتَأْثَرُوا بِهَا دُونَ غَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ
النَّاسِ فَهَمُ أَهْلُهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ ؛ إِذْ لَا يُؤْهَلُ لِهَذِهِ الرِّتَبَةِ إِلَّا مَنْ آدَتَقَى إِلَى دَرَجَاتِ
الِكَمَالِ ، وَأَتَصَفَّ بِأَحْسَنِ الْأَوْصَافِ وَأَخَوَى عَلَى أَنْتَمِيسِ الْخِصَالِ ؛ وَتَضَلَّعَ مِنَ الْعِلْمِ
الشَّرِيفِ بِمَا يُرْوَاهُ ، وَفَاقَ فِي الْعَقْلِ وَالْقَلِّ بِمَا يَحْتَجُّهُ وَيُرْوَاهُ .

وَمَا كَانَ الْمَجْلِسُ الْفُلَانِي : هُوَ تَيْنَ هَذِهِ الْقِلَادَةِ وَوَاسِطَةِ حَقْدِهَا ؛ وَقُطْبِ
دَائِرَتِهَا وَمِلَاكِ حَلَّتِهَا وَعَقْدِهَا ؛ إِذْ هُوَ «شُرْحُ» الزَّمَانِ ذِكْرًا ، وَ«أَبُو حَامِدٍ» سِيرَةً
وَ«أَبُو الطَّيِّبِ» تَشْرَاهُ ؛ لِأَجَرَمَ أَلْبَسَتْهُ أَيَّامُنَا الزَّاهِرَةُ مِنَ الْحُكْمِ قَوْبًا جَدِيدًا ، وَأَفَاضَ
عَلَيْهِ إِنْعَامُنَا نَحْلَةً تَنْقِيهَا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - مَزِيدًا .

فَلِذَلِكَ رَسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لِأَزَالَتِ الشَّرْعَةَ الْمُطَهَّرَةَ بِمَنَاصِرَتِهِ فِي أَعَزِّ صَوَانٍ ،
وَحُكْمَاهُمَا بِمَعَاصِدَتِهِ فِي أَعْلَى دَرَجَةِ وَأَرْفَعِ مَكَانٍ - أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوُضُفَةَ مَبَاشَرَةً مِثْلَهُ لِمِثْلِهَا ، وَلْيَعْمَلْ بِمَا يَعْلَمُهُ مِنْ أَحْكَامِهَا فَهُوَ آهِنٌ
بِجَنَّتِهَا وَالْخَلِيرُ بِمَسَالِكِ وَعَرَهَا وَسَهْلَهَا ؛ فَهُوَ الْحَاكِمُ الَّذِي لَا يُسَاوِي ، وَالْإِمَامُ الَّذِي
يَقْتَدِي بِهِ فِي الْأَحْكَامِ وَالْمَتَاوَى ؛ فَعَلَيْهِ بِالثَّانِي فِي الْأَحْكَامِ ، وَالتَّثْبِيتِ فِيمَا يَصْدُرُ عَنْهُ
مِنَ التَّنْظِصِ وَالْإِبْرَامِ ؛ وَلْيَنْظُرْ فِي الْأَمْرِ قَبْلَ الْحُكْمِ الْمَرَّةَ ثُمَّ الْآخِرَى ، وَيُكْرِّرِ النَّظَرَ
فِي ذَلِكَ وَلَوْ أَقَامَ شَهْرًا ؛ وَيُرَاجِعْ أَهْلَ الْعِلْمِ فِيمَا وَقَفَ عَلَيْهِ وَيُسَاوِرُهُمْ فَمَا تَنَدَّمُ مِنْ
أَسْتِشَارٍ ، وَيُقَدِّمُ أَسْتِخَارَةَ اللَّهِ تَعَالَى فِي سَائِرِ أُمُورِهِ فَمَا خَابَ مِنْ أَسْتِخَارٍ ؛ وَلْيَدُرْ

مع الحق كيف دار ، ويتبع الصواب أتى توجهه ويقتنى أثره حيث سار ؛ وإذا ظهر له الحق قضى به ولو على آئنه وأبيه ، وأعز أصدقائه وأخص ذويه ؛ غير متفرق في فصل القضاء بين القوى والضعيف ، والوضيع والشريف ؛ ولا يميز في تنفيذ الحكم بين الغني والفقير ، والسوقة والأمير ؛ وليس بين الخصوم حتى في تقسيم النظر إليهم ، كما في موقف الحكم وبما جاء النحوى ورد الأجوبة فيما لم عليهم ؛ وليس تخلف من الثواب من حسنت لديه سيرته ، وحملت عنده طريقتة ؛ ويوصى كلاً منهم بما نوصيه به ويألف في تأكيد وصيته ، ويستحضر السر في قوله صلى الله عليه وسلم : « أَلَا كَلَّمْتُكُمْ رَاجٍ وَكَلِّمَ مَشْغُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » . وليؤمن النظر في أمر الشهود الذين ترتب على شهادتهم أمور الدنيا والفروج والأموال ، ويتفقد أمرهم في كل وقت ولا يغفل عنهم في حال من الأحوال ؛ ويحملهم من الطرائق على أحسن وجهها ، وأحقهم بإيمان النظر شهود القيمة والعار ، الذين يقطع بقولهم في أملاك الأيتام والأوقاف مما تفر عنه القلوب وتنبو عنه الضمائر .

والوكلاء والمتصرفون فهم قوم فصل عنهم الشرباعوه ، وأستحفظوا الود فلم يرفعوا حقه وأضاعوه ؛ فهم آفة أبواب القضاة بلا نزاع ، كيف وهم الضباع الضارية والذئاب الجياع . وما تحت نظره من أوقاف المدارس والأمرى والعلاقات ، وغيرها مما يقصد به واقفوه وجه البر وسبيل القربات ؛ يحسن النظر في وجوه مصارفها ، مع حفظ أحوالها الذي هو أغيا مراد واقفها .

وأهل العلم أبناء جنسه الذين فيهم نساء ومنهم نعيم ، وجنسه الذين يقصدونه بالتقوى فيما قضى وحكم ؛ فليؤقر لهم الإحسان ، ويصنع معهم من المعروف ما سبق ذكره على ممر الأزمان ؛ ومثله لا يحتاج إلى كثرة الوصايا ، وثوقاً بما عنده من العلم

بالأحكام والمعْرِفة بالقضايا ؛ لَكِنْ عليه بتقوى الله ومراقبته يكن له مما يَتَبَوَّه
ظهيراً ، وَيَسْتَرْشده في سائر أموره يحصل له من لَدُنْه هادياً ونَصيراً ؛ والله تعالى
يبلغ واثق أَمَلِهِ من كَرَمِنَا مَرَامَا ، وَيُوطِّئُ له المِهَادَ ببلدٍ حَسُنَتْ مستَقَرُّا ومَقَامَا .
إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة المالكية بالشام ، من إِنْشَاء الشيخ شهاب الدين
محمود الحلبي تَعَمَّده الله برحمته ، وهي :

الحمد لله جاعل المَذَاهِبِ الشَّرِيعَةِ في أيماننا الشريفة زَاهِيَةً بَارَكْنِهَا الأَرْبَعَةُ ،
مستقرَّةً على النِّظَامِ الذي غَدَتْ به قواعدُ الحُجَّةِ محكمةٌ ومَوَاقِعُ الرحمة مُتَّسِعَةٌ ، فإذا خلا
رُكْنٌ من مُبَاشَرَةِ أَقْنَانَا من تكون القلوب على أَوَّلَوِيَّتِهِ مُجْتَمِعَةٍ ، وَأَنْتَقِينَا له من الأَتْقِيَاءِ
من تَقْدُوبِهِ الأئمة حيث كانت مُتَّعِمَةً ، وَأَسْتَدْعِينَا إليه من تَقْدُوبِ الأَدْعِيَةِ الصالحة
لنا بتفويض الحكم إليه مُرْتَفِعَةٍ ؛ الَّذِي خَصَّ مذهبَ « إمام دار الهجرة »
بكل إمام هَجَرَ في التَّبَحُّرِ فيه دواعي السُّكُونِ وبَوَاعِثِ الدَّعَاةِ ، وَجَلَّ مَنْصِبُ حُكْمِهِ
بِمن كُلِّ بعلوم الدين نَفَرُهُ فإذا حكم غَدَتْ الأَقْضِيَةُ لحكمه مُنْفَذَةً وإذا قَضَى أَصْحَحَتِ
الأحكام لأَقْضِيَتِهِ مَتَّبِعَةً .

نَحْمَدُهُ على نِعَمِهِ التي جَعَلَتْ مُهِمَّ الشَّرِيعِ لَدَيْنَا كَالْأَسْفَهَامِ الذي له
صدر الكلام ، وَبِمَتَابَةِ النِّيَّةِ الْمُقَدَّمَةِ حَتَّى [على] تكبيرة الإحرام ؛ وَنَشْهَدُ أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له شهادة أَثَبَّتَ الإخلاصَ حُكْمَهَا ، وَأَحْكَمَ الإيمانَ عِلْمَهَا ،
وَأَبْقَى اليقينَ على صَفَحَاتِ الوجودِ والوجودِ وَسَمَّيَا المشرقَ وَأَسَمَّيَا ؛ وَنَشْهَدُ أن محمداً
عَبْدُهُ ورسوله الذي أَخَذَ الله ميثاقَ النَّبِيِّينَ في الإقرار بِقُضْلِهِ ، وَأَرْسَلَهُ ﴿ بِالْهُدَى ﴾

وَبَيْنَ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ)؛ وَخَصَّصَهُ بِالْكَتَابِ الَّذِي أَنْحَرَسَ الْأَئِمَّةُ عَنْ مُجَارَاتِهِ
فَلَوْ (أَجْمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِثَلْ هَذَا الْقُرْآنَ لَا يَأْتُونَ بِثَلْهِ)؛ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ تَسَكَّوْا بِسُنَّتِهِ وَسُنَّتِهِ، وَأَوْحَوْا شَرْعَهُ الشَّرِيفَ لِمَنْ تَلَقَّاهُ
بِعِلْمِهِ مِنْ أُمَّةٍ أَمَنَتْهُ؛ صَلَاةٌ لَا تَزَالُ بِقَاعُ الْإِيمَانِ لِأَحْكَامِهَا مُنْبِتُهُ، وَأَنْوَاءُ الْإِيقَانِ
لِأَوَامِهَا مُقَلَّتُهُ^(١)؛ وَسَلَمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

وبعد ، فإنه لما كانت الأحكام الشرعية تتوقف على ملاحظة قضاء قضائياتها
في غالب الأمور، وتستند إلى مراجعة أصول حكمائها في أكثر مصالح الجمهور،
لم يكن بد من مراعاة أصولها التي إنما تنوب الفروع عنها، وتدبر أحوال أحكام
حكمائها التي تنشأ قضية الثواب منها؛ ولذلك لما أصبح منصب قضاء القضاة على
مذهب الإمام «مالك بن أنس» رضى الله عنه بالشام المحروس لضعف مباشره
المتبعة ، في حكم الحالى ، وتمطل بعجزه المشتد ، مما ألف به قديما حال حكمه
الحالى ؛ وتماذى ذلك إلى أن ترقى الناس منه إلى درجة اليقين ؛ وتنتهى الحكم فيه
إلى أن يعين أن يرتاد من يتبعن لمثله من الأئمة النقيين ؛ لئلا يخلو هذا المذهب من
قاضى قضاء يُقيم مآره ، ويُديم أنواره ، ويرفع شعاره ، ويُحيى مآثر إمامه وآثاره .
ويؤمن كمال أفته أن يعاود سراره ؛ وكان المجلس السامى ، القاضوى ، الفخرى .
هو الذى لا يعدوه الارتباد ، ولا يقف دونه الانتفاء والانتقاد ، ولا تتجاوز الإصابة
في الاجتهاد : لما عليه من علم جعله مخطوبا للنائب ، وعمل تركه مظلوما للرايب
التي لا تُدعِن لكل طالب ؛ وثق أعاده مرتديا لكل أفي لا يصلح له كل شارق ،
وورج فتح له أبواب التائق بالاستدعاء وإن لم تُفتح لكل طارق ؛ وقد هجر الكرا
في تحصيل مذهب «إمام دار الهجرة» إلى أن وصل إلى ما وصل ، وأثقف مدته

(١) الأوام شدة الطش ومقلته نهلكه .

عُمره في آقتناء فوائده إلى أن حصل من الثروة بها على ما حصل ؛ فسارت فتاويه في الآفاق ، وامت برركات فوائده التي ألتفها على الطلبة فزكت على الإيضاح - أقتضت آراؤنا الشريفة أن نبقى نغر هذا المنصب الجليل بفخريه ، وأن نخص هذا المذهب النبيل بذخره ؛ وأن نحمل جيته بن قلنا إلى وشام الوسام ما كان من حسن شتبي العلم مختصا بفخريه .

فرسم بالأمر الشريف - لا زال لأحكام الشرع مقيما ، وللنظر الشريف في عموم مصالح الإسلام وخصوصها مديما ؛ أن يفوض إليه لما تقدم من تعينه لذلك ، وتبين من أنه لحكم الأولوية بهذه الرتبة في مذهب الإمام مالك مالك .

فليل هذه الوظيفة حاكما بما أراه الله من مذهبه ، مرأيا في مباشرتها حق الله في الحكم بين عباده وحق منصبه ؛ مجتهدا فيما تبرأ به الذمة من الوقوف مع حكم الله في حالتي رضاه وخصه ، وأقفا في صفة القضاء على ما نص فيه من شروطه وأوضاع من قواعده وشرح من أدبه ؛ ثمضيا حقوق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يقتضيه رأيي وإمامه ، متوجا الحكم بنصوصه المجمع عليها من أئمة مذهبه في تقض كل أمر وإبرامه ؛ جاريا في ذلك على قواعد أحكام هذا المذهب الذي كان مشرقا في ذلك الأفق بجماله وزينه ، وأقفا في ذلك بجمعه مع رضا الله تعالى فإنه في كل ما يأتي ويدبر بعينه ؛ والله تعالى يستدده في قوله وعمله ، ويلتغه من رضاه نهاية سوله ونهاية أمله ؛ بمنه وكرمه ! إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاء الخنابلة ، كتبت بها للقاضي علاء الدين «منجز التنوخي» وهي :

الحمد لله الذى رفع بَعْلَاءَ الدِّينِ قَضَاءَ قَضَائِهِ ، وَأَوْضَحَ الْمُهْدَى فِي الْقِيَامِ فِي تَوَلِيهِمْ بِمَفْتَرِضَاتِهِ ، وَأَعْلَى مَنَارِ الشَّرْعِ بِمَا أَوْقَعَهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَحْكَامِهِ وَوَقَّعَهُمْ لَهُ مِنْ مَرْضَاتِهِ .

نَحْمَدُهُ حَمْدًا نَسْتَعِيدُ مِنْ بَرَكَاتِهِ ، وَنَسْتَعِيدُ بِهِ أَنْ نَضِلَّ فِي ضَوْءِ مَشْكَاتِهِ ، وَنَسْتَعِينُ عَلَيْهِ رَبِّ كُلِّ حُكْمٍ مِمَّنَّا قَلْبُهُ بِسُكُونِهِ وَقَلْبُهُ بِمَجْرَكَاتِهِ ، وَنُثَبِّتُ مِنْ جَبَلِ مَحَضَرِهِ لَدِينَنَا مَا يَرْفَعُ مَسَّ شِكَايَتِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يَسْتَوْدِعُ إِخْلَاصَهَا فِي قُلُوبِ تَقَاتِهِ ، وَتُقَوِّضُ أَحْكَامُهَا إِلَى تَقَاتِهِ ، وَيُجْنِي سَرْحَهَا مِنْ أَبْطَالِ الْجَلَادِ وَالْجِدَالِ بِكُلِّ مُشْتَاتٍ إِلَى مُلَاقَاتِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَفْضَلُ مِنْ حُكْمٍ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ آيَاتِهِ ، وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ بَرَاءُهُ وَرَأْيَاتِهِ ، وَشَرَعَ مِنَ الدِّينِ مَا يُجْنِي التَّمَسُّكَ بِهِ مِنْ غَوَايَاتِهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ أَقَامَ شَرْعَهُ مِنْهُمْ بِكُنَايَتِهِ ، وَجَعَلَ حُكْمَهُمْ دَائِمَ التَّفْوِذِ أَبَدًا بِأَقْلَامِ عِلْمَائِهِ وَنُصُوفِ حُمَاتِهِ ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدَ ، فَتَنْصِبُ الْحُكْمَ الَّذِي بِهِ تُفَصِّلُ الْأُمُورَ ، وَتُفَرِّجُ لَهُ الصُّلُوبَ ؛ وَتَسْتَنْدُ أَقْلَامَ حُكْمِهِ سِهَامًا ، وَتُقَبِّضُ غَمَامًا ؛ وَتَعْلَمُ مِنَ الْأَسْوَدِ زَيْهَرًا ، وَيَطُولُ السَّيْفُ صَبِيلًا وَالرَّيْحُ صَرِيرًا ؛ وَتَنْصِبُ بَيْنَ يَدَيْ حُكَايَةِ الْأَقْدَامِ ، وَتَنْصِفُ عَلَى أَحْكَامِهِ الْخِصَامَ^(١) ؛ وَتُسَكِّسُ الرُّؤُوسَ لِهَيْبَتِهِ إِطْرَاقًا ، وَتُنْخَضُ الْمُقْلُ فَسَاتِدُ رُجُفُونَا وَلَا تُنْطَابُ أَحْدَاقًا ؛ وَيَحْرِي بِتَغْيِيرِهِ قَلَمُ الْقَضَاءِ ، وَيُجَارِي مُرْهَفُهُ الْبُرُوقَ فُتُقَرُّ لَهُ بِالْمَضَاءِ ؛ وَقَدْ شَيْدَ اللَّهُ مَبَانِيَهُ فِي مَمَالِكِ الشَّرِيفَةِ مِصْرًا وَشَامًا عَلَى أَرْبَعَةِ أَرْكَانٍ ، وَجَمَعَ فِي قَضَائِهِ الْأُتُمَّةَ الْأَرْبَعَةَ لِتَكُلَّ بِهِمْ فُضُولُ الزَّمَانِ ؛ وَمَذَهَبُ الْإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ «أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ بِالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْبَلَرُازُ الْمَذْهَبُ ، وَطَرِيفَةُ

(١) الخِصَامُ جَمْعُ خَصَمٍ كَبُرَ وَجَارَ . انظر المصباح .

السلف الصالح في كُلِّ مذهب؛ وقد تجنَّب من سلف من علمائه التَّأويلَ في كثير،
ووقف مع الكتاب والسنة وكلِّ منهما هو المصباح المنير.

وكانت دِمَشقُ المحروسة هي مدار قُطُوبهم، ومطلع ثُبُوسِهِمْ وَنُجُومِهِمْ وشُهُبِهِمْ؛
وأهلها كثيراً ما يحتاجون إلى حاكم هذا المذهب في غالب عقد كل بيع وإيجار،
ومُزارعةٍ في غِلَالٍ ومُساقاةٍ في ثَمَارٍ، ومُصالحَةٍ في جَوَائِحِ سَمَآوِيَّةٍ لا ضَرَر فيها
ولا ضَرَار، وتزويج كُلِّ مملوكٍ أَذِنَ لَهُ سَيِّدُهُ بِخُزَّةٍ كَرِيمَةٍ، واشترائط في عَقْدٍ بأن
تكون الأَمْرَاءُ في بلدِها مُقيمين؛ وفَسَخَ إنْ غاب زوجها ولم يترك لها نفقةً ولا
أطلقَ سَرَاحَهَا، وبيعَ أوقافٍ دائِرةً لا يحُدُّ أربابُ الوقفِ نفَقاً بها ولا يستطيعون
إِصْلَاحَهَا.

فلما استأثر الله بمن كان قد تكجَّلَ هذا المنصبُ الشريفُ بشرفه، وتَجَلَّ منه
بِيقِيَّةِ سَلَفِهِ؛ حصلَ الفِكرُ الشريفُ فيمن نقله هذه الأمانةَ في عُنُقِهِ، ونهى هذا
المنصبَ بطُلُوعِ هلاله في أَفْقِهِ؛ إلى أن ترجحَ في آرائنا العاليةِ المُرَجَّحُ المُرَجَّحُ، وتعيَّنَ
واحدًا لما آتَيْنِي الناسُ بالقضاءِ كان المنجى ابنُ المنجى؛ طالبا تطَوَّزَتْ لَهُ الفَتَاوَى
بالأقلامِ، وآلَفَتْ بِهِ حَلَقَةُ إِمَامٍ، وخافَ في طَلَبِ الْعِلْمِ من مُضَايَقَةِ اللَّيَالِي لما نامَ
- أقتضى حُسْنَ الرَّأْيِ الشريفُ أن يفوضَ إليه قضاءَ القضاةِ بالشامِ المحروسةِ على
منهَبِ الإِمَامِ الرِّبَاطِيِّ «أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ» الشَّيْبَانِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَلْيَحْكَمْ فِي ذَلِكَ بِمَا أَرَادَ اللَّهُ مِنْ عَلَيْهِ، وَأَتَاهُ مِنْ حُجَّتِهِ؛ وَبَيَّنَّتْ لَهُ مِنْ سُبُلِ
الْهُدَى؛ وَعَيَّنَتْ لِبَصِيرَتِهِ مِنْ سُنَنِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي مَنْ حَادَّ عَنْهَا فَقَدْ جَارَ
وَأَعْتَدَى؛ وَلْيَنْظُرْ فِي أُمُورِ مَذْهَبِهِ وَيَعْمَلْ بِكُلِّ مَا صَحَّ تَقْلُهُ عَنْ إِمَامِهِ، وَأَصْحَابِهِ
مَنْ كَانَ مِنْهُمْ فِي زَمَانِهِ وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْ أَيَّامِهِ؛ وَقَدْ كَانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - إِمَامًا حَقًّا

نَهَضَ وَقَدْ قَعَدَ النَّاسُ تِلْكَ الْمُدَّةَ ، وَقَامَ تَوْبَةً الْحِنَّةَ وَقَامَ «سَيِّدُ تَيْمٍ» ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
 تَوْبَةَ الرَّذَّةِ ، وَلَمْ تَهَبْ بِهِ زُعَايُزُ «الْمَرْيَسِيِّ» وَقَدْ هَبَّتْ مَرْيَسَا ، وَلَا «أَبْنُ أَبِي دُوَادٍ»
 وَقَدْ جَمَعَ كُلُّ ذَوْدٍ وَمَنَّا لَهُ مِنْ كُلِّ قُطْرِ عَيْسَا ، وَلَا نَكَتَ عَهْدَ مَاقَدِّمٍ إِلَيْهِ «الْمَأْمُونُ»
 فِي وَصِيَّةِ أَخِيهِ مِنَ الْمَوَاتِقِ ، وَلَا رَوْحَهُ صَوْتُ «الْمُعْتَصِمِ» وَقَدْ صَبَّ عَلَيْهِ عَذَابُهُ
 وَلَا سَيْفُ «الْوَاتِقِ» ؛ فَلْيَقِفْ عَلَى أَثَرِهِ ، وَلْيَقِفْ بِمُسْنَدِهِ عَلَى مَذْهَبِهِ كُلِّهِ أَوْ أَكْثَرِهِ ؛
 وَلْيَقِضْ بِمُفْرَدَاتِهِ وَمَا اخْتَارَهُ أَصْحَابُهُ الْأَخْيَارُ ، وَلْيَقْلُدْهُمْ إِذَا لَمْ تَخْتَلَفْ عَلَيْهِ الْأَخْبَارُ ؛
 وَلْيَحْتَرِزْ لِدِينِهِ فِي بَيْعِ مَادَرٍّ مِنَ الْأَوْقَافِ وَصَرَفِ تَمَنٍّ فِي مِثْلِهِ ، وَالْإِسْتِدَالِ بِمَا فِيهِ
 الْمَصْلَحَةُ لِأَهْلِهِ ؛ وَالْفَسْخِ عَلَى مَنْ غَابَ مَدَّةَ يَسُوغٍ فِي مِثْلِهَا الْفَسْخُ وَتَرَكَ زَوْجَةً
 لَمْ يَتْرَكْ لَهَا نَفَقَةً ، وَخَلَّاهَا وَهِيَ مَعَ بَقَائِهَا فِي زَوْجَتِهِ كَأَمْلَعَقِهِ ، وَإِطْلَاقِ سَرَاحِهَا
 لَتَتَرَوَّجَ بَعْدَ ثُبُوتِ الْفَسْخِ بِشَرْطِهِ الَّتِي يَبْقَى حُكْمُهَا بِهِ حَكْمَ انْطِلَاقِهِ ؛ وَفِيهَا يَمْنَعُ مُضَارَّةَ
 الْجَارِ ، وَمَا تَقَرَّرَ عَلَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ» . وَأَمْرٍ وَقِفِ
 الْإِنْسَانَ عَلَى نَفْسِهِ وَإِنْ رَأَى سَوِيَّ أَهْلٍ مَذْهَبِهِ ، وَطَلَعَتْ بِهِ أَهْلَةً طَلَبَاءَ لَوْلَاهُمْ
 لِمَا جَلَّ الزَّمَانُ جُنَحَ غَيْبِهِ . وَكَذَلِكَ الْجَوَاحِ الْتِي يَخْفَفُ بِهَا عَنِ الضَّعْفَاءِ وَإِنْ كَانَ
 لَا يَرَى بِهَا الْإِلْزَامَ ، وَلَا يَجْرِي إِلَّا يَجْرَى الْمَصَالِحَةُ دَلِيلُ الْإِلْتِمَامِ . وَكَذَلِكَ الْمُعَامَلَةُ الَّتِي
 لَوْلَا الرُّخْصَةُ عَنْهُمْ فِيهَا لَمْ أَكَلْ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا الْحَرَامَ الْمُحْضَ ، وَلَا أَخَذَ قِسْمَ
 الْغُلَّالِ وَالْمُعْمَلِ هُوَ الَّذِي يَزْرَعُ الْبَذْرَ وَيَحْتَرُ الْأَرْضَ ؛ وَغَيْرَ ذَلِكَ بِمَا هُوَ [مَحِيطُ]
 بِمُفْرَدَاتِهِ الَّتِي هِيَ لَارْفَقَ جَامِعُهُ ، وَالرَّطَايَا فِي أَكْثَرِ مَعَالِيهِمْ وَأَسْبَابِهِمْ نَافِعَةٌ ، وَإِذَا
 اسْتَنْقَرَتِ الْأَصُولُ كَانَتْ الْقُرُوعُ لَهَا تَابِعُهُ ؛ وَانْخَطَّ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ ، إِنْ شَاءَ
 اللَّهُ تَعَالَى .

(١) سيد تيم هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

المرتبة الثانية^(١)

(من تواقع الوظائف الدينية بدمشق ، ما يكتب في قطع الثلث مفتحا

بـ«الحمد لله» إن عَلت رُتَبَةُ الْمُتَوَلَّى أَوْ بـ«أما بعد حمد الله»

إن انحطت رُتَبَتُهُ عن ذلك بـ«المجلس السامى» وفيها وظائف

الوظيفة الأولى — قَضَاءُ الْعَسْكَرِ . وبها أربعة قضاة من المذاهب الأربعة ،

كما بالديار المصرية .

الوظيفة الثانية — إِقْتَاءُ دَارِ الْعِلَلِ بِدِمَشْقَ . وبها أربعة : من كل مذهب

واحد ، كما بالديار المصرية .

الوظيفة الثالثة — الحسبة .

وهذه نسخة توقيع بالحسبة الشريفة :

الحمد لله مُجَدِّدِ النَّعِيمِ فِي دَوْلَتِنَا الشَّرِيفَةِ لِمَنْ صَفَتْ عَلَيْهِ مَلَائِكُهَا ، وَمُضَاعِفِ
الْمَدَنِ فِي أَيْمَانِنَا الزَّاهِرَةِ لِمَنْ سَمَّتْ بِهِ تَقَائِمُهَا ، وَمَوْلَى الْآلَاءِ لِمَنْ بَسَقَ غَرْمُهَا لَدَيْهِ
فَزَهَتْ بِجَالِهِ ثَمَرَاتُهَا وَزَكَتْ مَقَارِئُهَا .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي تُؤَسُّ بِالشُّكْرِ أَوَّاسُهَا ، وَتُؤَسِّسُ عَلَى التَّقْوَى جِبَالُهَا ؛
وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً اسْتِضَاءَ بَنُورِ الْإِيمَانِ قَائِمُهَا ،
وَأَجْتَنَى ثَمَرِ الْمُهْدَى غَارِئُهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَشْرَفُ مَنْ أَسْرَفَتْ بِهِ
مَعَالِمُ التَّوْحِيدِ قَعَمَرَدَارِئُهَا ، وَأَشْرَقَ دَائِمُهَا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ
قَلُوبُهُمْ مَشَاهِدُ الذِّكْرِ وَالسِّتْمِ مَدَارِئُهَا ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

(١) في الأصل اللغة الثانية .

وبعد ، فإنَّ أَوَّلَى من أَمْضَى له ما كان به أَمْرٌ ورُسمٌ ، وجُدِّدَ له من الْمَنَاصِبِ الدِّينيةِ ما عُرِفَ به من قَبْلُ ووُسْمٍ ، وأُثْبِتَ لَتَرْقِيهِ ما حُتِمَ له به من المراتب السنية بمقتضى الاستحقاق وحُكْمٍ - من رَقَّتْ أَوَامِرُنَا له حُلَّةٌ مَنَصِبٍ يَجِدُّهَا الإحسان ، وأَمَرَتْ له مَرَّاسِمُنَا بوظيفة تُؤَكِّدُ عَوَارِفَنَا الحِسان ، وأَثَلَتْ [له] نِعْمَتَا مَنَصِبَا أَهْلَ له من كَمَالِ الْأَهْلِيَّةِ أَكْمَلُ ما يُعِدُّه لذلك الْإِنْسَانُ .

ولما كان فلان هو الذى تحلَّى من إِحْسَانِنَا بما يَأْمَنُ [معه] سعيد رتبته [من] الْعَطَلِ ، وَأَتَمَّ من رِبَانَا وَأَمْنَتَانَا بما هو فى حُكْمِ الْمُسْتَقَرِّ له وإنَّ أَوَّلَى به التَّهَرُّ ومَطْلُ - أَقْتَضَى إِحْسَانُنَا أَنْ يُجَدِّدَ له مَوَاقِعَ النِّعَمِ ، ونُسَيْدٌ من رِجَالِهِ مَوَاضِعَ ما شَبَّهَ من الْبِرِّ وَالكَرَمِ ، وَزُرَى من عَدَدِ رِبَا رِجَاءِ أَمَلِهِ أَتْنَا تَتَعَاهَدُ سُقَيَا أَمَالِ الْأَوْلِيَاءِ وَالْخَدَمِ .

فلذلك رسم ... - لازال يَرُهُ شَامِلًا ، وبَدَّرَهُ فى أَفْقِ الإحسان كَامِلًا - أَنْ يُفَوِّضَ إِلَيْهِ نَظَرَ الْحِسْبَةِ وَيَسْتَمِرَّ فى ذلك على حُكْمِ التَّوَقُّعِ الشَّرِيفِ الذى بَيَّنَّه : لِمَا سَبَقَ من اخْتِيَارِهِ لذلك وَأَصْطِفَائِهِ ، وَأَدَّخَارِهِ لهذا الْمَنَصِبِ من كُفَاةِ أَعْيَانِهِ وَأَعْيَانِ أَكْثَفَاتِهِ ؛ وَلِمَا تَحَلَّى [به] من رِيَاسَةِ زَانَتِهِ عُقُودُهَا ، وَتَكَلَّلَ له من أَصَالَةِ ضَفَّتْ عَلَيْهِ حَبْرُهَا وَسَمَّتْ به بُرُودُهَا ؛ وَتَجَلَّى به من زَوَاهِيهِ أَشْرَقَتْ فى أَفْقِ صُعُودِهَا إِلَى الرِّتْبَةِ الْجَلِيلَةِ سُعُودُهَا ، وَأَنْصَفَ به من كَمَالِ مَعْرِفَةٍ تُجَزِّتُ له به من مَطَالِبِ الْمَنَاصِبِ وَعُودُهَا .

فَلْيَأْشُرْ ذَلِكَ مُعْطِيًا هَذِهِ الْوُظُفَةَ من حُسْنِ النَّظَرِ حَقَّهَا ، مُحْتَقًا بِجَمِيلِ تَصَرُّفِهِ تَقَلُّمِ أَوَّلِيَّتِهِ وَسَبْقِهَا ؛ وَلْيَكُنْ لِأَمْرِ الْأَقْوَاتِ مَلَاخِظًا ، وَعَلَى مَنَعِ ذَوَى الْغَدْرِ من الْأَحْتِكَارِ الْمُضِيقِ عَلَى الضَّعْفَاءِ مُحَافِظًا ، وَعَلَى الْغَشِّ فى الْأَقْوَاتِ مُؤَدِّبًا ، وَلِإِجْرَاءِ الْمَوَازِينِ عَلَى حُكْمِ الْقِسْطِ مَرْتَبًا ؛ وَلِنَ يَرْفَعْ الْأَسْعَارَ لِغَيْرِ سَبَبٍ رَادِعًا ، وَلِنَ لَا يَزَعُهُ الْكَلَامُ من الْمُطَنِّفِينَ بِالْأَثَادِيْبِ وَازْعًا ؛ وَلْيَقِمِ الْأَشْيَاءَ مُعَرَّرًا ، وَلْيَقَانُونِ الْجَوْدَةَ

فَالْمُزْرُوعِ وَالْمُؤَزَّوْنَ مُقَرَّرًا؛ وَلِذَوِي الْهَيْئَاتِ بِلُزُومِ شَرَائِطِ الْمُرُوءَةِ اخْتِذَاً، وَعَلَى تَرْكِ الْجَمْعِ وَالْجَمَاعَاتِ لِعَامَةِ النَّاسِ مُوَاجِزًا؛ وَلِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ أَمْرٍ مُقَدَّمًا، وَبِمَا يُخَلِّصُهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِكُلِّ مَا تَقَعُ بِهِ الْعَامَلَاتُ بَيْنَ النَّاسِ مُقَوِّمًا؛ وَفِي خَصَائِصِ نَفْسِهِ مَا يُغْنِيهِ عَنْ تَأْكِيدِ الْوَصَايَا، وَتَكَرُّارِ الْحَثِّ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي هِيَ أَشْرَفُ الْمَزَايَا؛ فَلْيَجْعَلْهَا شِعَارَ نَفْسِهِ، وَنَجَى أُنْسِهِ، وَمُسَدَّدَ أَحْوَالِهِ الَّتِي تَظْهَرُ بِهَا مَرْيَئِيَّةُ يَوْمِهِ عَلَى أَمْسِهِ؛ وَالْحَطَّ الشَّرِيفَ أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ، مُجْهً بِمَقْتَضَاهُ .



وهذه نسخة توقيع بنظر الحسبة الشريفة، من إنشاء المقر الشهابي بن فضل الله، مضافا إلى نظر أوقاف الملوك، وهي :

الحمد لله مُثَبِّبٍ مِنْ أَحْسَبَ، وَجَبِّبُ الْمُنِيبِ فِيمَا آكَنْسَبِ .

نَحْمَدُ حَمْدًا رَسَبَ الْأَدَبِ صَرْبِ الطَّرَبِ، (؟) وَنُشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً ظَاهِرَةً الْحَسَبِ، طَاهِرَةً النَّسَبِ؛ وَنُشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَفْضَلُ مَنْ أَتَدْنَى وَأَتَتَلَبُّ، وَأَدَبَ أَمْنُهُ فَأَحْسَنَ الْأَدَبِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَوةً يُكْتَمُ أَجْرُهَا فَيَكْتَسِبُ، وَيَسْتَمُ بِهَا كُلُّ صِلَاحٍ [وَيَفْتَنُ بِهَا كُلُّ فَلَاحٍ]؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد، فَإِنَّ الْحِسْبَةَ الشَّرِيفَةَ هِيَ قَانُونُ جَوَادِّ الْأَوْضَاعِ، وَمَضْمُونُ مَوَادِّ الْإِجْمَاعِ، تَجَمُّعٌ إِلَى الشَّرِيعَةِ الشَّرِيفَةِ سِيَاسَةِ يُرْهَبُ جِلْدُهَا، وَيُرْهَفُ حِلْدُهَا؛ وَتَخْشَى الرِّعَايَا سَطَوَاتٍ مُبَاشِرَهَا، وَتَتَخَيَّ عَمَّا تُصْبِيهِ مَيُولُ بَوَادِرِهَا؛ وَأَصْحَابُهَا الْآلَةُ الَّتِي هِيَ أُخْتُ السَّيْفِ فِي التَّأْثِيرِ، وَلِكُلِّ مَنَهِمَا سَطْوَةٌ تُخَافُ لِافْرَقَ بَيْنَهُمَا إِلَّا مَا يَنْ

التَّائِبَاتِ والتَّذَكِيرِ، وَلَهُ النَّصْرُ الْمُنْطَلِقُ، وَالتَّعَرُّفُ الَّذِي يَفْتَحُ مِنَ الْحَوَايِيتِ عَلَى
أَرْبَابِهَا كُلِّ بَابٍ مُنْفَقٍ؛ وَلِرُكُوبِهِ فِي الْمَدِينَةِ زِينَةٌ يُحْشَرُهَا النَّاسُ صُحْبًا، وَرَهْبَةً
يَغْدُو بِهَا كُلُّ أَمِينٍ لَشَأْنِهِ مُصْلِحًا؛ وَإِلَيْهِ الرُّجُوعُ فِي كُلِّ تَقْوِيمٍ، وَهُوَ الْمَرْجُوعُ فِي كُلِّ
أَمْرٍ عَظِيمٍ؛ وَهِيَ بِلَمَشَقٍ - حَرَّسَهَا اللَّهُ تَعَالَى - مِنْ أَجْلِ الْمَنَاصِبِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ [عَوَالِيهَا
بِيَدِ مُتَوَلِّيِّهَا وَتُؤَمِّلُ مَازِلَ الْبُدُورِ، وَإِنْ رَجَّيَا تَرْجِعَ إِلَى تَصْرِيفِهِ أَزِمَةَ الْأُمُورِ،
وَيَنْتَجِعُ مَحَابَةَ الْمَهْطِلِ غَمَامَةُ الْجُمْهُورِ؛ وَنَحْيًا بِهِ سُنَّةُ عُمْرِيَّةٍ لَوْلَاهَا لَقَابَتْ رِحَابُ
الْمَعَامِلَاتِ، وَضَاعَتْ بَانِشُ الْمَعَاشِ التَّدَاخِلَاتِ؛ وَظَهَرَ الْفَنُّ فِي غَالِبِ مَا يُشْرَى
وَيُبَاعُ، وَانْتَشَرَ التَّطْفِيفُ [الَّذِي] يُزِيلُ رَاجِحَةَ الْمِيزَانِ وَتَوَازُعَ، وَلَكُمْ نَابٌ بِحُسْنِ
تَدْبِيرِهِ عَنِ الْقَمَامِ، وَتَفَكَّرَ فِي الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ الْخَاصِّ وَالْعَامِ؛ طَالَمَا أَتَحَفُّ بِهِ سِعْرُ
غَلَا أَنْ يُقَوِّمَ، وَوُجِدَ مِنَ الْأَقْوَاتِ يَسْتَنْفَ لَا يُوجَدُ وَلا يُذِلُّ مِنَ الشَّمْسِ دِينَارُ
وَالْبَدْرِ دِرْهَمٌ.

وَكَانَ الْمَجْلِسُ السَّامِيُّ، الْقَضَائِيُّ، الْأَجَلِيُّ، الْكَبِيرِيُّ، الصَّغِيرِيُّ، الرَّئِيسِيُّ،
الْعَالِمِيُّ، الْكَافِلِيُّ، الْفَاضِلِيُّ، الْأَوْحَدِيُّ، الْأَثِيرِيُّ، الْمَاجِدِيُّ، الْأَصِيلِيُّ،
الْعِمَادِيُّ؛ بِمَجْدِ الْإِسْلَامِ، شَرَفِ الرُّؤَسَاءِ، بَهَاءِ الْأَنْبَاءِ، جَمَالِ الصُّدُورِ، نَخْرِ الْأَعْيَانِ،
خَالِصَةِ الدُّوَلَةِ، صَفْوَةِ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ: أَدَامَ اللَّهُ عُلُوَّهُ، هُوَ الَّذِي رَبَّنَا السِّيَادَةَ
عَلَى وَسَادِهَا، وَتَبَتَّ السُّعَادَةُ إِلَى مُرَادِهَا؛ وَبَنَتْ الْعُلِيَاءُ قَوَاعِدَهَا عَلَى عِمَادِهَا،
وَنَتَتْ الْمَرَاتِبُ أَعْنَاقَهَا مُتَشَوِّقَةً إِلَى حُسْنِ اعْتِمَادِهَا؛ وَبَاشَرَ الْجَمَاعُ الْمَعْمُورُ خُصُوصًا
وَالْأَوَاقِفُ الشَّامِيَّةُ عُمُومًا فَعَمَرَهَا، وَكَثُرَ أَعْدَادُهَا وَأُنْمِيَ مِنْ بَرَكَاتِ نَظَرِهِ مَنَحَصَلَاتِهَا
وَتَمَرَّهَا؛ وَشِيدَ فِي كُلِّ مَوْاطِنٍ عِبَادَتُهُ، وَتَلَقَّى حَلَقِيَّةً وَمَدَارَ سُبْحَةٍ وَمَقَرَّشَ سَجَادَةٍ،
وَأَبَى اللَّهُ أَنْ يُقَاسَ بِهِ أَحَدٌ وَالْجَمَاعُ الْفَارُوقُ وَلِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَ وَزِيَادَهُ؛
فَلَوْ جَبَّ لَهُ جَمِيلٌ نَظَرْنَا أَنْ نَصَاعَفَ لَهُ الْأَبْحَرُ فِي كُلِّ عَمَلٍ إِلَيْهِ يَتَسَبَّبُ، وَتَزِيدَهُ

فِرْزَقَهُ سَعَةً : من حَيْثُ يَحْتَسِبُ ومن حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ؛ قَرَأْنَا أَنَّهُ أَحَقُّ أَن يُقْلَدَ من امور الحِسْبَةِ الشَّرِيفَةِ حُكْمُهَا الْمُصْرَفُ ، وَحُكْمُهَا الْمَعْرُوفُ ؛ وَيَقَامُ فِيهَا بَهْدِي مِنْ تَقَدُّمِهِ فِي تَقْرِيرِ أُمُورِهَا عَلَى أَثْبَتِ الْقَوَاعِدِ ، وَتَقْدِيرِ مَصَالِحِهَا عَلَى أَجَلِ مَا جَرَتْ بِهِ الْعَوَائِدُ ؛ وَيُطَهَّرُ أَقْوَاتُهَا مِنَ الدَّنَسِ فِيَا يَحْضُرُ عَلَى الْمَوَائِدِ ، وَإِخَافَةِ الْأَعْيَاقِ مِنَ مُضَارِبِهِ الَّتِي تَقْطَعُ مَا غَفَا السِّيفُ عَنْهُ مِنْ مَنَاطِ الْفَلَائِدِ .

فُرُسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْعَالِي - لَا زَالَتْ بِمَرَّاسِمِهِ سُلْطَى كُلِّ رُتْبَةٍ ، وَتَوَقَّى الدُّنَايَا مِنْ يَوْمِ يَقُومُ بِالْحِسْبَةِ - أَنْ يَقُوضَ إِلَيْهِ النَّظَرُ عَلَى الْحِسْبَةِ الشَّرِيفَةِ بِدَمَشْقٍ وَمَا مَعَهَا مِنْ الْمَالِكِ الشَّامِيَةِ الْمُضَافَةِ إِلَيْهَا ، بِالْمَعْلُومِ الْمُسْتَقَرِّ ، الشَّاهِدِ بِهِ الدِّيَوَانُ الْمَعْمُورُ إِلَى أَنْ رَوَقَتْ : مُضَافًا إِلَى مَا هُوَ بِيَدِهِ : مِنْ نَظَرِ الْأَوْقَافِ الْمَبْرُورَةِ بِالشَّامِ ، وَأَوْقَافِ الْمُلُوكِ . خَلَا نَظَرَ الْجَمَاعِ الْمَعْمُورِ إِلَى أَنْ رَوَقَتْ بِحُكْمِ إِفْرَادِهِ لِمَنْ عَيْنُ لَهُ ، تَقْوِيضًا يَضُمُّهُ إِلَى رَأْيِ كَتِفِهِ ، وَيُضَمُّهُ بِمَوَاقِبِ شَرَفِهِ ، وَيُجَلِّهُ فِي أَعْلَى غُرْفِهِ ، وَيُجَلِّيه بِمَا يَحْسُدُ الدُّرَّ مَارِيٍّ مِنْ صَدَفِهِ .

فَاتَّقَى اللَّهَ فِي أَحْوَالِكَ ، وَأَنْتَقَى مِنْ يُجْمَعُ عَلَيْهِ مِنَ الثَّوَابِ فِي أَعْمَالِكَ ، وَأَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ ، لِمَنَّكَ الْمُنْكَرُ لَا يُصْرَفُ وَالْمَعْرُوفُ مِنْكَ لَا يُنْكَرُ ؛ وَأَعْتَبِرْ أَحْوَالَ أَرْبَابِ الْمَعَاشِ أَعْتِبَارًا يُصْلِحُ لِلنَّاسِ أَقْوَانَهُمْ ، وَيُرْغِدُ أَوْقَاتَهُمْ ؛ وَلَا تَدْعُ صَاحِبَ سِلَاحَةٍ يَتَعَدَّى إِلَى غَيْرِ مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْمَكَايِبِ ، وَلَا صَاحِبَ مِعْمَشَةٍ [يَقْدُمُ عَلَى تَحْتُلُلِ خَلِيلٍ فِي الْمَاكِيلِ وَالْمَشَارِبِ ؛ وَأَقْصِدِ التَّسْوِيَةَ بِالْحَقِّ فَإِنَّهُ سَوَاءٌ فِيهِ الْبَائِعُ وَالْمَشْتَرَى ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الرَّخِيسِ وَالْثَمِينِ ؛ وَأَقِمْ الْمَوَازِينَ بِالْقِسْطِ حَتَّى لَا تُنْكَنَ كِفَاتُهَا أَنْ تُحَامِلَ وَلَا تُحْمَلَ ، وَلَا يَسْتَطِيعَ قَلْبُهَا أَنْ يَمِيلَ مَعَ مَنْ يَتَمَوَّلُ ، وَلَا يَقْدِرُ لِسَانُهَا أَنْ يَكْتُمَ الشَّهَادَةَ بِالْحَقِّ وَإِنْ كَانَ مَقَالُ حَبَّةٍ مِنْ نَحْرِيكَ ؛ وَأَجْعَلْ لَكَ عَلَى

أَهْلُ الْمَبَايِعَاتِ حَفَظَةً لِحَفَظَةِ أَعْمَالِهِمْ لَكَ تُنَسَخَ . وَتَقَعِدُ الْأَسْوَاقَ مِمَّا يَتَوَلَّدُ فِيهَا
 مِنَ الْمَفَاسِدِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ رُبَّمَا بَاصٌ فِي الْأَسْوَاقِ وَفَرِّخٌ . وَأَرَابُ الصَّنَائِعِ فِيهِمْ مِنْ
 يُدَلِّسُ ، وَقُضَاءُ الْمَكَاتِبِ مِنْهُمْ مَنْ لِعَرِضِهِ يُدَسُّ ؛ وَالْقَصَاصُ خَالِيَهُمْ يَتَعَمَّدُ الْكَذِبَ
 فِي قَصَصِهِ ، وَأَهْلُ النَّجَامَةِ كَمْ مِنْهُمْ مَنْ لَعِبَ مَرَّةً بِعَقْلِ أَمْرَأَةٍ وَأَمَاتَ رَجُلًا
 بِغُصَصِهِ ؛ وَآخَرُونَ مَنْ تَفَضَّلَ بِهِمُ الْعُقُولُ ، وَتَنَظَّلَ حَاثِرَةٌ فِيهِمُ النُّقُولُ ؛ وَكَثِيرٌ مِنْ
 سَوَى هَؤُلَاءِ يَلِكُ مَهْسُوطَةٌ طِيَمُ ، وَأَحْكَامُكَ مُحِيطَةٌ بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ وَبَيْنَ يَدَيْهِمْ ؛
 فَقَوْمٌ مِنْهُمْ مَنْ مَالٌ ، وَقَلْدٌ مَالِكًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيمَا رَأَى مِنَ الْمَعَاقِبَةِ تَارَةً بِإِهْلَاكِ الْجَسَدِ
 وَتَارَةً بِإِفْسَادِ الْمَالِ ؛ فَرُبَّمَا أَطْفَى الْغِنَى وَالْمَصْبَاحُ فَرُبَّمَا قَطَبَ
 وَتَمَّ مِنْ لَا يَسْتَقِيمُ حَتَّى يُؤَدَّبَ ، وَمَنْ لَا يَلْمُ عَلَى شَيْءٍ وَأَيُّ الرِّجَالِ الْمُهْتَدِّ ؛ وَفِيكَ
 مِنَ الْأَلْمَعَةِ نُورٌ بَاهِرٌ ، وَكَوْكَبٌ زَاهِرٌ ؛ فَلَا حَاجَةَ لِي أَنْ تُنْقِي الْوَصَايَا أَقْلَامَهَا أَيُّهَا
 يَكْفُلُكَ ، وَلَا تَنْهَكَ عَلَى زِينَةِ الْعَفَافِ فِيهَا وَهُوَ حُلُوكُكَ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُوفِّقُ أَعْمَالَكَ ،
 وَيُوفِّرُ مِنَ التَّقْوَى زَادَكَ ؛ وَالْأَعْتَادُ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ ، سَجْدَةٌ
 بِمَقْتَضَاهُ . إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الوظيفة الرابعة — وكالة بيت المال المعمور .

وهذه نسخة توقيع بوكالة بيت المال ، من إنشاء القاضي تاج الدين البارنباري ،
 للقاضي نجم الدين أبي الطيب .

الحمد لله الذي جعل الطيبات للطيبين ، وهدى بالتجيم المنير السبيل المبين ، وعلّق
 بأئمة الدين مصالح المسلمين ، وآنانا بتقويضنا إليه ، وتوكلنا عليه ، شرفاً في الشأن وقوة
 في اليقين .

نحمده على أن أعان بحيره وهو خير معين ، ونشكره على أن بصرنا في الإرادات ،
بالملائكة المقربين ، ونصرنا في الولايات ، بالقوى الأمين ، ونشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له شهادة أنوارها في القلب مشرقة على الصفحات والحيين ،
وأذكأرها على اللسان جعلت الإنسان من صالح المؤمنين ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً
عبدُه ورسولُه هادى المهتدين ، وموضح شريعة الإحسان للحسين ، و «أبو الطيب»
و «أبو القاسم» كنى بأولاده المطهرين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم
من كان من السابقين الأولين ، ومنهم من كان مهيباً للكافرين ، ومنهم من تزوج
بأنبى الرسول ولم يتفق ذلك لغيره فى سالف السنين ، ومنهم من كان الخبير ملء
يديه : فشمس البركة بشماله وذو الفقار فى اليمين ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فأكرم التفويض ما صادف محلاً ، وأبرك الولايات ما وجد قدراً معلًى ،
وأحسن الإحسان ما أصبح به الحال محلى ، وأسنى الأنجم ما أشرق فى مطلعهِ ومجلًى ،
وأحق [الولاية] بإعلاء منصبهِ من أقبلت عليه وجوه الإقبال حين تولى ؛ وأولى
[الولايات] بإجمال النظر وإمعانه ، فى تشيد شأنه ، وتمكين مكانته ومكانه ، وحفظ
حوزته من سائر أركانِه - وكأله بيت المال المعمور التى بها تُصان الأرض المقيسه ،
ومنها تُستبصر الآراء الرئيسة ؛ وبها يؤمن الاستيلاء على المحال والأبنية من كل جائر ،
وبها تُزاد قيم المبيعات مما هو ليئت المال ما بين عامٍ وذائر ؛ وإلى متوليا تأتى
الرجات ممن يتتاع أرضا ، وبه تُمنح المصالح وتُقضى ، وبه يظهر التميز فى الثمن
الأرضى ؛ وهى فى الشام نعيمة المقدار ، كريمة الآثار ؛ مرضية بالربح فى كل أرض
بينت المصالح فى كل بناء دائرة بالنجح فى كل دار ؛ فلا يسلم برقها ، ويتوج فرقها ،
ويؤفها حقها ، إلا من له علم وتبصره ، وعرفان أوضح الطريق وأظهره ، وحسن
رأى فيما آثره وأثره ، وصدارة ورد بها منهل الكرام البررة .

وكان فلان هو ذو السؤدد العريق ، والباسق في النوح الوديق ، والمنسب إلى
أعز فريق ، والطيب أصلاً وفراً على التحقيق ، والإمام في علومه التي أصلت
التفريع ووصلت التفريق ، والموفق فيما يأتي ويذر والله ولي التوفيق ؛ قد أشرق
بدمشق نجمه نورا ، وأبتسم البرق الشامي به سروراً ، وتصدّر بمخاطبها فشرح صدوراً ،
وآبى له سؤوداً وجعل مكارم الأخلاق عليه سوراً ؛ تلقى بمحضرة المسائل فتلقى منه
ولياً مرشداً ، وتذكر لديه المباحث فتجد على ذهنه المتوقد هدىً ، وإذا اضطرب
قول مشكل سكن بلبائنه وهذا ؛ إن تأول أصاب في تأويله ، وإن نظر في مصلحة
كان رأيه في السداد موافقاً لقليله ، وقد استخرنا الله تعالى - وهو نعم الوكيل -
في توكيله .

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه

فليات هذا المنصب المنصب وبلى بركته من بابه ، وليحيم في فسيح رحابه ، ولينعم
بجنايته في جنابه ؛ وليحرر ما يباع من أملاك بيت المال بشروطه ولأوامره المسطورة
في كتابه ، وليردع من استولى على أرض باعته ، فليس لعريق ظالم حق ؛ وهو
إما بناءً بإنشائه وإما غراساً بإنشائه ؛ وما يرجع إلى بيت المال المعمور من أرض
وعقار ، وروضات ذات غراس وأنهار ، وقرى وما يضاف إلى ذلك من آثار ؛ فليحرر
بجموعه ، وليسلك في ذلك الطريقة المشروعة . وليشفق إشفاق المتقين الماهدين
لما لهم ، وليتصمح لتسا وللسلمين فهو وكيل بيت ما لهم . ومن مات ولا وارث له من
عصية أو كلاله ، فإن لبيت المال أرضه وداره وماله .

وقد وكلنا إليك هذا التقليد وقد ناك هذه الكالة ، والدلك - رحمه الله - كانت
مفوضة إليه قديماً فلذلك أحينا بك تلك الأصالة .

وَأَعْلَمَ - أَعَزَّكَ اللهُ - أَنَّ الْوَصَايَا إِنِ طَالَتْ قَدْ طَابَ مَبِيعُهَا ، وَإِنْ أُوجِزَتْ
قَدْ كَفَى لِمَعْمُهَا وَلِحُمُهَا ؛ وَعَلَى الْأَمْرَيْنِ قَدْ أَثَارَهَا هُنَا بِالتَّوْفِيقِ صُبْحُهَا ، وَحَسَنَ
بِالتَّصْدِيقِ شَرْحُهَا ، وَأَطْرَبَ مِنْ حِمَامِ أَقْلَامِهَا صَدْحُهَا ، وَالتَّقْوَى فِيهِ أَوَّلُهَا
وَأَخِيرُهَا وَخَتْمُهَا وَقَتْمُهَا ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَسْقِي بِكَ كُلَّ قَضِيَّةٍ [ذَوَى] صَبْحُهَا ؛ وَخَيْرُ
يَكُونُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة توقيع شريف بوكالة بيت المال بالشام أيضا :

الحمد لله كَفَى مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ ، وَحَسِّنَ مَالٍ مَنْ قَوَّضَ أَمْرَهُ إِلَيْهِ ، وَجَلَّ مَأْبَ مَنْ
قَدَّمَ رَجَاءَنَا عِنْدَ الْهِجْرَةِ إِلَى أَبْوَابِنَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَمُقَرَّرَيْنِ مِنْ أَسْهَرِ فِي أَسْمَطَارِ عَوَارِفِنَا
بِكُلِّ الْأَدْوَاتِ نَاطِرِيهِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي جَعَلَتْ سَعَى مَنْ أَتَمَّ كَرَمَنَا ، مَشْكُورًا ، وَسَعَدَ مَنْ قَصَدَ حَرَمَنَا ،
مَشْهُورًا ، وَإِقْبَالَ مَنْ أَقْبَلَ إِلَى أَبْوَابِنَا الْغَالِيَةِ مُحَقَّقًا يَنْقَلِبُ فِي نِعْمَتِنَا مَجْبُورًا ، وَيَنْقَلِبُ
إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ، وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً نَعْتَضِدُ فِيهَا
بِالْإِخْلَاصِ وَنَعْتَصِّمُ ، وَنَتَمَسَّكُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِرُءُوسِهَا ، الَّتِي لَا تَنْفِصِمُ ، وَنُؤَكِّدُ فِي إِقَامَةِ
دَعْوَتِنَا ، سُيُوفَنَا الَّتِي لَا تَزَالُ هِيَ وَأَعْنَاقُ جَاحِلِيهَا تَخْتَصِمُ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
الَّذِي أَضَاعَتْ شَرِيعَتُهُ ، فَلَمْ تَخَفْ عَلَى ذِي نَظَرٍ ، وَأَثَارَتْ مَلَّتُهُ ، فَأَبْصَرَهَا الْقَلْبُ قَبْلَ
الْبَصَرِ ، وَتَمَّتْ دَعْوَتُهُ ، فَاسْتَوَى فِي وَجُوبِ إِجَابَتِهَا الْبَشَرُ ، وَاخْتَصَصَتْ أُمَّتُهُ ، بِعِلْمَاءِ
يُبَصِّرُونَ مِنْ فِي طَرَفِهِ عَمَى وَيُظْهِرُونَ حَقَّ مَنْ فِي بَاطِنِهِ قِصْرَ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى
آلِهِ الَّذِينَ عَمِلُوا بِمَا عَلَّمُوا ، وَعَدَلُوا فِي مَا حَكَمُوا ، وَحَفِظُوا بِالْحَقِّ بَيُوتَ أَمْوَالِ الْأُمَّةِ

(١) القضاة الرتبة من النبات ودوى يس والصبح في الأصل خروج المقنود من كاهه .

فَأَشْرَكَ أَهْلَ الْمِلَّةِ فِيهَا غَنَمُوا ؛ صَلَاةً تَوَكَّلَ الْإِخْلَاصُ بِإِقَامَتِهَا ، وَتَكْفَلُ الْإِيمَانُ
بِلَدَائِمَتِهَا ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد : فَإِنَّ أَهْمَ مَا صُرِفَتْ إِلَيْهِ الْهِمَمُ ، وَأَعَمُّ مَا نَوْجِبُ فِي اخْتِيَارِ الْأَشْكَاءِ لَهُ بَرَاءَةٌ
الدِّمِّ ؛ وَأَخْصَ مَا اتَّخَذَتْهُ الْأَسْتِخَارَةُ فِيهِ دَلِيلًا ، وَأَحَقُّ مَا أَقْنَأَ عَنَّا فِيهِ مِنْ أَعْيَانِ
الْأُمَّةِ وَكَيْلًا ، لَا يَدْعُ حَقًّا لِلْأُمَّةِ مَا وَجَدَ إِلَيْهِ سَبِيلًا - أَمْرٌ يَبْتَ مالُ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي
هُوَ مَادَّةُ جِهَادِهِمْ ، وَجَادَةُ جِلَادِهِمْ ؛ وَسَبَبُ اسْتِطَاعَتِهِمْ ، وَطَرِيقُ إِخْلَاصِهِمْ
فِي طَاعَتِهِمْ ؛ وَسِدَادُ نُفُوسِهِمْ ، وَصَلَاحُ جُمْهُورِهِمْ ؛ وَجَمَاعُ مَا فِيهِ إِتْقَانُ أَحْوَالِهِمْ
وَأَسْتِقْرَارُ أُمُورِهِمْ ؛ وَمِنْ أَكْثَرِ مَصَالِحِهِ وَأَهْمُهَا ، وَأَخْصَ قَوَاعِيدِهِ وَأَعَمُّهَا ، وَأَكْمَلُ
أَسْبَابِ نُفُوسِهِمْ وَأَهْمُهَا ؛ الْوَكَاةُ الَّتِي تَصُونُ حَقُوقَهُ أَنْ تُنْصَاعَ ، وَتَمْنَعُ خَوَاصَّهُ أَنْ
تُشَاعَ ؛ وَتُحْسِنُ عَنِ الْأُمَّةِ فِي حِفْظِ أَمْوَالِهَا الْمُنَاقَبَ ، وَتَتَوَلَّى لِكُلِّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
فِيهَا فَرَضَ اللَّهِ لِمَنْ الدَّعْوَى وَالْجَوَابَ ؛ وَلِذَلِكَ لَمْ تَزَلْ تُغَيِّرُهَا مِنْ ذَخَائِرِ الْعُلَمَاءِ
مَنْ زَانَ الْوَرَعَ بِجَاهِيَّاهُ ، وَكَلَّ الْعِلْمَ مَزَايَاهُ ؛ وَأَتَمَدَّ الْإِنْجَاعُ عَلَى كَيْلِهِ ، وَقَصُرَتْ
الْأَطْلَاعُ عَنِ التَّحَلِّيِ بِجَمَالِ طَلَبِهِ : وَهَلْ يُبَارَى مَنْ كَانَ عَلَيْهِ مِنْ جَمَالِهِ .

ولما كان المجلس السامى ، الشيعى ، الفلافى ، هو الذى ظهرت فضائله
وعلموه ، ودلَّ على بلوغ الغاية منطوق نعتيه ومفهومه ؛ وحلَّ حِلْمَهُ بِالْوَرَعِ الَّذِي هُوَ
كَمَالُ الدِّينِ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، وَسَلَكَ طَرِيقَةَ آيِهِ فِي التَّفَرُّدِ بِالْقَضَائِلِ فَكَانَ بِحَكْمِ الْإِمْرَةِ
مِنْ غَيْرِ خِلَافٍ صَاحِبَ تِلْكَ الطَّرِيقَةِ ؛ مَعَ نَسَبٍ لِنَسِيبِ مَامَرٍّ حَلَّالِهِ ، وَتَقَى مَا
وَرِثَهُ مِنْ آيِهِ عَنْ كَلَّالِهِ ؛ وَثَبَّتْ فِي ثُبُوتِ الْحَقِّ لَأَسْتِغْزِهِ الْأَعْرَاضَ ، وَأَثَاءً فِي قَبُولِ
الْحَكْمِ لَا تُجِيلُ جَوَاهِرَهُ الْأَعْرَاضَ ؛ وَوُقُوفٍ مَعَ الْحَقِّ لَا يُبْعِدُهُ إِلَى مَا [لَا] يَجِبُ ،
وَبَسْطَةِ فِي الْعِلْمِ بِهَا يَقْبَلُ مَا يَقْبَلُ وَيَحْتَنِبُ مَا يَحْتَنِبُ ؛ وَتَحْقِيقِ تَجْرِى الدَّعَاوَى الشَّرْعِيَّةِ
عَلَى حُجَّتِهِ ، وَإِنْصَافٍ لَا يُضَرُّ خَصْمَهُ مَعَ كَوْنِهِ أَلْحَنَ مِنْهُ بِحُجَّتِهِ ؛ مَعَ وَقَادَةِ إِلَى

أبوابا العالية تقاضت له كرمنا الجلم ، وفصلنا الذى خصّ وعمّ - أقتضت آراؤنا الشريفة أن يرجع إلى وطنه مشمولا بالنعم ، مخصوصا من هذه الرتبة بالناية التي يكبو دونها جواد الهمم ؛ منصوبا على رخصة قدره التي جاءت هذه الوظيفة على قدر ، مداونا [لشكر أبوابنا] على اختياره لها بعد إمعان الاختيار وإتمام النظر .

فرمى بالأمر الشريف أن تفوض إليه وكالة بيت المال المعمور بالشام المحروس .

فلينق هذه الرتبة التي هي من أجل ما يرتقى ، ويتلق هذه الوكالة التي مدار أمرها على التقي وهو خير ما يتقى ، ويأثر هذه الوظيفة التي مناط حكيها في الورى الذي لا تستخف صاحبه الأهواء ولا تستغفر الرقى ؛ ولينقض بأعبائها مستقلا بمصالحها ؛ متصديا لمجالس حكمها العزيز لتحرير حقوق بيت المال وتحقيقها ، متقيا ما يرد من أمر الدعاوى الشرعية التي يبت مثلها في وجهه بطريقها ؛ متقيا عن توافع ما يثبت له وطيه ، محسنا عن بيت المال الوكالة فيما جره الإرث الشرعى إليه ؛ مستظهِرا في المعاملة بما جرت به العادة من وجوه الاحتراز ، مجانبا جانب الحيف في الأخذ والمطاء بأبواب الرخص وأسباب الجواز ؛ منجبا في تشدده عن طريق الظلم الذى من تحلى به كان عاطلا ، سائكا في أموره جادة العدل فإنه سيان من ترك حقه وأخذ باطلا ؛ مجتهدا في تحقيق ما وصح من الحقوق الشرعية وكمن ، متقيا ما غالت الأيام في إيفائه فإن الحق لا يضيع بقدح العهد ولا يتطل بطول الزمن .

وفى أوصافه الحسنه ، ومجايه التي غلت بها أقلام أيامنا ليسنه ، وعلومه التي أسرت إليها أفكاره والعيون وسنه ، ما يثني عن وصايا يطلق عنان البراعة في تحديدها ، أو قضايا ينطق لسان البراعة في توكيدها ؛ ملاكها تحوى الله وهي تبيح نفسه ،

وَنَجِيَّةٌ أَنَّهُ، وَحِلَّةٌ خِلَالِهِ المَعْرُوفَةُ فِي يَوْمِهِ وَأَمْسِهِ؛ فَلْيَقْدِّمَهَا فِي كُلِّ أَمْرٍ، وَيَقِفْ عِنْدَ رِضَا اللَّهِ فِيهَا لِأَرْضَا زَيْدٍ وَلَا عَمْرُو؛ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ :

[الوظيفة الخامسة — الخطابة^(١)]

وهذه نسخة توقيع بالخطابة بالجامع الأموي، كُتِبَ بها لَزِينُ الدِّينِ الفَارَقِيُّ، من إنشاء الشيخ شهاب الدِّينِ تَحْمُودِ الحَلَبِيِّ :

الحمد لله رافع الدِّينِ أَوْتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ، وَجَاعِلِ الْمَنَاصِرِ فَضَائِلَ أَيْمَةِ الْأُمَّةِ أَرْجَاتٍ، وَشَارِحِ الصُّدُورِ بِذِكْرِهِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مِنْ قَبْلِ الْمَوَاضِعِ حَرِجَاتٍ؛ الَّذِي زَانِ الدِّينِ مِنَ الْعَالِمَاءِ بَيْنَ سُلَّمَتٍ لَهُ فِيهِ الْإِمَامَةُ، وَصَانِ الْعِلْمِ مِنَ الْأَيْمَةِ الْمُتَّقِينَ بَيْنَ أَصْحَابٍ لَهُ جَائِزُ الْفَضْلِ يُصَرِّفُ كَيْفَ شَاءَ زِمَامَهُ؛ وَوَطَّدَ ذِرْوَةَ الْمُنْتَبِهِ الْكَرِيمِ لِمَنْ يَحْفَظُ فِي هِدَايَةِ الْأُمَّةِ حَقَّهُ وَيَرْعَى فِي الْبِدَايَةِ بِنَفْسِهِ زِمَامَهُ، وَوَطَّأَ صَدْرَ الْحَرَابِ الْمُنِيرِ لَمَنْ إِذَا أَمَّ الْأُمَّةَ أَرْتَهُ خَشْيَةُ اللَّهِ أَنْ وَجَّهَ اللَّهُ الْكَرِيمِ أَمَامَهُ .

تَحْمُودُ عَلَى مَا مَنَحَنَا مِنْ صَوْنِ صَهَوَاتِ الْمَنَاصِرِ إِلَّا عَنْ قُرْسَانِيَا، وَحَفَظِ دَرَجَاتِ الْعِلْمِ إِلَّا عَمَّنْ يَنْظُرُ بِأَنْسَانِ السُّنَّةِ وَيَنْطِقُ بِلِسَانِيَا . وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً لَا تَزَالُ أَقْوَاهُ الْحَاوِيَّةُ تُثَبِّتُ طُرُوسَهَا، وَأَنْوَاهُ الْمَنَاصِرُ تُثَبِّتُ غُرُوسَهَا، وَأَلْسِنَةُ الْإِخْلَاصِ تُتْلَى عَلَى الْمَسَامِيحِ مِنْ مُصْحَفِ الضَّمَاثِرِ دُرُوسَهَا . وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الَّذِي شَرَفَتِ الْمَنَاصِرُ أَوَّلًا بِرُقِيهِ إِلَيْهَا، وَآخِرًا بِذِكْرِ أَسْمِهِ الْكَرِيمِ عَلَيْهَا؛ فَهِيَ الرُّبُوبَةُ الَّتِي يَزِيدُ تَبَيُّرَةً عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ بَقَاؤُهَا، وَالْدَّرَجَةُ الَّتِي يَطُولُ إِلَّا عَلَى وَرَثَةِ عَلَيْهِ أَرْثَاؤُهَا؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ فَذَكَرُوهَا،

(١) أضفنا هذه الزيادة لأقتضاء الكلام لها .

(٢) أى ذلّ واقاد بعد صوبة .

وَبَصَّرَهُمْ بِآلَاءِ اللَّهِ فَشَكَرُوهَا ؛ وَعَرَّفَهُمْ بِمَوَاقِعِ وَحْدَانِيَّتِهِ بِخَدَالُوا بَسْئَتِهِ وَأَسْنَتِهِ الَّذِينَ
أَنْكَرُوهَا ، صَلَاةً لَا تَبْرَحُ لَهَا الْأَرْضُ مَسْجِدًا ، وَلَا يَزَالُ ذِكْرُهَا مُفِيدًا فِي الْآفَاقِ
وَمُسْتَجِدًا ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فإنه لما كانت الخطابة من أشهر شعائر الإسلام ، وأظهر شعار ملّة سيدنا
عدي عليه أفضل الصلاة والسلام ، شرعها الله تعالى لإذكّار خلقه بنعمه ، وتحذير مباديه
من قبحه ، وإعلام بريته بما أمّد لمن أطاعه في دار كرامته من أنواع كرمه ؛ وجعلها
من وظائف الأئمة العاتمة ، ومن قواعد ورثة النبوة التامة ؛ يَفْقُ المتلبّس بها مَرْقَفَ
الإبلاغ عن الله لعباده ، ويقوم التّاهض بفرضها مقام المؤدّي عن رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - إلى أمته عن مراد الله ورسوله دون مراده ، ويقبمها
في فروض الكفايات على سنن سبيله ^(١) ، ويستزل بها مواد الرحمة إنا ضنّ الغيث
على الأرض بويله ؛ وكان المسجد الجامع يلمشّق المحروسة هو الذي سارت بذكره
الأمثال ، وقيل هذا من أفراد النهر التي وضعت على غير مثال ؛ قد تمّين أن نرّاد
له بحكم حلوّه من الأئمة من هو مثله فرد الآفاق ، وواحد العصر عند الإطلاق ؛
وإمام علماء زمانه غير مدافع عن ذلك ، وملازمة أئمة أوانه الذي يضيء بنور
قناويه ليل الشك الحالك ؛ وناصر السنة الذي تلبّ علومه عنها ، وحارّو ذخائر
الفضائل التي تتبي على كثرة إلتفّاقه على الطلبة منها ؛ وشيخ الدنيا الذي يعقد على
فضله بالخصاص ، ورحلة الأقطار الذي غلت نِسْبَتُهُ إلى أنواع العلوم زائكة
الأحساب طاهرة الأواصر ؛ وزاهد الوقت الذي زان العلم بالعمل ، وناسك النهر
الذي صان الورع بامتداد الفضائل وقصر الأمل ؛ والعابد الذي أصبح حجة

(١) في الأصل "نبيه".

العارف وقُدوة السالك ، والصَّادِعُ بالحقِّ الذي لا يُبَالِي من أَغْضَبَ إذا رَضِيَ اللهُ
ورَسُولُهُ بذلك .

ولما كان فلانُ هو الذي خَطَبَتْهُ لهذه الخطابة علومُه التي لا تُسَامَى ولا تُسَامَ ،
وعَيْنَتْهُ لهذه الإمامة قَضَائِلُهُ التي حَسُنَتْ بها وجوهُ العلمِ الوسامُ ، حتَّى كَانَتْها في قِمِّ
الزَّينِ أنيسامُ ؛ وألْقَى إليه مقاليدَها كَمَالُهُ الذي صَدَّ عنها الخطأب ، وسَدَّ دُونَهَا أبوابَ
الخطأب ، وقيل : هذا الإمام الشافعيّ أَوَّلِيْ هذا المِثْبَرِ وأَحْرَى بهذا المِخْرَابِ -
أَقْضَتْ آراؤنا الشريفة أنْ نُحْمِلَ أَعْطَافَ هذا المِثْبَرِ بِفَضْلِهِ الذي يُعِيدُ عُدَّةَ رَطِيبَا ،
وَيُضْمَخُ طِيبًا مِنْهُ مَا ضَمَّ خَطِيبَا ؛ وَأَنْ نَصَدَّرَ بهذا المِخْرَابِ مَنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ لَدَى الْأَمَّةِ
مُنَاجٍ لِرَبِّهِ ، وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيِ مَنْ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ .

فلذلك رُسم ... - لا زال يُوَلَّى الرُّتَبَ الحسان ، وَيَجْرِي بِمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ مِنْ
الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ - أَنْ تَهْوِضَ إِلَيْهِ الخطابة والإمامة بِجَامِعِ دِمَشْقِ المَحْرُوسِ عَلَى
عَادَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ .

فَلْيَرْقَ هذه الرُّتَبَةُ التي أَمَّطَاهُ اللهُ ذُرْوَتَهَا ، وَأَعْطَاهُ الْفَضْلُ صَهْوَتَهَا ؛ وَعَيْنَهُ تَفَرَّدَهُ
بِالْفَضَائِلِ لِإِذْكَارِ الْأَمَّةِ عَلَيْهَا ، وَدَرَجَتِهِ لَهَا أَنْعَادُ الْإِجْمَاعِ عَلَى فَضْلِهِ حتَّى كَادَتْ
لِلشَّوْقِ أَنْ تَسْعَى إِلَيْهِ لَوْ لَمْ يَسْعَ إِلَيْهَا ؛ حتَّى تَمُتَّالَ مِنْهُ بِإِمَامٍ لَا تَعْلُو مَوَاعِظُهُ حَبَاتِ
الْقُلُوبِ ، لِأَنَّهُا تَخْرُجُ مِنْ مِثْلِهَا ، وَلَا تَدْعُ خُطْبُهُ أَثَرًا لِلذُّنُوبِ ، لِأَنَّهُا تَوَكَّلُ مَاءَ الْعُيُونِ
بِفَسْلِهَا ؛ وَلَا تُتْبِقُ نَصَائِحُهُ لِلدُّنْيَا عِنْدَ الْمُغْتَرِّبِهَا قَدْرًا ؛ لِأَنَّهُا تَبَصِّرُهُ بِخُدَاعِهَا ، وَلَا تتركُ
بَلَاغَتَهُ لِلْقَصْرِ عَنِ التَّوْبَةِ عُدْرًا ؛ فَإِنَّمَا تُحَدِّثُهُ مِنْ سُرْعَةِ زَوَالِ الْحَيَاةِ وَأَنْقِطَاعِهَا ؛ وَلَا
تَجْعَلُ فَوَائِدَهُ لَدَوَى النِّجْدَةِ وَالْبَاسِ أَلِفَاتًا إِلَى أَهْلِ وَلَا وَلَدٍ لِأَنَّهُا تَبْشُرُهُ بِمَا أَعَدَّ اللهُ

لمن خرج في سبيله، ولا تمكن زواجه من نشر الظلم أن يمد إليه يدا لأنها تحجر بما
في الإقدام على ذلك من إغضاب الله ورسوله .

فليطَّل - مع قصر الخطبة - للظالم مجال زجره، وليطبِّ قلب العالم العامل
بوصف ما أعدَّ الله له من أجره؛ وليجعل خطبه كل وقت مقصورة على حكمه،
مقصودة في وضوح المقاصد بين من ينهض بسرعة إدراكه أو يقعد به ببطء فهمه؛
غير الكلام مادلً ببلاغته وإن قل، وإذا كان قصر خطبة الرجل وطول صلاحه
مئة من فقهه فما قصر من حافظ على حكم السنة فيها ولا أخل .



[وهذه] نسخة توقيع بالخطابة بالجامع الأموي، كتبت به للقاضي «تقي الدين
السبكي» .

الحمد لله الذي جعل درجات العلماء آخذة في مزيد الرقي، وخص برفع
الدرجات من الأئمة الأعلام كل تقي، وألقى مقاليد الإمامة لمن يصون نفسه النفيسة
بالورع والتقوى، وأعاد إلى معارج الجلال، من لم يزل يختار حميد الجلال، وينتقي،
وأسدل جلباب السؤدد على من أعد للصلاة والصلوات من قلبه وتوحيده كل
طاهر تقي .

نحمده على أن أعلى علم الشرع الشريف وأقامه، وجعل كلمة التقوى باقية في أهل
العالم إلى يوم القيامة؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ^(١) عدل قيد
الفضل بالشكر وأدامه، وأيد النعمة بمزيد الحمد فلا غرو أن جمع بين الإمامة

(١) في الأصل «شهادة عدل فيها قيد الخ» وكتب على هامش «فيها» .

وَالرَّامَةَ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَعْلَى اللَّهُ بِهِ حَقِيْقَةُ مُرْتَلِ الْأَذَانِ
وَمُنْدِرِجِ الْأَقَامَةِ ، وَأَعْلَى بِرُكْنِهِ قِيَمَةٌ مَنْ تَمَسَّكَ بِسَبِيلِ الْمُهْدَى وَلَا زَمَ طَرِيقَ
الْاِسْتِقَامَةِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الَّذِينَ عَقَدُوا عُهُودَ هَذَا الدِّينِ وَحَفِظُوا نِظَامَهُ ،
وَعَلَى أَصْحَابِهِ الَّذِينَ مَامْنَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَقْدَى بِطَرِيقِهِ فَاهْتَدَى إِلَى طَرِيقِ الْكِرَامَةِ ، صَلَاةٌ
لَا تَزَالُ بَرَكَاتُهَا تُؤَيِّدُ حَقْدَ الْيَقِيْنِ وَتُدَيِّمُ نِيَامَهُ ؛ وَسَلَامٌ تَسْلِيًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ مِنْ شَيْمِ دَوْلَتِنَا الشَّرِيفَةِ أَنْ تَرْفَعَ كُلَّ حَالِي الْمِقْدَارِ مَكَانًا حَلِيًّا ،
وَتَجْعَلَ لَهُ مِنْ أَسْمِهِ وَصِفَتِهِ قَوْلًا مَسْمُوعًا وَفِعْلًا مَرْضِيًّا ، وَتُوَطِّدَ لَهُ رُتَبَ الْمَعَالِي
وَتَزِيدَ قَدْرَهُ فِيهَا رُقِيًّا ، وَتَكْمُلُوهُمْ مِنْ جِلْبَابِ السُّؤْدُدِ مِطْرَقًا مَبَارَكًا وَطِيًّا ، وَتُطْلِقَ
لِسَانَ إِمَامِهِ بِالْمَوَاعِظِ الَّتِي إِذَا تَعَقَّلَهَا أَوَّلُوا الْأَلْبَابَ خَرُوا لِعِلَاقَةِ رَبِّهِمْ مُجْبَدًا وَبُكِيًّا .

وَمَا كَانَ الْمَجْلِسُ الْعَالِيُّ هُوَ الَّذِي أَعَزَّ أَحْكَامَ الشَّرِيعَةِ الشَّرِيفَةِ وَشَادَهَا ،
وَأَبْدَى مِنْ أَلْفَاظِهِ الْمُبَارَكَةِ الْمَوَاعِظَ الرَّيَاسِيَّةَ وَأَعَادَهَا ؛ وَأَذَاعَ فِيهَا أَسْرَارَ الْيَقِيْنِ
وَزَادَهَا ، وَأَصْلَحَ فُسَادَهَا ، وَقَوْمَ مُنَادَهَا ؛ وَكَيْفَ لَا وَقَدْ جَمَعَ مِنَ السُّلُومِ أَشْنَاءًا ،
وَأَحْيَا مِنْ مَعَالِمِ النَّقْىِ رُفَاتًا ، وَأَوْصَحَ مِنْ صِفَاتِ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ بِهَدْيِهِ وَتَمَيَّنَتْ هَدْيًا
وَسَمَاءًا ، فَلِذَلِكَ خَرَجَ الْأَمْرُ الشَّرِيفُ الصَّالِحِي الْعَمَادِي



قُلْتُ : وَهَذِهِ نَسْخَةُ تَوْقِيعِ بَحْطَابَتِهِ أَيْضًا ، أَتَشَافُهُ لِلشَّيْخِ « شِهَابِ الدِّينِ
أَبْنِ حَاجِي » :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْلَعَ شِهَابَ الْقَضَائِلِ فِي سَمَاءِ مَعَالِيهَا ، وَزَيَّنَ صَهَوَاتِ الْمَنَازِرِ بِمِنْ
قُرَّتْ عُيُونُهَا مِنْ وَلَايَتِهِ الْمُبَارَكَةِ بِتَوَالِيهَا ، وَجَمَّلَ أَعْوَادَهَا بِأَجَلِ حَبْرٍ لَوْ تَسْتَطِيعُ فَوْقَ

قدرتها لَسَعَتْ إِلَيْهِ وَفَارَقَتْ - خَرَقًا لَعَادَةً - مَبَانِيهَا، وَشَرَّفَ دَرَجَهَا بِأَكْمَلِ عَالَمٍ
مَا وَضَعَ بِأَسَافِلِهَا قَدَمًا إِلَّا وَحَسَنَتْهَا عَلَى السَّبْقِ إِلَى مَنْ قَدَمِهِ أَعَالِيهَا .

نحمده على أَنْ خَصَّ مَصَاقِعَ الْخُطْبَاءِ مِنْ فَضْلِ اللِّسَنِ بِالْبَاجِ الْمَدِيدِ، وَقَصَرَ الْجَمَائِعَ
الْأُمُومَى عَلَى أَنْ يُلَاحِظَ خَطِيبُ يَسِيبُ فِي تَطَلُّبِ مِثْلِهِ الْوَلِيدِ، وَأَفْرَدَ فَرِيدَ الدَّهْرِ بِاعْتِبَارِ
الْاِسْتِحْقَاقِ بِرُفَى دَرَجِ مَنْبَرِهِ السَّعِيدِ . وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
شَهَادَةً تَحْقُقُ عَلَى مَوَازِيحِ الصُّفُوفِ أَعْلَامُهَا ، وَتَتَوَفَّرُ مِنْ تَذْكِيرِ آلاءِ اللَّهِ تَعَالَى
أَقْسَامُهَا ، وَلَا تُقْصَرُ عَنْ تَبْلِيغِ الْمَوَاطِظِ حَبَابِ الْقُلُوبِ أَفْهَامُهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا
عَمْدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ أَفْضَلُ نَبِيِّ نَبَةِ الْقُلُوبِ الْغَافِلَةِ مِنْ سِنَانِيهَا ، وَأَيُّقُظُ الْخَوَاطِرَ النَّائِمَةَ
مِنْ مُبَانِيهَا ، وَأَحْيَا رَيْمَ الْأَفْتِدَةِ بِقَوَارِعِ الْمَوَاطِظِ بَعْدَ مَمَاتِهَا ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ الَّذِينَ عَلَا مَقَامُهُمْ ، فَفَاتَتْ أَعْقَابُهُمُ الرُّعُوسُ ، وَرُقِفَتْ فِي الْجَمَائِعِ رُبُوبُهُمْ ،
فَكَانَتْ مِثْلُهُمْ مِثْلَةُ الرَّيْسِ مِنَ الْمَرْبُوسِ ؛ صَلَاةٌ لَا تَزَالُ الْأَرْضُ لَهَا مَسْجِدًا ،
وَلَا يَبْرَحُ مُفْتَرِقُ الْمَنَازِرِ بِاخْتِرَاقِ الْأَفَاقِ لِاجْتِمَاعِهَا مَوْرِدًا .

وبعد، فَإِنَّ أَوَّلَى مَا صُرِفَتِ الْعَنَاءُ إِلَيْهِ، وَوَقَعَ الْاِقْتِصَارُ مِنْ أَمْرِ الْمُهَيَّمَاتِ عَلَيْهِ -
أَمْرُ الْمَسَاجِدِ الَّتِي أَقِيمَ بِهَا لِلدِّينِ الْحَنِيفِ رُتْبُهُ، وَبُيُوتِ الْعِبَادَاتِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى
أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ ؛ لَا سِيَّمَا الْجَوَامِعِ الَّتِي هِيَ مِنْهَا بِمِثْلَةِ الْمُلُوكِ مِنَ الرِّعْيَةِ،
وَأُمَائِلِ الْأَعْيَانِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْبَرِيَّةِ ؛ وَمَنْ أَعْظَمَهَا خَطَرًا، وَأَبْيَنُهَا فِي الْخَاسَنِ أَثَرًا،
وَأَسِيرُهَا فِي الْأَفَاقِ النَّائِيَةِ خَبَرًا ؛ بَعْدَ الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَيْهَا، وَيُؤَوَّلُ
فِي قَصْدِ الزِّيَارَةِ طَلِبًا - جَامِعُ دِمَشْقَ الَّذِي رَسَتْ فِي الصَّخْرِ قَوَاعِدُهُ، وَقَامَتْ عَلَى مَرَمِ
الْأَيَّامِ شَوَاهِدُهُ ؛ وَقَاوِمُ الْجَمِّ الْغَفِيرِ مِنَ الْجَوَامِعِ وَاحِدُهُ ؛ وَلَمْ تَزَلِ الْمُلُوكُ تَصْرِفُ الْعَنَاءَ
إِلَى إِقَامَةِ شَعَائِرِ وَطَائِفِهِ، وَتَقْتَصِرُ مِنْ أَهْلِ كُلِّ فَنٍّ عَلَى رِيسِ ذَلِكَ الْفَنِّ وَعَارِفِهِ ؛

فما شَفَرَتْ به وَظِيفَةً إِلَّا آخْتَارُوا لها الْأَعْلَى وَالْأَرْفَعَ ، وَلَا وَقَعَ التَّرَدُّدُ فِيهَا بَيْنَ
 اثْنَيْنِ إِلَّا تَقَبَّلُوا مِنْهَا الْأَعْلَمَ وَالْأَوْرَعَ ، خُصُوصًا وَظِيفَةَ الْخُطَابَةِ الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْقِيَامِ بِهَا مُتَّصِدًا ، وَعَلِمَ الْخُلَفَاءُ مَقَامَ شَرَفِهَا بَعْدُ فَبَاشَرُوهَا
 بِأَنْفُسِهِمْ تَأْسِيًا .

وَلَا كَانَ الْمَجْلِسُ الْعَالِي ، الْقَاضِي ، الشَّيْخِي ، الْكَبِيرِي ، الْعَالَمِي ، الْقَاضِي ،
 الْأَوْحَدِي ، الْأَكْبَلِي ، الرَّئِيسِي ، الْمُفَوَّحِي ، الْبَلِيغِي ، الْفَرِيدِي ، الْمُفِيدِي ،
 الْبَحِيدِي ، الْقُدْرِي ، الْمُجْتَبَى ، الْمُحَقَّقِي ، الْوَرَعِي ، الْخَاشِعِي ، النَّاسِكِي ، الْإِمَامِي ،
 الْعَلَامِي ، الْأَيْمُنِي ، الْعَرِيقِي ، الْأَصِيلِي ، الْحَاسِنِي ، الْخَطِيبِي ، الشَّهَائِي : جَمَالَ
 الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ ، شَرَفَ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ ، أَوْحَدَ الْفَضْلَاءِ الْمُفِيدِينَ ، قُدْوَةَ الْبُلَغَاءِ
 الْمُجْتَهِدِينَ ، حُجَّةَ الْأُمَّةِ ، مُحَمَّدَ الْمُحَدِّثِينَ ، نَحْوَ الْمُدَرِّسِينَ ، مُفْتِي الْمَسَامِينِ ، مُعِزَّ السَّنَةِ ،
 قَامِعَ الْبِدْعَةِ ، مُؤَيِّدَ الْمِلَّةِ ، شَمْسَ الشَّرِيعَةِ ، حُجَّةَ الْمُتَكَلِّمِينَ ، لِسَانَ الْمُنَاطِرِينَ ،
 بَرَكَةَ الدَّوْلَةِ ، خَطِيبَ الْخُطَبَاءِ ، مُذَكِّرَ الْقُلُوبِ ، مُنَبِّهَ الْخَوَاطِرِ ، قُدْوَةَ الْمُلُوكِ
 وَالسَّلَاطِينِ ، وَلَوْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ « أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَد » أَذَامَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ : هُوَ
 الَّذِي خَطَبَتْهُ هَذِهِ الْخُطَابَةُ لِنَفْسِهَا ، وَصَلَتْ أَنَّهُ الْكَفَى الْكَامِلُ فَلَيْسَتْ بِهِ فِي يَوْمِهَا
 مَا كَانَ مِنْ مَصَافِيحِ الْخُطَبَاءِ فِي أَمْسِهَا ؛ إِذْ هُوَ الْإِمَامُ ، الَّذِي لَا تُسَامَى عُلُومُهُ وَلَا تُسَامَ ،
 وَالْعَلَامَةُ الَّذِي لَا تُدْرَكُ مَدَارِكُهُ وَلَا تُرَامُ ؛ وَالْخَبَرُ الَّذِي تُعَقَّدُ عَلَى فَضْلِهِ الْخُتَايِرُ ،
 وَالْعَالَمُ الَّذِي يَعْتَرَفُ بِالْقُصُورِ عَنْ مُجَارَاةِ جَيَادِهِ الْمُنَاطِرِ ؛ وَالْحَافِظُ الَّذِي قَامَ عُلَمَاءُ
 زَمَانِهِ بِلَا مُنَازِعَ ، وَعَلَامَةُ أُمَّةٍ أَوْكَنَةٍ مِنْ غَيْرِ مُدَافِعَ ؛ وَنَاصِرُ السُّنَّةِ الَّذِي يَذُبُّ بِعُلُومِهِ
 عَنْهَا ، وَجَامِعُ أَشْتَاتِ الْعُنُونِ الَّتِي يَفْتَنِسُ أَسَائِلُ الْعُلَمَاءِ مِنْهَا ، وَزَاهِدُ الْوَقْتِ الَّذِي
 زَانَ الْعِلْمَ بِالْعَمَلِ ، وَنَاسِكُ الدَّهْرِ الَّذِي قَصَرَ عَنْ مَبْلَغِ مَدَاهُ الْأَمَلِ ؛ وَرَحْلَةُ الْأَقْطَارِ
 الَّذِي تُسَدُّ إِلَيْهِ الرِّجَالُ ، وَعَالِمُ الْآفَاقِ الَّذِي لَمْ يَسْمَعْ الدَّهْرُ لَهُ بِمِثَالٍ - أَفْتَضَى

حسن الرأي الشريف أن ترفع من المنابر على درجتها ، وتقطع يرايينه من دلائل الإلباس الملبسة داحض مجبها ؛ وتقدم على غيره ممن رام إبرام الباطل فنقض ، وحاول رفع نفسه بغير أداة الرفع فنقض .

فلذلك رسم بالأمر الشريف العالي ، المولوى ، السلطانى ، الملكى ، المتصورى ، المعزى - لا زال يرفع لأهل العلم راسا ، ويحقق للنوى الجهل من بلوغ الكراتب السيئة ياسا - أن يفوض إلى المجلس العالى المشار إليه خطابة الجامع المذكور بافراده ، على أتم القواعد وأكملها ، وأحسن العوائد وأجملها .

فليرق منبه الذى عاقب فيه رايحه الطالع أعزل غيره الغارب ، وليستبذ ذروة منامه الأرفع من غير شريك له ولا حاجب ؛ وليقصد بمواعظه حبات القلوب ، ويرشق شهاب قراطيسها المانعة فإنها الفرض المطلوب ؛ وليأت من زواجر وعظه بما يلهب مذهب الأمثال السائرة ، ويرسلها من صميم قلبه العامر فإن الوعظ لا يظهر أثره إلا من القلوب العامرة ؛ ويقابل كل قوم من التذكير بما يناسب أحوالهم على أكل سنن ، ويخص كلا من أزمان السنة بما يوافق ذلك الزمن ؛ والوصايا كثيرة وإنما تهذيب العلم يغني عنها ، وتأديب الشريعة يغني مع القدر اليسير منها ؛ وتقوى الله تعالى ملاك الأمور وعنده منها التقدر الكافى ، والخاصل الوافى ؛ والله تعالى يرقبه إلى أرفع الدرى ، ويرفع على الجوزاء مجلسه العالى : « وإنا لترجو فوق ذلك مظهرا » .



الوظيفة السادسة — التدريس الجكار بدمشق المحروسة .

وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة الرنمانية ، كُتِبَ به لقاضي القضاة «عماد الدين الطرسوسى» الحنفى ، عوضا عن جلال الدين الرازى . كُتِبَ بسؤال بعض كُتَّاب الإنشاء ، وهى :

الحمد لله الذى جعل عماد الدين عليا ، وأحكم مبانى من حكم فلم يدع عصيا ، وقضى فى سابق قضائه لإمضاء قضائه أن لا يبقى عتيا .

نحمده على ما وهب به من أوقات الذكر بكرة وعشيا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُنبئ بالعلم بوحدانيته من كان غيبا ، وتُكثِّم لمقاتل سيوف العلماء من كان غويا ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى كان عند ربه رضىا ، وعلى ذبه عما شرع من الدين مرضيا ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا يزال فضل قديمها مثل حديثها مرويا ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فلما كانت رتب العلم هى التى يُنافَس عليها ، ويُتَطاوَل إلى التنقل إليها ، ويُختار منها ما كُمى بمباشرة المتقدم ملايس الجلال ، وأن له أن ينتقل إليه البدر بعد الهلال ؛ وكانت المدرسة الرنمانية بمحروسة دمشق هى رنانة المجالس ، وروضة العلم الزاكية المغارس ؛ وبحر الفوائد الذى يُخرج الفرائد ، ومشرح العلماء الذى قد آن أن يظفر به منهم من الآلف زائد .

ولما توفى من آلت إليه ، وعالت مسألتها إلا عليه ؛ وكان ممن قد ولى الأحكام استقلا ، وكان لبصر الدنيا جلاء وللدين جلا ؛ لم تكن إلا لمن يُسمى به ذلك

الذاهب ، وينسب إليه علم مذهبه كله وإن كان لا يقتصر به على بعض المذاهب ؛
 ويعرف من هو وإن لم يصرح باسمه ، ويعرف من هو وإن لم يذكر بعلاء قدره العلي
 وعليه ؛ ولا يمتري أنه خلف « أبا حنيفة » فيمن خلف ، وحصل على مثل ما حصل
 عليه القاضي « أبو يوسف » وذهب ذلك في السلف الأول مع من سلف ؛ وأعلم
 بجده أن « محمد بن الحسن » ليس من أقران أبي الحسن ، وأن « زفر » لم يرزق
 طبيب أنفاسه في براعة اللسن ؛ وأن « الطحاوي » ما طعنا به « قلب إلى الحسان
 طروب » و « القاضي خان » لديه منه الأنبوب ؛ وتلقب « شمس الأئمة » ما طلع
 علم أنه قد حان من شمس النهار غروب ، و « الرازي » ما جاء بيقن أنه يرويه
 عن علم الجيوب ، و « المرغيناني » مرس ولم يرغن له في مطلوب ؛ و « النجاشي » ما برز
 لطالب غله ، و « انلبازي » لم يوجد عنده ل طعام فضله ، و « المنذولاني » ما أجدي
 في جلال الحدال ولا هن فصله ؛ ولم يزل يشار إليه والتقليد الشريف له بالحكم
 المطلق بما تضمنته من محاسن أوصافه شاهد ، ودست الحكم على كيوان شائد ؛
 ومدارس العلم تميز من حبه ، ما حنيت عليه من محاريها الأضالع ، ومجالس القضاء
 تظهر بقره ، ما لم يكن تكادى إليه المواضع .

وكان الجناح الكريم ، العالي ، القضائي ، الأجل ، الإمامي ، الصندي ، العالمي ،
 العالمي ، العلوي ، الكامل ، القاضي ، الأوحدي ، المفيد ، الودعي ، الحاشي ،
 العمادي ؛ ضياء الإسلام ، شرف الأنام ، صدر الشام ، أمير الإمام ، سيد العلماء
 والحكام ؛ رئيس الأصحاب ، ميز السنة ، مؤيد الملة ، جلال الأئمة ؛ حكم الملوك
 والسلاطين ، خالصة أمير المؤمنين ، أبو الحسن علي بن الطرسوسي الحنفي ، قاضي

(١) كذا في الأصل ولعله من زيادة قلم النسخ .
 (٢) يرويه بسأله ويخبره . يريد
 (٣) من أرض له في كذا . أطلعه فيه .

القَضَاءُ بِالشَّامِ - نشر مَلَاءَ مَنَهِ، وَحَلَّى بِجُلُوسِهِ لِحَكْمِ طَرَفِي النَّهَارِ إِضَاءَةً مُقْضِيَةً وَتَوْشِيحَ مُنْهَبِهِ، طَالَمَا سَاسَ الرِّعْيَةَ بِحُكْمِهِ، وَسَادَ نَظْرَاءَهُ فِي مَعْرِفَةِ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ بِعِلْمِهِ وَحُكْمِهِ، وَسَارَ مِثْلَ فَضْلِهِ فِي الْأَقْطَارِ وَضَوْءُ الشَّمْسِ مَرْدُّ شُعَاعِهِ، فَطَالَ إِلَى السَّمَاءِ وَقَصُرَ الْأَفَقُ الْمُنْتَدِ عَلَى طُولِ بَاعِهِ، وَقَاضَ فَيْضَ النِّهَامِ وَمَا أَكْثَلَ الْبَحْرُ بِكَيْلِهِ وَلَا صَارَ مِثْلَ صَاعِهِ؛ وَغَرَضَتِ عَلَيْهِ هَذِهِ الْمَدْرَسَةُ الَّتِي لَمْ يَكُنْ لغيرِهِ أَنْ يَحْيِيَ رِيحَاتَهَا، وَلَا أَنْ تَوْدِيَ إِلَى يَدِ سِوَاهُ فَيُودِعَ أَمَاتَهَا، فَأَثَرَهَا عَلَى أَنَّهُ تَرَكَ الْمَدْرَسَةَ الْمُتَقَدِّمَةَ لَهَا دَرَسَهَا، الْمُعْظَمَ بِهِ فِي كُلِّ حِينٍ غَرَسَهَا؛ لِيُوسِّعَ بِهَا عَلَى الطَّالِبِ مَنَهِ، وَيُفَرِّغَ لَهَا سَاعَةً مِنْ أَوْقَاتِهِ الْمُتَنَبِّهَةِ، وَيَهَبَ [لَهَا] مِنْ حَقِّهِ الَّذِي هُوَ فِي يَدِهِ مَا لَوْ شَاءَ مَا وَهَبَهُ .

فَرُسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ يُقَرِّبُ الْآمَادَ، وَيَرْضَى الْقَوْمَ وَأَقْضَاهُمْ عَلَى وَأَثْبَتَهُمْ طَوْدًا عَامِدًا - أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ تَدْرِيسُ الْمَدْرَسَةِ الرِّيحَانِيَّةِ الْمَعِينَةِ أَعْلَاهُ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ وَقَاعِدَتِهِ إِلَى آخِرِ وَقْتِ؛ بِحَكْمِ تَرْكِهِ لِلتَّقَدِّمَةِ لِيَهَبَ عَلَيْهِ رَوْحَهَا وَتَهَبَ لَهُ السَّعَادَةُ رِيحَهَا؛ وَلَهَا مِنَ الْبُشْرَى بِعِلْمِهِ مَا تَمَيَّسُ بِهِ رِيحَانَتُهُ رِيحَهَا سُورًا، وَنَمِيدُ وَقَدْ أَكُنْتُ جَبَلًا مِنَ الْعِلْمِ وَقُورًا؛ وَتَمَتَّدَ وَقَدْ نَالَتْ فِي مِسْكَةِ اللَّيْلِ عَيْرًا، وَفِي أَحْقَوَانَةِ الصَّبَاحِ كَأَقُورًا؛ وَمَا نُوصِي مِثْلَهُ - أَجَلُ اللَّهِ قُدْرَهُ - بِوَصِيَّةٍ إِلَّا وَهُوَ بِعِلْمِهَا، وَيُلَقِّنُهَا مِنْ حِفْظِهِ وَيُعَلِّمُهَا؛ وَمَنْ فَضَّلَ قَضَائَهُ تَوَخَّذَ الْأَدَابَ، وَتَفَقَّدَ سِهَامَ الْأَرَاءِ وَالْأَرَابِ . وَتَقَوَّى اللَّهُ بِهَا بَاطِنُهُ مَعْمُورٌ، وَكُلُّ أَحَدٍ بِهَا مَأْمُورٌ؛ وَمَا نَذَرَ كَرِهَ بِهَا إِلَّا عَلَى سَبِيلِ التَّبَرُّكِ بِذِكْرِهَا، وَالتَّمَسُّكِ بِأَمْرِهَا . وَالْفُقَهَاءُ وَالْمُتَفَقِّهَةُ هُمْ جُنْدُهُ، وَبِهِمْ يَمِيدُ جِنْدُهُ، [فَلْيَجْعَلُهُمْ لَهُ فِي الْمَشْكَلَاتِ عُنْدَهُ، وَلِيَصْرِفَ فِي] الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ جُهْدَهُ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُبَيِّنُهُ عَلَى مَا وَدَّى، وَيُعَيِّنُهُ لِكُلِّ عِلَاءٍ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَحُلَّهَا إِلَّا عَلَى وَسَبِيلِ كُلِّ وَاقِفٍ عَلَيْهِ الْعَمَلُ بِهِ بَعْدَ انْخِلَاطِ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ .



الوظيفة السابعة — التصاديридَمْشَقَ المحروسة .

وهذه نسخة توقيع أنشأته لغاضى القضاة «بدر الدين محمد» ابن قاضى القضاة بهاء الدين أبى البقاء، وولده جلال الدين محمد، بإعادة تصديرين كانا باسمهما، بالجامع الأموى يِدَمْشَقَ : أحدهما أنتقل إليهما عن سلفيهما، والثانى بَنُزول، وخرج عنهما عند استيلاء «تم» نائب الشام على الشام فى سنة اثنتين وثمانمائة، ثم أعيد إليهما فى سؤال من السنة المذكورة، فى قطع الثلث، وهى :

الحمد لله الذى جعل بدر الدين فى أيامنا الزاهرة متواصل رتب الكمال، مقربنا فى فلك المعالي بأكرم مساج بين بهاء وجمال، مُنزها عن شوائب النقص فى جميع حالاته : فإما مُرْتَهَب الظهور فى مِبراره، أو مُتَمِّمُ بالشام فى إِبْداره، أو آخِذٌ فى الأزدباد وهو هلال .

محمد على أن أقر الحقوق فى أهلها، وأترع من الأيدى الفاصبة ما أقتطعته الأيام الجائرة يجهلها، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تقي قائلها من شوائب التكدير، وتصور مُستحلها من عوارض الإصدار إذا ورد أصغى مناهل التصدير، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أفضل نبي أقتضت أمته آثاره وأتبعته سنته، وأكرم رسول دعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أئمة الحق وأعلام الهدى، وحماة الدين وكفأة الردى، صلاة يبق على مدى الأيام حكمها، ولا يتدنس على ممر الليالى رسمها، وسلم تسليم كثيرا .

وبعد، فإن أولى من رُعيَت له الحقوق القديمة، وحُفِظَت له مساعيه الكريمة، وخُلِدَت عليه النعم الى حق لها أن تكون بأهلها مُقيمه، من كرم أصلا وطاب

قرعاً ، وزكاً منبهاً وعذب نبعا ، ووقع الإجماع على فضله المتواتر فأعني الحكم بتفضيله قطعاً ، ومن إذا تكلم فاق بفضلته أثر الآلي ، وإذا قدر قدره انحطت عن بلوغ غايته المعالي ، وإذا طلع بدره المضيء من أفق مجلسه الموروث عن أبيه وأعمامه قال : لَيْتَ أَشْيَاخِي شَهِدُوا هَذَا الْمَجْلِسَ الْعَالِي ؛ وَمَنْ إِذَا جَلَسَ بِمَجْلَعَتِهِ الْبَيْتَ غَشِيَتْهُ مِنَ الْحَيَاةِ جَلَالُهُ ، وَإِذَا أَطَافَتْ بِهِ هَالَةُ الطُّلُبَةِ وَالْمُسْتَفِيدِينَ قِيلَ : مَا أَحْسَنَ هَذَا الْبَدْرَ فِي هَذِهِ الْمَهَالَةِ ! ، وَمَنْ تَلَيْتُهُ طَلَبْتُهُ عَلَى أَكْبَرِ الْعُلَمَاءِ بِالْإِتِّمَاءِ إِلَيْهِ ، وَتَسْمَعُ نُفُوسٌ تَلَامِدَتِهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْمُتَصَدِّقِينَ بِالْجُلُوسِ بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ وَمَنْ إِذَا أَقَامَ بِمِصْرَ طَلَعَ بِالشَّامِ بَدْرُهُ ، وَلَوْ أَقَامَ بِالشَّامِ بَقِيَ بِمِصْرَ عَلَى الدَّوَامِ ذِكْرُهُ .

وكان المجلس العالي ، القاضوي ، الكبير ، العالي ، العاللي ، الأفضلي ، الأكمل ، الأوحدي ، اليليني ، الفردي ، المفيد ، العجيد ، القدوي ، الحجي ، المحقق ، الإمامي ، الأصلي ، البدري ، جمال الإسلام والمسلمين ، شرف العلماء العاملين ، أَوَحَدُ الْفَضْلَاءِ الْمُفِيدِينَ ، قُوَّةُ الْبُلْغَاءِ ، حُجَّةُ الْأَدَبِ ، عُمْدَةُ الْمُحَدِّثِينَ ، نَفَرُ الْمُرْتَمِينَ ، مُفْتِي الْفِرَقِ ، أَوَحَدُ الْأَئِمَّةِ ، زَيْنُ الْأُمَّةِ ، خَالِصَةُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ ، وَلِيُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، مُحَمَّدُ بْنُ الْمَجْلِسِ الْعَالِي ، الْقَاضِي ، الْكَبِيرِ ، الْمُرْجُومِ ، الْبَهَائِيِّ ، أَبِي الْبَقَاءِ الشَّافِعِيِّ ، السُّبْكِيُّ ، ضَاعَفَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ : هُوَ مِنْ أَجْمَانِ الزَّمَانِ ، وَالْمَحَدَّثُ بِفَضْلِهِ عَلَى سَمَرِ الْيَالِي وَلَيْسَ الْخَبْرُ كَالْعَيَانِ ؛ مَا وَلِيَ مَتَصَبِّاً مِنَ الْمَنَاصِبِ الدِّيْنِيَّةِ إِلَّا كَانَ لَهُ أَهْلًا ، وَلَا أَرَادَ الْإِنْصِرَافَ مِنْ مَجْلِسٍ عِلْمٍ إِلَّا قَالَ لَهُ مَهْلًا ؛ وَلَا أَسْتَبْدِلَ بِهِ فِي وَظِيفَةٍ إِلَّا نُسِبَ مُسْتَبَدُّهُ إِلَى الْحَيْفِ ، وَلَا صُرِفَ عَنْ وِلَايَةٍ إِلَّا قَالَ أَسْتَخَفَّاهُ : كَيْفَ سَاغَ ذَلِكَ لِمُعَاظِمِهِ فَكَيْفَ وَكَيْفَ .

وكان ولده المجلس السامى، القضاى، الكيرى، العالمى، الفاضلى، الكامل،
البارى، الأصلى، العريق، الجلالى، ضياء الإسلام، نحر الأنام، زين الصدور،
جمال الأعيان، تجل الأفاضل، سليل العلماء، صفوة الملوك والسلاطين، خالصة
أمير المؤمنين، أبو محمد بلغ الله تعالى فيه [عارفيه] غاية الأمل، وأقر به
عين الزمان كما أقر به عين أبيه وقد فعل؛ قد أرضع ليان العلم وربى في حجره، ونشأ
في بيته ودرج من وكفه؛ وكل له مؤدد الطرفين : أباً وأماً، وحصل على شرف
المختدين : خالاً وعماً؛ لم يقع عليه بصر متبصر إلا قال : نيم الولد، ولا تأمله صحيح
النظر إلا قال : هذا الشبل من ذاك الأسد؛ ولا رمى والده إلى غاية إلا أذرتكها،
لا أحاط به منطقة طلبية إلا هزها للبحث وحركها؛ ولا أقتى أثر أبيه وجده
، مهيج فضيل إلا قال قائله : أكرم بها من ذرية ما أبركها ! .

اتفق أن خرج عنهما ما كان باسمهما من وظيفتى التصدير بالجمايع الأموى
لعمور بذكر الله تعالى بلمسقى المحروسة : المتقلة إحداهما إليهما عن سلفيهما
لصالح قديما، والصابرة الأخرى إليهما بطريق شرعى معتبر وضعا وتاييد حكما -
أنتهى حسن رأى الشريف أن يحفظ لها سالف الخلد، ويرعى لها قديم الولد
العبرة فى التقديم عند الملوك بالقدمه .

فلذلك رسم بالأمر الشرف - لا زال لندوى البيوت حافظا، وعلى الإحسان
لأهل العلم الشريف على ممر الزمان محافظا - أن يعاد ذلك إليهما، ويؤالى مزيد
الإحسان عليهما؛ فليتقبيا ذلك بالقبول، ويسطيا بالقول ألسنتهما فن شمله إنعامنا
الشريف حق له أن يقول ويطول؛ وملاك أمرهما التقوى فهى خير زاد، والوصايا

وإن كَثُرَتْ فَنَهْمَا تَوْخِذَ وَمِنْهُمَا تُسْتَفَادُ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُقَرِّهُمَا بِهَذَا الْاِسْتِقْرَارِ عَيْنًا،
وَيُبَيِّحُ خَوَاطِرَهُمَا بِهَذِهِ الْوِلَايَةِ إِبْهَاجَ مِنْ وَجَدَ ضَائِقَةً فَقَالَ : (هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ
إِلَيْنَا) . وَالْاِعْتِمَادُ فِي ذَلِكَ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ ، مُجَبَّةٌ بِمُقْتَضَاهُ ؛
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الوظيفة الثامنة — النَّظَرُ .

وهذه نسخة تَوْقِيعَ بِنَظَرِ الْبَيَارِسْتَانِ النُّورِيِّ ، كُتِبَ بِهَا لِمَنْ لَقِبَهُ « شِهَابُ الدِّينِ »
وهي :

رِسْمَ - لَا زَالَ يُطْلَعُ فِي سَمَاءِ الْمَنَاصِبِ السَّيِّئَةِ مِنْ ذَوِي الْأَصَالَةِ وَالْكَفَايَةِ
شِهَابًا ، وَيُوزَعُ الْمُسْتَحِقِّينَ بِجِهَاتِ الْبِرِّ شُكْرَهُ إِذْ اخْتَارَ لَهُمْ مِنْ أَهْلِ النَّهْضَةِ مَنْ ارْتَدَى
الْعَفَافَ جِلْبَابًا ، وَيُودِعُ صَحَافِ الْأَيَّامِ ذِكْرَهُ الْجَمِيلَ حِينَ أَحْيَا قُرْبَاتِ الْمُلُوكِ
السَّالِفِينَ بِاتِّخَابِ مَنْ يُجَسِّدُ لَهُمْ بِحُسْنِ الْمُبَاشَرَةِ تَوَابًا - أَنَّ يُجَمَّلَ « مَجْلِسُ الْأَمِيرِ »
قُلَانِ : أَعَزَّهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيمَا هُوَ بِيَدِهِ مِنْ نَظَرِ الْبَيَارِسْتَانِ النُّورِيِّ بِدِمَشْقَ الْمَحْرُوسَةِ .
عَلَى حُكْمِ التَّوْقِيعِ الْكَرِيمِ وَالْوِلَايَةِ الشَّرْعِيَةِ الَّتِي بِيَدِهِ ، وَاسْتِقْرَارِهِ فِي ذَلِكَ بِمُقْتَضَاهُ .
اِسْتِقْرَارًا يَسُطُّ فِي هَذَا الْمَنْصِبِ يَدَهُ وَلِسَانَهُ ، وَيُظْهِرُ شِهَابَ عَدْلِهِ الَّذِي يُحْرِقُ مِنْ
الْجَوْرِ شَيْطَانَهُ ؛ وَيُزِيلُ مِنْ مُبَاشَرَتِهِ مَا عُرِفَ جَوْهَرُهُ بِحُسْنِ الْاِئْتِقَاءِ وَإِبْرَارِهِ بِحُسْنِ
الْاِئْتِقَادِ ، وَمَنْ تَأْتِيهِ مَا يُبَلِّغُ بِهِ الْاَنْفُسَ الْمُرَادَ بِأَوْسَعِ مَرَادٍ ؛ وَيُسَدِّى مِنْ تَدْيِيرِهِ ،
مَا يَنْتِجُ تَمْيِيزَ الْوَقْفِ وَتَهْمِيرِهِ .

فَلْيَبَاشِرْ ذَلِكَ عَلَى عَادَةِ مُبَاشَرَتِهِ الْحَسَنَةِ ، وَلْيَسَلِّكْ فِيهَا مَا عُمِدَ مِنْ طَرِيقَتِهِ
الْمُسْتَحْسَنَةِ ؛ مُحْصِلًا مِنَ الْمَفْرَدَاتِ مَا يَصْرِفُهَا مُسْتَحَقَّهَا وَقْتَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا ، مُتَابِرًا

على حُسن مُعالجة المَضْرُور الذى لا تَقْدِرُ يَدُهُ من العَجْزِ طَليها ؛ مُوَاصِلًا فَعَلَ الخَيْرَ
بِاستمرارِ صدقاتِ الواقِفِ يُشَارِكُهُ فى الأَجْرِ والثَّوَابِ ، مُسْتَجِيبًا لَهُ من الدُّعَاءِ وَلَمَّا
بِمُشارَكتهِ فى الأَمْرِ بِالْعَمَلِ بُسْتُهُ إِلَى يَوْمِ الْمَأْكَبِ ، ضَاطِعًا أَمْوَالَ هَذِهِ الْجِهَةِ بِتَحْرِيرِ
الأَصُولِ وَالْمَطْلُوقِ وَالْحِسَابِ وَالْحُسَابِ ؛ مُتَقَدِّمًا إِلَى الخِدَامِ وَالْقَوَمَةِ بِحَسَنِ الخِدْمَةِ
لِلْعَاجِزِ وَالضَّعِيفِ ، مُؤَكِّدًا عَلَيْهِمْ فى أَخْذِهِمْ بِالْقَوْلِ الَّذِي دُونَ الْكَلَامِ الْعَنِيفِ ؛
مُتَلَزِمًا لَهُمْ بِمُجُودَةِ الخِدْمَةِ لَيْلًا وَنَهَارًا ، مُؤَاخِذًا لَهُمْ بِمَا يُجِلُّونَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ إِهْمَالًا
وإِقْصَارًا ؛ مُتَقَدِّمًا إِلَى أَرْبَابِ وَطَائِفِ المَعَالِجَةِ بِبَدْلِ النَّصِيحَةِ ، وَاسْتِئْذَانِ الأَدْوَاءِ
الْمُسْقِمَةِ بِإِثْمَانِ الأَدْوِيَةِ الصَّحِيحَةِ ؛ وَلِيَتَقَدَّمَ الأَحْوَالُ بِنَفْسِهِ : لِيَعْلَمَ أَهْلُ الْمَكَانِ
أَنَّ وَرَاءَهُمْ مِنْ يِقَابِهِمْ عَلَى التَّقْصِيرِ ، وَلِيَبْدُلَ فى ذَلِكَ جُهِدَهُ فَإِنَّ الأَجْتَهِادَ الْقَلِيلَ
بُؤْثَرُ الخَيْرِ الْكَثِيرِ . وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَعِنْدَهُ مِنَ التَّأْدِيبِ بِالْعِلْمِ وَحُسْنِ الْمُبَاشَرَةِ مَا فِيهِ
كَفَايَةٌ ، وَفِي أَخْلَاقِهِ مِنْ جَمِيلِ المَآثِرِ وَمَا حَازَهُ فى الْبِدَايَةِ مَا يَنْفَعُهُ فى النِّهَايَةِ ؛ وَلَكِنْ
تَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هِيَ السَّبَبُ الأَمْوَى ، وَالْمَنْهَلُ الَّذِي مِنْ وَرَدِهِ يَرَوَى ؛ فليَجْعَلْهَا
لَهُ ذَخِيرَةً لِيَوْمِ المَعَادِ ، وَمَعْقِلًا عِنْدَ الخُطُوبِ الشَّدَادِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُسَلِّطُهُ مِنَ التَّوْفِيقِ
الْأَمَلِ وَالْمُرَادِ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! ، وَالْأَمْتَادُ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الصنف الثالث

(من تواقيع أرباب الوظائف بمحاضرة دِمَشْقَ - تَوَاقِيعُ أَرْبَابِ
الوظائف الدِّيَوَانِيَّةِ ، وفيها مرتبتان)

المرتبة الأولى

(ما يكتب في قطع النصف بـ «المجلس العالي» وهى على ضربين)

الضرب الأول^(١)

(تواقيع الوزارة بالملكة الشامية على ما استقر عليه الحال)
 فقد ذكر في " التعريف " أنه يكتب بالشام للصاحب [عز] الدين أبي يعلى
 « حمزة بن القلانسي » رحمه الله بـ «الجنتاب العالي» بـ جَلَالَةِ قَدْرِهِ ، وَسَائِقَةِ خِدْمَتِهِ ،
 وعناية من كتب له بذلك . لِيَكُنَّه لَمْ يُسَيِّئْ مَقْدَارَ قَطْعِ الْوَرَقِ لذلك . ولا ينبغي أنه
 كُتِبَ بِهِ فِي قَطْعِ الثَّلَاثِينَ ، على القاعدة في أنه يُكْتَبُ لِلْجَنَابِ فِي قَطْعِ الثَّلَاثِينَ . وقد ذُكِرَ
 بعد ذلك أَنَّ الَّذِي اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ الْحَالُ أَنَّهُ يَكْتُبُ لِلْوَزِيرِ بِالشَّامِ « المجلس العالي »
 بالدعاء ، كما كُتِبَ لِلصَّاحِبِ أَمِينِ الدِّينِ أَمِينِ الْمُلْكِ .
 [وفيه وظائف :

الوظيفة الأولى — ولاية تدبير الممالك الشامية]^(٢)

وهذه نسخة توقييع للصاحب « أَمِينِ الْمُلْكِ » المذكور بتدبير الممالك الشامية
 والخَوَاصِّ الشريفة والأوقاف المبرورة ، من إنشاء الصَّلاحِ الصَّفْدِيِّ ، وهى :

(١) لم يذكر الثاني .

(٢) يبايض بالأصل والصحيح من " التعريف " (ص ٧٥) .

(٣) زدنا ما بين القوسين لأقتضاء المقام وتيمم الكلام .

الحمد لله الذى جعل ولىَّ أَيْمَانِ الزَّاهِرَةِ، أَمِينًا، وَأَحْلَه من صَمَائِرِ الطَّاهِرَةِ، مَكَانًا
أَيْمًا تَوَجَّهَ وَجْهَهُ مَيْكِنًا، وَخَصَّهُ بِالْإِخْلَاصِ لِنُورِنَا الطَّاهِرَةِ، فَهُوَ قَيْنَا قَيْنًا، وَعَصَدَ
بِتَدْيِيرِهِ مَمَالِكَا الشَّرِيفَةِ فَكَانَ عَلَى نَيْلِ الْأَمَلِ الذِّى لَا يَمِينُ يَمِينًا، وَزَيْنَ بِهِ أَفَاقُ
الْمَعَالَى فَدَجَا أَمْرٌ إِلَّا كَانَ فِكْرُهُ فِيهِ صَحِيحًا مُبِينًا، وَبَعَلَ بِهِ الرُّتَبَ الْفَائِزَةَ فَكَمْ قَلَدَ
جِيَدَهَا عَقْدًا نَقِيسًا وَرَضَعَ تَاجَهَا دُرًّا يَمِينًا، وَأَعَانَهُ عَلَى مَا يَتَوَلَّاهُ فَهُوَ الْأَسَدُ الْأَسَدُ
الَّذِى آتَمَحَدُ الْأَقْلَامَ عَرِينًا .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِى خَصَّنَا بِوَلِيِّ تَجَمَّلَ بِهِ الدُّوَلُ، وَتَقَى الْمَالِكُ بِتَدْيِيرِهِ عَنِ
الْإِنْتِصَارِ وَالْخُلُوفِ، وَتَحَسَّدُ أَيْمَانَا الشَّرِيفَةَ [عَلَيْهِ] أَيَّامٌ مِنْ مَضَى مِنْ الدُّوَلِ الْأَوَّلِ .
وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةٌ تَسْتَعِطُّ بِهَا صَوْبُ الصَّوَابِ،
وَنَزَلُ مِنْهَا فِي تَوْبِ التَّوَابِ، وَنَعْتَدُ بِرَهَا وَاصِلًا لِيَوْمِ الْفَصْلِ وَالْمَأْبِ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ عَمْدًا
سَبَدَهُ الصَّادِقُ الْأَمِينُ، وَرَسُولُهُ الذِّى لَمْ يَكُنْ عَلَى الْغَيْبِ بَضِيئِينَ، وَحَبِيْبُهُ الذِّى فَضَّلَ
الْمَلَائِكَةَ الْمُقَرَّبِينَ، وَنَجَّيَهُ الذِّى أَسْرَى بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى
حُجَّةً عَلَى الْمُطْلَحِينَ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ صَحَّبُوا وَوَزَرُوا، وَأَبْلَوْا
حِزْبَهُ وَنَصَرُوا، وَعَدَلُوا فِيمَا نَهَوْا وَأَمَرُوا، صَلَاةً تَكُونُ لِمَنْ هَدَى إِذَا حُشِرُوا،
وَتَضُوعٌ لِمَنْ عَرَفَهُمْ فِي الْعُرْفِ وَتَطْيِبُ نَسْرَهُمْ إِذَا تُنِسِرُوا؛ وَمَسْلَمٌ نَسْلَاجًا كَثِيرًا
إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

«سد»، فَإِنْ أَشْرَفَ الْكَوَاكِبُ أَبْصَدَهَا دَارًا، وَأَجْلَهَا سُرَى وَأَقْلَبَهَا مِرَارًا،
وَأَعْلَمَهَا مَنَارًا، وَأَطْيَبَ الْجَنَاحَاتِ جَنَابًا مَا طَابَ أَرْجَا وَتِمَارًا، وَبُجِّرَ خِلَالَهُ كُلُّ نَهْرٍ
بِزَيْنِ حَصَاهُ حَالِيَةِ الْعَذَارَى، وَرُمِحَتْ مَمَاطِفُ غُصُونِهِ مُسْلَافُ النَّسِيمِ قَرَأَهَا
سُكَاكِي، وَمَدَّتْ ظِلَالُ الْغُصُونِ فَخَالَ أَنَّهَا عَلَى وَجَنَاتِ الْأَنْهَارِ تَبُّبٌ عِذَارًا .

وكانت يمشق المحروسة لها هذه الصفات ، وعلى صفاها تهب نسائم هذه
 السمات ، لم يتصف غيرها بهذه الصفه ، ولا اتفق أولوا الالباب إلا على تحاسنها
 المختلقة ، فهي البقعة التي يطرب لأوصاف جمالها الجناد ، والبلد الذي ذهب بعض
 المفسرين إلى أنها إرم ذات العماد ، وهي في الدنيا أتمودج الجنة التي وعد المستقون ،
 ومثال النعيم للذين عند ربهم يرزقون ، وهي زهرة ملكا ، ودره سلكا ، وقد حلت
 هذه الملة ممن يرأى تديرها ويحي حوزتها ويحاشيها من التدمير ويملا خزائنها
 خيرا يملأ ، إذا ملأنا ساحاتها خيلا ورجلا - تعين أن نكتب لها من جربناه بعدا
 وقربا ، وهز زناه متهقا وسللناه عضبا ، وخبأناه في خزائن فكرنا فكان أشرف مايدنر
 وأعز مايجي ، كم نهي في الأيام وأمر ، وكم شد أزرا لما وزر ، وكم غنيت به أيامنا
 عن الشمس وآليلنا عن القمر ، وكم رفعتا راية مجد تلقاها عرابه فضله يمين الظفر ،
 وكم علا ذرا رتب تمز على الكواكب الثابتة فضلا عن يتنقل في المباشرات من
 البشر ، وكم كانت الأموال جحادى وأعادها ربيما غرد به طائر الإقبال وصفر .

و [لما] كان [الصاحب أمين الملك] ^(١) هو معنى هذه الإشارة ، وشمس هذه الحالة
 وبدر هذه الدارة ، نزل من العلياء في الصميم ، ونفرتا بأفلامه التي هي شمر الرماح كما
 نفرت بقوسها نيم ، وحفظت الأموال في دقاته التي يوشىها فأوت إلى الكهف
 والرقيم ، وقال لسان قلبه : (اجعلني على نرائن الأرض إنني حفيظ عليم) وعيم
 الزمان أن يجي بمثله « إن الزمان بمنزلة لعيم » ونسب به أقوام فبانوا وبأدوا ، وقام
 منهم جباد العباد فلما قام عبد الله كأدوا - أردنا أن نتال الشام فضله كما نالت مصر
 فما تساهم فيه سواهما ، ولا يقول لسان الملك لغيره :

حلت بهذا حلة ثم حلة * بهذا فطاب الواديان كلاهما

(١) يخاص بالأصل والصحيح ما قدم .

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه تدبير الممالك الشريفة، ونظر الخواص الشريفة والأوقاف المبرورة على عادة من تقدمه في ذلك .

فليتلق هذه الولاية بالعزم الذي نعمه، والحزم الذي شاهدناه ونشهد، والتدبير الذي يعترف الصواب له ولا يحسد؛ حتى يثمر الأموال في أوراق الحساب، وتزيد ثمرها وتنبهوا فضوق الأمواج في البحار وتهوت القطر من السحاب؛ مع رفيق يكون في شدة، ولين يزيد مضاء حديثه، وعليل يصون مهلة مدته؛ والسند يثمر، والغدر يثمر، ولا يثمر؛ بحيث إن الحقوق تصل إلى أربابها، والمعالم تطلع بدور بدورها كاملة كل هلال على أخصائها؛ والرؤوم لا تزداد على الطائفة في بابها، والرياء يحنون ثمر العدل في أيامه متشابها؛ وإذا أنعمنا على بعض أوليائنا ينحل فلا يكدر وردها بأن تؤخر، وإذا استدعينا لأبوابنا بهم فليكن الإسراع إليه يوجب البرق المتألق في السحاب المسخر، فما أردناك إلا لأنك منهم نرج من مكانه، وشهم لا ينبي إلى الباطل حياته وعنايته، فاشكر هذه النعمة على متاعها، وشنف الأسماع بمدائحها؛ متحققا أن في الثقل، بلوغ العز والأمل، وأنه لو كان في شرف المأوى بلوغ مني «لم تبرج الشمس يوما دارة الحمل»؛ فاستصحب الفرح والجلد، بدل الفكر والجلد .

الوظيفة الثانية — كتابة السر بالشام .

ويعبر عنها بصحابة ديوان الإنشاء الشريف بلعشق . وشأنه هناك شأن كاتب السر بالأبواب السلطانية .

وهذه نسخة توقيع بصحابة ديوان الإنشاء بالشام، كتب بها لفتح الدين بن الشهيد، من إنشاء القاضي ناصر الدين بن النشائي، في مستهل ذي القعدة سنة أربع وستين وسبعمائة، وهي :

الحمد لله مجزئ المن والمنح، ومُرسل سحاب المطاء السمع، ومُعيل فكرنا الشريف
في انتخاب من أوري زند الخير بالقدح، ومُعيل السرين الأفاضل من صدر إلى
صدر يحمي بصون له السرح، ويُنفي مشهور أفاضله عن الشرح؛ ومُجمل بناء الدين،
بما سكن به من صميم الفضل المبين، وما أقترن بأبوابه من حركة الفتح.

نحمده على نعم عاترة النفع، ونشكره على منن عالية السفع. ونشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُجبي قائلها من حرّ الجحيم وتُهيئه شرّ شر ذلك
الفتح، وتُطّيب بها ألسنة الأقلام على منابر الأنايل فتُنشئ عندها من مطربات
الوزق على غصون الأوراق هديل الصّبح. ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي بلغ
الرسالة وأدى الأمانة وعامل الأمة بالنصح، وأزال عنهم التّرح وأمنه الله على أمرار
وحيه فكان أشرف أمين خصّه الله في مُحكم آياته بالمدح، وجعله أعظم من أمر
بالمعروف ونهى عن المنكر فلم تأخذه في الله لومة لائم ممن لحا ومن لم يلح؛ صلى الله
عليه وعلى آله وأصحابه أهل الوفاء والصفاء والصفاح والصفح، والذين جاهدوا في الله
حق جهاده بالنفس والمال والكبد والكدر؛ ورفعوا أعلامهم المظلة، ونصبوا
أقلامهم المعدلة، فكّم لهم في الشركين من حرايج لا تعرف الجرح، وذادوا عن حوزة
الدين، بإراقة دم الكفار المتمردين، فحسن منهم الذب والذبح؛ وكانوا قرسان
الكلام، وأسود الإقدام، الذين طامسا خسأت بهم كلاب الشرك فلم تطيق النبح؛
صلاة دائمة بآية الصّرح، ما أقترن النظر بالبح، وما هطل السحاب بالسح؛ وسلم
تسليما كثيرا.

وبعد، فإن أولى من خطبت المناصب العلية، محاسنه الجميلة الحلية، ورغبت
المراتب التي هي بالخير حريه، في جميل حاله التي هي بفقود المفائير حايه، وصحبت

سَحَابُ الإِقْبَالِ الْوَالِيَّةِ ، ذُبُولُ فَضَائِلِهِ الْفَاضِلَةِ ، وَكُنْسَبُ الْعُلُومِ الْفَرِيعَةِ وَالْأَصْلِيَّةِ ،
 مِنْ جَمَائِعِ فُنُونِهِ الَّتِي تُعْرِيبُ عَنْ أَنْوَاعِ الْفَوَائِدِ الْجُمْلِيَّةِ وَالْتَفْصِيلِيَّةِ . مِنْ شَهَدَتِ الْمَفَاخِرُ
 بَأَنَّهُ لَمْ يَزَلِ الشَّهِيدَ لَهَا وَأَبْنَى الشَّهِيدِ ، وَحُدَّتِ الْمَآثِرُ الَّتِي هُوَ الشَّهِيدُ بِهَا فَا عَلِمَا
 فِي جَمِيلِ الْأَدْوَاتِ مِنْ مَرِيدٍ ؛ وَتَشَيَّدَتْ مَبَانِي مَعَالِيهِ الَّتِي أَقْرَنَ بِأَبْ خَيْرِهَا مِنْهُ
 بِالْفَتْحِ الْمُبِينِ ، وَتَمَهَّدَتْ مَعَانِي أَمَالِيهِ بِالتَّخِيلِ اللَّطِيفِ وَاللَّفْظِ الْمَتِينِ ؛ وَتَعَدَّدَتْ
 أَوْصَافُ شَيْمِهِ فِيهِ لِحَاسِنِ النُّعْرِ تَرِيدُ وَتَرَيْنِ ، وَغَدَا مِنْ الْكَاتِبِينَ الْكَرَامِ وَالْكَرَامِ
 الْكَاتِبِينَ ؛ الَّذِينَ تَضَحُّ بِأَطْلَاعِهِمْ مَرَاصِدُ الْمَقَاصِدِ وَتَبِينُ . طَالَمَا أَسْقَى عِنْدُ نَظْمِهِ
 الْمَتِينَ ، وَبَسَقَ غُصْنُ قَلَمِهِ الْمُثْمِرَ بِالذِّينِ ، وَأَضَافَ إِلَى أَدَبِ الْكُتُبِ حِلْيَةَ الْعُلَمَاءِ
 الْمُتَّقِينَ ، وَارْتَقَبَ أَعْمَالِ الْجَمِيلِ الَّتِي أَسْتَوْجِبُ بِهَا حُسْنَ التَّرَقُّى إِلَى أَعْلَى دَرَجَاتِ
 الْمُتَّقِينَ ، وَقَدْ أَجَادَ الطُّرُوسُ جَوَاهِرَ أَلْفَاظِهِ الَّتِي تَفُوقُ الْجَوْهَرَ عَنْ يَمِينِ ؛ فِيهِ
 بُنْصَارُ خَطِّهِ مَصُوغَةٌ أَهْجَ صَيَافِهِ ، وَفِي طَرِيقِ الْإِنْشَاءِ سَالِكَةٌ نَهْجَ الْبَلَاغَةِ ، وَكَلَامُ
 بِحَارِ الْفَضَائِلِ وَارِدَةٌ مَنَاطِلِهَا الْمُسَافَةِ ؛ كَمْ أَعْرَبَ كَلِمُهُ الطَّيِّبِ ، عَنْ سَحَابِ الصُّوَابِ
 الصَّيْبِ ؛ وَكَمْ أَغْنَى فِي الْمُهَمَّاتِ بِكُتْبِهِ ، عَنْ جَيْشِ الْكَتَائِبِ وَقُضِيهِ ؛ وَكَمْ هَزَأَتْ
 صَحَائِفُهُ بِالصَّفَاحِ ، وَكَمْ أَغْنَتْ رَاشِقَاتُ فِكْرِهِ الثَّابِتَةِ الْعِلْمَ عَنْ سَهْوِ السَّهْمِ الرَّائِجِ ؛ وَكَمْ
 تَسَاجَرَتْ أَقْلَامُهُ الْبَيْضُ الْفِعَالِ هِيَ وَثَمَرُ الرِّيحِ فَكَانَ نَصْرُهَا اللَّامِحُ ، وَكَمْ تَعَارَضَ نَشْرُ
 وَصْفِهِ وَشَدَا الطَّيِّبِ فَالْقَى الزَّمَانُ شَأَهُ هُوَ الْفَائِجُ ، وَكَمْ أَشْتَمَلَ عَلَى أَنْوَاعِ مِنَ النَّفَاسَةِ
 فَاسْتَوْجَبَ مِمَّا مَاتَ يَقْضَى لَهُ بِأَجْزَلِ الْمُنَى وَالْمَنَاجِ .

وَلَا كَانَ الْمَجْلِسُ الْعَالِي ، الْقَاضِي ، الْأَجَلِّي ، الْكَافِي ، الْعَالِي ، الْقَاضِي ،
 الْكَامِلِي ، الْأَوْحَدِي ، الْأَيْمَرِي ، الرَّيْثِي ، الْبَلِغِي ، الْمُقِيدِي ، الْمُحْدِي ، الْأَصْلِي ،
 الْعَرِيقِي ، الْعَابِدِي ، الزَّاهِدِي ، الْمُؤَمِّنِي ، الْفَتَحِي ، جَمَالُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، وَلَى

أمير المؤمنين ، هُدُ بنُ الشهيد؛ أدام الله نعمته : هو الذي أعرب القلم عن صفاته ، وأطرب المسامع ما أذهاه اليراع عن أحواله ؛ ورام البنان أن يستوعب بيان شكوه فلم يدرك شأوغاياته ، وتسارعت بدائع البدائيه من أفكاره فسأقت جريان يرأحه في أبياته ؛ ورأقت آماليه ، لتأقيل ألفاظه ومعانيه ، فشكر السمع والفهم بها هبات هيأته ؛ فأذابه مشهوره ، وطوّمه مذكوره ؛ وتخلّيه بمذاهب الصوفيه أراضت به نفسه الخيرة أنليّره ، وإخلاصه في عبادة الله تعالى حسنت به منه السيرة والسيرة ؛ وصيأته للأسرار الشريفة استحق بها إسناد أمرها إليه ، وإبداع غوامضها لديه ، والتعويل في حفظها وفي لفظها لفظها عليه - أفضى حسن الرأي الشريف أن نجّيته لما تحققتا منه من ذلك ، ونحّصه بصحابة ديوان الإنشاء الشريف في أجل المالك ، وتجعل قدمه ثابتة الرسوخ ، والصعود في مشيخة الشيوخ ، ليسلك فيها أحسن المسالك .

(١) فلذلك رسم بالأمر الشريف
الاشرفي ، الناصري - لا زال لأبوابه
الشريفة فتح في الخير قدمه النصر ، وسأحبه منح ما يعرف مدد أمداده القصر -
أن تفوض إليه صحابة ديوان الإنشاء الشريف ، ومشيخة الشيوخ بالشام المحروس ،
على عادة من تعلّمه وقاعدته ومعلومه الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت .

فليأشر ذلك بوافر عفافه ، ووافي إنصافه ؛ ومشهور أمأته ، ومشكور صيأته ؛
كأما للأسرار ، كتاباً للبار ، ليكون من الأبرار ؛ عالفاً مصالحي الآتام بإرشاد رأيه
وصوابه ضابطاً أحوال ديوانه ، متحرراً في كثير الأمور وقليلاً : فإن الكتاب يظهر
من عنوانه ؛ محرراً لما يملئ معتبراً لما يكتب ، مجللاً للطلعات الكريمة بفكره المتسرع

وتصوره الأرتب ، حافظاً أزيمة ما يصدر من مثال وما يرد في المهيات الشريفة
فهو أدري وأدرب بما على ذلك يترب ، محافظاً كعادته على دينه ، لازماً لصدق
يقينه ، خافضاً لأهل الخير جناحه ، مانحاً لهم نجاحه ، معاملاً للفقراء بكرم نفس بالله
غنية ، ملاحظاً لأحوالهم بالقول والفعل والعمل والنية ؛ محترماً لكبيرهم ، حانياً على
صغيرهم ؛ مفكراً فيما يعود نفعه طيبهم ، رابكاً في الباطن والظاهر إليهم ؛ معنياً لهم
بالاشتغال بالعبادة ، مسلماً لهم الطريق إلى الله فإنها الطريق الجادة ، مستجباً
لدعواتهم الصالحة ، مستفيداً من نتائج بركاتهم الرابحة . والوصايا كثيرة ومن نور
إفادته تقتبس ، ومن مشهور مادته تلتصم ؛ وملاكها التقوى وهي أول كل أمر
وآخره ، وبملازماتها تيم له مفائده ؛ والله تعالى يحرسه في السر والنجوى ، ويظهر
بارشاده للعاني واليأن كل نجوى ؛ بمنه وكرمه ! إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بكتابة السر بالشام ، كتبت به للقاضي « شرف الدين
عبد الوهاب » بن فضل الله ، عند ما رسم بنقله من القاهرة إلى دمشق ،
في ذي الحجة سنة إحدى عشرة وسبعمائة ، من إنشاء الشيخ شهاب الدين « محمود
الحلبي » وهي :

الحمد لله الذي خص دولتنا الشريفة برعاية الذمم ، وحفظ ما أملف الأولياء
من الطاعات والخدَم ، وإدامة ما أسدته إلى خدَم أيماننا الزاهرة من الآلاء والنعم ؛
وإفاضة حلل اعتنائها ، التي هي أحب إلى من شرف بولائها ، من حمر النعم ؛ وأبقى
عوارقها على من لم يزل معروفاً في صون أسرارها بسعة الصدر وفي تدبير مصالحها
بصحة الرأي وفي تنفيذ مراسمها بطاعة اللسان والقلم .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي مَا اسْتَهْلَتْ عَلَى وَلِيِّي نَاقَلَعَ عَنْهُ غَمَامُهَا ، وَلَا اسْتَقَرَّتْ بِيَدِ صَنِيعِي
فَانْتَرَعَ مِنْ يَدِهِ حَيْثُ تَصَرَّفَ زِمَامُهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
شَهَادَةٌ لَا تَزَالُ نَعْتَصِمُ بِحَبْلِهَا الْمُتَيْنِ ، وَنَتَلَقَّى عَرَابَهُ إِخْلَاصَنَا رَايَةً فَضْلِهَا بِالْيَمِينِ ؛
وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَكْرَمُ مَبْعُوثٍ إِلَى الْأُمَمِ ، بِالْإِحْسَانِ وَالْكَرَمِ ؛ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَوَحْيِهِ الَّذِينَ كَرَّمْتَ أَسْأَبَهُمْ ، وَأَضَاعْتَ لَهُمْ وُجُوهَهُمْ وَأَحْسَابَهُمْ ؛
قَوْلُوا فِي حُلُلٍ مَا اكْتَسَبُوهُ مِنْ سُنَّتِهِ ، وَاكْتَسَبُوهُ مِنْ سُنَّتِهِ ، فَحَسَنَ مِنْهَا اكْتِسَابُهُمْ
وَاكْتِسَابَهُمْ ؛ صَلَاةٌ لَا تَزَالُ لَهَا الْأَرْضُ مُسْجِدًا ، وَلَا يَبْرَحُ ذِكْرُهَا مُغِيرًا فِي الْأَفَاقِ
وَمُسْجِدًا ؛ وَسَلَامٌ تَسْلِيًا كَثِيرًا .

وبعد ، فَإِنَّ أَوَّلِيَّ مَنْ خَوَّلَتْهُ مَكَارِمُنَا الْإِقَامَةَ حَيْثُ يَهْوِي مِنْ وَطَنِهِ ، وَبَوَّأَتْهُ نِعْمَتَنَا
الْجَمْعَ بَيْنَ نِعَامِ رَبَّنَا وَيَسِّرَ مَا قَارَقَهُ مِنْ سَكْنِهِ ؛ وَمَلَكَتْهُ عَوَاطِفُنَا ، زِمَامَ التَّصَرُّفِ
حَيْثُمَا أَمَكُنْ مِنْ خِدْمَتِنَا الشَّرِيفَةِ ، وَعَرَّفَتْهُ عَوَارِفُنَا ، أَنَّ مَكَاتِنَهُ عِنْدَنَا عَلَى حَالِهَا حَيْثُ
أَدَّى مَا عُيِّنَ بِهِ مِنْ وَطَنِيَّةٍ - مَنْ لَمْ يَزَلْ قَلْبُهُ لِسَانِ مَرَامِينَا ، وَصَنَانَ مَا تُجْرِيهِ
فِي الْأَفَاقِ مِنْ سَوَائِقِ مَكَارِمِنَا ، وَتَرْجُمَانِ أَوَامِرِنَا ، وَخَطِيبِ آلَاتِنَا الَّتِي غَدَتْ بِهَا
أَعْطَافُ التَّقَالِيدِ مِنْ جُمْلَةِ مَكَارِمِنَا .

وَمَا كَانَ الْمَجْلِسُ الْعَالِي : هُوَ الَّذِي لَمْ يَبْرَحْ صَدْرُهُ خِزَانَةَ أَسْرَارِنَا ، وَفِكَرُهُ كَنَانَةً
إِعْلَانِنَا فِي الْمَصَالِحِ وَإِسْرَارِنَا ، وَخَاطِرُهُ مِرَاةَ آرَائِنَا ، وَيَرَاةُ مِشْكَاتَةَ مَا يُشْرِقُ : مِنْ أَنْوَارِ
تَدْبِيرِنَا ، أَوْ يَمُوتُ : مِنْ أَنْوَاءِ آلَاتِنَا ؛ يَنْطِقُ قَلْبُهُ فِي الْأَقَالِيمِ عَنِ أَلْسِنَةِ أَوَامِرِنَا الْمُطَاعَةِ ،
وَيَنْفَعِدُ كُلُّهُ عَنِ مَرَامِينَا فِي دِيْوَانِ الْإِنْسَاءِ بِمَا تُقَابِلُهُ أَفْلاَمُ الْجَمَاعَةِ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ؛
وَكَانَتْ سُنَّتُهُ قَدْ عَلَتْ فِي خِدْمَتِنَا إِلَى أَنَّ رَأْيَانَا تَوْفِيرَ خَاطِرِهِ عَلَى الْبَرَكَاتِ ، عَنْ كَثِيرٍ
مِمَّا يَتَّبِعُ رُكْبَانَنَا الشَّرِيفَ مِنْ لَوَازِمِ الْحَرَكَاتِ ؛ وَأَنَّ نَفْعِيَهُ مِمَّا يُزِيْمُ الْإِقَامَةَ بِأَبْوَابِنَا

الشريفة من كثرة المثل بين يدينا، وأن قنصر به على أخف الوظائف إذ لا فرق في رتبة السريين ما يصدر عنا أو ما يرد إلينا .

فوسم بالأمر الشريف، العالى، المولى، السلطان، الملكى، الفلانى، الفلانى، أن يكون فلان صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالشام المحروس، بمعلومه الشاهد له به الديوان المعمور بالأبواب العالية، عوضاً عن أخيه المجلس السامى، القضاى، المهيوى « يحيى بن فضل الله » ويستمر أخوه القاضى « يحيى الدين » المذكور مع جملة الكُتاب بديوان الإنشاء الشريف بالشام المحروس، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور .

فليأشِر هذه الرتبة التى تأملت به قواعدها وعن تقريره وتحريره أخذ كل من كان بأنواعها وأوضاعها علماً ؛ فإنه لم يخرج عن أخيه شئ وصل إليه، ولا فوض له إلا ما هو بحكم عموم الأولوية والأولية فى يديه ؛ وأما ما يتعلق بذلك من وصايا تبسط، وقواعد تُشرط ؛ فإنها منه استفادها من رفقها، وعنه ارتوى بها ورواها من تعاملها ؛ ونحن نعلم من ذلك ما لا يحتاج إلى أن يرداد فيه يقيناً ، ولا أن نزيده بذكره معرفة وتمكيناً والاعتماد

قلت : ومن غريب ما وقع : أنه كتب للقر الشهابى بن فضل الله بكتابة السر بالشام، حين وليها بعد انفصاله من الديار المصرية توفيق مفتتح بـ «أما بعد حمد الله» من إنشاء المولى « تاج الدين بن الباربارى » وكأنه إنما كتب بذلك عند تغير السلطان الملك الناصر « محمد بن قلاوون » عليه، على ما هو مذكور فى الكلام على كُتاب السر فى مقدمة الكتاب .

وهذه نسخة توقيع بكتابة الممر بالشام المحروس :

أَمَّا بَعْدُ حَمْدُ اللَّهِ مُقَلِّ الشَّهْبِ فِي أَحَبِّ مَطَالِعِهَا ، وَمُعَلِّي الْأَقْدَارِ بِتَصَرُّفِ
الْأَقْدَارِ وَرَافِعِهَا ، وَمُبْهِجِ الشُّؤْسِ بِمَعَادِهَا إِلَى أَوْطَانِهَا وَمَوَاضِعِهَا ، وَمُخْضِي مَشِيتَتِهِ
فِي خَلْقَتِهِ بِالْخَيْرَةِ فِيمَا يَشَاءُ لَطَائِعِهَا ، وَالشُّهَادَةِ لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ الْآخِذَةِ مِنَ الْقُلُوبِ
يَجَامِعِهَا ، وَالصَّلَاةِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي بَصَّرَ الْأُمَّةَ بِهَيْئَتِهَا وَمَنَافِعِهَا ، وَصَانَ شِرْعَتَهُ
الشَّرِيفَةَ تَلَوَ الْمِلَلَ بِنَسْخِ شَرَائِعِهَا ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ اسْتَوْدَعُوا أَسْرَارَ الْمِلَّةِ
حَقِّقُوا نَفْسٍ وَدَائِمِهَا - فَإِنَّ مَمَالِكَنَا الشَّرِيفَةَ هِيَ سَوَاءٌ لَدُنَّا فِي التَّعْظِيمِ ، وَأَوْلِيَاءُ
دَوْلَتِنَا الشَّرِيفَةِ يَتَقَلَّبُونَ فِيهَا فِي مَنَازِلِ التَّكْرِيمِ ؛ وَعِنْدَنَا مِنْ « فَضْلِ اللَّهِ » رِطَابَةٌ لِلْمُهْدِ
الْقَدِيمِ ، وَتَأْكِيدٌ لَأَسْبَابِ التَّقْدِيمِ ، فَلَا غَضَاضَةَ لِمَنْ قَتَلَنَاهُ مِنْ أَبْوَابِنَا إِلَيْهَا ، وَلَا وَهْنَ
يَطْرَأُ عَلَى عُلُوِّ الْمَرَاتِبِ وَيَسْتَرِيهَا ؛ حَيْثُ صَدَقْنَا دَائِمَةً ، وَتُغَوَّرُ إِقْبَالُنَا بِاسْمِهِ ،
وَمَرَّاسِنَا لِمُسَاعَدَةِ الْأَقْدَارِ فِي الْأَيَّامِ حَاكِمَةٍ ؛ وَ« الشَّهَابُ » لَوْ لَمْ يَمُرْ فِي سَمَائِهِ ، لَمَا
أَهْتَدَى النَّازِلُونَ بِضِيَائِهِ ؛ وَالذَّرَّةُ لَوْ مَكَثَتْ فِي صَدْفِهَا ، لَمَا حَظَّتْ فِي الْعُقُودِ
بَشْرَفِهَا .

وكان المجلس العالي ، القضاة ، الشهابي ، قد أقام في خِصْمَتِنَا الشَّرِيفَةِ بِالْأَبْوَابِ
العالية حَافِظًا لِلأَسْرَارِ ، قَائِمًا بِمَا يُحِبُّ وَيُخْتَارُ ؛ ثُمَّ لَمَّا أَخَذَ حَظَّهُ مِنَ الْقُرْبِ مِنْ
أَيْدِنَا الشَّرِيفَةِ : رَأَيْنَا أَنَّ عَوْدَهُ إِلَى أَوْطَانِهِ ، وَأَهْلِهِ مِنْ مَمَامِ إِيْمَانِهِ ؛ وَأَنَّ مَرَجِعَهُ
إِلَى مَحَلِّهِ ، مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَفَضْلِهِ ؛ وَمَا سَارَ إِلَّا وَالْإِقْبَالُ يُزَوِّدُهُ ، وَالْإِسْتِقْبَالُ بِهِ
وَأَهْلُ بَيْتِهِ يُسَعِّدُهُ وَيُصْعِدُهُ .

فلذلك رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ يُنْقَلَ إِلَى كَابَةِ الْإِنْشَاءِ الشَّرِيفِ بِدَمَشَقِ
المَحْرُوسَةِ ، وَأَنْ يَكُونَ مُتَّحِدًا عَنْ وَالِدِهِ ، عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ بِالْأَبْوَابِ الْمَصْرِيَّةِ ، وَلِيُقَرَّرَ لَهُ
مِنْ الْمَعْلُومِ كَمَا وَكَلْنَا .

فَلْيَسِّرْ إِلَى دَارِ كَرَامَتِهِ ، وَلْيَسْتَقِرِّ فِي مَوْطِنِ إِقَامَتِهِ ، فَرِيرَ الْعَيْنِ ، مَمْلُوءَ الْيَدَيْنِ ،
مَسْرُورًا بِرَفْعِ الْحَسَلِ فِي الْمَمْلَكَيْنِ ؛ وَلْيَكُنْ لَوَالِدِهِ - أَعَزَّهُ اللَّهُ تَعَالَى - عَضُدًا ،
وَلْيُصْبِحْ لَهُ فِي مَهْمَاتِنَا الشَّرِيفَةِ سَاعِدًا وَيدَا ، وَلْيُضِجْ بِهِ الْيَوْمَ بَرًّا لِيَجِدَ رِضَا اللَّهِ
غَدًا ؛ فَإِنَّ وَالِدَهُ بَرَكَةُ الْمَالِكِ ، وَلَهُ قَدِيمُ هِجْرَةٍ ، وَسَالِفُ خِدْمَةٍ ، وَحُسْنُ طَرِيقَةٍ ،
فَتَحَنَّنْ نَزَاهُ لَذَلِكَ ، وَالْمُهِمَّاتُ الشَّرِيفَةُ يَتَقَالَمُهَا بِنَفْسِهِ ، وَلْيُصْدِرْ فُصُولَ الْمَطَالَعَةِ
مُدْبِجَةً عَلَى عَادَتِهِ فِي تَدْبِيجِ طَرِيقِهِ ؛ وَلْيَسْتَعِنْ بِالْقَهْرِ فَهُوَ وَلِيُّ الْإِطَاعَةِ ، وَلْيَعْتَمِدْ
عَلَى الرَّفْقِ فِي أَمْرِهِ فَمَا كَانَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ ؛ وَمَا بَعْدَ عَنَّا ، مَنْ كَانَ بَعِيدًا
بِالصُّورَةِ قَرِيبًا بِالْمَعْنَى ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَزِيدُهُ مِنَّا مَنًّا ؛ وَالْخَطُّ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ حُجَّةٌ فِيهِ ؛
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الوظيفة الثالثة — نَظَرُ الْجِيُوشِ بِالشَّامِ .

وَمَنْ صَاحِبِهَا كِتَابَةُ الْمُرَبَّعَاتِ الَّتِي تُنْشَأُ مِنَ الشَّامِ ، وَتَقْرَأُ الْمُنَاشِيرَ الشَّرِيفَةَ الَّتِي
تَصْدُرُ إِلَيْهِ .

وهذه نسخة تَوْقِيعِ شَرِيفٍ مِنْ ذَلِكَ ، كُتِبَ بِهِ «لَمَوْسَى بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ» مِنْ
إِنْشَاءِ السَّيِّدِ الشَّرِيفِ شِهَابِ الدِّينِ ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ إِحْسَانَنَا عَائِلًا بِصَلَاتِهِ ، وَفَضْلَنَا يَجْمَعُ شَمْلَ الْإِسْعَادِ بَعْدَ
شَتَاتِهِ ، وَعَوَاطِفُنَا تُثَبِّهُ جَفْنَ الْإِقْبَالِ مِنْ إِعْقَابِهِ وَسِنَاتِهِ .

فَعَمِلَهُ عَلَى أَنْ نَصَرِيْنَا جَيْشَ الْإِسْلَامِ فِي أَرْجَاءِ مُلْكِكَ الشَّرِيفِ وَجِهَاتِهِ ، وَجَعَلَ
الْبَرَكَةَ وَالْيَمْنَ بِأَمْرِنَا فِي حَالَتِي نَحْوِهِ وَإِثْبَاتِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
شَهَادَةً زَادَتْ فِي جَزَاءِ الْمُخْلِصِ وَحْسَانَتِهِ ، وَأَضْحَتْ نُورًا يَسْعَى بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى رَحْمَةِ رَبِّهِ
وَالِى جَنَاتِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَظْهَرَ اللَّهُ بِهِ وَاجِخَ آيَاتِهِ ،

وأصبح النشراحًا من نشر راياته ؛ ومحا الفترة بهديه وسر سرائر أولياته وأحمد
قلوب عُداته ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما تآرج النسيم في هباته ، وأبج العطاء
بجزيل هباته ؛ وسلم تسليما .

وبعد ، فإن من النعم ما إذا عادت أقرت العيون ، وحققت الآمال والظنون ؛
ورفعت الأقدار وإن لم يزل ريفًا محلها ، وجمعت المسار المتد على الأفدة ظلها ؛
وعمرت ربوع الإحسان ، وعمرت بمنائنها الحسان ؛ كهذه النعمة التي تلقت
الإقبال من حافل غمامه ، وجمعت شمل التقديم مشفوعا بأكرامه ؛ وأعدت سماء
التكريم هادية بقطبها ، مشرقة الأجزاء بنور ربها ؛ وسفرت بدورها بمن هو أولى
باجلائها ، وتبيأت ربها لمن هو جدير باعلائها ؛ وحقق بأن تعود المواهب بعد
فترتها ، وأن تقبل عليه وجوه المنائح بعد لفتها ؛ لتصبح كواكب الإسعاد كأنها
ما أفلت ، وعطايا التخويل كأنها ما انتقلت ؛ ويعود عليه اليوم كأنسه ، ويرجع
أفق العوارف الحسام مشرقا ببدل الاجتهاد وشمسه .

ولما كان فلان هو الذي حسنت في الخدم الشريفة آثاره ، ومجد إيراده
في المهمات الشريفة وإصداره ؛ وشكره شامه ومضره ، ومما في كل جهة حلها عمله
وقدره ؛ وتحقق منه راسة قضت له ببداية النعم وإعادتها ، وأن تجرى له النولة
من الإكرام على أجل عاداتها ؛ وأن تُرعى له حقوق ألفتها حديثا وقديما ، وتُنشر
عليه ظلال الفضل حتى لا يفقد منها على طول المدى تكريما .

فلنلك رُسم بالأمر الشريف ... لا زال ... أن يستقر ... تجديداً للملابس
سَعده ، وتأكيداً لقواعد مجده ، وترديداً للفضل الذي حلا منهل ورده ؛ ورعاية
لخدمته التي أکبت عليها السيوف والأقلام ، وشكرت تأثيرها جنودنا - نصرها الله

تعالى - بِمَضَرِّ الشَّامِ ؛ وَلِئَلَّا لَهُ مِنْ حُسْنِ نَمَتِ زَادَهُ وَقَارُهُ ، وَأَصْلُ صَالِحٍ طَابَتْ مِنْهُ ثِمَارُهُ .

فَلْيَسْتَقَرَّ فِي هَذِهِ الْوُضُفَةِ الْمُبَارَكَةِ : عَلِيًّا أَنْ لِسَانَ الْقَلَمِ أَمْسَكَ عَنْ الْوَصَايَا لِأَنَّهُ خَبَرَ هَذِهِ الْوُضُفَةَ فَرَعًا وَأَصْلًا ، وَأَلْقَتْ مِنْهُ نَظِيرًا عَلَا قَدْرًا وَكُرَّمُ مَحْتَدًا وَفَصْلًا ؛ وَهُوَ بِحَمْدِ اللَّهِ أَهْدَى بَسُلُوكَ مِنْهَا جِهَاتِ الْقَوِيمِ ، وَأَدْرَبُ بِاقْتِفَاءِ مَنِّهَا الْمُسْتَقِيمِ ؛ وَالْخَيْرُ يَكُونُ ، وَالْإِعْتِدَادُ فِي ذَلِكَ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ ، حُجَّةٌ بِمَقْتَضَاهُ .

المرتبة الثانية

(من مراتب أرباب التواضع الديوانية يلتمش - مَنْ يُكْتَسَبُ لَهُ

فِي قَطْعِ الثَّلَاثِ بِ«الْمَجْلِسِ السَّامِيِّ» بِالْيَاءِ مُفْتَحًا بِ«الْحَمْدِ لِلَّهِ» إِنْ عُلِّقَتْ رُبَّتُهُ وَإِلَّا بِ«أَمَّا بَعْدُ» ، وَتَشْتَمِلُ عَلَى وَظَائِفَ)

مِنْهَا - نَظَرُ الْخِزَانَةِ الْعَالِيَةِ ، وَشَأْنُهَا هُنَاكَ نَظِيرُ الْخِزَانَةِ الْكُبْرَى بِالْأَبَارِ الْمَصْرِيَةِ فِي الْقَدِيمِ ، وَنَظِيرُ خِزَانَةِ الْخَاصِّ الْآنَ .

وهذه نسخة توقيع بنظر الخزانة العالية :

أَمَّا بَعْدُ حَمْدِ اللَّهِ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي خَصَّتْ الْمَنَاصِبَ السَّنِيَّةَ فِي أَيَّامِنَا الزَّاهِرَةِ بِكُلِّ كُفٍّ كَرِيمٍ ، وَجَعَلَتْ عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ مِنْ أَوْلِيَاءِ دَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةِ كُلِّ حَفِيفٍ عَلِيمٍ ؛ وَأَنَاضَتْ ظِلَّ إِعَانَتِنَا عَلَى مَنْ إِذَا أُنِيمَ النَّظَرُ فِي حَقِّ ذَوِي الْيُوتِ الْقَدِيمَةِ كَانَ أَحَقَّ بِالْقَدِيمِ ؛ وَالصَّلَاةُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ أَفْضَلُ مِنْ حَبَاهُ بِفَضْلِهِ الْعَمِيمِ ، وَأَجْتَبَاهُ لِهُدَايَةِ خَلْقِهِ إِلَى السَّنَنِ الْقَوِيمِ ، وَجَعَلَ سَلَامَةَ الصَّلَاةِ الْمَقْبُولَةِ مِنَ التَّنَصُّصِ مَقْرُونَةً بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَالتَّسْلِيمِ - فَإِنَّ أَوَّلَى مِنْ رَجَحِهِ لِحُدُوثِنَا الْإِخْتِيَارَ ، وَقَدَّمَهُ فِي دَوْلَتِنَا الْإِخْتِبَارَ ؛

وَأَخْلَصَهُ حَسَنُ نَظَرِنَا الشَّرِيفِ رُبَّةَ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِ ، وَأَعْدَقَ لَهُ سَحَابُ بَرْنَا صَوْبَ
إِحْسَانٍ فَلَمْ يُصِبْهُ طَلٌّ بَلْ وَبَلٌ - مِنْ حَمْدِ سَيَرِهِ وَسِيرِهِ ، وَشُكْرِ فِي طَاعَتِنَا وَرُدِّهِ
وَصَدْرِهِ ؛ وَزَانَ الْأَصَالَةَ بِالنَّبَاهَةِ ، وَالرَّاسَةَ بِالْوَجَاهَةِ ، وَالْمَعْرِفَةَ بِالنَّزَاهَةِ ، وَجَمَعَ بَيْنَ
الصَّبَفِ وَالْأَطْلَاعِ ، وَالتَّضَلُّعِ مِنَ الْعِفَّةِ وَالْأَضْطِلَاعِ ، وَالصِّفَاتِ الَّتِي لَوْ تَحَيَّرَهَا لِنَفْسِهِ
لَمْ يَزِدْهَا عَلَى مَا فِيهِ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاعِ .

وَمَا كَانَ نَظَرُ الْخِزَانَةِ الْعَالِيَةِ يَدْمَشُقُ الْحُرُوسَةَ رُبَّةً لَا يَرِقُّ إِلَيْهَا مِنَ الْأَكْفَاءِ
إِلَّا مَنْ وَمَنْ ، وَلَا يُقَدِّمُ لَهَا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ إِلَّا مَنْ تَعَيَّنَ مِنْ رُؤَسَاءِ الْعَصْرِ وَفُضَّلَاءِ
الزَّمَنِ ؛ وَكَانَ فَلَانٌ هُوَ الَّذِي عَيْنُهُ لَهَا أَرْتِيَادُ الْأَكْفَاءِ ، وَأَصْطَلَفِي هُوَ مِنْ أَهْلِ
الصِّفَاءِ ، وَتَقَدَّمَ مِنْ وَصْفِ حَمَاسِهِ مَا لَا يَرُوقِعُ تَمَامُ بَدْرِهِ وَظُهُورُهُ بِالنَّقْصِ
وَالْإِخْفَاءِ .

فَلَذَلِكَ رَسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ نَظَرُ الْخِزَانَةِ الْمَذْكُورَةِ .

فَلْيَا شَرِّ ذَلِكَ مَبَاشَرَةً مِنْ يَحْقُقُ فِي كِفَايَتِهِ وَفَضِيلَتِهِ التَّائِيلِ ، وَيُظْهِرُ حَسَنَ نَظَرِهِ
الَّذِي هُوَ كَالنَّهَارِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ ؛ وَلْيَجْرِ عَلَى جَمِيلِ عَادَتِهِ فِي النَّهْوضِ فِي خِدْمَتِنَا
بِالسُّنَّةِ وَالْفَرَضِ ، وَيُضَافِيفَ أَجْتِهَادَهُ الَّذِي بَمَثَلِهِ جُعِلَ مِنْ اخْتِيَارِ عَلَى خَزَائِنِ
الْأَرْضِ ؛ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الرُّبَّةَ مَالُ الْأَمْوَالِ ، وَذَخَائِرُ الْإِسْلَامِ الَّتِي هِيَ مَادَّةُ
الْجُيُوشِ وَمَوَارِدُ الْإِفْضَالِ ؛ فَلْيَعْمَلْ فِي مَصَالِحِهَا فِكْرَهُ وَدَأْبَهُ ، وَإِذَا كَانَ حَسَنُ نَظَرِنَا
الشَّرِيفِ قَدْ جَعَلَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَيْهِ : ﴿ فَلْيُؤَدِّ الَّذِي آؤَمِنُوا أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴾ . وَفِي سِيرَتِهِ
الَّتِي عُرِفَتْ ، وَصِفَاتِهِ الَّتِي إِنَّ وَصِفَتْ فَمَا انْصَفَتْ ؛ مَا يُغْنِي عَنْ تَفَاصِيلِ الْوَصَايَا
وَجُمْلَاهَا ، وَإِعَادَةِ مَزَايَا التَّائِيدِ : قَوْلُهَا وَعَمَلُهَا ؛ لَكِنْ مَلَكَهَا الصِّيَانَةُ الَّتِي هِيَ بِهَا
مُوصُوفٌ ، وَالتَّقْوَى الَّتِي هِيَ بِهَا مَعْرُوفٌ ؛ وَالْإِعْتَادُ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ .

ومنها - صحابة ديوان النظر، وصحابة ديوان الجيش ونحو ذلك من الوظائف
الدبوانية يدمشق .

قلت : هذا إن كتب من الابواب الشريفة السلطانية ، وإلا فالغالب كتابة
ذلك عن نائب السلطنة يدمشق .

الصنف الرابع

(من الوظائف يدمشق وظائف المتصوفة وسائغ الخواص ،
وفيها مراتب)

المرتبة الأولى

(ما يكتب في قطع الثلث بـ «المجلس السامي» بالياء ، مفتتحاً بـ «الحمد لله» .
وبذلك يكتب لشيوخ الشيوخ بالشام ، وهو شيخ الخلقاه
الصلاحية ، المسماة بالشميصاتية)

وهذه نسخة توقيع بذلك ، وهي :

الحمد لله الذي اختار لعمارة بيوته أولياء يحبونه ويحبهم ، وأصفياء حفهم برحمته
فاجتهدوا في طاعته فازداد قربهم ، وأتقياء زهدوا في الدنيا وابدلوا القاني بالباقي
وطاب في موريد الصفاء شربهم .

نحمده حمد من جعل حب الله دثاره ، وملابس التقوى شعاره ؛ ونسكبه والشكر
لمزيد النعم أماره ، وللقلوب الدائرة عماره ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له شهادة مخلص في التوحيد ، يتبوأ بها جنان الخلد ويخلص من سماع قول جهنم :

هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ؟ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَسْرَى بِهِ إِلَى حَضْرَةِ
 أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، وَحَظِيرَةِ قُدْسِيهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ مِنْهُمْ مَنْ سَبَقَ الْأُمَّةَ
 بِشَيْءٍ وَقَرَّرَ صَدْرُهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ دَلَّتْ وَاقِعَةُ سَارِيَةٍ عَلَى عُلُوشَانِهِ وَرَفَعَتْ قَدْرَهُ ؛
 صَلَاةٌ لَا تَزَالُ الْأَرْضُ لَهَا مَسْجِدًا ، وَلَا يَبْرَحُ ذِكْرُهَا مُغِيرًا فِي الْآفَاقِ وَمُنْجِدًا ؛ وَمَسْلَمٌ
 تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ يُؤْمَلُ بِالتَّقْدِيمِ ، وَأَجْدَرَ مَنْ يُخَصَّ بِالتَّكْرِيمِ ؛ مَنْ كَانَ
 قَدْرُهُ فِي الْأَوْلِيَاءِ عَظِيمًا ، وَذِكْرُهُ فِي الْآفَاقِ بَيْنَ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ قَدِيمًا ؛ وَتَجْرِيدُهُ عَنْ
 الدُّنْيَا مَشْهُورًا ، وَسَعْيُهُ عَلَى قَدَمِ الطَّاعَةِ مَشْكُورًا ؛ وَشُهُودُهُ لِمَقَامِ الْكَمَالِ مُسْتَجْلِبًا ،
 وَاسْتِجْلَاؤُهُ لِمَوَازِ الْأَنْسِ مُسْتَمْلِبًا ؛ فَهُوَ فِي هَذِهِ الطَّائِفَةِ الْجَلِيلَةِ سَيَرُّ الْمِقْدَارِ ، مَعْرُوفُ
 الصِّفَةِ فِي حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ وَمَنَاقِبِ الْأَبْرَارِ ، وَالمُتَقَدِّمُ مِنَ الْإِمَامَةِ فِي جَمْعِ الْأَخْيَارِ .

ولما كَانَ الْمَجْلِسُ السَّامِيُّ ، الشَّيْخِيُّ ، الْكَبِيرِيُّ ، الْعَالِمِيُّ ، الْعَامِلِيُّ ، الْأَوْحَدِيُّ ،
 الزَّاهِدِيُّ ، الْوَرَعِيُّ ، الْأَصِيلِيُّ ، الْفَلَاحِيُّ ؛ جَلَّالَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَشَرَفَ الصِّلَاحِ
 فِي الْعَالَمِينَ ، شَيْخُ الشُّيُوخِ ، قُدْوَةُ السَّالِكِينَ ، مُعْتَقَدُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينَ ، أَعَادَ اللَّهُ
 تَعَالَى مِنْ بَرَكَاتِهِ : هُوَ الْمَقْصُودُ مِنْ هَذِهِ الْعِبَارَةِ ، وَالْمُلْحُوظُ بِهَذِهِ الْإِشَارَةِ - آتَقَضَى
 حَسَنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ يُخَصَّ فِي الدُّنْيَا بِالتَّعْظِيمِ ، وَيُمَيَّزَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالتَّكْرِيمِ .
 فَلِذَاكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ لَهُ مِنْ جُنُودِ اللَّيْلِ جَيْشٌ لَا تَطْيِشُ
 سِهَامُهُ ، وَمِنْ قُرْمَانِ الْحَارِيبِ مَدَدٌ لَا تَزِلُّ فِي مُلَاقَاةِ الرِّجَالِ أَقْدَامُهُ - أَنْ يَسْتَقَرَّ
 فِي كَذَا .

فَلْيَقَابِلْ هَذِهِ النِّعْمَةَ بِالسُّرُورِ ، وَلْيَتَأَمَّلْ هَذِهِ الْفَضِيلَةَ بِحَمْدِ اللَّهِ الشُّكُورِ ؛ وَلْيُؤَاطِبْ
 عَلَى وَظِيفَةِ الدِّمَاءِ بِدَعَايِ أَيْمَانِ الزَّاهِرَةِ ، وَلْيَسْتَمِطِرْ بِخَزِيرِ الْفَضْلِ مِنْ سَحَابِ جُودِنَا

الْمَاطَرَةِ؛ وَلَيْسُطَ يَدَهُ فِي عَمَلِ الْمَصَالِحِ، وَلَيْسَتْ يَدُهُ عَلَى السَّعْيِ الْحَسَنِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ؛
فَإِنَّ هَذِهِ الْبَقْعَةَ مَأْوَى الْقَادِمِ وَالْقَاطِنِ، وَتَسْمُو عَلَى أَمْثَالِهَا مِنَ الْمَوَاطِنِ؛ وَلَيْكُنْ
لَأَسْرَارِهِمْ مُوقَرًا، وَلِأَقْوَاتِهِمْ الْمُعِينَةَ عَلَى الطَّاعَةِ مُيسَّرًا؛ وَاقَهُ تَعَالَى يَجْعَلْ خَلَوَاتِهِ
مَعْمُورَةً، وَأَفْصَالَهُ مَبْرُورَةً، وَالْأَعْتَادَ فِي ذَلِكَ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ .

قُلْتُ : هَذَا إِنْ وَلِيَهَا شَيْخٌ مِنْ مَشَائِخِ الصُّوفِيَّةِ، عَلَى عَادَةِ الْخَوَاقِ . وَقَدْ يَلِيهَا
كَاتِبُ السِّرِّ بِالشَّامِ، فَيُكْتَبُ تَقْلِيدُهُ بِكَتَابَةِ السِّرِّ فِي قَطْعِ النِّصْفِ «بِالْمَجْلِسِ الْعَالِيِّ» عَلَى
عَادَةِ كُتَّابِ السِّرِّ، وَيُسَارَفُ فِي تَقْلِيدِهِ إِلَى بَعْضِ الْأَلْفَاظِ الْجَامِعَةِ بَيْنَ الْمَقَامَيْنِ، وَيُضَافُ
إِلَى أَلْقَابِ كُتَّابَةِ السِّرِّ بَعْضُ أَلْقَابِ الصُّوفِيَّةِ الْمُنَاسِبَةِ لِهَذَا الْمَقَامِ . عَلَى أَنَّهُ رُبَّمَا
كُتِبَ بَوْلَايَتُهَا عَنْ نَائِبِ السُّلْطَانَةِ بِالشَّامِ لَكَاتِبِ السِّرِّ أَوْ غَيْرِهِ .

المرتبة الثانية

(من يكتب له في قَطْعِ الْعَادَةِ مَفْتَحًا بِ«رُسْمِ»)

وهذه نسخة تَوْقِيعٍ مِنْ ذَلِكَ، وَهِيَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَتْ أَوَامِرُهُ تُحِلُّ الْقُرْبَانَ مَحَلَّهَا، وَمَرَامُهَا تُسَيِّدُ
الرُّتَبَ الدِّينِيَّةَ لَمَنْ إِذَا خُصُّوا بِمَوَاقِعِهَا كَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلًا - أَنْ يَرْتَّبَ فَلَانٌ
فِي كَذَا : إِذَا هُوَ أَوَّلَى مِنْ خُصِّ بِمَوَاطِنِ الْعِبَادَةِ، وَنَصَّ بِتَرْفِيهِ الْأَسْرَارَ عَلَى التَّحَلِّيِ
بِقَاضِيَةِ الْإِفَادَةِ؛ وَوَقَّرَ كَدَّهُ عَلَى اجْتِلَاءِ وَجْهِهِ الْمَعَارِفِ مِنْ أَفْقِ الْمَرَاقِبِ، وَجَمَعَ
خَاطِرَهُ لِاجْتِنَاءِ ثَمَرَةِ الْأُنْسِ مِنْ أَفْئَانِ الطَّاعَاتِ النَّائِيَةِ فِي رِيَاضِ الْمُحَاسَبَةِ؛ مَعَ تَمَسُّكِهِ
بِطُورِ الشَّرِيعَةِ الَّتِي [خَلَصَ] مَعْرِفَتَهُ مِنَ الشَّوَابِ، وَأَحْيَا الدُّجَى مِنْ أَقْبَالِ شَيْبَةِ

ظلامه إلى أن تَسِيَّبَ منه التَّوَائِبُ ؛ وَفَقَّ مَتَّعَ إِلَى كُلِّ طَالِبٍ فَضْلٌ وَلِمَتَمَسْ ،
وَدِينٌ بَاهِرٌ مِنْ مَصْبَاحِ مِشْكَاتِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ لِكُلِّ بَاغِي نُورٍ وَمُقْتَنِسٍ .

فَلَيْسَتْ قَرَى شَيْخًا بِالْمَكَانِ الْفُلَانِي : لَتَعْمَرَ أَرْجَاؤُهُ بِبَهْجِهِ ، وَتُشْرِقَ خُلُوعَاتُهُ بِتَعْبِيدِهِ ؛
وَتَعْدُبَ مَوَارِدُهُ بِأَوْرَادِهِ ، وَتُطْلِعَ جَمَالُهُ نُجُومَ مَعْرِفَتِهِ الْبَارِزَةِ مِنْ أَفْقِ إِبْرَادِهِ ؛ [وَلَتَعْدُو
هَذِهِ الْبُقْعَةُ رَوْضَةً أَفْكَارٍ ، وَقِبْلَةً أَذْكَارٍ ؛ وَمَرَاقِي دَعَوَاتٍ ، وَمَرَافِعَ بَرَكَاتٍ ،
تُسْتَنْزِلُ بَيْنَ صَلَوَاتٍ مَقْبُولَةٍ وَخُلُوعَاتٍ ؛ وَلِيَتَنَاوَى الْمَعْلُومُ الْمُسْتَقَرُّ لَهُ تَرْفِيهَا لِيَسْرَهُ ،
وَيَنْزِيهَا لِفِكْرِهِ ؛ وَإِعَانَةً عَلَى الْإِقْطَاعِ بِهِذِهِ الْبُقْعَةِ الَّتِي تَتَّصِلُ بِهِ أَسْبَابُ السَّعَادَةِ
فِي أَرْجَائِهَا ، وَتُخَصِّصُهَا لَهَا مِنْهُ بِإِمَامٍ تُقَى لَوْ كَانَ لِبُقْعَةٍ أَنْ تَجْتَنِي بَرَكَتَهُ لَكَانَ مُنْتَهَى
رَجَائِهَا ؛ وَلَيَرْفَعُ مِنَ الْأَذْيَاعِ الصَّالِحَةِ لِأَيَّامِنَا الْمُبَارَكَةِ مَا لَا تَرَالُ مَوَاطِنُ الْقَبُولِ لِنَفَحَاتِهِ
الْمُتَرَقِّبَةِ مُتَلَقِّبِهِ ، وَمَا لَا تَبْرُجُ النُّفُوسُ لِنَحْشِيَّتِهِ الْمَانِعَةِ مُتَوَقِّبِهِ ؛ وَالْإِعْتِمَادُ عَلَى الْخَطِّ
الشَّرِيفِ أَطْلَاهُ ، حِجَّةٌ بِمَقْتَضَاهُ .

قُلْتُ : هَذَا إِنْ كُتِبَ عَنِ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَةِ . وَإِلَّا فَالْغَالِبُ كِتَابَةُ ذَلِكَ عَنِ
نَائِبِ السُّلْطَانَةِ بِالشَّامِ .

النوع الثاني

(مِنْ وَظَائِفِ دِمَشْقَ مَا هُوَ خَارِجٌ عَنْ حَاضِرَتِهَا)

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ : أَنَّ لِدِمَشْقَ أَرْبَعَ صَفَقَاتٍ ، وَهِيَ : الْغَرْبِيَّةُ ،
وَالشَّرْقِيَّةُ ، وَالْقِبْلِيَّةُ ، وَالشَّمَالِيَّةُ .

فَأَمَّا الصَّفَقَةُ الْغَرْبِيَّةُ : وَهِيَ الْمَعْبَرُ عَنْهَا بِالسَّاحِلِيَّةِ وَالْحَبْلِيَّةِ ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِيهَا ، فَفِيهَا
مِنْ وَظَائِفِ أَرْبَابِ السُّيُوفِ عِدَّةٌ وَظَائِفٌ ، وَتَوَلَّى فِيهَا الْأَبْوَابُ السُّلْطَانِيَّةُ .

منها - نيابة القدس . وقد تَهَمَّت أنها كانت في الزَّمن المتقدم ولايةً صغيرةً يليها جنديٌّ، ثم استقرت نيابةً طَبْلَخَانَاهُ، في سنة سبع وسبعين وسبعمائة، وأنَّ العادةَ جرت أن يُضَافَ إليها نظَرُ الحَرَمَيْنِ : حَرَمِ الخَلِيلِ عليه السلام، وحَرَمِ القدس . والذي يكتب له مرسومٌ في قَطْعِ الثَّلاث بدو «السَّائِي» بالياء .

ومنها - نيابة قلعة الصَّيْبِيَّة . وقد تَهَمَّت أنها من أَجْلِ القِلَاعِ وأمنِهَا، وأنَّه كان يليها تَائِبٌ مُفَرَّدٌ من أَجْنَادِ الحَلَقَةِ أو مُقَدِّمٌ عنها نَائِبٌ دِمَشْقُ ، ثم أُضِيفَتْ إلى وَائِلِ بَانِيَّاسَ . ثم استقرت في سنة أربع عَشْرَةَ وثمانمائة في الدولة الناصرية « فرج » نيابةً .

ومنها - نيابة قلعة عَجْلُون . وقد تَهَمَّت أنها على صِفَرِهَا حِصْنٌ حَصِينٌ، مَبْنِيَّةٌ على جَبَلٍ عَوفٍ، بناها ^(١)أَسَامَةُ بْنُ مُنْقِذٍ، أَحَدُ أَمْراءِ السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ «يوسف ابن أيوب» في سَلْطَنَةِ العادل أبي بَكْرٍ، وأنَّه كان مَكَانَهَا رَاهِبٌ اسمه عَجْلُونٌ، فَسُمِّيَتْ به . ثم استقرت في الدولة الناصرية « فرج » في سنة أربع عَشْرَةَ وثمانمائة إِسْرَةَ طَبْلَخَانَاهُ .

وقد تَهَمَّت أَوَّلَ هذا الْقِسْمِ ما يُكْتَبُ لِلْقَدَمِينَ، وما يكتب للطَبْلَخَانَاهُ، وما يكتب للعَشْرَاتِ .

أما أَرْبابُ الوِظَائِفِ الدِّيْنِيَّةِ .

فمنها - مَشِيخَةُ الخِطَائِقَةِ الصَّلَاحِيَّةِ بِالْقُدْسِ . وَتَوْقِيعُهَا يُكْتَبُ في قَطْعِ الثَّلاث مَفْتَحًا بدو «الحمد لله» .

(١) في تَقْرِيرِ الْبُلْدَانِ ص ٢٢٨ أن جَبَلِ عَوفٍ كان أَهْلُهُ عَصَاةَ فِتْنَى عَلَيْهِمُ أَسَامَةُ حَصْنِ عَجْلُونِ وَهُوَ

مَعْقِلُ حَصِينٍ مُشْرِفٍ عَلَى النُّوْرِ .

ومنها - خطابة القدس ، وتوقيعها كذلك .

ومنها - مشيخة حرم الخليل ، وتوقيعها في العادة يكتب مفتتحا بـ «رُسِم» .

وأما الصَّفقة القَبْلِيَّة ، فآلتى يوثق بها من الأبواب السلطانية نيابة صرَّخد . وقد تقدم في الكلام على ترتيب المملكة الشاميَّة أنه قد يحصل فيها من يقرب من رتب السلطنة ، وحينئذ : فإن وليها مُقَدَّم ألف ، كان مرسومه في قطع النصف بـ «المجلس العالى» . وإن وليها أمير طبلخاناه ، كان مرسومه في قطع النصف أيضا ، بـ «السامى» بالياء .

وأما الصَّفقة الشرقيَّة فالنِّبَات بها على طَبَقَتَيْن :

الطبقة الأولى

(ما يُكَتَّب به مرسوم شريف في قطع النصف ، وهو ما يليه مُقَدَّم ألف)

(أو طبلخاناه ، وفيها نيبات)

النيابة الأولى - نيابة محص .

وقد تقدَّم أنها كانت نيابة جليَّة ، كان يليها في الدولة الناصرية «محمد بن قلاوون» مُقَدَّم ألف ، وأنه ذكر في «التحيف» أنها صارت الآن طبلخاناه . وحينئذ : فإن كان بها مُقَدَّم ألف ، كان مرسومه في قطع النصف بـ «المجلس العالى» . وإن كان طبلخاناه ، كان مرسومه في قطع الثلث بـ «المجلس السامى» بالياء .

وهذه نسخة مرسوم شريف بِنِابة السلطنة بِمَحْص :

الحمد لله مُقَدِّر كلِّ أجل إلى حين ، ومُفَرِّر أمور الممالك في عباده الصالحين ؛ الذى جعل بنا أوليائنا من الراحمين ، وحَفِظَ ما أَسْتَرْعانا من أمور عباده بولاية الناصحين .

نحمده على اختيار لا يصل إليه قدح القادحين ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكون بها في غمرات الحروب على السواج ساجدين ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أكرم المائحين ، وأعظم الفاتحين ، وأشرف من ولى الأعمال الكفافة الوفاة المكافين ؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة لا تزال فيها الحفظة على أعمالنا ثمسين ومصابحين ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن مراسيمنا الشريفة وإن تأخر وقتها إلى أجل معدود ، وأمد ممدود ؛ ومضت أيام وليال ولها باب مسدود ، وعمل سببه غير مشدود - فإننا كالسيف يتلاهى ثم إذا صمم لا يرجع ، وكالفهم نمتدئ مدد مدته ثم يهود فلا يقطع ، ولم نزل منذ فوض الله أمور بلاده إلينا ، وصرف أمور جمهور عبادته بيدنا ؛ نرى أن نحمي غاياتها بأشد الأسود ، ونزي غاياتها بن هول أمر ما يسود ؛ ونحوط جناباتها بن لا يستبيح حرمة إلا الوفود ، ونحط ركائب رعاياها منه على من هو المقصود ؛ وننب إلى ما يترجح من مصالحهم لتبنا ، ولستنب لمن يترجى الحسنى إذا عرضت متجددات أمورهم علينا ؛ وإذا انفرد بحكم لا يظن إلا أنه بسمع من أذنين ، ومرأى من عيني ؛ لأن تواب الممالك الشريفة فروع عدلنا الشريف ونحن أصلها ، وأسباب إحسان بأوامرنا المطاعة قطعها وصلها .

وكانت خمس المحروسة من أكبر الممالك القديمة ، والمئدة العظيمة ؛ تفرق الأقاليم في مدنها ، وتمتد عساكرها فتد حماة حماة من جندها ؛ وهى من الشام المحروس في مائتى مواكبه ، وبحر عواليه وبحرى سوايقه ويجمع كتائبه ؛ طالما كان بها الحرب سجالا ، وطالما ساقط بها الرجال أجالا ؛ وكان لنا بها فى الحرب يومان عوضنا الله أدناهما بما حفظت المعارك ، وضاعت الأرض بدماء القتلى ففاض إلا

السَّيِّئَاتِ مَا آتَيْنَا بِالْشَّقِيقِ [تلك المسالك] ^(١)، وَأَتَّصَلْتُ بِالْبَرِّ وَالْبَحْرِ مِنْ جَانِبَيْهَا ؛
وَأَتَّصَفْتُ بِأَنَّهُمَا مَهَبُ الرِّيحِ ، وَمَرْكَزُ الرَّمَحِ ؛ لِمَا يَهْبُ لَنَا مِنْ بُشْرَى النُّصْرَةِ وَيَحْفِقُ
مِنْ عَصَائِنَا الْمَنْصُورَةِ عَلَيْهَا .

فَلَمَّا تَطَاوَلَ الْأَمَدُ عَلَى خُلُوقِهَا مِمَّنْ يَنْبُوعُ عَنِ السُّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ فِي أَحْكَامِهَا ،
وَيَنْبُوعُ إِلَى تَسْلِيدِ مَرَايِ سِهَامِهَا ؛ لَمْ تَزَلْ آرَاؤُنَا الْعَالِيَةِ تُجُولُ فِيمَنْ يَصْلُحُ أَنْ
يَقْدِمَ قَدَمَهُ إِلَى رُبَّتِهَا الْعَلِيَّةِ ، وَيُجَرِّدَ مِنْهَا عَرَائِمَ الشَّرِيفَةِ ؛ وَيَجْمَعُ بِهَا عَلَى طَاعَتِنَا
الشَّرِيفَةِ مَنْ فِيهَا مِنَ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ ، وَالْقَبَائِلِ الْمَشْهُورَةِ ، وَالطَّوَائِفِ الْمَذْكُورَةِ ،
وَيَسْطِطُ بِسَاطِ الْعَدْلِ فِي كَافَّةِ جُنُودِهَا وَرِعَايَاهَا فَإِنَّهَا بِهَؤُلَاءِ مَحْرُوسَةٌ وَبِهَؤُلَاءِ
مَعْمُورَةٌ - فَرَأَيْنَا أَنَّ أَوَّلَى مَنْ حَكَمَ فِي عَاصِمِهَا وَالْمُطْعِمِ ، وَأَخْذَ لِسُورِيَا السُّورِ الْمَنْبَعِ ؛
مَنْ هُوَ الْمَوْثُوقُ بِمَا أَمَضَّتِ السُّيُوفُ مِنْ هِمَمِهِ ، وَأَرْضَتْ التَّجَارِبُ مِنْ سَوَائِقِ
خِدْمَتِهِ ؛ وَطَارَتْ مُنَمَّةُ شُكْرِهِ فِي الْآفَاقِ ، وَطَابَتْ أَثْنَتُهُ بِخَاسَاتِهَا بِمَا يُعْرِفُ مِنْ
الطَّرِبِ لِإِسْحَاقِ ؛ وَكَانَ قَدْ تَقَلَّتْ لَهُ فِي عَيْتَاتِهِ نِيَابَةٌ كَمْ أَصَابَهُ فِيهَا رَجُلٌ بِالْعَيْنِ
ثُمَّ إِنَّهُ مِنَ الْعَيْنِ تَابَ ؛ وَقَامَ بَيْنَ أَيْدِي كِفْلَاءِ مَمَالِكِ الشَّرِيفَةِ حَاجِبًا ، وَفَهَّمْ مِنْ
أَحْكَامِهِمُ الَّتِي تَلَقَّوْهَا مِنَّا مَا أَصْبَحَ لَهَا صَاحِبًا ؛ فَا لِنِّيَابَةِ إِحْكَامِ أَحْكَامِ إِلَّا وَهُوَ
بِهِ عَالِمٌ ، وَلَا تَوَلِيَّةَ حُكْمٍ إِلَّا وَقَدْ اسْتَحَقَّهَا لِقُرْبِ مَا يَنْبَغِي الْحَاجِبِ وَالْحَاكِمِ .

وَكَانَ فَلَانٌ هُوَ الْمُرْتَضَى لِلْبَيْتِ هَذِهِ الْمَقَانِحِ ، وَالْمُنْتَظَرُ الَّذِي كَمْ تَرَكَ الْأَوَّلُ فِيهِ
لِلْآخِرِ - فَاقْتَضَتْ مَرَّاسِمُهَا الطَّاعَةَ أَنْ يُرَازَ جَيْدُهُ بِهَذَا التَّقْلِيدِ ، وَتُلْقَى إِلَيْهِ الْمَقَالِيدُ ؛
وَيُعَدَّدُ هَذِهِ الرِّتَبَةُ لَتَلْقِيهِ ، وَتَخَضَعُ عَنْقُ هَذِهِ الْمَرْتَبَةُ لَتَرْقِيهِ ؛ وَتَحْوِلُ إِلَيْهِ هَذِهِ النِّعْمَةُ

(١) يياض بالأصل .

(٢) هو إسحاق بن إبراهيم الموصلى مثنى الخلفاء المشهور .

التي ألحقت قدره بالأكفاء، وأهلت هممه للاكتفاء؛ وشرفت مكانه بما أجمعت عليه أراؤنا الشريفة له من الاصطفاء، وأحسنّت به الظن لما رأت نيته الجميلة ممثلة من خاطره في امرأة الصفاء.

فرسم بالأمر الشريف - لا زال مرفوعاً به كل علم، ممنوعاً به حي كل حرم - أن تقوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بمخص المحروسة وأتمها لها، وجنّدها وعمّالها، وعساكرها وعشائرها؛ وعامريها وقامريها، وأولها وآخرها؛ ودانيها، وقاصيها؛ وكل ما في حدودها الأربعة، ودأخل في جهاتها الممنعة؛ على أجل ماجرت به عوائد من تقدّمه، واستقرت عليه القواعد المتقدّمة.

فأتي الله في أمورك، وأجعل الشرع الشريف مشكاة نورك، وعظم حكمته، ونفذ أحكامه، فهم أمنع سورك. وأعدل فهو قرار خواطر جمهورك، وتيقظ لسداد سداد ثغورك، وأرفق لتطلق به نطق فطاني شكورك. وأقيم الحدود فإنها زيادة في أجورك. وأما العساكر المنصورة، بحمل بهم في خدمتنا الشريفة مواجك، وكل جزائهم مضاربك؛ ولا تستخدم منهم إلا من يسرك أن تراه في يوم العرض، وتعدّد هواي جيساده السماء بالأرض؛ وأحيم أطراف بلادك من عادية الرجال، وأحفظ جانبيها من تحطيف الغارات فسر قيامها [لا يدفعه] غير احتيال؛ وأهم بالجهاد تحت صناجحتنا المنصورة لأعداء الله متى أجمعوا، وضررهم بأنياب أسلكت فانت صاحب العصا وهي تتلقف ماصعوا؛ وعمر بلادها بملاحظتك الجميلة، ونم أمورها فهي قوام الجنود وهم إلى الثقة في النصر الوسيلا؛ وسارع إلى ما ترد به مراسمتنا الشريفة عليك لتهديك إلى صراط مستقيم؛ وعجل البريد فإنك تعلم به مآلتك بعلم؛

وَبَقِيَّةُ الوصايا لاحتاجة إليها لما تعرفه من قديم ، والله تعالى يمتنع بكُلِّ خُلُقٍ كريم ؛
والخطُ الشريفُ أعلاه

النيابة الثانية - نيابة الرجبة .

وهذه نسخةُ بَيَانِهَا :

الحمد لله الذى أمدَّنَا بنصره ، وشمل مجود سلطاننا أهل عصره ؛ وأيده بجنوده أوْلمَا
متصل بأول عِراقه وآخرها بآخر مضره ، وفزق بسهامه الأعداء فى حواصل الطيرين
حُضْنَه وخَصْرَه .

نَحْمَدُه حمداً يقومُ بشكره ، ويحافظُ على حُسن ذكره ، ويُستعاذ به إلا بما يَدْمُرُ
على العباد من عواقب مكره ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً تَرِيغُ
من جالَّه بكفره ، ومُزَقِّه بين كل نَابِ سيفٍ وطُفْرَةٍ ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده
ورَسُولُهُ أرسله مُقِيّاً لأمره ، ومُديماً فى الجهاد لإِعمالِ بَيْضِه ومُثْمِرَه ، صلى الله
عليه وعلى آله وصحبه حملة سِرِّه ، وَقَلَّةَ هَدْيِه بأمره ؛ صلاةً باقيةً فى الوجود بقائه
دَهْرَه ، راقيةً آرتقاء زُهْرَه .

وبعد ، فإنَّ النُفُورَ بِسَيَادِهَا ، والبُحُورَ بِأَمْدَادِهَا ، والنُّحُورَ لَا تَحِلُّ بِأَحْسَنَ من
حَلِيَّةِ نِجَادِهَا ، والممالك المحروسة لَا تُحْرَسُ إِلَّا بِشُهْبِ خُرْصَانِهَا ، وَلَا تُسْقَى بِأَنْعَمِ
مِمَّا يُطْلَعُ من الدِّمَاءِ مُحِبُّ قُرْسَانِهَا ، والفُرات لَا تُنْحَى مَوَارِدُهَا إِلَّا بِأَمْشَالِ سِيوفِهَا
القَوَاصِبِ ، وَلَا تَمْنَعُ مَحَاوِضُهَا إِلَّا بِدِيمِ خَاضِبِ ، ^(١) والحِصُونُ لَا يَرْضَى بِهَا كُلُّ مُتَجَنِّقٍ
غَضْبَانٍ إِلَّا بِوَصَالِ مَغَاضِبِ ، والقِصَاعُ لَا تَطْلُعُ عِيُونُ دِيَادِبِهَا إِلَّا مِنْ مَاءِ الْكَرَى

(١) فى الأصل مَخَالِصِهَا .

فِي جُفُونِهِ نَاصِبٌ ، وَالْمَعْقِلَ لَا تَسْمَحُ بِعَقَائِلِهَا إِلَّا لِمَنْ هُوَ عَلَى خِطْبَتِهَا مُوَاطِبٌ ؛
وَكَانَتْ الرَّجْبَةُ - حَرَمُهَا اللَّهُ تَعَالَى - هِيَ أَوْسَعُ مَكَانٍ رِحَابًا ، وَأَذْنَى إِلَى مَطَرٍ سَحَابًا ؛
وَأَوْتَقَى مَا أَعْلَقَ عَلَى الْبِلَادِ بَابًا ، وَأَقْرَبَ مَا سَمِعَ حُرُاسُهَا فِي السَّمَاءِ دُمَاءَ بُجَابَا ؛
قَدْ مَلِكْتُ سَمَاءُهَا حَرَمًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ، وَمَدَّتْ كَوَاكِبَ الدُّلُوحِ وَاسْتَقَتَّ مِنَ الْغَامِ
قُلُوبًا ؛ وَصَلَتْ مَا وَرَاءَ الْحَجَرَةِ فُعِمَّتْ دُونَهَا الْمَسَالِكُ ، وَحُسِبَتْ لِلْمَلِكِ وَنُسِبَتْ إِلَى
مَالِكٍ ؛ وَمَالِكٌ - لَا أَعْنِي إِلَّا أَبْنَ طُوقٍ خَازِنُهَا ، وَمَتَرُلْ أَمْنٍ وَفِي ظَابِ الْأَمْسَدِ
مَسَاكِنُهَا ؛ قَدْ وَقَفَتْ لِبَغْدَادَ فِي قِيمِ الْمَضِيقِ ، وَهَمَّتْ بِلَادُ الْعِلَادِ أَنْ تَحْوِصَ الْفُرَاتَ
إِلَيْهَا فَقَالَتْ : مَالِكٌ إِلَى طَرِيقٍ ؛ قَدْ أَقْفَرَتْ فِي وَجْهِ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ تَفَرُّهُ الضَّاحِكُ ،
وَرَدَّ قَرْنَ الشَّمْسِ فَرَعُهَا الْمُتَمَاسِكُ .

فَلَمَّا أَتَمَّ حُسَامُهَا الْمَسْئُولُ ، وَأَقْلَعَ عَمَامُهَا وَكُلُّ هَدَبٍ بِالْبَكَاءِ عَلَيْهِ مَبْثُولٌ -
أَقْتَضَى رَأْيُنَا الشَّرِيفُ أَنْ نَجِدَ لِعُرْوِمِهَا زِقَافًا ، وَلِيَبُوتِهَا أَفْوَافًا ؛ وَلِيُسَوِّفَهَا جَلَاءَ ،
وَلِيُسْقُوفَهَا إِطْلَاءَ ؛ وَنُؤَيِّلَهَا لِمَنْ تَكُونُ هِمَّتُهُ فِيهَا جَدِيدَةُ الشَّبَابِ ، أَكِيدَةُ الْأَسْبَابِ ؛
لِيَكُونَ أَدْعَى لِمَصَالِحِهَا ، وَأَرْغَى لِمَنَاجِحِهَا ؛ وَأَوْعَى لِمَا يَجْمَعُهُ مَنَعُهُ مِنْ مَصَالِحِهَا ،
وَأَسْعَى فِي حِمَايَةِ مَنَاسِبِهَا وَمَصَالِحِهَا ؛ وَكَانَ فَلَانٌ هُوَ أَصْلَبَ مَنْ فِي كَاثِنَتِنَا الشَّرِيفَةِ
عُودًا ، وَأَنْجَزَ رُغُودًا ؛ وَأَصْدَقَ رُغُودًا ، وَأَيْمَنَ إِذَا طَلَعَ نَجْمُهُ فِي أَفْقِ سَعُودَا .

فَرَسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ تَفُوضَ إِلَيْهِ نِيَابَةُ الرَّجْبَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، عَلَى عَادَةِ مَنْ تَهْتَمُّهُ
وَقَاعِدَتِهِ ؛ [فَلْيَتَوَلَّ ذلك] مَقْتَدِمًا تَحْوِي اللَّهَ وَالْعَمَلَ بِمَا شَرَعَ ، وَاتَّبَاعَ مَرَامِنَا الشَّرِيفَةِ
فِيئَلَهُ مَنْ أَتْبَعَ ، وَحِمَايَةَ أَطْرَافِهَا ، مِنْ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ ، وَصِيَانَةَ أَكْثَانِهَا ،
مِنْ كُلِّ عَصَابَةٍ مُخْلَفَةٍ إِلَى جَوْهَا كَالطَّيْرِ ؛ وَحِفْظَهَا مِنْ عَادِيَةِ كُلِّ أَفَّاكٍ وَسَقَاكٍ ، وَبَادِيَةِ
أَعْرَابٍ وَأَتْرَاكٍ ؛ وَكُلِّ فَارِسٍ فَرَسٍ وَرَاكِبٍ بَيْرٍ ، وَكُلِّ وَقْفَةٍ مُحَاصِرٍ وَحَقِطَةٍ مُنِيرٍ ؛

وَجَانِبِيَّ بَرُّوَجِيَّ : فِي أَحَدِهِمَا الْمَسَالِكُ تَعْمَى وَالْآخَرُ لَا يُعَامُ ، وَصَاحِبِي سَرُّوَجِيَّ :
هَذَا تَحْتَى لَهُ عَاقِبَةُ كَلَامٍ وَهَذَا مُعَاقِبَةُ كَلَامٍ .

وَلْيَخْطُفْ مِنَ الْأَخْبَارِ مَا تَلَمَّعَ لَيْتِنَا بِوَارِقِهِ ، وَيَتَقَطَّفْ مِنَ الْأَقْوَالِ ثَمَرَاتِهَا
وَلَا يَدْعُ كُلَّ مَا نَجَّمَهُ حَدَائِقُهُ ، وَلِيَجْعَلَ لَهُ مِنَ الْمُنَاصِحِينَ طَلَائِعَ مَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ هُوَ
فِي أَتِهَابِ الْأَخْبَارِ أَبُو الْفَارَاتِ ، وَمَنْ إِذَا أَلْجَسَهُ الْخَوْفُ كَانَ لَهُ فِي تَلْجِجِ الْبُرُوقِ
إِشَارَاتٌ ؛ وَلْيَتَّخِذْ مِنَ الْكَشَافَةِ مَنْ يَسْبِقُ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْهِ طَرَفُهُ ، وَمَنِ الْخِلَالَةِ مَنْ
لَا يَرْتَدُّ عَنْ وَقْدِ الرَّمَاحِ طَرَفُهُ ؛ وَمَنِ الْقَصَادِ مَنْ لَا يَطْوِي عَنْهُ خَبْرًا ، وَمَنِ الدِّيَادِبِ
مَنْ يُبِيرُهُ وَقَدْ أَنْ تَمَّارِ الْعِبُونُ نَظَرًا ؛ وَلْيَحْفَظْ التُّجَّارُ فِي مَذَاهِبِهِمْ قُدُورًا وَرَوَاحًا ،
وَمَسَاءً وَصَبَاحًا ؛ وَلْيَسْتَوْصِ بِهِمْ خَيْرًا فَإِنَّهُمْ طَالِبَا أَزْدَانَتْ بِهِمْ صُدُورُ الْخَزَائِنِ عَلَى
أَمْتِلَانِهَا أَتْشِرَاحًا ، وَلْيَأْخُذْ مِنْهُمْ مَا لَيْبَتْ الْمَالِ فَكَمْ وَجَدُوا بَعْطَاهُ أَرْبَاحًا ؛ وَلْيُوصِلْ
إِلَى أَرْبَابِ الْقَرَارَاتِ مَا لَهُمْ مِنْ مُقَرَّرٍ مَعْلُومٍ ، وَلْيُعْطِهِمْ مَا تَصَلَّقْنَا بِهِ عَلَيْهِمْ وَهُوَ
مَشْكُورٌ وَإِلَّا أَعْطَاهُمْ وَهُوَ مَثْمُومٌ ؛ وَلْيُعَمِّرِ الْبِلَادَ بِتَوَطُّينِ أَهْلِ الْقُرَى ، وَإِنَامَتِهَا
بِالسُّلِّ مِلَآنَةِ الْجَفُونِ مِنَ الْكَرَى ؛ وَلْيَكُنْ لِلْفَرَاتِ مَتِيقُظًا لَثَلَا يَطْفُئُ بِهَا النَّيَّارُ ،
وَيُظْلَبُ بِمَدِّهَا الْخُمْرُ عَلَى مَسْكِرِهَا مِنَ السُّكْرِ الْجَمَّارِ ؛ وَهَوَى عَلَى سَدِّهَا قَبْلَ أَنْ لَا يَقْدِرَ
عَلَى مُقَاوَاةِ الْبَحَارِ ؛ وَيَتَفَقَّدُ مَبَانِيهَا فَإِنَّهَا مِنْ أُنْسَى مَا تَنْتَفِقِدُهُ الْأَبْصَارُ ، وَلِيغْلِقْ
زُرُوعَهَا لِتَكُونَ : (كَتِيلُ زَرْعٍ أَنْخَرَجَ شَطْلَاهُ فَأَزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ
يُنْجِبُ الزَّرْعَ لِيَخْطِ بِهِمُ الْكُفَّارُ) وَلْيَعِفَّ فَإِنَّ الْعَفَافَ هُوَ الْغِنَى ، وَلْيُؤْمِنْ مَنْ يَلِيهِ
فَإِنَّ الْأَمَانَ هُوَ الْمُنَى ؛ وَلْيَقِرَّ مَا اسْتَقَرَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ مِنْ صَلَاحٍ أَكَدَّتْ أَوَاحِيَهُ ،
وَاصْبَحَ كُلُّ مَنْ أَهْلُ الْجَانَيْنِ لَا يَفِرُّ مِنْ أَخِيهِ ، وَلَا يَرْخُصُ لِأَحَدٍ فِيمَا يَنْقُضُهُ
لَا فِي عَاجِلِ أَمْرِ وَلَا فِي تَرَاخِيهِ ؛ حَتَّى إِذَا كَشَفَتِ الْحَرْبُ عَنْ سَاقِهَا ، وَشَدَّتْ عَقْدَ
نِطَاقِهَا ؛ فَلْيَكُنْ بِحَسَبِ مَرَّاسِمِنَا الشَّرِيفَةِ أَعْمَادُهُ فِي شَنْ كُلِّ غَارِهِ ، وَمَنْ كُلِّ مَاضٍ

مُرْهَقًا غَرَّارَهُ ، وَجَوَّسٍ خِلَالَ دِيَارِ الْعِدَا وَأَخِطَافٍ كُلِّ قَمَرٍ مِنْ دَارِهِ ، وَالْمُحْرِقَاتِ
الَّتِي لَا تُخَوِّقُ نَبَاتًا حَتَّى تَسِيبَ فِي ضُلُوعِهِمْ ، وَالْعِيَارَةِ فِيهِ الزَّلَازِلُ الَّتِي تَسْقُطُ مِنْهَا
مَبَانِي رُبُوعِهِمْ ، وَمُؤَالَاةُ الْبُعُوثِ : فَإِنَّ كُلَّ بَعِثٍ يَتَكَفَّلُ بِشَتَاتِ جُمُوعِهِمْ ؛ وَالْعَمَلُ
بِكُلِّ مَا تَرُدُّ بِهِ مَرَامِنُنَا الْعَالِيَةِ ، وَالْمُؤَاصَلَةُ بِكُتُبِهِ الَّتِي تَرْفُضُ مَا سَوَىٰ أَخْبَارِهَا
الْمُتَوَالِيَةِ ، وَإِرْسَالُ كُلِّ بَرِيدٍ وَحَامٍ مُخَلَّقٍ بِهِمَا : إِمَّا رِيحٌ ظَاهِرَةٌ وَإِمَّا رِيحٌ خَافِيَةٌ ،
وَإِنَّهُ تَعَالَىٰ يَقْرَبُ لَهُ النِّيَّاتُ الْمُنَادِيَةُ بِمَنْتِهِ وَكِرَمِهِ ! .

النيابة الثالثة — نيابة مصياف .

وهذه نسخة مرسوم بنياتها :

الْحَمْدُ لَهُ الَّذِي صَرَفَ مِمَالِكَاتِ الشَّرِيفَةِ فِي الْمَالِكِ ، وَشَرَّفَ بَنَاءَ كُلِّ حَصْنٍ
لَا تَقْرُضُ لَهُ الْمَجْرَةَ فِي الْمَسَالِكِ ، وَعَرَّفَ بِالْتَرْبِيَةِ فِي خِدْمَةِ أَبْوَابِنَا الْعَالِيَةِ إِلَىٰ أَيْنَ
يَنْتَهِي السَّالِكُ .

نَحْمَدُهُ عَلَىٰ نِعَمِهِ الَّتِي نَمْتَدُّ بِهَا الْحَمْدُ مِنْ ذَلِكَ ، وَنَرْغِبُ أَنْ تَلْقَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ آدَاءِ الْأَمَانَةِ
فِيهَا كَذَلِكَ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِيهَا هُوَ مَالِكٌ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَضَاءَ بِهِ كُلَّ حَالٍ حَالِكٍ ، وَأُنْجِي بِهِ مِنْ مَهَاوِي الْمَهَالِكِ ،
وَجَمَعَ بِهِ مِنَ الْأُمَّةِ مَا وَهَىٰ وَهَىٰ كَالْعَقْدِ الْمُتَهَالِكِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ
صَلَاةً يَجِدُ بِهَا قَائِلُهَا فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ كُلَّ هَنَاءٍ هُنَالِكَ ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ النِّظَرَ فِي أُمُورِ الْمَالِكِ هُوَ أَوَّلُ مَا يَهْتَمُّهُ الْمَلِكُ ، وَأَوَّلُ مَا يَتَقَدَّمُ إِلَيْهِ
مَنْ سَلَكَ ؛ وَمَمْلَكَةُ بَيْتِ الدَّعْوَةِ هِيَ مِنْ أَجَلٍّ مَا تَقَرَّرَتْ بِهِ مِمَالِكَاتُ الشَّرِيفَةِ ،
وَاثْمَتَتْ بِهِ فِي الْأَمَانِ الْخَفِيفَةِ ؛ وَأُرْسِلَتْ مِنْ قِلَاصِهَا مِنْ يَتَلَعَّ الْعِدَا بُوْثُوبَهُ ،
وَيُسَاقِ السَّهْمُ إِلَىٰ مَطْلُوبِهِ ؛ وَيَتَعَبَّدُ بِمُؤَالَاةِهَا الَّتِي وَرَثَهَا عَنْ سَلَفِهِ فِي طَاعَةِ أَعْيُنِهِمْ ،

وَعَلِمُوا بِهَا أَنَّ النُّوْلَةَ الْعُلُويَّةَ مَا اقْتَضَتْ حَتَّى أَتَقَلَّتْ إِلَيْنَا الْوِلَايَةَ عَلَى شِيعَتِهِمْ ؛
وَأَنَّ الْمُلْكَ الْإِسْمَاعِيلِيَّ فِينَا قَدْ انْحَصَرَ مِيرَاثُهُ ، وَأَنَّ كُلَّ مَنْ مَاتَ مِنْ الْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ
- رَحِمَهُمُ اللَّهُ - نَحْنُ وَرَثَتُهُ ؛ فَهَمْ بِهَذَا يَتَذَكَّرُونَ نَفْسَهُمْ فِي الطَّاعَةِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي يَرَوْنَهَا
فَرَضًا عَلَيْهِمْ ، وَيَتَلَفَّظُونَ بِهَا أَغْلَى مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ : لِأَنَّهُمْ إِذَا رَأَوْا مُنْكَرًا أَرَاؤُهُ
بَيْنَهُمْ ؛ كَمْ هَجَمُوا عَلَى عَدُوٍّ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ هَجْمَةَ طَيْفٍ ! ، وَكَمْ اسْتَطَالُوا بِسِكِّينٍ
لَا يَتَطَاوَلُ إِلَى مِبَارَاتِهَا سَيْفٌ ! ، وَكَمْ أَوْقَدُوا لَهْمَ بَارِقَةٍ عَزِمَ فَعِيلٌ : هَذِهِ صَحَابَةُ
صَيْفٍ ! ، وَلَمْ وَزِدُوا بِالْأَمَاءِ خَدًّا فَذَا يَتَأَدَّى : يَا كَرَامَ الْوَرْدِ ضَيْفٌ ! ، وَكَانَتْ
مُضَيَّافٌ - حَرَمَهَا اللَّهُ تَعَالَى - هِيَ كُرْسِيُّ هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ ، وَقَلْعُهَا هِيَ الَّتِي بَدَوَاتِبُ
الْجُوزَاءِ مُتَمَسِّكَةٌ ؛ وَاقْتَضَتْ مَرَاتِمُنَا الْمُطَاعَةَ قَلَّ النَّاسُ بِهَا إِلَى مَارِسَتِنَا بِهِ الْآنَ ،
نَحْنُ مَنْ يَتَرَقَّى فِيهَا إِلَى أَعَزِّ مَكَانٍ ، وَاحْتَاجَتْ إِلَى مَنْ تَعْنَى بِهِ عَمَّا يَقَالُ : مَنْ
أَعْقَالَ رُخٍّ وَتَجَرِيدِ سَنَانٍ .

فَحَصَلَ الْفِكْرُ الشَّرِيفُ فِيمَنْ تُقَلِّدُهُ هَذِهِ النِّيَابَةُ ، وَيَتَقَلَّدُ أَمْرَ هَذِهِ الْعِصَابَةِ ؛
وَيَتَصَرَّفُ فِي أُمُورِهَا بِمُقْتَضَى مَا تَرِدُ بِهِ مَرَاتِمُنَا الْمُطَاعَةَ ، وَيُعْلَمُ أَنَّهُ مِنْ شِيعَتِنَا :
لَأَنَّهُ دَائِمًا فِي هَذِهِ الْجَمَاعَةِ ؛ فَرَأَيْنَا أَنَّ أَحَقَّ [النَّاسِ بِهَا] مَنْ قَدَّمَهُ وَلَّاؤُهُ ، وَعَظَّمَهُ
أَنْتِمَائُوهُ ؛ وَنَبَّهَ عَلَيْهِ أَهْتِمَامُ هَمَمِهِ الَّتِي لَا تُشَابِهُهَا الْكَوَاكِبُ فِي سَيْرِهَا ، وَعَزَائِمُهُ الَّتِي
طَالَمَا كَانَ بِهَا فِي خِدْمَتِنَا الشَّرِيفَةِ «يُظَلُّ بِمَوْمَاةٍ وَيُمِيسُ بِغَيْرِهَا» ؛ وَلَمْ تَزَلْ بِهِ مَسَاعِيهِ
حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْمَرِيدِ ، وَأَسْرَعَ لَهُ الشَّيْبُ فِي طَاعَتِنَا الشَّرِيفَةِ : لِأَنَّهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ
[كَانَ] يَسْمَعُ قَعْقَعَةَ لِحَافِ الْبَرِيدِ ؛ وَكَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ الْقَوْلُ بِوَضِيفِهِ ،
وَدَلَّ عَلَيْهِ تَنَاقُؤُهُ بِرَفْقِهِ .

فَرَسَمَ أَنْ تَقْوُصَ إِلَيْهِ النِّيَابَةُ بِمُضَيَّافٍ وَأَعْمَالِهَا ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ وَقَاعِدَتِهِ .
فَلْيَقَدِّمْ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِيمَا وَلِيَهُ ، وَلْيَنْشُرْ جَنَاحَ عَدْلِنَا الشَّرِيفِ عَلَى مَنْ يَلِيهِ ، وَلْيَعْمَلْ

بالأحكام الشرعية في كل ما يقضيه ؛ وليسلك في أهلها أوضح المرائد ، ولين لهم أنه يدعوهم إلى سبيل الرشاد إلا ما آدعه راشد ؛ ولوصول إلى المجاهدين أوزانهم التي هي أثمان نفوسهم ، وثمار مادتي القطاف من رؤوسهم . وأهل من مات أو يموت منهم على طاعتنا الشريفة فكُن عليهم متعطفًا ، ومن طلب منك الإنصاف فكُن له منصفًا ؛ وأفضل معهم أحسن الأسوة ، وقل لهم عتًا : إن الصدقات الشريفة قد استجابت لكم يا أهل الدعوة ؛ وخذ بقلوبهم ، لتزاد من حُبهم ، وقل للمجاهدين : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ . والأموال فُضِّتْها من الضياع ؛ وعمارة البلاد طَلَبَها فإن القلعة لا تكون إلا بالمدينة والمدينة لا تكون إلا بالضياع ؛ وأمثال مراميها الشريفة وكل ما يُرمى به سارع إلى اعتماده ، وطائفة المجاهدين لا تدع منهم إلا من هو معتمد للجهاد ؛ والكتان الكتان ! فيه سُؤال المطالب ، وتذكر المأرب ؛ ومليك بقمه المُفسدين ، وردع المعتدين ، وإقامة الحدود : فإن بها أقام الله هذا الدين ؛ ونحن نعتني بما فيك من المعرفة ، وبما أنت عليه - بحمد الله تعالى - من كل كل صفة ، عن استيعاب الوصايا التي لم تخرج بمجاليك بها متصفه ، والله تعالى يزيدك من كل نوع أشرفه ؛ والخط الشريف أعلاه



وأما الصفة الشمالية ، فالذي يولَّى بهذه الصفة عن الأبواب السلطانية ، نِيَابَةٌ بَعْلَبَكْ فقط . وقد تقدم في الكلام على ترتيب الملكة الشامية أنها كانت أولًا امرأة عشرة ، ثم صارت طليخاناه ، وأن نائب الشام يولَّى بها ، وربما وليت من الأبواب الشريفة السلطانية . وحيث يكون مرسوم نائبها في قطع الثلث بـ «المجلس السامي» بالياء .

وهذه نسخة مرسوم بناية بعلبك :

أما بعد حمد الله على أَمَلٍ حَقَّقَ مَنَاهُ ، وَصَدَّقَ غَنَاهُ ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ مُحِبَّ اعْتِنَاءِ
أَوْرَقَ بِهِ عُوْدَهُ وَطَابَ جَنَاهُ ؛ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامَ عَلَى نَبِيِّهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي كَمَّلَ بِنَاهُ ،
وَعَلَى آلِهِ وَحُجْبِهِ مَا شَيْدَ مَعْقِلٍ نَخَارَ مَبْنَاهُ - فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مُدُنِ الشَّامِ الْقَدِيمَةِ ، وَدَوْرِ
الْمُلْكِ الَّتِي ذَهَبَ مِنْ يَحْلُهَا مِنَ الْمُلُوكِ وَبَقِيَتْ آثَارُهُ مُقِيمَةً ، مَدِينَةُ بَعْلَبَكْ وَهِيَ الَّتِي
تَحْصُنُ الْإِسْلَامَ بِقَلْعَتِهَا ، وَتَحْصِلُ الرِّعْبَ فِي قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ [بِمَنْعَتِهَا] ^(١) بَنِيَتْ عَلَى عَهْدِ
سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَأَتَمَّنَ بِنَاؤُهَا ، وَهَالَتْ أَسْوَارُهَا حَتَّى نُسِبَ إِلَى صَنْعَةِ
الْحَيِّ بِنَاؤُهَا ؛ وَدَعَمَتِ السَّمَاءُ عَمْدَهَا ، فَطَالَتْ شُرْفُهَا حَتَّى كَادَتْ تُخَضِّخُضُ فِي سَجَلِ
السَّحَابِ يَدُهَا ؛ وَجَمَعَتْ مَحَاسِنَ فِي سِوَاهَا لَا تُوجَدُ ، وَتَقَرَّرُ بِمُلْكِهَا مِنَ الْمُلُوكِ :
تَارَةً سَعِيدًا وَتَارَةً أَمُجَّدًا ؛ وَمَا خَلَّتْ مِنْ عُلَمَاءَ عَظِيمِي الشَّانِ ، وَصُلَحَاءَ يَأْتُهُمُ
الْجَبَلَانُ : سَيْسُ وَلُبْنَانُ ؛ وَهِيَ بَابُ دِمَشْقِ الْمَفْتُوحِ ، وَصَحَابُ الْأَنْوَاءِ الْمَسْفُوحِ
بِالسُّفُوحِ ؛ وَبَابُ الْبُرُوقِ الَّتِي آلَتْ أَنَّهَا بِأَسْرَارِهَا لَا تَبُوحُ ، وَمَابُ السَّفَارَةِ الَّتِي تَغْلُو
مُحَمَّلَةً أَوْقَارَ رَكَائِبِهَا وَتَرْوِجُ ؛ وَلَهَا الْعَيْنُ الْمُسَبِّلَةُ الرُّوَاتِبِ ، وَالْجِبَالُ الرَّاسِيَةُ الْوَقَارِ
لَمُفْرِقِهَا الشَّائِبِ ، الْعَالِيَةِ النَّدَى مِنْ قِطْعِ السَّحَابِ ؛ وَ[لَمَّا] كَانَ مِنْ فِيهَا الْآنَ
مَنْ لَا تَسْتَفِي الدَّوْلَةُ الْقَاهِرَةُ عَنْ قُرْبِهِ ، وَلَا تَسْتَتِي أَحَدًا مَعَهُ فِي تَجْرِيدِهِ سَيْفَهُ
الْمَشْهُورَ مِنْ قُرْبِهِ ، أَجَلْنَا الرَّأْيَ فِي كُفِّهِ لَعْرُوسَهَا ، وَمَمَائِلَ لِمَرْكَرَ تَأَوَّدَ غُرُوسَهَا ،
فَلَمْ يَجِدْ أَذْرَى بِأَحْوَالِهَا ، وَأَذْرَبَ بِمَا يُؤَلَّفُ عَلَى الطَّاعَةِ قُلُوبَ رَجَالِهَا ، كَمَنْ أَسْتَقَرَّ بِهِ
فِيهَا مَعَ أَبِيهِ الْمَاضِي - رَحِمَهُ اللَّهُ - الْوَطَنَ [وَنَالَا مِنْهُ الْوَطَرَ] ، وَمَرَّتْ [عَلَيْهِمْ فِيهِ]

(١) يياض بالأمل والتصحيح من المقام .

(٢) » » ولعله : التي كانتا متعلقة من الخ .

سنون وأيام هتف بها دأى قصر؛ ولا غنى [عنه] مع ماله من ولايات حصب فيها الناس وفارقهم على وجه جميل، ورأفهم ثم أنصرف وأنصرفوا عنه وما دعه في النازلين نزيل؛ وكان فلان هو المتوقد الشهاب، المتوقل في تلك الهضاب؛ المشكور قولاً وديناً، المشهور بوضع كل شيء في موضعه شدة ولينا.

فلنك رسم ... لا زال إحسانه أحمد واختياره مقدماً - أن يرتب في نيابة بلبك على عادة من تقدمه وقاصدته، مُبَدِّئاً حُسن النظر في الأمور العامة، لا يدع ظلامه، ولا يدع سالك طريق إلى سلامه، ولا يُعَدِّ سمماً إلا لسماع شكر لا ملامه؛ وليتظر في المظالم نظراً ينجلي به سدفها، وليشكر الصير توطياً يوطأ به هدفها؛ وليلاحظ الأمور الديوانية بما يُنسبُ به أموالها، ويُندى بسحابه المتدفق أحوالها. والأوقاف فليشارك واقفيها في إحسانهم، وليجرح حسانتها على ما كانت عليه في زمانهم؛ وليكن لها نعم الكفيل في دوام المحافظة وليتفقد ما فيها من الحواصل والزرذخاته مما يذخر لوقته، ويُؤخر لفرط الشغف به لالمقته. ومن أمم ما يحتفظ به قلوب الرجال، وعمارة الأسوار فإنها للفرسان المقاتلة مجال، وعليها تُصَبِّ المجانيق وتُخَطَفُ الأجل. وأما الشريعة المطهرة: فإن من عدى غرق أو أوشك أن يغرق، وأتباع أوامرها: ولا فِيمَ يُعَلَّبُ من يعلب ويُحرق من يحرق؛ وهوى الله تعالى هي الوصية الجامعة، والتذكرة التي ترتد بها الأبصار خاشعة؛ وليفهم هذه الوصايا ولا يُخرج شيئاً منها من قلبه، وليتقين معانيها ليكون بها على بينة من ربه؛ والله تعالى يكشف عنه غطاء مجيبه، ويرزقه عما يأخذه ويؤاخذه من نيته؛ إن شاء الله تعالى.

الصف الثاني^(١)

(ممن [هم] خارج دمشق : ممن يؤتى عن الأبواب السلطانية -
 أمراء العربان ، وهم على طبقتين :)

الطبقة الأولى

(من يُكْتَبُ له منهم تقليدٌ في قَطْع النِّصْف بـ «المجلس العالي» وهو أمير آل
 فضل خاصة : سواء كان مستقلاً بالإمارة أو شريكاً لغيره فيها)

وقد هُتِمَ في الكلام على ترتيب المملكة الشامية قلاص «مسالك الأبصار»
 أنَّ ديارهم من حمص ، إلى قلعة جعبر ، إلى الرّجّة ، آخذين على شقيّ الفرات وأطراف
 العراق .



وهذه نسخةٌ تقليديةٌ بأمرة آل فضل : كُتِبَ به للامير شجاع الدين « فضل بن
 عيسى » عوضاً عن أخيه مُهنّا ، عند ما خرج أخوه المذكور مع قرا ستقر الأفرم
 ومن معهما من المتسحين ، وأقام [هو] بأطراف البلاد ولم يُفَارِق الخدمة ، في شهور
 سنة أتمت عشرة وسبعمائة ، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، وهو :

الحمد لله الذي مَنَحَ آل فضل في أيامنا الزاهرة بحسن الطاعة فضلاً ، وقَدَّم عليهم
 بقديم الإخلاص في الولاء من أنفسهم شجاعاً يجمع لهم على الخدمة ألفةً وينظّم لهم
 على المخالصة شملاً ، وحَفِظَ عليهم من إعرازِ مكان يتهم لدينا مكانةً لا تنقُصُ
 لها الأيام حُكماً ولا تنقص لها الحوادث ظلاً .

(١) لم يتقدم تقسيمه إلى أصناف ولعل مراده أن ما تقدم من التولية في الصفحات متف أول وهذا
 صف ثان . فليتبّه .

نحمده على نعمه التي شملت برّنا، الحضر والبثو، وألجّت بـسكنا، ألسنة العجم
في الشّدو والعرب في الحدو، وأعملت في الجهاد بين يدينا من الأعمال ما يبارى
بالنص والعق الصفات في الحبب والعنو، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة تدّرأ بها الأمور العظام، وقُدّ يُنمّا ما هم من مصالح الإسلام لمن
يجرى بتديره على أحسن نظام، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث من أعلى
نواب العرب وأشرفها، المرجو الشفاعة العظمى يوم طول عَرْض الأئم وهول
موقفها، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كُرم بالوفاء أنسابهم، وأضاعت
بتقوى الله وجوههم وأحسابهم، صلاة لا تزال الألسن تُقيم ندائهم، والأقلام تُرقم
ردائهم، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من أجبته الطاعة ثمة إخلاصه، ورَفَعته المخالصة إلى أسنى
رُتب تقريبه وأخصاصه، وألف بمبادرته إلى الخُلعة الشريفة قلوب القبائل وجمع
شملها، وقَلده حسن الوفاء من أمر قومه وإميرتهم ما يُستشهد فيه بقول الله تعالى :
(وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا) - من ارتقى إلى أسنى رُتب دُنياه بحفظ دينه، ودَلّ
تسككه بإيمانه على صحّة إيمانه وقُوّة يقينه، ولا حظّته عيون السعادة فكان في حزب
الله الغالب وهو حزبنا، وقابلته وجوه الإقبال فأرته أن المخبون من فاته تخريننا
وقربنا، ورأى إحساننا إليه بين لم يطرفها الجحود، ولم يطرفها إعراض السعود،
فسلّك جادة الوفاء وهي من أعم الطرق طريقا، وأقْدئ في الطاعة والولاء بن قال
فيهم بمثل قوله : (وَحَسَنَ أَوْلِيكَ رَفِيقًا) .

ولما كان المجلس العالي ... هو الذي حاز من سعادة الدنيا والآخرة بحسن الطاعة
ما حاز، وقاز من برّنا وشكرنا بجمل المبادرة إلى الخُلعة بما فاز، وعلم مواقع إحساننا

إِلَيْهِ فَعَمِلَ عَلَى اسْتِدَامَةِ وَلِيِّهَا ، وَاسْتِرَادَةِ فَضْلِهَا ؛ وَالْأَرْثَوَاءِ مِنْ مَعْرِفِهَا الَّذِي بَاءَ بِالْحِرْمَانِ [منه] مِنْ تَخْرِجِ عَنْ ظِلِّهَا ؛ مَعَ مَا أَضَافَ إِلَى ذَلِكَ : مِنْ تَجَاعَةٍ تَبَيَّتْ مِنْهَا أَعْدَاءُ الدِّينِ عَلَى وَجَلٍ ، وَمَهَابَةٍ تَسِيرُ إِلَى قُلُوبٍ مِنْ بَعْدِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ سُرَى مَا قُرْبَ مِنَ الْأَجَلِ - أَقْتَضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ نَمُدَّ عَلَى أَطْرَافِ الْمَالِكِ الْمَحْرُوسَةِ مِنْهُ سُورًا مَصْفُوعًا بِصَفَاحِهِ ، مَشْرُفًا بِأُسْنَةِ رِمَاحِهِ .

فُرِسم بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْعَالِي - لَا زَالَ يَقْلُدُ وَلِيَّهُ فَضْلًا ، وَيَمْلَأُ مَحَالِكَهُ إِحْسَانًا وَعَدْلًا - أَنْ يَقُوضَ إِلَيْهِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ : لِمَا هَتَمَ مِنْ أَسْبَابِ تَقْدِيمِهِ ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ مِنْ عِنَايَتِنَا بِهَذَا الْبَيْتِ الَّذِي هُوَ سِرُّ حَدِيثِهِ وَقَدِيمِهِ ؛ وَلِعِلْمِنَا بِأَوْلِيَّتِهِ الَّتِي قَطَّبَهَا الشَّجَاعَةُ ؛ وَقَلَّحَهَا الطَّاعَةُ ؛ وَمَادَّتْهَا الدِّيَانَةُ وَالتَّقَى ؛ وَجَادَّتْهَا الْأَمَانَةُ الَّتِي لَا تَسْتَرِلُهَا الْأَهْوَاءُ وَلَا تَسْتَفِزُّهَا الرُّقَى .

وَلِيَكُنْ لَأَخْبَارِ الْعَدُوِّ مَطَالِعًا ، وَلِنَجْوَى حَرَكَاتِهِمْ وَسَكَاتِهِمْ عَلَى الْبُعْدِ سَامِعًا ، وَلِدِيَارِهِمْ كُلِّ وَقْتٍ مُصَبَّحًا حَتَّى يَظْنُوهُ مِنْ كُلِّ نَبِيَّةٍ عَلَيْهِمْ طَالِعًا ؛ وَلِيُدِمَّ النَّأَثَبُ حَتَّى لَا تُهَوِّتَهُ مِنَ الْعَدُوِّ غَارَةٌ وَلَا غِرَّةٌ ، وَيُزَيَّرَ أَحْصَابُهُ بِالتَّيَقُّظِ لِإِدَامَةِ الْجِهَادِ الَّذِي جَرَّبَ الْأَعْدَاءُ [منه] مَوَاقِعَ سِيُوفِهِمْ غَيْرَ مَرَّةٍ ؛ وَقَدْ خَبَّرْنَا مِنْ تَجَاعَتِهِ وَإِقْدَامِهِ ، وَسِيَاسَتِهِ فِي تَقْيِضِ كُلِّ أَمْرٍ وَإِبْرَامِهِ ؛ مَا يُغْنِي عَنْ الْوَصَايَا الَّتِي مَلَكَهَا تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَهِيَ مِنْ تَتَجَايَاهُ الَّتِي وَصِفَتْ ، وَخَصَائِصِهِ الَّتِي أُلْفَتْ وَعُيِّرَتْ ؛ فَلْيَجْعَلْهَا مِرْآةَ ذِكْرِهِ ، وَفَاتِحَةَ فِكْرِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُؤَيِّدُهُ فِي سِرِّهِ وَجَهْرِهِ ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ ! : إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة مرسومة بامر شريف بإمرة آل فضل ، كُتِبَ بِهَا لِلْأَمِيرِ حُسَامِ الدِّينِ «مُهَتَّابِ بْنِ عَيْسَى» مِنْ لِنْشَاءِ الشَّيْخِ شَهَابِ الدِّينِ مُحَمَّدِ الْحَلْبِيِّ ، وَهِيَ :

الحمد لله الذى أَرْهَفَ حُسَامَ الدِّينِ فى طَاعَتِنَا بِيَدٍ من يُمِضِي مَضَارِبَهُ بِيَدَيْهِ ،
وأَعَادَ أَمْرَ الْقَبَائِلِ وَأَمْرَتَهُمْ إِلَى من لَا يَصْلُحُ أَمْرَ الْعَرَبِ إِلَّا طَيْبُهُ ؛ وَحَفِظَ رُتْبَةَ
آلِ عِيسَى بِاسْتِقْرَارِهَا لِمَنْ لَا يَزَالُ الْوَفَاءُ وَالشَّجَاعَةُ وَالطَّاعَةُ فى سَائِرِ الْأَحْوَالِ مَنْسُوبَاتٍ
إِلَيْهِ ، وَجَعَلَ حُسْنَ الْعُقْبَى بِنَايَتِنَا لِمَنْ لَمْ يَتَطَرَّقْ الْعُدُوُّ إِلَى أَطْرَافِ الْبِلَادِ الْمَحْرُوسَةِ
إِلَّا وَرَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِنَصْرِنَا وَتَجَاعَتِهِ عَلَى حَقِيَّتِهِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي مَا زَالَتْ مُسْتَحَقَّةً لِمَنْ لَمْ يَزَلِ الْمَقْدَمُ فى تَحْمِيلِنَا ، الْمَعُولَ عَلَيْهِ
فى أُمُورِ الْإِسْلَامِ وَأُمُورِنَا ، الْمُعَيَّنَ فِيمَا تَطْلُو عَلَيْهِ أَثْنَاءُ سَرَائِرِنَا وَمَطَاوِي صُدُورِنَا ؛
وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُوجِبُ عَلَى قَائِلِهَا حُسْنَ التَّمَسُّكِ
بِأَسْبَابِهَا ، وَتَقْتَضِي لِلْخَلِصِ فِيهَا بِذَلِكَ النُّفُوسِ وَالنَّفَائِسِ فى الْحَافِظَةِ عَلَى مَصَالِحِ أَرْبَابِهَا ،
وَتَكُونُ لِلْحَافِظِ طَلِبًا ذَخِيرَةً يَوْمَ تَقْدُمُ النُّفُوسُ بِطَاعَتِهَا وَلِيَمَانِهَا وَأَنْسَابِهَا ؛ وَنَشْهَدُ
أَنْ عَمِدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُبْعُوثُ مِنْ أَشْرَفِ ذَوَائِبِ الْعَرَبِ أَصْلًا وَفِرْعًا ، الْمَفْرُوضَةُ
طَاعَتُهُ عَلَى سَائِرِ الْأَتَمِّ دِينًا وَشَرْعًا ، الْمَخْصُوصُ بِالْأَئِمَّةِ الَّذِينَ بَشَّوْا دَعْوَتَهُ فى الْإِفَاقِ
عَلَى سَعْيِهَا وَلَمْ يَضِيقُوا لِلْجِهَادِ أَعْدَاءُ اللَّهِ وَأَعْدَاءُهُ ذُرْعًا ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَوَحَّيَهُ
الَّذِينَ حَازُوا بِصُحْبَتِهِ الرَّتَبَ الْفَائِزَ ، وَحَصَلُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ عَلَى سَعَادَةِ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ ، وَعَلِمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ فَلَمْ يُزْجِرْهُمْ عَنْ ظِلْمِهَا الرُّكُونُ إِلَى
الدُّنْيَا السَّائِرَةِ ؛ صَلَاةً تَقْطَعُ الْقُلُوبَ رَكَائِبُهَا ، وَتَسْرِى بِسَالِكِي طُرُقِ النَّجَاةِ نَجَائِبُهَا ،
وَتَنْتَصِرُ بِإِقَامَتِهَا كِتَابُ الْإِسْلَامِ وَمَوَازِينُهَا ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنْ أَوَّلَى مِنْ تَلَقَّيْتَهُ رُبَّتَهُ ، الَّتِي تَوْهَّمُ إِعْرَاضَهَا بِأَيْمَنِ وَجْهِ الرِّضَا ،
وَأَسْتَقْبَلْتَهُ مَكَائِنَهُ ، الَّتِي تَحْمِلُ صُدُودَهَا بِأَحْسَنِ مَوَاقِعِ الْقَبُولِ الَّتِي تَضَمَّنَتْ الْإِعْتِدَادَ
مِنَ الْحَسَنَاتِ بِكُلِّ مَا سَلَفَ وَالْإِغْضَاءَ مِنَ الْمَقْوَاتِ عَمَّا مَضَى ، وَأَلَّتْ إِلَيْهِ إِمْرَتُهُ

التي خَافَتِ الْعَطْلَ منه وهي به حَالِه، وَعَادَتْ مِثْلَهُ إِلَى مَا أَلْفَتْهُ لَدِينَا : مَنْ
مَكَانَةً مَكِينَةً وَعَرَفْتَهُ عِنْدَنَا : مَنْ رُتِبَةً عَلَيْهِ - مَنْ أَمِنَتْ تَمَسُّسَ سَعَادَتِهِ فِي آيَانَا مِنْ
الْفُرُوبِ وَالزُّوَالِ ، وَوَقَّعَتْ أَسْبَابُ نِعَمِهِ بَأَن لَّا يُرَوِّعَ مَرِيرُهَا فِي دَوْلَتِنَا بِالْإِتْقَاضِ
وَلَا ظِلَالُمَا بِالْإِتْقَالِ ؛ وَأَغْنَتْهُ سَوَابِقُ طَاعَتِهِ الْمَحْفُوظَةُ لَدِينَا عَنْ تَوَسُّطِ الْوَسَائِلِ ،
وَأَحْتَجَّتْ لَهُ مَوَاقِعَ خِدْمَتِهِ الَّتِي لَّا تُجْعَدُ مَوَاقِفُهَا فِي نِكََايَةِ الْأَعْدَاءِ وَلَا تُشْكِرُ شَهْرَتُهَا
فِي الْقَبَائِلِ ؛ وَكَفَّلَ لَهُ حُسْنُ رَأْيِنَا فِيهِ بِمَا حَقَّقَ مَطَالِبَهُ ، وَأَحَدَ عَوَاقِبِهِ ، وَحَفِظَ
لَهُ وَعَلَيْهِ مَكَانَتَهُ وَمَرَاتِبَهُ ؛ فَمَا تَوَعَّمُ الْأَعْدَاءُ أَنَّ بَرَقَهُ ، خَبَا حَتَّى لَمَحَ ، وَلَا ظَنُّوا أَنَّ
وَدَقَّهُ ، أَقْلَعَ حَتَّى هَمَى وَهَمَعَ ، وَلَا تَحِيلُوا أَنَّ حُسَامَهُ نَبَأَ ، حَتَّى أَرْهَفَتْهُ عَنَائِنُنَا فُحْيَا
حَلٍّ مِنْ أَوْصَالِهِمْ قَطَعَ ؛ وَكَيْفَ يُضَاعُ مِثْلُهُ ؟ وَهُوَ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ الَّتِي لَا تَزِلُّ
الْأَهْوَاءُ وَلَا تَرْتَفِقُ الْأَطْلَاعُ مُتَوَتِّعًا ، وَلَا تَسْتَقِرُّ^(١) (٩) الْأَعْدَاءُ عِنْدَ جِهَادِهَا وَأَجْتِهَادِهَا
فِي مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ حَسْبَهَا وَدِينَهَا .

وَلَمَّا كَانَ الْمَجْلِسُ الْعَالِي ... هُوَ الَّذِي لَا يَحْوِلُ اعْتِقَادُنَا فِي وِلَايَتِهِ ، وَلَا يَزُولُ اعْتِمَادُنَا
عَلَى تَقَاذِهِ فِي مَصَالِحِنَا وَمَضَائِهِ ؛ وَلَا يَتَغَيَّرُ وَثُوقُنَا بِهِ عَمَّا فِي خَوَاطِرِنَا مِنْ كَالِ دِينِهِ
وَصِحَّةِ يَقِينِهِ ، وَأَنَّهُ مَارُفِعَتٌ بَيْنَ يَدَيْنَا رَايَةُ جِهَادٍ إِلَّا تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ عَزَمِهِ بِبَيْتِهِ ؛ فَهُوَ
الْوَلِيُّ الَّذِي حُسِنَتْ عَلَيْهِ آثَارُ نِعَمِنَا ، وَالصَّبِيُّ الَّذِي تَنَسَّأَ فِي خِدْمَةِ أَسْلَافِنَا وَتَنَسَّأَ
بَنُوهُ فِي خِدْمَتِنَا ، وَالتَّقِيُّ الَّذِي يَأْبَى دِينُهُ إِلَّا لِحِفْظِ جَانِبِ اللَّهِ فِي الْجِهَادِ بَيْنَ يَدَيْ
عِزِّمَتِنَا وَأَمَامِ هِمَمِنَا - أَقْتَضَتْ آرَآؤُنَا الشَّرِيفَةُ أَنْ نُصَرِّحَ لَهُ مِنَ الْإِحْسَانِ بِمَا هُوَ
فِي مَكُونِ سَرَائِرِنَا ، وَمَضْمُونِ ضَمَائِرِنَا ؛ وَنُعْلِنَ بَأَن رُتِبَتَهُ عِنْدَنَا بِمَكَانٍ لَا تَسْتَطَاعُ
إِلَيْهِ يَدُ الْحَوَادِثِ ، وَنُبَيِّنَ أَنَّ أَعْظَمَ أَسْبَابِ التَّقَدُّمِ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ عَنَائِنَتِنَا وَأَمْتِنَاتِنَا
أَكْرَمُ بَوَاحِثِ .

(١) لَهُ "وَلَا تَسْتَقِرُّ" .

فذلك رُسم أن يباد إلى الإمرة على أمراء آل فضل ، ومشايخهم ومقدمهم ،
وسائر عُربانهم ، ومن هو مضاف لهم ومنسوب إليهم ، على عادته وقاعدته .

فليجبر في ذلك على عادته التي لا مزيد على كمالها ، ولا يحيد عن مبسئها في مصالح
الإسلام ومآلها ؛ أخذًا للجهاد أهدبته من جمع الكلمة واتحادها ، واتخاذ القوة
وإعدادها ، وتضافر الهمة التي ما زال الظفر من مآذها والنصر من أمدادها ؛
والزام أمراء العُربان بتكليف أفعالهم ، وحفظ مراكرهم التي لأشد أبوابها إلأهم ؛
والتيقظ لمكايد ملوهم ، والتنبه لكشف أخوالهم في رواحهم وغلوهم ؛ وحفظ
الأطراف التي هم سورها من أن تسورها مكاييد العدا ، وتخطف من يتطرق إلى
الثغور من قبل أن يرفع إلى أقفها طرقًا أو يمد على البعد إلى جهتها المصونة بنا ؛
وليثبت في الأعداء من مكاييد مهايتهم ما يمنعهم القرار ، ويحسن لهم القرار ، ويحول
بينهم وبين الكرى لاشتراك أعم النوم وحد سيفه في مسمى القرار .

وأما ما يتعلق بهذه الرتبة من وصايا قد ألفت من خلاله ، وعرفت من كماله ،
فهو أن يجلسها ، وفارس تجلسها ، وجهينة أخبارها ، وحلبة غايتها ومضارها ، فيفعل
في ذلك كله ما شكر من سيرته ، وحيد من إعلانه وسيرته ؛ وقد جعلنا في ذلك وفيه
من مصالح أمرته أمره من أمرنا : فيعتمد فيه ما يرضى الله تعالى ورسوله ، ويسلخ
به من جهاد الأعداء أمله وسوله ؛ والله الموفق بمنه وكرمه ! والاعتاد

الطبقة الثانية

(من عرب الشام - من يكتب له مرسوم شريف)

وهم على مرتبتين :

المرتبة الأولى - من يكتب له في قطع النصف ، وهم ثلاثة :

الأول - أمير آل علي ، ورتبته « السامي » بالياء . وقد تقدم أن منازلهم مرج دمشق وغوطتها ، بين إخوانهم آل فضل وبنى عمهم آل مراء ، ومنتهاهم إلى الخوف والجبابة ، إلى السكة ، إلى تيماء ، إلى البرادع . وأنه ذكر في « التعريف » : أنهم إنما نزلوا غرطة دمشق حيث صارت الإمرة إلى مهنا بن عيسى .

وهذه نسخة مرسوم شريف بإمرة آل علي ، كتبت به للأمر عز الدين « جواز » بعد وفاة والده محمد بن أبي بكر ، من إنشاء المقر الشهابي بن فضل الله ، وهي :

الحمد لله الذي أنجح بنا كل وسيلة ، وأحسن بنا الخلف عن قضي طاعتنا الشريفة سبيله ، ومضى وخلّ ولده سبيله ، وأمسك به دمة السيوف في خدوها الأميله ، وأمضى به كل سيف لا يرد مضاء مضار به بحيله ، وأرضى بتقليده كل عتي وجمل كل جميله .

نحمد على كل نعمة جزيله ، وموهبة جميله ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُرشد من اتخذ فيها نجوم الأسته دليله ، وتجعل أعداء الله عز الدين ذليله ؛ وأن عمّا عبده ورسوله الذي أكرم قبيله ، وشرف به كل قبيله ، وأظهر به العرب على العجم وأخذ من نارهم كل قبيله ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة بكل خير كقبيله ، وسلم تسلياً كثيراً .

وبعد، فإن دولتنا الشريفة لما خَفَقَ على المشرق والمغرب جناحها، وشَمِلَ
البَنُو والحَضَرُ سَمَاحُها؛ ودَخَلَ في طَاعَتِها الشريفة كُلُّ رَاحِلٍ ومُقيمٍ في الأقطار،
وَكُلُّ سَاكِنٍ خِيَمَةٍ وَجِدَارٍ - تَرعى النعم بِإِهَانِها في أَهْلِها، وإِلْقَائِها في عَجَلِها؛ مع
ما تَهْتَمُّ من رِعايةٍ تُوجِبُ التَّقْدِيمَ، وتُودِعُ بِها الصَّنَائِعُ في بَيْتِ قَدِيمٍ؛ وتُزَيِّنُ بِها
المَوَازِبُ إِذَا تَعَارَضَتِ بِحَافِلِها، وتَعَارَفَتِ شُعُوبُها وَقَبَائِلُها؛ وَأَسْتَوَلَتْ جِيَادُها على
الأمسَدِ وقد سَبَقَتْ أَصَابِلُها، وتَدَاعَتْ قُرُصَانُها وقد أَشْتَبَهَتْ مَنَاسِبُها وَمَنَاصِبُها
وَمَنَاصِلُها؛ وكانت قِبَائِلُ العُرَبِ مِمَّنْ تَعُمُّهم دَعْوَتُنا الشريفة، وتَضُمُّهم طَاعَتُنا
التي هي لِمَنْ أَكْثَلَ وَطِيقَه؛ ولم يَلْمِ النَجْدُ في كُلِّ بَادِيَةٍ وَحَضَرَ، وإِقَامَةُ سَقَرٍ، وشَامِ
وَحِجَازٍ، وإِنجَادٍ وإِنجَازٍ؛ ولم يَزَلْ (لَا لِي عَلَيَّ) فِيهِمْ أَطْلُ مَكَانَه، وما مِنْهُمُ إِلَّا مَنْ تَوَسَّدَ
مَنَاقِبَه وَأَقْرَضَ حِصَانَه؛ وَهَمُّ مِنْ دِمَشْقِ المحروسة رَدِيفُ أسوارِها، وفَرِيدُ سِوَارِها،
وَالنَّازِلُونَ مِنْ أَرْضِها في أَقْرَبِ مَكَانٍ، وَالنَّازِحُونَ وَلِمَنْ إِلَى الدَّارِ بِها أَطْفَارُ وَأَوْطَانُ؛
قَدْ أَحْسَنُوا حَوْلَ البلادِ الشاميةِ مَقَامَهُمْ، وَأَسْتَفْنَوْا عَنِ المِقَارَةِ على الضِّيفَانِ لِمَا
نَصَبُوا بِقَارِعَةِ الطريقِ خِيَامَهُمْ؛ وَبَاهُوا كُلَّ قَبِيلَةٍ بِقَوْمِ كَأَنَّ التَّجُومَ عَليْهِمْ،
وَأَوْقَدُوا لِمَنْ فِي الْبِقَاعِ نَارًا إِذَا هَمَى القَطَرُ شَبَّتْها عَينُهُمْ؛ وَهَمُّ مِنْ آلِ فَضِيلٍ حَيْثُ
كَانَ عَلَيَّها، وَحَدِيثُهُ فِي الْمَسَامِعِ حُلِيِّها؛ فَلَمَّا أَتَتْهُ الإِمْرَةُ إِلَى الأميرِ المرحومِ
شَمْسِ الدِّينِ، مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللهُ - جَمَعَهُمْ عَلَى دَوْلَتِنَا القَاهِرَةِ، وَأَقَامَ فِيهِمْ
يَتَتَنِي بِطَاعَتِنَا الشريفةِ رِضا اللهِ والدَّارِ الآخِرَةِ؛ ثُمَّ أَمَدَهُ اللهُ مِنْ وَلَدِهِ بَنُ الْقِيَّ إِلَيْهِ
هَمْدَهُ، وَأَمَضَى بِهِ عِزَّمَهُ، وَفَقَدَ بِهِ حُكْمَهُ، وَفَلَّ قَسَمَهُ .

وكان الذي يتعمل دُونَهُ مَشَقَّاتِ أُمُورِهِمْ، وَيَتَلَقَّى شَكَاوِي أَمْرِهِمْ وَمَأْمُورِهِمْ؛
وَيُرَدُّ إِلَى أَبْوَابِنَا العَالِيَةِ مُسْتَمْطَرًا لِمَنْ سَمَّائِبِ نِعْمَتِنَا الَّتِي أَخْصَبَ بِها مَرَادَهُمْ،

وساروا في الآفاق ومن جدواها راحلتهم وزادهم؛ وقدر بما جمعه من أبوته وإبائه،
 وردّ في كلّ أرض منّاخ مطّيه ومرسى خبائه؛ وضاهى في المهاجرة إلى أبوابنا
 الشريفة النجوم في السرى، وحافظ على مراضينا الشريفة في أنفك من نار الحرب
 إلا إلى نار القرى؛ وورد عليه مرسومنا الشريف فكان أمرع من السهم
 في مضائه. كم له من مناقب لا يغطّي عليها ذهب الإصيل تمويها؛، ولم تنقل من
 كور إلى سرّج ومن مرّج إلى كور فتمنى الهلال أن يكون لهما شيئا؛ كم أبجل
 في قومه سيره؛، ولم يجل سيره؛ كم أفمر لها أملا؛، كم أحسن عملا؛ كم سدّد
 خلا، كم جمع في مهماتنا الشريفة كلّ من امتطى فرسا وركب جملا؛ كم صفوف
 به تقدّمت، وسيوف أقدّمت، وحُتوف حاميّ الحام بها على الأعداء ترّمت!! .

وكان المجلس الساميّ الأميريّ، الأجلّ، الكبيريّ، المجاهديّ، المؤيديّ،
 المصيديّ، النصيريّ، الأوحديّ، المقدسيّ، الذخريّ، الظهيريّ، الأصيليّ :
 مجد الإسلام والمسلمين، شرف الأمراء في العالمين؛ همّام الدولة، حُسام المله؛
 ركن القبائل، ذخّر العشائر؛ نصرّة الأمراء والمجاهدين، عضدّ الملوك والسلاطين
 «جهاز بن محمد» أدام الله نعمته - : هو المراد بما تقدّم، والأحقّ بأن يتقدّم،
 والذي لو أنّ الصباح صوّارم والظلام جحافل لتقدّم؛ فلما مات والدّه رحمه الله نحّا
 إلى أبوابنا العالية، ونور ولائّه يسعّى بين يديه، ووقف بها : وصدّقنا الشريفة
 ترقيف عليه؛ فرأينا أنّه بقية قومه الذين سلقوا، وخلّف أبائه الذين عن زجر
 الخيل ماعزفوا؛ وكبيرهم الذي يعترف له والدّهم ووليّهم، وأميرهم الذي به تُرعى
 عهودهم؛ وشجرتهم التي تلتفّ عليه من أسابهم فروعها، وفريدهم الذي تجتمع عليه
 من جحافلهم جموعها .

فرسم بالأمر الشريف أن تفوض إليه إمرة آل علي : تامة عامة ، كاملة شاملة ؛ يتصرف في أمورهم ، وأمرهم وأمورهم ؛ قريباً وبعداً ، وغوراً وتجداً ؛ ونظماً وإقامته ، وعِراًفاً وتِهامه ؛ وفي كلِّ حقيرٍ وجليل ، وفي كلِّ صاحب رضاءٍ وثناءٍ وصيريرٍ وصليل ؛ على أكل عوائد أمراء كلِّ قبيلة ، وفي كلِّ أمورهم الكثيرة والقليلة .

ونحنُ نأمرُك بتقوى الله فيها صلاح كلِّ فريق ، وإصلاح كلِّ رقيق ، ونجاح كلِّ سالك في طريق . والحكم : فليكن بما يوافق الشرع الشريف . والمحقوق : فليخلصها على وجه الحق من القوي والضعيف . والرفق بن ولية من هذا الجمل الغفير ، والجمع الكثير ؛ وإلزام قومك بما يلزمهم من طاعتنا الشريفة التي هي من الفروض اللازمة عليهم ، والقيام في مهماتنا الشريفة التي تبرؤها مراسمتنا المطاعة إليك وإليهم ؛ وحفظ أطراف البلاد والنِّب عن الرعايا من كلِّ طارق يطرقهم إلا بخير ، والمسارعة إلى ما يريهم لهم به ما دامت الأسفار في عصاها سير ؛ والإفراج لعربك لانسح به إلا لمن له حقيقة وجود ، وله في الخدمة الشريفة أثر موجود ؛ ومنعهم : فلا يكون إلا إذا توجه منهم ، أو توانت عزائمهم وقلَّ نفعهم ؛ والمهابة : فائشها كسمعتك في الآفاق ، ودع بوارق سيفها تُسام بالشام وديمها تُراق بالعراق ؛ وخيول التِّفاد : فارتد منها كلِّ سائق وساقفة تحف دونها الرياح ، ويحسدهما الطير إذا طاراً بغير جناح ؛ ولا تتخذ دوننا لك بطانة ولا وليجه ، ولا تقطع عنا أخبارك البهيجه ؛ وليعرف قومك له حقه ، ويوفوه من التعظيم مستحقه ؛ فإنه أميرهم وأمره من أمرنا المطاع ، فمن نازع فقد خالف النص والإجماع ، والله تعالى يوفقه ما استطاع ، بمنه وكرمه ! والخط الشريف

[الثاني - أمير آل فضل ^(١)] .

وهذه نسخة مرسوم شريف بالتقدمة على عَرَبِيَّ آل فضل وآل عليّ، كتب به
للأمير نَجْر الدين « عثمان بن هبة » وهو :

الحمد لله الذي خصّ من وآل هذه الدولة بالتقدمة والفخر، ورعى من عاداهما
بالمدة والقهر، ومدّ في عمر أيامها حتى يُستَعَدَّ الدهر، وحتى تُوصَفَ أيامها -
وإن قصرت - بالمنازل: كلُّ شهر يَمُزُّ منها كالعام واليوم كالشهر .

نحمده على ما متعنا: من تأييد وظفر، وطوى دعوة من عاندنا بعد النشر، ونشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة إن دخلت شواهدنا تحت الإحصاء
فلا تدخل قولكها تحت الحصر، وأن عمدا عبده ورسوله الذي جعل الله به الهداية
في المبدأ والشفاعة في المعاد يوم الحشر، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تسعد
بعد الشقاء وتبخر بعد الكسر .

وبعد، فإن الله سبحانه وتعالى لما مكّن لنا في الأرض، وجعل بيدنا البسط
والقبض، وأرانا كيف نصنع الجميل ونجمل الصنع، وكيف نجبر قلب من جعل
في أيامنا جبره بعد الصّدع، وكيف نصبح أنجم ذوي الأقدار في سماء مملكتنا
نيرة المطالع، وكيف نلقى الخير في عراضها من رامة إذا كان على الخير في غير أيامنا
مانع، وكيف نيل التقدم فيمن إذا عقل في حلّ لها قيل: هذا هو أحقُّ بها ممن
كان، وهذا الذي ما برحت التقدم في يته في صير الزمان، وهذا الذي إذا ذكر
آل فضل وآل عليّ كانت له مرتبة الشرف ولا غرو أن تكون مرتبة الشرف

لعمنان، وأنتا لا تُعطى صهوة العزّ إلا لأهلها، ولا تفسخ الآية لمن تقدّم في التقدمة إلا بغير منها أو مثلها؛ ولا تُسلم رأيتها، إلا لمن تُقدّم عليه الخناصر، ولا يتسم ذروتها، إلا من هو أحقّ بها وأهلها في الأول والآخِر.

ولما كان المجلس السامى، الأميرى، فخر الدين، عثمان بن مانع بن هبة :
هو المراد بهذا القول الحسن، والممدوح بحمد هذا المدح الذى يسر السر والعلن،
والحقيق من الإحسان بكلمة والخير بأن؛ والحصيص من سوائف الخدم بما
والمفضل على سائر النظراء ولو قيس بمن - أقتضى حسن الرأي الشريف، أن رُغم
بالأمر الشريف - لا زال ذو القدر فى أيامه يرتفع، وذو الفضل فى دولته لا يعز عليه
مطلب ولا يمتنع، وذو الأصالة التى يجتمع له فيها من التعمه ما لا يلتئم له فى غيرها
ولا يمتنع - أن تُقوَّض إليه التقدمة على العُربان بالشام المحروس، وهم من باقى
ذكره، على ما استقر عليه الحال فى ترتيبهم؛ وأن منازل الداروم؛ بعدنا وقربا، حضرا
وبدوا، حامرا وفامرا، راحا وغاديا، من الرستن إلى الملوحة . والعرب: آل فضل
وآل عليّ حيث ساروا تزلوا منزلة المذكور، أو بمنزلة الأمير شمس الدين محمد بن
أبى بكر، والخدمة واحدة، والكلمة على اتّفاق المصالح متعاضده .

فليكن للقوى جسد رويحها لأبل روح جسدتها، ومجموع القبائل أوجد صدها
إذا مع الأول من عدها؛ وقطب فلّكها الذى على تديره مدارها، وعلى تمريره
أقبصارها؛ وعلى تقدّمته تمويّلها، وإلى نسبة إمارته جملتها وتفصيلها؛ وليجتمعهم
على الطاعة فإن الطاعة ملاك الأمر للآمر، وأُس الخير للبادى والحاضر؛ وليعلم أن
لكلّ منهم نقابة تُعرف، وعلمية أصالة بها يُعرف؛ ومنزلة يريها الولد عن الوالد،
ومشيخة ترجع من ذلك البيت إلى ذلك الواحد، فليحفظ لهم الأنساب، وليُبرع لهم

الأسباب، وإذا أمرُوا بأمرٍ من مَهَامِ النُّوَلَةِ يَتَلَوْ عَلَيْهِمْ : ﴿ اَدْخُلُوا الْبَابَ ﴾ .
والألزام له ولهم مَخَاضٌ مَحْظٌ ، وَمَفَاوِزٌ تُلَحَّظُ ، وَمَطَارِيحٌ لَا تُتْلَفُظُ ؛ وَمَشَاتٍ
وَمَصَافٍ ، وَنَقَائِصُ وَمَصَارِفُ ؛ وَمَرَابِعُ ، وَمَرَاتِعُ ؛ وَدُنُوءٌ وَأَقْتِرَابُ ، وَتَوَطُّنٌ
وَأَغْتِرَابُ ؛ وَإِغَارَةٌ وَنَيْبُضٌ ، وَبَرْقٌ وَوَمِيضٌ .

فَلْيُرْتَبْ ذَلِكَ أَجْمَلُ تَرْتِيبٍ ، وَلْيَسْلُكْ فِيهِ خَيْرُ مَذْهَبٍ وَتَهْذِيبٍ ؛ وَلْيَدْعُ الْعَادِي ،
وَلْيَلَحِظِ الرَّائِجُ وَالْعَادِي ، وَلْيُؤْمِنْ ذَلِكَ الْجَانِبُ فَاثْمُنَا تُطْرِبُ آيَاتُهُ الْمُحْدَوُ
وَالْحَادِي ؛ وَطَبِيعُهُمْ عَدَدٌ مَقْرَرٌ ، وَقَانُونٌ مُحَرَّرٌ ؛ وَلْيَكُنْ عَلَى يَدِ شَادَةِ شَادَا ، وَلَسَبِ
تَأْسِيسِهِمْ مَاذَا ؛ وَيَعْلَمُ أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ أَغْمَضَ مِنْ جُفُونِهِ فِيمَا مَضَى ، وَأَعْرَضَ
عَنْهُ فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ الَّذِي أَتَهَضَّى ؛ وَقَدَّمَ عَلَيْهِ مِنْ كَانَ دُونَهُ ، فَقَدْ رَدَّ اللَّهُ لَهُ أَبْكَارَ
الْأَمْرِ وَوُجُوهَهُ ؛ فَلَا يَحْمِلُ لِقَائِلٍ عَلَيْهِ طَرِيقًا ، وَلَا يَدْخُلُ فِي أَمْرِ يُقَالُ عَنْهُ فِيهِ :
كَانَ خَيْرَهُ بِهِ حَقِيقًا ؛ بَلْ يَفُوقُ مَنْ تَقَدَّمَ فِي الْخِدْمَةِ وَالْهِمَّةِ ، وَالصَّرَامَةِ وَالْعَزْمَةِ ،
وَاقِعُهُ يُوزَعُهُ شَكَرَ هَذِهِ النِّعْمَةِ ؛ وَالْخَطُّ الشَّرِيفُ :

الثالث - أمير آل مرءاء ، ورتبته «السامى» بالياء .

وقد تقدّم أن منازلهم حَوْرَانٌ . وعن «مسالك الأبصار» أن ديارهم بين بلاد
الجندور والجولان ، إلى الزرقاء ، إلى أنحر بصرى . ومشرقًا إلى حرة كشت ، على
القرب من مكة المشرقة ، زادها الله شرفا .

وهذه نسخة مرسومة شريف بإمرة آل مرءاء ، كتب بها للأمير بدر الدين
« شطى بن عمر » وهى :

الحمد لله الذى زَيْنَ آفَاقَ الْمَعَالِي بِالْبَسَدْرِ ، وَرَفَعَ بَايَاتِنَا الشَّرِيفَةَ خَيْرَ وَلِيٍّ أَحْمَى
بَيْنَ الْقَبَائِلِ جَلِيلَ الْقَدْرِ ، وَمَتَّحَ مِنْ أَخْلَصِ فِي خِدْمِ دَوْلَتِنَا الشَّرِيفَةِ مَزِيدَ الْكَرَمِ

فأصبح بإخلاصه شديد الأثر؛ وأجزل بره لأصائل العرب العرباء فوفر لهم الأقسام،
وأصبح ظلال كرمه على من يرعى الجار ويحفظ النعام .

نحمده على نعم هطل صحابها ، ومن نعتت بالمسار أبوابها ؛ ونشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له شهادة تقرب صاحبها يوم الفرع الأكبر ، من المحل
الأمين ، وتورده نهر الكوثر ، الذى مأؤه غير أسن ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله
الذى بعثه الله من أشرف القبائل ، وأوضح بنور رسالته الدلائل ؛ فاقده الله به
هذه الأئمة من ضلالها ، وبوأها من قصور الحنان أعلى غرورها وأشرف ظلالها ؛
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أوصحوا مناج الإيمان ، وشيدوا قواعد الدين
إلى أن علت كلمته فى كل مكان ، [فكان] عصرهم أجمل عصر وقرنهم خير أوان ؛
وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من أدتينا من إساط الأصفاء محله ، وأرتشف من سحاب
معروفنا طله فوبله ؛ ونال من عواطفنا منزلة القرب على بُعد الدار ، وحكم له حسن
فقرنا الشريف بتوالى غير ركرمنا المندار ^(١) .

ولما كان المجلس الفلانى : هو المشار إليه بهذا التعت الحسن ، والموصوف
بالشجاعة فى السر والعلن - رسم بالأمر الشريف - لا زال بثره ، ساطع الأنوار ،
وبره ، هامع القطار ، وخيره يشمل الأولياء بيجزىل الإيثار وجميل الآثار - أن يستقر
المشار إليه فى كيت وكيت : لأنه البطل الشديد ، والفارس الصنيد ؛ وليت
الحرب المذكور ، ومن هو عندنا بين العناية منطور .

(١) لم يذكر خيرا لأن ولله سقط من قلم النسخ والأصل « من كرم أصلا ومحمدا ، وسل سيف عزيزته

حتى خضمت له وقاب العدا » أو نحو ذلك .

وَلَقِيتُ مِنْ صَدَقَاتِ الشَّرِيفَةِ بِمَا يُؤْمَلُ وَيَعْدُ ، وَلَيَحَقِّقُ قُرْبَهُ مِنْ مَقَامِنَا
الشَّرِيفِ وَالْعُودُ أَحْمَدُ ؛ وَلَيَتَلَقَّ هَذَا الْإِحْسَانُ بَقَلْبٍ مُنْشِرِحٍ ، وَأَمَلٍ مُتَفَسِّحٍ ؛
وَلَيَجْتَهِدُ فِي أَمْرِ عُرْبَانِهِ الَّذِينَ فِي الْبِلَادِ ، فَإِنَّا جَعَلْنَا عَلَيْهِ فِي أُمُورِهِمُ الْاعْتِيَادَ ،
وَقَدْ أَقْنَاهُ أَمِيرًا عَلَى عَرَبِ آلِ مِرَاءٍ ؛ فَلْيُسْمَرْ عَنْ سَاعِدِ الْأَجْتِهَادِ فِي مَصَالِحِ دَوْلَتِنَا
الشَّرِيفَةِ بِغَيْرِ زُورٍ وَلَا مِرَاءٍ ؛ وَلْيَقْمَعْ الْمُقْبِيدَ مِنْ عُرْبَانِهِ وَيَقَابِلْهُ بِالنَّكَالِ ، وَالصَّالِحُ
الْخَيْرُ مِنْهُمْ يُجْزَلُ لَهُ النَّوَالُ ، وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَلَيْسَ لَهُ لَأَتَمُّهَا ؛ وَالْخَطُّ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ
حِجَّةٌ فِيهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة مرسوم شريف ينصف إمرة آل مراء، كُتِبَ به لقناة بن نجاد،
في العشر الأخر من شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة . من إنشاء المقر
الشهابي بن فضل الله، وهى :

الحمد لله الذى استخفم لتصرفنا كل سيف وقناه، وكل شرعية وأناه، وكل متقف
(١) تسلى جنائياته ويسلب جناته، وكل ماض لا يعوقه عن مقاصده الصالحة يعوق
وهو عبد مناه .

نحمده حمد من أغناه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يستعبد
من قبلها فائق الصباح سناه، ويقتك منها من قبضة السيوف عناه؛ ونشهد أن محمداً
عبدُه ورسولُه الذى [بواه منازل الشرف] وبناه، وأحلّه من العرب فى مكان ينخضع
له رأس كل جبار ويخشع بصره وتستمع لما يؤحى أذناه . صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه صلاة تحضهم من كل شرف بأسماء وأسماء، وسلم تسلياً .

(١) سلى جنائياته . ترك فلا يقتصر منه .

وبعد، فإن لكل تاكلية قرارا، ولكل هاجرة مزارا؛ ولكل معصم سوارا لا يليق إلا بزنيه، ولكل حقي دُرّا لا يصلح إلا لعقده، ولكل سيف طال هجوعه في غمده أنسللا، ولكل قنّاة لم تُعقل مُدّة اعتقلا؛ وكانت إمرة آلِ مرّاء قد بُنيت من البيت الأحمديّ بأوثق أوتادها، ووصلت منه في الرقعة إلى نجاديها؛ ولم تزل تنقل في آفاقها بدورهم الطالعة، وتُضيء عليها من صفائحهم بروقهم اللامعة؛ وتجوّل فيها من سوابقهم السحب الماسية، وتُغني في حروبها عزائمهم إذا وقعت الواقعة؛ وتقدّمت للجلس السامى، والأميرى، الفلانيّ، بركبنا الشريف محبةً حمداً فيها الشرى، وخدمة أوقدت له نار القرى؛ وهاجر إلينا في وقت دلّ على وقائه، وسهر إلى قصصنا الليل وله النجم يحيط المقل بإغفائه؛ وأقطع إلينا بأمله، ولازم من عهدنا الشريف صالح عمله؛ وأستحقّ تسجيل نعمة الشريعة وإن تأخرت لأجل موقوت، وأمل نجاحه لا يقوت.

فلما آن أن تُفاض عليه ثيابها، ويُضاف إليه ثوابها؛ ويُصرف في قومه أمره، ويُشرّف بينهم قدره؛ ويُعرف من لم يعرف المسك أنه عندنا ذكره، ومن جهل البر: أنه على ما يُحمد عليه شكره، ومن أنكر أن شيئا أصعب من الموت: أنه في مجال الموت صبره، ومن خالف فيما هو أمضى من القضاء: أنه في البيعة صدره، ومن ادّعى أنه لا نصيبه اليس والسمر: أنها مُثَقِّفَتُهُ وَبُتْرُهُ؛ وزال من هذا البيت العريق الطود وهو ثابت، وتزع منه السنان لولا أنه في قنّاته ثابت؛ و[لولا] لهاجت هذه القبيلة إلى من يُقبل على نباتها، ويُقبل بها: تارة يُجحد في نجدها وأخرى يُجول في جولاتها - رسم بالأمر الشريف أن يُقلّد من إمرة آلِ مرّاء ما كان الأمير «ثابت» ابن عساف» رحمه الله يتقلّده إلى آخر وقت، ويُرفع فيها إلى كل مُساماةٍ وتسمت؛ ليُكل ما قصّص من التمام وصفه، ويعلم أنه خلق إليه حتى أتى دون نصف البئر

فاختطف النصف وذلك النصف هو نصفه ؛ ليكون لهم إحدى اليدين ، وأخرى
تقع لسيف مجدين .

وتقوى الله أترك ما أشملت عليه عودها ، وأتخيت له زبيدها ؛ فليتنحها له ذروة
يتدى بها أنى سلك من الفجاج ، وأفتح من حلك العجاج . وعليه بحسن الصعبة
لرفيقه ، ويمن القبول على رفيقه ، وإقامة الحنود على ما شرع الله من دينه القويم ،
وإدامة اليقظ [للتأثر] المنيح ؛ وإزال عربه ومن يزل عليه أو يزل عليهم
في منازلهم .

وليجمع قومه على طاعتنا الشريفة كل الجمع ، وقابل ما ترد به سرايمنا المطاعة
عليه بما أوجب الله لها من الطاعة والسَّمْع ؛ وليأخذ للجهاد أهبة ، ويسجل إليه
هبة ، وليقف من وراء البلاد الشامية المحروسة ذريعة لأسوارها المنيعه ، ونطاقا على
معاقلها الرفيعه ؛ وسدا من بين أيديها وخلفها لباب كل ذريعة ، وخندقا يحوط بلادها
الموسية ، وحجابا يمنع فيها من تعدى الحق وخاض الشريعة ؛ ولا يفارق البلاد
حتى يعبس في وجوهها السحاب ، ولا يعود حتى تؤذن زروعها الخيمة بذهاب ؛
والكرم هو فيه بجبايا ، والعزم ما بريح لوشان (١) أسنته بكل قناة لحايا ، والحزم بيده
المرأوية من آل مرأى يظهر له الخفايا ، والشجاعة هو في رباها المنيرة «ابن جلا وطلاغ
النبايا» ؛ وما رضع المرميل كأفويق الوفاق ، ولا وضع شيتا في موضعه كمدارة الرفاق ؛
فليكن لرفيقه أكثر مساعدة من الأخ لأخيه ، وأكبر معاضدة من المضراع لقسيمة
والحقين بلقنه والشئ لما وإخيه . هذا يجب ويتعين وليس يجمعهما فرد طاعة ،
ولا يلزمهما لشيء واحد أستطاعه ؛ فكيف وهو [و] رفيقه إلينا أعزأوهما ومنا
إعزأهما ، وهما قرعان معتقان : لينا إجنأوهما ويدينا إهزأهما .

(١) يريد لما بالهز فاضطر القلب مراعاة للجمع .

وليصَّـل من الخيل كلَّ سَابِقَةٍ تَلِيقُ أَنْ تَهْتَم إِلَيْنَا، وَسَابِقَةٍ فِي كُلِّ مَهْمَةٍ حِينَ يَقْدُم عَلَيْنَا . وَالشَّرْعُ الشَّرِيفُ يَكُونُ إِلَيْهِ مَأْبُوكٌ، وَعَلَيْهِ عَفْوُكَ وَعِقَابُكَ، وَبِمَقْتَضَاهُ عَقْدُ كُلِّ نِكَاحٍ لَا يَصِحُّ إِلَّا عَلَى وَجْهِهِ الْمَرْضَى وَالْأَفْهَى سِفَاحٌ، وَالْمِيرَاثُ عَلَى حُكْمِهِ لِمَنْ جَرَّ إِلَيْهِ إِلَّا فَهُوَ ظُلْمٌ صُرَاحٌ، وَبَقِيَّةُ مَا نَوَيْسِهِ بِهِ إِذَا أَتَيْتُ مِنْهُ إِلَى هَذِهِ النُّبْدَةِ فَمَا عَلَيْهِ فِي سِوَاهَا جُنَاحٌ . وَسَبِيلُ كُلِّ وَاقِفٍ عَلَى تَقْلِيدِنَا هَذَا أَنْ يُنِيبَ إِلَى نَصُوصِهِ، وَرُؤُوبَ إِلَى عُمُومِهِ وَخُصُوصِهِ؛ وَالْحَذَرُ مِنَ الْخُرُوجِ عَنْهُ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، فَالْسَّبَبُ أَسْبَقُ مِنَ الْعَدَلِ؛ وَاللهُ تَعَالَى يُتِمُّهُ بِمَا وَهَبَهُ مِنَ الْعَزْزِ وَالْقَلِّ، وَالْخَاسَنِ الَّتِي هِيَ يَدُ الْمَسَامَحِ وَالْأَفْوَاهِ وَالْقَلِّ؛ وَالْخَطَّ الشَّرِيفِ أَطْلَاهُ

المرتبة الثانية

(من أرباب المراسيم من العرب - من يُكْتَبُ لَهُ فِي قَطْعِ الثَّلَثِ بـ «السَّامِي»

بغيراء، مفتتحاً بـ «أَمَّا بَعْدُ» وهم ثلاثة أيضاً)

الأول - أَمْرَاءُ بَنِي مَهْدِيٍّ، وَهِيَ مَقْسُومَةٌ بَيْنَ أَرْبَعَةٍ . وَرَبُّهُ كُلِّ مِنْهُمْ

«مَجْلِسُ الْأَمِيرِ» .

وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ مَنَازِلَهُمُ الْبَلَقَاءُ، إِلَى مَائِثٍ، إِلَى الصَّوْنِ، إِلَى عِلْمٍ أَعْفَرٍ .

وهذه نسخة مرسومة شريفة بربيع إمرة بني مهدي، وهي :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي حَقَّقَتْ فِي كَرَمِنَا الْمَأْرَبَ، وَأَجْرَلَتْ مِنْ آلَانِسَا الْمَوَاهِبِ، وَقَرَّبَتْ لَنَا رَجَانَا بِإِخْلَاصِ الطَّاعَةِ مَا يَأْتِي عَلَيْهِ مِنَ الْمَطَالِبِ؛ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْمَبْعُوثِ مِنْ أَشْرَفِ قَوَائِبِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ، الْمُخْصِصِ بِاللَّوَاءِ الَّذِي لَا يَضْحَى مِنْ أَوْى إِلَى ظِلِّهِ وَالْحَوْضِ الَّذِي لَا ظَمَأَ بَعْدَ وَرُودِهِ

لشَارِب ، وعلى آلِه وصَحْبِه الذين قَاوُوا من صُحْبَتِه وطَاعَتِه بأسمى المَرَاتِبِ وأُسْنَى المَنَاقِبِ - فَإِنَّ أَوَّلِي من رَفَعَتْ رِجَالُنَا قَلَمَهُ ، وَأَطْلَعَتْ عَيْنُنَا فِي أَفْقِ السَّعَادَةِ بَدْرَهُ ، وَحَقَّقَتْ أَلَاؤُنَا سُوْلَهُ ، وَبَلَّغَتْهُ صِدَقَاتُنَا مَرَامَهُ وَمَأْمُولَهُ - من أَحْكَم في طَاعَتِنَا أَسْبَابَ وِلَايَتِهِ ، وَأَتَمَّن في خِدْمَتِنَا أَنْسَابَ بَعِيدِهِ وَأَتَمَّائِهِ ؛ وَتَقَرَّبَ إِلَيْنَا بِإِخْلَاصِهِ فِي اجْتِهَادِهِ ، وَمَتَّ بِمَا يُرْضِينَا من أَحْثَالِهِ بِأُمُورِ جِهَادِهِ ؛ مع مَا تَمَيَّز به من أَسْبَابِ تَتَقَاضَى كَرَمُنَا فِي تَقْدِيمِهِ ، وَتَقْتَضِي إِجْرَاءَهُ عَلَى مَا أَلْفَ أَوْلِيَاءُ الطَّاعَةِ من حَدِيثِ إِحْسَانَاتِهِ وَقَدِيمِهِ .

ولما كان فلانٌ هو الذي اختص بهذه المقاصد ، وصُيِّ بِمَا ذَكَر من المَصَادِرِ وَالْمَوَارِدِ - رُسِمَ أَنْ يُرْتَبَ فِي رُجْعِ إِمْرَةٍ نَبِيٍّ مَهْدِيٍّ .

فَلْيُرْتَبَ فِيمَا رُسِمَ لَهُ به من ذَلِكَ قَائِمًا من وظائفها بِمَا يَحِبُّ ، عَالِمًا من مَصَالِحِهَا بِمَا يَأْتِي وَبِمَا يَحْتَجِبُ ، وَإِقْفًا لِاعْتِمَادِ مَا يَرِدُ عَلَيْهِ من المَرَامِمْ وَقُوفٍ لِالْمُنْتَظَرِ الْمُتَرَقِّبِ ، مُتَزَمًا عَرِيَّةً من اِلْتِدَامِ بِمَا يُؤَكِّدُ طَاعَتَهُمْ ، وَمِنْ إِعْدَادِ الْأَهْبَةِ بِمَا يُضَاعَفُ أَسْطَاعَتَهُمْ ، وَمِنْ الْحَافِظَةِ عَلَى أَسْبَابِ الْجِهَادِ بِمَا يَحِلُّ فِي رِضَا اللَّهِ تَعَالَى وَرِضَانَا قُوتَهُمْ وَتَجَاعَتَهُمْ ؛ وَلِيُقَدِّمَ تَهْوَى اللَّهِ تَعَالَى بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَيَحْمِلَ تَوْفِيقَهُ الْعُمْدَةَ فِيمَا اعْتَمَدَ فِيهِ عَلَيْهِ ؛ وَالْخَيْرُ يَكُونُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة مرسوم شريف برُجْعِ إِمْرَةٍ نَبِيٍّ مَهْدِيٍّ أَيْضًا :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي جَدَّدَتْ لِمَنْ أَخْلَصَ فِي الطَّاعَةِ رُتَبَ السُّعُودِ ، وَرَفَعَتْ مَنْ نَهَضَ فِي اِلْتِدَامِ الشَّرِيفَةِ حَقَّ النُّهُوضِ إِلَى مَنَاصِبِ الْجُدُودِ ؛ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْمُخْصُوصِ بِإِلَوهِ الْحَمْدِ الْمُعْقُودِ ، وَظَلِّ الشُّفَاعَةِ الْمُتَدَوِّدِ ،

والخوض الذى لا يَنْصُبُ على كثرة الورود ؛ وعلى آله وصحبه الذين وقَّوا بالعهود ،
وبَدَتْ سِيَمَاهُمْ فى وجوههم من أثر السجود - فإنَّ أولى من أَجَلْنا وُجوه النِّعم ،
وَأَجَنَّتْ ثَمَرَةٌ ما غَرَسَ من الخدم ، وَارْتَفَعَتْ إلى ما أُنْعِمَ به عليه من التَّقَدُّم الذى أَقامه
السَّعْدُ لِمُسْتَحَقِّه على أَثْبَتِ قَدَم - من نشأ فى طاعتنا الشَّرِيفَةِ يَدِينُ بَوَالِيهَا ،
وَيَتَّقِلُ فى خَيْرِ نِعَمِهَا وآلِهَا ، وَيَتَعَبَّدُ بما يُؤْهِلُ له من خِدْمَتِهَا ، وَيُبادِرُ إلى
مَائِنَدَبِ له من المِهَامِّ الشَّرِيفَةِ بين يَدَيِ مَراسِمِنا أَوْ تَحْتَ حَلِيِّهَا .

ولمَّا كان فلانٌ هو الذى ذُكِرَتْ طَاعَتُهُ ، وَشُكِرَتْ خِدْمَتُهُ وَتَجَانَّتْ - رُسم ...
أن يَرْتَّبَ فى رُبْعِ إِسْرَةِ نَبِيِّ مَهْدَى ، على حادثة من تَقَدَّمَهُ وَقَاعَدَتِهِ .

فليَرْتَّبْ فى ذلك ، قائِمًا بما يَحِبُّ عليه من وظائفها المَعْرُوفَةِ المَالُوفَةِ ، وَخِدْمَتِهَا
التي هى على ما تَبَرُّزُ به أَوَامِرُنَا الجارية مَوْقُوفَةٌ ؛ وَلِيَكُنْ هو وَعَرِيَّتُهُ بَصَدَدِ ما يُؤْمَرُونَ
به : من خِدْمَةٍ يبادِرُونَ إليها ، وطاعة يُتَأَيَّرُونَ عليها ، وَتَأْهِبُ للجهاد ، حيثُ مَرَّتْ
الجيوشُ المنصورة لم يَبْقَ لهم عائقٌ عن التَّوجُّهِ بين يديها ، وسياسةٍ تَأْخُذُهم من
الطرائقِ الحميدةِ بِسُلُوكِ ما يَحِبُّ ، ويعرفُ بها سُلُوكُ ما يَسْلُكُ وَاجْتِنَابُ ما يَحْتَنِبُ ؛
والخير يكون ، إن شاء الله تعالى .

الثانى - مَقْدَمُ زُبَيْد . ومنازلُ بعضهم بالمرَّجِ وَغُوطَةِ دِمَشْقَ ، وبعضهم
بَصَرْخَدَ ، وَحَوْران .



وهذه نسخة مَرْسُومٍ شَرِيفٍ بِتَقْدِيمَةِ عَرَبِ زُبَيْدَ ، وهى :

أما بعد حمد الله الذى أُنْعِمَ بنا للنِّعمِ تَأْيِيدًا . وأَحْسَنَ العَاقِبَةِ لأَحْسَنِ طَائِفَةِ أَهْلِ
لِمْ فيها تَحْلِيدًا ، وَأَحْيَا به مِنْهُمْ حَيًّا نَكْتُبُ لِأَمِيرِهِمْ وَأَمْرَتِهِمْ فى كُلِّ حِينٍ تَقْلِيدًا ؛

وَقُلْ مِنْهُمْ نَوْفَلًا فَلَا تَزَالُ تَجِدُ فِيهِمْ مَلَائِكَ الْفَخَارِ بِذِكْرِ اسْمِهِ تَجْدِيدًا ، وَرَعَى بَنَاءَ ابْنَاءِ
بَيْتٍ تَنَاسَقُوا ابْنَاءَ وَجْدُودًا ، وَتَبَاشَرُوا بَوْلَدٍ لِمَا خَلَفَ وَالِدُهُ بَابُ ابْنٍ سَعِيدٍ
لَا يَكُونُ إِلَّا سَعِيدًا ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ الَّذِي أَهْلَكَ بِسَيْفِهِ كُلَّ غَاشِمٍ ،
وَأَنْجَلَ بِسَيْفِهِ كُلَّ غَمَامٍ لَوَجَنَةِ الرِّيَاضِ وَأَاشَمَ ، وَأَسْعَدَ بِسَيْفِهِ نَوْفَلًا وَعَبْدَ شَمْسٍ
بَأَخَوْتِهِمَا لَهَاثِمٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ خُلَاصَةِ الْعَرَبِ ، صَلَاةً لَا يُعَدُّ ضَرْبًا
لَهَا الضَّرْبُ ، وَسَلَامٌ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فَإِنَّ الْعَسَاكِرَ الْمَنْصُورَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ : مِنْهُمْ حَاضِرَةٌ أَهْلُ جِدَارٍ ، وَبَادِيَةٌ
فِي قِفَارٍ ، وَقَوْمٌ هُمُ الْمُدُنُ الْمُتَدَنَّةُ وَقَوْمٌ عَلَيْهَا أَسْوَارٌ ، وَهَمُ صَنْفَانٍ : صِنْفٌ لَا تَمَلُّ
السُّيُوفُ عَوَاتِقَهُمْ ، وَصِنْفٌ سِيُوفُهُمْ تُحْبَسُ بِهَا مَنَاطِقُهُمْ ، وَالْعَرَبُ أَكْرَمُ [أَهْلُ]
الْبَوَادِي ، وَأَعْظَمُ قِبَالَتُهُمْ تَضَرَّمَا كَالْبَرْقِ مُبَارَاةً لِلسَّحْبِ الْغَوَادِي ، قَدْ نَصَبُوا بِقَارِعَةِ
الطَّرِيقِ خِيَامَهُمْ ، وَسَرَّحُوا مَعَ أَسْرَابِ الظَّبْيِ سَوَامَهُمْ ، وَوَقَفُوا دُونَ الْمَمَالِكِ الْمَحْرُوسَةِ
كَكَابٍ مَصْفُوفَةٍ ، وَمَوَازِيٍّ بِمَا تُعْرَفُ بِهِ الْعَرَبُ مِنَ الشَّجَاعَةِ مَوْصُوفَةٍ ، وَزُبَيْدٍ
مَنْ أَنْفَرَهَا قَبِيلُهُ ، وَأَكْثَرَهَا فَوَارِسَ : [فَأَمَّا أَحْسَابُهَا] فَكَرِيمَةٌ وَأَمَّا وَجُوهُهَا فَجَمِيلَةٌ ،
شَامِيَّةٌ أَعْرَقَتْ أَشْبَابًا فِي يَمِينِهَا ، وَأَتَمَّتْ بِسَطْرِهَا أَسْتَبَاحَ مَا تَفْتَحُ فِي الْمَجَرَّةِ مِنْ سَوَسِنِهَا ،
فَمَا يَبِيتُ بَطْلٌ مِنْهُمْ عَلَى دِمْنٍ ، وَلَا يُعْرَفُ فَارِسٌ إِلَّا إِذَا تَمَلَّى فِي الْخَلِيلَيْنِ مَنْ شَامٍ
وَمَنْ يَمْنٍ ، كَمْ فِيهِمْ بِمَوَاقِعِ الطَّلَعِ فَطَنَ ذَوُ كَيْسٍ ، وَكَمْ صَبَغَ مِنْهُمْ بِالْدَّمَاءِ رَايَةً حَمْرَاءَ
يَمِينِيٍّ لَا يُنْسَبُ إِلَى قَيْسٍ ، كَمْ كَرَّبَ عَلَى مَعْدِيكَرَبٍ مِنْهُمْ فَارِسٌ ، وَنُسِبَ إِلَى زُبَيْدٍ
وَهُوَ خَشِنُ الْمَلَابِسِ ، مِنْهُمْ صَاحِبُ الصَّمْصَمَةِ بَقِيَ مِثْلُهَا السَّيْفُ فَرْدًا ، وَكَمْ قَتَلَ مِنْ
أَقْرَانِهِ الشُّجْعَانَ مِنْ أَخٍ صَالِحٍ وَبَوَّاهٍ فِي الْعَجَاجِ بِيَدَيْهِ لَحْدًا ، وَمَنْ نَجَّوَهُمُ الزَّوَاهِرُ
السَّرَاهُ ، وَغِيومُهُمُ الْإِكَابُ السَّرَاهُ ، مَنْ لَمْ يَزَلْ حَوْلَ دِمَشْقٍ وَمَا يَلِيهَا مِنْ حَوْرَانٍ ،
مَنَارَةٌ مَنَازِلَ وَأَوْطَانٌ ، حَامُوا عَنْ جَنَابِهَا الْمُصُونِ ، وَحَامُوا حَوْلَ غُوطَتِهَا تَسْبِيحًا بِحَامِيهَا

على الغُصُون ؛ وما تَلَوْا بسِوَفِهِمْ أَنهَارَهَا ، وَرَبَّاحِهِمْ حَوْلَ دَوْحَاتِ الْأَيْكِ أَشْجَارَهَا ؛
وَأَسْتَلَمُوا بِمِثْلِ غُدْرَانِهَا دُرُوعًا ، وَحَكَّوْا بِمَا أَطْلَوْا مِنْ دِمَاءِ الْأَعْدَاءِ شَقَائِي رَوْضَهَا ،
وَبِمَا جَرُّوا مِنْ حُلَاهِمِ الْمُنْهَمَةِ سِيْلًا ؛ وَلَمْ يَزَلْ لِمَنْ مِنَ الْبَيْتِ التَّوْفِيقُ مَنْ يَجْمَعُ جَمَاعَتَهُمْ ،
وَيَضُمُّ تَحْتَ رَايَةِ الدَّوْلَةِ الشَّرِيفَةِ طَائِعَتَهُمْ ؛ يَخْلُفُ ابْنُ مِنْهُمْ لِأَبِيهِ أَوْ أَخٌ لِأَخِيهِ ،
وَيُنْتَظَمُ كُلُّ قَوْمٍ مَعَ مَنْ يَنْاسِبُهُ وَيَنْصَافُ كُلُّ كَوَكِبٍ إِلَى مَنْ يُؤَاجِبُهُ .

وكان مجلس الأمير الأجل ، فلان بن فلان الزبیدی - أدام الله عزه - هوقية
من سلف من آبائه ، وعرف مثل الأسد القسورة بإبائته ؛ وأتخصر فيه من استحقاق
هذه الرتبة ميراث أبيه ، وأستغرق جميع ما كان من أمر قومه وأمرتهم يليه .

فرسم بالأمر الشريف - زاده الله تعالى شرفاً ، وذخربه لكل سالف خلفاً -
أن يرتب في إمرة قومه من زبید النازلين بظاهر دِمَشْق وبلاد حوران المحروس ،
على عادة أبيه المستقره ، وقاعدته المستمره ؛ إلى آخر وقت ، من غير تنقيص له عن
تَحيْم سَعْدِهِ فِي سِمَةِ وَلَا سَمْتٍ ؛ تَقْلِيمَةً تَسْمُلُ جَمِيعَهُمْ مِنْ أَعْرَاقٍ وَأَشْأَمٍ ، وَاتِّجَادٍ
وَأَتَمٍّ ؛ لَا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ حُكْمِهِ ، وَلَا يَنْفَرِدُ عَنْ قِسْمِهِ ؛ لَا يَمُنُّ هُوَ فِي جِدَارٍ ،
وَلَا يَمُنُّ هُوَ مُضْطَحَّرٌ فِي قَفَارٍ ؛ يَمُنُّ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ أَبُوهُ ، وَيَقُومُ فِيهِمْ مَقَامَهُ الَّذِي
كَانَ عَلَيْهِ هُوَ وَأَوَّلُوهُ .

وَنَحْنُ نُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَبِاتِّبَاعِ حُكْمِ الشَّرِيفَةِ الشَّرِيفَةِ مَا أَقْبَتَ عَلَى
بَلَدٍ أَوْ أَزْمَعَتْ أَرْجَحَالًا ، وَبِجَمْعِ قَوْمِكَ عَلَى الطَّاعَةِ قُرْسَانًا وَرُكْبَانًا وَرِجَالًا ؛ وَاتِّبَاعِ
أَوَامِرِهَا الشَّرِيفَةِ وَأَمْرِ تَوَائِنِ الدِّينِ هُمْ بِإِزَانِهِمْ ، وَمَا أَعْتَازُ مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا لِمَا مَالُوا
إِلَيْهِ فِي أَعْتَازِهِمْ ؛ وَالتَّأْهِيبِ أَنْتَ وَقَوْمُكَ لِمَا رَسَمَ بِهِ فِي لَيْلِ أَوْنَهَارٍ ، وَحَيَاةٍ حَيٍّ
أَتَمَّ حَوْلَهُ فِي صَحْرَاءٍ مُضْطَحَّرَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جِدَارٍ ؛ وَالْمُطَالَعَةِ بَيْنَ يَتَقَلُّ مِنْ أَصْحَابِكَ

بِالْوَفَاءِ ، وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَمِثْلُكَ أَيْسَرُ مَا قَالُ لَهُ أَمْرٌ وَكَفَاهُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُوفِّقُكَ لِمَا
يَرْضَاهُ ، وَيُؤَيِّدُكَ فِي كُلِّ أَمْرٍ لِلْعَمَلِ بِمَقْتَضَاهُ ، وَسَبِيلُ كُلِّ وَاقِفٍ عَلَيْهِ الْعَمَلُ بِهِ
بَعْدَ الْخَطِّ الشَّرِيفِ شَرَفُهُ اللَّهُ تَعَالَى وَأَعْلَاهُ أَعْلَاهُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

النيابة الثانية

(من نيابات البلاد الشامية - نيابة حلب . ووظائفها التي يكتبها
من الأبواب السلطانية على نوصين)

النوع الأول

(من بِحَاضِرَةِ حَلَبَ ، وَهِيَ عَلَى أَصْنَافٍ)

الصف الأول

(منهم أَرْبَابُ السُّيُوفِ ، وَهِيَ عَلَى طَبَقَتَيْنِ)

الطبقة الأولى

(مِنْ يُكْتَبُ لَهُ تَقْلِيدٌ ، وَهُوَ نَائِبُ السُّلْطَانَةِ بِهَا ،
وَتَقْلِيدُهُ فِي قَطْعِ الثَّلَاثِينَ بِـ «الجناب الكريم»)

وهذه نسخة تَقْلِيدِ شَرِيفِ بِنِيَابَةِ السُّلْطَانَةِ بِحَلَبَ ، كُتِبَ بِهِ لِلْإِمِيرِ اسْتَدْرَمُ ،
مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ شَهَابِ الدِّينِ مُحَمَّدِ الْحَلَبِيِّ ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَافِظِ نُفُورِ الْإِسْلَامِ فِي أَيَّامِنَا الزَّاهِرَةِ . بَيْنَ يَفْتَرُّ عَنْ شَنْبِ النَّصْرِ سَيْفُهُ ،
وَنَاطِقِ نِطَاقِ الْخُصُوفِ فِي دَوْلَتِنَا الْفَاهِرَةِ ، عَلَى هِمِّ مَنْ لَمْ يَزَلْ يَغْزُو عَدُوَّ الدِّينِ قَبْلَ
طُلُوعِ طَلَائِعِهِ طَيْفُهُ ، وَيَأْشُرُ لَوَاءِ الْعَدْلِ فِي أَسْنَى مَمْلَكَاتِهِ مِنْ لَا يُؤْمِنُ فِي الْحَقِّ قُوَّتُهُ

وَلَا يُرْهَبُ فِي الْحُكْمِ حَقُّهُ ، وَمَذْنَحُ [أَجْر] الرِّبَاطِ فِي سَبِيلِهِ لِمَنْ لَمْ يَبْتَ لَيْلَةً إِلَّا وَالتَّائِيْدُ
تَزِيلُهُ وَالنَّصْرُ يَمِيْرُهُ وَالظُّفْرُ ضَيْقُهُ ؛ الَّذِي جَعَلَ الْجِهَادَ فِي أَطْرَافِ الْمَالِكِ الْحَرُوسَةَ
سُورًا لِعَوَائِمِهَا ، وَالصُّعَادَ فِي مَقَاتِلِ أَعْدَاءِ الدِّينِ تَجَنُّا فِي صُدُورِهَا وَتَحْيَى فِي ظُلُمِهَا ؛
وَالسُّيُوفَ الْحِدَادَ تُزَيِّى بِمِشَارِكَتِهَا لَأَسْمٍ مِنْ يُلِيَتْ مِنْهُ أَجْسَادُ أَهْلِ الْكُفْرِ بِقَاسِمِهَا ،
وَرُبِيتَ مِنْهُ أَعْمَارُهُمْ بِقَاسِمِهَا ، وَأَزْهَقَ لِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ أَوَّلِيَانَا سَبَقًا تَحْتَلِي الشَّهْبَاءُ
بِيَوهَرِ فِرْنَيْدِهِ ، وَتَتَوَقَّعُ الْأَعْدَاءُ مَوَاقِعَ فَتَكَاتِهِ قَبْلَ تَأْتِي بَرْقِهِ مِنْ مَحَبِّ غَمْدِهِ ؛
وَيَعْرِفُ أَهْلُ الْكُفْرِ مَضَارِبَهُ الَّتِي لَا تُطِيقُ مَقَاتِلُهُمْ جَحْتَهَا ، وَتَفْتَرِّقُ عُصَبَ الضَّلَالِ
فَرَقًا مِنْ مِهَابَتِهِ الَّتِي طَالَمَا أَغَارَتْ عَلَى جِيُوشِهِمُ الْمُتَعَلِّدَةِ وَحَدَمَا .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي جَعَلَتْ النَّصْرَ لِأَجْيَادِ مَمَالِكَا عُقُودَا ، وَالْكَفْرَ لِلْهَيْبِ صَوَارِمَنَا
وَقُودَا ، وَالتَّائِيْدَ مِنْ تَنَاجِجِ سُبُوفِنَا الَّتِي تَأْنِفُ أَنْ تُرَى فِي مَضَاجِعِ التُّغْمُودِ رُقُودَا ؛
وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُمَلِّي مَنَارَ الْهُدَى ، وَتُطْفِئُ أَنْوَارَ
الْعِنَا ، وَتُحَلِّي أَجْسَادَ أَهْلِ الْكُفْرِ مِنْ قُوَى أَرْوَاحِهِمْ فَتَفْتَدُو كَيْدِيَارِهِمُ الَّتِي لَا يُجِيبُ
فِيهَا إِلَّا الصِّدْقُ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ عَمْدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ النَّبَى أَمَلَى اللَّهُ بِنَاءَ الْإِيمَانِ بِتَأْذِينِهِ ،
وَأَيَّدَنَا فِي اللَّذْبِ عَنْ مِلَّتِهِ ، بِكُلِّ وَلِيٍّ يَتَلَقَّى رَايَةَ النَّصْرِ بِيَمِينِهِ ، وَأَعَانَنَا عَلَى مَصَالِحِ
أَمْرِهِ ، بِكُلِّ سَيْفٍ تَتَأَلَّقَى نَارُ الْأَجَلِ مِنْ زَيْنِهِ وَيَقَرِّقُ مَاءَ الْحَيَاةِ مِنْ مَعِينِهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ وَصَّيَتْهُمْ مِنْ وَجْهِ الْكُفْرِ أَغْفَالًا ، وَكَانَتْ سُبُوفُهُمْ
لِمَعَاقِلِ أَهْلِ الشُّرْكِ مَفَاتِيحَ فَلَمَّا فَتِحَتْ غَدَّتْ لَهَا أَقْفَالًا ؛ فَهُمْ مَنْ فَازَ بِزِيَّةِ السَّبْقِ
إِلَى تَصْدِيقِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ الشَّيْطَانُ يُنْكِبُ عَنْ طَرِيقِهِ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ أَمَرَ بِإِعْمَادِ
سَيْفِ الْإِتِّصَارِ لَدَمَهُ عَنْ مُرِيْقِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ حَازَ رُبِيَّةَ أَخْتَانِهِ وَصِهْرَهُ دُونَ أُسْرَتِهِ
الْكَرَامِ وَفَرِيقَهُ ؛ صَلَاةَ دَائِمَةِ الْخُلُودِ ، مُسْتَمْرَّةَ الْإِقَامَةِ فِي التَّهَانِمِ وَالنُّجُودِ ؛ وَسَلَامٌ
تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد، فإنَّ أولي من حُلِّيَتِ التقاليدُ بلالِي أوصافه، ومُلِكَتِ الأقاليمُ بمواقع
 مهاتيهِ وإنصافه؛ وريعت قلوبُ العدا بطُروقِ خياله قبل خيله، وخاف الكُفْرُ
 كلَّ شيءٍ أشبه طُباه من توقُّدِ شمسِ نهاره أو حكي أسننه من تألُّقِ نجومِ ليلِه؛
 ومدَّ على الممالك من عزِّ ماته سورُ مصفَحٍ بصفاحه، مُشرفٌ بأسننه رماحه؛ ساميةٌ
 على مِنطَقَةِ الجوزاءِ مِنطَقَةُ بروجِه، نائيةٌ على أمانِي العدا مسافةٌ رِفْعَتِه فلا يَقْدِرُ أَمَلُ
 بايغٍ على أرزاقه ولا رَجاءٍ طامِحٍ على وُجوهه من تَهَلَّتْ بِسَدادٍ تَدِيرُه الدُّولُ، وشهدتْ
 بسيرِ محاسنِه السَّيرَ الأولُ؛ وتوطَّلتِ الممالكُ على أسننِه لحَقَّقَتْ أَنَّ أَعْلَى الممالكِ
 ما يُنْفِي على الأسَلِ، وسارت في الآفاقِ مُمَعْتَه فكانت أسرى من الأحلامِ وأسبق
 من الأوهامِ وأسير من المثل؛ وصابت الثُّغُورَ صَوَارِمُه فلم يَسْمِ بِرَقِّها إلا أسيرٌ
 أو كسير، أو من إذا رَجَعَ إليها بَصَرُه أَقْلَبَ إليه البَصْرُ خاسِئًا وهو حَسِير؛ وزانت
 الأقاليمُ معدنَه فلا ظُلُمَ يَفْشِي ظلامُه، ولا جَوْرَ يُخَنِّي المِأْمَنُه، ولا حقَّ تُحْصِصُ
 حُجَّتُه ولا باطلٌ يعلو كلامُه؛ فالبلادُ حيثُ حلَّ بَدَلُه مَعْمُورُه، وبِإيَّالِه مَقْمُورُه،
 وسُيُوفُ ذَوِي الأَقلامِ وأَقلامُهم بأوامرِه في مَصالِحِ البلادِ والعبادِ مَنِيَّةٌ ومأمُورُه.

ولما كان الجَنابُ العالی هو الذي طاقَ الملكُ الأعزَّ نِجادُه، وألَّيت الذي لم يَزَلْ
 في سبيلِ اللَّهِ إِغَارَتُه وإِنجَادُه؛ والكَبِيُّ الذي كَمَّ له في جِهادِ أعداءِ اللَّهِ من مَوْقِفِ
 صِدْقٍ يَضِلُّ فيه الوَهْمُ وَتَرَلُّ فيه القَدَمُ، والهَمامُ الذي إنْ أَتَكَرَّتْ أَعناقُ العِدا مَوَاقِعَ
 سَيُوفِه «فما بالعهد من قَدَمٍ»؛ والمِقْدَامُ الذي لا تُشْكِرُ مَشايدُه في إِرْغامِ الكُفْرِ ولا
 تُكْفِرُ، والزَّعِيمُ الذي حَمَتْ مهابتُه السَّواحِلَ نِخافِ البَحْرِ: وهو العَدُوُّ الأَزْرَقُ، من
 بِأسِه الأَحْمَرُ، على نَبِيِّ الأَصْفَرِ؛ والمُقَدَّمُ الذي كَمَّ ضاقت بِسرايا شِيعَتِه الفِجَاجُ؛ وَكَمَّ
 أَشْرَقَتْ نُجُومُ اسننِه من أَفقِ النُّصْرِ في ظُلُمِ العِجَاجِ؛ وَكَمَّ حَمَى العَدَبِ الفِرَاتِ على
 البُعدِ بِسُيوفِه وهي مجاورَةٌ للملحِ الأَجَاجِ!؛ مع سَطَوَةِ أُنَامَتِ الرِّعَايا في مِهادِ أُنْها،

ورأفة عَمَرَتِ البرايا بِباطِطَةِ إقبالها وبُيْمِنِها، وَرَفِي تَكَفُّلَ لَسَهْلِ البلاد وَحَرَّتِهَا بِإِعَانَةِ مُزْنِهَا ؛ وَشَجَاعَةِ أَعْلَتِ الجيوشِ الَّتِي قَبْلَهُ فَفَنَّتْ أَحَادُهَا أُلُوفًا ، وَفَتَكَاتِ عَوَدَتِ الطَّيْرِ الشَّجَّ مِنْ وَقَائِعِهِ فَبَاتَتْ عَلَى رَايَاتِهِ عُسُوفًا ، وَمَعْدَلَةُ عَمَّتْ مَنْ فِي إِيمَالِهِ فَأُشْحِي الضَّعِيفُ فِي الْحَقِّ قَوِيًّا عِنْدَهُ وَالْقَوِيُّ فِي الْبَاطِلِ ضَعِيفًا .

وكانت البلاد الحليّة المحروسة هي المملكة التي لا تُجَارَى شَبَاهُهَا فِي حَلِيَّةِ نَخَارِ ، وَالزُّبَّةِ الَّتِي لَا يُؤْهَلُ لَهَا مِنْ خَوَاصِّ الْأَوْلِيَاءِ الْأَعَزَّةِ إِلَّا مَنْ أَسْتَخَرْنَا اللَّهَ تَعَالَى فِي تَقْلِيدِ جَيْدِ مَفَاخِرِهِ بِلَا لِي كَفَالَتِهَا نَخَارَ ؛ فَهِيَ سُورُ الْمَالِكِ الَّذِي لَا تَنْسَوْرُهُ الْخَطُوبُ ، وَأَمُّ الثُّغُورِ الَّتِي مَا يَرِحُ يُسْفِرُ بِإِتْسَامِهَا عَنْ شَبِّ النَّصْرِ وَجْهَ الزَّمَنِ الْقَطُوبُ ؛ وَمَوْطِنُ الرِّبَاطِ الَّذِي كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ [فِيهِ] خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَعَقِيلَةُ الْأَقَالِمِ الَّتِي تَمْ أَشْجِي قُلُوبَ الْمُلُوكِ الْأَكْبَرِ صُدُودُهَا وَأَمْرُ عِيُونِ الْعِظَاءِ الْأَكْاسِرَةِ تَجَا فِيهَا ؛ بَلْ هِيَ عِفْدُ دُرِّهِ حُصُونُهُ ، وَرَوْضُ سِيُوفِ الْكُجَةِ جَدَاوِلُهُ وَرِمَاحُ الْحِمَاةِ غُصُونُهُ ، وَجَمَى لَمْ تَزَلْ عِيُونُ عَنَانَيْنَا بَعُونَ اللَّهَ تَحْفَهُ وَأَيْدِي تَأْيِسِدُنَا بِقُوَّةِ اللَّهِ تَصُونُهُ - أَقْتَضَتْ أَرَاؤُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ تُزَهِّفَ بِحِمَايَتِهَا هَذَا السَّيْفَ الَّذِي تُسَاقِ الْأَجَلَ مَضَارِبُهُ ، وَتَبْطُلَ الْحَيْسَلَ تَجَارِبُهُ ، وَيَتَقَدَّمَ خَبَرُ عَزَائِمِهِ خَبَرَهَا فَلَا يُدْرَى : هَلْ رِيحُ الْجَنُوبِ أَسْرَى وَأَمْرَعُ أَمْ جَنَائِبُهُ ؛ وَتُبْتُ مَهَابَتَهُ أَمَامَ سَرَايَاهُ إِلَى الْعِدَا سَرَايَا رُغْبٍ تَقْلُ بِجَمْعِهِمْ ، وَتُسَبِّقُ إِلَى التَّحَرُّزِ مِنْ بَأْسِهِ بَصَرُهُمْ وَسَمْعُهُمْ ؛ وَتُسْفِرُ بِكُلِّ أَفْقٍ عَنْ سَعْتِهَا مَغِيرُهُ ، أَوْ كَيْتِيَّةٍ تَجْعَلُهَا لِمَعَالَى النَّصْرِ الْكَامِنَةِ مُبِيرُهُ .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف العالی - لا زالت أَوَامِرُهُ مَبْسُوطَةٌ فِي الْبَسِيطَةِ ، وَمَمَالِكُهُ مَحْوَطَةٌ بِمَهَابَتِهِ الشَّامِلَةِ وَمَعْدِنَتِهِ الْمُحِيطَةِ - أَنْ تَقُوضَ إِلَيْهِ نِيَابَةُ السُّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ بِالْمَمْلَكَةِ الْحَلِيَّةِ : تَقْوِيضًا يَعُوذُهَا مِنْ عِيُونِ الْعِدَا بِأَيَاتِ عَزَائِمِهِ ، وَيَعُوذُهَا

أَجْتَنَّهُ نَمْرُ الْمُنَى وَالْأَمْنِ مِنْ وَدْقِ صَوَارِمِهِ ؛ وَيَنْظِمُ دَرَارِيَّ الْأَيْسَنَةِ مِنْ أَجْبَادِ حُصُونِهَا فِي مَكَانِ الْقَلَائِدِ ، وَيَجْعَلُ كَلِمَةَ أَعْدَائِهَا لَخْوَفِهِ أَضْعَفَ مِنَ الْوُلْدَانِ وَأَجْبَنَ مِنَ الْوَلَائِدِ ؛ وَيَجْرُدُ إِلَى مُجَاوِرِيهَا مِنْ هِمَّتِهِ طَلَائِعَ تَحْصُرُهُمْ فِي الْفَضَاءِ الْمَتَّيْعِ ، وَتُسَدُّ عَلَيْهِمْ بِمَجَالِ الْأَرْضِ الْفَسِيحَةِ فَيَغْدُو لَهُمْ حَزْنُهَا الْحَزَنَ الشَّامِلَ وَسَهْلُهَا السَّهْلَ الْمُتَّعِجَ .

فَلْيَتَقَلَّدْ هَذِهِ الرِّتَبَةَ الَّتِي يَمِثِّلُهَا تُرْهَى الْأَجْبَادِ ، وَبِتَقْلِيدِهَا يَظْهَرُ حَسَنُ الْإِنْتِقَاءِ لِلْجَوَاهِرِ الْأَوْلِيَاءِ وَالْإِنْتِقَادِ ، وَبِتَقْوِيَتِهَا إِلَى مِثْلِهِ يُعْلَمُ حَسَنُ الْإِرْتِيَادِ لِمَصَالِحِ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ ؛ وَلْيَزِدْ جِيوشَهَا الْمَنْصُورَةَ إِرْهَابًا لَعَنُوهُمْ ، وَإِرْهَاقًا لَصَوَارِمِ الْجِهَادِ فِي رَوَاجِحِهِمْ وَغُدُوهُمْ ، وَإِدَامَةً لِلتَّغْيِيرِ الَّذِي حَبَّهَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ ، وَقُوَّةً عَلَى مُجَاوِرِيهِمْ مِنْ أَهْلِ الْتَفَاقِ الَّذِينَ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَبِيحَةٍ طَلِبِهِمْ ؛ فَإِنَّهُمْ فُرْسَانُ الْجِلَادِ الَّذِينَ أَلْفَوْا الْوَقَاتِعَ ، وَأَسْوَارُ الْقُرَاتِ الَّذِينَ عُرِفُوا فِي الذُّبِّ عَنْ مِلَّتِهِمْ بِحِفْظِ الشَّرَائِعِ ، وَكَشَافَةِ الْكُرْبِ الَّذِينَ لَا يَزَالُ لَهُمْ فِي سَائِرِ بِلَادِ الْعِدَا سِرَايَا وَعَلَى جَمِيعِ مَطَالِمِ دِيَارِ الْكُفْرِ طَلَائِعُ ؛ وَهُمْ بِتَقْدِمَتِهِ تَتَضَاعَفُ شَجَاعَتُهُمْ ، وَتَزِيدُ أَسَاطِعَتُهُمْ وَطَاعَتُهُمْ ؛ وَلْيَأْخُذْهُمْ بِمُضَاعَفَةِ الْأَهْبِ وَإِدَامَةِ السُّخَى فِي حِفْظِ الْبِلَادِ وَالذُّبِّ ، وَالتَّشْبِهِ بِأَسُودِ الْغَابَاتِ الَّتِي هُمُّهَا فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ ؛ وَلِيَتَمَّ بِكَشْفِ أَحْوَالِ عَدُوِّ الْإِسْلَامِ لِيَبْرَحَ آمِنًا عَلَى الْأَطْرَافِ مِنْ خَيْفِهِمْ ، مَتَّقَظًا لِمَكَائِدِهِمْ فِي رِحْلَتَيْ شَتَائِهِمْ وَصَيْفِهِمْ ؛ مُفَاجِئًا لَهُمْ فِي كُلِّ مَثَرٍ بِسَيْرِ رُوحِ مِرْرِهِمْ ، وَيُكَدِّرُ شَرِبِهِمْ ؛ وَيَجْعَلُ رُوحَ كُلِّ مِنْهُمْ مِنْ خَوْفِ قُدُّومِهِ نَافِرَةً عَنِ الْجَسَدِ ، وَيَسْلُبُهُمْ بَتَوَقُّعِ مُفَاجِئَتِهِ الْقَرَارِ « وَلَا قَرَارَ عَلَى زَائِرٍ مِنَ الْأَسَدِ » ، وَلَا تَزَالُ قَصَادُهُ بِأَسْرَارِ قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ مُنَاجِيهِ [وَلَا تَبْرَحْ لَهُ مِنْ أَعْيَانِ عِيُونِهِ بَيْنَ الْعِدَا فِرْقَةً نَاجِيهِ] وَلِيَحْتَفِلَ بِتَدْرِيجِ الْحَمَامِ الَّتِي هِيَ رُسُلُ أَعْيَتِهِ ،

(١) مراده ليبقى على الدوام آمناً إلخ إلا أن هذه المادة لا تحصى هذا المعنى إلا بسبق النفي . تأمل .

(٢) الزيادة مما يأتي قرئاً ليستمع الكلام .

وإقامة الديارب الذين إذا دعوا هممة بالنسبة الثيران لبثهم السنة أسنته ؛ وليمت
قلوب أعدائه بوجل لقاياه قبل الأجل ، وليزد في الحزم على ابن مزيد الذى
لم يرفى الأمن إلا فى درج مضاعفة « لا يأمن الدهر أن يدعى على تجل » ؛
وليجل أحوال الفلاح المحروسة دائما برأى منه ومسمع ، ويسيدتها من ملاحظته
باحتيال لا يدع لشائمه برقاها وحول أموالها [مطعما] قد استكمل حسن النظر
فى مصالحها أجمع ؛ وليقم منار الشرع الشريف بمعاينة حكامه ، والالتفات إلى
أحكامه ، والوقوف مع تقيمه وإبرامه :

فليجعل حكم الشريعة المطهرة أمامه وإمامه ، وليقم أمر الله فيمن اقتاده الشرع
إلى حكمه بفاذب زمامه ؛ وليعظم حملة العلم الذى أعلى الله مناره ، وأفاض على
الأمم أنواره ، وحفظ بهم على الملة سنة نبهم صلى الله عليه وسلم وآثاره ؛ وليكن
لأقدارهم رافعا ، ولمضارهم دافعا ؛ ولاوقافهم بجمل الاحتفال عامرا ، وفى مصالحهم
بتحلية الأحوال آمرا ؛ ولينشر لواء العدل الذى أمر الله بنشره ، ويسقعه بالإحسان
الذى هو مالوف من مجابهة ومعروف من طلاقة نشره ؛ ويمد على الرضا ظل رأفته
الذى يضيئ فى النعم لباسهم ، ويديم الفهم بالرفاهية وأستئناسهم ؛ ويقم حكم سياسته
على من لم يستقم ، ويقف مع رضا الله تعالى فى كل أمر : فإذا رحم الله فليرحم
وإذا استقم فليقر الله لا يتقهم ؛ وليعتن بمارة البلاد بسط العدل الذى ما احتنى به
ملك إلا صانه ، والرفق الذى لم يكن فى شيء إلا زانه ، وتونى الحق الذى من جعله
نصب عينيه وفقه الله له وأعانه . وكذلك أمر الأموال : فإنها ذخيرة الملك وعتاده ،
ومادة الجيش الذى إذا صيرفت إلى مصالحهم هممه لم يمحس عليه أقطاعه ولا

(١) يشير إلى بيت من قصيدة لسل بن الوليد مدح بها يزيد بن يزيد الشيباني وهو :

تراه فى الأمن فى درج مضاعفة * لا يأمن الدهر أن يدعى على عمل

قَدَّاهُ ؛ وَجَمِيعُ الوَصَايَا قَدْ أَلْفَنَّا مِنْ سِيرَتِهِ فِيهَا فَوْقَ مَا تَقْتَرِحُ ، وَخَبَرْنَا مِنْ مَقَاصِدِهِ فِيهَا مَا يَقُولُ لِلسَّانِ قَلْبُهَا : قَدْ عَرَفْتُ مَا أَوْمَأَتْ إِلَيْهِ مِنْ مَقَاصِدِكَ فَاسْتَرَحْ ؛ وَمِلَاكُهَا تَهْوَى اللَّهَ تَعَالَى وَرِضَانًا ، وَهُوَ الْمَأْلُوفُ مِنْ عَدْلِهِ وَإِنْصَافِهِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَدُيْمُهَا بِتَأْيِيدِهِ وَقَدْ فَعَلَ ، وَيَحْلِلُهُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ وَأَعْلَامِ الْمُسْلِمِينَ وَقَدْ جَعَلَ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ، وَالْإِعْتَادُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخةٌ تَهْلِيلُ شَرِيفِ بَيَانَةِ حَلَبَ أَيْضًا ، كُتِبَ بِهَا عَنِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ «مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ» لِأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ «قِرَاسُتُور» بِإِعَادَتِهِ إِلَيْهَا . مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ شَهَابِ الدِّينِ مُحَمَّدِ الْحَلَبِيِّ ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْعَوَاصِمَ بِإِقَامَةِ قَرَضِ الْجِهَادِ فِي أَيَّامِنَا الشَّرِيفَةِ مُعْتَصِمَةً ، وَالثُّغُورَ بِمَا تَقَرَّرَتْ عَنْهُ مِنْ شَلْبِ النُّصْرَةِ فِي دَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةِ مُبْتَسِمَةً ، وَالصُّوَارِمَ الْمُرْهَقَةَ فِي أَطْرَافِ الْمَالِكِ بِأَيْدِي أَوْلِيَانَا لِأَرْوَاحِ مَنْ قُرْبٍ أَوْ بَعْدٍ عَنْهَا مِنَ الْأَعْدَاءِ مُقْتَسِمَةً ، وَالْحُصُونِ الْمُصَفَّقَةَ بِصَفَاحِنَا بِأَعْلَامِ النُّصْرِ مُعْلِمَةً وَبَسِيَا الظُّفْرِ مُتَسِمَةً ؛ مُعَلِّي قَدْرِ مَنْ أَحْسَنَ فِي مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ عَمَلًا ، وَرَافِعِ ذِكْرٍ مَنْ يَسْطُرُ إِلَى عِزِّ طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَطَاعَتِنَا أَمَلًا ، وَجَمِّدِ سَعْدٍ مَنْ تَلْبَسَ الْأَقْلَامُ مِنْ أَوْصَافِهِ أَنْفَرِ الْحُلَّالِ إِذَا خَلَعَتْ مِنَ الْمُحَامِدِ عَلَى أَوْصَافِهِ حُلُلًا ، وَمُقَوِّضِ زَعَامَةِ الْجُيُوشِ بِمَوَاطِنِ الرِّبَاطِ فِي سَبِيلِهِ إِلَى مَنْ إِذَا قَالَتْ مَقَاتِلُ الْعَدَا سِيُوفُ الْجِلَادِ كَانَتْ عِزًّا لِمَنْ مِنَ السِّيُوفِ الْمُرْهَقَةِ بَدَلًا .

تَحْمِلُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي جَعَلَتْ طَاعَتَنَا مِنْ آ كَدِ أَشْيَابِ الْعُلُوِّ ، وَخِدْمَتَنَا مِنْ أَنْجَحِ أَبْوَابِ الرِّفْعَةِ بِحَسَبِ الْمُبَالَغَةِ فِي الْخِدْمَةِ وَالْعُلُوِّ ، وَنِعْمَتَنَا شَامِلَةً لِلْأَوْلِيَاءِ بِمَا يُرْبِي عَلَى

طوامج الآمال في البعد والدنو؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
تستزل بها مواد النصر والظفر، وتستجزل بها ذخائر التأييد التي كم أسفر عنها وجهه
سفر، وترهف بها سيوف الجهاد التي كم آلفت من آمن وكفت من كفر؛ ونشهد
أن محمدا عبده ورسوله الذي أنزل سبكته عليه، وزويت له الأرض فرأى منها
ما يبلغ ملك أمته إليه، وعرضت عليه كنوز الدنيا فأعرض عما وُضع من مقابلها
بيديه؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين رضى الله عنهم، ونهضوا بما أمروا به
من طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة أولى الأمر منهم؛ صلاة دائمة الظلال، آمنة
تمس دوايها من الزوال؛ وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد؛ فإن أولى من طوقت أجياد الممالك بفرائد أوصافه، وفوقت إلى مقاتل
العدا سيها مهاجه التي تحول منهم بين كل قلب وشعافه؛ وخصت به أم الثغور التي
دتر لها حلبها، ومدت عليها أفياء النصر الممدودة ذوايلها وقضبها، وأهدى أريج البلج
افتزارها وشنبها - من تهوم مهاجته مقام الألف، وتحتي شمعته من ذوايل العزائم تمر
النصر المألوف؛ ويسبق خياله سرايا خيله التي هي أسرى من هوج الرياح إلى هزم
الجموع وتفريق الصفوف، وتنظم أيسنة رماحه في الوغى قلوب العدا نظم السطور
وتترصفاه رؤوسهم ثمر الحروف؛ ويحيط ب نطاق الممالك المتطرفة صوارمه إحاطة
الأسوار بالحصون، والتمائل بالنصون، والمالات بالانفسار، والجوانح بالانصرار؛
ولا تبيت ملوك العدا منه إلا على وجل، ولا يرى في الأمن إلا في درج مضاعفة
«لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل»؛ ولا يخفى عن أليته ما يضمر الأعداء من
الحركات قبل إظهارها، ولا يبعد على عز ماته ما هي مليه به من يدارها أعداء الذين

بِدَارِهَا ؛ وَإِذَا جَلَسَ لِنَشْرِ الْمَعْدَلَةِ تَبَرَّأَ الْعَظَمُ مِنْ فِكْرِ [^(١)] الْبَغْيِ وَالْجَوْرِ عَلَى الْإِنْسَانِ ،
وَشَفَعَ مَا تَصَدَّقْتُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ .

وَمَا كَانَ الْجَنَابُ الْعَالِي الْقُلَانِي هُوَ الَّذِي مُلِثَتْ قُلُوبُ الْعِدَا بُرْعِيهِ ، وَأَنْطَوَتْ
قُلُوبُ الرِّعَايَا عَلَى حُبِّهِ ؛ وَتَهَلَّلَتْ وَجُوهُ الْمُتَى فِي سِلَاسِهِ وَأَسْتَهَلَّتْ مَحَبُّ الْمَنَايَا فِي حَرِّهِ ،
وَجَمَعَ بَيْنَ حِلَّةِ الْبَاسِ وَلُطْفِ التَّقَى فَكَانَ هُوَ الْكَيِّ الَّذِي شَفَعَ الشَّجَاعَةَ بِالْخُضُوعِ
لِرَبِّهِ ؛ وَحَاطَ مَاوَلِيَهُ مِنَ الْأَقَالِيمِ بِسُورَى بَاسِهِ وَعَدَلِهِ فَبَاتَ كُلُّ أَحَدٍ وَادِمًا فِي مِهَادِهِ
أَمَنًا فِي سِرِّهِ ؛ وَإِغَارَتْ سَرَايَا مَهَابَتِهِ قَبْلَ طُلُوعِ طَلَائِعِهِ فَأَصْبَحَ كُلُّ مِنَ الْعِدَا أَسِيرَ
الذُّخْرِ قَبْلَ إِمْسَاكِهِ - قَتِيلَ الْخَوْفِ قَبْلَ ضَرْبِهِ ؛ مَعَ احْتِفَالِ بَهَارَةِ الْبِلَادِ ، أَعَانَ
السُّحْبَ عَلَى رِيحِيهَا ، وَأَشْتَمَلَ عَلَى مَصَالِحِ الْعِبَادِ ، قَامَ فِي تَيْسِيرِ أَرْزَاقِهِمْ مَقَامَ وَثِيئِ الْفَتَاهِمِ
وَوَلَّيَهَا ، وَتَقَيَّظَ لِمَصَالِحِ التَّنْغِيرِ أَنْأَمَ عَنْهَا عَيُونَ الْخُطُوبِ ، وَإِشْرَاقِ فِي أَفْقِ الْمَوَارِكِ
كَمَا وَجَّهَ الدِّينَ نُورَ الْبَشَرِ وَوَجَّهَ الْكُفْرَ ظِلَامَ الْقُطُوبِ .

وَكَانَتِ الْمَمْلَكَةُ الْحَلِيسَةُ عَقِيلَةً الْمَعَاقِلِ ، وَعِصْمَةً الْعَوَاصِمِ ، وَوَاسِطَةً عُقُودِ
الْمَمَالِكِ ، وَسِلَكَ فَرَائِدِ النَّصْرِ الَّتِي كَمْ أَضَاعَتْ بِهَا إِلَى الْكُفْرِ وَجُوهُ الْمَسَالِكِ ، لَا تُدْرِكُ
فِي مِضَارِ الْفَخَارِ شَهَابُوهَا ، وَلَا تُرَى إِلَّا كَمَا تُرَى النُّجُومُ فِي عَيُونِ الْعِدَا حَصْبَاؤُهَا ؛
وَمَا مِنَ الْحُصُونِ الْمُصُونَةِ كُلِّ قَلْعَةٍ يَتَهَيَّبُ الطَّيْفُ سُلُوكَ عِقَابِهَا ، وَيَتَقَاصِرُ لَوْحُ
الْخَوْفِ عَنْ مِثَالِ عُقَابِهَا ؛ فَهِيَ عَزِيزَةٌ الْمَنَالِ ، إِلَّا عَلَى كَرِيمِ كَفَائَتِهِ ، بَعِيدَةٌ مَجَالِ الْأَمَالِ ،
إِلَّا عَلَى مَا أَلْقَتْ مِنْ إِيَالَةِ كِفَايَتِهِ ؛ سَامِيَةٌ الْأَفْقِ إِلَّا عَلَى شَمْسِهِ ، نَابِيَةٌ الطَّرْفِ
إِلَّا عَلَى مَا عَرَفَتْ مِنْ سُلُوكِهِ فِي أَمْسِهِ ، ظَامِيَةٌ الْغُرُوسِ الَّتِي أُنْشَأَهَا فِي مَصَالِحِهَا
إِلَى مَا أَعْتَادَتْهُ مِنْ سُقْيَا غَرَسِهِ - أَقْضَتِ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ نَزِيدَهَا إِشْرَاقًا بِشَمْسِ

جَلَالِه ، وَأَعْلَاءَ بَسِيفِهِ الذى رِيَاضُ الْجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِهِ ؛ وَأَنْ تُعِيدَ أَمْرَهَا إِلَى مَنْ
طَلِبَا حَسَنَ عَدْلِهِ بَقَعَتَهَا ، وَحَصَّنَ بِأَسْهُ قَلْعَتَهَا ؛ وَأَطَارَتْ مَهَا بَتَّهُ شُمُعَتَهَا ، وَأَطَالَتْ
سِيرَتَهُ سُكُونَ رِطَايَاهَا فِي مِهَادِ الْأَمْنِ وَهَجَمَتَهَا ؛ وَأَعَادَ وُجُودَهُ أَحْوَالَ مُجَاوِرِيهَا مِنَ الْعِدَا
إِلَى الْعَدَمِ ، وَأَبَادَ سَيْفَهُ أَرْوَاحَ مُعَانِدِيهَا : فَلَوْ أَنْكَرْتَهُ أَعْتَقَهُمْ لَمْ يَكُنْ بِالْعَهْدِ
مِنْ قَدَمٍ .

فلذلك رُمى بالأمر الشريف - لا زالت شمس عدله ، مُشْرِقةً في الوجود ، وَحَيْثُ
فَضْلُهُ ، مُسْتَهْلُ الْجُودِ فِي التَّهَامِ وَالْعُجُودِ - أَنْ تَفُوضَ إِلَيْهِ تَهْوِيضًا
يُجَدِّدُ أَرْتِفَاعَهَا ، وَيُعَمِّرُ وَهَادَهَا وَبِقَاعَهَا ، وَيُؤَيِّدُ أَنْدِفَاعَ مَضَارِّهَا وَأَنْتِفَاعَهَا ؛ وَيُعِيدُ
الْإِشْرَاقَ إِلَى مَطَالِيعِهَا ، وَالْأُمُورَ إِلَى مَوَاقِعِهَا مِنْ سَدَادِ التَّدْبِيرِ وَمَوَاضِعِهَا ؛ وَالْإِقْدَامَ
إِلَى جُيُوشِهَا وَأَبْطَالِهَا [وَالشَّجَاعَةَ إِلَى حِمَاتِهَا وَرِجَالِهَا] .

فَلْيَطْلُعْ فِي أَفْقِ مَوَاقِبِهَا طُلُوعَ نَعْتِهِ الْكَرِيمِ ، وَيُخْرِجْ فِي جَوَانِبِهَا مَا لِفَنَّتِهِ مِنْ مَوَارِدِ
عَدْلِهِ الذى فَارَقَهَا عَمَامُهُ وَأَثَرُ سَيْلِهِ مُقِيمٌ ؛ وَيُعَاوِدُ مَصَالِحَ تِلْكَ الْمَمْلَكَةِ الَّتِي لَا تَصْلُحُ
أُمُورُهَا إِلَّا عَلَيْهِ ، وَيُرَاجِعُ عِصْمَةَ تِلْكَ الْعَقِيلَةِ الَّتِي لَا تَطْمَاحُ أَبْصَارُ عَوَاصِمِهَا إِلَّا إِلَيْهِ ،
وَيُنَاقِ فِي قُلُوبِ مُجَاوِرِيهَا تِلْكَ الرَّعْبَ الذى نَعَى إِلَى كُلِّ مِنْهُمْ نَفْسَهُ وَأَسْلَاهُ عَمَّا
فِي يَدَيْهِ ؛ وَيُثَبِّتُ تِلْكَ الْمَهَابَةَ الَّتِي جَعَلَتْ مَنَآيَا الْعِدَا بَرَاحَتَهُ بِأَمْرَهَا فِيهِمْ وَيَنْهَاهَا ،
وَيَنْشُرُ فِي الرَّايَا تِلْكَ الْمَعْلِدَةَ الَّتِي هِيَ كَالشَّمْسِ : لَا تَبْتَدِئُ بِمَا صَنَعَتْ مَثَلَةً عَنْهُمْ
وَلَا جَاهًا ؛ وَلَتَكُنْ أَحْوَالُ عَدُوِّ الْإِسْلَامِ بِمَرَأَى مِنْهُ عَلَى عَادَتِهِ وَمَسْمُوعٍ ، وَيَكْتَفِ
أَطْمَاعُ الْكُفَّارِ عَلَى قَاعَدَتِهِ فَلَا يَحْدُثُ لَمْ إِلَى شَيْءٍ بَرَقَ الثَّنُورُ مَطْمَاحٌ وَلَا فِي الْعِلْمِ
بَسْتِنَا مَطْمَاحٌ ؛ وَلِيَكُنْ مِنْ أَرْصَادِهِ ، نَهَارُ عَدُوِّ الدِّينِ وَلَيْلُهُ ، وَمِنْ أَمْلَادِهِ ، عَجَازُ الْجِهَادِ
وَحَقِيقَتُهُ فَلَا يَرِجُ سَيْبُهُمْ خِيَالَهُ إِذَا لَمْ تُصَبِّحْهُمْ خَيْلُهُ ؛ وَلَا يَرِجُ لَهُ مِنْ أَعْيَانِ عِيُونِهِ

بين العدا فرقة ناجية، وطائفة بأسرار قلوب القوم مُناجيه، لتكون له مقاتلهم على طول الأبد بآديه، وتقدو منازلهم خاوية بين سراياه الرائحة والغادية. وليتجاهد أحوال الجيوش بإدامة عرسها، وإقامة واجبات القوة وفرضها، وإطالة صيت السمعة المشهورة لكتائبها في طول بلاد العدا وعرسها، وإزاحة أعذارها للركوب، وإزالة عوائق آرتيادها للوثوب، وإعداد العدد التي لها من أيديهم طلوع [في] مقاتل أعدائهم غروب. وليتقصد أحوال الحصون المصونة بسداد ثغورها، وسداد أمورها، وإزاحة أعذار رجالها، وإدراك همم حمايتها التي تضيق على آمال العدا سعة مجالها، وتوفير ذخائرها، وتعمير بواطنها وظواهرها، وتخصيص مسالكها التي يهرب الخيال المتولى إلى العيون سلوك تحايرها.

وليعمل منار الشريعة الشريف بتشييد مناره وإحكامه، وتنفيذه لقضايا قضائيه وأحكام حكميه، والوقوف في كل أمر مع تقضيه في ذلك وإبرامه، ورفع أقدار حملة العلم على ما ألقوه من الرقعة والسقم في أيامه. وتكن وطأة بأسه على أهل الفساد مشتته، وأوامره متقدمة بوضع الأشياء في مواضعها: فلا توضع الحدة موضع الأناة ولا الأناة موضع الحدة. وليراع عهود المودعين مهما استقاموا، ويجمع عليهم إن يكفوا أنامل بأسه التي هم في قبضتها رحلوا أو أقاموا؛ ولتخبر السنة النيران بسبها على اليفاع [والأكام] من قدم لمكيدة أو طعن بمطار الحمايم. وجميع ما يتعلق بهذه المرتبة السنية من قواعد فلي سالف تدبيره ينسب، ومن سوابق تقريره وتقريره يحسب؛ فهو ابن يجلتها، وفارس تجلته؛ ومؤئل قواعدها، ومؤثر ماخذ من أمتداد عضدها إلى مصالح الإسلام وساعدها؛ فليفعل في ذلك ما يشكره الله والإسلام عليه، ويثبت المحجة عند الله تعالى في إنقاء المقاليد إليه؛ وملاك

الوصايا تقوى الله وهي سبيحة نفسه ، ومكرة ما آجتى في أيام الحياة من غرسه ،
وتشر العدل والإحسان فيهما تظهر منزلة يومه الجميل على أمسه ؛ والله تعالى يعمل
نعمه دائماً الاستقبال ، وتمسه أمنة من الغروب والزوال ؛ والاعتماد :

الطبقة الثانية

(من يكتب له في قطع الثلث بـ«المجلس السامى» وفيها وظائف)

الوظيفة الأولى

(نيابة القلعة بها)

وهذه نسخة مرسوم شريف بنيابة قلعة حلب :

الحمد لله مولى قدر من تحلى بالأمانة والصفون ، ورافع مكانة من كان فيما عرض
من العوارض نعم العون ؛ ومؤهل من أرشدنا إليه للاجتناء حسن الاختبار ، ومبلغ
الإيثار من شكرت عنه محامد الآثار .

نحمده حمد الشاكرين ، ونشكره شكر الحامدين ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة مخلص في اعتقاده ، مبرأ من افتراء كل جاحد وإلحاد ؛ ونشهد
أن محمداً عبده ورسوله الذى أرسله بالحق بشيراً ونذيراً ، وأيده بسُلطان منه وطهر [به]
الأرض من دنس الضلال تطهيراً ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا يزال علم
العالم بها مقشوراً ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن العناية بالحصون توجب أن لا يُختار لها إلا من هو ملى بحفظها ؛
موفر [لها] من حسن اللب غاية حفظها ؛ حسن المراقبة ، مبرأ من دنس الأعمال

السَّافِطَه ؛ ذوقُ قَلْبٍ [قوى] وَقَالِبْ ، وَعَزِّمْ مازال لمهمات الأمور أَشْجَعُ مُغَالِبْ ؛ إذ هو للِرَّايَطين بها أوثقُ حَرْزِ حَرْزِ ، وَأَصُونُ حِجَابِ لِمُبَارَزةِ ذَوَى التَّبَرُّزِ ؛ [فتصبح به] مستورا عَوَارِها ، كاتمةٌ لَأَمْرَها أسوارها ؛ تخاطبُ مُنازِلِها من جَمَاجِمِها بِأبلغِ لسان ، وَتُساوِها مُلَاجِيبِها من أَمَّةٍ أَنفِها إلا أنه بأعلى مكان .

ولما كانت القلعةُ الفلانية بهذه المِثْرَةِ الرَّفِعة ، والمكانةُ التي كُلُّ مكانَةٍ بالنسبة والإضافة إلى علوِّ مكانها المِكانَةُ الوَضِيعَةُ - أَخَرْنَا لها وَأَبْتَنَيْنَا ، وَأَسْتَوْعَبْنَا بِالْأَهْلِيلِ لِيَابِها ولم تتركْ في أَسْتِيعَانِها ولا أَقْبِيانِها ؛ فلم يَجِدْ لَوْلَايَها كُفًّا إلا من نَطَلَمَتْ عُقُود هذا التَّقْلِيدِ لَتَقْلِيدِهِ ، وَرَكَلَتْ سُرُورُ هذه الحامِدِ بِمِثْدَى لسان تَقْرِيطِهِ ومُعيِدِهِ ؛ إذ هو أوثقُ من يُلْقَى إليه إقْلِيدُها ، وأَكْفأُ من يُجْزِبه مَوْعُودُها ؛ إذ كان المِكين ، وَالنَّعْمَةُ الْمُتَعَلَّى إذ كان التَّعَلَّى مَما يَزِينُ العاطِلَ المِشِين ؛ إن دُرِ الأَرأى فهو المِتَصِفُ بِسَديده ، أو العَزْمُ فهو المِوسُومُ بِسَديده ؛ أو التَّثْبُتُ فهو من صِفةِ تَجَاجَعِهِ ، أو حُسْنُ المِظَاوَرَةِ فهو الباذلُ فيها جُهْدَ اسْتَطاعته .

ولما كانت هذه المناقبُ مَنَاقِبِهِ ، وهذه المَنَاقِبُ مَذَاهِبِهِ ؛ رُسمَ بالأمر الشَّرِيفِ العالى - زاده الله مَضَاءً وَنَفَازًا ، وَأَسْتَحْوَاءً وَأَسْتَحْوَازًا - أن تَخَوِّضَ نِياةَ السُّلْطَنَةِ بِالْقَلْعَةِ الفُلانِيَّةِ وما هو منسوبٌ إليها من رُيُضٍ وَنِواحٍ ، وَقُرَى وَضُواحٍ ، لِلجِلسِ السَّامِى فُلان .

فَلْيَرَقْ إلى رُتَبِها الأُنِيفِ قَدَرُها ، المُهِمِّ سِرُّها وَجَهَرُها ؛ وَلِيَكُنْ من أَمْرِ مِصالحِها على بَصِيرَةٍ ، ومن تَقَفُّدِ أحوالِها على فِطْنَةٍ مازالت منه مَحْبُورَةٍ ؛ وَلِيَأْخُذْ مَحْزَرُها من الجُنْدِ وَغَيْرِهِم بِالْمُلازِمَةِ لما عُلِقَ به من الوِطائِفِ ، وَيَتَقَدَّمَ إلى واليها مع طَوائِفِها أَوَّلَ طائِفٍ ؛ وَلِيَتَقَفَّدَ حِواصِلَها من الذَّخائر ، وَوَصِلَها من التَّبَذِيرِ مِن

يُرتَّبُه على حفظها من الأخير؛ ومهما عَرَضَ يُسْرِعُ بالمطالعة بأمره، والإعلام
بِنُفْعِهِ وَضَرِّهِ .

هذه نُبْدَةٌ كَافِيَةٌ لِلوُثُوقِ بِكَفَايَتِهِ، وَالْعِلْمِ بِسُدِيدِ كِفَايَتِهِ ؛ وَاللَّهِ تَعَالَى يَحْسُنُ لَهُ
الِإِعَانَةُ، وَيُجْزِلُ لَهُ الصِّيَانَةُ ؛ وَالْخَطُّ الشَّرِيفُ أَغْلَاهُ :

الوظيفة الثانية

(شُدُّ النُّوَاوِين بِحَلَبِ)

وهذه نسخة تَوْقِيعِ شُدِّ النُّوَاوِين بِحَلَبِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرْهَفَ فِي خِدْمَةِ دَوْلَتِنَا كُلِّ سَيْفٍ يُزْهِى النَّصْرُ بِتَقْلِيدِهِ ، وَيُرْوَى
نَبَأُ الْفَتْحِ عَنْ تَجَرُّبَتِهِ فِي مَضَالِحِ الْإِسْلَامِ وَتَجَرُّبَتِهِ ، وَيُرْوَى حَتَّى إِذَا قَابَلَهُ عَدُوُّ الدِّينِ
مِنْ قَلْبٍ قَلْبُهُ وَمَوَارِدٍ وَرِيدُهُ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمَةِ السَّابِقَةِ حَمْدَ مُتَعَرِّضٍ لِمَزِيدِهِ، وَنُشْكِرُهُ عَلَى مِنَّتِهِ السَّائِغَةِ شُكْرَ مُسْتَتَرِلٍ
مَوَادَّةً تَأْيِيدِيَةً؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً مُقَرَّبَةً بِتَوْجِيهِهِ، مُسَرِّ
مَثَلِ مَا يُظْهِرُ مِنَ الْخُضُوعِ لِكِبْرِيَاءِ تَقْدِيمِهِ وَتَمْجِيدِهِ، مُسَرِّ عَلَى جِهَادٍ مِنَ الْخَدِّ
فِي آيَاتِهِ بِنَفْسِهِ وَجُودِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَشْرَفُ مَنْ دَعَتْ دَعْوَتُهُ
الْأُمَمَ إِلَى الْإِعْتِرَافِ بِخَالِقِهَا بَعْدَ جُحُودِهِ، وَأَنْجَزَ لَأُمَمَتِهِ مِنَ الْأَسْتِيلَاءِ عَلَى الْكُفْرِ سَابِقَ
وُجُودِهِ، وَأَمَالَ بِهِ عُمُودَ الشَّرِكِ فَأَهْوَى إِلَى الصَّعِيدِ بَعْدَ صُعُودِهِ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ مَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ بَدَّلَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ نِهَابَةً تَجْهَوِيهِ، وَأَطْفَافًا نَارَ
الْكُفْرِ بَعْدَ وُقُودِهَا بِإِيقَادِ لَمَبِّ الْجِهَادِ بَعْدَ جُحُودِهِ ؛ صَلَاةً تَقْتَرِنُ بِرُكُوعِ الْقَرَضِ
وَتُجْجِدُهُ، وَتُقَامُ أَرْكَانُهَا فِي أَغْوَارِ الْوُجُودِ وَتُجْجِدُهُ؛ وَسَلَمٌ تَسْلِيًا كَثِيرًا .

وبعد ، فإن أولى ما أبحثنا في مصالحه النظر ، وأعملنا في آرتياد الاستكفاء له بوادر الفكر ، وأخترنا له من الأولياء من كان معلودا من خواصنا ، محبوا بمزيد تقربنا ومدة اختصاصنا ، أمر الأموال الديوانية بالملكة الحليّة وتقويض شدّ دواوينها المعمورة إلى من تُضاعفها رتبته المكيّنة ، وتزاهته المتيّنة ؛ ويده التي هي بكلّ العفة مبسوطه ، وخبرته التي يمتلأها يحسن أن تكون مصالح الدولة القاهرة منوّطة ؛ ومترئّته التي تكفّ عن الأموال الأطلّاع العاديّة ، ومهابّته التي تكنّى الأولياء من ضبط الأعمال بما يروى الآمال الصاديّة ؛ لأنها موادّ الثغور التي ما برحت عن شتّب النصر مُقترّة ، وأمداد الجيوش التي جعل الله لها أبداً على أعدائه الكره ؛ ورياض الجهاد التي تُجتنى منها ثمرات الظفر الفضة ، وتكونز الملك التي يُنفق منها في سبيل الله القناطير المقتطّرة من اللّعب والفضّة .

ولما كان فلاّح هو الذي اخترناه لذلك على علم ، وربّحناه لما أجمع فيه من سرعة يقظة وأناة حلم ؛ وتنبّاه في مُهمّاتنا الشريفة فكان في كلّ موطن منها سيفاً مرّهما ، وأخترناه فكان في كلّ ما عدّناه به بين القويّ والضعيف مُنصفاً ؛ وعلمنا من معرفته ما يستثير الأموال من مكائنها ، ومن نزاهته ما يظهر أشتات (؟) المصالح من معادنها ، ومن معدّليته ما يمتّع الرعايا بأجتناء ثمر المنيّ من إحسان دولتنا القاهرة وأجتلاء محاسنها - أقضت آراؤنا الشريفة أن نُحليّ جيد تلك الرتبة بعقود صفاته الحسنه ، وأن ننبّه على حُسن هيمه التي ما برحت تُسرى إلى مصالح الدولة القاهرة والعيون وسنّه .

فلذلك رُسم أن يُفوض إليه ذلك تقويضاً يسبّط في مصالح الأموال لسانه ويده ، ويقصر على مضاعفة آرتفاع الأعمال يومه الحاضر وغده ، ويحسن بسدّ الخلل

وَتَتَّبِعُ الإِهْمَالَ مُصَدَّرَهُ الْجَمِيلَ وَمَوْرَدَهُ ؛ وَيَجْعَلُ [لَهُ] فِي مَصَالِحِهَا الْعَقْدَ وَالْحَلَّ ،
وَالْتَصَرُّفَ النَّافِذَ فِي كُلِّ مَادَقٍّ مِنَ الْأَمْوَالِ الدِّيُونِيَّةِ وَجَلَّ .

فَلْيَبْأَثْ ذَلِكَ بِهَيْمَةٍ عَلِيمًا فِي الْحَقِّ مَوَاقِعَ سَيِّفِهَا ، وَأَمِنًا عَلَى الرِّيَاسَةِ بِمَا أَتَّصَفَتْ بِهِ
مِنَ الْعَدْلِ وَالْمَعْرِفَةِ مِنْ مَوَاقِعَ حَتْفِهَا ، وَأَيَّظَتْ الْعِيُونَ الطَّامِحَةَ لِسُلُوكِ مَا [لَا] يَحِبُّ بِأَمَلٍ
تَزُلُّ تَحْقِيلُهُ مِنْ رَوَاحِ طَيْفِهَا ؛ وَلْيُشْمَرْ الْأَمْوَالُ بِالْجَمْعِ فِي تَحْصِيلِهَا بَيْنَ الرِّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ،
وَيَجْعَلْ مَا يَسْتَخْرِجُ مِنْهَا بَيْرَكَةَ الْعِفَّةِ وَالرَّقِّقِ : ﴿ كَثَلُ حَيَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ
سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبًّا ۖ وَلْيَعَفَّ أَثَرُ الْحَايَاتِ وَرَثَتُهَا ، وَزُلْ بِالْكَلْبَةِ عَنْ تِلْكَ الْمَالِكِ الْحَسَنَةِ
وَرَثَتُهَا الْقَبِيحِ وَأَسْمَتُهَا ؛ وَلْيَكُنْ مُهِمُّ التَّغَوُّرِ هُوَ الْمُهْمُّ الْمَقْدَمُ لَهُ ، وَالنَّظَرُ فِي كُلِّ
الْفَلَاحِ الْمَحْرُومَةِ هُوَ الْقَرَضُ الْمُتَعَيَّنُ أَدَائُهُ عَلَيْهِ ، فَيَحْجِلُ إِلَيْهَا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالنِّلَّالِ
مَا يَمُحُّ حَوَاصِلُهَا الْمُصُونَةِ ، وَيَكْفِي رِجَالَهَا الْفِكْرَ فِي الْمُثُونَةِ ؛ وَيَضَاعِفُ ذَخَائِرَهَا
الَّتِي تُعَدُّ مِنْ أَسْبَابِ تَحْصِينِهَا ، وَيُضْبَحُ بِهِ حُمْلُ طَامِعِ الْوَاحِدِ كِفَايَةً مَا يَسْتَقْبَلُهُ مَعَ
مَوَالَاةِ الْحُمُولِ مِنْ سِنِينِهَا ؛ وَمَا عَدَا ذَلِكَ مِنَ الْوَصَايَا فَقَدْ أَقْبَيْنَا إِلَى سَمْعِهِ مَا [عَلَيْهِ]
يَعْتَمِدُ ، وَعَرَفْنَاهُ أَنَّ هَوَى اللَّهِ أَوْفَى مَا بِهِ يَسْتَبَدُّ وَإِلَيْهِ يَسْتَعِدُّ ؛ بَعْدَ الْخَطِّ الشَّرِيفِ :

الصنف الثاني

(من أرباب الوظائف بحلب - أرباب الوظائف الدينية)

وهم على طبقتين أيضا :

الطبقة الأولى

(من يكتب له في قطع الثلث بـ «السامى» بإلواء ، ويشتمل على وظائف)

منها - قضاة القضاة . وبها أربعة قضاة : من كل مذهب قاض ، كما في الديار
المصرية والشام . والشافعي منهم هو الذي يولى بالبلاد كما في مصر والشام .

وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة الشافعية :

الحمد لله الذي رفع منار الشريعة الشريفة وأقامه ، ونور به كل ظلام وأزال به كل ظلامه ، وجعله صراطاً سويّاً للإسلام والسلامه ، الذي جعل القضاة أعلاماً ، بهم يهتدى ، ونصّبهم حُكّاماً ، بهماشدهم يقنأ ويقتدى ، وأخذ بهم الحق من الباطل حتى لا يعتل في قضية ولا يعتدى ، والصلاة على سيدنا محمد الذي أوضع الله به الطريق ، وأبدى به بين الحلال والحرام التفريق ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تكفل لرغبات قاطنها بالتحقيق .

وبعد ، فإن أحق ما وجهت إليه المصنف إلى تصرفه وجهاً مسيراً ، وقربت إلى يد الاقتطاف من شجرته المباركة غصناً ثميراً ، ومهدت في الاختيار له والأصطفاء لخطا ما زال للفكر في مصالح الأمة مسيراً - الشريعة الشريفة الذي حرس الله به حومة الدين وحمي جانبه ، وحفظ به أقوال الهدى عن المجادلة من المتبذعين وأطرافه من المجاذبه ، وكانت حراسته معدومة باختيار الأئمة الأعلام ، وموقوفة على كل من يطعن البدع عند الاستفتاء برماح الخط وليست رماح الخط غير الأعلام ، ومصرفة إلى كل منصف في قضاياه حتى لو توافقت إليه الليالي لأنصفها من الأيام .

ولما كان فلان هو مدلول هذه العبارة ، ومسمى هذه المشاره ، ومسمى هذه الإشارة ، وقد حل من المباح في محل صعب المرتقى على متوقله ، وطلع من منازل صعودها في بروج بعيدة الأوج إلا على سير بدريه وتنقله ، وطالب حكم فاحكم ، وقصّل فقصّل ، وروّج فراجج وعلل فعلل ، وشهدت مراتبه الشريفة بأنه خير من تنولها ميراثاً وأستحقاقاً ، وأجل من كادت ترؤ به مطالع النجوم إشراقاً وإشراقاً ، وكانت حلب المحروسة مركز دائرة لأيامه ، وسلك جوهر تصرفه الذي

(١) في الأصل «وصلت» ولم يهمل له معنى يناسب .

طلبا تملكت أحسن العقود بنظامه ؛ وقد أفتخرت به أفتخار السماء بشمسها ،
والروضة بغيرها ؛ والأفهام بإذراك حسها ، والأيام بما عملته من خير في يومها
وأسلفته في أمسيها ؛ وقد اشتاقت إلى قربه شوق النفس إلى تردد النفس ، والليل
إلى طلوع النجم أولا فللى إضاءة القبس .

فلذلك خرج الأمر الشريف بأن يجتدله هذا التوقيع بالحكم والقضاء ، بالملكة
الخليفة وأعمالها وبلادها ، على عادته .

فليستخبر الله تعالى وليستصحب من الأحكام ما همته مليّة باستصحابه ،
ويستوعب من أمورها ما تنوع المصالح باستيعابه ؛ وقيم بها منار العدل والإحسان ،
وينهض بتدبير ما أقدمه منها زمانه الزمان . وعنده من الوصايا المباركة ، ما يستغنى به
عن المساهمة فيها والمشاركة ؛ لكن الذكري النافعة عند مثله تافقه ، فإن لم يكن
شعاع هلال فبارقه ؛ وليتق الله ما استطاع ، ويحسن عن أموال البائى الدفاع ،
ويحرس موجود من غاب غيبة يجب حفظ ماله فيها شرعا ، ويقطع سبب من رام
لأسباب الحق قطعا ، ولا يراع لحائث حرمة فإن حرمت الحائض لا ترعى ؛ وينظر
في الأوقاف نظرا يحرسها ويصونها ، ويبحث عنها بحثا يظهر به كينها ؛ والله تعالى
يسدده في أحكامه بمنه وكرمه !

قلت : وعلى ذلك تكتب بقية القضاة بها من المذاهب الثلاثة الباقية .

ومنها - وكالة بيت المال المعمور .

وهذه نسخة توقيع من ذلك ، كتب بها لمن لقبه « كمال الدين » وهى :

الحمد لله الذى جعل كمال الدين موجودا ، فى اقتران العلم بالعمل ، وصلاح بيت
المال معهودا ، فى استناده إلى من ليس له غير رضا الله تعالى وبرائة الذمة أمل ،

وَأَرْقَاءَ رُتَبِ الْمُتَّقِينَ مَقْصُورًا عَلَى مَنْ بَارِقَاءِ مِثْلِهِ مِنْ أَيْمَةِ الْأُمَّةِ تُزْهِىْ مَنَاصِبُ
الدُّوَلِ ، وَالْأَكْتَفَاءُ بِالْعُلَمَاءِ مَحْصُورًا فِي الْآرَاءِ الْمَعْصُومَةِ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ مِنَ الْخَلَلِ .

مَحْمُودٌ عَلَى نِعْمَةِ الَّتِي جَعَلَتْ لَهُمْ مَصَالِحَ الْإِسْلَامِ ، مُقَدِّمًا لَدُنْيَا ، وَآخِصًا بِمَصَاحِبِ
الْمَرَاتِبِ الدِّينِيَّةِ بِالْأَيْمَةِ الْأَعْلَامِ ، مُحِبًّا لِنَا ، وَشَهِدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ
لَهُ شَهَادَةً رَفَعَ الْجِهَادَ عَلَيْهِمَا ، وَأَمْضَى الْأَجْتِهَادَ كَلِمَاهَا ؛ وَشَهِدُ أَنْ عَمَدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
الَّذِي أَشْرَقَتْ سَمَاءُ مِلَّتِهِ ، مِنْ عِلْمَاءِ أُمَّتِهِ ، بِأَضْوَاءِ الْإِهْلَاءِ ، وَنَطَقَتْ أَحْكَامُ شَرِيعَتِهِ ،
عَلَى أَلْسِنَةِ حَمَلَةِ سُنَّتِهِ ، بِأَوْضَاعِ الْأَدِلَّةِ ، وَبَزَعَتْ شَمْسُ هِدَايَتِهِ فِي تَهَانِيمِ الْوُجُودِ وَتُجُودِهِ
فَانْطَوَتْ بِهَا ظُلُمُ الْأَهْوَاءِ الْمُضِلَّةِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ نَصَحُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ ، وَآثَرُوا رِضَاهُ عَلَى نَفْسِهِمْ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مُرَادٌ سِوَى مُرَادِهِ وَلَا مُسَوَّلٌ غَيْرُ
سُؤْلِهِ ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَيَعْدُ ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَنْ تَلَقَّاهُ كَرَمًا بَوَّجَهُ إِقْبَالَهُ ، وَآخِرَاتُ لَهُ الْآخِرَاتُ مِنَ الرُّتَبِ
مَا صَدَّه الْإِجْمَالُ فِي الطَّلِبِ عَنْ تَعَلُّقِهِ بِنَايَلِهِ ؛ وَرَأَى إِحْسَانَاتُ مَكَانَتِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ
فَعَلَّقَ بِهِ مِنْ مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ مَا لَمْ يَتْرَكْهُ أَوَّلًا إِلَّا مُوَافَقَةً لَهُ لَا رَغْبَةً عَنْ خِيَالِهِ ،
وَرَعَى يَرْثَا وَفَادَتَهُ فَاقْتَضَى إِعَادَتَهُ مِنْ مَنَاصِبِهِ إِلَى مَا لَمْ يَزَلْ مُشْرِقَ الْأَفُقِ بِكَمَالِ طَلْعَتِهِ
وَطَلْعَةِ كِمَالِهِ - مَنْ ظَهَرَتْ لَوَائِحُ فَوَائِدِهِ ، وَبَهَرَتْ بِدَائِعِ فَرَائِدِهِ ؛ وَتَدَقَّقَتْ بِحَارِ
فَضَائِلِهِ ، وَتَأَلَّفَتْ أَشْعَةُ دَلَائِلِهِ ؛ وَتَوَعَّتْ فُنُونُهُ : فَهُوَ فِي كُلِّ عِلْمٍ أَبْنُ بَيْجَدَتِهِ ، وَفَارِسُ
تَجَدُّدِهِ ، وَحَامِلُ رَأْيَتِهِ ، وَجَوَادُ مَضْمَارِهِ الَّذِي تَهْفُ جِيَادُ الْأَفْكَارِ دُونَ غَايَتِهِ .

وَمَا كَانَ فَلَانٌ هُوَ هَذَا الْبَحْرَ الَّذِي أُشِيرَ إِلَى تَدَقُّقِهِ ، وَالْبَدْرَ الَّذِي أُومِيَ إِلَى كِمَالِ
مَا تَأَلَّقَ بِهِ مِنْ أَفْئِهِ ؛ وَكَانَتْ وَكَالَتْ بَيْتَ الْمَالِ الْمَعْمُورِ بِحَلْبِ الْحَرُوسَةِ مِنَ الْمَنَاصِبِ
الَّتِي لَا يَتَبَعِينَ لَهَا إِلَّا مَنْ تُعَقِّدُ الْخَنَاصِرُ عَلَيْهِ ، وَيُسَارُّ بِبَنَاتِ الْأَخْصِيصِ إِلَيْهِ ، وَيُقَطِّعُ

بجميل نهوضه فيما يوضع من المصالح الإسلامية بيديه ؛ وله في مباشرتها سوابق ،
وأنار [إن] لم تصفها السنة الأفلام أوحث بها تلك الأحوال الخالية وهي فواطي -
أقتضت آراءنا الشريفة إتمام النظر في الإتمام عليه بمكان إلقه ، ومنصب رفح
ما أسلفه فيه من جميل السيرة قدره عندنا وأزلفه .

فرسم بالأمر الشريف - لازال بأبه ثمال الآمال ، وأفق السعد الذي لو أمه البدر
لما فارق رتب الكمال - أن يفوض إليه كذا : لما ذكر من أسباب عيته ، وقضايل
ترينت به كما زلفت به ، ووفادة تقاضت له نزل الكرامة ، واقتضت له مواد الإحسان
وموارد في السرى والإقامة .

فليل هذه الرتبة التي على مثله من الأئمة منار أمرها ، ويمثل قوته في مصالحها
يتضاعف در احتلابها ويتراصف احتلاب درها ؛ مراعيًا حقوق الأمة فيما جره
الإرث الشرعى إليهم ، مناقشا عن المسلمين فيما قصره منهجه المذهب من الحقوق
المالية عليهم ؛ واقفا بالحق فيما يثبت بطريقه المعبر ، تاما لحكم الله فيما يختلف
سبيله [و] فيما يجوز بالبيان أو يحقق بالخبر ؛ محافظا على ما يشول إلى بيت المال بلطف
تدقيقه ، وحسن تحقيقه ، وقبول الدافع بوجهه ودفعه بطريقه ؛ ولا يمنع الحق
إذا ثبت بشروطه التي أعذر فيها ، ولا يتفع الواجب إذا تعين بأسبابه التي يقاضاها
الشرع الشريف ومقتضياتها ؛ وهو الوكيل عن الأمة فيما لم وعليهم ، ومتولى
المدافعة عنهم فيما يقره الشرع في يديهم ؛ فليؤد عنهم أمانة دينه ، ويحتشد لهم فيما
وضعه من أمر هذه الوكالة الشريفة يمينه ؛ وملاك هذا الأمر الوقوف مع الحق
الجلي ، والتمسك بالقوى التي تظهر بها قوة الأمين وأمانه القوى ؛ والله تعالى يوفقه
ويسدده .

قلتُ : وفي معنى ما تقدم من قطع الورق والألقاب الحسبة ، ونظر الأوقاف
البحار، وخطابة الجوامع الجليسة، وكرار التداريس، وما يجري مجرى ذلك : إذا
كُتِبَ به من الأبواب السلطانية . وإلا فالغالب كتابة ذلك جميعه عن نائب
السلطنة بها .

الطبقة الثانية

(من يكتب له في قطع العادة «بالسامى» بغيرياء، أو «بمجلس القاضى»)

قال في «التتيف» : وهم من عدا القضاة الأربعة من [أرباب] الوظائف الدينية .
فيدخل في ذلك قضاء العسكر، وإفتاء دار العدل ، وما يجري مجرى ذلك ، حيث
كُتِبَ من الأبواب السلطانية .

الصنف الثالث

(من أرباب الوظائف بحلب - أرباب الوظائف الديوانية،

وهم على طبقتين)

الطبقة الأولى

(من يكتب له في قطع الثالث بـ «السامى» بالياء . وتشتمل على وظائف)

منها - كتابة السر . ويعبر عنها في ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية - بصاحب
ديوان المكاتبات، ورُبما قيل : صاحب ديوان الرسائل . قال في «التتيف» :
ورُبما كُتِبَ له في قطع النصف .

وهذه نسخة توقيع شريف من ذلك، وهي :

الحمد لله الذى زان النولة القاهرة، بمن تغدو أسرارها من أمانته فى قوار
مكين، وحلى أيمان الزاهرة، بمن تبدو مراسمها من بلاغته فى عقد تمين، ويحمل
الكتب الساترة، بمن إذا وشتها برأته ويرأته قيل : هذا هو السحر اليبانى إن لم
يكن صحر ميين .

نحمد على نعمه التى خصت الأسرار الشريفة بمن لم يرثها عن كلاله، ونصت
فى ترقى مناصب التنفيذ على من يستحقها بأصالة الرأي وقدم الأصاله، ونشهد
أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له شهادة رقم الإخلاص طروسها، وسقى الإيمان
غروسها، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى آتاه جوامع الكلم، ولوامع الهدى
والحكم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كتب فى قلوبهم الإيمان، وكتب
بهم أهل الطغيان، صلاة يشفعها التماس، ويتبعها التعظيم، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى الرتب بارتداد من تعقد على أولوياته الخناصر، ويعتمد على
أصاليه التى ما برحت فى الاتصال والاتصاف بها ثابتة الأواصر، ويعتقد فى أمانته
التي تأوى بها الأسرار إلى «مخزنه أعيان الرجال أنصلا عنها» ويعتقد بفضائله التى يقل
فى كثير من الأكفاء أجبا عنها، ويعول فيها على بلاغته، التى أعطت كل مقام حقه
من الإطناب والإيجاز، ويرجع فيها إلى يمينته، التى جرت بها سوابق المعالى إلى غاية
الحقيقة فى مضمار المجاز - رتبة هى خزانة سرنا، وكثانة نيتنا وأمرنا، فلا يتعين
لبلوغها إلا من ومن، ولا يعين لتلقيها وترقيتها إلا أفراد قل أن يكثر مثلهم فى زمن،
ولا يحسن أن تكون إلا فى بيت عريق فى أساليبها، ويثق فى تمكين عرا أساليبها،
علم بقواعدها التى إذا اشتبهت طرق أدائها كان أندرى بها .

ولما كان فلان هو الذى ذكرت أسباب تعيينه لهذه الرتبة وتعيينه ، وفُصِحَتْ
أبواب أولوياته بتلقى راية هذا المنصب بتعيينه ؛ مع أدوات كَلَمَتْ مفاخره ، وصِفَات
بَحَلَّتْ مآثره ، وكناية ، إذا جادت أنوارها أرض طُرس أخذت زُخْرُفَها ، وإذا حاذتْ
أنوارها وجهَ سماءٍ ودَّتِ الدَّرَارِيُّ لو حكَّتْ أحرْفُها ، وبلاغة ، إن أطرت بوصف
أطارت القرائد ، وأطارت دُرورها القلائد ، وأنت من رِقَّة المعاني بما هو أحسن من
دُمُوج التَّصَايى فى خُدُودِ الخُرَّائِدِ ؛ وإن أغرَّتْ بدوْ أطنَّتْ على مَقَاتِلِهِ السُّيُوفُ ،
ودلَّتْ على مَكَامِلِهِ الحُتُوفُ ؛ وديانة ، رَفَعَتْهُ عند الله وعندنا إلى المَكَانِ الأسمى ،
وصيانة ، جمعت له من الآثامِ وأَحْتِثَاتِهَا بين الزِّيادةِ والحُسْنِ ؛ وأمانة ، أَعْتَمَتْ بِجَوْهَرِ
وَصْفِهَا الأَعْلَى عن التَّعَرُّضِ إلى العَرِضِ الأدنى ، وبراءة ، أَعْتَصَمَ بِهَا بِرَاعُهُ فى بُلُوغِ
المقاصدِ أَعْتَصَادَ الرِّقَصِ بالْمَغْنَى .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه كذا فليُشْرَبَتْ بِلَقَى هذا الإحسان ،
بيد الأمتصاص ، ولِتَتَلَقَّ عقود هذا الامتنان ، الذى طالما قَلَدَ نَحْرَهُ الأعناق ؛
وليُباشِرْ ذلك مباشرةً بِمِرْ خُبْرُها وَيَسِرْ خُبْرُها ، وَيَسْنَفِ الأَسْمَاعَ تَأْثِيرُها وَأَثَرُها ؛
وَلْيَسْلُكْ فيها من السُّدَادِ ، مَا يُؤَكِّدُ حَمْدَهُ ، ومن حَسَنِ الأَعْتَادِ ، مَا يُؤَيِّدُ سَعْدَهُ ؛
والوصايا كثيرةٌ وهو بها خَيْرٌ عَليمٌ ، حَازَتْ مِنْهَا أَوْفَرَ الأجزاء وأَوْفَى التَّقْسِيمِ ؛ وَمِلَاكُهَا
تَقْوَى الله فليَجْعَلْهَا مَحْمَدَةً ، وَلِيَتَخَذْهَا فى كُلِّ الأُمُورِ ذِكْرِيته ؛ والله تعالى يَضَاعِفُ له
من لَدُنَّا إِحْسَانًا ، ويرفع له قَدْرًا وشانًا ؛ والأعتاد فى ذلك على الخطِّ الشريف
أَعْلَاهُ اللهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ .

ومنها - نظر الملكة الحليَّة القائم مقام الوزير .



وهذه نسخة توقيع من ذلك : كُتِبَ به لعهد الدين « سعيد بن ريان » بالعود إليها ، وهي :

الحمد لله رافع قدر من جعل عليه أعتادا ، ومجدي سعد من غدا في كل ما يصدق به من قواعد النظر الحسن عَمادا ، ومُسَيِّ حَمْدٍ مَنْ تَكْفُلُ له جميل التصرف أن لا تُبعد الأيام عليه مرادا ، ومُجْزِلِ مَوَادِّ النِّعَمِ لَمَنْ إِذَا اسْتَمَطَرَ قَلَمَهُ فِي الْمَصَالِحِ هَمِي فَاثَقَّنْ أَفْئَاتَنَا وَأَبْنَعَ تَغْيِيرًا وَأَثَمَرَّ سَدَادًا ، وَإِذَا أَقْبَضَ نَظْرَهُ فِي مُلَاحَظَةِ الْأَعْمَالِ اسْتَجَبَلْ وَجْهَهُ الْمَصَالِحِ اتَّقَاءً لِمَا خَفِيَ مِنْهَا وَأَتَقَادًا .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي لَا تَزَالُ النِّعَمُ بِهَا مُجْتَدَّةً ، وَالْقَوَاعِدُ مُوَلَّدَةً ، وَالكَرَمُ مُعَادًا ، وَالْإِلَهَ الَّتِي جَعَلَ لَهَا الشُّكْرَ أَزْدِيَانَا عَلَى الْأَيْدِ وَأَزْدِيَادَا ، وَمِنْهُ الَّتِي لَا يَقُومُ بِهَا وَلَا بَادَاءُ فَرَضُهَا الْحَمْدُ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ أَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً لَا تَأْلُو هِمْمُنَا أَجْتِهَادًا فِي إِعْلَاءِ مَنَارِهَا وَجِهَادًا ، وَلَا تَكْبُؤُ جِيَادُ عَزَائِمِنَا ، نُونُ أَنْ تُسَكِّنَنَا مِنَ الْجَاهِلِينَ قُلُوبًا وَمُجْرِيَهَا مِنَ الْمُنْكَرِينَ أَلْسِنَةً وَتَهْلِيهَا مِنَ الْمَشْرُكِينَ أَجْيَادًا ، وَلَا تَذُبُّ صَوَارِمُنَا ، حَتَّى نَقْتَضِهَا مِنْ وَرِيدِ كُلِّ مُعَابِدٍ مَوْرِدًا وَمِنْ قِيمِ كُلِّ نَاكِثٍ أَعْمَادًا ، وَنَشْهَدُ أَنَّ عَمَلَنَا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَسْرَى اللَّهُ بِهِ إِلَيْهِ فَلَمَّغَ فِي الْأَرْقَاءِ مَسْبَعًا شِدَادًا ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ أَشْرَفَ كُتُبِهِ بَيَانًا وَأَعْجَزَهَا آيَةً وَأَوْصَحَهَا إِرْشَادًا ، وَبَعَثَهُ إِلَى الْأَمْحَرِ وَالْأَسْوَدِ فَسَعِدَ مِنْ سَعِيدٍ بِهِ لِيَمَانًا وَشَقِيٍّ مِنْ شَقِيٍّ بِهِ عِنَادًا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ لَمْ يُلْقُوا فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ مِهَادًا ، صِلَاةً لَا تَسْتَطِيعُ لَهَا التُّهُورُ قَدَادًا ، وَلَا تَمْلَأُ الْأَشْمَاحُ تَعْدَادًا وَتَرْدَادًا ، وَسَلَمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد، فإن أولى من سما به منصبه الذي عرف به قديماً، وزُهِيت به رتبته،
التي لم يزل فيها لأقنائه الشكر مُستديماً؛ وتعلّلت به وظيفته، التي لم يبرح يلبس بها
توب الثناء قشياً ويحترها رداء السعد رقيقاً، وتقاضت له عوارفاً معارفه التي لم يزل
عقدها في جيد المراتب السنية نظياً؛ وتطلّع إليه مكانه فكأنه بهدم هجرته لم يبرح
فيه وإن بعد عنه مقيماً - من لم يزل قلبه بصرفه في أسنى ممالك الشرفه كاشميه
سعيداً، وطرف نظره فيما يليه من المناصب السنية يريه من المصالح ما كان غائباً
ويُدني إليه من أسباب التذير ما كان بعيداً؛ فإعمل في مصالح الدولة القاهرة
قلماً إلا وأقبلت نحوه وجوه الأموال سافره، ولا لحظ في مهمات وظائفها أمراً
إلا وعاودته أسباب التثير النافره، ولا أترض قلبه بتطفه وفكره إلا وضعت
الثلاثة على كل ما فيه عماره ما يفوض إليه من الأعمال متضافره؛ وذلك لما أجمع
فيه من حفة نفسه وكمال معرفته وطهاره يرّاه، وأتصف به من حسن اضطلاع
وجميل اطلاع، وجعلت عليه طباعه من نزاهه زانت خبرته ومن يتقل مشكورا
عن طباعه .

ولما كان فلان هو الذي حنت إليه رتبته وتلقّت إليه منصبه ودعته وظيفته
التفيسه إلى نفسها، واعتكرت بإقبالها إليه في يومها عن تُسوزها عنه في أمسيها،
وأشتاقت إلى التعلل بفضائله التي لم تزل تُرهى بما ألقته منها على أنظارها من جلسها -
أقتضت آراؤنا الشريفة أن نُجمل لما عادتْها ونُجدد له من الإحسان بمباشرتها السعيدة
إعادته، ونُعيد إليه بمباشرة نظيره الجميل مسرته التي ألقها وسعاده .

فلذلك رسم ... - لا زال به لعاد الدين رافعا، وأمره بالإحسان شافعا - أن
يفوض إليه نظر المملكة الحليّة على عادة من تقدمه .

فليأشتر هذه المملكة التي هي من أشهر ممالك شُمسه ، وأمينها بقمه ، وأحسنها بلادا ، وأخصبها رباً ووهاداً ، وأكثرها حصوناً وشواهيق ، وقلاعاً [سوامى] سوامق ، وثغوراً لا تنسى ما أقرت منها البروق الخواقي ، مباشرة تزيد مصالحها على ما عرفت ، وتربها من خبرته فوق ما ألقته ؛ وتدل على ما فيه من كفاة هديتها التجارب ، وهبتها الأنوار التواقب ، وصرقتها الأفكار المطلعة على الطوالع من المغارب ، ومستدها إلى الأغراض الجميلة الخلو من الأغراض ، ووقفها على جواهر الصواب عدم اعتراض النظر إلى الأغراض ؛ وأراها التوفيق ما تأتي من وجوه التدبير وما تنز ، وعرفت المعرفة الاحتراز من مخالفة الصواب فما تزال من ذلك على حذر ، وتفتح لها الدربة أبواب التثبير فاحظت أمراً من الأمور الديوانية إلا وبدت اليد ؛ ولتكن النعم المصونة المقدم لديه ، والنظر في مصالح القلاع المحروسة هو القرض المنصوص عليه ؛ فليضاعف ذخائرها ، ويتفقد مواردها ومصايرها ؛ وفي معرفته بقواعد هذه الوظيفة ما يغني عن الوصايا ، لكن ملاكها تقوى الله ، فليجعلها نجي نفسه ، وسير أنسه ؛ وانلحظ الشريف



ومنها - نظر الجيش بها .

وهذه نسخة توقع بنظر الجيش بالمملكة الحليّة ، وهي :

الحمد لله الذي جعل أفق السعادة بطلوع شمس منيرا ، وأقرني ربّي العلياء من يندو ناظرها بحسن نظره قرياً ، وحلّ مفارق المنصب السيئة بصدر إذا تعالى

اللسان في وصفه كان بنان البيان إليه مُشيرًا ، واختار لأمصاري ممالك الشريعة من إذا قُوض إليه نظرُها كان ينسبته إلى الإبصار حقيقًا به وجديرًا .

نحمده وهو المحمود ، ونشكره شكرًا مشرق السُعود ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عذبة الورود ، ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي أخصت به شيوخ الإسلام منشورة البُود ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما أورد عود ، وأولج نهار السيوف في ليل القُمود ؛ وسلم تسليمًا كثيرًا .

وبعد ، فإن الله تعالى لما خصَّ كُلَّ مملكةٍ من ممالك الشريعة بكثرة الجيوش والأنصار ، وجعل جيوشنا وعساكرنا بُكائرُ عددِ التُجوم في كُلِّ مَصرٍ من الأمصار ؛ وكانت المملكةُ الشريفةُ الحليَّةُ هي ركنٌ من أركان الإسلام شَديد ، وذُخرٌ مادعاهم دَاجٍ إلا ولَبَّاءُ منهم عددٌ عَديد - وجب أن يُختارَ للنظر عليها من الأكفَاء من سَمَاء في الرأسة أصلُهُ وزَكَ قرعُهُ ، فاستحقَّ بما فيه من المعرفة تمييزَ قدره ورفعه ؛ وفاقَ في فَضْلِ السَّيَادَةِ أبناءَ جَنَسِهِ ، وأشرقتْ أَفلاكُ المعالي بطلوعِ شَمْسِهِ ؛ وأقرَّ [بنظره] نظرَ الجيوش المنصورة ، وسارت الأمثلةُ بما اتَّفَقَ عليه [فيه] من حُسنِ خِبرةٍ وخِيَرَةٍ ؛ وكان فلان هو الذي طلع في أَفُقِ هذا التَّناء شَمْسًا مُتَبَرِّه ، واختبر بالكفاية والدراية واختير لهذا البَنيصِبِ على بَصِيرَةٍ ؛ وهو الذي له من جميلِ المباشرة في المناصب السَّنية ما هو كالشَّمْسِ لا يَئُخِي ، والذي أحسنَ النَّظَرَ في الأوقافِ المبرورةِ حتَّى تَمَّتْ كُلُّ منصبٍ جليل أن يكونَ عليه وقفا ؛ وهو الذي حَوَّى من الفضائل ما لا يُوجَدُ له ظَئيرٌ ولا شَبيه ، والذي سَمَّا إلى رتبة من المعالي رَيعَةً وكانت ذا الجَدِّ النَّبيه والأبِّ النَّبيه .

فلذلك رُسم ... لا زال يُقر الناظر يُجوده ، ويُحسُّ النظر في أمر جُيوشه
وجُوده - أن يفوض إليه كذا : علماً بأنه أحقُّ بذلك وأولى ، وأن كفايته لا يُستثنى
فيها بئالاً ولا بلولاً ؛ وأنَّ السدادَ مقترنٌ بحسن تصرُّفه ، وصلته قد أغنى عن تعليمه
بمواقع التَّسديد وتوقيفه .

فنباشِر ذلك بصنْدٍ مُنْشِرٍ ، وأملٍ مُقْصِحٍ ؛ عاملاً بالسنة من تقوى الله تعالى
والقرض ، علماً بأننا عند وُصولنا إلى البلاد نأمر بِرِض الجيوش : فليعمل على
ما يبيض وجهه يوم القرض ؛ وليُزِم عتة من المباشرين بعمل ما يلزمهم من التفريع
والتأصيل ، والتجريد والتثريل ؛ وتحرير الأمثلة والمقابلة عليها ، وسؤالك الطريق
المُسْتَقِيم التي لا يتطرق الذم إليها ؛ والملاحظة لأُمور الجيوش المنصورة في قليل
الإقطاعات وكثيرها ، وجليلها وحجيرها ؛ بحيث يكون علمه محيطاً بذلك إحاطة
الليل ، ويشترط على من يتعين تزيُّله ما استطاع من قوَّة ومن رباط انجيل ؛
ويقابل الأمور المضطربة بالإضراب ، ويسلك أحسن المسالك في سيره وسيرته :
فإننا فوضنا إليه الجيوش المنصورة من جُند المملكة الحليَّة ومن أهل المدينة ومن
حوهم من الأعراب . والوصايا كثيرة وإن كثرت فعلمها عنده ، وقد ضرب له منها
مثلٌ فليكن على سياقته فيما لم يُذكر في العدة ؛ وأهمُّ الأمور أن يتمسك من خشية الله
بالسبب الأقوى ، ويعمل تقوى الله عماده في كلِّ الأمور : فإن خير الزاد التقوى ؛
والخط الشريف أعلاه حجة فيه .

الطبقة الثانية

من يكتب له من أهل المملكة الحليَّة في قطع العادة مفتتاً بـ «رسم» إما مع
«مجلس القاضي» أو مع «القاضي الأجل» ككتاب الدرَج ومن في رُتبهم ، إن كُتب

لأحد منهم من الأبواب السلطانية . وإلا فالنائب استبدادُ نائب السلطنة بها بالكتابة في ذلك . فإن كُتِبَ شيءٌ منها من الأبواب السلطانية ، فيمَش فيه على نحو ما تَهْتَم في الديار المصرية والمملكة الشامية التي قاعدتها دمشق .

النوع الثاني

(من أرباب الوظائف بالمملكة الحليّة - من هو خارجُ

عن حاضرتها ، وهم على أصناف)

الصنف الأول

(أرباب السيوف ، وهم غالبٌ من يكتب لهم عن الأبواب السلطانية)

وقد تَهْتَم أن العادة جاريةٌ بِتَسْمِيَةِ ما يُكْتَبُ لمن دون أرباب النيابات العظام : من دمشق ، وحلب ، وطرابلس ، وحماة ، وصفد ، وغزة ، والكرك - مراسيم . وأن التقاليد غنصةٌ بالتَّوَابِ العظام المقدم ذكرهم . ولا يخفى أن النيابات الداخلة في المملكة الحليّة : مما هو تحت أمر نائب السلطنة بحلب أكثر من كل سائر الممالك الشامية .

وبالجملة فأمرهم لا يخرج عن ثلاثة أضرب : إما مُقَدِّم ألف ، كاتب البيرة ، ونائب قلعة الروم المعبر عنها في ديوان الإنشاء بقلعة المسامين ، ونائب ملطية ، ونائب طرسوس ، ونائب البُلسْتَيْن ، ونائب البهسنى ، ونائب آياس المعبر عنها بالفتوحات الجاهانية . وإما طبلخاناه ، كاتب جبر ، ونائب درندة ونحوهما . وإما أمير عشرة ، كاتب عين تاب ، ونائب الراوندان ، ونائب كركر ، ونائب بئراس ، ونائب الشغروبكاس ، ونائب الدربسك ، ونائب سرفندكار ، ومن في معناتهم .

وقد تقدم في الكلام على المكاتبات قولا عن "التصنيف" : أن هؤلاء النواب
تختلف أحوالهم في الارتفاع والانخفاض : فارة تكون عادة تلك النيابة أمير طبلخاناه،
ثم يولى فيها عشرة وبالعكس . وقد تكون عادتها طبلخاناه فيستقر بها مقدم ألف
وبالعكس . والضابط في ذلك أن من يكتب له الرسوم : إن كان مقدّم ألف،
كتب مرسومه في قطع النصف بـ «المجلس العالى» . وإن كان طبلخاناه، كتب له
مرسومه في قطع النصف أيضا بـ «السامى» بالياء . وإن كان أمير عشرة كتب
مرسومه في قطع الثلث . فاما ما يكتب في قطع النصف، فإنه يفتح بـ «الحمد لله»
سواء كان صاحبه مقدّم ألف أو أمير طبلخاناه .



وهذه نسخة مرسوم شريف بناية آياس، وهى المعبر عنها بالفتوحات الجاهانية،
يستضاء بها في ذلك ، وهى :

الحمد لله الذى جعل من أولياء دولتنا الشرفه كل سيف لا تنبؤ مضاربته ،
وأصطفى لبوادر الفتوحات من أنصارنا من محمد آراؤه وتجاربه ، وألمنا حسن
الاختيار لمن يؤمن فى المحافظة مآربه ، وتعنّب فى المخالطة مشاربته ، وحقّ آمالنا
فى مضاعفة الفتح الى أغنى الرعب فيها عما تدافعه سيوف الإسلام وتجاربته .

نحمد حمدا يضاعف لنا فى التأيد تمكيننا، ونشكره شكرا يستدعى أن يزيدنا من
فضله نصرا عزيزا وفتحاً ميّنا ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
تخلص فيها يقينا من المخاوف يقينا ، وزد من نهلكا ميّنا ؛ ونشهد أن محمدا عبده
ورسوله الذى أيدّه الله بالملائكة والروح، وزوى له الأرض فرأى مشارقها ومغاربها
وزجوا أن يكون ما زواؤه له مدترا لنا من الفتح ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه

الذين هم خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلإِسْلَامِ ، والذين ما زال الإيمانُ بهم مرفوعَ الأُلويةِ والأَعْلَامِ ، والذين لم يبرحْ دَاغِي الضَّلَالَةِ تَحْتَ قَهْرِ سَيُوفِهِمْ : فلذا أَغْنَى «جَرَّتْ عَلَيْهِ سَيُوفُهَا الْأَعْلَامُ» ؛ صَلَاةَ يَطِيبُ اللِّسَانُ مِنْهَا فَيُطْرِبُ ، وَيُعْرِبُ عَنْ صِدْقِ الإِخْلَاصِ فِي تَكَرُّرِهَا فَيُغْرِبُ ؛ وَسَلَمَ تَسْلِيمًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَوَّلِيَّ مَنْ تَسْتَعِدُّ أُمُورَ الْمَمَالِكِ لِعَزَمَتِهِ ، وَيُلْقِي أَمْرَ بَوَادِرِ الْفَتْوحَاتِ السَّعِيدَةِ لِمُعَمَّتِهِ ، وَيُعْتَمِدُ فِي تَدْيِيرِ أَحْوَالِ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ عَلَى يَمْنِ تَصَرُّفِهِ وَمُتَمَتِّ نَهَضَتِهِ - مَنْ لَمْ يَزَلْ مَعْرُوفًا سَدَادُ رَأْيِهِ ، مُشْكُورًا فِي الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ حُسْنُ سَعْيِهِ ؛ مَوْيِدًا [فِي] عَزَمِهِ ، مَظْفَرًا فِي حَزْمِهِ ؛ مَأْمُونًا التَّائِيهِ ، مَيَمُونًا التَّسْدِيرِ ، كَافِيًا فِي الْمَهْمَاتِ ، كَافِلًا بِلَوْ الْهِمَّاتِ ، إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ [صَادِق] عَزْمَهُ ، وَإِذَا اعْتَمَدَ عَلَيْهِ فِي مُهِمٍّ تَقَاهُ بِهَيْئَتِهِ وَحَزْمِهِ ؛ وَإِذَا جَرَّدَ كَانَ هُوَ السَّيْفُ أَسْمًا وَفِعْلًا ، وَإِذَا دَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ الزُّيُونُ فَهُوَ الشَّهْمُ الَّذِي لَا يَخَافُ سَهْمًا وَلَا يَرْهَبُ نَصْلًا .

ولما كان ^(١) هو بَدْرُ هَذَا الْأَفْقِ ، وَمُقَلَّدُ هَذَا الْعَقْدِ وَلَا يَصْلُحُ هَذَا الطُّوقُ إِلَّا لِهَذَا الْعُنُقِ ؛ وَهُوَ الَّذِي فَاقَ الْأَوْلِيَاءَ أَهْتَابًا ، وَرَاقَ الْعُيُونَ تَهْدِيمًا وَإِقْدَامًا ؛ وَأَرْضَى الْقُلُوبَ نَصْحًا وَوَفَاءً ، وَأَنْصَى الْهِمَمَ احْتِفَالًا لِلصَّالِحِ وَاحْتِفَاءً ؛ طَالِبًا جُرْبَ حُجْمِدٍ عِنْدَ التَّجَارِبِ ، وَجُرْدَ فَاغْنَى عَنْ الْقَوَاضِبِ ؛ وَاخْتَرُ فَاخْتِيرَ ، وَنَظَرُنِي خَصَائِصِهِ فَلَمْ يُوجِدْ لَهُ نَظِيرَ - أَتَقَضَى حَسَنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ تَهْلِكَهُ فَتُوحَاتِ أَهْلُهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ شَرِّكَ الشَّرِّكَ ، وَأُخْرِجَهَا إِلَى الثُّورِ بَعْدَ ظِلَامِ الْإِفْكَ ؛ وَبَشَّرَهَا أَنَّ هَذِهِ مَحَابَةُ نَصِيرٍ يَأْتِي وَابِلُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ رِزَاذِهِ ، وَأَنَّهَا مُقَدَّمَةٌ سَعْدٍ تَتْلُو قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ لِمَنِ اتَّبَعْتُ كَثِيرًا مِمَّا تَسْتَوْدَعُونَ فَأَجْعَلْ لَكُمْ هَذِهِ ﴾ .

(١) يياض بالأصل والمراد المولى باسمه ولقبه .

فلذلك رُعم ... - لا زال الفتح في دولته يزعم بانتظام سلكه، وأيامه الشرفه تسترد مقتصب البلاد من يد الكفر إلى بسطة ملكه وقبضة ملكه، وإحسانه يحيى الحصون بسيف يروع العدا بأسه وفتحه - أن يقوَّض ... أعناداً على مضائه الذى لا ينكر مثله للسيف، ودكوتا إلى هيته التى تسمى برعها إلى قلوب الأعداء سرى الطيف .

فليأثر النياية المذكورة : مُعَمِّلاً رأيه فى تمهيد أحواله، وتقرير أمورها التى راقق الأولياء وراع الأعداء ما كان من ماله ؛ مجتهداً فى حفظ ما بها من الفلاح والحصون، مُبادراً [إلى] كل ما ينجي حماها ويصون قائماً بحق القيام فى مصالح تقريرها، وأحوال تحريرها، وأمور تمهيدها، ومنافع تسديدها ؛ وحواصل تكفيدها، وأسباب مصلحة توافيها بزيد الاهتمام وتوقيها ؛ وليكن بأحكام الشرع الشريف مقتدياً، وبثبوت العدل والإحسان مهتدياً ؛ وبتقوى الله عز وجل متمسكاً، وبخشية الله متمسكاً، وهو يعلم أن هذه الفتوحات [قدى] فى حلقه العدو المخدول ونجماً فى حلوقهم، وعلة فى صدورهم وحسرة فى قلوبهم .

فليكن دأبه الاجتهاد الذى ليس معه قرار، والتحرز الذى يجلها أويحيها فيكون عليها بمنزلة سور أوسوار ؛ ويصفحها من عزيمه بالصفاح، ويعمل عليها من شرفات حزمه ما يكون أحد من أسنة الرماح ؛ ثم لا يزال أحياطه محيطاً بها من كل جانب، وتيقظه لأحوالها بمنزلة عين مراقب، واحتفاله الاحتفال الذى يمثله يصاب رداؤها من كل جاذب ؛ ثم لا تزال قصائده وكشافه وطلائمه لا يقربهم السرى، ولا يعرفون طعم الكرى ؛ يعطّلون من أخبار العدا على حقائقها، وتحيّل كل فرقة منهم على معرفة الأحوال بينهم بمكر من تعدد طرقها وأتساع طرائقها، لتكون المتجددات عنده بمنزلة ما يراه

في مِرَاةَ نَظَرِهِ، وَسِرُّ أُمُورِ الْعِدَا لَدَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَشِيعَ بَيْنَهُمْ ذِكْرُ خَبَرِهِ؛ وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَهُوَ بِحَمْدِ اللَّهِ لَا يَحْتَاجُ مَعَ مَعْرِفَتِهِ إِلَى تَبَيُّرِهِ، وَلَا يَهْتَقِرُ مَعَ حَسَنِ بَصِيرَتِهِ إِلَى تَذَكُّرِهِ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَتَوَلَّاهُ، وَيُعِينُهُ عَلَى مَا وَلَّاهُ؛ بَعْدَ الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ .

وأما من يكتب له في قَطْعِ التَّلْتِ بـ «مجلس الأمير» وهم العشرات [فقد ذكر في «التعريف» : أَنَّهُ يكتب لهم من الأبواب السلطانية على ذلك .

قلت : وقد تَهْتَمُّ في الطبقة السابعة أَنَّ الْكَفَّاتَا، وَكَرْمَرًا، وَالذَّرْبَسَاكَ، قد تكون عشرة أيضا . وفي معنى ذلك نيابة عينِ تَابَ ، وَالرَّوْنَدَانِ ، وَالْقَصِيرِ ، وَالشُّغْرُو بَكَاسَ ، إِذَا كَانَتْ عَشْرَةٌ . ونيابة دَبْرَكِي إِذَا كَانَتْ عَشْرَةٌ ^(١) [فَيَفْتَحُ فِيهَا] «أما بعد حمد الله» على عادة ما يُكْتَبُ للعشرات .



وهذه نسخة مرسوم شريف من هذه الرتبة، كُتِبَ بِهِ لِنَائِبِ حَجَرِ شَفْلَانِ مِنْ مَعَامِلَةِ حَلَبَ ، وَهِيَ :

أما بعد حمد الله الذي شَدَّ الْمَعَاقِلَ الْإِسْلَامِيَّةَ بِأَكْفَانِهَا، وَصَانَ الْحُصُونِ الْمَحْرُوسَةَ مِنْ شُرُكٍ هُمَّةٍ فِي إِعَادَتِهَا وَإِبْدَانِهَا، وَحَمَى سَرَحَهَا مِنْ أَقْطَ [فِي] الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ عِيُونَ عَزَمِهِ فَمَا أَلْتِ بَعْدَ إِقْبَاطِهِ بِإِغْفَانِهَا، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي أَنْتَضَى سَيْوَفَ التَّائِيدِ فَأَعَزَّتِ الْهَدْيُ وَأَذَلَّتِ الْعِدَا حِينَ انْتَضَانِهَا ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ مَا بَلَّتِ النُّجُومُ فِي ظُلُمَانِهَا ، وَسَرَّتِ الْغُيُومُ فِي قَضَائِهَا - فَإِنَّ مِنْ شُكْرِتِ هِمَمِهِ، وَثَبَّتَتْ فِي الطَّاعَةِ الشَّرِيفَةِ قَدَمَهُ، وَأَشْبَهَ عَزَمُهُ فِي مَضَائِهِ صَارَمَهُ، وَأَخْضَحَتْ

(١) ما بين القوسين المربعين | وجد ملحقاً بإمامن نسخة ومؤشراً عليها بالتصحيح فأتيناه في الصلب

تُفَوِّدُ تَقْدِيمَهُ بِاسْمِهِ ؛ أَوَّلَىٰ بِأَنْ تَرْفَعَ هَذِهِ الدَّوْلَةُ الشَّرِيفَةُ مِنْ مَحَلَّةٍ ، وَتُنْشَرُ عَلَيْهِ [مِنْ] تَكْرِيمِهَا وَارْفَاطِهَا ؛ وَتَرْتَضِيَهُ لِقِلَاحِ الْإِسْلَامِ وَتَسْتَبِيدُهَا ، وَتَحْتَنِيَهُ لَصُونِهَا وَتَأْيِيدِهَا ، وَتَجْعَلُهُ قُوَّةَ عَيْنِهَا وَحِلْيَةَ جِيدِهَا ؛ وَتُمْضِي كَلِمَتَهُ فِي مَصَالِحِهَا ، وَتُعَلِّقَ بِهِ أَسْبَابَ مَنَاجِحِهَا ؛ فَيُصْبِحُ وَلَقْدَرُهُ مَتْنُ إِعْلَاءٍ وَإِعْلَانٍ ، وَيُعْنَى وَلَهُ شُغْلُ بَطَاعَتِنَا الْعَالِيَةِ الشَّانِ ؛ وَشُغْلُ بِالْمَعْقِلِ الَّذِي يُحَرِّزُ بِعَزْمِهِ وَيُصَانُ ، فَلَا جُلَّ ذَلِكَ غَدَا وَلَهُ مِنْ هَذِهِ النِّيَابَةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ شُغْلَانٌ .

وَكَانَ [فُلَانٌ] هُوَ الَّذِي جَادَتْ عَلَيْهِ دَوْلَتُنَا الزَّاهِرَةُ بِسَحَائِهَا ، وَأَشْرَقَتْ عَلَى حَظْوَتِهِ سَعُودُ كَوَاكِبِهَا ؛ وَأُسْمِتْ لَهُ قَدْرًا ، وَجَعَلَتْ لَهُ أَمْرًا ؛ وَصَرَفَتْهُ إِلَى نِيَابَةِ مَعْقِلٍ مَعْلُودٍ مِنْ قِلَاحِ الْمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَحُصُونِهَا ، وَمَعَاظِلِهَا الَّتِي عَلَتْ عِلًّا فَالْجِبَالُ الشُّمُّ مِنْ دُونِهَا ؛ قَدْ أَصْبَحَ شَاهِقًا فِي مَبْنَاهُ ، مُمْتَعًا فِي مَغْنَاهُ ؛ مُحْصَنًا بِرِجَالِهِ ، مَصُونًا مِنْ مَاضِيَيْنِ : السَّيْفِ فِي مَضَائِهِ وَالْعَزَمِ فِي أَحْتِفَالِهِ - أَقْنَضَى حُسْنَ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ تُوقَلَ رِبَّةَ هَذِهِ النِّيَابَةِ ، وَتُنْشَرُ عَلَيْهِ مِنْ إِحْسَانَاتِنَا بِحَبَابَةٍ .

فَلَذَلِكَ رَسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ أَنْ يَسْتَقَرَّ

فَلْيَحُلْ هَذِهِ النِّيَابَةُ الْمُبَارَكَةُ مُظْهِرًا مِنْ عَزْمِهِ مَا تُنْجِدُ عَوَاقِبُهُ ، وَتَعْمَلُ مَرَاقِبُهُ ؛ وَتَسْمُو مَرَاتِبُهُ ، وَتَتَوَسَّحُ سُبُلُهُ وَمَنَازِلُهُ ؛ مُحْصَنًا لِمَرْحِهِ ، مُعَزِّزًا مَوَادَّ نَجْحِهِ ؛ مُرَاعِيًا أَحْوَالَ رِجَالِهِ ، الْمُعْدِّينَ مِنْ حُمَاتِهِ وَأَبْطَالِهِ ؛ حَتَّى يَنْقُضُوا يَقِظِينَ فِيمَا يَنْتَبِهُونَ إِلَيْهِ وَيَسْتَنْهَضُهُمْ فِيهِ ، مُبَادِرِينَ إِلَى كُلِّ مَا يَحْفَظُ هَذَا الْحِصْنَ وَيَنْجِيهِ ؛ وَمِنْ هَذَا الْمَعْقِلِ مِنَ الرَّعِيَةِ فَلْيَرْتَفِقْ بِضَعْفَاتِهِمْ ، وَلْيُعَامِلْهُمْ بِمَا يَسْتَجِبُ لَنَا بِهِ صَالِحُ دُعَائِهِمْ ؛ وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَمِلَاكُهَا التَّقْوَى ، فَلْيَتَمَسَّكْ بِهَا فِي السَّرِّ وَالنَّجْوَى ؛ وَلْيَغْرِسْهَا فِي كُلِّ

قول يُبْدِيهِ ، وَيَفْعَلُ يَرْضِيهِ ، فَإِنَّ غُرُوسَهَا لَا تَلَوُّي . والله يوقفه لِصَالِحِ الْقَوْلِ
وَالْعَمَلِ ، وَيُصَوِّتُهُ مِنَ الْخَطِّ وَالْخَطَلِ ؛ وَالْخَطُّ الشَّرِيفُ أَطْلَاهُ ، حِجَّةٌ بِمُقْتَضَاهُ ؛
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ .

قلتُ : وَقَدْ تَهْتَمُّ أَنَّهُ لَا يُكْتَبُ عَنِ السُّلْطَانِ مَرْسُومٌ بِنْيَابَةٍ فِي قِطْعِ الْعَادَةِ ،
لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا جُنْدِيٌّ وَهُوَ دُونَ ، وَمِثْلُ ذَلِكَ إِنَّمَا يُكْتَبُ عَنْ تَوَابِ
الْمَمَالِكِ .

الصنف الثاني

(مَّا هُوَ خَارِجٌ عَنْ حَاضِرَةِ حَلَبَ - الْوِظَائِفُ الدِّيْنِيَّةُ بِعَامِلَتِهَا :

مِنَ الْفِلَاحِ وَغَيْرِهَا)

وهي في الغالب إمَّا تصدر الكُتَابَةُ فِيهَا عَنْ نَائِبِ حَلَبَ أَيْضًا أَوْ قَاضِيهَا ، إِنْ كَانَ
مَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَيْهِ . فَإِنْ صَدَرَ شَيْءٌ مِنْهَا عَنِ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ ، كَانَ فِي قِطْعِ الْعَادَةِ
مُفْتَتَحًا بِ«مَرْسُومٍ» .

وهذه نسخةٌ تَوْقِيعٍ مِنْ هَذَا النَّمَطِ يُنْسَجُ عَلَى مِثْوَالِهِ ، كُتِبَ بِهِ لِقَاضِي قَلْعَةِ
الْمُسْلِمِينَ ، وَهِيَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ عَدْلُهُ مَوْيِدًا لِلْحُكَّامِ ، وَرَأْيُهُ مُسَلِّدًا فِي النُّقْضِ
وَالْإِبْرَامِ ، وَسُلْطَانُهُ يَخْتَارُ لِلنَّاصِبِ الدِّيْنِيَّةِ مَنْ نَطَقَتْ بِشُكْرِهِ أَلْسِنَةُ الْأَنَامِ - أَنْ
يَسْتَقَرَّ فِي كَذَا : لِمَا أَشْتَهَرَ عَنْهُ مِنْ عِلْمٍ وَدِينٍ ، وَظَهَرَ مِنْ حُسْنِ سِيرَةٍ أَقْتَضَتْ
لَهُ التَّعْيِينَ .

فلیبایشر هذه الوظيفة المباركة بالحق حاکما ، وللرفق ملایما ، وللتقوى مداوما ؛
وهو غنی عن الإسهاب فی الوصایا ، ملی بسُلوک تقوى الله فی القضايا ؛ والله تعالى
یزیدہ تأییدا ، ویضاعف له بمواد السعادة تجیدا ؛ والعلامة الشریفة أعلاه ،
حجة بمقتضاه .

الصنف الثالث

(مما هو خارج عن حاضرة حلب - الوظائف الدیوانیة)

وهی إنما تصدر فی الغالب أيضا عن نائب حلب . فإن کُتب شیء منها عن
الأبواب السلطانیة ، کان فی قطع العادة مفتحا بـ «رسم بالأمر» .

وهذه نسخة توقيع من ذلك ، يستضاء به فیما یکتب من هذا النوع ، کُتب بها
بنظر جعبر ، من معاملة حلب ، وهی :

رسم بالأمر الشریف - لا زال منهل الندی ، مستهل الجدی ، مُعیدا للإحسان
كما بدا - أن یعاد فلانٌ إلى وظیفته : لما ألفت من سیرة له لم تزل تُحمد ، وسما
خیر منه علی مثل الشمس تشهد ؛ ولأمانته التي لم تزل تفتربها الثغور ، وتَحضُرُها
المعاهد : تارة فی طوقِ النحر وتارة فی نحور البحور ؛ وأصاله أمتد ظلها الظلیل ،
وعُرف منها فی المصر حسنُ الأصيل ، وأینعت أكرم فرج زکا منبته فی الأرض^(۱)
المقدسة وجوار الخلیل ؛ ولما أسلف فی هذه المباشرة من عمل صالح ، وسداد
اعتماد لم یخرج عن تحریر تقریر وتقریر مصالح ؛ وکتابیه رآها الرأي ونقلها الناقل ،
وكفاية حفت عليه مثل العروس المجلوة من عقائل المعامل .

(۱) فی الأصل « منبها » بالتأنيث .

(١) فليأشِر هذه العروس فقد أُنْعِمَها مَالفَ الخدم وأمهرها ، وليتأَيَّرُ سَقِيَا العروس
 التي أنشأها في هذه الجهة وعمَّرها ، وليَسْكُكْ مَسَكُكُ الذي لم يزل مُخِيًّا على رؤوس
 القُسن ، ومهوماً به طَرُفُ الأمن لليقظة الذي لا يُلِمُّ به الوَسَن ؛ مُحَوِّلاً في وظيفته
 المبررات ، مُسْتَقْبِلاً للسرَّات ، مُفْتَخِراً بمباشراته التي تَجْرِي بِجَارِي البحار : تارةً المِلَح
 الأجاج وتارةً العذْبَ القُرَات ؛ وهو أعرف بما يَقتِمُه من أمانةٍ بها يَتَقَلَّم ، وديانةٍ
 يُرَجِّبُ بها أَسْتِكْفَاؤُهُ ويَحْكُمُ ؛ وَهَوَى الله جماعها فليُكُنْ بها مُتَمَسِّكاً ، وبمشاغلها
 مُتَمَسِّكاً ؛ والله تعالى يجعل عطاءه مُؤَفَّراً ، وعمله مُتَدَقِّقاً ليرُدَّ جَعْباً جَعْفَراً .

النيابة الثالثة

(نيابة طرابلس ، ووظائفها التي جرت العادة بالكتابة فيها
 من الأبواب السلطانية على نوصين)

النوع الأول

(ما هو بمحاضرة طرابلس ، وهو على ثلاثة أصناف)

الصنف الأول

(أرباب السيوف ، وهم على طبقتين)

الطبقة الأولى

(من يكتب له تليد)

وهو نائب السلطنة بها . ومرسومه في قَطْع الثلثين ، ولقبه « الجناب العالي »
 مع الدعاء بِمُضَاعَفَةِ النعمة .

(١) الذي ورد في القاموس وغيره أن القُدْ بمعنى الاعطاء من باب الثلاثي ظَلَّ المزمز من زيادة
 الناصح فنه .

وعنه نسخة تقليد شريف بنبأتها :

الحمد لله الذى جعل لنا التأييد مددا ، والنصر عتادا لا نقفد مع وجوده من الأولياء أحدا ، والميز وزرا . تصم شبه مسامع العدا : (فَن يَسْمِعِ الْآلَآنَ يَحْدِلُهُ شَهَابًا رَصْدًا) . والفتح دُخْرًا حيثُ ما نشاء مددنا إليه بقوة الله يدنا ، وشددنا عليه بمعوثته عضدا .

نحمده على نعمه التى جعلت مراتب دولتنا فلکا تُشْرِقُ فيه رُتَبُ الأولياء إشراق البُشُور ، وتُغَوِّرُ ممالكنا ألقا حيثما شامتة العدا ضُربَ بينهم وبينه من سيوف مهابتنا بُشُور ، وقواطع الفتوح النائية دانية من همم أصفيلنا فإذا يعموا غرضا طارت إليه مهامهم بأجنحة النُشُور ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يرفع الجهاد علمها ، وينصر الإيمان كلمها ، ويرزى الإيذان إلى رياض التأييد ديمها ، ويستنطق التوحيد بإعلانها وإعلانها سيف أيا من الزاهرة وقلمها ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المادى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، ونبيه المخصوص بالآيات والذكر الحكيم ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين نصرنا الله فنصرهم ، وأظهروا دينه فأعزهم وأظهرهم ، ويسروا لأمتيه سبيل الهدى فهداهم والسبيل يسرهم ؛ صلاة لا يزال اليقين يُقيم دعوتها ، والتوحيد يعصم من الانفصام عروتها ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من تفتت الثغور بإيائته ، عن شلب النصر ، وترى الحصون بكفاله ، من شام من العدا برقا بشرير كالقصر ، وتقس السواحل بمهابته ، من جاور من أهل الكفر بجوها بين الحصد والحصر ، وتمنع عز مائه شوانى العدا أن تدب عقاربها ، أو ترتكب الخبيث بغير أيامه^(١) مرا كها ، أو يتقل عن ظهر البحر إلى فير

(١) لله « بغير أيامه » تأمل .

سيوفه أوقوده محارِبها - من لم يزل في نُصرةِ الذينَ لامِعاً كالبرقِ شهابه ، زانِحراً
كالبحرِ عبابه ، وأصبأ على الشُّركِ عَذابه ؛ ظامياً إلى مَواردِ الوردِ سَيْفُه ، سارِياً
إلى قلوبِ أهلِ الكُفرِ قبل جُفونهم طَيْفُه ؛ قائِمةً مقامَ شُرفِ الحُصونِ أَسِنَّةُ رِماحه ،
غَنِيَّةُ بُرُوجِ الثُّغورِ عن تَصْفِيحِها بالجلَيدِ بَصفاً صِفاحه ؛ مع خِبرةٍ بِتَقْدِمةِ الجُيُوشِ
تُضَاعِفُ إقدامَها ، وتُثَبِّتُ في مَواطِنِ اللِّقاءِ أَقدامَها ؛ وتُسَدُّ إلى مقاتِلِ أهلِ الكُفرِ
سُهامَها ، وتُقَرِّبُ عليها في البرِّ والبحرِ مَنالَها وتُبْعِدُ مَرامِها على مَنْ رَأَها ؛ ومَعْدِلَةٌ
لِلرَّعايا السُّكُونِ في مهادِ أَمْنِها ، والرُّكُونِ إلى رُبَا إقبالِها ويَهَادِي مَنبَها ؛ فَيَسِرُّ الرِّعايا
مَصُونٌ بِعَدْلِهِ ، والعَدْلُ مَكُونٌ بَيْنَ قَوْلِهِ وفِعْلِهِ .

ولما كان فلانٌ هو اللَّيْتَ الذي يُعْنَى به قَابُه ، والنَّيِّرَ الذي يُزْهِى أَفْقُ قَالِقِ فيه
شهابُه ؛ وإلْهامُ الذي يُعْدِي هِمَّةَ فُرسانِ الوَغَى فتُعَدُّ أَحادِها بالألُوفِ ، والشُّجاعُ
الذي إذا أَسْمَعَتْ سَواعدُ الشُّجْعانِ بِسُيوفِها أَسْمَعَتْ بِقُوَّةِ سَواعدِهِ السُّيُوفِ -
أَقْبَضَتْ أَرَأُونا الشَّرِيفَةَ أَنْ تُحَلِّيَ بِهِ جَيْدَ مَلِكَةٍ أَنْتَظَمَتْ على وَشامِ البحرِ ، وأَحاظَتْ
بِما في ضَمِيرِهِ من بِلادِ العِدا إحاطَةَ القَلامِدِ بِالنَّحْرِ .

فوسم بالأمر الشرف لا زال أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ : لِمَا أُشِيرَ
إِلَيْهِ مِنْ أَسْبَابِ تَعَيُّنِهِ لِهَذِهِ الرُّتْبَةِ المَكِينَةِ ، وَتَحْلِيهِ بِما وُصِفَ مِنَ المَحاسِنِ الَّتِي تُزْهِى
بِها عَقائِلُ الحُصُونِ المَصُونَةِ .

فَلَيْلُ هَذِهِ النِّيايَةِ الجَلِيلَةِ بِعِزَّةِ مُجَلِّ مَواكِها ، وَهِمَّةِ تُجَكِّلُ مَرامِها ؛ وَمَهايَةِ تُحَوِّطُ
مَمالِكِها ، وَصِراةً تُؤَمِّنُ مَسالِكِها ؛ وَمَعْدِلَةً تُعَمِّرُ رِباعِها ، وَقِظَّةً تُصُونُ
حُصُونِها وَقِلاعِها ؛ وَشِجَاعَةً تُبْرِئُ إلى العِدا سَرايا رُعيها ، وَسَطَوَةً تُعْدِي السُّيُوفَ
فَلا تَسْتَطِيعُ الكُفَّةُ الدُّنُوَّ مِنْ قُرْبِها ، وَهَمَّةً تُرْهَبُ مُجاوِرِها حَتَّى يُخَيِّلَ البحرُ [أنه] مِنْ
أَحوالِهِ على حَرِّها .

ولِئَلَّا تَقْدِمَةَ الْجِيُوشِ الْإِسْلَامِيَّةِ حَقَّهَا مِنْ تَذِيرٍ يَجْمَعُ عَلَى الطَّامَةِ أَمْرَهَا
وَأَمْرَاهَا، وَيَرْفَعُ فِي مَرَاتِبِ الْخَلِيفَةِ الشَّرِيفَةِ عَلَى مَا يَجِبُ أَهْلِيهَا وَكِبَرَاهَا؛ وَيُرْهَبُ
بِلَدَامَةِ الْإِسْتِمْدَادِ قُلُوبَ أَعْدَائِهَا، وَيَرْبُطُ بِأَزَاكِهَا شَوَانِي الْبَحْرِ حَتَّى تَمْتَدَّ الرِّمَاطُ
فِي ذَلِكَ مِنَ الْقُرُوضِ الَّتِي يَتَعَبَّدُ بِأَدَائِهَا، فَلَا يَلُوحُ قَلْعٌ فِي الْبَحْرِ لِلْعَدَا إِلَّا وَهُوَ يَرْهَبُ
الْوُقُوعَ فِي حَبَالِهَا، وَلَا تَلْحَظُ عَيْنُ صَدُوسِنَا الْبَرْزِ إِلَّا وَهِيَ تَتَوَقَّعُ أَنْ تُكْمَلَ نَصَابِلُهَا؛
وَلِيُقِيمَ مَنَارَ الْعَدْلِ بِنُشْرِ لَوَائِهِ، وَيَعْضُدَّ حَكْمَ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ بِرُجُوعِهِ إِلَى أَوَامِرِهِ
وَأَتْمَاتِهِ؛ وَلِيَكْفِيَ يَدَ الظُّلْمِ [عَنْهَا] فَلَا تَمْتَدُّ إِلَيْهَا بَنَانُ، وَلِيَشْفَعَ الْعَدْلُ بِالْإِحْسَانِ إِلَى
الرَّجِيَّةِ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ؛ وَفِي سِيرَتِهِ الَّتِي جَعَلَتْهُ صَفْوَةَ الْإِخْتِبَارِ، وَنَجَّةَ
مَا أَوْصَحَتْهُ الْحَقِيقَةُ مِنَ الْإِخْتِبَارِ؛ مَا يُغْنِي عَنِ الْوَصِيَّةِ إِلَّا عَلَى سَبِيلِ الذِّكْرِ الَّتِي
تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَرْفَعُ قَدَرَ الْمُؤَقِّينَ؛ وَمِلَاكُهَا تَهْوَى اللَّهُ تَعَالَى: فَلْيَجْعَلْهَا أَمَامَ
أَعْيَادِهِ، وَإِمَامَ إِصْدَارِهِ وَإِرَادِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُلِيمُ مَوَادَّ تَأْيِيدِهِ وَإِسْعَادِهِ؛ إِنْ شَاءَ
اللَّهُ تَعَالَى.

الطبقة الثانية

(من يكتب له مرسومٌ شريفٌ في قَطْعِ الثُّلُثِ بِدَوَالِحِ الْمَجْلِسِ)

السَّامِيُّ «بَغِيرَاء»، وَتَشْتَمِلُ عَلَى وَظَائِفِ

مِنْهَا — شُدُّ الدَّوَابِّ بِطَرَابَلُسَ.

وهذه نسخةٌ تَوْفِيقُهَا :

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُجِدِّ الرُّتَبِ لِمَنْ نَهَضَ فِيهَا لِإِخْلَاصِهِ بِمَا يَجِبُ، وَمُوَلِّي الْمَنَنِ لِمَنْ إِذَا
اعْتَمَدَ عَلَيْهِ مِنْ مُهِمَّاتِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ فِي أَمْرِ عَرَفَ مَا يَأْتِي فِيهِ وَمَا يَحْتَجُّ بِهِ؛

وَمَوْكِدِ النَّعَمِ لَمَّا إِذَا أَرْتَبَتِ الْأَكْفَاءُ فِي الْحِلْمَةِ الشَّرِيفَةِ كَانَ خَيْرَ مَنْ يُخْتَارُ وَنَجَبَةٍ
مَنْ يُنْتَخَبُ .

نحمده على نعمه التي مَرَّتْ إلى الأولياء عوارِفُها ، وَاشْتَمَلْ على الأصفياء وإفْرِ
ظلالها وأرفِها ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُزَلَّفُ لديه ،
وتكونُ لِقائِها ذَخِيرَةً يومَ العَرْضِ عليه ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله أشرفُ
مبعوث إلى الأمم ، وأكرم متعوي بالفضل والكرم ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
الذين أولوا أمر الأمة فعَدَلُوا ، وسَلَكُوا سَبِيلَهُ فَمَالُوا عنها ولا عدَلُوا ؛ وسلم
تسليماً كثيراً .

وبعدُ ، فإنَّ أولى ما أختيرَ له من الأولياء كلُّ ذِي هِمَّةٍ عَلَيْهِ ، وَعِزَّةٍ بِمَصَالِحِ
مَا يُعَدُّ بِهِ مِنْ مُهِمَّاتِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ عَلَيْهِ ؛ وَخَبْرَةٍ بِكُلِّ مَا يَرَادُ مِنْهَا وَفِيهِ ، وَيَقْظَلُ
تَلَحُّظُ فِي كُلِّ مَا قَرُبَ وَتَأَيُّ مِنْ الْمَصَالِحِ الْأُمُورِ الْبَاطِنَةِ وَالْأَحْوَالِ الْخَفِيَّةِ ؛ وَصَرَامَةِ
تَوَيْسٍ مِنْ أَسْتِلَانَةِ جَانِبِهِ ، وَتَزَاهَةِ تَوْمُنٍ مِنْ إِمَالَةِ رَأْيِهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ عَنْ مَسْلُوكِ
وَاجِبِهِ ؛ وَمَعْرِفَةِ مُطْلَعِهِ ، وَنَهْضِهِ بِكُلِّ مَا إِنْ حُمِّلَهُ مِنْ أَعْيَاءِ الْمُهُمَّاتِ الشَّرِيفَةِ
مُضْطَلِعِهِ - أَمْرُ الْأَمْوَالِ الدِّيَوَانِيَةِ : فَإِنَّهَا مَعَادِنُ الْأَرْزَاقِ ، وَمَوَادُّ مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ
عَلَى الْإِطْلَاقِ ؛ وَخَزَائِنُ الدَّوْلَةِ الَّتِي لَوْ مَلَكَتْهَا النَّهْمُ لَأَمْسَكَتْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ،
وَذَخَائِرُ الثَّقُورِ الَّتِي مَوَاقِعُهَا مِنْ أَعدَاءِ الدِّينِ مَوَاقِعُ الشَّجَا فِي الْقُلُوبِ وَالْقَدَى
فِي الْأَحْدَاقِ .

ولما كان المجلس السامع هو الذي سَمِعَ بِهِ هِمْمُهُ ، وَرَتَّحَتْ فِي خِدَمِ الدَّوْلَةِ
الْقَاهِرَةِ قَسَمُهُ ، وَتَبَارَى فِي مَصَالِحِ مَا يُعَدُّ بِهِ مِنْ الْمُهُمَّاتِ الشَّرِيفَةِ سَيْفُهُ وَقَلَمُهُ ؛
وَكَانَتِ الْمُلْكَةُ الطَّرَابُلُوسِيَّةُ مِنْ أَشْهُرِ مِمَالِكِهَا سَمْعَهُ ، وَأَيْنَمَا بَقَعَهُ ؛ وَأَغْمَرَهَا بِلَادُهَا ،

وأخصبها رباً ووهاداً؛ وأكثرها حصونا شوايق، وقلاً سوامي سواميق، وغورا
لا تسيم ما أقتر من ثغورها البروق الخوايق؛ ولها الخواص الكثرة، والجهات
الغزيرة؛ والأموال الوافرة، والغلات المتكاثرة المتكاثرة - أقضت آراؤنا الشريفة
أن ترتاد لها من يسد خلل عطائها، ويسد عضد ميدها وميلها؛ وينهض من مصالحها
بما يراد من مثله، ويبعد لها بحسن المباشرة بهجة من ^(١) قدته من الأكفاء
من قبله .

فلذلك رسم أن يفوض إليه شد الدواوين المعمورة بالملكة الطرابلسية
والحصون المحروسة، على عادة من تقدمه في ذلك .

فليأثر ذلك بمعرفة تستخرج الأموال من معانيها، وتستثير كوامن المصالح من
مكامنها؛ وتكثر أموال كل معاملة بحسن الاطلاع عليها، وصرف وجه الاعتناء اليها؛
وتفقد أحوال مباشرتها، ومباشرة ما يتجدد من وجوه الأموال فيها؛ وضبط ارتفاعها
بعمل تقديره، وحفظ متحصل ضياعها من ضياعه وصون بذارها عن تبذيره؛
وليجهت في عمارة البلاد بالرقي الذي ما كان في شيء إلا زاته، والعدل الذي
ما أنصف به ملك إلا صاته، والعفة التي ما كانت في امرئ إلا وقه الله تعالى
في مقاصده وأعطاه؛ وليقدم تقوى الله بين يديه، ويعتمد على توقيفه فيما أعتمد فيه
عليه، إن شاء الله تعالى .

قلت : وعلى ذلك يكتب شد مراكر البريد ونحوها .

(١) لله "ماقدته من عمل الأكفاء".

الصنف الثاني

(من الوظائف بطرأئلس التي يكتب لأربابها من الأبواب السلطانية -
الوظائف الدنيئة ، وهي على مرتبتين)

المرتبة الأولى

(من يُكتب له في قطع الثلث بـ «المجلس السامي» بالياء ، وتشتمل على وظائف)
منها - القضاء . وبها أربعة قضاة من المذاهب الأربعة : من كل مذهب قاض .
وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة الشافعية بها ، يُنسج على منواله ، وهي :

الحمد لله الذي أعز الدين بعلمايّه ، وعصّد الحكم بالمتقين من أوليائه ؛ وأوضح
الرشد للفتندين بمن جعلهم في الهداية كنجوم سماءه ، وجعل لكل من الأئمة من
مطالع الظهور ألقا يهتدى فيه بأنواره ويُقتدى بأوثائه .

نحمده على أن جعل سبهم أجهادا في الارتداد للأحكام مُصيبا ، وقسم لكل من
أُفقي ممالكنا من بركة علماء قسيمه الآخر نصيبا ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة تعصم من الهوى في الحكم لعباده ، وتفصم العرا عن جاهر فيها
يعتاده ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أضاعت أنوار مليّه ، فاستشفت العلماء
لوايمعها ، ووصحت آثار سنيّه ، فأحرز أئمة الأمة جوامعها ؛ صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه الذين دُعوا إلى الله فأجابوا ، ودعوا إلى الحكم بسنيّه فأصابوا ؛ صلاة لا تزال
الألسن تُقيمها ، والإخلاص يُدِيمها ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى ما أدّى فيه الاجتهاد جهده ، وبلغ فيه الارتداد حدّه ؛ وأسْتَضَى
فيه بنور التوفيق ، وأسْتَصْحَب فيه من استخارة الله خير رفيق - أمر الحكم العزيز

وَقَوِيضُهُ إِلَى مَنْ وَسَّعَ اللَّهُ تَعَالَى بِحَالِ عَالِمِهِ ، وَسَدَّدَ مَنَاطَ حُكْمِهِ ؛ وَطَهَّرَ مَرَامَ قَلْبِهِ ، وَنَوَّرَ بَصَرَهُ فِي الْحُكْمِ وَبَصِيرَتَهُ فَاصْبَحَ فِيهِمَا عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ ؛ فَاجْرَأَ الْحَقُّ فِي الْبَحْثِ وَالْفَتْيَا عَلَى لِسَانِهِ وَيَمِينِهِ ، وَزَوَّجَهُ عَنْ إِرَادَةِ الْعِلْمِ لَغَيْرِ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ ، وَنَبَّهَهُ عَلَى آبَتِغَاءِ مَا عِنْدَ اللَّهِ بِذَلِكَ وَاقَّهُ عِنْدَهُ أَجْرَ عَظِيمٍ .

وَلَمَّا خَلَا مَنْصِبُ قَضَاءِ الْقَضَاةِ بِطَرَابُلَاسِ الْحَرُوسَةِ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَهُوَ الْمَنْصِبُ الَّذِي يُضَيُّ بِالْأَيُّمَةِ الْأَعْلَامَ اللَّهُ ، وَتَلْتَقَى بِالْفَضْلَاءِ الْكِرَامِ طُرُقُهُ ؛ وَتَحْتَوِي عَلَى أَرْبَابِ الْفُنُونِ الْمُتَمَتِّدَةِ بِمَجَالِسِهِ ، وَتَزُكُو بِالْقَوَائِدِ الْمُخْتَلِفَةِ مَفَارِسُهُ ؛ وَكَانَ فَلَانٌ هُوَ الَّذِي أُشِيرَ إِلَى خِصَالِصِ قَضَلِهِ ، وَنُبِّهَ عَلَى أَنَّ الْأَجْتِهَادَ لِلْأُمَّةِ أَفْضَى إِلَى اسْتِنَادِ الْحُكْمِ مِنْهُ إِلَى أَهْلِهِ ؛ وَأَنَّهُ وَاحِدُ زَمَانِهِ ، وَعَلَامَةُ أَوَانِهِ ؛ وَجَامِعُ الْفَضَائِلِ عَلَى اخْتِلَافِهَا ، وَقَامِعُ الْبِدَعِ عَلَى اقْتِرَاقِ شُبُهَاتِهَا مِنْهُ وَأُتْلَافِهَا ؛ وَحَاوِي الْفُرُوعِ الَّتِي لَا تَنْتَاهِي ، وَالْمُرَبِّي عَلَى رَبِّ كُلِّ فَضِيلَةٍ لَا يَعْرِفُ غَيْرَهَا وَلَا يَأْلَفُ سِوَاهَا - أَقْتَضَتْ آرَاقُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ نَجْزِمَ مِنْ آرْتِيَادِهِ لِهَذِهِ الرَّتَبَةِ بِهَذَا الرَّأْيِ [السَّيِّدِ] ، وَأَنْ تَقَرَّبَ سُرَاهُ إِلَى هَذَا الْمَنْصِبِ الَّذِي نَادَاهُ بِلِسَانِ الرِّغْبَةِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ إِحْسَانُهُ كَالْبَدْرِ ، يَمْلَأُ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ ، وَبِرُّهُ كَالْبَحْرِ ، يَقْدِيفُ لِلْقَرِيبِ الْجَوَاهِرَ وَيُبْعِثُ لِلْبَعِيدِ السَّحَابَ - أَنَّ يَفُوضَ إِلَيْهِ كَذَا .

فَلْيَطْلُعْ بِذَلِكَ الْأَفَقَ الَّذِي يَتَقَرَّبُ طُلُوعُهُ رَقَبَةَ أَهْلِهِ الْمَوَاسِمِ ، وَيُسْبِرْغَ إِلَى تِلْكَ الرُّبَّةِ الَّتِي تَكَادُ تَسْتَطْلِعُ أَنْبَاءَهُ مِنَ الرِّيحِ النَّوَاسِمِ ؛ وَيَنْشُرْهَا بِفَرَاكِهِ الَّتِي هِيَ أَحَقُّ

أن تطوى إليها المراحل ، ويقدم بها على الأسماع الظامية لعذب قوائده قُودم القمام على الرّوض الساحل ؛ ويل هذا المنصب الذي هو فيه بين عدل ينشروه ، وحق يظهره ، وباطل يرهبه ، وغالب يرهبه ، ومظلوم ينصره .

وليكن أمر أموال الأيتام المهمّ المقدم لديه ، وحديث أوقاف البرّ من أول وأولى ما يصرف فكره الجليل إليه ؛ ويتعاهد كشف ذلك بنفسه ، ولا يكتفى في عليه فصل اليوم بأطلاعه عليه بأمره في أمسه ؛ وهو يعلم أن الله يجعله بذلك مشاركاً للواقفين في الأجر المختصّ بهم والشكر المنسوب إليهم ، خارجاً من الهدية في أمر الناي باستعمال الذين يحشون لو تركوا من خلقهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم ؛ وليقيم منار الحق على ما يجب وإن سرّ قوماً وساء قوما ، ويقيم بالعدل على ما شرع : فإن « عدل يوم خير للأرض من أن تمطر أربعين يوماً » .

وأما ما صدنا ذلك من أحوال الحكم وعوائده ، وآداب القضاء وقوائده ، فكل ذلك من خصائصه يستفاد ، ومن معارفه يستتراد ؛ ويملاك ذلك كله تقوى الله وهي من أظهر حلاه الحسنه ، وأشرف صفاته التي تتداولها الأئسنه ؛ فليجعلها وسيلة تسديده في القول والعمل ، وذخيرة آخرته التي ليس له في غيرها أمل ، ويقلد العلّ فيما حدّثه من أسباب ثقّله فإن كمال العزّ في الثقل ؛ والله تعالى يمدّه بمواد تأييده وقد فعل ، ويجعله من أوليائه المتقين وقد جعل ؛ بمنه وكرمه ؛ إن شاء الله تعالى .

قلت : وعلى ذلك تكتب توابع القضاة الثلاثة الباقين .

ومنها - وكالة بيت المال .



وهذه نسخة توفيق من ذلك، وهى :

الحمد لله الذى عَمَّرَ بَيْتَ مال المسلمين بِسَدَادٍ وَكِيلَةٍ ، وَغَوَّ ثَمَنَ صِيْلِهِ وَمَزِيدَ تَمْوِيلِهِ ، وَتَمَسَّكَ بِالْصَّنْقِ مِنْ قَبِيلِهِ ، وَسُلِّوْكَهَ مَلَتَيْنِ [مِنْ] سَبِيلِهِ ، وَأَعْتَادَهُ الْحَقَّ فِي دَلِيلِهِ ، وَدَفَعَهُ الْمَضَارَّ وَجَلَّيْهِ الْمَسَارَّ بِتَحْوِيلِهِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى بَرِّهِ وَتَفَضُّلِهِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ إِلَهٌ تَزَهُ مِنْ نِدَّهِ وَمِثْلِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ هَذَا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِى بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا الدِّينَ وَتَكْوِيلَهُ ؛ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْمُعْجِزَاتِ فِي تَقْوِيلِهِ ، وَحَفِظَ بِهِ الذِّكْرَ الْحَكِيمَ مِنْ تَبْدِيلِهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَقَبِيلِهِ ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا .

وبعدُ ، فَإِنَّ بَيْتَ الْمَالِ الْمَعْمُورَ هُوَ نِظَامُ الْإِسْلَامِ ، وَذُنُرُ الْأَنَامِ ، وَفِيهِ مَحْصُولُ الْمُسْلِمِينَ تَحْتَ نَظَرِ الْإِمَامِ ، وَفِيهِ مَادَّةُ الْمَجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَلَى تَطَاوُلِ الْأَيَّامِ ؛ وَإِلَيْهِ تُجْبَى الْقَنَاطِيرُ الْمُقَنْطَرَةُ مِنَ الْأَمْوَالِ ، وَعِنْدَهُ تَصَدُّرُ الْمَبِيعَاتِ مِنَ الْأَمْلاكِ مَا بَيْنَ أَرْضٍ وَأُيُنَةِ وَمَحَالٍ . وَالْوَكِيلُ عَلَى ذَلِكَ عِنَّا بِالْمَمْلَكَةِ الطَّرَابُلسِيَّةِ الْمَحْرُوسَةِ هُوَ الذَّائِبُ عَنْ حَوَازِنِهِ ، الْقَائِمُ بِتَأْمِينِ رَوْعَتِهِ ، الْمُجْتَهِدُ فِي تَمْيِزِ رَجْعَتِهِ ؛ وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ الْإِيْمَةِ ، الْمَعُولِ عَلَيْهِمْ فِي الْأُمُورِ الْمُهِمَّةِ ، الْبَصِيرِ بِمَا يَتَرَجَّحُ بِهِ جَانِبُ بَيْتِ الْمَالِ الْمَعْمُورِ وَيُكْشِفُ كُلَّ غُمَّ ، الْعَرِيقِ فِي السِّيَادَةِ الَّتِي أَتَاهَا فِيهَا السَّجَايَا الْجَمِيلَةُ بِالْأَزِمَةِ .

ولما كان فَلَائِدُ هُوَ الرَّائِي حَضْبَةَ [هَذِهِ] الْمَآثِرِ ، الطَّالِعَ كَوَكْبُ جَيْدِهِ السَّافِرِ ، الْمُسْتَحَقَّ لِكُلِّ أَرْتَقَاءٍ عَلَى الْمَنَابِرِ ، وَيُسَدُّ سَلَفًا كَرِيمًا نَصِيرًا فِي الْمَقَانِرِ ، وَيُمِثُّ بَيْتَ

بحره زانح؛ وله في مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه بحث فاق به الأشباه
والنظائر، وعنده علم بالمسائل المضروب مثلها السائر - فلذلك رسم
فليأشتر هذه الوظيفة مختاراً في كل ما يأتيه ويذرّه، ويقيضه ويحرره، ويورده
ويصدره، ويسينه ويقدره، ويخفيه ويظهره، ويؤديه ويسره، ويؤديه ويحضره؛
ويقتر جانب بيت المال المعمور، بما فيه الخط المؤثور؛ والنبطة في كل الأمور،
وهو عالم بما فيه صلاح الجمهور؛ ومن رغب في آتباع أراض وقراح، وأيقنة
وأملك ورحاب فساح؛ مما هو جار في ملك بيت المال فليؤقر جانب القيمة
على ما فيه الصلاح، وهو بمحمد الله من بيت الدين والصلاح والإصلاح، وهو يقوى
بإسناده الأحاديث الصحاح؛ ومن له حق في بيت المال فليسمع دعوى مؤديه،
ولا يصرف درهمهما ولا شيئاً إلا بحق واضح فيما يثبت فيه، وهو ويكل مأموناً في تأتيه،
ومعنى الوكيل الذي يوكل إليه الأمر الذي يليه .

والوصايا كثيرة وأجلها تقوى الله بالسَّمْع والبَصَر واللسان، فمن تمسك بها من
إنسان فإنه يفوز بالإحسان؛ وهو غني عن الوصايا بما فيه من البيان، والله
يصله في كلاءة الرحمن؛ بمنه وكرمه ! . والخط الشريف أعلاه إن
شاء الله تعالى .

قلت : وقد يكتب لوكالة بيت المال ونحوها بالاختصاص بـ «أما بعد» على
قاعدة أصل الكتابة في قطع الثلث . والكاتب في ذلك على ما يراه بحسب ما يقتضيه
الحال .

المرتبة الثانية

(من نواقيع أرباب الوظائف الدينية بطرابلس - من يكتب له
في قطع العادة ، مفتتحاً به «رسم»)

وهذه نسخة توقيع من هذه الرتبة بوظيفة قراءة الحديث النبوي ، على قائله
أفضل الصلاة والسلام ، لمن أسمه « يحيى » يستضاء به في ذلك ، وهي :

رسم بالأمر الشريف - لا زال ريم الفضل بأزواج عنايته يحيا ، وأحاديث منته
الحسان تبعها أذن وأعية من طيب السماع لا تعباً ؛ ولا يرحت أولياء خدمه تثنى
على صدقاته بالنسبة للأفلام ، وتدير على الأسماع من رحيقها كغوصاً مسكية
الختام - أن يستقر في كذا استقراراً ترشف الأسماع ، كغوص روايتها فلا تروى ،
ورتب كماله يقصر عن طلوعها كل باع ، فأنواته لا تنوى ؛ ورُبوع معروفه لا تزيد ،
وآيات صلاحه ينطق بتلاتها كل بلغ فيبدى ويبيد ؛ لأنه العالم الذي أحيا من
مدارس العلوم مدارس ، والفاضل الذي أضاء بيصر طومه ليل الجهل ولا غرو :
« فطرة الصبيح تحيى آية الفلاس » ؛ والكامل الذي لا يسوب كماله قبيصه ، والإمثل
الذي أنه المعالي رخصه ؛ والإمام الذي تأتم وراءه الأفاضل ، وأتخر عصره ففاق
الأوائل ؛ مدارس إلا وجمع من فوائد « أبي حنيفة » و« ابن إدريس » ، ولا عر من
بلي الطلبي إلا حمد عند إدراك طلبه ذلك التعريس ؛ ولا أعاد الدروس للطلبة
إلا وترتحت منه بالفوائد ، ولا جمع ما فصله العلماء إلا وأتى بالجمع الذي لا نظير له
في القرائد .

فليأثر هذه الوظيفة مباشرة أنوار هداها لا تحمد^(١) ، وليلازمها ملازمة تشكره عليها الأئمة وتحمده ، وأنت - أدام الله تعالى فوائده - لا تحتاج إلى الوصايا إذ أنت بها عالم ، وبأسبابها متمسك ، وبالقيام بها يقف غير نائم ، لكن التقوى [أولى] بمن عرف الأمور ، وليس سبوايها يُبعد كل محذور ، والاعتماد على الخط الشريف أعلاه .

الصف الثالث

(من الوظائف بطرابلس التي يكتب لأربابها من الأبواب السلطانية -
الوظائف الديوانية ، وهي على مرتبتين)

المرتبة الأولى

(ما يكتب في قطع الثلث بـ «المجلس السامي» بالياء ،
وتستعمل على وظائف)

منها - كتابة السر ، ويعبر عنه في ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بـ «صاحب ديوان المكتبات» .

وهذه نسخة توقيع من ذلك ، وهي :

الحمد لله الذي جعل الأسرار عند الأحرار ، وطوى الصحف على حسرات الأبرار ، وأجرى الأقلام ترجماً للأفكار ، وجعل الحفظة يكتبون الأعمال مع تطاول الأعمار ، آفة الليل وأطراف النهار ، وبسط المعاني أرواحاً ، والألفاظ لها أشباحاً ، مع التكرار ، وأبجج الصدور بصور الكتب والإيراد والإصدار .

(١) في القاموس نزلت التاركصرو ومع .

نحمده على فضله المندار ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
إقرار ، وعمل بالجوارح بلا إنكار ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المصطفى
من مضر بن نزار ، المخصوص بالمهاجرين والأنصار ، التأوى بأشرف بقعة تزار ،
المشرف ككباب الوحي : فهم يكتبون بما يُمليه عليهم المختار ، وجبريل يُلقي على قلبه
الآيات والأذكار ، عن رب العزة المسيل الأستار ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
ما نفع روض ميطار ، وحي صوب أمطار ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن ملاك الملك الشريف حفظ سره ، والأحفال بكثبه الشريفة
ولفظها ودره ، وخطابها وثره ، وخطها ونشره ، وختمها وعطره ، وتجهيزها مع الأمان
الثقات الذين يؤمن غائلة أحدهم في كل أمره ؛ وما ألقى السر الشريف إلا لأهل
الأمان ، وصدر الزمان ، وبلغ كسحبان ، وقصيح كقش في هذا الزمان ، وأصيل
في الأنساب ، وعريق في كرم الأحساب ، وقاضيل يعنوله قاضل بيسان ، ويثنى
لفظه الدر والمرجان ، وكاتب السرفلا يهوه بلسان .

ولما كان فلان هو واسطة عقد الأفاضل ، ورأس الرؤساء الأماثل ، وحافظ
السر في السويدة من قلبه ، وناظم الدر في سطور كتبه ، والمورد على مسامعنا
الشريفة من عبارته ألفاظا عذبا ، القائل صوابا ، والمجيد خطابا ، وإذا جهز مهما
شرفا راعاه بعينه عودا ونحوبا ، وإذا استعطف القلوب النافرة عادت الأعداء
أحبابا ، وإذا أردد وأبرق على مآزري أغنى عن الحيوش وأبدى عجبنا نجابا ، وإذا
كتب أثبت في القرمطاس رياض خصابا .

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه كذا . فليحل هذا المنصب الشريف
حلول القمر هالته ، وليعد إليه أيام سره وسروره الفاتية ، وليعرب عن أصول فاتيته ،

وفُروِج في منابت الخَيْرِ نَابِتَةٍ ؛ وَلِيَنْفِذَ الْمَهْمَاتِ الشَّرِيفَةَ أَوَّلًا نَاوِلًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَلْقَى
 مُهِمًّا بغيرِهِ أَوْ يَسِيَّتَهُ إِلَى غَدِهِ ، وَلِيَحْرَرَ الْبَرِيدَ الْمَنْصُورَ بِيَدَيْهِ غَيْرَ مُعْتَمِدٍ فِيهِ عَلَى غَيْرِ
 رَشِيدِهِ ، وَلَا يَغِيبُ عَنْ وَظِيفَتِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ بَلْ يَكُونُ كَالنَّجْمِ فِي رَصَدِهِ لِمُرْتَصِدِهِ ؛
 وَلِيُؤْصِ كُتَّابَ الْإِنْشَاءِ لَدَيْهِ ، وَالْمُنْتَصِرِّفِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، بِكَيْفِ السَّرِّفَانِ ذَلِكَ إِلَيْهِ ؛ فَإِذَا
 أَفْنَى أَحَدًا مِنَ السَّرَّكَلَةِ ، فَلْيَزَجِرْهُ وَلْيَأْمُرْهُ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ وَقَلَمَهُ ، وَلْيُعْطِ كُلَّ قَضِيَّةٍ
 مَا اسْتَحَقَّهَا مِنْ تَنْفِيدِ كَلِمَةٍ ؛ وَالْإِبْتِدَاعَاتُ وَالْأَجُوبَةُ فَلْيُكُنْ نُورُهَا بِالْفَاظَةِ مُتَشَبِّهَةً
 وَعُقُودُهَا بِإِمْلَاحَةِ مُنْتَظَمَةٍ ؛ فَأَمَّا الْإِبْتِدَاءُ فَهُوَ عَلَى اقْتِرَاحِهِ ، وَأَمَّا الْجَوَابُ فَهُوَ عَلَى
 مَا يَقْتَضِيهِ الْكُتَّابُ الْوَاردُ بِاصْطِلَاحِهِ ، وَلَا يَمِيلُ إِلَّا إِلَى تَهَانِهِ وَنُصَاحِهِ ؛ وَالْكَتَبُ
 الْمُلُوكِيَّةُ فَلْيُوقِفْهَا مَقَاصِدَهَا ، وَلْيَرِاجِعْ عَوَائِدَهَا ، وَالتَّقْوَى فَهِيَ الْهَامُّ [مِنْ] أَمْرِهِ ، وَخِتَامُ
 عِطْرِهِ ، وَتِمَامُ بَذَرِهِ ؛ وَالْوَصَايَا فَهِيَ كَثِيرَةٌ لَدَيْهِ وَفِي صَدْرِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَكْمُلُ بِهِ
 أَوْقَاتَ عَصْرِهِ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! وَالْخَطُّ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ

ومنها - نظر المملكة ، القائمة بها مقام الوزارة .

وهذه نسخة توقيع من ذلك ، وهي :

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُفِيضِ حُلَلِ إِنْشَائِنَا عَلَى مَنْ أَخْلَصَ فِي طَاعَتِنَا الشَّرِيفَةِ قَلْبَهُ وَلِسَانَهُ ،
 وَمَوْلَى قَضَائِ الْإِنْيَا الْعَمِيمَةِ عَلَى مَنْ أَرْهَفَ فِي مَصَالِحِهَا آلَةَ عَزَمِهِ وَبَنَانَهُ ؛ وَمَحَلِّ
 رُتَبِ عَلَيَانَا الشَّرِيفَةِ بَيْنَ أَشْرَقِ فِي سَمَاءِ الْمَعَالِي بَذَرِهِ وَإِنْشَائِنَا ، وَأَيُّمَتْ فِي غُصُونِ
 الْأَمَانِ قُطُوفَهُ وَأَفْنَانَهُ .

نَحْمَدُهُ حَمْدًا يَبْلُغُ [بِهِ] أَقْصَى غَايَةِ الْمَجْدِ مَنْ تَبَنَّى بِجَبَلِ قَطْرِهِ الثُّغُورَ ، وَتَعَتَّمَ بِجَمِيدِ
 خَبَرِهِ وَخَبَرَتِهِ الْأُمُورَ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُشْرِقُ بِهَا

البُدر، وِعمدٌ عليها في الأيام والنهور؛ ونشهدُ أنَّ سيدنا محمداً عبده ورسوله
المهدي إلى الحقِّ وإلى طريقِ مُستقيم، والتَّائشُّ لواءَ العتَلِ بسنِّهِ الواخِجِ وشرِّهِ
القويم؛ وعلى آله وصحبه الذين آهَدُوا بهنَّهم ذُؤُ البصائر والأبصار، وأرْتَدُّوا
بأرْدِيَتِهِم المَعْلَمِيَّةَ مَقْنَى الأَمَارِ مِنَ النَّظَارِ؛ وسلِّم تسليماً .

وبعدُ، فإنَّ أَوَّلِيَّ مَنْ أَسْنَدْنَا إِلَى نَظَرِهِ الجَمِيلِ رُتْبَةً عِزِّ مَا زَالَتْ بَنُو الأَمَالِ عَلَيْهَا
تَحُوم، وَصَدَقْنَا بِتَدْيِيرِهِ الجَمِيلِ مَتَّصِبَ مِيَادَةِ مَا بَرَحَتْ الأَمَانِيُّ لَهُ تَرْوَم، وَأَعَمَدْنَا
عَلَى هِمِّهِ العَلِيَّةَ فَصَدَّقَ الخُبْرَ الخَبِرَ، وَرَكَّأَ إِلَى حَمِيدِ رَأْيِهِ فَشَهِدَ السَّمْعُ لَهُ وَأَدَّى
النَّظَرُ .

ولمَّا كَانَ فَلَانٌ هُوَ الَّذِي رَفَى فِي ذِرْوَةِ هَذِهِ المَعَالِي، وَأَتَقَطَّ بِهَ عِقْدُ هَذِهِ الأَلَى،
وَحَوَى بِفَضِيلَةِ البَيَانِ وَاللَّسَانِ مَا لَمْ تَدْرِكْهُ المُرْهَفَاتُ وَالْعَوَالِي؛ فَمَا حَلَّ ذِرْوَةَ عِزِّهِ
إِلَّا حَلَّاهَا بِنَظَرِهِ الجَمِيلِ، وَلَا رَفَى رُتْبَةَ سِيَادَةِ إِلَّا وَأَسْفَرَ فِي ذِرْوَتِهَا وَجْهَهُ صُبْحَهُ
الجَمِيلِ، وَلَا عُذِقَ بِنَظَرِهِ كِفَالَةُ رُتْبَةٍ إِلَّا وَكَانَ لَهَا خَيْرٌ كَفِيل .

فلنلك رُسم بالامر الشرف - لا زال ينتهي للربب الطيبة خير منجد ومفيد،
ويختار للنائب السنية نعم المولى ونعم النصير - أن يفوض إليه كذا فإنه القوي
الأمين، والمتمسك من تقوى الله تعالى وكفايته بالسبب المتين، والمستند بجميل
كفائته وحيد دياره إلى حصن حصين، والمستدرى بأصاليه الطاهرة وإصابته إلى
الجنة الواقعة والحرم الأمين .

فليقدم خيرة الله تعالى ويأشركه المذكرة بزم لا يلبو، وهمة لا تنجو، وتدبير
يتضاعف على ممر الأيام ويروى، ونظر لا يعزب عن مباشرته مثقال ذرة إلا وهي
من خاطره في قرار مكين، وضبط لا تمتد إليه يد متمس إلا ويجد من مرهفه

ما يُكْتَفَى كَفَّهَا بِالْحَدِّ الْمَيْمَنِ . وَلِيُضَافَ هِمَّتُهُ ، فِي مَصَالِحِ هَذِهِ الْجِهَةِ الَّتِي صَدَّقْنَاهَا
بِنَظَرِهِ السَّعِيدِ ، وَلِيُؤَقِّرَ عَزَمَتَهُ ، فَإِنَّ الْحَازِمَ مِنَ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ؛ وَالْوَصَايَا
كَثِيرَةٌ وَمِثْلُهُ لَا يُدَلُّ عَلَيْهَا ، وَاتَّعِظْ بِهَا ، وَاتَّعِظْ بِهَا وَاحِدَةً وَهُوَ . وَقَدْ أَهْدَى مِنْ أَنْ
يُرْسَدَ إِلَيْهَا ؛ وَاللَّهُ يُؤَقِّقُهُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، وَيُصْلِحُ بِجَمِيلِ تَكْوِينِهِ وَحَمِيدِ تَأْنِيهِ كُلِّ
خَلْقٍ ؛ وَالْإِعْتِمَادُ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ومنها - نظر الجيش بها :



وهذه نسخة توقيع بها لمن لقبه «شمس الدين» وهي :

الحمد لله الذي أطلع في سماء المعالي شمساً منيرة ، وأنبغ غروباً أولى الصدارة
بمهاد محب عوارفه الغزيرة ، وأبدع الإحسان إلى من قدّمه الاختيار والاختيار
على بصيرة .

محمد علي نعيمه التي عم فضلها ، وممد علي أولياء الدولة القاهرة ظلها ؛ ونشهد أن
لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تزلزل لديه ، وتُسَلِّفُ ما يَجِدُهُ الْمُتَمَسِّكُ
بِهَا يَوْمَ الْعَرْضِ عَلَيْهِ ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله أشرف من بعث إلى الأمم
كافه ، وأكرم من غدت أملاك النصر بآيته حافه ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
الَّذِينَ حَازُوا بِصُحْبَتِهِ الشَّرَفَ ، وَفَازُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ مِنَ الْخُنَانِ بِغُرْفٍ مِنْ
فَوْقِهَا غُرْفٌ .

وبعد ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَا عِدَقَ بِالْأَكْفَاءِ ، وَأَحَقُّ مَا صُرِفَ إِلَيْهِ وَجْهَ الْأَعْتِنَاءِ ،
وَأَجْدَرُ مَا أَوْفَقَ لَهُ طَرَفٌ كَفَّ لَا يُلِمُّ بِالْإِعْغَاءِ - أَمْرُ الْجِيُوشِ الْمَنْصُورَةِ بِطَرَابُوسِ

المحرومية التي لا ينهض بأعباء مصالحها إلا من عُرف بالسداد في قلبه وكمه ، وأُلف منه حُسن التصرف فيما يُبديه من نزاهته ويُظهره من هممه ؛ بغيره مُؤكّده ، وآراء مسنّده ؛ ومعرفة أوضاع ترتيبها وأحوالها ، وقواعد مُقدماتها وأبطالها ، وكفاية تفتح رحاب حالها .

ولما كان فلان هو الصدر الملىّ يوافي الضبط ووافر الأهتمام ، والكافي الذي نطقت بكفايته أيسنة الخرصان وأقواء الأقطام ، والضابط الذي لا يسجز قهمة عن إحاطة العلم بدوى الآلام .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال يقدّم للراتب ، كافياً مشكوراً ، وبرّقع للناصب ، صدرًا أحمى بالأمانة مشهوراً - أن يفوض إليه كذا : لآله الصدر الذي تراحت أيسنة الثناء عليه ، وترادفت بين أيدينا عاممته فقزنا العوارف لديه ؛ وشكرت عندنا هممه في سداد كل ما يباشره ، ودكرت لدينا بالخير سيرته وسرايره .

فلْيباشر هذه الوظيفة الجليلة متحلياً بين الأنام بعقودها ، مُطلعاً شمس نزاهته في فلك مسعودها ؛ ناهضاً بأعباء منصبه السعيد ، ضابطاً قواعده بكل محرر تليد ؛ متقناً ديوان الجيوش المتصوره ، مُعملاً في ملاحظتها نافذ البصر وحسن البصيرة ؛ مُحَرِّراً أوراق العدة والعُدّه ، باذلاً في ضبط الحل أهتمامه وجهده ؛ والله تعالى يُسعدُ جدّه ، ويُجندُ سعده ؛ والخط الشريف أعلاه إن شاء الله تعالى .

قلتُ : وربما كُتب مفتتحاً في هذه الرتبة بـ «أما بعد» فإنها أصل ما يكتب في قطع الثالث .

المرتبة الثانية

(من مراتب أرباب الوظائف الديوانية بطرابلس - مَنْ يُكْتَب له في قَطْع
العادة بـ «مَجْلِس القاضى»)

وهو قليل الوقوع . والغالب في ذلك أن يكتب عن نائب السلطنة بها .
وهذه نسخة توقيع من هذه الرتبة بكتابة الدست بطرابلس ، يقام عليه ما عده
من ذلك ، وهى :

رُسم بالأمر الشريف - لازال أمره الشريف ، يزيد من يصطفيه شرفاً ، ويره
المنيف ، يُفيد من يجتنبه تحفاً ، وخيره المطيف ، يُجيد لمن يختاره جوداً ، ويسر قلب
مَنْ رفعه إلى صدر الدست صعوداً ، فيؤتاه من جنات العلاء غرماً - أن يستقر
في كنا : استقراراً يُجنى منه ثمار الخيرات ، وتُجلى عليه عروس المسرات ؛ لأنه
الرئيس الذى تفتخر هذه الوظيفة بانتسابها إليه ، وتُجمل حلها وألويتها إذا نُشرت
عليه ؛ والفاضل الذى ألفت إليه البلاغة زمامها ، والكايل الذى ملك بيانتها ونظامها ؛
والأديب الذى لا يترك في الآداب ، واللييب الذى يقصر عنه طول عامة الطلاب ؛
كَمْ له من كتابة حسنة الأساق ، وبلاغة حصل على فضلها الاتفاق ، وديانة أطلق
فيها لسانه ويده فشكرها الناس على الإطلاق ؛ فهو مُستند الرأس ، وأبن من حاز
كل نثار ورأسه ؛ والعلم المشهور علمه ، وصاحب القلم المشكور رقه ؛ فالنائب
بارتفاعه إليها مُفتخره ، والمراتب بعلائه مُستشيره ؛ والاشباع بفضائله مُستفنه ،
والاشباع بكليته مُشرفه .

فليباشر هذه الوظيفة ، وليسلك فيها طريق نفسه العفيفة ؛ وليدبج القصص
بأقلامه ، وليبجج التواقيع بما يوقع منهم فصيح كلامه ؛ وليزين الطروس بكتابه ،

وَلْيُنْعَشِ النَّفْسَ ، بِبِلَاقَتِهِ ؛ وَلْيَجْمَلْ مِنَ الْمُبَاشَرَةِ مَا تُصْبِحُ مِنْهُ مَطَالِعُ شَرْفِهِ
مُنِيرِهِ ، وَتُحْمَى بِهِ عَيْنُ حُبِّهِ قَرِيرِهِ ؛ وَالْوَصَايَا فَهُوَ خَطِيبُ مَنِيرِهَا ، وَلْيَبْ مَوْرِدِهَا
وَمَصْدَرِهَا ؛ وَالتَّقْوَى فَيَلَازِمُ فِيهَا شِعَارَهُ ، وَلْيَدَاوِمْ بِهَا عَلَى مَا يَلْتَمِزُ بِهِ أَوْطَارَهُ ؛ وَاللهُ
تَعَالَى يَجْعَلُ سَعُودَهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي آزْدِيَادٍ ، وَيَسْهَلُ لَهُ مَا يَرْفَعُ ذِكْرَهُ بَيْنَ الْعِبَادِ ، بِمَنَّةٍ
وَكَرَمِهِ ! . وَالْإِعْتِمَادُ فِي ذَلِكَ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَغْلَاهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

النوع الثاني

(من الوظائف بطرأئس - ما هو خارجٌ عن حاضرتها ،
وهم على ثلاثة أصناف أيضا)

الصنف الأول

(أرباب السيوف)

وقد تقدّم أنّه ليس بها مقمّم ألف سوى نائب السلطنة بها ، وحيث أنّ فالتنابات
بعامتها على طبقتين :

الطبقة الأولى

(الطلّخا ناه)

وَمَرَّاسِيَهُمْ تُكْتَبُ فِي قَطْعِ التَّلْتِ بِـ«السَّامِي» بِالْيَاءِ ، مُفْتَتِحَةً بِـ«الْحَمْدُ لِلَّهِ» .

وهذه نسخة مرسوم شريف من ذلك بنبابة قلعة ، تصلح لنائب الأذقية ،
يُنْسَجُ عَلَى مَنَاحِلِهَا ، وَهِيَ :

الحمد لله الذى جعل الحصون الإسلامية فى أيامنا الزاهرة ، مصفحةً بالصفاح ،
والثغور المصونة فى دَوْلَتِنَا القاهرة ، مشرفةً بأَسِنَّةِ الرِّماح ، والمعاقِل المحروسةَ مخصصةً
من أوليائنا بمن يُعَدُّ بأُسِهِ لما أَوْقَى الجَنَنِ وذَبَهُ عنها أقوى السِّلَاح .

لنحمد على نِعَمِهِ التى عَوَارِفُهَا عَمِيمَةٌ ، وطَوَارِفُهَا كَالثَّالِدَةِ لِلزَّيْدِ مُسْتَدِيمَةٌ ؛ ونشهدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له شهادةً تَنطِقُ الضمائرُ قبل الألسنة بإخلاصها ،
وتُثْرِقُ القلوبُ بعموم إحاطتها بها واختصاصها ؛ ونشهدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الذى
أَشْرَقَتْ بنورِ بَلَدِهِ الظُّلُمُ ، وَارْتَوَتْ بِقُورِ شَرِيْعَتِهِ الأُمَمُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
وَحَبَبِهِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى جِهَادِ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَأَعْدَائِهِ غَارِبِ الْهَيْمِ ، صلاةً ساريةً
كالرِّياحِ هاميةً كالْدِّيمِ ؛ وسَلِّمْ تسليماً كثيراً .

وبعدُ ، فَإِنَّ أَوْلَى مَا عَفِدَ عَلَيْهِ فى صِيَانَةِ الْحُصُونِ الْخَاصِرِ ، وَأَعْتَمَدَ عَلَى مِثْلِهِ
فى كِفَايَةِ الْمَعَاوِلِ إِذَا لَمْ يَكُنْ غَيْرَ تَأْيِيدِ اللَّهِ وَحَدِّ السَّيْفِ نَاصِرٍ - من هو فى حِفْظِ
مَا يَلِيهِ كَالصُّدُورِ التى تصونُ الأَسْرَارَ ، وَالْكَلَامِ التى تحوطُ الثَّمَارَ ؛ مع اليَقَظَةِ التى تَدُودُ
الطَّيْفَ أَنْ يُلْمَ بِجَمَاعَةِ حَاهِ ، وَالْفِطْنَةِ التى تُصَدِّ الْفِكَرَ أَنْ يَحْتَمِلَ فِيهِ مَا أَشْتَمَلَ عَلَيْهِ
وَحَوَاهِ ، وَالْأَمَانَةِ التى يَبْنِى فِيهَا طَاعَةَ اللَّهِ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطَاعَتَنَا
الشَّرِيفَةَ وَلِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَاهِ .

ولما كان فَلَانٌ هو السيف الذى تروق تجرِبَتُهُ ويروع تجرِيدُهُ ، وإذا ورد
فى الْوَعْيِ مَنَهْلٌ حَرْبٍ فمَشْرَعُهُ من كُلِّ كَيْفٍ وَرِيدُهُ - أَقْتَضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةُ أَنْ نُزَهِفَ
حَدَّهُ بِحِفْظِ أَسْنَى الْحُصُونِ عِنْدَنَا مَكَانًا وَمَكَانَهُ ، وَأَسْمَى الْمَعَاوِلِ رِفْعَةً وَعِزَّةً وَصِيَانَةً .

فُسِّمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ تَفُوضَ إِلَيْهِ النِّيَابَةُ بِقَلَاعَةِ كَذَا .

فليباشر هذه النياية السامية قدرها ، الكامل في أفعي الرتب بذرها ، مباشرة تصد
الأفكار ، عن توهيمها ، والأبصار ، عن توشيمها ، والخواطر ، عن تحييل مفتناها ،
والسرائر ، عن تمثيل صورتها ومعناها .

وليكن لمصالحها متممها ، ولنجوى رجالها متصفها ؛ ولأفكار حمايتها مزيها ،
ولخواطر من أسباب كفايتها مزيها ؛ ولوواطنها عامرا ، وبما قل وجل من
مصالحها آسرا ؛ ولوظائفها مقيما ، ولتنظر في الكبير والصغير من أمورها مديما ؛
ونحنمتها مضاعفا ، ولكل ما يتعين الاحتفال به من مهماتها واقفا ؛ وملاك الوصايا
تقوى الله : وهي أول ما يقسمه بين يديه ، وأولى ما ينبغي أن يصير نظره إليه ؛
فليجعل ذلك خلق نفسه ، ومزينة يومه على أمسه ؛ والخير يكون . وانخط الشرف
أعلاه ، إن شاء الله تعالى .

الطبقة الثانية

(العشرات)

ومراسيمهم إن كتبت من الأبواب السلطانية في قطع الثلث بـ «السامي» بغير
ياء ، مفتوحة بـ «أما بعد» إلا أن الغالب كتابتها عن نائب السلطنة .

وهذه نسخة مرسوم شريف بناية قلعة بلاطنس ، من معاملتها وهي :

أما بعد حمد الله على نعم توالى رفقها ، ووجب شكرها وحملها ، وعذب لندي
الآمال وردّها ؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي رفع به لقرينس مجدها ،
فعلا جنتها ، وعلى آله وصحبه صلاة لا يحصى عددها ولا يحصر حملها - فإنه لما كان
فلان من قدمت تقدم خدمه ، وتعالى به إلى العلياء سامي هممه ، وترفع به حسن

ولأنه حتى أعلت الدولة من شأنه ورفعت من عليه ؛ واستكفته لمصون الحصون ،
وجادت عليه بصوب إحسان روى الأمانى فأضحت نيرة الفصون ؛ وكانت قلعة
فلانة هي القلعة التي شمتت بأنفها على القلاع علوا ، وسامت الجوزاء سُموا ؛ فوجب
أن لا يُستحفظ عليها وفيها ، إلا من عُرف بحسن المحافظة وتوفيقها ؛ وكان المشار
إليه هو مين هذه الأوصاف ، والوارد من حُسن الطاعة المورد الصاف - أقتضى
حسن الرأي الشريف أن تُتوه بذكره ، وترفع من قدره .

ولذلك رُسم ... - لا زال ... أن تفوض إليه النيابة بهذه القلعة المحروسة ،
وأن تكون بأوامر صفاته مأنوسه .

فليكن فيما أمتحفظ كُفوا ، وليُورد الرعية من حُسن السيرة صفوا ، وإذا
تعارض حكم الانتقام وكان الذنب دون الحد فليقدم عفو . وعليه بالعدل ، فإنه
زمام الفصل ، والقلعة ورجالها ، ودخايرها وأموالها ، فليُعين النظر في ذلك بكرة
وأصيلا ، وإجمالا وتفصيلا ، وتخصيلا وتخصيلا . وعليه بالتمسك بالشرعة المطهرة ،
وأحكامها المحررة ؛ وليردع أهل الفساد ، ويقابل من ظهر منه العناد ، بما يؤمن
المنهج ، ويحدد المباحج ؛ والوصايا كثيرة ، فليكن مما ذكر على بصيره ؛ أعانه الله على
ما أولاه ، ورعاه فيما أسترطاه ؛ والخط الشريف أعلاه ، حجة بمقتضاه ؛ والخير يكون
إن شاء الله تعالى .

الصنف الثاني

(مما هو خارج عن حاضرة طرابلس - الوظائف الدينية ،)

والغالب كتابتها عن نائب السلطنة بطرابلس . فإن كُتب شيء منها عن الأبواب
السلطانية ، كان في قطع العادة «يعطى القاضي» مفتحا بـ «رسم» .

وهذه نسخة توفيق من ذلك بنظر وقف على جامع بمعاملة طرابلس، كتب به
لن لقبه «زين الدين» وهي :

رسم بالأمر الشريف - لا زال كريم نظره يستيب عنه بمصالح بيوت الله تعالى
من تردد بنظره شرفاً وزينا ، ويعين لها من الأعيان من شربها خاطراً وتقر به
عيناً ، ويمسحها من إذا باراه مبارك وجد بينهما بونا وبيتاً ، ويقتر لها كل كاف
إذا فاه راء بوصف آرائه الملوحة حين صوابها ولا يحمد عليها عيناً - أن يستقر بالنظر
على كذا : استقراراً يرى الوقف بنظره على ربه طلاوه ، ويحمد بمباشرة في صفته
حلاوه ، ويعرب عن استمراره على حسن الثناء ، ويحمد من نبيل ربه أجل وقاه ؛ لأنه
الناظر الذي لا يمل إنسانه ، من حسن النظر ، ولا يكل لسانه ، عن الأمر بالمصالح
ولفظه عن إلقاء الدرر ، والشرف الذي وجدت غايلاً شرفه من فضل خلاله ،
والجواد الحائر يجوده قصب السبق على أمثاله ؛ والكاامل الذي لا توجد في صفاته
قيصه ، والفاضل الذي أنته الفضائل على رغبها رخصه .

فلينشر هذا النظر مباشرة ما تكمل ناظره فيها بالوسن ، وليقابلها من جهيل سلوكه
بكل وجه حسن ؛ وليبدأ أوقاف الجامع المذكور بالعارة ، وليقطع بمذبة أمانه
يد من يشن على ماله العاره ؛ وليأمر أرباب وظائفه بالزوم ، وليخص كل منهم
من فضله بالعموم ؛ وليتيق الله تعالى في القول والعمل ، وليجتهد على أن لا يتخلل
مباشرة اختلال ؛ والاعتقاد على الخط الشريف أطلاه

الصنف الثالث

(مما هو خارج عن حاضرة طرابلس - أرباب الوظائف الديوانية)

وقل أن يكتب فيها شيء عن الأبواب الشريفة السلطانية، وأن الغالب كتابة ما يكتب فيها من نائب السلطنة بطرابلس . فإن اتفق كتابة شيء من ذلك عن الأبواب السلطانية، متى الكاتب فيه على نهج ما تقدم في الوظائف الدينية : من كتابته في قطع العادة بـ «مجلس القاضي» مفتوحاً بـ «رسم» لا يختلف الحال منه في ذلك إلا في الفرق بين التعلقات الدينية والديوانية . والكاتب الماهر يصرف قلبه في ذلك وفي كل ما يحدث من غيره على وفق ما تقتضيه الحال، وبالله المستعان .

النيابة الرابعة

(نيابة حماة . ووظائفها التي يكتب بها من الأبواب السلطانية ،

ما بحضورتها خاصة ، وهي على ثلاثة أصناف)

الصنف الأول

(أرباب السيوف)

وليس بها منهم إلا نائب السلطنة خاصة . ويكتب له تقليد في قطع الثلاثين بـ «الجناب العالي» مع الدعاء بمضاعفة النعمة .
وهذه نسخة تقليد نيابة حماة :

الحمد لله ذي التدبير اللطيف ، والعون المطيف ، والحياطة التي تستوعب كل تصرف وكل تكليف .

نحمده بحماد جميلة التقويف، حسنة التأليف، مكملة التكيف، بريّة من الطّيف، حرّية بكلّ شكرٍ منيف، وذِكْرٍ شريف؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة خلص تحررها عن كلّ تحريف، وتزّه مقالها عن تسويد تفنيد أو تسويف؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله صاحبُ الدين الحنيف، والمبعوث بالرحمة والتّخفيف؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة متناوبة تتأوب الصّيرر والصّريف، والشتاء والمصيف؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد، فإنّ من شيم الدولة ومجايها، وأحكامها وقضايها؛ تقديم الأهم فالأهم، وتخصيم الأثمن من الرأى وتخصيم التدبير الأعم؛ وفعل كلّ ما يحوط الممالك ويحفظها، ويؤدّي العيون للاحتياط ويوقظها؛ لما أوجب الله من حقوقها، وحظّرها من عقوبتها؛ ولا يكون ذلك إلا باختيار الأولياء لضبطها، والتّحويل على الأملاء بالقيام بشرطها، والاستناد من الرّعاء إلى من يوفّي من الخراجة والعون وأفي قسطها .

ولما كانت المملكة الحيويّة جديرة بالانكشاف، حقيقة بالحياطة من جميع الجهات؛ مستلعية من جيل النظر كلّ ما يحرس ريعها، ويديم نفعها، ويحفظ ضرعها، ويلم شعثها ويسعّب صدعها، ويسرّ سمعها، ويغمّ شرعها، ويعظم شرعها؛ ويكتنفها اكتناف السور والسوار، والمسالّة للبئر والأكام للنّار؛ وكان فلان هو المتفشّ محاب هذا الوصف عن بذر المنير، والمتقلّع ضباب هذا التفويض عن نور شمسه المنعشة قوى كلّ نبت نصير؛ والذي بأهليته لرتبة هذا التفويض ما خاب المستخير، ولا نيم المستشير، والذي يفرّده استحقاقه بهذه الرتبة فلا يقول أحد من كبير ولا صغير أمثالاً للرّاسم الشّريفة في حقّه : « منّا أمير ومنكم أمير » - آتقضى

(١) في القاموس "رجل نزاج ولّاج كثير الطرف والاحتيا" ولعله المراد هنا .

جميل الرأي الثنيف ، أن خرج الأمر الشريف - لا برج يُحسِن التَّعْوِيل ، ويَهْدِي إلى سواء السبيل ، ويمتضى مضاء القضاء المُتَرَل والسيف الصَّقِيل - أن تقوَّض إليه نيابة السلطنة المعظمة في مملكة كذا وكذا .

فَلَقَدْ سَمَّ خَيْرَ اللَّهِ قَائِلًا وقاعلا ، ومُقِيًا وراحلا ، ومُوجَّها ومُواجِها ومُسَجِّلا وساجلا ، وعلِيًا وعاملا ؛ ومعتمدا على الله في أمره كُلِّهِ . وليَكُنَّ من هذه المعرفة قريبا ، وعلى كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى عَلَى نَفْسِهِ رَقِيًّا ؛ وإذا أَتَى الله كِفَاهَ اللَّهِ النَّاسَ ، وإن أَتَى النَّاسَ لَمْ يُشْتَوْا عَنْهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا فَلْيَقِسْ عَلَى هَذَا الْقِيَاسِ ، وَيَقْتَسِمِ هَذَا الْاِقْتِبَاسَ .

وأما الوصايا فالعساكر المنصورة هم غَلْبُ الظُّفَرِ وظُفْرُهُ ، وبهم يُكشَفُ من كلِّ عَدُوٍّ سرُّهُ ، ويَحُلَّى وطنُهُ ووَكْرُهُ ، ويضربُ زِيْدُهُ وعَمْرُهُ ؛ وَيَبْدُ جَمْعُهُ ، ويُسَاءُ صُنْعُهُ ، ويعمى بَصَرُهُ ويَصْمُ سَمْعُهُ ؛ وهم أسوارُ نِجَاهِ الْأَسْوَارِ ، وأمواجُ تَنْدَفِيعٍ وَتَنْدَفِيقٍ أعظم من أندفاق البحار ، وما منهم إلا مَنْ هو عندنا لِمَنِ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ ؛ فَأَحْسِنِ اسْتِجْلَابَ خَوَاطِرِهِمْ ، وَاسْتِجْلَابَ بَوَاطِنِهِمْ وَسِرَائِرِهِمْ ، وَاسْتِجْلَابَ الشَّائِعِ مِنْ طَاعَتِهِمْ فِي مَوَارِدِهِمْ وَمَصَادِرِهِمْ ؛ وَكُنْ عَلَيْهِمْ شَفِيقًا ، وبهم في غير الطاعة والاستعباد رَفُوقًا ، وأوجب لهم بالجهد والاجتهاد حُقُوقًا ، وأصرف لهم حِمْلًا لأعباء المهام والمهمات مُطِيقًا ؛ وَاسْتَشِرْ مِنْهُمْ ذَوِي الرَّأْيِ الْمَصِيبِ ، وَمَنْ أَحْسَنَ التَّجَرُّبِ ، وَمَنْ تَحَقَّقَ مِنْهُ النَّصِيحُ مِنَ الْكُھُولِ وَالشَّيْبِ ، مِمَّنْ كَلَّ بِغِيْرَةِ مَنْهُ مَا شَبَّ فَإِنَّ الْمَرْءَ كَثِيرُ بَأْخِيهِ ، وَإِذَا اجْتَمَعَتْ غُصُونٌ فِي يَدٍ أَيْدٍ عَسَتْ عَلَى قَصْفِهِ وَقَصَفٌ كُلٌّ وَاحِدَةٌ فَوَاحِدَةٌ لَا يُعِيْهِ .

(١) في الأصل "السامع مع من" الخ وهو تحريف كما لا يخفى .

(٢) في اللسان "عسى القضيبي عيس" . وهو مناسب لتمام .

والجهادُ فهو ملائكةٌ كلُّ استِحواءٍ واستِحواذٍ ، وبه يُتَمَيَّزُ أَفْصَالُ الْكُفَّارِ بِالْفَنَادِ وَأَفْصَالُ الدِّينِ الْخَنيفِ بِالْفَنَادِ ؛ وما جعل اللهُ لِلدَّائِسِينَ عَنِ دِينِ اللَّهِ سِوَاهُ ، وَلَا مُرْجِي صَوْبٍ صَوًّا ب. إِلَّا رَأَاهُ ؛ وَعَلَى ذَلِكَ جَعَلَ اللَّهُ أَرْزَاقَهُمْ ، وَهِيَ لَمْ يَبْهَ إِذَا فَاقَهُمْ ؛ فَلْيَكْرِمْهُمْ بِأَخِذِ الْأَهْمَةِ ، فِي الْإِعْتِلَاءِ وَالْإِنْصِيَابِ فِي كُلِّ هَضْبَةٍ ، وَالْإِسْتِعْدَادِ بِرِبَاطِ الْخَيْلِ وَكُلِّ قُوَّةٍ .

ومن الوصايا التي ينبغي أنها ترسم في جبهات الفكر [دون تَوَانٍ] أَوْ رُكُونُ أَنْ لَا يَسْتَحْقِرَ عَدُوًّا ، وَلَا يَسْتَهْزِئَ بِقَلْبِهِ لَا رَوَاحًا وَلَا غُدُوًّا ، وَلِيَكُنَّ لِلْإِسْتِظْهَارِ مُسْتَوْجِبًا ، وَلِإِعْمَالِ الْمَكَائِدِ مُسْتَوْثِيًّا ، وَلِلْكَشْفِ بَعْدَ الْكَشْفِ مُسْتَصْحِبًا ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ ، الَّتِي بِهَا صَلَاحُ الْجُمْهُورِ .

والشرع الشريف وتنفيد أحكامه ، وتقوية أيدي حكامه ؛ فهو ميزان الإسلام والسلامة ، وقوام الصلاح والاستقامة ، وأخوه الرِّقْضُ عَنِ تَدْيِ الْحَقِّ ، الْعَدْلُ الَّذِي كَمْ شَاقٌ وَكَثِيرًا مَا عَلَى أَهْلِ الْبَاطِلِ شَقٌّ ؛ وَعَمَّ الْقَرِيبَ وَالْبَعِيدَ ، وَالسَّائِقِ وَالشَّهِيدَ ، وَالْمُرِيبَ وَالْمُرِيدَ ، وَكُلَّ ذِي ضَعْفٍ مُبِيدٍ ، وَكُلَّ ذِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ، وَكُلَّ مُسْتَشِيرٍ وَمُسْتَرِيدٍ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ إِذَا شَمِلَ حَاطَ ، وَتَمَّ بِهِ الْإِرْتِبَادُ وَالْإِرْتِبَاطُ ، وَهَدَى إِلَى أَقْوَمِ صِرَاطٍ .

والخلود فهي حياة النفوس ، وبها تُرَالُ الْبُيُوسُ ؛ فَاقْنَاهَا مَا لَمْ تُدْرَأَ بِالشُّبُهَاتِ الشَّرْعِيَّةِ ، وَالْأُمُورِ الْمَرْجِيَّةِ .

والأموال فهي تجلُّة الرجال ، ومجَلَّةُ الآمالِ ؛ وبها يُسَدُّ الْأُزْرُ ، وَيَقْوَى الْإِسْتِظْهَارُ [وَالظُّهْرُ] ، فَيُسَدُّ مِنَ الَّذِينَ أَمْرُهَُا بِهِمْ مَعْدُوقٌ ، وَيُقْوَى أَيْدِيهِمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ فِي كُلِّ طَرُوقٍ ، بِحَيْثُ لَا يُؤْخَذُ إِلَّا الْحَقُّ وَلَا يَتْرَكَ شَيْءٌ مِنَ الْحَقُوقِ .

(١) فِي الْأَصْلِ "وَالْإِجْتِهَادُ" وَهِيَ ظَلَمٌ .

والرعية فهم عند وإلى الأمر ودائع : ينبغي أنها تكون محفوظة ، وبعين الاعتناء
مُحفوظة ؛ فأحسن جوارهم ، وأزل قهارهم ، وأكف عنهم مضارهم ، ولا تعاملهم
إلا بما لا تُسأل عنه غلاما بين يدي ربك فإنه يراك حين تقوم ، وأعد جواباً لذلك
فكل راجع مسئول .

وأما غير ذلك فلا بد أن تُطلعك المباشرة على خفايا تُفنيك عن المؤامره ، وستوالى
إليك الأجوبة عند المسافرة في المكاتبات الواردة والصادرة ؛ والله يوفقك في كل
منهج تسلكه وتقتضيه ، ويسللك فيما من ذلك نتيجة .

قلت : أما سائر أرباب الوظائف بها : كشد الدواوين ، وشد مراكر البريد
وغيرهما ، فقد جرت العادة أن النائب يستقل بتوليتهما . فإن قدر كتابة شيء من ذلك
لأحد بها ، كتب لمن يكون طبلخاناه في قطع النصف بـ « السامى » بغيراء ، ولن
يكون عشرة في قطع الثلث بـ « مجلس الأمير » كما في غيرها .

الصنف الثاني

(أرباب الوظائف الدينية ، وهم على مرتبتين)

المرتبة الاولى — من يكتب له في قطع الثلث بـ « السامى بالياء » . وهم قضاة
القضاة الأربعة .

المرتبة الثانية — من يكتب له في قطع العادة : إما في المنصوري ، مفتعماً
بـ « أما بعد » وإما في الصغير مفتعماً بـ « ريسم » . وعلى ذلك تُكتب توابع قضاة
العسكر بها ، ومفتي دار العدل ، والمحاسب ، ووكيل بيت المال ، ووظائف

التدريس والتصدير، ونظر ^(١) إن كتب شيء من ذلك عن الأبواب السلطانية،
وإلا فالغالب كتابة ذلك عن النائب بها ^(٢).

النيابة الخامسة

(نيابة صفد)

قد تقدم في الكلام على المكاتبات أنها في رتبة نيابة طرابلس وحمّة في المكاتبة،
وأنها تذكر بعد حمّة في المطلقات .

وظائفها التي تولّى من الأبواب السلطانية على ثلاثة أصناف .

الصنف الأول

(أبواب السيوف ، وفيه وظيفتان)

الوظيفة الأولى

(نيابة السلطنة بها ، ويكتب تقليده في قطع الثلاثين)

وهذه نسخة تقليد بنيابة السلطنة بصفد ، كتب به لسيف الدين « قطلقتمش »
السلحدار الناصري ، في ساج رمضان سنة عشر وسبعائة ، من إنشاء الشيخ
شهاب الدين محمود الحلبي ، وهي :

الحمد لله الذي صان الثغور المحرومة من أوليائنا بسيف لا تلبو مضاربته ، وخص
أسنى الممالك المصونة من أضيائنا بعضب لا يقل غرّبه محاربته ، وقدم على زعامة

(١) يياض بالأصل ولله الأجراس .

(٢) ترك الكلام على الصفح الثالث وهم أرباب الوظائف الديوانية كما يؤخذ من نظار الساجدة واللاحقة .

الجيوش من خواصنا ليتنا يسكنُ إليه كلُّ أسيد من أسيد ذائِلَة نُغَالِيهِ ^(١) ، حَافِظُ نَظَاقِ ^(٢) الْبَحْرِ من أَبْطَالِ دَوْلَتِنَا بِكُلِّ كَيْمِيٍّ تَصُدُّ الْبَحْرَ مَهَابَتُهُ أَنْ يَسْتَقِلَّ رَاكِبُهُ أَوْ تَسْتَقِرَّ عَلَى ظَهْرِهِ مَرَا كِبُهُ ، وَنَاشِرُ لَوَاءِ عَدْلِنَا فِي أَقَالِيمِنَا بِمَا يُعْنَى كُلُّ قُطْرٍ [عَنْ] أَنْ تَتَدَقَّقَ جَدَاوِلُهُ أَوْ تَسْتَهْلَّ بِهِ تَحَابُّهُ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي جَعَلَتْ سَيْفَ الْجِهَادِ رَايِدَ أَوَامِرِنَا ، وَقَائِدَ جِيُوشِنَا إِلَى مَوَاقِفِ النَّصْرِ وَعَسَا كَرَمًا ، وَفَائِدَ أَعْدَاءِ الْمَلَّةِ عَنْ أَطْرَافِ مَمَالِكِنَا الَّتِي أَسْبَقُ إِلَيْهَا مِنْ رَجْعِ النَّفْسِ فِي الدُّجَى تَأَلَّقُ نَجُومُ دَوَالِمِنَا ، وَفِي الضُّحَى تَبْلُجُ غُرُورُ صَوَارِمِنَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يَسْتَظِلُّ الْإِيمَانُ ، تَحْتَ لَوَائِيهَا ، وَتَبْقَى الْأَكْوَانُ ، بِمَا تَتَطَقُّ بِهِ الْأَلْسُنَةُ مِنْ أَرْوَائِيهَا ، وَيُشْرِقُ الْوُجُودُ بِمَا يَسْدُو عَلَى الْوُجُوهِ مِنْ رُؤَائِيهَا ، وَتُجَادِلُ أَعْدَاءَهَا فِي الْأَفَاقِ لِرَفْعِ كَلِمَةِ مِلَّتِهَا عَلَى الْمَلَلِ وَإِعْلَانِهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَأَشْرَفُ حَمَلَةِ الْأَنْبِيَاءِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْمَخْصُوصِينَ بِأَسْنَى مَرَاتِبِ الْأَجْتِبَاءِ ، صَلَاةً دَائِمَةً بِدَوَامِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ؛ وَسَلَامًا تَسْلِيًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَوَّلِيَّ مَنْ قُوِّضَتْ إِلَيْهِ زِمَامَةُ الْجِيُوشِ بِأَسْنَى الْمَمَالِكِ ، وَعُدِّقَ بِهِ مِنْ مَهْتَمِّ الْعَسَاكِرِ مَا يُرْجَفُ بِمَهَابَتِهِ هُنَاكَ أَرْضُ الْعُدُوِّ هُنَاكَ ؛ وَعَقِدَ بِهِ لِلرَّيَايَا لَوَاءُ عَدْلٍ تَجَلَّى بِإِشْرَاقِ لَيْلِ الظُّلُمِ الْخَالِكِ ، وَعُودِلَ عَلَيْهِ مِنْ جَمِيلِ السَّيْرِ فِيمَا تَعَمَّرَ بِهِ الْبِلَادُ وَتَأَمَّنُ بِهِ الرِّيَايَا وَتَطْمَئِنُّ بِهِ الْمَسَالِكُ - مَنْ لَمْ يَزَلْ فِي خِدْمَةِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ سَيِّقًا تَرَهَّبُ الْعِدَا حَدَّهُ ، وَيَخَافُ أَهْلُ الْكُفْرِ فَتَكَاتِهِ تَحَقُّقًا أَنَّ أَجَالَهُمْ عِنْدَهُ ، وَيَتَوَقَّعُ كُلُّ كَيْمِيٍّ مِنْ عِظَمِ الشَّرْكِ أَنَّ رَأْسَهُ سَيَكُونُ غَنَمَهُ ؛ مَعَ سِيَاسَةِ تَشْتِمُلٍ عَلَى الرِّيَايَا

(١) ذائِلَة طَوِيلَةُ الْقَبْلَةِ .

(٢) حَتَّى التَّرَكِيبِ «وَحَفِظَ عَقْلًا عَلَى صَانٍ» ... وَتَشْرُ لَوَاءَ .

ظلالها المنتد، وسيرة تضع الأشياء مواضعها فلا تضع الحلة موضع اللين ولا اللين موضع الحلة؛ وتوفر على عمارة البلاد عين على ريبها طلل الأتواء والوايل، وبراء تجعل ما يودع فيها بالبركة والتماء: (كثيل حبة أنبت سبع سنابل).

ولما كان الجناب العالى هو السيف الذى على مائق النولة نجاده، والليث الذى لم يزل فى سبيل الله إغارته وإنجاده؛ والغيث الذى يخصب بمعدته البلد الساحل، والأمد الذى تصد ساكنى البحر مهاجته فيتحققون أن العطب لا السلامة فى الساحل - أقتضت آراؤنا الشريفة أن يزيد حد عزمه لإرهاقا، وأن تهرب العدا بياسه الذى يرد أحاد ما تقدم عليه من الجيوش آلافا، وأن تفوض إليه من أمور رطايانا ما اذا أسند إليه يؤسعهم حدلا وإنصافا.

فلذلك رسم بالأمر الشريف: أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بصفد المحروسة: تفويضا يعلى قدره، ويضفى فى عموم مصالحها وخصوصها نيه وأمره، ويُرهِف فى حفظ سواحلها وموانئها بيضه وشمه، ويضلى مجاورها من ساكنى الماء من بأسه المتوقد بجمره.

فلتلق هذه النعمة بياح شكره الملبد، ويترق هذه المرتبة بمزية أعتامه التى ليس عليها فيما يعلق به من مصالح الإسلام مزيد؛ وينشر بها من عموم معالته مالا يخص دون قوم قوما، ويعمر بلادها بالعدل: فإن «مثل يوم واحد خير للرض من أن تمطر أربعين يوما»؛ ويسط فيها من مهاجته مايكف أكف البغاة أن تمتد، ويمنع رخوا أهوية أهلها أن تشد؛ ويؤمن المسالك أن تخاف، والرعايا أن يجار عليهم أو يخاف؛ وليكن من فى تقديمته من الجيوش المنصورة مكلى العدد والعدد،

(١) فى الأصل "رعايا أسند اليه ما" الخ وهو خطأ من النسخ.

ظَاهِرِي الْأُمَّةِ الَّتِي هِيَ مَادَّةُ الْمَجَالِدَةِ وَصَوْنُ الْجَلَدِ؛ مُزَايِجِي الْأَعْذَارِ فِيمَا يُرْتَمَى لَهَا مِنْ الرُّكُوبِ، مُزَايِجِي الْعَوَائِقِ فِي التَّأْهِبِ لَهَا مِنْ بَصْدِهِ مِنَ الْوُثُوبِ؛ حَافِظِي مَرَاكِبِهِمْ حِفْظَ الْعِيُونِ بِأَهْدَائِهَا، آخِذِي أَخْبَارَ مَا يَشْغُلُ الْبَحْرَ مِنْ قِطْعِ الْعِدَا فِي حَالِ بُعْدِهَا كَحَالِ اقْتِرَابِهَا؛ بِحَيْثُ لَا يُشْرِفُ عَلَى الْبَرِّ مِنْ قِطْعِ الْمُخْذُولِينَ إِلَّا أَسِيرٌ أَوْ كَسِيرٌ، أَوْ مَنْ إِذَا رَجَعَ بَصَرَهُ إِلَى السُّوَاوِلِ يَنْقَلِبُ إِلَيْهِ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ، وَلِيَكُنْ أَهْلُ الْجِبَالِ بِمَهَابَتِهِ كَأَنَّ [هَلْ أَلَسَ] فِي حُسْنِ أَقْيَادِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ، وَيَصَدَّ عَنْهُمْ بِسُطُوتِهِ مَجَالِ الْأَوْهَامِ الْمُتَّصِلَةِ فَلَا تُتَصَرَّفُ إِلَى غَيْرِ مُجَاوِرِيهِمْ مِنَ الْأَعْدَاءِ مَوَاقِعَ بِأَسْمِهِمْ وَتَقَاتِعِهِمْ؛ وَمِلَاكُ الْوَصَايَا تَقْوَى اللَّهِ: وَهِيَ مِنْ أَحْصَى أَوْصَافِهِ، وَالْجَمْعُ بَيْنَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَهُمَا مِنْ نَتَائِجِ إِنْصَافِهِ؛ فَتُجْعَلُهُمَا عِمْدَتِي حُكْمِي فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَاقِهِ تَعَالَى يَجْعَلُهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ الْمُتَّقِينَ وَقَدْ فَعَلَ؛ وَالْإِعْتَادُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

الوظيفة الثامنة

(نِيبَاةُ قَلْعَةِ صَفَد)

وهذه نسخة مرسومة شريفة بنِيبَاة قَلْعَةِ صَفَدِ المحروسة، من إنشاء المقر الشهابي آبن فضل الله، كُتِبَ بِهِ لِلْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ «أَزَاقِ النَّاصِرِي» خَامِسَ الْحَزْمِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِينَ، وَهِيَ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَصَّ الْحِصُونَ بِرِفْعَةٍ ذُرَاهَا، وَتُمْنَةٍ مِنْ فِيهَا مِنْ رِجَالِ تَحْيَى
إِهَا؛ وَتَحْطَفُ أَبْصَارُ السُّيُوفِ بَسَنَاهَا، وَتُصِيبُ بِرِمِيهَا حَتَّى قَوْمٌ قُرَحَ إِذَا رَامَاهَا.
نَحْمَدُهُ حَمْدًا تَبَرُّزُ بِهِ الْمَعَاوِلُ فِي حِلَالِهَا، وَتُخْزِرُهُ عَقَائِلُ الْقِلَاعِ عَلَى سِوَاهَا؛
وَتُسْرَفُ بِهِ شُرَفَاتُهَا حَتَّى تَجْمَرُ الْمَجَرَّةُ فِي رُبَاهَا؛ وَتَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً بِطَيْبِ جَنَاهَا، وَيَطْلُبُ فِي السَّمَاءِ مَرْقَاهَا؛ وَتَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا

هَذَا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي كَتَبَ بِهِ لِلْأُمَمِ هُدَاهَا ، وَكَبَتْ مَدَاهَا ، وَبَوَّأَهَا مَقَاصِدَ
لِلْقِتَالِ تَقْصُرُ دُونَهَا النُّجُومُ فِي سُرَاهَا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً لَا يَنْقُطِعُ
عَنْهُمْ قَرَاهَا ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا دَائِمًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ صَفَدَ صَفَتَ ، وَوَقْتُ وَوَقْتُ ، وَكَفَّتْ وَكَفَّتْ ، وَجَاوَرَتِ الْبَحْرَ
فَمَا غَمَضَتْ عَنْهُ لَدَايِدُهَا عُيُونُ ، وَلَا خِيَطَتْ لِسُيُوفِهَا بِالْكَرَى جُفُونُ ، وَلَا وَتَتْ
لِرِمَاحِهَا عَزَائِمُ شَابَتْ لِمِثْمِهَا ، وَلَا أَنْشَتْ مِنَ السَّهَامِ نِبَالٌ تَفِيضُ دِيمِثْمَهَا ، وَلَا أَطَالَتْ
بِجَانِيقِهَا السُّكُوتَ إِلَّا لَتَهْدَرَ شَقَاشِقُهَا ، وَتَهَدَّى بِهَا مِنَ الْجِبَالِ شَوَاهِقُهَا ، وَتَهَوَّلَ الْعَدَا
بِمَا تُرِيهِمُ مِنَ التَّهْوِيلِ ، وَتَرَى بِهِ مِنْ كَفَاتِهَا الْحِجَارَةَ مِنْ سِجِّيلٍ .

وهي القلعة التي يضرب المشلُ بِحَصَاتِيهَا ، وَيَطْمَنُّ [أَهْلُ] الْإِسْلَامِ فِي إِيدَاعِ
أُمُومِهِمْ وَأَهْلِهِمْ إِلَى أَمَانَتِهَا ؛ قَدْ أَطْلَتْ عَلَى الْكَوَاكِبِ زُيُولا ، وَجَرَدَتْ عَلَى مَنَاطِقِهَا
بُرُوجُهَا مِنَ الْبُرُوقِ نُصُولا ، وَأَتَعَبَتِ الرِّيحُ لَمَّا حَلَقَتْ إِلَيْهَا ، وَأَخَانَتِ الْهَلَالَ حَتَّى
وَقَفَ رَقِيبًا عَلَيْهَا ؛ وَفِيهَا مِنْ جُنُودِنَا الْمُؤَيَّدَةِ مَنْ تَزِيدُهُمْ بِهَا مَدَدَا ، وَتَطْيِبُ قُلُوبُهُمْ
إِذَا خَرَجُوا لِحِجَابِ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَخَلُّوا لَهَا فِيهَا مَالًا وَوَلَدًا . وَكَانَتِ النِّيَابَةُ بِهَذِهِ الْقَلْعَةِ
الْمَحْرُوسَةِ قَدْ كَادَتْ تَنْطَلِقُ بِشَكَاوَاهَا ، وَتَسْتَظِلُّ مَنْ أَسَاءَ صُحْبَتَهَا لَمَّا تَوَلَّاهَا ؛ وَأَقْنَضَتْ
أَرَاؤُنَا الْعَالِيَةَ أَنْ تُزْجَرَ حَ ظَلَامَهُ ، عَنْ صَبَاحِهَا ، وَتُقَوِّضَ خِيَامَهُ ، عَمَّا فَرَسَ عَلَى الْفُلْكِ
الشَّاهِقَةِ مِنْ بَطَاحِهَا ؛ وَفَكَّرْنَا فِيمَنْ لَهُ بِالْقِلَاعِ الْمَحْرُوسَةِ دُرَّةٌ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ بِهَا سُلُوكُ ،
وَلَا يُخَافُ مَعَهُ عَلَى هَذِهِ الثَّرَةِ الثَّمِينَةِ فِي سُلُوكِ ؛ مِمَّنْ حَمِدَ فِي دَوْلَتِنَا الشَّرِيفَةِ مَسَاءَ
صَبَاحَ ، وَمَنْ كَانَ فِي أَيْوَابِنَا الْعَالِيَةِ هُوَ الْفَتَّاحُ ؛ وَمَنْ لَهُ هِمَّةٌ تُسَاطُ بِالثَّرَى مَطَالِيقُهَا ،
وَعَزَمَةٌ مَا الْقَضَاءُ إِلَّا قَوَاضِيهَا ، وَمَعْرِفَةٌ مَا الرِّيحُ الْمُتَقَفُّ إِلَّا تِجَارِيهَا ، وَكَفَايَةٌ مَا الْغُرُ
الزَّوَاهِرُ إِذَا عُدَّتْ إِلَّا مَنَاقِبُهَا .

وكان المجلس السامى - أدام الله عزه - هو المحقق إلى هذه المرتبة، والمحقق بالأصيل أريدتها المنهبة؛ والمحقق في صفاته الورع، والمتره عن تدنيس طباعه بالطمع؛ وله في الأمانة اليد المشكورة، وفي الصيانة ما يمنع به ذيول السحاب المجرورة؛ ومن التقوى ما قرب عليه المطالب البطية، ومن القرومية ما اتخذ كل ذروة صهوة وكل جبل مطية، ومن الاستحقاق ما يسهل له من صدقاتنا الشريفة صقد: وفي اللغة أن الصقد هو العطية.

فرسم بالأمر الشريف - شرفه الله وعظمه، وأحكمه وحكمه - أن يرتب في النيابة بقلمه صقد المحرومية: على عادة من تهتم وقاعدته في التقرير، وأما كيف يكون اعتماد، فسرته منه بصبح منير.

فسلمت حقوى الله في شرك وتجواك، وأقصر على القناعة رجواك؛ وأحفظ هذه القلعة من طوارق الليل والنهار، وأعد من قبلك للقتال في قرى محصنة أو من وراء جدار، وأملأ سماءك حرماً شديداً، وشهياً وكثراً لرجالها لتباري بهم النجوم في أمثالها من بروج السماء عديداً، وعُد إلى طاعتنا الشريفة بقلوبهم وهم على ذلك وليكاً تريد أن تزيدهم توكيداً، وتألفهم على موالاتنا حتى لا نجد أنت ولاهم إلى المزيد مزيداً، وتفقد الذخائر والآلات، وتيقظ لما تلجئ إليه الضائقة في أوسع الأوقات؛ وحسن مبانيها، وحصل فيها من الذخائر فوق ما يكفيها؛ ومن السلاح ما هو أمتع من أسوارها، وأنفع في أوقات الحاجة مما تكثره الخوازن من درهمها ودينارها؛ من مجاميق كالتقارب شاملة أذنانها، دافعة في صدر الخطب إذا نابها؛ تربي بشرر كالقصر، وتنزل من السماء آيات النصر؛ ومن قسي: منها ما تدافع بالأرجل مرامي

(١) مراده واقصر رجاءك على القناعة ولكن اضطره السج فاستعمل مصداق الرجاء ليس فيما يأيدنا من كتب اللغة فنه.

سهامه ، ومنها ما تدور بالأيدي كأس حمامه ؛ ومنها ما يستكت إذا أطلق حتى لا يسمع كلام كلامه ، ومنها ما يترجم إذا غنى بالحمام صوت حمامه ؛ و [من] ستائر يستريح بها وجهها المصون ، ومتائر يشاهد منها أقرب من يكون أبعد ما يكون ؛ و رهمية تجل بها في كل ليلة عروسها المنعمه ، و دراجة تحاط بهم من جهاتها الست و حدودها الأربعه ؛ و أقرنوب الحمام الرمايل فيها تسقط علينا و عليك الأخبار ، و يطوى المدى البعيد في أول ساعة من نهار ؛ و أفتح الباب و أغلقه بشمس ، و أحترز على ما أشتملت عليه من مال و نفس ؛ و بقية الوصايا أنت بها أمس ، والله تعالى يزيل عنك اللبس ؛ و الاعتماد

الصنف الثاني

(أرباب الوظائف الديوانية)

والذين يكتب لهم من الأبواب السلطانية صاحب ديوان الرسائل ، و ناظر المال ، و ناظر الجيش ، و وكيل بيت المال . و ما عدا ذلك فإنه يكتب عن قائمها ، و ربما كتب عن الأبواب السلطانية .

الصنف الثالث

([أرباب] الوظائف الدينية ، و هي على مرتبتين)

المرتبة الأولى : ما يكتب في قطع الثلث بمدا الساعى « بالياء ، و هم القضاة الأربعة .

المرتبة الثانية : من يكتب له في قطع العادة ، و تشمل على قضاء السكر ، و إفتاء دار العدل ، و الحسبة ، و وكالة بيت المال .

الصنف الرابع^(١)

(أرباب الوظائف الديوانية)

والذى يكتب به من الوظائف الديوانية بها - ثلاث وظائف، يُكتب لكلّ منهم فى قطع الثلث بـ «الساحى» بالياء؛ وهم : صحابَةُ ديوان المكتبات ، ونظَرُ المال، ونظَرُ الجيش . فإن كُتِبَ لأحد غير هؤلاء ، كتب له فى قطع العادة .

النيابة السادسة

(نيابة غزّة)

وقد تقدّم أنّها عادة تكون نيابة، وتارة تكون مقدمة عسكر، ومُقدّم العسكر بها يرجع نائب الشام فى أموره . وبكلّ حال فالوظائف التى تُولى بها من الأبواب السلطانية على صنفين :

الصنف الأول

(أرباب السيوف)

وليس بها منهم إلّا نائب السلطنة إن كانت نيابة، أو مُقدّم العسكر إن كانت مقدمة عسكر . فكيفما كان فإنه يكتب له تقليد فى قطع الثلثين بـ «الجناب العالى» مع الدعاء بدوام النعمة .

وهذه نسخة تقليد بنيابتها : كُتِبَ به للأمير « علم الدين الجوالى » من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبيّ، وهو :

(١) هذا الصنف زائد على ما فى التقسيم ومع ذلك هو يعنى الصنف الثانى رعاية ما فى هذا أنه بين فيه القرب وقطع الرقيق فخبه .

الحمد لله رافع علم الدين في أيامنا الزاهرة، بإقامة فرض الجهاد وإدامته، وجامع ربّ التقديم في دولتنا القاهرة، لمن تفتّر الثغور بين تفرق عدله وتآلى صرامته، وقاطع أطاع المعتدين بمن يتوقّد بأسه في ظلال ريقه توقّد البرق في ظلل غمامته، وقامع أعدائه الكافرين بتفويض هزيمة الجيوش بأوامرنا إلى كلّ وليّ يحنّي النصر ويحنّلى من أفتان عزّامته ووجاهة زعامته .

نحمده على نعمه التي سدت ما يصدّر من الأيام عنا، وقلدت الرّب السّنة بتقليدها عزّ الأولياء منا منا، وربّحت مهمات الثغور لدينا على ما سواها فلا تعلّق أمورنا إلا بمن تعقد عليه الخناصر نقاسة به وضنا، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تزال القلوب بإخلاصها متدينه، والألسنة بإعلانها مترينه، والأسنة والأعنة متبارين في إقامة دعوتها التي لا تحتاج أنوارها البيّنة إلى البيّنة، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أشرف مبعوث إلى الأمم، وأكرم متعوت بالفضل والكرم، وأعزّ متصور بالرعب الذي أنعمت سيوفه قبل تجرّيدها في القيم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين نهضوا بجهاد أعداء الله وأعدائه على أثبت قدم، وسروا لفتح ما زوى له من الأرض على جياذ الغزائم ونجائب الهيم، وبدّلوا نفاستهم ونفوسهم للنّب عن دينه فلم تسترل أقدامهم حمر النعم، ولم يش إقدامهم بفض النعم، صلاة لا يمل السامع نداعها، ولا تسأم الألسن إعادتها وإبداعها، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإنّا من حين مكّن الله لنا في أرضه، وأنهبنا بمنّون الجهاد وقرضه، وقلدنا سيف نصره الذي انتضاه، وأقامنا لنصرة دينه الذي آرتضاه، لم يزل مهمّ كلّ ثغر مقدما لدينا، وحفظ كلّ جانب جاور العدو برا وبحرا متعينا على اعتنائنا

وَمُحِبِّاً إِلَيْنَا ؛ فَلَا تُرْهِفُ لِإِيَالَةِ الْمَالِكِ إِلَّا مِنْ إِذَا جَرَدَ سَيْفَهُ أَغْمَدَهُ الرُّعْبُ فِي قُلُوبِ
 الْعِدَاءِ ، وَمَنْ إِنْ لَمْ تَسْلُكِ الْبَحْرَ خَيْلُهُ بَتْ فِي قُلُوبِ سَاكِنِيهِ سَرِياً مَهَابَةً لَا تَرْهَبُ
 مَوْجاً وَلَا تَسْتَبِيدُ مَدَى ؛ وَمَنْ إِذَا تَقَدَّمَ عَلَى الْجِيُوشِ أَعَادَ أَحَادَهَا إِلَى رُتَبِ الْأُلُوفِ ،
 وَجَعَلَ طَلَائِعَهُمْ رُسُلَ الْخُتُوفِ ؛ وَأَعْدَاهُمْ بِأَسْهٍ فَاسْتَقَلُّوا أَعْدَاءَهُمْ وَإِنْ كَثُرُوا ،
 وَأَغْرَاهُمْ بِمَعْنَى النِّكَايَةِ فِي تَكَايِبِ الْعِدَا : فَكَمْ مِنْ قَلْبٍ بِالرِّمَاحِ قَدْ نَظَّمُوا وَكَمْ مِنْ
 هَامٍ بِالصَّفَاحِ قَدْ نَفَّرُوا .

وَلِذَلِكَ لَمَّا كَانَ فَلَانٌ هُوَ الَّذِي مَا زَالَ الدِّينَ يَرْفَعُ مَلَمَهُ ، وَالْإِقْدَامُ وَالرَّأْيُ يَتَّانِ
 فِي مَقَاتِلِ الْعِدَا كُلُّوْمَهُ وَكَلِمَهُ ، وَالْعَدْلُ وَالْبَأْسُ يَتَوَلَّيَانِ أَحْكَامَهُ فَلَا يُمِضِيَانِ إِلَّا بِالْحَقِّ
 سَيْفَهُ وَقَلَمَهُ ؛ فَكَمْ نَكَسَ رَايَةً عَلُوُّكَ كَانَتْ مُرْتَفَعَهُ ، وَأَبَاحَ عَزَمُهُ وَحَزَمُهُ مَعَاوِلَ
 شِرْكٍ كَانَتْ مُتَتَمِعَةً ؛ وَكَمْ زَلَزَلَ ثَبَاتُهُ قَدَمُ كُفْرٍ فَازَالَهَا ، وَهَزَمَ إِقْدَامُهُ جُيُوشَ بَاطِلٍ
 تَرْهَبُ الْأَسَادُ نِزَالَهَا ؛ فَهُوَ السَّلْمُ الْقَرْدُ ، وَالْبَطْلُ الَّذِي لَاوَلِيَاتُهُ الْإِقْبَالُ وَالثَّبَاتُ
 وَلَاَعْدَائِهِ الْعَكْسُ وَالطَّرْدُ ؛ وَالْوَلِيُّ الَّذِي لَوْلَا أَحْتِفَالُنَا بِنِكَايَةِ الْعِدَا لَمْ نَسْمَحْ بِمِثْلِهِ ،
 وَالْهَامُ الَّذِي مَا عَدَقْنَا بِهِ أَمْرًا إِلَّا وَقَعَ فِي أَحْسَنِ مَوَاقِعِهِ وَأَسْنَدٍ إِلَى أَكْمَلِ أَهْلِهِ .

وَكَانَتْ الْبِلَادُ الْغَزَاوِيَّةُ وَالسَّاحِلِيَّةُ وَالْجَبَلِيَّةُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ بِمِثْلَةِ السُّورِ الْمَشْرِفِ
 بِالرِّمَاحِ ، الْمَصْفُوحُ بِالصَّفَاحِ ؛ مُرُوجُهُ الْحَمَاءُ ، وَقُلْلُهُ الْكُمَاهُ ؛ لَا يَسِيمُ بَرْقُهُ مِنْ سَاكِنِي
 الْبَحْرِ إِلَّا أَسِيرٌ أَوْ كَبِيرٌ ، أَوْ مَنْ إِذَا رَجَعَ إِلَيْهِ طَرَفُهُ يَتَقَلَّبُ إِلَيْهِ الْبَصَرُ خَاسِئًا
 وَهُوَ حَسِيرٌ ؛ وَبِهَا الْجَيْشُ الَّذِي تَكَمَّلَ لِسَبُوفِهِ فِي رِقَابِ الْعِدَا مِنْ مَوَاقِعَ ، وَلُسْمَعَتِهِ
 فِي قُلُوبِ أَهْلِ الْكُفْرِ مِنْ إِغَارَةِ تَرَكَّتْهَا مِنَ الْأَمْنِ بِلَاقِعَ ؛ وَبِهَا الْأَرْضُ الْمُقَدَّسَةُ ،
 وَالْمَوَاطِنُ الَّتِي هِيَ عَلَى التَّقْوَى مُؤَسَّسَةٌ ؛ وَالْمَعَابِدُ الَّتِي لَا تُدَقُّ أُمُورُهَا إِلَّا بِمِثْلِهِ مِنْ
 أَهْلِ الدِّينِ وَالْوَرَعِ ، وَالْأَعْمَالُ الَّتِي هِيَ أَدْرَى بِمَا يَأْتِي مِنْ مَصَالِحِهَا وَأَذْرَبُ بِمَا

يَدْعُ - اقْتَضَتْ آرَأُونَا الشَّرِيفَةُ أَنْ تَعِدَّقَ بِهِ نِسَابَةَ مُلْكِهَا ، وَتَزَيِّنَ بِلَاثِي مَفَاتِيحِهِ
عُقُودَ سِلْكِهَا ؛ وَأَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ زَعَامَةَ أَبْطَالِهَا ، وَتَهْدِيْمَةَ صَاكِرِهَا الَّتِي تَلْقَى الْبَحْرَ
بِأَزْحَمٍ مِنْ عِبَائِهِ وَالْأَرْضَ بِأَثْبَتٍ مِنْ جِبَالِهَا ؛ وَأَنْ يَزِيَّ بِحَرْمِهَا مِنْ مَهَابَتِهِ بِأَهْوَلٍ
مِنْ أَمْوَاجِهِ ، وَأَمْرٍ فِي طَوَاتٍ مَسَاكِينِهِ مِنْ أَجْلَاجِهِ ؛ لَتَغْدُو عَقَائِلُ أَهْلِهِ ، أَرْقَاءَ سَيْفِهِ
الْأَبْيَضِ وَذَوَابِلُهُ ، وَيُتَبَّرَ الْعَدُوُّ الْأَزْرَقُ مِنْ بَنِي الْأَصْفَرِ ، خَوْفُ بَأْسِهِ الْأَخْمَرِ .

فَلَذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ : فَخَوِيضًا يَحْفَقُ
فِي مِثْلِهِ رَجَاءُهَا ، وَزَيْنٌ بِمِثْلِهِ أَرْجَاءُهَا ؛ وَيَصُونُ بِنَاسِهِ قَاطِنَهَا وَطَاعَتَهَا ، وَيَعْمُرُ
وَيَعْمُرُ بِرَفْقِهِ وَإِنْصَافِهِ مَسَاكِنَهَا وَسَاكِنَهَا .

فَلْيَا شِرْهَ هَذِهِ الرِّبَةِ الَّتِي يَكْمَلُ بِهِ سُعُودُهَا ، وَتُجْمَلُ بِهِ عُقُودُهَا ؛ بِمَآشِرَةٍ يَحْفَقُ
بِأَسْمَاءِ الْبُيُوتِ فِي أَجْمَاتِهَا ، وَيُعِينُ صَدْرُهَا الْغُيُوثَ عَلَى دَفْعِ أَرْمَاتِهَا ؛ وَيَقْدُو بِهَا الْحَقُّ
مَرْفُوعَ الْعِلْمِ ، مَسْمُوعَ الْكَلِمِ ، مَاضِيَ السَّيْفِ وَالْقَلَمِ ، مَمْدُودَ الظِّلِّ عَلَى مَنْ بَهَا
مِنْ أَنْوَاعِ الْأَنْمِ . وَلْيَأْخُذِ الْجِيُوشُ الَّتِي بَهَا مِنْ إِمْدَادِ الْأَهْبَةِ بِمَا يُزِيلُ أَعْذَارَهُمْ
عَنِ الرُّكُوبِ ، وَيُزِيحُ حَوَائِقَهُمْ عَنِ الْوُثُوبِ ؛ وَيَعْلَمُ أَوَّلَ مُلَبٍّ لِدَاعِي الْجِهَادِ ،
وَأَسْرَعَ مُجِيبٍ لِنْدَاءِ أَلْسِنَةِ السُّيُوفِ الْحِدَادِ ؛ وَيَنْظُمُ أَيْزَاكَهُمْ عَلَى الْبَحْرِ أَنْظِمَ
النَّجُومِ فِي أَفلاكِهَا ، وَالشُّنُورِ فِي أَسْلَاحِهَا ، فَلَا تَلُوحُ لِلْأَعْدَاءِ طَرِيدَةٌ إِلَّا طُرِدَتْ ،
وَلَا قِطْعَةٌ إِلَّا قُطِعَتْ ؛ وَلَا غُرَابٌ إِلَّا حُصَّتْ قَوَادِمُهُ ، وَلَا شَايخٌ عِمَارَةٌ إِلَّا وَأُنِيجَ
لَهُ مِنَ اللَّهَائِمِ هَادِمُهُ . وَلْيُعَلِّ مَنَارَ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ بِإِمْنَاءِ أَحْكَامِهِ ، وَمُعَاضِدَةِ
حُكْمِهِ ، وَالْإِقْيَادِ إِلَى أَوَامِرِهِ ، وَالْوُقُوفِ مَعَ مَوَارِدِ نَبِيهِ وَمَصَادِيرِهِ ؛ وَلِتَكُنْ وَطْأَتُهُ
عَلَى أَهْلِ الْعِتَادِ مُشْتَدَّةً ، وَمَعْرِفَتُهُ تَضَعُ الْأَشْيَاءَ مُوَاضِعَهَا : فَلَا تَضَعُ الْحِدَّةَ مَوْضِعَ
اللَّيْنِ وَلَا اللَّيْنَ مَوْضِعَ الْحِدَّةِ ؛ وَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ وَإِنْ بَعُدَ عَنْ أَبْوَابِنَا الْعَالِيَةِ مَخْصُوصٌ مِنَّا

بمزية قُربِه ، مختص بمِثْلَةِ إخلاصه التي أصبح فيها على يَنبَتِه من رَبِّه ؛ وجميع ما يذكر من الوصايا فهو مما يُحْكِي من صفاته الحسنة ، وأدواته التي مَآرَحَتِ الأفلامُ في وصف كمالها فصِيحة الأليسنة ؛ ومِلاكُها قُوى الله وهي في خصائصه كلمة إجماع ، وحليّة أبصار وأسماع ؛ والله تعالى يُعَلِّي قدره وقد فعل ، ويُؤَيِّدُه في القول والعمل ؛ والاعتقاد



وهذه نسخة تقليد بتقدمة العسكر بفرزة المحروسة :

الحمد لله مُبْدِي النعم ومُعِيدها ، ومؤكِّد أسبابها بتجديدها ، ومُعَلِّي أقدارها بمزايا مَرِيدها ؛ الذي زَيَّن أعناق الممالك من السيوف بتقليدها ، وبيّن من ميامينه ما رُدَّت إليه بمقاليدها .

نحمده بحامده التي تَفُوت الدَّارِي في تَنْضِيدِها ، وتَفُوق الدَّرَ فَيَتَمُنَّى منه عَقْدَ فريدها ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نافعة لشهيدها ، جامعة لتوحيدها ، نافعة لأهل الجحود بما يُورَدُ الأرض بالدماء من وريدها ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي كثر الأُمم بأُمتِه في عديدها ، وظاهر على أعداء الله بمن يُقْلُ بأس حديدها ، فيُرْسَلُ من أسننه نُجُومًا رُجُومًا لمُريدها ، صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وصحبه صلاة تتظافر بتأييدها ، وسلم تسليلاً كثيراً .

وبعد ، فإن من عوائد تولتنا القاهرة أن تعود بإحسانها ، وتُجود ببُيُوتِ كلِّ قَدَمٍ في مكانها ؛ وإذا ولَّتْ عرف صحابها عن جهة عادت إليها ، أو سَلَبَتْ لها رَوقاً أعادت بهجته عليها ؛ وكانت البلاد الغزَويّة وما معها قد تمتعت من قدماء ملوك^(١)

(١) في الأصل «ممالك» وهو لا يناسب المقام .

بَيْتَنَا الشَّرِيفَ بِسَيْفٍ مَشْهُورٍ ، وَبَطْلٍ تُشَامُ بَوَارِقُ عَزَمِهِ فِي الثُّغُورِ ؛ وَهُوَ الَّذِي عَمَّ
بَصِيَّتِهِ بِلَادَهَا سَهْلًا وَجَبَلًا ، وَعَمَّرَ رَوْضَهَا بِمِثْلِ أَغْنَاهَا أَنْ يَسْقِيَ طُلُوعًا طَلًّا ؛
وَجَمَعَ أَعْمَالَهَا بَرًّا وَبَحْرًا ، وَمَنَعَ جَانِبَيْهَا شَامًا وَمِصْرًا ؛ وَأَلْفَ أَهْلِهَا مِنْهُ سِيرَةً لَوْلَا
مَا أَسْتَأْثَرْنَا اللَّهُ بِهِ مِنْ سَرٍّ لِمَا أَفْقَدْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الْمَلَدَةِ حِلَاوَةَ مَذَاقِهَا ، وَسِرِّيَّةَ
لَا نَرَضَىٰ مَعَهَا بَكْفُ الثَّرَىٰ إِنْهَا بَسِطَتْ لِأَخْذِ مِيثَاقِهَا ؛ وَلَمْ تَرْفَعْ يَدَهُ إِلَّا لِأَمْرِ قَضَىٰ
اللَّهُ بِهِ لِأَجَلٍ مَوْقُوتٍ ، وَمَضَىٰ مِنْهُ مَا يُعْلَمُ أَنَّهُ بِمَرْجُوعِهِ الْقَرِيبِ لَا يَفُوتُ ؛ لِأَنَّ
الْشَّمْسَ تَنْفِيبُ لِنَطْلَعُ بِضَوْءِ جَدِيدٍ ، وَالسَّيْفُ يُنْعَدُّ شِمَّ يَنْقُضُ فَيَقْدُ الْقَدَّ وَالْحَلِيدُ ؛
وَالْعُمُودُ تُسْهَدُّ شِمَّ يُبَاوِذُهَا الرِّقَادُ ، وَالْمَاءُ لَوْ لَمْ يُفْقَدْ فِي وَقْتٍ لِمَا وَجِدَ لِمَوْجِعِهِ بَرْدٌ
حَلَى الْأَنْجَادُ .

فَلَمَّا بَلَغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ، وَأَخَذَ حَقَّهُ مِنَ الْمَسْأَلَةِ ، وَأَنْتَقَلَ مَنْ كَانَ قَدْ اسْتَقَرَّ فِيهَا
إِلَى جِوَارِ رَبِّهِ الْكَرِيمِ ، وَفَارَقَ الدُّنْيَا وَهُوَ عَلَى طَاعَتِنَا مُقِيمٌ - أَقْتَضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةُ
أَنْ يُرَاجِعَ هَذِهِ الْعَقِيلَةَ كَفُّوْهَا الْقَدِيمِ ، وَتَرْجِعَ هَذِهِ الْأَرْضُ الْمُقَدَّسَةَ إِلَى مَنْ فَارَقَهَا
وَمَا عَهْدُهُ بِذَمِيمٍ ؛ مَنْ لَمْ تَزَلْ بِهِ عَقَائِلُ الْمَعَاقِلِ تُصَانُ ، وَخُصُورُ الْحُصُونِ بِجَاهِلٍ
سُيُوفُهُ تُزَانُ ، وَمِبَاهِمُ الثُّغُورِ تُجْمَىٰ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنْ أَسْنَتِهِ يَلْسَانُ ؛ وَحَمَى الثُّغُرَيْنِ
وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْفِجَاجِ ، وَجَاوَرَ الْبَحْرَيْنِ فَتَحَ جَانِبَيْهِمَا : فَهَذَا عَنَّا فُرَاتٌ وَهَذَا
مِلْحٌ أُجَاجٌ ؛ وَلَهُ فِي الْعِدَا وَقَائِعُ زُلْزَلَتْ لِمَوَاقِعِهَا الْأَلُوفُ ، وَمَوَاقِفُ لَوْلَا مَا نَقَعَتْ
فِيهَا مِنْ غَيْرِ بَانَ الْبَيْنِ لَطَالَ عَلَى الدِّيَارِ الْوُقُوفُ ؛ وَهُوَ الَّذِي مِدَحَتْ لَهُ فِي بَيْتِنَا
الْمَنْصُورِ الْمَنْصُورَىٰ مِنْ الْخِزْمَةِ سَوَاقٍ ، وَجُمِلَتْ طَرَائِقُ ؛ وَكَثُرَتْ مَحَاسِنُ ،
وَكَبُرَتْ مِيَامِنُ ؛ وَلَعَتْ كَوَاكِبُ ، وَهَمَعَتْ مَحَابِبُ ؛ وَصَدَحَتْ حَمَائِمُ ، وَفُتِحَتْ
كَلَامُ ؛ وَعَزَّتْ جِيوشُنَا الْمُؤَيَّدَةُ لَهُ بِمُضَارِبٍ ، وَهَزَّتْ سِيُوفًا حَادِدًا وَهُوَ بِالسَّيْفِ
ضَارِبٌ .

وكان المجلس العالي - أدام الله تعالى نعمته - هو الذي حُمدت له آثار، وحُسنت أخبار، وعمت مدح، وتمت منح؛ فرسمنا بإقراره من هذا المنصب الشريف^(١) في محله، وإعادته إلى صيب وبيله، وإقامة أهلها مطمئنين في عهده، وإقرار عيون من أدرك زمانه بعوده ومن لم يدرك زمانه بما سبّوته من فضله.

فرسم بالأمر الشريف - لازالت ملائس نعيمه، تُخلع وتلبس برودها، وعرائس كرمه، تُمارق ثم تُراجع غيلها - أن تفوّض إليه أمور غزاة المحروسة وأعمالها وبلادها، والتفسيمة على عساكرها وأجنادها، والحكم في جميع ما هو مضابط إليها من سهل ووعر، وبر وبحر، وسواحل وموانئ، وبحرى خيول وشوانى، ومن فيها من أهل عمد، ورطاي ونجار وأعيان في بلد؛ ومن يتعلق فيها بأسباب، ويعد في صف كتيبة وكتاب؛ على عادة من تقدم في ذلك، وعلى ما كان عليه من المسالك.

ومستخصر له البوصايا لأنه بها بصير، وقد تقدم لها على مسامحة تكرير، ورأس الأمور التقوى وهو بها جدير، وتأيد الشرع الشريف فإنه على هدى وكتاب منير، والأطلاع على الاحوال ولا ينبتك مثل خير.

والعدل فهو العروة الوثقى، والإنصاف حتى لا يجد مستحقا، والعفاف فإن التطلع لما في أيدي الناس لا يزيد رزقا، والإنصاف بالذكر الجليل هو الذي يسقى؛ وعرض العسكر المنصور ومن ينضم إليه من عربيه وتُرجمانه وأكراده، وكل مكبر في بحافله ومكتر لسواده؛ وأخذهم بالتأهب في كل حركة وسكون، والتيقظ بهم لكل سيف مشحود وفلك مشحون، والاحتراز من قبل البر والبحر، وإقامة كل يزك في موضعه كالقلادة في النحر؛ ولا يعبر إقطاعا إلا لمن يقطع باستحقاقه،

(١) في الأصل «من اقراره في» وهو تصحيف الا أن يكون الأصل فرسمنا ما رسمنا من الخ.

وَيَقْمَعُ السَّيْءَ بِمَا يَعْرِفُ فِي صَفَحَاتِ الصَّفَاحِ مِنْ أَخْلَاقِهِ ؛ وَلَا يُجِلُّ الْمُبَاشِرِينَ مِنْ عَنَائِهِ تَمَدُّنًا إِلَيْهِمْ سَاعِدَ الْمُسَاعَدَةِ ، فَلَا يُجِلُّوْا فِي الْبِلَادِ بِمَارَةٍ تَقْدُو فِي حُلِيِّهَا مَائِدَةً ؛ وَلِيَحْفَظَ الطَّرِيقَاتِ حَفَظًا تَكُونُ بِهِ تَمَنُّوعُهُ ، وَيُمْسِكَ الْمَسَالِكَ فَإِنَّهُ فِي مَفَرِّقِ طَرَفَاتِهَا الْمَجْمُوعَةِ ؛ وَلِيَقْدِمَ مُهِمَّاتِ الْبَرِيدِ وَمَا يَنْطَلِقُ عَلَى جَنَاحِ الْحِمَامِ ، وَلِيَتَّخِذَهُمَا نَصَبَ عَيْنِهِ فِي الْيَقَظَةِ وَالْمَنَامِ ؛ قُرْبَ غَفْلَةٍ لَا يَسْتَنْدِرُكَ فَإِنَّهَا رَكُضٌ ، وَرِسَالَةٌ لَا يَسْلِفُهَا إِلَّا رَسُولٌ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَآخِرُ سَيْبِجٍ فِي الْأَرْضِ ؛ وَيرْصُدُ مَا تَرَدُّ بِهِ مَرَامِينَا الْعَالِيَةِ لِيَسَارِعَ إِلَيْهِ مُتَمَتِّلًا ، وَيَطَالَعُنَا بِمَا يَتَجَدَّدُ عِنْدَهُ حَتَّى يَكُونَ لِنَيْنَا مُتَمَتِّلًا ؛ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ وَأَقْفٌ مِنْ بَابِنَا الشَّرِيفِ بِالْمَجَازِ ، وَقُدَّامَ عَيْنَيْنَا حَقِيقَةً وَإِنْ قِيلَ عَلَى طَرِيقِ الْمَجَازِ ؛ فَلْيُؤَاخِذْ نَفْسَهُ مُوَاحَلَةً مِنْ هَوَيْنِ يَدِينَا ، وَيَعْمَلْ بِمَا يُسْرُهُ أَنْ يَقْدِمَ فِيهَا مُعْرِضٌ مِنْ أَعْمَالِهِ طِينًا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَزِيدُهُ حُظُورَةً لِنَيْنَا ، وَيُؤَيِّدُ بِهِ الْإِسْلَامَ حَتَّى لَا يَدْعَ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ لِلَّذِينَ دِينَنَا ، وَالْأَعْتَادَ

الصفحة الثاني

(الوظائف الديوانية بغزة)

وبها ثلاث وظائف : يُكْتَبُ لِكُلِّ مِنْهَا فِي قَطْعِ الْعَادَةِ بِـ«السَّامِي» بِغَيْرِ بَاءٍ .
وهي : كِتَابَةُ الدَّرَجِ الْقَائِمَةِ مَقَامِ كِتَابَةِ السَّرِّ ، وَنَظَرُ الْمَالِ ، وَنَظَرُ الْجَيْشِ . قَالَ فِي «التَّقْيِيفِ» : أَمَّا قَاضِيهَا وَمَحْتَسِبُهَا وَوَكِيلُ بَيْتِ الْمَالِ بِهَا ، فَلَهُمْ تَوَابٌ عَنْ أَرْبَابِ هَذِهِ الْوُظَائِفِ بِالشَّامِ ، فَلَا يَكْتَبُ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ شَيْءٌ عَنِ الْمَوَاقِفِ الشَّرِيفَةِ .
قُلْتُ : وَمَا ذَكَرَهُ بِنَاءً عَلَى أَنَّهَا قَدِيمَةٌ عَسْكَرٌ . أَمَّا إِذَا كَانَتْ نِيَابَةً فَإِنَّ هَذِهِ الْوُظَائِفَ يَكْتَبُ بِهَا عَنِ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَةِ . وَقَدْ يَكْتَبُ حِينَئِذٍ بِوَكَاةِ بَيْتِ

المال والحسبة عن النائب ، ويكون ذلك جميعه في قطع العادة ، مفتتحاً بـ «أما بعد» في المنصوري ، أو بـ «رسم» في الصغير ، على حسب ما يقتضيه الحال . على أنه قد حدث بها في الدولة الظاهرية قاض حتى يكتب له من الأبواب السلطانية .

النيابة السابعة

(نيابة الكرك . وأرباب الولايات بها من الأبواب السلطانية على أصناف)

الصنف الأول

(أرباب السيوف)

وليس بها منهم غير نائب السلطنة ، ويكتب له تقليد في قطع الثنتين بـ «المجلس العالي» .

وهذه نسخة تقليد بنبابة السلطنة بالكرك ، كتب به للأمير «سيف الدين ايتمش» من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، وهو :

الحمد لله الذي خص بزازمتنا معاقل الإسلام وحُصُونَهُ ، وبصرنا باختيار من رُتِبَهُ في كل معقل منها من أنجاد الأمراء ليحفظه ويصُونَهُ ، وجعلها بنايتنا روضاً تجللي ألبار الأولياء من بيض صفاحتنا نوره وتجنني من شمر رماحنا غُصُونَهُ ، وعوذها من آيات الحرس بما لا تزال سُحُوتُها وكُتُبُها يروون خبره عن صيفنا المتصفي لحفظها ويقصُونَهُ .

نحمدُه على نِعَمِهِ التي أطلت بنا بناء الممالك ، وحاطتها من نبُل مهاتنا ، بما لو سَلَلَتْ بينه الأوهام ضاقت بها المسالك ، وصفحتنا من صفاح عنايتنا ، بما يحول برقه

بينها وبين ما يستر طيف العدا من الظلام الحالك ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تصم من أوى إلى حريم إخلاصها ، وتبقى غدا من غدا من أهل تقربها واختصاصها ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أضاعت ملته ، فلم تحف على ذى بصر ، وعلت شرعته ، فغدا باع كل ذى باع عن معارضتها ذاق قصر ، وسمت أمته ، فلو جالدها معاد أرقه الحضر أو جادلها مناو أوثقه الحصر ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كانت معاقبتهم صهوات جيلهم ، وحصونهم عرصات جلاهم ، ونحياتهم ظلال سيوفهم وظلالهم أفياء صعادهم ؛ صلاة لا يزال الإخلاص لها مقيا ، والإيمان لها مديما ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى الحصون الإسلامية بأن تحوط عنايتنا أركانه ، ونعاهد رعايتنا مكانه ؛ وتلاحظ مهابتنا أحواله فتطليا ، ونشاهد أوامرها قواعد قسيتها بجمل النظر وتعليلها ؛ وتحول سطواتنا بين آمال الأعداء وتوهمه ، ونحجب خافه بأسنا أفكار أهل العناد عن تأمل ما فى الضمير وتوهمه - حصن أنقذ الإجماع على انقطاع قرينه ، وأمتناج نظيره فيما خصه الله به من تحصينه ؛ فهو فرد النهر العزيز مثاله ، البعيد مثاله ؛ المستكنة فى ضمائر الأودية الغوامض بقعته ، المستجنة بقلل الجبال الشواحق تقعته ، السائر فى أقطار الأرض صيته وسمعته .

ولما كانت قلعة الكرك المحروسة هى هذه العقيلة التى كرم ردت آمال الملوك راعمها ، ومنعت أهواء النفوس أن تمثلها فى الكرى الأجناف الحالمه ؛ وكان فلائح ممن ينهض مثله يحفظ مثيلها ، ويعلم أن أماتها التى لا تميلها الجبال قد أودعت منه إلى كنفها ووضعت كفايتها فى أهلها ؛ فهو سيفنا الذى يحوطها دبابه ، وولينا الذى من طمح بصره إلى أفق حله أحرقه شهابه ، ونسوايامنا التى تنشئ كل ليث يقنص

الظفر ظُفْرُهُ وَيَنْبُو بالسيف نَابُهُ ، وَغَدَى دَوْلَتِنَا الَّذِي مَا آعَمَدْنَا فِيهِ عَلَى أَمْرٍ إِلَّا كَرَّمَ بِهِ نُبُوضَهُ وَحَسَّنَ فِيهِ مَنَابَهُ - أَقْتَضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرَفَةَ أَنْ تُخَصَّصًا بِمَهَابَةِ سَيْفِهِ ، وَتُخَصَّصَنَا بِمَا فِيهِ مِنْ قُوَّةٍ فِي الْحَقِّ تَكْثُفُ كُلَّ بَاغٍ عَنْ حَيْفِهِ .

فَلَذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَأَزَالَتِ الْحَصُونُ الْمُصَوَّنَةُ تَحْتَالُ مِنْ مَلِكِهِ فِي أَهْبَى الْحُلَلِ ، وَتَعْلُو مَعَاوِلَ الْكُفْرِ بِسُلْطَانِهِ عُلُوَّ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ عَلَى الْمَلَلِ - أَنْ تَفُوزَ إِلَيْهِ نِيَابَةُ السُّلْطَانَةِ الشَّرِيفَةِ بِالْكُرْكِ الْهَرُوسِ غَوِيضًا يُعْلِي قَدْرَهُ ، وَيُطْلِعُ فِي أَفْعَاهَا بَذَرَهُ ، وَيُطْلِقُ فِي مَصَالِحِهَا سَيْفَهُ بِالْحَقِّ وَقَلْبَهُ ، وَيُمِضِي فِي حَامِيَتِهَا أَعْمَالَهُ وَكَلِمَتَهُ ، وَيَسْتَدُّ فِي أُمُورِهَا آرَاءَهُ الْمَقْرُونَةَ بِالصُّوَابِ وَهَمَمَهُ .

فَلْيَا شَرِهُنَا الرُّبْعَةَ الْعَلِيَّةَ صُورَةً وَمَعْنَى ، الْمِلَّةَ إِذَا طَاوَلَتِ الْكَوَاكِبَ بَانَ لَا يَعْلَمُ لَهَا أَسْمَى وَأَسْنَى ؛ وَلِيَجْتَهِدْ فِي مَصَالِحِهَا اجْتِهَادًا يُؤَالِي لَهُ مِنْ شُكْرُنَا الْمُنْعَ ، وَيَأْتِي فِيهِ مِنْ مَوَاضِينَا بِالْفَرَضِ الْمُقْتَرَحِ ؛ وَيَزِيدُهَا إِلَى حَصَانَتِهَا حَصَانَةً وَقُوَّةً ، وَيَزِيدُهَا بِسِيَاسَتِهِ الَّتِي تَغْدُو قُلُوبُ أَهْلِ الْعِيَادِ بِمُخَاقَاتِهَا مَغْرُورَةً . وَلِيَنْظُرْ فِي مَصَالِحِ رَجَالِهَا فَيَكُونَ لِحُسْنِيَّتِهِمْ مُقَدِّمًا ، وَلِقَدَمِهِمْ مُكْرِمًا ؛ وَلَا عِذَارَهُمْ مُزِيحًا ، وَلِحُلُوطِطِهِمْ بِتَيْسِيرِ مَقَرَّرَاتِهِمْ مُزِيحًا . وَلِيَكُنْ لِمَنَارِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ مُعْظَمًا ، وَلَا أَحْكَامِهِ فِي كُلِّ عَقْدٍ مُحْكَمًا ؛ وَلْيَا قَرَبَ وَبَعْدَ مِنْ بِلَادِ نِيَابَتِهِ عَامِرًا ، وَلَا كُفَّ الْجَوْرِ عَنْ الرِّعَاةِ كَافًا : فَلَا يَرِجُ عَنْ الظُّلَمِ نَاهِيًا وَبِالْعَدْلِ آمِرًا ؛ وَمِلَاكُ الْوَصَايَا تَقْوَى اللَّهِ فَلْيَجْعَلْهَا حِلْيَةً نَفْسِهِ ، وَنَجْمَ أُنْسِهِ ، وَوُضُيْفَةَ اجْتِهَادِهِ الَّتِي تَظْهَرُ بِهَا مَزِيَّةُ يَوْمِهِ عَلَى أَمْسِهِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَسُدُّهُ فِي أَحْوَالِهِ ، وَيَعَصِّدُهُ فِي أَعْمَالِهِ وَأَقْوَالِهِ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ !

(١) لَعَلَّه «بَانَ لَا يَعْلَمُ لَهَا أَسْمَى وَأَسْنَى» .



وهذه نسخة تقليد بناية السلطنة بالكرك ، كُتب به للأ مير « تلکتمر الناصرى »
عند ما كان المقر الشهابى أحمد ولد السلطان الملك الناصر بالكرك ، وهو :

الحمد لله الذى جعل بنا الممالك مُحَصَّنَةً الحُصُون ، حُجِيَّةً بِكُلِّ سَيْفٍ يَقْطُرُ مِنْ
حَدِّهِ الْمُنُونُ ، مُنْعَةً لَا تَنْطَلِئُ إِلَيْهَا الظُّنُونُ ، حُجِيَّةً لَا تَرَاهَا مِنَ النُّجُومِ حُيُونُ ، رَافِلَةً
مِنَ الْكَوَاكِبِ فِي عَقْدِ تَمِيمٍ ، مَنِيْعَةً أَشْبَهَتْ السَّمَاءَ وَأَشْتَبَهَتْ بِهَا فَأَصْبَحَتْ هَذِهِ
الْبُرُوجُ مِنْ هَذِهِ لَا يَتَيْن .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي رَفَعَتْ الْأَقْدَارَ ، وَشَرَّفَتْ الْمَقْدَارَ ، وَحَلَّتْ فِي مَمَالِكِ الشَّرِيفَةِ
كُلَّ عَقِيلَةٍ مَا كَانَ مَعْصُمُهَا الْمُتَمَدُّ إِلَى الْهَلَالِ لِيُتْرِكَ بِغَيْرِ سِوَارٍ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً رَفَعَتْ لِلْحُصُونِ الْعَالِيَةِ رُتْبًا ، وَمَلِكْتُ بِهَا سَمَائُهَا
حَرَمًا وَشُهُبًا ، وَأَعْلَتْ مَكَانَهَا فَاقْتَبَسَتْ مِنَ الْبَرْقِ نَارًا وَوَرَدَتْ مِنَ السَّطَابِ قُلُوبًا ؛
وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَشْرَفُ مَنْ بَشَرٍ وَلَاةٌ عَلَى الْأُمُصَارِ ، وَكُفَاةٌ عَلَى
الْأَقْطَارِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ مَا صَدَحَتْ الْجَنَائِمُ ، وَسَفَحَتْ النِّجَائِمُ ؛
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ خَيْرَ مَنْ حُمِيَتْ بِهِ الْمَمَالِكُ ، وَحُمِدَتْ - وَفَّقَهُ الْمُنَّةُ - مِنْهُ الْمَسَالِكُ ،
وَأَزْنَقَتْ هِمَمُهُ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، مَنْ حَصَلَ الْوُثُوقُ بِهِ
فِي أَشْرَفِ مَمْلَكَةِ لَبْنِيَا ، وَأَفْضَلِ مَا يُعْرَضُ فِي دَوْلَتِنَا الشَّرِيفَةِ مِنْ أَعْمَالِهَا الصَّالِحَةِ
حَلِينَا ؛ وَهِيَ الَّتِي قَعَدَتْ مِنَ الْجِبَالِ عَلَى مَقَارِقِهَا ، وَاتَّصَلَتْ مِنَ النُّجُومِ بِعَلَائِقِهَا ؛
وَتَحَدَّرَتْ النِّجَائِمُ مِنْ دُيُوبِهَا ، وَطَلَقَتْ عَلَى الْمِبَاءِ وَطَافَتْ عَلَى الْكَوَاكِبِ بِفَرَّتِ الْمَجَرَّةُ

من سُيُوطِهَا . وكان الكرك المحروس هو المراد، ومدينته التي لم يُحَاقَ مِثْلُهَا في البلاد،
وَقَلْعَتُهُ تَشْكِي الرِّيحَ لها طلوع واد وتزول واد؛ وهي أرض تُمُتْ بأنها لنا مَسْكَنٌ،
وَتُمُتْ مَنَاقِبُهَا بما في قلوبنا من حُبِّ الْوَطَنِ؛ وَأَسْتَمَرَّتْ لِلْقَامَاتِ الْعَالِيَةِ أَوْلَادَنَا
- أَعَزَّهم الله بَنَصْرِهِ - فَانْقَلَّتْ من يَمِينٍ إِلَى يسار، وتهايلت بين شُمُوشٍ وَأَقْصَارٍ،
وجادَ بها الْبَحْرُ على الأنهار .

فَلَمَّا خَلَّتْ نِيَابَةُ السُّلْطَنَةِ الْمُعْظَمَةِ بِهَا عَرَضْنَا على آرَائِنَا الشَّرِيفَةِ مَنْ تَطْمِئِنُّ بِهِ
الْقُلُوبُ، ويحصلُ الْمَطْلُوبُ، وَيَجْرِي الْأُمُورُ بِهِ على الْحُسْنَى فيما يُتُوبُ؛ وَتُبَارَى
عِزَّتُهُ الرِّيحَ بِرَمْيِ كُلِّ مَقْلَةٍ وَهَزَّةٍ جَيِّدٍ، وَلَا يُسَكُّ في أَنَّهُ كُفُوُ هَذِهِ الْعَقِيلَةِ،
وَكَافِي هَذِهِ الْكَفَالَةِ الَّتِي مَا هِيَ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا عِنْدَنَا قَلِيلَةٌ، وَكَافِلُ هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ الَّتِي نَكُمُ
بِهَا بَنِيَّةٌ أَحْسَنُ مِنْ بَنِيَّةٍ وَنَحِيلَةٌ أَحْسَنُ مِنْ نَحِيلَةٍ؛ مَنْ كَانَ مِنْ أَبْوَابِنَا الْعَالِيَةِ مَطْلَعُهُ،
وَيَنْ أَيْدِينَا الشَّرِيفَةِ لَا يُجْهَلُ مَوْضِعُهُ؛ طَالَمَا تَكَلَّمْتُ بِهِ الصَّفُوفَ، وَتَجَمَّلْتُ بِهِ
الْوُقُوفَ، وَحَسُنَ كُلُّ مَوْصُوفٍ، وَلَمْ تَخَفْ مَحَاسِنُهُ الَّتِي هِيَ بِهَا مَعْرُوفٌ؛
كَمْ لَهُ شَيْءٌ عَلَيْهِ، وَهَيْئَةٌ جَلِيلَةٌ، وَتَقْدِمَاتُ إِقْدَامٍ بِكُلِّ نَهَايَةٍ غَايَةِ مَالِيَةٍ، وَعِزَاتُهَا
بِنَعْتِهِ مَضَاءُ السَّيْفِ وَبِاسْمِهِ قُوَّةُ الْحَدِيدِ وَهِيَ بِالنَّسْبَةِ إِلَيْهِ مُلْكِيَّةٌ؛ وَكَانَ الْمَجْلِسُ
الْعَالِيُّ - أَدَامَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ - هُوَ لَا يَسُ هَذِهِ الْبُرُودُ الَّتِي رُقِيتْ، وَالْعُقُودُ الَّتِي نُظِمَتْ،
وَجَامِعُ هَذِهِ الدَّرَرِ الَّتِي قُسِمَتْ، وَالْدَّرَارِيُّ الَّتِي سَمَتْ إِلَى السَّمَاءِ لَهَا وَبِمَتْ؛ وَهُوَ
مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِي الْوَقَارِ، وَلَهُ حُكْمٌ كَلِمَاسٍ وَيَأْسٌ يَقْطَعُ الْأَنْجَارَ، وَهُوَ مَلِكٌ نِصْفُهُ
الْآخَرُ مِنْ حَدِيدٍ كَمَا أَنَّ اللَّهَ مَلَائِكَةٌ نِصْفُهُمْ مِنَ النَّجْجِ وَنِصْفُهُمْ مِنْ نَارٍ؛ وَهُوَ الَّذِي
أَقْتَضَتْ آرَائُنَا الشَّرِيفَةُ أَنْ نَجْعَلَهُ فِي خِدْمَةِ وَلَدِنَا - أَمْتَعَهُ اللَّهُ بِبِقَائِنَا - نَائِبًا بِهَا،
وَقَائِمًا بِحَسَنِ مَنَاقِبِهَا، وَالْمُتَصَرِّفَ فِيهَا بَيْنَ أَيْدِيهِ الْكَرِيمَةِ، وَالْمُتَلَقِّ دُونَهُ لِأُمُورِهَا الَّتِي
قَلَدْنَا بِهَا عَقْدَهُ أَمَانَةً عَظِيمَةً .

فلذلك خرج الأمر الشريف - لا زال به سيف الدين ماضيا ، ولا برح كل واحد بحكم سيفه في كل تجريد وقلمه في كل تقليد راضيا - أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالكرك المحروس وما معه على عادة من تهمته فيها ، وقاعدته التي يتكفل لها بالإحسان وبكف العُدوان ويكفيها ؛ وكل ما فيها من أمر فهو به منوط ، وكل عمل لها به محوط ، وحكمه في مصالحنا الشريفة في جميع بلادها منسوط ، وله تطالع الأمور ومنه تصدر المطالعة ؛ وبه تُزال كل ظلامه ، وتُراح كل ملامه ؛ ويُؤيد الشرع الشريف ويُؤيد حكمه ، وينشر علمه وينشر علمه ؛ وتقام الحدود بحده ، والمهابة بحجته . ورجال هذه القلعة به تتألف على طاعتنا الشريفة قلوبهم ، والرايا يعمهم بالعدل والإحسان وأمر ما عندنا مطلوبهم ؛ وهؤلاء هم شيعتنا قبلك ، ورعيّتنا الذين هم لنا ولك ؛ فرفرف طيهم بيمينك ، وخُلم بسياحك ؛ والسارعة إلى آمتال مراسمتنا الشريفة هي أول ما نوصيك باعتماده ، وأولى ما يقبس من نوره ويُستمد من أمدايه ؛ فلا تَهْتَمُ شيئا على الانتهاء إلى أمره المطاع ، والعمل في السمع والطاعة باكر له ما يمكن أن يستطاع ؛ وخِذْمة أولادنا فلا تدع فيها مُمِخًا ، وأعلم بأن خدمتهم وخدمتنا الشريفة منسواء لأنه لا فرق بينهم وبيننا ؛ وهذه القلعة هي التي أودعناها في يمين أمانتك ، وحميناها بسيفك وصنّاها بصيانتك ؛ فاقه الله ! في هذه الوديعه ، وأد الأمانة فإنها نعمت الذريعة ؛ وأحفظها بقوة الله وتحفظ بأسوارها المنيعه ، وعليك بالتقوى والتقوى والوقوف عند الشرع ؛ والله تعالى يزيدك علواً ، ويسلفك مرجواً والاعتقاد

قلت : وربما ولي نيابة الكرك من هو جليل الرتبة رفيع القدر ، من أولاد السلطان أو غيره ، فعظم النيابة بعظمه ، ويرفع قدرها بارتفاع قدره ، وتكون مكاتبته وتقليده فوق ما تهمتم ، بحسب ما يقتضيه الحال من «الجناب» أو غيره .

وهذه نسخة تقليد بناية السلطنة بالكرك، كُتِبَ بها عن السلطان الملك الناصر « محمد بن قلاوون » لولده الملك الناصر « أحمد » قبل سَلْطَنَتِهِ ، وكتب له فيه « بالجناب العالي » ، من إنشاء الشريف شهاب الدين ، وهى :

الحمد لله الذى أسعدنا بِوَرَاثَةِ الْمَلِكِ والممالك ، وأرشدنا للرأى المصيب فى أن نَسْتَنْبِىَ مِنْ نَشْأَةٍ مِنْ ذَلِكَ ؛ وَأَيْدِنَا بِالْعَوْنِ وَالْعَوْنِ فى حِفْظِ مَا هُنَا وَحِطِّ مَا هُنَاكَ ، وَعَوْدَنَا إِلَى الْمَدَادِ يَمْنَنُهُ الْمَتَدَوِّلُ وَالْإِنْجَادُ بِمَنَّةِ الْمُتَدَارِكِ ؛ وَسَدَّنَا بِالْفَضْلِ وَالْإِسْعَافِ إِلَى أَنْ تَتَّبِعَ مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ أَنْجَحَ السَّبِيلِ وَأَوْضَحَ الْمَسَالِكِ ، وَعَضَّدَنَا مِنْ دُرَيْقِنَا بِكُلِّ تَجَلٍّ مُعْرِقٍ ، وَنَجَمٍ مُشْرِقٍ ، يَرشُقُ شِهَابُهُ ، فى الكَرْبِ الْحَالِّ وَيَأْتِلُقُ صَوَابُهُ ، فى الْخَطْبِ الْحَالِكِ ؛ وَأَفْرَدَنَا بِالنَّظَرِ الْجَمِيلِ ، وَالْفِكْرِ الْجَلِيلِ ، إِلَى أَسْعَدِ تَنْجِيلِ تَنْبِيْهِمْ^(١) فى الْآفَاقِ الشُّهُبُ الطَّوَالِغُ وَتَسِيرُ بِبُشْرَاهُ فى الْأَقْفَارِ التَّجَبُّبِ الرَّوَائِكِ .

نَحْمَدُهُ ! وَكَيْفَ لَا يُعْجِدُ الْعَبْدُ الْمَسَالِكَ ! ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى أَنْ أَهْلَنَا لِإِفَامَةِ الشُّعَا^(١) وَإِدَامَةِ الْمَنَاسِكِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ جَلَّ فى جَبَرُوتِهِ ، عَنْ مُشَابِهِ وَتَعَالَى فى مَلَكُوتِهِ ، عَنْ مُشَارِكِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الذى أُنْجِدَ جُنُودَهُ مِنَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى بِالْمَلَائِكِ ، وَأَمَدَّ بُعُوثَهُ بِالنَّصْرِ وَالظَّفَرِ فى جَمِيعِ الْمَوَاقِفِ وَالْمَعَارِكِ ؛ وَأَيْدًى أُمَمَهُ بِوَلَايَةِ مُلُوكٍ يَجْلِسُونَ فى النِّعَمِ عَلَى الْأَرَائِكِ ، وَيَحْرُسُونَ حِمَى الدِّينِ بِجِهَادِهِمْ وَأَجْتِهَادِهِمْ مِنْ كُلِّ قَاتِلٍ وَقَاتِلَةٍ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ سُبْحَنَ النَّجَاةِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْخَوَافِ وَالْمُتَّقِينَ مِنَ الْمَهَالِكِ ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ نَظَّمُوا شَمْلَ الْإِيمَانِ ، وَهَزَمُوا جَمْعَ الْبُهْتَانِ ، بِكُلِّ بَاتِرٍ وَقَاتِلٍ ؛ صَلَاةً وَرِضْوَانًا يُضْحِي لِقَائِهِمْ

(١) أى القرىبات الخ

في اليوم العَبُوسِ الْوَجْهَ الطَّلُوقَ وَالنَّفَرَ الضَّاحِكَ ، وَيُنْشَرُ فُحْشُ مَعَ النَّيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ
وَالشَّهْدَاءَ وَالصَّالِحِينَ وَحَسَنُ أَوْلِيكَ ، مَا أَتَهَّلَ بِصَالِحِ الدُّعَاءِ ، وَنَاجِحِ الْأَسْتِدْعَاءِ ،
لَأَيَّامِنَا كُلِّ عَائِدٍ وَنَاسِكَ ، وَعَوَّلُ حُسْنِ آرَائِنَا عَلَى تَهْدِيمِ مَنْ هُوَ لَجَلِيلِ آثَارِنَا سَالِكِ ،
وَأَقْبَلِ بِالْإِقْبَالِ سَنًا شَهَابِيهِ الْمُتَبِيرِ يَحُلُو مَا يُتَبِيرُ مِنْ لَيْلِ تَقَعِمَا السَّنَايَكِ ، فَخَصِلِ لِلكَرَكِ
وَالشُّوَبِكِ بِهَذَا التُّدُومِ نَفَّارِ مَسِيرِكَ بَيْنَهُمَا وَيَيْنِ التَّجُومِ الشُّوَايَكِ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى آخَرْنَا بِتَوْفِيرِ التَّوْفِيقِ ، وَيَسِّرْنَا مِنَ الْمُهْدَى إِلَى أَقْوَمِ طَرِيقِ ؛
وَوَهَبَنَا فِي الْمَلِكِ النَّسَبَ الْعَلَى الْعَرِيقِ ، وَالْحَسَبَ الَّذِي هُوَ بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّحْكِيمِ حَقِيقِ ؛
وَقَلَّدَنَا مِنْ عَهْدِ بَيْعَةِ السُّلْطَنَةِ مَالِحْمِهِ فِي الْآفَاقِ تَطْطَرِيقِ ، وَلِعِقْدِهِ فِي الْأَعْنَاقِ تَطْلُوقِ ؛
فَقِيَانَا مِنْ شَجَرَةِ هَذَا الْبَيْتِ الشَّرِيفِ النَّاصِرِيِّ الْمُنْصُورِيِّ كُلِّ غُصْنٍ وَرِيقِ ، وَهِيَ
لِلْبَرِيَّةِ تَكْرِيماً عَمِيماً بِتَقْدِيمِ مَنْ لَهُ الْمَجْدُ يَتَعَيَّنُ وَبِهِ السُّؤْدُودُ يَلِيقُ ؛ وَأُطْلِعَ فِي أَثَقِ أَعْزِ
الْمَالِكِ طَلِبْنَا مِنْ بَيْتِنَا شِهَابٍ عَلَا هُوَ لِلْبَذْرِ فِي الْكَمَالِ وَالْجَمَالِ شَيْبَةٌ وَخَفِيقِ ، وَأَعْطَانَا
أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى فِي مَعَامِلَةِ الْوَلَدِ الْبَارِّ مَعَامِلَةَ الْوَالِدِ الشَّفِيقِ ؛ وَأَوْدَعَنَا لَدَيْهِ مَا أَوْدَعَهُ
اللَّهُ تَعَالَى لَدَيْنَا : مَمْلَكَةً مَرْفُوعَةً مَتَسَعَةً لِيَرْفَعَ عَمَلُهُ وَيَلْسَعَ أَمَلُهُ وَلَا يَضِيقِ ، وَجَمَعْنَا
لَهُ أَطْرَافَهَا لِتَكُونَ لِكَلِمَتِهِ الْعُلْيَا بِهَا الْاجْتِمَاعُ مِنْ غَيْرِ تَفْرِيقِ .

وَلَمَّا كَانَ الْجَنَابُ الْعَالِي ، الْوَلَدِيُّ ، الشَّهَابِيُّ ، سَلِيلُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، خَلِيلُ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : هُوَ الَّذِي تُسِيرُ رُتَبُ الْكَفَالَةِ بِرَقَبِهِ ، وَتَقَرُّ عِيُونُ الْأَوْلِيَاءِ بِتَعَيُّنِهِ لِإِقْلَافِ
أَمْرِنَا الْمَطَاعِ وَتَلْقَاهُ ؛ وَتَلْهَجُ الْأَلْسِنَةُ ضَارِعَةً إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَخْلُدَ مُلْكَ بَيْتِهِ
الشَّرِيفِ وَيُثَبِّقَهُ ، وَتَعْرُجُ إِلَى السَّمَوَاتِ دَعَوَاتُ الْأَتْقِيَاءِ أَنْ يُوقِيَهُ اللَّهُ بِمَا يَتَّقِيهِ ؛
وَتُمَسِّكُ فِي هَذَا الْمَقَامِ لِسَانَ الْمَقَالِ عَنْ مَلِيحَةِ آدِبَا ، وَتَرْكُ الْاِئْتِخَارِ بِالْمَالِ
وَالْعَدِيدِ إِثَارًا لِثَوَابِ اللَّهِ وَطَلِبَا ؛ وَتُذَرِّكُ مَوْعِظَةَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ قَصِيدًا وَأَرْبَا :

(١) (وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عَقْبًا) . ويركة هذا القصد يتم لنا فيه المراد، ويتم هذه المملكة النفع بهذا الإفراد ؛ فإنها معهود النصر والفتح، ومشهد الوفر والمنح؛ ومضعد العز الذي لما وطئنا صرحه تدكدك للعدا كل صرح، وتملك للهدى كل سرح؛ ونشيقنا بها لقرب المزار من طيب طيبة أعظم نفع، وقد بقينا بجاه الحال بها في تيسير التأيد فكان كالفتح؛ وجرى خلفنا السمع بعد ذلك على عادته في الحكم والصفح، وسرى ذكرا في الشرق والغرب ولقدأ به أطرب صدح، وآتى الله من فضله ملكا نجا نجل عن العد والشرح؛ فيها منشأ دولة الدول ومنها فتح الفتوح، وبإضافته إلينا نفاؤل خير مشهور مأموح؛ كما قيل قبلها كرك نوح، فبتطهير الأرض من الكفار، عزائمنا تغدو وتروح، وبالأستناد بأطول الأعمار، أماره بادية الوضوح؛ وآثار بركة الأيم الشرف الحمدي تظهر علينا في الحركات والسكات وتلوح، ونقار هذه المملكة المباركة : لاختصاصها بالحرمين الشريفين عليها طلاوة وسعادة وفيها روح؛ وكنا قد سلكنا بهذا الولد النبيل، سنة أبي الأنبياء إبراهيم الخليل، في ولده إسماعيل، عليهما السلام التلم في كل بكرة وأصيل؛ حيث فارقه وأفرده، وبفقدته في كل حين وتعهدته؛ حتى شد الله تعالى به عضده ورفع هو وأبوه قواعد البيت وأعانه لما شيده، فأجمل الله لنا هذا القصد وأحمده، وكل هذا الشروع وأسعده؛ وأجل [له] من فوائده أوقريته وأنجز له من عوائده أضدق عده؛ فأخلتاه في هذه المسنة بمملكة الكرك فسلك من حسن السجايا أحسن مسلك، وملك قلوب الرعايا وبما وهب من المنح تملك؛ وبسنتنا في التواضع لحق مع الخلق تمسك، وبسيمنا وخلقنا في الجود تخلق قبلنا وما أمسك .

(١) التلاوة «خير أملاء» أما وخير عقبا فهو في آية قبلها .

ولما بلغ أشده وأستوى ، وبزغ شهابُ علاه الذى هو وبدرُ السماء سوا ؛ وحاز
مكارِم الأخلاقِ وحوى ، وفازَ سلطاننا فى نجابته بحسن النية : «وَأَمَّا لِكُلِّ أَمْرٍ
مَا نَوَى» - حُكْمُهُ فى هذه النيابة التى أَلِفَهَا وَدَرَّبَهَا ، وعرف أُمُورَهَا وَجَرَّبَهَا ،
وَاسْتَمَالَ خَوَاطِرَ أَهْلِهَا وَاسْتَجَلَبَهَا ، وأدنى لهم لَمَّا دَنَا مِنْهُمْ الْمَيَامِنَ وَلَمَّا قَرَّبَهَا
مِنْهُمْ قَرَّبَهَا ، وَاسْتَحَقَّ كِفَالَتَهَا وَاسْتَوْجَبَهَا ، وَأظهرَ اللهُ تَعَالَى فِيهِ مِنَ التَّائِيلِ أَنْجِبَهَا ،
وَمِنَ الْخَلَائِقِ أَرْجَبَهَا ، وَمِنَ الْأَعْرَاقِ أَطْيَبَهَا ، وَمِنَ الْعَوَارِفِ أُنْسَبَهَا ، وَمِنَ الْعَوَاطِفِ
أَقْرَبَهَا ، وَمِنَ الْبَسَائِلِ أَرْهَفَهَا وَأَرْهَبَهَا ، وَمِنَ الْجَلَالَةِ أَحَبَّهَا لى الْقُلُوبِ وَأَعْجَبَهَا ، وَمِنَ
السِّيَادَةِ مَا أَخَذَتْ نَفْسَهُ لَهَا أَهْبَهَا ، وَمِنَ الزِّيَادَةِ مَا يَتَعَيَّنُ [له] شُكْرُ اللهِ الْوَاضِعِ الَّذِى
وَهَبَهَا ، وَمِنَ السَّعَادَةِ مَا رَفَعَتْ الْأَقْدَارُ عَلَى مَنَاقِبِ الْكَوَاكِبِ رُتَبَهَا ، وَأَطْلَعَتْ
لَحْمَاتِهِ سَمَاءَ الْعِلْيَاءِ شُهَبَهَا ، وَرَفَّتْ عَلَى هَامَةِ الْجُوزَاءِ مَنْصِبَهَا ، وَاسْتَصْحَبَتْ مِنَ الْعَنَاءِ
لِهَذَا الْبَيْتِ مَرْيَّةَ فَرَضَ اللهُ بِهَا لَهُ الطَّاعَةَ وَكَتَبَهَا ؛ فَاسْتَخَرْنَا اللهُ تَعَالَى الَّذِى يَخْتَارُ لَنَا
وَيَخِيرُ ، وَسَلَّاتُهُ التَّائِيدَ وَالتَّائِسِيرُ ، وَفَوَضْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ الْكَفِيلُ لَنَا بِالتَّائِيدِ ، فِي كُلِّ مَبْدِئٍ
وَمَصِيرٍ ، وَاسْتَعْنَا بِهِ وَهُوَ نِعَمُ النَّصِيرِ ، وَاقْتَضَى حَسَنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ تُسْرَجَ
شِهَابُهُ الْمُنِيرُ ، وَتُتْلَجَ لِلْأَوْلِيَاءِ يَمْنُ التَّائِيلِ بِحَسَنِ هَذَا التَّائِيرِ ، وَتُتَهَجَّ فِي رُءُوسِ سُبُلِهَا
تَقْدِمَتُنَا إِلَيْهَا كُلِّ ذِي مَنِيرٍ وَمَرِيرٍ ، وَتُتْلَجَ الصُّدُورُ وَتُهَرَّ الْعُيُونُ بِسَعِيدِ هَذَا الْإِصْدَارِ
وَحَمِيدِ هَذَا التَّقْرِيرِ .

فلذلك رمى بالأمر الشريف - لا برج أمره يصيب السداد فيما إليه يصير ،
وخبره يحمل الموافاة فلا لئسنة عن مكافأة ربه تقصير - أن خوض نيابة السلطنة
الشريفة بالكرك المحروس والشوبك للجناب العالى ، الولدى ، الشهابى ، وما ينضم
إلى ذلك وينضاف ، من جميع الأقطار والأكتاف ؛ وجمعتها له من هذه المملكة
الأطراف ، وجعلنا له على سهلها وجبلها إشراف ، وصرفناه منها فيما هو عن علمه

الكریم غیر خوف ؛ نیابة کامله ، کافله شامله ؛ عامه ، تامه ؛ وافرہ ، مسافرہ ؛
 يستلزم طاعته فيها الاقتراض ، وتخصم عنه فيها مواد الاعتراض ، وتتخذ مراسمه
 من غير توقف ولا انتقاض ، وتبسط يده البيضاء من غير انقباض ، ويرتفع رأيه
 من غير انخفاض .

فلتقدر رعية هذه البلاد نعمة هذا التفويض قدرها ، وليسألوا الله أن يوزيهم
 لحسن هذا التفويض شكرها ؛ فقد أنشأ لهم يسرها ، وأفاء لهم رزقا ، وألقى إليهم
 جوتها وخيرها ، وأبقى عليهم عزها ونصرها . وليتبعوا السبيل القويم ، وليجتمعوا
 على الطاعة التي تبنى عليهم نعمة العافية وتديم ؛ وليسمعوا ويطيعوا لما يرد إليهم
 من المراسيم ، فمن لم يستقيم كما أمر لا يستمر بهذه البلاد ولا يقيم ؛ والعاقل لنفسه
 خصيم ، والجاهل من عدم النعمة وحريم النعم ؛ وفراسنتا تلمح نتائج الخير من هذا
 التقديم ، وسياسنتا تفصح ما قرب منا وما بعد بتعرف أحكام التحكيم ؛ وكيف لا ؟
 وهو الكريم بن الكريم بن الكريم ، المؤمل تمام السؤدد قبل أن يعقد عليه التميم ؛
 المشتغل على الخلال الموجهة له الفضل العيم ، المتوصل يمين حركاته إلى أن يكون
 مثل هذا الملك العظيم ؛ وإلى أمانته استبداع وإلى صيافته تسليم ، المقبل وجهدا
 الإقبال فتلو الرجال : (ماهدنا نبشرا إن هذا إلا ملك كريم) .

ونحن نأمرك من التقوى بما به من الله أمرنا ، ونبصرك من الهدى بما له هدينا
 وبصرتنا ، ونبقي لديك من بدائعها ما به خصصنا وأوتنا ؛ ونوصيك أتباعا للكتاب
 والسنة ، وتوثيك من الهداية ماله في الإرشاد إليه المنه : فقد وعظ ووصى لقمان -
 عليه السلام - أبنه ، وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل لما بعثه
 إلى اليمن فحقق الله تعالى في نجاحه رجاءه وفي فلاحه ظنه ؛ ونذكر جنابك ، ونرجو أن

تكون من تنفعه الذكرى، وتسير شهابك، إلى أفق السعد وتأمل أن تيسر للبشرى،
وتؤمرك فزيد علم عزك رفعا ولواء مجديك نشرًا، وتأمرك همة بحسن أخلاقك،
فيتلو لسان وفالك : (سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا) . فذلك
من أيدته العصم، وأصعدته الهيم، وحيدته الأثم، وأرشدته إلى الحكم ما عهدته
فكرته من الحكم، وسدته أعراقه وأخلاقه فلا يزد على ما فيه من كرم؛ فلا تذكرك
منك ناسيا، ولا تفكر لاهيا، ولا تأمر وتنهى إلا من لم يزل بالمعروف أمرًا وعن
المنكر ناهيا .

فآتي الله تعالى : فعل التقوى مرباك، وراقب الله تعالى : فالمرقبة للولك من
بيتك ملاك، وجد في فصرة الحق ولا تأب : قد أئجد الله تعالى بذلك جدك وأباك،
وأعدل فبالعدل تعمر الدول وأقم منار الشرع، فهو الأصل الذي يرد إليه من القضايا
كل فرع، ومجاله الرحب إذا ضاق الدرع؛ فأيد حركه، وشيد معاليه، وأكثد
الإلزام بأحكامه اللازمة .

والأمرأء والجنود فهم جناح النجاح، وصفاح الصفاح؛ فاعتمد أحوالهم بالصلاح،
وأرد فيهم ما استطعت الإصلاح . والخيالة والرجالة الذين يُعجى بهم مصون الحصون
أن يستباح، فالخط أموره بعين فكرك في كل مساء وصباح، فمن نهض في الخدمة
تعين من النعمة أن يزد ومن قصر في العزم قضى الخزم أن يزاح . والوطايا فهم
للإحسان وذائع، واللائمتان صنائع؛ فأغلب لهم من المعيلة المشارع، وأنصب
لهم من إقامة الحرمة الزواجر والروادع؛ وأخصب لهم من النعمة مربعا يرغب الجراح
ويقرب الطائع . وأهل الذمة فآوهم إلى كنف العدل الواسع، وأجهم أن تمتد
إلى أنفسهم يد جائن وإلى أموالهم يد طامع، وأقم عليهم بأسا يحل بهم إذا اعتدوا

القَوَاصِمَ والقَوَارِعَ ، وأدبهم مهابة تُسَدُّ من فساد الدَّرَائِعِ ، وعَاوِدَ آراءنا الشَّرِيفَةَ
 وَرَاجِعَ ، وَوَصَلَ بَأْنَابِكَ السَّارَةَ وَأَفْعَالِكَ الْبَارَّةَ وَتَابِعَ ، وبِمَا نَسْطَلَعُ إِلَيْهِ خَوَاطِرُنَا
 الْعَاطِفَةَ مِنْ مُتَجَدِّدَاتِكَ الْمُبَارَكَةِ أَنْحِفَ وَطَالِعَ ؛ وَاللهُ تَعَالَى يَسْتَفْ بِحُسْنِ سِيرَتِكَ
 الْمَسَامِعَ ، وَيَشْرِفُ بِجُلُودِكَ مَذَلِكِ الْحَافِلِ وَالْمُجَامِعِ ، وَيُوزِعُكَ شُكْرَ نِعْمَتِهِ وَيَجْعَلُ لَكَ
 مِنْ عِصْمَتِهِ أَعْظَمَ وَازِعَ ، وَيَتَمَتَّعُ بِأَيَّامِنَا الَّتِي فِيهَا الْخَيْرُ الشَّامِلُ وَالرَّجَاءُ الْجَامِعُ ،
 وَيَصُونُ بِجَلَالِكَ الْحُسْنَى مَا اسْتَعْظَمْتَ مِنْ أَسْنَى الْوَدَائِعِ ، وَيُزَيِّنُ سَمَاءَ الْعِلْيَاءِ
 بِجِلَالِكَ فَهَذَا لَكَ قَرَاهَا وَالتَّجُومَ الطُّوَالِغَ ، وَيُوفِّقُ بِجَمِيلِ قَصْدِكَ إِلَى أَنْ تَأْخُذَ
 مِنَ الْقَالُوبِ بِالْمُجَامِعِ ، وَيَحَقِّقُ فِي إِسْعَادِ جَنَابِكَ الْمَطَالِبِ وَيُسْرِقُ بِإِصْعَادِ شَهَابِكَ
 الْمَطَالِغَ ، وَالْعَلَامَةَ

الصف الثاني - أرباب الوظائف الدينية . وبها قَاضٍ واحدٌ شافعي ،
 وتوقيعه في قَطْعِ التَّلْتِ بـ«السامي» بالياء .

الصف الثالث - الوظائف الدِّيوانية . وهي ثلاثُ وظائفٍ ، يَكْتُبُ لِكُلِّ
 مِنْهَا تَوْفِيقٌ فِي قَطْعِ الْعَادَةِ . الْأُولَى كِتَابَةُ الدَّرَجِ . الثَّانِيَةِ نَظَرُ الْمَالِ . الثَّالِثَةِ
 نَظَرُ الْجَيْشِ .

القسم الثالث

(مما يَكْتُبُ مِنَ الْوَلَايَاتِ عَنِ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَةِ بِالْأَبْوَابِ الْمَصْرِيَةِ -

مَا يَكْتُبُ لِأَرْبَابِ الْوُظُفَانِ بِالْمُلْكَةِ الْمُجَازِيَةِ)

وقد هُتِمَ أَنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى ثَلَاثِ قَوَاصِدَ :

القاعة الأولى

(مكة المشرفة ، وبها وظيفتان)

الوظيفة الأولى

(الإمارة)

وقد تقرر أن إمارتها في بني الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، وأنها كانت تؤلى من أبواب الخلافة ببغداد إلى حين اقتراضها ، إلا ما تقلب عليه الفاطميون أصحاب مصر في خلال ذلك . ثم استقرت آنحرا من جهة ملوك مصر إلى الآن . ويكتب له تقليد في قطع النصف به المجلس العالي « بزيادة ألقاب مخصوصه ، وقد تقدمت ألقابه في أول هذا الطرف .

وهذه نسخة تقليد بإمرة مكة المشرفة : كتب بها عن الملك الناصر « محمد بن قلاوون » لأسد الدين « رميثة » بن أبي نمي ، بإمرة مكة المشرفة ، وصفا عن أخيه « عطيفة » عند قتل الأمير الدمرجان دار وولده خليل ، من إنشاء المولى تاج الدين ابن البارباري رحمه الله ، في المحرم سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة ، وهي :

الحمد لله الحكيم : فالشريف من اتبع أوامره ، العظيم : فالسعيد من اتقى غضبه بأعماله الزاكية ونياته الطاهرة ، الكريم : فالفائز من سلك مراضيه في الدنيا ليأمن في الآخرة ؛ ومن أخاف عاكف حرم الله وبأديه فقد بآء بالأفعال الخاسره ، ومن عظم شعائر الله فقد رقل في حل الإقبال الفآخرة .

نحمده على أظافه الباطنية والظاهرة ، ونشكره وزجره وما زال ينجح راجيه ويزيد شاكره ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من اتخذ الحق ناصره ،

وأودع إخلاصها صَمَائِرَهُ ؛ ونشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله الذي بعثه الله من الحرم
فألف القلوبَ النَّافِرَةَ، وفتح مكةَ فطهرها من الزُّمَرَةِ الكافِرَةِ، وقال في ذلك اليوم :
« مَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَقَدْ آمَنَ » فأمسى أهلها ونفوسهم بالأمن ظافره ؛ صلى الله عليه
وعلى آله نبي الزهراء العترة الزاهرة، وعلى صحبه النجوم السافره ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعدُ، فإنَّ الحكمَ [بالعدل] شعارنا ، وبالله اقتدارنا وأقتدارنا ؛ وفي الإحسان
رَغْبَتنا، وفي كُلِّ عُنُقٍ مِثْقَا ؛ نَصَفَحَ وَنَمَحَ، وَزَعَى مَنْ أَمْسَى قَدِيمَ الْمَجَرَّةِ فِي وَلايَتنا
وأصبح ؛ وَنَقِمُ مَنْ أَهْلَ الْبَيْتِ لَحَفَظَ ذَلِكَ الْبَيْتَ الْأَصْلَحَ فَلَا أَصْلَحَ، وَتَقَدَّمَ مَنْ لَمْ
يَزَلْ مُقَدِّمًا وَإِلَى صَوْبِ الصَّوَابِ يَخْتَجُّ فَيَنْجَحُ ، وَيُخْجَى مِنَ الْمَلَكَةِ مَنْ لَاحَ لَهُ
مَنْجَحُ الْخَيْرِ فَصَلِّهِ فَأَفْلَحَ .

وكانت مكةَ المعظمةُ هي أمُّ القُرَى، والبلدُ الامِينُ المُجَزَّلُ فِيهِ الْقُرَى؛ نَسَا الْإِسْلَامُ
فِي بَطْحَانِهَا، وَحَرَمَهَا اللَّهُ فَلَا يَنْقَرُ صَيْدُهَا ، وَلَا يُنْضَدُ شَجَرُهَا ، وَلَا يُحِلُّ لِقَطْعِهَا
إِلَّا لِمُنْشِدٍ تَاكِدًا لَتَشْرِيفِهَا وَإِعْلَانِهَا؛ وَطَلَعَتْ شَمْسُ النُّبُوَّةِ مِنْ شِعَابِهَا، وَغُسِلَتْ
الدُّنُوبُ بِوَبْلِ سَحَابِهَا؛ فِيهَا زَمْزَمٌ وَكَوَّةُ جِبْرِيلَ، وَفِيهَا بَدَأَ الْوَحْيُ وَالتَّزْوِيلُ، وَإِلَيْهَا
أَعْقَتِ الرُّكَّابُ فِي كُلِّ أَبْطَحٍ لِلطَّى مَسِيرٌ وَمَسِيلٌ؛ فَكَمْ أَتَى إِلَيْهَا مِنْ سَائِرِ النَّاسِ
سَائِرٌ، وَكَمْ أَتَى إِلَيْهَا النَّاسُ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ؛ فَالْرَّحْمَةُ مُسْتَقَرَّةٌ بَيْنَ نَوَاحِيهَا
وَالْعِيُونُ تَمْتَلِيْ بِأَنْوَارِ تِلْكَ الْأَمْتَارِ حَتَّى تَجْتَلِيَهَا، وَالشَّفَاهُ تَقْشَرُفُ بِتَقْيِيلِ ذَلِكَ الْحَجَرِ
الَّذِي يَشْهَدُ لَهَا فِي غَدٍ وَحَقِيقِهَا؛ فَطُوبَى لِمُنْقِيهَا، وَمُحَقِّقِهَا لِمَنْ أَخَافَ وَقَدْ أَفَهِ فِيهَا؛ وَنَحْنُ
قَدْ بَصَّرْنَا اللَّهَ بِمُخْدَمَةِ بَيْتِهَا الْحَرَمِ، وَحَرَمِهَا الْمَعْظَمِ، وَكَرَّرَ إِلَيْهَا حُجَّتَنَا وَكَرَّمَهُ : فَهَذَا الْحَدُّ
أَنْ كَرَّرَ حُجَّتَنَا وَكَرَّمَهُ؛ وَمَا بَرَحْنَا نَقِيْمُ فِي إِمَارَتِهَا مِنَ الْعَتَرَةِ النَّبَوِيَّةِ كُلِّ شَرِيفِ النَّسَبِ،

وَكُلٌّ مِنْ يَكْتَسِبُ فِيهَا رِضَا اللَّهِ تَعَالَى : وَكُلُّ أَشْرِيٍّ وَمَا اكْتَسَبَ ؛ فَنِ أَصْلَحَ مِنْهُمْ أَقْنَاهُ ، وَمَنْ حَادَّ عَنْ الطَّاعَةِ وَبَحَّدَ النِّعْمَةَ أَزْلَاهُ ؛ وَمَنْ أَخَافَ فِيهِ السَّبِيلَ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ إِلَى الْخَيْرِ سَبِيلًا ، وَمَنْ اسْتَقَامَ عَلَى الطَّرِيقَةِ تَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ وَلَيْنَاهُ : وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا .

وكان فلان هو الذي مازالت خواطرنا الشريفة تقدمه على نبي أبيه، وتختاره أميراً وتجتبه ؛ وربما سلفت من بيته هنأت صفحتنا عنها الصفح الجميل ، وما قابلناهم إلا بما يليق لمجدهم الحسن الحسن الأصيل ؛ والإمرة وإن كانت بيد غيره هذه المدة فما كان في الحقيقة أميراً عندنا سواه ، لأنه كبير بيت المشكور من سائر الأئمة .

والآن قد اقتضت آراؤنا الشريفة أن نقيم في بلده أميراً مقررًا إليه إشار ، وأن نصطفيه : ولأنه عندنا لمن المصطفين الأخيار ، وأن نجعل الكلمة واحدة ليأمن التزيل والجار ؛ ومتى تجاذب الأمر كلمتان فسدت نظامه ، ومتى أفرد الحكم حسنت أحكامه ؛ ومتى توحد الأمر زال الاختلاف ، وزاد الائتلاف ، وأقبلت أيامه .

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن نفوض إليه إمرة مكة المشرفة ، على عادة والده . فليقلد ما فوضناه إليه من الإمرة والنيابة بمكة المعظمة : شاكرًا ما أنعم الله به عليه من مراضينا التي لا نجاة لمن لم ينل منها نصيبًا موقرًا ، ولا فوزًا لمن لم يدرك منها حظًا كبيرًا ؛ وليشرع في تمهيد البلاد من إزالة المظلمة ، وليطهرها من كل مجتري على الله تعالى في البقعة المحرمة ؛ ولا يقرب من في قلبه مرض فيعديه ، ولا يرجع لمن فيه شقاق ظاهر في صفحات وجهه وقتلات فيه ؛ وليعلم أن هذا بلد حرام حرمه الله يوم خلق السموات والأرض ، وصير حج بيته على مستطيعه من القرض ؛ وجعله للناس معادًا ومعادًا ، وقال صلى الله عليه وسلم يوم

عَرَفَةَ : « إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا » .

فَلْيَمْنَعْ الدِّمَاءَ مِنْ أَنْ تُرَاقَى ، وَالْأَمْوَالَ مِنْ أَنْ تُؤْخَذَ بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ ؛ وَالظُّلْمَ فِي اللَّيْلِ الْحَرَامِ حَرَامٌ ، وَبَنُو حَسَنٍ أَحَقُّ بِاتِّبَاعِ سُنَّةِ الْإِسْلَامِ ؛ وَأَتَقَى اللَّهَ لِقُلُقِهِ بِالْوَجْهِ الْأَبْيَضِ وَالْعَمَلِ الْأَعْمَرِ ، وَاتَّبَعَ سُنَّةَ جَدِّكَ : فَعَلَى اتِّبَاعِهَا حَتَّى وَأَمْرٌ ؛ وَأَتَقَى وَقَدْ آتَى فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِالْحَسَنِ فَهُمْ أَضْيَافُهُ ، وَأَمِنْ الْحَجِّ لَيْتِمُ نُسُكُهُ وَطَوَافُهُ .

هَذَا تَقْلِيدُنَا لَكَ أَيُّهَا الشَّرِيفُ : فَطَلَبَ نَفْسًا بِمَرْضَانَا ، وَصَفَحَنَا عَمَّا مَضَى وَمَنْحَنَا الرِّضَا حَقًّا يَقِينًا ، لِأَنَّا نَتَحَقَّقُ أَنَّ الْإِحْسَانَ يَحْرُسُنَا وَيَقِينُنَا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة تقليد شريف لأمر مَبَكَّةَ الْمُشْرِفَةِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنَا ، وَنَصَبَ فِيهِ لِلْقَائِمِينَ رُكْنًا ، وَجَعَلَ الْأَرْضَ الْحَرَمَ لَا تَبِيدُ بَرَكَاتُهَا وَلَا تَقْفَى ، وَجَعَلَ لَشَجَرَةِ النَّسَبِ الْمَهَاشِمِيِّ فِيهَا أَصْلًا شَرِيفًا كَمْ أَخْرَجَ غُصْنًا ، وَآتَى نَبِيَّ الْحَسَنِ فِيهَا إِحْسَانًا مِنْ لَدُنْهُ وَحُسْنًا ، وَأَقَامَ مِنْهُمْ أَمِيرًا فِي ذَلِكَ الْمَحَلِّ الْأَسْنَى .

نَحْمَدُهُ فِرَادَى وَمَتْنَى ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً كَامِلَةً اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي شَهِدَ اللَّهُ بِهِ لِلدِّينِ خَيْرَ مَنِيٍّ ، وَأُصْحَحَ الضُّلُوعُ عَلَى بَحْبِثِهِ مُخْنَى ، وَتَمَارُ الْخَيْرِ مِمَّا يَنْ رَوْضَتِهِ وَمِنْهُرِهِ مُنْجَى ، وَخَصَّهُ اللَّهُ بِالشَّرْعِ الْمُسْتَقِيمِ وَالَّذِينَ الْأَهْنَى ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً فِي الصَّدُورِ لَهَا سُكْنَى ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا .

ويعبد ، فإنَّ أمَّ القرى ، خيرُ البلاد بلا مِراء ، قد جعل الله للناس إليها رحلةً^(١) وسرى ، وهجروا في قصصهم إليها لذيذ الكرى ، ونصبَ فيها بيتًا مَينَ العرى ، وأنبع فيها بئرًا ماؤها يشفى السقيم ويبرى^(١) الورى ، وجعل فيها للشرف بيتًا طالى الذرى ، فاميرها المطاع ، من أهل بيت النبوة لا يحيب ولا يضاع ، ذو همة تحافها السباع ، ويرهبها البطل الشجاع ؛ يعد من الآباء أسلافًا كراما ، كصايح المياء تجلو ظلاما ، وقد طيب الله مقامهم وأعلى مقامهم حين جاوروا مقامًا .

ولما كان ... هو شريف العرب ، المشرق في النسب ، الطيب الحسب ، المحمي من آثار آياته ما ذهب ، الشريف النفس : فلا يفتت إلى العرض الأدنى من الرقة وأكد شكره الحرم وأهله ، وأثنى على صفاء سيرته الصفا وعلى مروءته المروءة إذ طاب أصله ؛ قد آتفى في الكرم أباه وجده ، وأمن سبيل الحاج من جهة البر ومن جهة البحر من جده .

فلذلك رسم أن يفوض إليه فليحلَّ البلد الحرام حاكمًا وأميرًا ، وليستجلب له من العاكف والباد شاكرا ، وليحسن للطائفين والعاكفين والرَّكع السجود ، وليتبع آثار آياته أهل الكرم والجود ؛ وليؤمن الخائف في تلك التهام والنجود ، وليردع الخائف عن حيفه فلا يعود ، ولعلم أنه بوادٍ غير ذي زرع ولكن فيه للبركات ظل ممدود ، وخير مشهود ؛ وبمكة مولدٍ أشرف مولود ، وجده الحسن رضى الله عنه فليكن حسن الفعل فكما ساد يسود ، وليرب عن البناء الأبيض عند ما يمسك بتلك الستور السود ؛ وليتلق المحمل الشريف في كل عام ، بالاحتفال والإكرام ، والطاعة التي يبلغ بها المرام ، وليقف مع أمراء الحاج مقيا لحرماتهم بحيل الاحترام ؛ وليكف الأشرار من العييد والموالي ، عن التهب والتخطف لو قد

(١) الورد اسم لقبح يكون في الجوف .

الله الذي قطع السرى بالأيام واليالي؛ وليلازم خدمة الخميل الشريف على ما يناسب شرفه، حتى يقف برفقه، ثم ينفع إلى المزدلفه، إلى أن يقضى الحج ويرحل من مكة المشرفة؛ وليكن سياجا على الحجاج، في تلك العجاج، حتى لا يفقد أحدهم عقالا، ولا يحد اختالا، ويرحلون عن مكة المعظمة من الذنوب خفافا وبمنته تقالا. والوصايا كثيرة وهو غنى عن أن تطيل له فيها مقالا، وتقوى الله فمن تمسك بها حسن حالا، وأتم أهلها كرمكم الله أهلا وآلا، والله الله في حفظ جانب الصحابة رضي الله عنهم فليردع عن الخوض فيهم جهالا، والله يجعله مغمورا مسرورا بنعم الله تعالى، بمنه وكرمه !



وهذه وصية لأمر مكة، أوردتها في "التعريف" :

وليعلم أنه قد ولي حيث ولد بمكة في سره بطعنها، وأمر عليها ما بين بطن نهرانها إلى بقوة روحانيها؛ وأنه قد جعلت له ولاية هذا البيت الذي به تم شرفه، وطئت غرفه، وعرف حقه له أطلعه ومعرفه، إذ كان أولى ولاية هذا الحرم بتعظيم حرمة، وسرور جوانبه بما يلوح من البشر على قيمته؛ ولأنه أحق بنى الزمراء بما أبنته له آباؤه، وألقته إليه من حديث قصي جدّه الأقصى أنباؤه؛ وهو أجدر من طهر هذا المسجد من أشياء يتره أن يلحق به فحش طائها، وشعاء هو يعرف كيف يتبعها «وأهل مكة أعرف بشعابها» .

فليتاق راية هذه الولاية باليمين، وليتوق ما يتخوف به ذلك البلد الأمين؛ وليعلم أنه قد أعطى الله عهدته وهوين ركن ومقام، وأنه قد باع الله : والله عزير ذو انتقام؛ وليعمر تلك المواطن، ويضمريه المار والقاطن؛ وليعمل في ذلك

بما يُجَبِّتُ عَنْهُ نِجَارُهُ ، وَيَأْمَنُ بِهِ سُكَّانُ ذَلِكَ الْحَرَمِ الذِّى لَا يُرَوِّعُ حِمَامُهُ فَكَيْفَ
جَارُهُ ؛ وَلْيُنْصَبْ إِلَى آسَمِهِ [عَرْوَجَل] حَيْثُ يُعَلَّنُ بِهِ الدَّاعِي عَلَى قُبَّةِ زَمْزَمٍ فِي كُلِّ مَسَاءٍ
وَلْيُعْرِفْ حَقَّ هَذِهِ النِّعْمَةِ ، وَلْيَعَامِلْ مِنْ وَلَّى عَلَيْهِمْ بِمَا يَلِيقُ أَنْ يَعَامَلَ بِهِ مَنْ وَقَفَ تَحْتَ
مِيزَابِ الرَّحْمَةِ ؛ وَقَدْ أَكَّدَ مَوْثِقَهُ وَآلَهُ اللَّهُ فِي تَقْضِيهِ ، وَمَدَّ يَدَهُ عَلَى الْمَجَرِّ الْأَسْوَدِ
يَمِينِ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ؛ وَلْيَبْصُرْ أَنَّهُ هُوَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ آسَأَمَنَهُ عَلَى يَمِينِهِ الذِّى بَنَاهُ ، وَسَلَّمَهُ
إِلَيْهِ بِمَشْعَرِهِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ حَيْفِهِ وَمِنَاهُ ؛ وَإِنَّهُ الْبَيْتُ الْمَقْصُودُ : وَكُلُّ مَنْ تَسَوَّقَ سَمَى
لَيْلَى فَأَمَّا قَصْدُهُ أَوْ لَعَلَّه بِالْعَلَمِ فَأَمَّا عَنَاهُ ؛ وَفِي جَمْعِهِ يَمْتَنِعُ كُلُّ شَيْءٍ ، وَفِي لَيْلَى
مِنَاهُ يَطِيبُ الْمَيْتَ ؛ وَبِمُحَصِّصِهِ تُقَامُ الْمَوَاسِمُ ، وَتَقْتَرُ الثُّغُورُ الْبَوَاسِمُ ، وَتَهْبُثُ مِنْ قَبْلِ
نَمَانِ الرِّيحِ النَّوَاسِمُ ؛ وَفِي عَقْوَةِ دَارِهِ حَمَطُ الرِّحَالِ فِي كُلِّ طَامٍ ، وَمَقَرُّ كُلِّ ذَاتِ عُودٍ
تُجْنَدُ بِقُلْعٍ وَعُودٍ تُقَادُّ بِزِمَامٍ ؛ وَإِلَيْهِ تَضِرُّبُ التِّجَارِ الْبَرَارِيِّ وَالْبَحَارِ ، وَتَأْتِيهِ الْوُفُودُ
عَلَى كُلِّ قِطَارٍ يُحْدِثُ مِنَ الْإِقْطَارِ ؛ وَكُلُّ هَؤُلَاءِ إِمَّا يَأْتُونَ فِي ذِمَامِ اللَّهِ بَيْتَهُ الذِّى
مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ، وَإِلَى مَحَلِّ آيْنٍ بُنْتُ نَيْبُهُ الذِّى يُلْزِمُهُ مِنْ طَرِيقِ رِ الضَّيْفِ
مَا أَخَذَ لَهُمْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ضَامِنًا .

فَلْيَأْخُذْ بِنِ اطَّاعَ مَنْ عَصَى ، وَلْيَرْدَعْ كُلَّ مُفْسِدٍ وَلَا سِيَّامَ الْعَبِيدُ فَإِنَّ الْعَبْدَ
الْمُفْسِدَ لَا يَزُحُّهُ إِلَّا الْعَصَا ، وَلْيَتَلَقَّ الْمَجْحَاجَ بِالرُّحْبِ وَالسَّعَةِ ، فَهَمْ زُورُهُ وَقَدْ دَعَاهُمْ
إِلَى بَيْتِهِ وَإِنَّمَا دَعَاهُمْ إِلَى دَمِهِ ؛ وَلْيَتَلَقَّ الْمُحْمِلَ الشَّرِيفَ وَالْعَصَائِبَ الْمَنْصُورَةَ ،
وَلْيَعْتَدُمْ عَلَى الْعَادَةِ الَّتِي هِيَ مِنَ الْأَدَبِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى مَعْنَى وَمَعْنَى صُورَةٍ ؛ وَلْيَأْخُذْ
بِخَوَاطِرِ التِّجَارِ فَإِنَّهُمْ سَبَبُ الرِّقِّ لِأَهْلِ هَذَا الْبَلَدِ وَتَوْسِيعَةَ مَا لَدَيْهِمْ ، وَالْمُسْتَجَابُ فِيهِمْ
دَعْوَةُ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - إِذْ قَالَ : ﴿ وَأَجْعَلْ أَثْنَدَةً مِنَ النَّاسِ
تَهْوَى إِلَيْهِمْ ﴾ . وَلَا تَنْحَيِّفْ أَمْوَالَهُمْ بِغَرَامَةٍ يَقِلُّ بِهَا الْعَنَمُ ، وَلَا بَظْلَامَةً فَإِنَّهُ يَبْأَزَاهُ هَذَا

البيت الذي يَرُدُّ دُونَهُ من أراد فيه إلحادًا بظلم ؛ وليُنْظَرُ كيف حُيِسَ دُونَهُ الفيل ،
وليُكْفَ طَائِفَةٌ من جاوره من الأعراب حتى لا يخاف ابن سبيل ؛ وليُقِمَّ شعائر
الشرع المطهر ، وأوامر أحكامه التي قامت بأبويه : بحكم جدّه سيدنا محمد صلى الله
عليه وسلم وسيف أبيه حيدر . وليأمر طوائف الأشراف وأشباعهم وسائر أهل
موالاتهم وأتباعهم بلزوم ما كان عليه صالح السلف وما عليه الإجماع ، وتجنب ما كانت
الزبديّة زادت فيه وكفّ الإطماع ، وليتق الله فإنه مسئول لديه عما استترعه
وقد أصبح وهوله راع ؛ ولماه أن يسكل على شرف بلده ، فإن الأرض لا تهدس
أحدًا ، أو شرف تحيده ، فإن في يوم القيامة لا ينفع ولدٌ والدًا ولا والدٌ ولدًا .

الوظيفة الثانية

(قضاء مكة ، ويكتب به توقيع في قطع التلث بـ «السامي» بالياء)

وهذه نسخة توقيع بقضاء مكة المشرفة :

الحمد لله الذي أنفذ الأحكام ، بالبلد الحرام ، وأيد كلمة الشرع في بلده
ومُنَّته بين الركن والمقام ، وجعل الإنصاف الخزيل ، حول حجر إسماعيل ؛
مُنَّسق النظام .

نحمده حمدا حسن الدوام ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
عبد قائم بحقها أحسن القيام ؛ ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله السامي من ولد
سام ، والذي قام لله حتى ورمّت منه الأقدام ؛ وأُسرَى به من مكة إلى السماء
مرتين : في اليقظة والنّام ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أئمة الصلاة والصيام ؛
وسلم تسليمًا .

وبعد ، فإن وظيفة القضاء بمكة المعظمة هي أجل منصب بتلك الأباطح ،
ونورها في الجبين لائح ؛ فإن الشرع نسا منها والوحي أنزل فيها فزهيت البطائح ،
وظهرت النصائح ، وأطربت الصوايح ، وأسكتت النوايح ، وغمرت المنائح ،
وانتشرت المصالح ، فمن ولي الحكم بها وعدل فذلك هو العدل الصالح ، وكيف لا ؟
وماء زمزم شرابه ، وأستار البيت تمشها أثوابه ، وصلى الله أجره وثوابه ، وفي ذلك
الجناب الشريف كرم جنابه ، وإذا دعا الله عند الملتزم جاءه من القبول جوابه .

ولما كان فلان هو فرغ النوحة المنيرة ، وعصّل من العلوم الشرعية المادة
المؤفّرة ، وله البحوث التي [هي] عن أحسن الفوائد وغرر القرائد مسفرة ، ورضى
أهل الحرم ، لما جيل عليه من خير وكرم ، [تمسك] بالعروة الوثقى والقوى الأتقى
فلا جرم .

فلذلك رسم ... - لا زال

فليكن في أم القرى ، كالوالد المشفق على الورى ، وليتمسك من التقوى بأوثق
العرا ، وليخش رب هذا البيت إنه سميع يرى ، وقد الله قطعوا إليه
المراحل في السرى ، ليصالحوا كفه المضحّ عتبا ، وليفيض بين الخصوم بالحق فيثله
من درأ الباطل : قد جعله الله جار بيت طالى اللرا ، وفي أرض شرف الله جبالها
وقدس غيراتها فيها غار ثور وغار حرا ، لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعبّد
في غار حرا ، وأدى إلى غار ثور لما هاجر مؤيدا مظفرا ، والوصايا كثيرة وملاكمها
تقوى الله فليتمسك بها من أمام وورا ، والله تعالى يجعل نهاره متورا ، وليله مقمرا ،
بمنه وكرمه ! .

القاعدة الثانية

(المدينة النبوية، وبها ثلاث وظائف)

الوظيفة الأولى

(الإمارة)

والأمر فيها على ماسة في إمارة مكة المشرفة .

وقد تهتم أن إمارتها في بني الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ،
ويكتب لها تقليد في قطع النصف بـ «المجلس العالي» أيضا بالقباب مخصوصة ،
وقد تهتم ذكر ألقابه .

وهذه نسخة تقليد شريف بإمارة المدينة النبوية ، كتب به للأمير بدر الدين
«ودى بن حماز» من إنشاء المقر الشهابي بن فضل الله ، سقى الله عهده :

الحمد لله الذي صرف أمرنا في أشرف القلاع ، وصرف قدرنا بملك ما انعقد على
فضله الإجماع ، وصرف أهل طيبة الطيبة كيف طلع البدر عليهم من ثنيات الوداع ،
وأمتها بؤدى صغر للتجيب وإلا فهو واد متلفح الأجراع .

نحمده على نعمه التي أغنت مهابط الوحي عن آرتباب البرد الأسع ، وأرتقاء النظر
مع بدره المنير إلى كل شمس سافرة القناع ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له شهادة محمد من الضلال ما شاع ، ومن البدع ما استطار له في كل أفق شعاع ؛
ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أشرف من أنفت به حمية الامتناع ، وألفت

بنا سُنَّته أن ترعى لأهلها ولا تُزاع، وعصفت ريحها بمن يمالى دينه فمال إلى الابتداع، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين ليس في فضل أحد منهم نزاع، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد، فإن الاهتمام بكل جهة على قدر شرفها، وعلى حسب الثروة الثمينة كرامة صَدَفها، واليكامة بثمرها، والقامة بمطيرها، والمهالة بما يحلو البجى من قمرها، والمدينة الشريفة النبوية لولا ساكنها ما طجت إليها الركائب، ولا ناجت حدائقها غُر السحاب، ولا وقفت بتأرج شذا الروضة الغناء بها الجنائب، ولا بكى منيم دمن العقيق بمسلة من دم ذائب، ولا هاج إليها البرق متألقا، ولا هام صب فيها بظلمات سلع والنقا، ولكنها مئوى النبوة ترابها، ومهوى الرسل جنابها، ومأوى كتاب الله الفسيح رحابها، دار الهجرة التي تعالت شمس الشريعة بأفقها، وتوالت ضُعب الهدى من بين أيرقها، وهي ثانية مكة المعظمة في فضلها إلا ما ذهب إليه في تفضيلها على مكة مالك بن أنس، ومنها أنبعثت للهدى نَوَّارة كل نور وشُعاع كل قَبَس، وكانت لنبي هذه الأمة صلى الله عليه وسلم أُنْبى دَارِيه، وأعلى سماء حوث ثلاثة أقمار منه ومن جَارِيه .

ولما كان بها لبعض الولاء من الشيعة مقام، ولم فيها تحامل لا يجوز معه من الانتقاد إلا الانتقال أو الانتقام، حتى إنه فيما مضى لما كثر منهم على بُغض الصالحين - رضى الله عنهما - الإضرار، وأشرأبوا في التظاهر بسبهما إلى هناك الاستار؛ دب من النار في هذا الحرم الشريف ما تعلق بكل جدار، وأبت لها حجة القُصْب إلا أن يظهر ما سُنَّته أيدي الروافض بالنار؛ فلما انفصل بنا الآن أن منهم بقايا وجدوا آباءهم على أمه، واقتنوا بهم في مذهب الإمامية بما لا أراد الله تعالى

ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ولا أولئك الأئمة ؛ وحضر المجلس العالى الأميرى ،
الأصيل ، الكيرى العادى ، المجاهدى ، المؤيدى ، الزعيمى ، المقدسى ، الثرى ،
الكافى ، الثرى ، الحسينى ، النسبى ، الأوحدي ، البندى : عز الإسلام
والمسلمين ، شرف الأمراء فى العالمين ، نصرة الغزاة والمجاهدين ؛ جمال العزة
الطاهرة ، جلال الأسرة الزاهرة ؛ طراز العصابة العلوية ، كوكب الذرية النبوية ،
خلاصة البقية النبوية ؛ ظهير الملوك والسلاطين ، نسيب أمير المؤمنين ؛ ودى بن
جهاز الحسينى - أدام الله تعالى نعمته - بين أيدينا الشريفة بحضر قضاة القضاة
الأربعة الحكماء ، وتذم بأن مع طلوع بذر المير لا تبقى ظلامه ولا ظلام ، وتكفل
لأهل السنة بما أنشدنا الله به عليه ومن حضر ، وتلقى بإظهار فضل الترتيب كما هم
عليه : النبي صلى الله عليه وسلم ثم أبو بكر ثم عمر ، فما أختصهما الله بجواره إلا ليثبت
لها على غيرهما لأفضالا ، وليجعل قبورهما فى معرفة أقربهم منه درجة مثالا ؛ لما
تواترت به الأحاديث الشريفة فى فضائلهما مما هو شفاء الصدور ، ووفاء بعهده
إذ يقول : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى حضوا عليها
بالتواجد وإياكم ومحدثات الأمور » ، فلم يسعنا إلا أن نجعل له منا تقليدا
يحو يحده ما حدث من أحداث البدع ، ويمتد من عهد جد نبينا صلى الله
عليه وسلم فى معرفة حق أصحابه رضى الله عنهم ما شرع ؛ وثوقا بأنه من بيت كان
أول هذا الدين الحنيف من دله ، ومبدأ هذا الحق الظاهر ما أثلته ومثلته فى سلفه
الشريف بأقارب متصله ؛ وأنه هو المورث من الفخار ما ورثه عن آبائه الكرام ،
المحدث عن كرم الحدود بما لا يحقر له جوار أو يحقر ذمام ؛ المشرق من الأسرة
العلوية بذرا تماما ، المحقق به من الكواكب العلوية ما يظن به (٢) أبا تسمى وأبنا

تساعى؛ المنتخب من آباء صنق أحسن في ديارهم الصنيع، وحفظ من حسبهم
الكريم ما أوشك أن يضيع؛ واستضاء بلامعة من هدى سلفه السابق، وهامعة من
تدى ما يرويه السحاب عن الجود والبرق عن المهارق؛ تهرت بمقدمه المدينة سرورا،
ونفث رباها منه بسبب كأن على نسبه من شمس الضحى نورا؛ وينبش ما بين
لابتيها بن يحمي حماها، ويحيي محياها؛ وتتشوق منه ربا كل نية إلى ابن جلاها،
وطلاج شياها؛ مع ما لا يحمد من أن له فيها من أبيه حق الوراثه، وأنه لما
كان هذا تاني المسجدين احتاج إلى تاني اثنين تعظيما للواحد وفرازا من الثلاثة؛
ليكون هو ومن فيها الآن بمنزلة يدين كلثما تقبل الأخرى، وأذنين كلثما توعى
دزا؛ وصينين مامنهما إلا ما يدرك أمرا بعيدا، وفرقدن لا يصلح أن يكون أحدهما
قريدا؛ وقرين لا يفلأب أحدهما على الآخر في التسمية بالعمرين، وعمرين وكفى
شرقا أن لا يوجد في الفضل ثالث للعمرين.

فرسم بالأمر الشريف العالى، المولوى، السلطانى، الملكى، القلانى - زاد الله
به المواطن شرفا، وزاد به المواطن الشريفة حبا وشغفا - أن يفوض إليه نصف
الإمارة بالمدينة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، شريكا للأمر سيف
الدين ابن أخيه، ورميلا معه فيما يليه، ولكل منهما حق لا يكاد الآخر يخفيه،
هذا له بر الولد وهذا له حرمة الوالد لأن ابن الأخ ولد وعم الرجل صنو أبيه؛ فقسم
الإمارة بينهما نصفين، وتوسم جباه الكتب الصادرة عنهما لها بأسمين.

والوصايا تمتد من عنانها، وتمتد من أعينها؛ فأولها تقوى الله فلأنها من شعائر
القلوب، وبشارت القيوب، وأماثر نجاح كل مطلوب، والاعتصام بالشرعة الشريفة:
فلأنها الجبل الممدود، والجبل الذى تم ذوته من عتبة كسود؛ والإكتهاء إلى مانص عليه

الكتاب والسنة والإجماع ، وقص جناح من مآل به الهوى إلى مجاذبة الاطماع ؛ وتلقى
وفد الله الزائر بما ألهه نزول هذا الحى من كرامة الملقى ، وتوقى المذمة فإنها دس
لا يتجدد مثله لقاء هذا النقا ؛ ونعني بالمذمة ما تُسبب إلى الروافض من البِدْع التي
لا تُطهّرها غُر السحاب ، ولا يستريح معها لدخول المسجد الطاهر من قَنِيع بمقامه
حوّله التيمم بالتراب ؛ ولا يدع أحدا من هذه الفرقة الضالة بعلى ولا يعيره بما
يكون به مثله ، ولا يشبه قلبه في محبة أهل البيت - سلام الله عليهم - بإناء أمثلاً
ماء ولم تبقى فيه فضله .

ولا يظن جاهل منهم أن عليه - كرم الله وجهه - كان على أحد من الصاحبين
معاتباً أو عائب ، أو أنه تأول في خلافتها معتقداً أن أحداً منهم غاصب ؛ فما تأثر
عن البيعة الأولى قليلاً إلا لا شغاله بما دهمه بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم
من المصائب ، ولا فقد أخذ أم ولد من سبي أبي بكر رضى الله عنه لا كما يدعيه
كل كاذب ، وقد تزوج عمر بن الخطاب رضى الله عنه أخته أم كلثوم وأقام بأمره
الحدود وناب عنه وهو غائب ؛ فيكف من عادية هؤلاء الروافض الأشرار ما سيصلون
في الموافقة بتاره ، وسيصلون إلى الموافقة على ما طار من شراره ؛ ولا يدع للإمامية
إماماً يقتدى به منهم قوم شرار ، ولا قاضياً يقضى بينهم : فإنه إنما يقطع لمن قضى
له أو عليه قطعة من نار ؛ ولا علماً يرفع له علم ، ولا يفتح لهم بفتوى على مذاهبهم
فم ، حتى ولا ما يحزك به في قيم الدواة القلم .

ويطهر هذا المسجد الشريف من دنسهم ، ويخط ما يحمله أديم مجلدات التصانيف
من نجسهم ؛ وسكان هذا الحرم الشريف ومن أقام عندهم من المجاورين ، أو خالطهم
من زمر المقيمين والسائرين ؛ يُحسن لأموالهم الكفالة ، ولا يتعرض لأحد منهم
بما يؤذى نفسه ولا يناله ؛ فهم في جوار نيتنا صلى الله عليه وسلم وفي شفاعته ،

وكلّ منهم زَيْلٌ حَرَمَهُ وَمَكْتَرٌ سَوَادِ جَمَاعَتِهِ ؛ وَحَقُّهُمْ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ فَكَيْفَ عَلَى حَامِيِ ذَلِكَ الْحَيِّ ، بَلْ مِنْ لَهُ إِلَى نَسَبِهِ الشَّرِيفِ مُشْتَقٌّ .

وَأَحَبُّ رَفِيقِكَ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنَّكَ مَفْتَرِقَانِ وَالسَّيِّدُ مِنْ لَا يَذُمُّ بَعْدَ فِرَاقِهِ ، وَمُسْتَقَانِ إِلَى كُلِّ مَوْرِدٍ لَا يَذَرِيْ أَيْكُمَا الْمَجْدُ فِي سَبَاقِهِ ؛ وَمُتَّفَقَانِ عَلَى فَرْدِ أَمْرٍ وَأَفْضَلُكُمَا مِنْ دَاوِمِ صَاحِبِهِ عَلَى إِرْفَاقِهِ ، وَصَحْبِهِ عَلَى وِفَاقِهِ .

وَأَمَّا مَا لِلْمَدِينَةِ الشَّرِيفَةِ مِنْ تَهَانِيمٍ وَتُجُودٍ مُضَافَةٍ إِلَيْهَا ، وَمُسْتَظَلَّةٍ يُجْدِرُهَا أَوْ مُتَقَدِّمَةٍ فِي الصَّحْرَاءِ عَلَيْهَا ، فَهِيَ وَمَنْ فِيهَا : إِمَّا أَنْ تُوجَدَ بُلُوبُهُمْ فَهَمُّ أَعْوَانٍ ، وَإِمَّا أَنْ تَنْفَرَ فَهَمُّ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِالْإِبِلِ إِذَا تَقَرَّتْ تَعَلَّقَ بِذَنْبِ كُلِّ بَعِيرٍ شَيْطَانٌ ؛ فَاقْرَبُهَا إِلَى الْمَصْلَحَةِ تَقْرِبُهُمْ ، وَتَأَلِّفُهُمْ بِمَا يَقْرُبُ بِهِ بَعْضُهُمْ وَيَزْدَادُ قُرْبَى قَرِيبُهُمْ ؛ وَالرَّجُلَانِ الَّتِي تَتَقَدَّرُ بِهِمْ جَمْرَاتُ الْأَصْبَاحِ وَالْعَشَايَا ، وَيَتَقَدَّرُ كُلُّ مِنْهُمَا فِي مَعَاجِيزِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ الشَّرِيفَةِ أَنْ تَمَامَ الْحَجِّ أَنْ يَقِفَ عَلَيْهَا الْمَطَايَا ؛ فَهَمُّ هُجُودٍ سُرِّى ، وَوُفُودٍ قُرِّى ، وَرُكُودٍ فِي أَثْقَى الرِّحَالِ خَلَعَتْ مُقْلَهُمْ عَلَى النُّجُومِ الْكَرِّى ، وَمَعَهُمُ الْمُحَامِلُ الشَّرِيفَةُ الَّتِي هِيَ مُلْتَفٌّ شِعَابُهُمْ ، وَمُخْتَفٌّ رُكَايَاهُمْ ؛ وَهِيَ مِنْ أَسْرَرَاتِ الْمَرْفُوعَةِ ، وَمَبَرِّتَاتِ الْمَشْرُوعَةِ ؛ فَعَظُمَ شِعَابُهَا حُرْمَاتُهَا ، وَقَبَّلَ أَمَامَ مَنَابِرِهَا الْمُثَلَّةِ مَرَاكِرَ رَايَاتِهَا ؛ وَأَكْرَمَ مِنْ جَاءِ فِي خِفَارَتِهَا ، وَمِنْ جَالٍ فِي دُجَى اللَّيْلِ لَا يَسْتَضِيءُ إِلَّا بِمَا يَبْلُغُ مِنْ إِشَارَتِهَا ، وَقَدْ أَشْهَدْنَا عَلَيْكَ مَنْ هُوَ لَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَصِيمٌ ، وَأَنْتَ وَشَأْنُكَ فِيمَا أَنْتَ بِهِ عَلِيمٌ .

وَبَاقِيُ الْوَصَايَا أَنْتَ لَهَا مُتَقَطِّنٌ ، وَعَلَيْهَا مُتَوَطِّنٌ ، وَمَا يَنْتَفِعُ الشَّرِيفُ بِجَسَدِهِ ، إِنْ لَمْ يَكُنْ عَمَلُهُ بِجَسَدِهِ ؛ وَلَا يَرْفَعُ بِنَسَبِهِ ، إِنْ لَمْ يَتَجَنَّبْ مَكَانَ نَسَبِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَمْتَعُ بِدَوَامِ شَرَفِهِ ، وَلَا يَضِيغُ لَهُ أَجْرُ حَالِ عَمَلِهِ الصَّالِحِ وَسَلَفِهِ ، وَالْإِعْتِمَادُ



وهذه نسخة تهليل شريف بإمرة المدينة النبوية ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام :

الحمد لله الفرد بلا شريك ، الواحد لا من أعداد تقتضى التشريك ، المليك الذى ينتهى إليه تهليل كل ملك .

نحمده حمداً يكل مواهب التملك ، ويحمّد عواقب التسليك ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تصدّع التشكيك ، وتصدّع كل أفيك ، وتصدّع خلل التدريك ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله خير من يحيى به عريك ، وحى عليه تريك ، وحمل حتى تأتى له التحرير فى التحريك ، وتأتى وما فاتته على أعدائه النصير الوشيك ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تخلّص كالذهب السيك ، وترفع ما شيد وتمنع ما شيك ؛ وسلم تسلياً كثيراً .

أما بعد ، فلما كانت المدينة الشريفة النبوية - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - حرماً لا يُستباح ، وحى ليس إلا لمن آتتهك دم مباح ، وجناباً ما على من حله جناح ، ومهيّط وحى لا يمسح بأركانه لغير الملائكة جناح ؛ ولا يمسك بعصمة من أغضى فيه على قذى ، وسكت لساكنيه على أذى .

ولما اتصل بنا عن الروافض مالا صبر لمسلم يرجو الله واليوم الآخر عليه ، ولا وجه لمن قنع فيها بإخراج يديه ؛ ولا عذر لمن لقي الله مغضباً لما يئبى إليه ، لامغضباً لما ينال رسول الله صلى الله عليه وسلم من التعرض إلى صاحبيه ، مما تقاضى منا ما يحوز ظلامه الممتد ، وظلمه المشتد ، ويدعهم فسوءاً من أبدعها ومن أرتد - فجاء بتقليدنا الشريف من أعطى الله وأعطانا على قوله موثقاً ، وجرّد عزائم لا تردّها من

خَدَعَهُمُ الرُّقَى ؛ وَأَشْهَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَنْ حَضَرَ أَنَّهُ لَا يَدْعُ هَذِهِ الْفِرْقَةَ الضَّالَّةَ حَتَّى يَدْعُ
يَتِيمَهَا ، وَيُعِدُّ لِمَقَاتِلِ السُّيُوفِ حَطِيمَهَا : مِمَّا تَضُمُّهُ نَصٌّ مَاضِي ذَلِكَ التَّقْلِيدِ ،
وَمَا ضَمَّ ذِكْرِي لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ؛ وَنَهْنَأُ عَلَى أَنَّهُ بَدْرٌ لَمْ يَبْقَ
مَعَ طُلُوعِهِ ظِلْمَةٌ وَلَا ظُلَامَةٌ ، وَلَا إِضَاعَةٌ وَلَا إِضَامَةٌ ^(١) ، وَلَا مَا تَجَنَّبُ بِهِ الرُّكَّابُ
تَمَامَ الْحَجِّ فِي مَوَاقِفِهَا ، وَلَا تُشْكِرُ مَا جَهِلَتْ فِي قِبَابِ قُبَاءٍ مِنْ مَعَارِفِهَا ؛ وَتَرِدُ أَعْطَانَهَا
وَلَا يَسُوقُهَا إِلَى الْأَبْرِيقِ بَارِقٌ عَلَى أَطْلَالِهِ ، وَلَا يُعْجِبُهَا إِنْ خِيلَ لَهَا فِي النُّخِيلِ مَقِيلٌ
فِي ظِلَالِهِ .

وكان المجلس العالي - أدام الله تعالى نعمته هو المتكفل بتطهير ذلك الحرم
الشريف من ألم كل قول يُفْتَرَى ، ولم كل باطل يُلْمَ يَقْظَةٌ أَوْ طَيْفٌ كَرِيٌّ ، وَإِزَالَةِ
كل مُنْحَ فِيهَا عَلَى مَنْ أَمَلَ قِرَى أُمُّ الْقُرَى ؛ وَلِمَا تَهَّ كُلُّ بِلْمَةٍ تُسَكَّبُ عَلَى مِثْلِهَا الْعِبَرَاتُ ،
وَلِمَا طَلَّ كُلُّ أَدَى مِنْ طَرِيقِ مَنَى وَالْمَجَرَاتِ ، وَمَنْعَ شَفَاشِقِ شَيْعَةٍ تَقْلِي مَرَايِلَهَا مِنْ
الزُّفَرَاتِ ، وَقَطْعَ كُلِّ نَجْوَى يُنَادُونَ بِهَا مِنْ وَرَاءِ الْمَجَرَاتِ ، وَقَلْعَ طَائِفَةٍ لَوْلَا إِقَامَةُ
حُدُودِ اللَّهِ لِكِفَاهِمَ مَا يَقْطَعُ أَتْجَادَهُمْ مِنَ الْحَسَرَاتِ ؛ وَكَانَ بَهَا مِنْ أَوْلَادِ أَخِيهِ ، بَلْ
بَعْضُهُ مِنْهُ وَبَعْضُهُ مِنْ بَنِي أَبِيهِ ، مِنْ أَلْتَهَى عَمَّا تَحْلِي بِهِ شَيْمُ الشَّرِيفِ الشَّرِيفِ ،
وَأَتَهَى إِلَى مَا لَا يَنْبَغِيهِ وَلَا يُغْنِيهِ فِي تَأْخِيرِ خَلِيفَةٍ وَهَدِيمِ خَلِيفَةٍ ، وَأَهْمَلَ حَقُوقًا
عَوَاقِبَهَا مَعَ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُخْفِيهِ ، وَأَوْهَمَ عَقُوقًا لَانْجَابِهِ بَلْ
لَهُ لِقَوْلُهُ : «دَعُوا إِلَى أَصْحَابِي فَلَوْ أَتَقَى أَحَدُكُمْ مِثْلَ أَحَدٍ دَعَبًا مَا ادْرَكَ مَدَى أَحَدِهِمْ
وَلَا نَفِيفَهُ» . وَبَقِيَ يَتَّصِلُ بِنَا فِي هَذَا الْمَعْنَى مَا لَا يُقَالُ مِمَّا يُقَالُ عَنْهُمْ ، وَيَصِلُ
أَذَاهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَاحِبِيَّةٍ وَقَدْ قَالَ : «إِنْ أَهْلَ الدَّرَجَاتِ

(١) مراده إضاعة الحق كله أو قص شيء منه إلا أنا لم نجد فيها بأيدينا من كتب اللغة من هذه المادة

فلا رباها يكون هذا مصدرا له ولعله استعمل اللغة العامية ترويحيا للسمع .

الْعَلَىٰ لِبَرَاهِمٍ مِّنْ نَّحْتُمُ كَمَا يَرَوْنَ النَّجْمَ الطَّالِعَ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ مِنْهُمْ »^(١)
 يطلبون في التقديم على من قدمه الله رَدَّ فَاتَتْ مَا جَرَىٰ بِهِ الْقَدَرُ ، وَيَضْرِبُونَ صَفْحًا
 عما لا أراد الله ولا رسوله صَلَّى الله عليه وسلم في قوله : « لَا أَدْرِي مَا قَدِ بَقِيَ لِي
 فِيكُمْ فَاقْتُلُوا بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي : أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ » . مع ما أضيف إلى هنا من
 قَوَادِحِ نَوَابٍ ، وَفَوَاحِ أَبْوَابٍ ، وَحَوَادِثٍ تُرْجِعُ مَقَرَّ النَّبَوَّةِ أَنْبَاءُهَا ، وَتَمْتَدُّ عَلَى مَشَارِقِ
 الْأَنْوَاءِ ظِلْمَسَاتُهَا ؛ وَتُفَسِّرُ عَوَائِدَ الْوَسُودِ فِي كَرَامَةِ زَائِرِهِمْ ، وَإِدَامَةِ بَشَاشَةِ الْمُتَقَرِّبِ
 لِسَائِرِهِمْ ؛ وَأَمِنْ سِرِّهِمْ أَنْ يُرَاعَ ، وَسِرِّهِمْ أَنْ يَتَمَثَّلَ بِهِ لِغَيْرِ بَرَقِ شُعَاعٍ ، وَضَمَّتْهُمْ
 إِلَى ذَاكَ الْحِمَى الَّذِي لَا يُضَامُ تَزْيِيلُهُ ، وَلَا يُرَامُ فِي طَرِيقِ الْمَجَرَّةِ سَبِيلُهُ ؛ وَلَا يُضَلُّ
 سَائِرُ إِلَيْهِ وَوُجُوهُ سَكَّانِ الْحِمَى دَلِيلُهُ ، وَلَا يَضِيعُ وَقَدْ تَلَقَّاهُ مِنَ النَّسِيمِ لَبْلِيلُهُ ،
 وَلَا يَقِفُ وَقَفَّةُ الْمُرِيبِ وَضَوْءُ الصَّبَاحِ مِنْ أَيْمَنِ النَّقَا قِنْدِيلُهُ ، وَلَا يَتَشَوَّى وَشَعْبُ ذَاكَ
 الْحِمَى شَعْبُهُ وَقَبِيلُهُ قَبِيلُهُ ؛ وَإِرَاحَةُ رُكَّابِهِمْ الَّتِي أَرْجَعَهَا حَادَى السَّرَى ، وَإِمْتِنَاعُهُمْ
 بِقَرَبِ الْجَوَارِعِ عَوْضًا مِنْ ثَمُوعِهِمْ عَمَّا جَرَى .

فَلَمَّا لَمْ يَبْقَ لِمَنْ أَشْرْنَا إِلَيْهِ - مِمَّنْ أَعْطَانَا عَهْدَ مَوْتِهِ ، وَسَارَ لَا يُرِيدُ إِلَّا نَقَاءَ نَقَاءِهِ
 وَبَرَاءَةَ أَبْرَقِهِ - إِلَّا أَنْ يَحْطَ بِالْمَدِينَةِ الشَّرِيفَةِ رُكَّابَهُ ، وَيُسْعِدَ الشُّكُوفَ مِمَّا لَا عَهْدَ مِنْ
 مَعَاهِدِهَا أَقْرَابَهُ - أَصْرَ مِنْ فِيهَا مِنْ ذَوِي قَرَابَتِهِ عَلَى مَنْعِهِ أَنْ يَدْخُلَهَا إِلَّا بِقِتَالٍ يُحِلُّ
 مَقَاعِدَ الْحَرَمِ ، وَيَحِلُّ مَقَاعِدَ الْحَرَمِ ؛ وَيُسْعِلُ نَارًا يَصْلِي بِهَا مَنْ لَمْ يَتَمَتَّذْ لَهُ يَدٌ إِلَيْهَا إِلَى
 وَقُودٍ ، وَيَرُوعُ مِنَ الْآلِفِ فِيهَا مَنْ يَتَمَتَّذُ فِي غَيْرِ مَرَاتِعِ غَرْلَانِ النَّقَا بِحِجَافِ قِيَامٍ
 مَعْقُودٍ ، وَقَدِمَ إِلَى أَيْوَانِهَا الْعَالِيَةِ مَنْ كَانَ فِيهَا مَقِيمًا ، وَأَنْعَمْنَا عَلَيْهِ بِإِبْقَاءِ النِّصْفِ

(١) مراده أنهم يطلبون في تقديم على رَدَّ فَاتَتْ مَا أَرَادَهُ اللهُ مِنْ تَأْخِيرِهِ عَنْهَا وَيَرْكُونَ أَيْضًا مَا وَرَدَ
 فِي الْحَدِيثِ مِنَ الْأَمْرِ بِالْإِكْتِنَاءِ بِهَذَا أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ - إِلَّا أَنَّ الْمُبَارَةَ سَطَّتْ عَلَيْهَا يَدُ النَّسَاخِ فَزَادَتْ فِيهَا مَا غَيْرَ
 مِنْهَا وَشَرُشَ مِنْهَا . تَأْمَلْ .

(٢) فِي الْأَصْلِ مَقَاعِدُ وَهُوَ تَصْغِيفٌ .

ففاتة الكل لما لم يقنع أن يكون قسياً؛ فأبت حينئذ لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم
ولتلك المواطن العظيمة ألا أن تطهرها مما أسبلت على سريره أذيالها، وما أطاقت
على مضغته الأليم احتمالها .

فرسم بالأمر الشريف - لا: ال قدره عاليًا، وبره لا يخل بؤدى ولا يخل مواليا -
أن تفوض إليه امرأة المدينة الشريفة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام :
مستقبلاً بأعبائها ، مستقبلاً بحبائه على أرجائها ؛ امرأة تستوعب جميعها ، وتستوعى
لراسمها رباها وربوعها وطاصيها ومطيحها ؛ وتهايمها ومجودها ، وقريتها وبيدتها ؛ وكل
ما يدخل لها في حد ، وينتظم لها في عد ؛ وأهل حاضرتها وباديته ، وما تحف عليه
من السحب (؟) ركائب رواعيها وغاديته ؛ ومن تتسم بهم ثايلها ، وتتسم لهم أرواح
بكرها وعشايلها ؛ ومن يضمهم جناحها المفضل ، ويلهم وشاحها المفضل ؛
ويجمعهم جيشها السائر ، ويلهم في شملة الدجى قررها الزاهر - تخويضاً يدخل فيه كل
شريف ومشروف ، ومجهول ومعروف ؛ ومستوطن من أهلها ، وغريب آتت [به]
إليها مطارح سبلها ؛ مافيه تأويل ، ولا تعليل ، ولا استثناء ، ولا آثناء ، ولا تخرج منه
الأرض المغبرة ولا الروضة الغناء ؛ لأشبهه فيه لداحض ، ولا حجة لمعارض ؛ يستقل
بها جميعها بدره التمام ، وبره التمام ، وبحره الذى يابى قريده أن يؤانى فى نظام ؛
وأمره الذى يتلقى به عن الثقة من سادات بيته مقاليد الأحكام ، ومقاليد ما يجرى
به القلم ويمضى السيف الحسام ؛ إفراداً له فى التحكيم ، وأنفه لمنله من ضرر
التقسيم ، وفراراً من الشركة المشتقة من الشرك : (إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) . ولاية
تامه ، عامه ؛ كامله ، شامله ؛ لا يبقى من أهل تجيد من لا يدخل فى حكمها ، ويتضاف

إلى قِسمِها ؛ تَقَابُلُ السَّوَابِقُ فِي غَايَاتِهَا ، وَتَقَابُلُ الْجَحَافِلُ تَحْتَ رَايَاتِهَا ؛ وَيُعَدُّ مَعَ أَهْلِ بَدْرِ فِيهَا ، وَيُعَدُّ مِنْ حَقُوقِهَا مَا يُؤَفِّقُهَا .

وقد سبق من الوصايا ما فيه غِنَى ، إِلَّا مَا لَا تَخُلُ الْعَوَائِدُ بِهِ مِمَّا يُذَكِّرُ هُنَا ؛ وَقَدْ حَوَيْتْ بِحَمْدِ اللَّهِ فِي جَمِيعِ طِبَاعِكَ ، وَجَمِيلِ أَنْطِبَاعِكَ ؛ مِنْ حَقِّ أَتْرَامِكَ ، وَصَدَقَ أَتْرَامُكَ ؛ مَا هُوَ كَالسَّنَا لِلشَّمْسِ ، وَالْمُنَى لِلنَّفْسِ ؛ مِمَّا تَحْسُدُ عَلَى شَرْفِهِ النُّجُومُ ، وَتَتَأَنَّفَسُ الْعِلْيَاءُ مَا تَعْلَقُ بِهِ الْيُومُ .

فَكَبَّلَ بِتَقْوَى اللَّهِ شَرَفَكَ ، وَأَتَّبَعَ فِي الشَّرِيعَةِ الشَّرِيفَةِ سَلَفَكَ ؛ وَكَتَبَ اللَّهُ الْمُتَزَلُّ ، أَتَمَّ أَهْلَ بَيْتٍ فِيكَ تَزَلُّ ، وَسَنَّةُ جَدِّكُمْ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَتَمِّهِمْ ، وَهِيَ بِجَدِّكُمْ الْمُؤْتَلُ ؛ وَمَعْرِفَةُ حَقِّ مَنْ مَضَى عَنْكُمْ ، وَإِلَّا فَعَمَّنْ تُثْقَلُ ، وَمِنْكُمْ ، وَالْإِثْمَانُ تُوَلُّ ، وَإِزَالَةُ الْبِدْعِ ، وَالْإِلَافَةُ شَيْءٌ سَيُفَكِّمُ تَصَقَّلُ ، وَ[لِمَاذَا] ^(١) رِمَا حُكْمُ تَعْدَلُ ؛ وَالرَّافِضَةُ وَغَلَاةُ الشَّيْعَةِ هُمْ دَنَسٌ مِنْ أَنْتَمَى إِلَى هَذَا الْبَيْتِ الشَّرِيفِ بَوْلَانِهِ ، وَمَسَبُّ وَفُوفٍ مِنْ يَقْصِدُ الدُّخُولَ تَحْتَ لَوَائِهِ ؛ فَهَمَّ وَإِنْ حُسِبُوا مِنْ أَمْدَادِهِ ، لَيْسُوا - وَحَاشَى نَوْرَهُ السَّاطِعَ - إِلَّا مِنَ الْمَكْتَرِينَ لِسَوَادِهِ ؛ أَرَادُوا حِفْظَ الْمَوْتَةِ فِي الْقُرْبَى فَاخْلُوا ، وَقَصَبُوا تَكْثِيرَ عَدَدِهِمْ فَقَلُّوا ؛ وَأَنْفَ مِنْ هُوَ بَرَى مِنْ سُوءِ مَذْهَبِهِمْ ، أَنْ يَتَظَاهَرَ بِالْوَلَاءِ فَيُعَدَّ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ بِسَبَبِهِمْ ؛ مَعَ أَنَّهُمْ طَمَعُوا فِي رِضَا اللَّهِ فَأَخْطَأْتَهُمُ الْمَطَامِيعُ ، وَصَحِّحَ أَنَّهُمْ زَادُوهُمْ عَدَدًا إِلَّا أَنَّهُمَا كَرِيَاةُ الشَّيْءِ أَوْ كَرِيَاةُ الْأَصَابِعِ .

فَصَمَّمْ عَزَمَكَ عَلَى مَا عَاهَدْتَ اللَّهَ عَلَيْهِ مِنْ رَفْعِ أَيْدِي قُضَاتِهِمْ ، وَمَتَعِهِمْ هُمْ وَمَنْ أَتَّبَعَ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فِي سَبِيلِ مَرْضَاتِهِمْ ، وَحَذَّرَهُمْ مِمَّا لَا يَسُودُ مَعَهُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ سِتْرٌ يُسْبِلُ ، وَلَا يَبْقَى بَعْدَهُ لَغَيْرِ السَّيْفِ حُكْمٌ يُقْبَلُ ؛ فَمَنْ خَاضَ لِلسَّلَفِ الصَّالِحِ يَمَّ ذَمًّا

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٠٧ .

(٢) في القاموس : الشغيا السن المخالفة الخارجة عن نية الأستان .

أغرق في تياره ، أو قدح فيهم زناد عناد أحرق بتاره ؛ وألزم أهل المدينة الشريفـ
على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم - بكلمة السنة فلما أول ما رفعت بتلك المواطن
المعظمة أعلامها ، وسمعت في تلك الجثرة المكرمة أحكامها ، مع تعقبة آثار ما ينشأ
على هذه البدعة من الفتن حتى لا ينحقد لها تقع مئار ، وتوطئة أكثاف الحى لئلا
يبقى به لمبطل في مدارج نطقه عتار ؛ والوصية بسكان هذا الحرم الشريف ومن يزل
به من تزيل ، ويحاور به مستقراً في مهاد إقامة أو مستوفراً على جناح رجيل ؛
ومن يهوى إليهم من ركائب ، ويأوى إليهم من رقة مالت من نشوات الكرى بهم
راقصات التجائب ؛ ومن يصل من ركن الأفاق ، وإخوان نوى يتشاكون إليهم
مر الفراق ؛ ومن يتلاقى بهم من طوائف كلهم في بيوت هذا الحى عشاق ، وأمم
شقى مجموعهم : من مضى وشام ويمن وصراق ؛ وما يصل معهم في مسيل وفودنا ،
وسيل جودنا ، وبما ملنا الشرفه التى ينصب لنا بها فى كل أرض سيرر ، وأعلامنا
التي ما سميت بالعقبان إلا وهى إليها من الأشواق تطير ؛ فتى شمرت بمقدم ركايبهم ،
أوبرقت لك حواضر الأقمار من سماء قبايبهم ؛ فبادر إلى تلقيمهم ، وقبل لنا الأرض
فى آثار مواطنهم ، وقم بما يجب فى طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم
وطاعتنا [وأخرج عنهم كل يد ولا تخرجهم عن جماعتنا] .

وأهل البادية هم حزبك الجيش اللهم ، وحربك إذا كان وقودها جثث وهام ؛
وهم قوم لم يؤدبهم الحضرة ، ولا يبيت أحد منهم لا فتنه على حذر ؛ فاستجب
بمداراتك قلوبهم الأشعثات ، وبادر جبال إليهم النافرة قبل البتات ، وترقب مراسمتنا
المطاعة إذا ذررت لك مشارقها ، وتأهب لجهاد أعداء الله متى لمعت لك من
الحروب بوارقها ؛ وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولولا أن السيف لا يحتاج إلى حيلة

لأُطْلَنَا حَمَائِلَ مَا تُحْلِيهِ عَلَيْكَ؟ فَمَا شَهِدَ لِلشَّرِيفِ بِصَحَّةِ نَسَبِهِ، أَزَكَا مِنْ عَمَلِهِ
بِحَسَبِهِ؟ وَاللَّهُ تَعَالَى يَقْوَى أَسْبَابَكَ الْمَتِينَةِ، وَيُجْعِلُ الْعِيُونَ بِلَوَامِعِكَ الْمُتِينَةِ، وَيُكَسِّكُ
بِكَ مَا طَالَ بِهِ إِرْجَافُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَالْإِعْتِدَادُ



وهذه نسخةٌ تقليدُ بِأَمْرَةِ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَصَّ بِالنُّصْرَةِ، دَارَ الْهِجْرَةِ، وَأَطْلَعَ لِلْإِيمَانِ بِفَحْرِهِ، بَتْلِكَ الْهَجْرَةِ،
وَطَيْبَ طَبِيعَةٍ وَأَوْدَعَ فِيهَا سَلِيلَ الْأُمَرَةِ .

نَحْمَدُهُ حَمْدًا نَأْمَنُ بِهِ مَكْرَهُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً
عَبْدٌ تَسْكُ بِالْحُجِّ وَتَسْكُ بِالْعُمْرَةِ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي شَرَّفَ اللَّهُ
قَدْرَهُ، وَأَفْقَدَ أَمْرَهُ، وَأَيَّدَهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ، وَكَانَ أَكْرَمَ النَّاسِ فِي الْعِشْرِ، وَأَمْنَى
الْعَالَمِينَ إِذْ يَسُطُّ بِالْجُودِ رَاحَتِيهِ فَمَا أُنْمَحَّ عَشْرُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
صَلَاةً ثَبَّتَتْ شَجَرَتُهَا مِنَ الْأَرْضِ فَاتَّصَلَتْ فُرُوعُهَا بِالسَّدْرَةِ، وَسَلَّمَتْ سَلِيمًا .

وَبَعْدُ، فَإِنَّ الْمَدِينَةَ النَّبَوِيَّةَ مَعْدِنُ الْهُدَى وَالْوَقَارِ، وَمَسْكَنُ الرِّضْوَانِ وَالْأَنْوَارِ،
وَمَهْبِطُ الْمَلَائِكَةِ الْأُبْرَارِ، وَمَنْزِلُ الْوَحْيِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَدَارُ الْهِجْرَةِ لِلنَّبِيِّ الْمُخْتَارِ،
وَرُبَّةٌ مَدْفُونَةٍ الرَّأْيِ الْمِطْطَارِ، تُشَدُّ الرِّجَالُ إِلَيْهَا مِنْ أَقْصَى الْأَفْطَارِ، وَيَأْتِي إِلَيْهَا
الظَّالِمُونَ لِأَنفُسِهِم بِالْأَسْتِغْفَارِ، فَيَرْجِعُونَ وَقَدْ نُحِيتْ عَنْهُمْ الْأَوْزَارُ، فَقُلُوبُ أَهْلِ
الْأَشْيَاقِ مُقِيمَةٌ فِي فِنَاءِ تِلْكَ الدَّارِ، وَإِنْ كَانَتْ أَجْسَامُهُمْ بَعِيدَةً مِنْ وَرَاءِ الْبِحَارِ،
وَبِهَا مِنْ آلِ الْبَيْتِ سَادَةٌ أَطْهَارُ، وَأُمَرَاءُ بَكَارُ، يُتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ بِحُبِّهِمْ فِي الْإِعْلَانِ
وَالْإِضْمَارِ، وَيَتَوَسَّلُ بَوْلَايَتِهِمْ فِي دَعْوَةِ الْأَصْحَارِ، قَدْ ضَمُّوا إِلَى كَرَمِ الرَّاحَةِ، وَمَمَاحَةِ

الأنفُس المُرْتاحَة ، شِجَاعَة وَبَسَّالَة ، وَعَلَوِيَّةٌ فَعَّالَة ، وَتَمَسُّكَ بِالْمُرْوَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِشَرَفِ
الْأَصَالَةِ ، وَهُمْ يَتَوَارَثُونَ إِمْرَتَهَا عَنْ آبَاءِ سَادَاتِ ، وَكِرَامِ لَمْ فِي الْقَضَلِ عَادَاتِ .

ولما كان فلان هو بَقِيَّةُ الْأُسْرَةِ الْمُتَضَوِّعَةِ ، وَثَمَرَةُ الشَّجَرَةِ الْمُقَرَّرَةِ ؛ وَالْمَخْصُوصِ
بِالْوَصْفِ الَّذِي رَفَعَهُ ، وَالْقَوْلِ الَّذِي أَتْبَعَهُ حِينَ سَمِعَهُ - مَا زَالَ فِي الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ
عَلَى سَاكِنِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ مَشْكُورَ الطَّرِيقَةِ ، مَحْفُوظَ الْوَثِيقَةِ ، مَعْرُوفَ
الْحَقِيقَةِ ، مَوْصُوفَ الْآثَارِ الْحَسَنَةِ بَيْنَ الْخَلِيقَةِ ، يَتَخَنَّى لِكُلِّ صَالِحَةٍ مِنْ تِلْكَ الرُّوضَةِ
الشَّرِيفَةِ الْمُثْمَرَةِ الْوَرِيقَةِ ، وَيَجِي السَّرْحُ أَنْ يَتَهَبَ ، وَيَطْفِئُ نَارَ الْفِتَنِ فَمَا تَلْتَبِ ،
وَيُسَظِّمُ الْمَجَاوِرِينَ وَالْوَارِدِينَ وَالْقَادِمِينَ عَلَى حِمَى سَيِّدِ الْعَجَمِ وَالْعَرَبِ .

فلذلك رسم أن يستقر

فَلْيَحُلْ هَذَا الرَّبْعُ الْمَعْمُورَ بِالنُّقْطِ ، وَلْيُبَاشِرْ هَذِهِ الْإِمْرَةَ الشَّرِيفَةَ زَادَهَا اللَّهُ عُلُوقًا
وَأَرْثَهَا ، وَلْيُسْتَعْمِلِ السَّكِينَةَ فَإِنَّهَا جَمِيلَةُ اللَّقَا ، وَلْيَسْلُكِ الْأَدَبَ مَعَ سَاكِنِ الثَّقَا ،
وَلْيَعْتَمِدْ عَلَى حُسْنِ الْيَقِينِ فَإِنَّهُ لَهُ وَقَا ، وَقَدْ جَاوَرَ الْعَقِيقَ فَاصْبِحْ بِقَلْبَيْهِ الْقَانِحَةِ
مُطَوَّقًا ، وَلْيَحْكَمْ بِالْعَدْلِ فِي بَلَدٍ نَشَأَ مِنْهُ الْعَدْلُ وَالْإِنْصَافُ فَمُنْذُ اجْتَمَعَا فِيهِ مَا أَفْرَقَا ؛
وَلْيَصُنْ شَرَفَهُ مِنَ الْوُلُوجِ فِي فِتْنَتِهِ ، وَلْيَغْمِزْ سَيْفَهُ وَلَا يَشْهَرَهُ فِي وَقْتِ مِحْنَتِهِ ، وَيَحْقِنِ
الدَّمَاءَ أَنْ تُرَاقَ ، وَيَتَلَقَّ الزُّوَارَ بِالْإِرْفَاقِ ، فَإِنَّهُمْ جَاءُوا مِنْ أَقَاصِي الْأَفَاقِ ، رِجَالًا وَعُلَا
النِّيَاقِ ، تَحْتُمُّ الصَّبَابَةُ وَالْأَشْوَاقُ .

وَكَلِمَةُ الشَّرِيعِ وَشِعَارُ السَّنَةِ فَلْيَكُنْ مَعْظَلًا لَهَا بِأَخَاقِ بَغِيرِ شِقَاقِ ، وَشَيْخِ الْحَرَمِ
الشَّرِيفِ وَخَدَّامِهِ وَمُجَاوِرِيهِ فَلْيَكْرِمْ مُحْسِنَهُمْ وَيَعَامِلْهُ بِحَسَنِ الْأَخْلَاقِ ، وَتَجَاوَزْ
عَنْ مُسِيئَتِهِمْ بِطَيْبِ أَخْلَاقِ ، وَحَوَاصِلِ الْحَرَمِ الشَّرِيفِ الْمَخْزُونَةِ فِيهِ فَلْيَكُنْ حِمِيَّةً مِنْ
التَّبْذِيرِ فِي وَقْتِ الْإِنْفَاقِ ، وَتِلْكَ نَارُهُمْ سَكَاثُ الطَّيِّبِ الْإِعْرَاقِ ، وَالتَّقْوَى مِنْ بَيْنِهِمْ

الشريف آثارها الإشراق ، وعليهم نزل القرآن والتحريم والطلاق ، فإذا عسى أن نوصيه وهو أهل الفضل على الإطلاق ، والله تعالى يجعل نجاحه في الفخر مجليه في السباق ، بمنه وكرمه ! .



وهذه وصية لأئمة المدينة أوردتها في "التعريف" ، وهي :

فَكُلُّ بَتَقَوَى الله شَرَفَك ، وَأَتَّبِعْ فِي الشَّرِيعَةِ الشَّرِيفَةِ سَلَفَكَ ؛ وَكُتَابُ الله الْمُنَزَّلُ ، أَتَمُّ أَهْلٍ يَنْتَ فِيكُمْ تَزَلُّ ، وَسُنَّةُ جَدِّكَ سَيِّدِنَا رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَتَمِّهِمْ ، وَهِيَ مَجْدُكُمْ الْمَوْثَلُ ، وَمَعْرِفَةُ حَقِّ مَنْ مَضَى ، عَنْكُمْ ، وَالْإِغْمَاقُ تَنْقُلُ ، وَمِنْكُمْ ، وَالْإِفْهَمُ تُوْمَلُ ، وَإِزَالَةُ الْبِدْعِ وَالْأَفْلَاطِي شَيْءٌ سُبُوفَكُمْ تُصَقِّلُ ، وَلَمَّاذَا رِمَا حُكْمُ تَعْدِلُ ، وَالرَّافِضَةُ وَغُلَاةُ الشَّيْعَةِ هُمْ دَنَسٌ مِنْ آتَمَى إِلَى هَذَا الْبَيْتِ الشَّرِيفِ بَوْلَانِهِ ، وَسَبَبُ وَقُوفٍ مِنْ يَقْصِدُ الدُّخُولَ تَحْتَ لَوَائِهِ ؛ فَهَمَّ وَإِنْ حُسِبُوا مِنْ أَمْدَادِهِ ، لَيْسُوا - وَحَاشَى نُورِهِ السَّاطِعُ - إِلَّا مِنَ الْمَكْتَرِينَ لِسَوَادِهِ ؛ أَرَادُوا حِفْظَ الْمَوَدَّةِ فِي الْقُرْبَى فَأَخْلَوْا ، وَقَصَدُوا تَكْثِيرَ صَدَقَاتِهِمْ فَقَالُوا ؛ وَأَنْفَ مَنْ هُوَ بَرِيءٌ مِنْ سُوءِ مَذْهَبِهِمْ ، أَنْ يَتَظَاهَرَ بِالْوَلَاءِ فَيَعْدَّ فِي أَهْلِ الْبِدْعِ بِسَبَبِهِمْ ؛ مَعَ أَنَّهُمْ طَمِعُوا فِي رِضَا الله فَأَخْطَأَتْهُمْ الْمَطَاعِمْ ، وَصَحِيحٌ أَنَّهُمْ زَادَهُمْ صَدًّا إِلَّا أَنَّهُمْ كَرِيادَةُ [الشَّغْيَاءِ أَوْ كَرِيادَةُ] الْأَصَابِيعِ .

فَصَبَّ عَزَمَكَ عَلَى مَا عَاهَدْتَ الله عَلَيْهِ مِنْ رَفْعِ أَيْدِي قَضَاتِهِمْ ، وَمَنْعِهِمْ مِنْ اتِّبَاعِ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فِي سَبِيلِ مَرْضَاتِهِمْ ؛ وَسَدْرَهُمْ مِمَّا لَا يَعُودُ مَعَهُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مِثْرٌ يُسْبَلُ ، وَلَا يَبْقَى مَعَهُ لَغِيرِ السَّيْفِ حُكْمٌ يَحْبِلُ ؛ فَمَنْ خَاضَ لِلْسَّلَفِ الصَّالِحِ يَمَّ دَمٌ أَغْرَقَ فِي تِيَّارِهِ ، أَوْ قَدَحَ فِيهِمْ زِنَادَ عِنَادٍ أَحْرَقَ بَنَارِهِ ؛ وَالزَّيْمُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ الشَّرِيفَةِ النَّبَوِيَّةِ

بكلمة السنة فإنها أول ما رُفِعت بتلك المَواطِنِ العظيمةِ أعلامُها ، وتُسمَعُ في تلك
الجزيرةِ المَكْرَمَةِ أحكامُها ، مع تَغْيَةِ [آثار] ما يَنشَأُ على هذه البِدْعَةِ من القِتَنِ حَتَّى
لَا يَتَعَقَّدُ لَهَا قَعٌّ مُثَارٌ ، وَتَوَطُّتْ أَخْلَافُ [ذلك] الحِمَى لِثَلَاثِيٍّ بِهِ لَمُبْطَلٌ فِي مَدَارِجِ نَطْقِهِ
عِتَارٌ ؛ وَالْوَصِيَّةُ بِسُكَّانِ هَذَا الْحَرَمِ الشَّرِيفِ عَلَى الْحَالِّ بِهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ
وَمَنْ يَتَزَلُّ بِهِ مِنْ تَزِيلٍ ، وَيَجَاوِرُ بِهِ مُسْتَقَرًّا فِي مِهَادِ إِقَامَةٍ أَوْ مُسْتَوَفِّرًا عَلَى جَنَاحِ
رَحِيلٍ ؛ وَمَنْ يَهْوِي إِلَيْهِمْ مِنْ رَكَابٍ ، وَيَأْوِي إِلَيْهِمْ مِنْ رَقَّةٍ مَالَتْ مِنْ نَسَوَاتِ الْكَرَى
بِهِمْ رَاقِصَاتُ النَّجَائِبِ ؛ وَمَنْ يَصِلُ مِنْ رُجُكُنِ الْآفَاقِ ، وَإِخْوَانِ نَوَى يَنْشَأُ كَوْنُ
إِلَيْهِمْ مُرَّ الْفِرَاقِ ؛ وَمَنْ يَتَلَقَّى بِهَا مِنْ طَوَائِفِ كُلِّهُمْ فِي بُيُوتِ هَذَا الْحَيِّ عَشَّاقٍ ،
وَأَتَمِّ شَيْءٍ بِجُوعِهِمْ مِنْ يَصِيرِ وَشَامٍ [وَيَمِنُ] ^(١) وَعِرَاقٍ ؛ وَمَا يَصِلُ مَعَهُمْ فِي مَسِيلِ
وُقُودِنَا ، وَسَبِيلِ جُودِنَا ؛ وَحَامِلِنَا الشَّرِيفَةِ الَّتِي يُنْصَبُّ لَنَا بِهَا فِي كُلِّ أَرْضٍ سَرِيرٌ ،
وَأَحْلَامِنَا الَّتِي مَا سُمِّيتْ بِالْعُقْبَانِ إِلَّا وَهِيَ إِلَيْهَا مِنَ الْأَشْوَاقِ تَطِيرُ .

فَتَى شَعَرْتَ بِمَقْدَمِ رِكَابِهِمْ ، أَوْ بَرَقَتْ [لَكَ] ^(١) عَوَارِضُ الْأَثَارِ مِنْ سَمَاءٍ قِيَامِهِمْ ؛
فَبَادِرْ لِي تَلَقِّيهِمْ ، وَقَبِّلْ لَنَا الْأَرْضَ فِي آثَارِ مَوَاطِينِهِمْ ، وَقُمْ بِمَا يَحِبُّ فِي طَاعَةِ اللَّهِ
وِطَاعَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطَاعَتِنَا ، وَأَخْرِجْ عَنْهُمْ كُلَّ يَدٍ وَلَا تُخْرِجْهُمْ
عَنْ جَمَاعَتِنَا .

وَأَهْلُ الْبَادِيَةِ هُمْ حَزْبُكَ الْخَفِيشُ الْأَهَامُ ، وَحَزْبُكَ إِذَا كَانَ وَقُودُهَا جُثَّةٌ وَهَامٌ ؛
وَهُمْ قَوْمٌ لَمْ يُؤَدِّبْهُمْ الْحَضَرُ ، وَلَا يَبْتَ أَحَدٌ مِنْهُمْ لِأَنَفَتِهِ عَلَى حَدَرٍ ؛ فَاسْتَجِلِبْ
بِمَدَارِكَ قُلُوبِهِمِ الْأَشْتَاتِ ، وَبَادِرْ حِبَالَ إِيْلِهِمِ النَّافِرَةِ قَبْلَ الْأَنْبَاتِ ؛ وَتَرَقَّبْ
مَرَامِنَا الْمُطَاعَةَ إِذَا ذَرَّتْ لَكَ مَشَارِقُهَا ، وَتَاهَبْ لِجِهَادِ أَعْدَاءِ اللَّهِ مَتَى لَمَعَتْ لَكَ

(١) الزيادة من الشريف (ص ١٠٨) .

من الحُرُوبِ بِوَارِقُهَا ؛ وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ، وَلَوْلَا أَنَّ السَّيْفَ لَا يَحْتَاجُ
إِلَى حِلْيَةٍ لَا أَطْلُنَا حَمَائِلَ مَا تُحْلِيهِ عَلَيْكَ ؛ فَمَا شَهِدَ لِلشَّرِيفِ بِصَبْغَةِ نَسَبِهِ ، أَزْكَى مِنْ
عَمَلِهِ بِحَسَبِهِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَقْوَى أَسْبَابُكَ الْمَيْتَنَةِ ، وَيُمْتَحُ الْعَيُونَ بِأَوَامِعِكَ الْمَيْتَنَةِ ،
وَيُمَسِّكَ بِكَ مَا طَالَ بِهِ إِرْجَافُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ .

الوظيفة الثانية (القضاء)

وكان في الزَّمن القديم بها قَاضٍ واحدٌ شافعيٌّ ، ثم استقرَّ بها قاضيان آخران :
حَنَفِيٌّ وَمَالِكِيٌّ ، يُكْتَبُ لِكُلِّ مِنْهُمُ تَوْفِيقٌ فِي قِطْعِ التَّلْثِ بِ«السَّامِي» بِالْيَاءِ .
وهذه نسخةٌ تقليد بقضاء الشافعية بالمدينة النبوية :

الحمد لله الذي جعل الشَّرْعَ الشَّرِيفَ دَافِقَ السُّيُولِ ، وَفِي طَبِيعَةِ لَهُ الْأُصُولِ ؛
وَمِنْهَا نَشَأَ وَتَفَرَّعَ فَلَهُ فِي الْبَسِيطَةِ عُمُومٌ وَثُمُولٌ ، وَكُلُّ قُطْرٍ بِهِ مَشْمُولٌ ، وَكُلُّ رَجْعٍ بِهِ
مَأْهُولٌ ، وَتَأَكَّدَ بِهِ الْمَعْلُومُ وَتَبَدَّدَ بِهِ الْمَجْهُولُ ، وَزَالَتِ الشَّرَائِعُ كُلُّهَا وَهُوَ إِلَى آخِرِ
الْبُحُورِ لَا يَزُولُ .

لِحَمْدِهِ وَحَمْدُهُ يَطُولُ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةٌ عَمَرَتْ
[بِهَا] طُلُولُ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَشْرَفَ رَسُولٍ ، وَأَكْرَمُ مَأْمُولٍ ،
وَأَفْضَلُ مَسْئُولٍ ، وَمُهَنْدٍ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ مَسْئُولٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
الطَّيِّبِ الْفُرُوعِ وَالْأُصُولِ ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ الشَّرْعَ الشَّرِيفَ مَعْدِنُهُ فِي أَرْضِ قَوْيِ خَيْرِ الرُّسُلِ فِيهَا ، وَمُنْشَأُهُ
فِي بَلَدِ مَلَائِكَةِ اللَّهِ تَحِيَّيَا ؛ فَلَا يَلِي أَقْضِيَةَ النَّاسِ إِلَّا مَنْ طَالَتْ ذَوَائِبُ عِلْمِهِ ،

وأشرقت نواقب فهمه ؛ وُئيت على الأصول قواعد حكمه ، وتحلّ بالورع فضلي
في سماء النجاة كنتجه .

ولما كان فلان هو الذي جذبته السعادة إلى مقرّها ، وخطبته المغفرة إلى موطن
ربّها ، وأهله الأقدار إلى جوار نبيّ هو خاتم الأنبياء وفاتح أمرها ؛ وأصبح للحكم
في المدينة ، مستحقاً لما فيه من ميكنه ، وتحصيل للعلم ومن حصل العلم
كان الله مُعينه .

فلذلك رسم أن يستقر

فليأشر منصباً جليلاً في محلّ جليل ، وليعلم أن سائر الأمصار تنبّه وتحمّسه
وما لمنصبه من مثيل ؛ أين يوجد سواه في كلّ سبيل ؟ من قاض هو سيد المرسلين
نزّل ، ومن يصبح ويمسي جارا للمستجير في المحشر الطويل .

فاحكم بين ناس طيبة بورع وتأصيل ، وتحرير في تحرّم وتحليل ، وأتق الله في كلّ
فعل وقيل ، وأستقم على الحق حذار أن تميل ، فصاحب الشرع أنت منه قريب
والنبي من الله قريب وحبيب وخليل ، وما ذا عسى أن نوصيه وهو بحمد الله تعالى
كالنهار لا يحتاج إلى دليل .

وأما الخطابة : فارق درج متبرّها ، وشنف الانماع من ألفاظك بدوّها ؛ وحذ
ما تقوله من المواعظ فإن صاحب العظات يسمعك ، وتواضع لله فإن الله يرفعك ؛
وهذا المرقى قد قام فيه النبي الأُمّي سيد البقلين ، ومن بعده الخليفةتان قرّاً العين ،
ومن بعدهما عثمان ذو النورين ، وصليّ رضى الله عنه أبو الحسنيين ؛ فاحشع ، عند
المطلع ؛ وأصدع ، بما يتّبع ؛ وأنظر لما تقوله فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم

هناك يسمع ، وقاضى المدينة وخطيبها يرجو أن ليس للشيطان فيه مطمع ، والله تعالى يجوز له الخير ويجمع ؛ بمنه وكرمه ! .

الوظيفة الثالثة

(مشيخة الحرم الشريف)

وقد جرت العادة أن يكون له خادمٌ من الخُصيانِ المبرّعين بالعلَوانية ، يُعينُ لذلك من الأبواب السلطانية ، ويكتب له توقيعٌ في قطع الثلث به المجلس السامى « بالياء مفتحا بهنا الحمد لله » .

وهذه نسخة توقيع شريف من ذلك :

الحمد لله الذى شرف بخدمة سيد الرسل الأقدار ، وفضل بالتأهل للدخول فى عداد كرمه بخدمته من أختاره لذلك من المهاجرين والأنصار ، وجعل الاختصاص بمجاورة حرمه أفضل غاية تُهجر لبلوغها الأوطان والأوطار ، وعجل لمن حلّ بمسجده الشريف تبوّأ أشرف روضة تردها البصائر وترودها الأبصار .

محمدٌ على نعيمه التى أكملها خدمة نبيه الكريم ، وأفضلها التوفّر على مصالح مجاورى قبر رسوله الهادى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، وأكملها الانتظام فى سلك خدمة حرمه [لأنها] بمنزلة واسطة العقد الكريم النظيم ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مُزفّقة لديه ، مُقرّبة إليه ، مدّخرة ليوم العرض عليه ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أشرف نبيّ بعث إلى الأسود والأحمر ، وأكرم من أنار ليل الشرك بالشرع الأفرى ؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين فخرت الحشّة بهجرتهم الأولى ، ونجا التجاشئ بما اتّخذ عندهم من السابقة الحسنة واليد الطولى ، وأولى .

يَلَامُهُم من السَّبَقِ إِلَى خِدْمَةِ أَشْرَفِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ أَفْضَلُ مَا يُؤْتَى؛ صَلَاةٌ لَا يَزَالُ شَهَابُهَا مُرْسِدًا، وَذِكْرُهَا فِي الْأَفَاقِ مُتَغَيِّرًا وَمُتَجَدِّدًا، وَسَلَامٌ تَسْلِيًا كَثِيرًا .

وبعد، فَإِنَّ أَوَّلَى مَا اعْتَمَدَ عَلَيْهِ مَنْ آفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ نِعَمِهِ، وَأَفْضَلُ عَلَيْهِ مِنْ مَلَائِسِ كَرَمِهِ، وَشَرَفِ قَدَرِهِ بَأَن أَهْلَهُ لَخِدْمَةِ سَيِّدِ الرُّسُلِ بَلْ لِمَشِيعَةِ حَرَمِهِ؛ وَخَصَّهُ بِرُتْبَةٍ هِيَ أَشْنَى الرُّتَبِ الْفَائِزَةِ، وَأَجْمَعُ الْوِظَائِفِ لِشَرَفِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ - مِنْ رَجَحِهِ لَذَلِكَ دِينُهُ الْمَتِينِ، وَوَرَعِهِ الْمَكِينِ، وَزُهْدِهِ الَّذِي بَلَغَ بِهِ إِلَى هَذِهِ الرُّتْبَةِ الَّتِي سَبَكُونُ بِهَا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ .

وَلَمَّا كَانَ فَلَانٌ هُوَ الَّذِي ادْرَكَ مِنْ خِدْمَةِ سَيِّدِ الرُّسُلِ غَايَةَ سُؤْلِهِ، وَزَكَّتْ عِنْدَ اللَّهِ هِجْرَتُهُ الَّتِي كَانَتْ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ؛ وَسَلَكَ فِي طَرِيقِ خِدْمَتِهِ الشَّرِيفَةِ أَحْسَنَ السُّلُوكِ، وَأَتَمَّتْ بِهِ السَّعَادَةُ^(١) إِلَى خِدْمَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُعْرِضَ بِجَوْهَرِهَا الْأَعْلَى مِنْ عَرَضِ خِدْمَةِ الْمُلُوكِ؛ وَقَازَ مِنْ مُجَاوَرَةِ الْجُبَّةِ الشَّرِيفَةِ بِمَا عَظُمَتْ عَلَيْهِ [بِهِ] الْمَنَّةُ، وَحُلَّ بِهِ مِمَّا بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْمَتَابِ فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ؛ وَأَقَامَ فِي مَقَامِ جَبْرِئِيلَ، وَمَهَبِطِ الْوَحْيِ وَالنَّزِيلِ؛ يَتَفَقَّهُ غِلَاظِلَ الرَّحْمَةِ الْوَارِفَةِ، وَيَتَهَيَّأُ مِنْ تِلْكَ النِّعْمَةِ بِالْعَارِفَةِ بَعْدَ الْعَارِفِ - تَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمُحَلُّ بِعُقُودِ مَشِيعَةِ ذَلِكَ الْحَرَمِ، وَالْمَتَوَلَّى لِمَصَالِحِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ الَّتِي لَهُ فِي التَّقَلُّمِ عَلَيْهِمْ أَثْبَتُ قَدَمٍ .

فوسم بالأمر الشريف لا زال أن تفوض إليه المشيخة على خدام الحرم الشريف النبوي: للعلم بأنه العامل الورع، والكافل الذي يعرف أدب تلك

(١) لعله "من أخذ عليه من" الخ .

(٢) في الأصل "إليه" .

الوظيفة : من خدمة الرسول صلى الله عليه وسلم - على ما شرع ؛ والزاهد الذي أثر جوار نيته على ما سواه ، والخاصع الذي نوى بخدمته الدخول في زمرة من خدمه في حياته : « ولكل أمرئ ما نواه » .

فليستقر في هذه الوظيفة الكريمة قائماً بأدائها ، مفرقاً بها نفسه التي تشبثت من خدمته الشرفه بأهاليها ؛ سالكاً في ذلك ما يجب ، محافظاً على قواعد الورع في كل ما يأتي وما يجنب ؛ قابلاً بذلك وجه الله الذي لا يحب لراج أملاً ، ولا يضع أجراً من أحسن عملاً ؛ مكرماً مأكلاً من طائفة الخدام بما يقربه عند الله زلفاً ، ويضاعف الحسنة الواحدة سبعين ضعفاً ؛ هادياً من ضل في قوانين الخدمة إلى سواء السبيل ، مبدياً لهم من آداب سلوكه ما يغدو لهم منه أوضح هاد وأنور دليل ؛ وفيه من آداب دينه ما يغني عن تكرار الوصايا ، وتحديد القضايا ؛ والله تعالى يسدده في القول والعمل ، ويوفقه لخدمة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وقد فعل ؛ بمنه وكرمه .

القاعدة الثالثة الينع

(وبها وظيفة واحدة ، وهي النيابة)

وقد تقدم أن نيابتها في بني الحسن ، من بني قتادة أيضا . وعمل بها عن لفظ الإمارة إلى لفظ النيابة تصغيراً لشأنها عن مكة والمدينة . ويكتب نائبها مرسوم شريف في قطع الثلث « بالمجلس السامي » بخيراء .

وهذه نسخة مرسوم شريف بنبابة الينع ، كتب به « لمخزم بن عقيل » في عاشر رجب الفرد سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ، من إنشاء المقر الشهابي بن فضل الله ، وهو :

الحمد لله الذى أتم لدولتنا الشريفة أنعماء ، وأحسن فى تقديم شريف كل قوم
تقدما ، وأمضى فى كف كفى الأعداء رجما ستمهرا وسيفا محلما .

نحمده حمدا يكأثر عند القطر إذا همى ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
شهادة تؤمن بالإدمان عليها منجدا ومثمنا ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى
شرف من إليه آتمى ، وعلى نسبه الشريف أرتمى ، وبجواره المنيع آحتى ؛ صلى
الله عليه وعلى آله وصحبه الذين طلعوا فى صباح كل نهار شموسا وفى عيشة كل ليل
أنجما ؛ وسلم تسليما .

وبعد ، فإن أولى من أعدنا له سعادة جده ، وعُدنا إلى عوايده الحسنى لأبيه
وجده ؛ ورعت صدقاتنا الشريفة له قصده الجميل ، وشرفه الذى سما به من أصله
إلى النجم فرع لا ينال طویل ؛ وأقرت عينه بسكينة ، وأستقرت به مراسمنا العالية
فى مسكنه ؛ وأغنته عنايتنا الشريفة عن انتظار كل نجم سعادة يطلع ، وبعتت إليه كل
خير إلى وطنه وهو « يبيع » ؛ منزلة نسبه الصميم ، والحسب الذى يتسك به فى قومه
كل كريم ؛ والشرف الذى أثار كواكبه ، والوصف الذى ينظم الدر ثاقبه ^(١) .

ولما كان المجلس السامى ، الأمير ، الأجل ، الكبير ، الشريف ، الحبيب ،
النسيب ، الأوحى ، العضد ، النصير ، الأصيل ، فلان الدين ، مجد الإسلام ، زين
الأنام ، شرف الأمراء الأشراف ، غفر العترة الطاهرة ، جمال الأسرة الزاهرة ،
نسيب الخلافة ، عضد الملوك والسلاطين « محمد بن عقيل » أيدى الله تعالى - هو
الذى تقدمت إليه كل إشارة ، وحسنت به كل شارة ، وتعجلت له بمراضينا
الشريفة من تحقق الشفق كل إشارة ؛ وحصل فى البيع ما حصل من الاعتداء ،
وآمنت الأيدي به إلى ما كان محتاج بيت الله من دية ، وظن أنه لا يشيع خبره

(١) لم يذكر خبرا لأن وهو معلوم من نظاره وكثيرا ما ورد كذلك ونهنا عليه .

في البدء ، نخالف الواجب وتعدى الشريعة ؛ فاقضت آراؤنا الشريعة تقويها
إلى العارف منها بما يجب ، العالم من طريق سلفه الصالح بما يأتي فيها ويختبئ ؛
العامل في طاعتنا الشريعة بما هو به وبمثله من أهل الشرف يليق ، الماشي
في خدمتنا الشريعة وفي خدمة الوفود إلى بيت الله الحرام على الطريق .

فُرم بالأمر الشريف - أعلاه الله تعالى وشرفه ، وأفضله وصرفه - أن تُفوض
إليه النيابة بالبيع على عادة من تقدمه وقاعدته إلى آخر وقت :

فليقدم تقوى الله في كل ما تقدم ، ويقف مع حكم الشرع الشريف فإنه الميهم المقدم ؛
وليستوص بالهجاج خيراً فإنهم وفد الله وهو عليه سيقم ، وليؤمن الطريق فإنه بين حرمين :
بيت الله ومسجد رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ ولحفظ أمانة الله فيما يتلى ويخلف
عنده الهجاج كتب الله سلامتهم من وداعه ، ولياخذ بقلوب الجلابة فإنهم في توسيعهم
على أهل الحرمين كالمصدين وإن كانوا تجاراً يضاعه ؛ وليوصل من تأخر من أبناء
السيول إلى مائتهم ، وليخص بالعدل أهل بلده ليستقروا آمين في موطنهم ، والرفق
فهو الذي يجله يزير ، ويحليه يستحسن ، والثاني في معرفة الحق من الباطل فإن به
الخط الأبيض من الخط الأسود من الباطل يبين ؛ ولزوم الطاعة ، التي أوجبها الله
لنا على عباده وتذب إليها ، وملازمة الجماعة ، التي يكفيه من بركاتها أن يد الله عليها ؛
 وإقامة الخيمة فيما قبله من البلاد ، وكل حاضر وباد ، وكل من كاد أو كاد ،
أو تعرض لعناد العباد ؛ فمن أقدم على محذور ، أو هدم إلى محظور ، أو ارتكب
في الخلاف أمراً من الأمور بغيره بالبنى إلى مضره ، وحرك السيف لمضجعه ،
ودع الرمح الذي اعتنقه للشقاق يبيك للإشفاق عليه بأدمه ؛ وقد رأيت كيف

(١) مراده «ردية» ولكن اضطره السجع الى موازنة اللفظة العامة . فتنبه .

طَرِيقَتَنَا الْمُثَلَّى، وَسِيرَتُنَا الَّتِي لَا تَجِدُ لَهَا مِثْلًا؛ فَاسْأَلْكَ هَذِهِ الْحَبَّةَ، وَحَسْبُكَ أَنْ تُخَذَّ
بِنِكَ وَيَبْنِي اللَّهُ جُجَّهَ، وَفِي هَذَا عَنْ بَقِيَّةِ الْوَصَايَا غَنَى، وَاللَّهُ يُزِيلُ عَنْكَ الْخَوْفَ
فِي الْخَيْفِ وَيُسَلِّطُكَ الْمُنَى فِي مَنَى؛ وَالْاعْتِمَادُ

القسم الرابع^(١)

(مما يُكْتَبُ مِنَ الْوَلَايَاتِ عَنِ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ
بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ - مَا يَقَعُ عَلَى سَبِيلِ التَّنَوُّرِ، وَهُوَ الَّذِي يَقَعُ فِي حِينِ
مِنَ الْأَحْيَانِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْبِقَ لَهُ تَفْظِيرُ)

قال الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في "حُسن التوسل": ويحتاج الكاتب فيه
إلى حُسن التصرف على ما يقتضيه الحال .

[فمن ذلك] ما يُكْتَبُ بِهِ لِلنِّبَاةِ الْخَارِجَةِ عَنِ الْمَمْلَكَةِ إِذَا رَغِبَ فِيهَا مُتَوَلِّيُهَا .

وهذه نسخةٌ تَقْلِيدُ شَرِيفٍ مِنْ ذَلِكَ، كَتَبَ بِهِ الْمَوْلَى الْفَاضِلُ شِهَابُ الدِّينِ مَحْمُودُ
الْحَلَبِيُّ لِمَتَمَلَّكَ سِهَسَ، بِإِقْرَارِهِ عَلَى مَا هُوَ قَاطِعُ النَّهْرِ مِنْ بِلَادِهِ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَصَّ أَيَّامَنَا الزَّاهِرَةَ، بِاصْطِنَاعِ مُلُوكِ الْمَلَلِ، وَفَضَّلَ دَوْلَتَنَا
الْقَاهِرَةَ، بِإِجَابَةِ مَنْ سَأَلَ بَعْضَ مَا حَرَزَتْهُ لَهَا الْبَيْضُ وَالْأَسَلُ؛ وَجَعَلَ مِنْ خِصَائِصِ
مُلْكِنَا إِطْلَاقَ الْمَالِكِ وَإِعْطَاءَهُ الدُّوْلَ، وَالْمَنْ بِالْقُوْسِ الَّتِي جَعَلَهَا النَّصْرُ لَنَا مِنْ جُمْلَةِ
الْخَوْلِ؛ وَأَغْرَى عَوَاطِفَنَا بِتَحْقِيقِ رَجَاءٍ مَن مَدَّ إِلَى عَوَارِفِنَا كَفَّ الْأَمَلِ، وَأَفَاضَ
بِوَاهِبِ نِعْمَاتِنَا، عَلَى مَنْ أَتَابَ إِلَى الطَّاعَةِ حُلَّ الْأَمْنِ بَعْدَ الْوَجَلِ؛ وَاتَّعَرَّ بِالْآسِنَاءِ،

(١) تقدم له تسميته الى ثلاثة أقسام قط كما ورد في الصفحة ١٢٤ من ج ١١ من هذه الطبعة فيكون
هذا زائدا على الأقسام .

لَمَن تَمَسَّكَ بَوَلَاتِنَا ، أَرْوَاهُ رِجَايَاهُ مِنْ قَبْضَةِ الْأَجَلِ ، وَجَعَلَ بَرْدَ الْعَفْوِ عَنْهُ وَعَنْهُمْ بِالطَّاعَةِ تَبِيعَةً مَا أَذَاقَهُمُ الْعِصْيَانُ مِنْ حَرَارَةِ النَّصَبِ : إِذْ «رُبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَامُ بِالْعِلَلِ» .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي جَعَلَتْ عَفْوَنَا مِّن رَّجَاءِ قَرِيبَا ، وَكَرَمَنَا لِمَنْ دَعَاهُ بِإِخْلَاصِ الطَّاعَةِ حُجِّيَا ، وَبَرَّانَا لِمَنْ أَقْبَلَ إِلَيْهِ مَثِييًّا بِوَجْهِ الْأَمَلِ مُتَبِيًّا ، وَبَأْسَنَا مَصِيبًا لِمَنْ لَمْ يَحْصِلِ اللَّهُ لَهُ فِي التَّمَسُّكِ بِمِرْحَمَتِنَا تَصْبِيهَا ، وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةُ تَصِحُّمِ دَمٍ مِّن تَمَسُّكِ بِلِيَامِهَا ، وَتَحْصِيْمِ مَوَادِّ مِّن طَائِفَتِهَا بِإِسْتِقَامِ حُسَامِهَا ، وَتَقْصِيْمِ حُرَا الْأَعْنَاقِ مِمَّنْ أَطْلَعَهُ الْفُرُورُ فِي أَنْفِصَالِ أَحْكَامِهَا وَأَنْفِصَامِهَا ، وَتَقْصِيْمِ مَنْ قَصَدَ إِطْفَاءَ مَا أَظْهَرَهُ اللَّهُ مِنْ نُورِهَا وَأَقْطَعَ مَا قَضَاهُ مِنْ دَوَامِهَا ، وَتَجْعَلُ كَلِمَةً حَمَلَتْهَا هِيَ الْعَالِيَا وَلَا تَزَالُ أَهْنًا قَاجِدِيهَا فِي قَبْضَةِ أَوْلِيَائِهَا وَتَحْتَ أَقْدِمِهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الْمَبْعُوثَ بِالْهُدَى وَدِينَ الْحَقِّ إِلَى كُلِّ أُمَّةٍ ، الْمُنْعَوْتُ فِي الْكُتُبِ الْمُنْتَزِلَةِ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ ، الْمَخْصُوصُ مَعَ عُمُومِ الْمَعْجَزَاتِ بِخَمْسٍ : مِنْهَا الرُّعْبُ الَّذِي كَانَ يَتَقَدَّمُهُ إِلَى مَنْ قَصَدَهُ وَيَسْبِقُهُ مَسِيرَةُ شَهْرِ إِلَى مَنْ أَمَّهُ ، الْمَنْصُوصُ فِي الْكُتُبِ الْمُحْكَمَةِ عَلَى جِهَادِ أُمَّتِهِ الَّذِينَ لَا حَيَاةَ لِمَنْ لَمْ يَتَمَسَّكَ مِنْ طَاعَتِهِمْ بِنِعْمَةٍ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ قَتَحُوا بِدَعْوَتِهِ الْمَمَالِكَ ، وَأَوْصَحُوا بِشَرْعَتِهِ إِلَى اللَّهِ الْمَسَالِكَ ، وَجَلُّوا بِنُورِ سُنَّتِهِ عَنْ وَجْهِ الزَّمَنِ كُلِّ حَالٍ حَالِكٍ ، وَأَوْرَدُوا مِنْ كَفَرٍ رَبِّهِ وَرُسُلِهِ مَوَارِدَ الْمَهَالِكِ ، وَوَقَفُوا بِمَا وَعَدَ اللَّهُ نَبِيَّهَ حِينَ زَوَى لَهُ ذَلِكَ ؛ صَلَاةً لَا تَزَالُ الْأَرْضُ لَهَا مَسْجِدًا ، وَلَا يَفْرُجُ ذِكْرُهَا مُغَيِّرًا فِي الْأَفَاقِ وَمُنْجِدًا ؛ مَا اسْتَفْتَحَتْ أُنْسَانَةَ الْإِسْنَةِ النَّصْرَ بِإِقَامَتِهَا ، وَأَبَادَتْ أَبْعَادَهَا بِاسْتِدَامَتِهَا ؛ وَسَلَّمَتْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّهُ لَمَّا آتَانَا اللَّهُ مُلْكَ الْبَسِيطَةِ ، وَجَعَلَ دَعْوَتَنَا بِأَعْنَتِ مَمَالِكِ الْأَقْطَارِ حَيْطَةً ، وَمَكَّنَ لَنَا فِي الْأَرْضِ ، وَأَنْهَضَنَا مِنَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ بِالسَّنَةِ وَالْفَرَضِ ،

وجعل كل يوم تعرض فيه جيوشنا من أمثلة يوم العرض ؛ وأظلمنا بآدر الفتوح ،
وأظلمت على الأعداء سيوفنا التي هي على من كفر بالله وكفر النعمة دعوة نوح ؛
وأبدنا بالملائكة والروح ، على من جعل الواحد سبحانه ثلاثة : فانتصر بالآب والابن
والروح ؛ وألقت إلينا ملوك الأقطار السلام ، وبذلت كرائم بلادها وتلادها رغبة
في الالتجاء إلى ظل أعلى من الأعلام ، وتوصل من كان منهم يظهر الغلظة بالنلة
والخضوع ، وتوصل من كان منهم يبيد القوة بالإخلاص الذي راوه لهم أقوى
الجنى وأوقى الدروع - طاهدنا الله تعالى أن لا نرد منهم أملا ، ولا نصعد عن مشاريع
كرمنا ناهلا ؛ ولا نجيب من إحساننا راجيا ، ولا نحمل عن ظل ربنا لأجيا ؛ علمنا
أن ذلك شكر للقدرة التي جعلها الله لنا على ذلك الآمل ، ووثوقا بأنه حيث كان
في قبضتنا متى نشاء نجفع عليه الآمال ؛ اللهم إلا أن يكون ذلك الأجدى للغل مسرا ،
وعلى عداوة الإسلام مصرا ؛ فيكون هو الخاني على نفسه ، والخاني على موضع
رسمه ، والمفرط في مصلحة يومه وغده بتذكير عداوة أمسه .

ولما كان من تقدم بالملكة الفلانية قد زين له الشيطان أعماله ، وعقد بحبال
الفرور آماله ؛ وحسن له التمسك بالتآمر الذين هم بمهابتنا محصورون في ديارهم ،
مأسورون في حبال إدبارهم ؛ عاجزون عن حفظ ما لئسهم ، قاهرون عن ضبط
ما استلبته السرايا المنصورة من يديهم ؛ ليس منهم إلا من له عند سيوفنا ثار ، ولما
في عتجه آثار ، ومن يعلم أنه لا بد له عندنا من خطي خسف : إما القتل أو الإسار .

وحين تمادى المذكور في غيه ، وحمله الفرور على ركوب جواد بني ، أمرنا
جيوشنا المنصورة بفحاست خلال تلك الممالك ، ودأمت حوافر خيلها ما هناك ،
وساوت في محوم القتل والأمريين العبد والحر والمملوك والمالك ؛ وألحقت رواصي

جِبَالِهِمُ الصَّعِيدَ ، وَجَعَلَتْ حُسَامَهُمْ كَزُرُوعِ فَلَاتِهِمْ مِنْهَا قَاتِمٌ وَحَصِيدٌ ؛ فَاسْلَبَهُمُ الشَّيْطَانُ وَمَرَّةً ، وَتَرَكَهُمْ وَقَرَّةً وَمَا كَرَّهُمْ وَمَا كَرَّ ، وَأَعْلَبَهُمْ أَنَّ مَوْعِدَهُمُ السَّاعَةُ وَالسَّاعَةُ أَتَاهُ ، وَامْرَأَةٌ وَأَخْلَقَهُمْ مَا صَحَّحَ لَهُمْ مِنَ الْعَوْنِ ، وَقَالَ لَهُمْ : ﴿ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ ﴾ .

وَكَانَ الْمَلِكُ فَلَانٌ مِمَّنْ تَدْبِرُ طُرُقَ النَّجَاةِ فَلَمْ يَرِ إِلَيْهَا سِوَى الطَّاعَةِ سَبِيلًا ، وَتَأَمَّلَ أَسْبَابَ النَّجَاحِ فَلَمْ يَجِدْ عَلَيْهَا غَيْرَ صِدْقِ الْإِنْتِمَاءِ دَلِيلًا ؛ فَأَبْصَرَ بِالْخِدْمَةِ مَوْضِعَ رُشْدِهِ ، وَأَدْرَكَ بِسَعْيِهِ نَافِرَ سَعْدِهِ ؛ وَأَرَاهُ الْإِقْبَالَ كَيْفَ ثَبَّتَ قَدَمَهُ فِي الْمَلِكِ الَّذِي زَلَّتْ عَنْهُ قَدَمُ مَنْ سَلَفَ ، وَأَغْلَهْرَ لَهُ الْإِشْفَاقُ عَلَى رِطَايَاهُ مَصَارِعَ مَنْ أَوْرَدَهُ سُوءُ تَدْبِيرِ أَخِيهِ مَوَارِدَ التَّلَفِّ ؛ وَعَرَفَهُ التَّمَسُّكُ بِإِحْسَانِنَا كَيْفَ أَحْتَوَتْ يَدُهُ عَلَى مَا لَمْ يُبْقِ غَضَبُنَا فِي يَدِ أَخِيهِ مِنْهُ إِلَّا الْأَمْسَى وَالْأَسْفَ ؛ وَحَسَنَتْ لَهُ الثَّقَةُ بِكِرْمَتَا كَيْفَ يُجِئُ الطَّلَبَ ، وَعَلِمَتِهِ الطَّاعَةُ كَيْفَ يَسْتَتِرُ لِعَوَارِفِنَا عَنْ بَعْضِ مَا غَلَبَتْ عَلَيْهِ سُيُوفُنَا : وَأَمَّا الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَبَ ؛ وَآتَتْهُ إِلَيْنَا فَصَارَ مِنْ خَدَمِ أَيْمَانِنَا ، وَصَنَائِعِ إِيْمَانِنَا ، وَقَطَعَ عِلَاقَتَهُ مِنْ ضِرْنَا ؛ فَلَجَأَ مِنَّا إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ، وَظِلٍّ مَبِيدٍ ، وَنَصْرٍ حَتِيدٍ ؛ وَحَرَمٍ تَأْوِي الْمَلَّةَ إِلَيْهِ ، وَكَرَمٍ يُقَرُّ نَضَارَتُهُ نَظَرِيَّهِ ، وَإِحْسَانٍ يُتَمَتُّ بِمَا أَقْرَهُ عَطَاؤُنَا فِي يَدِيهِ ، وَأَمْتَانٍ يَضَعُ عَنْهُ إِصْرَهُ وَالْأَثْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِ - أَقْتَضَى إِحْسَانُنَا أَنْ تُنْفِضَ لَهُ عَنْ بَعْضِ مَا حَلَّتْ جُبُوشُنَا نُذْرَاهُ ، وَحَلَّتْ سَطَوَاتُ عَسَاكِرِنَا عُرَاهُ ، وَأَضْعَفَتْ عَزَمَاتُ سَرَايَانَا قُوَاهُ ، وَنَشَرَتْ طَلَائِعُ جُنُودِنَا مَا كَانَتْ سَتَرُهُ صَفَحْنَا عَنْهُمْ مِنْ عَوَارِثِ بِلَادِهِمْ وَطَوَاهُ ؛ وَأَنْ نَحْوُلَهُ بَعْضَ مَا وَرَدَتْ خُيُولُنَا مِنْهَا إِلَهُ ، وَوَطِئَتْ جِيَادُنَا غَارِبَهُ وَكَأْهَلَهُ ، وَسَلَكَتْ كُنْشًا فَلَكَّتْ دَارِسَهُ وَأَهْلَهُ ؛ وَأَنْ يَبْقَى مُلْكُ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي مَضَى سَلْفُهُ فِي الطَّاعَةِ عَلَيْهِ ، وَيَسْتَمِرَّ مُلْكُ الْأَرَمَنِ الَّذِي أَبْجَلَ السَّعَى فِي مَصَالِحِهِ

بيديه ؛ لَنَتَمَيَّنَ رعاياه به ، وعلّموا أَنَّهُم أَمِنُوا على أرواحهم وأولادهم بِسَبِيهِ ، عن
طولية مغلصة ونفس مطيعة ، ولا تخشى عليه يدُ جائرِهِ ، ولا سريةٌ في طلبِ الفِرةِ
سائرِهِ ؛ ولا تطرقُ كَاسُهُ أسدُ جيوشِ مفرسِهِ ، ولا سباعُ نهابِ مُحْتَلِسِهِ ؛ بل تستمرُّ
بِلاَدُهُ المذكورةُ في دِمَامِ رعايَتنا ، وحِصَانَةِ عِنايَتنا ؛ وَكَتِفِ إِحْسَانِنَا ، وَوَدِيعةِ رِئَا
وَأَمْتِنَانِنَا ؛ لَا تَطْمَحُ إِلَيَّاهِ عَيْنٌ مُعَانِدٌ ، وَلَا يَمْتَدُّ إِلَيْهَا إِلَّا سَاعِدٌ مُسَاعِدٌ وَعَضُدٌ مُعَاوِدٌ .

فَلْيَقَابِلْ هذه النعمةُ بِشُكْرِ اللَّهِ الَّذِي هَدَاهُ إِلَى الطاعة ، وَصَانَ بِإِخْلَاصٍ وَلَإِيهِ
نَفْسُهُ وَهَافِسَ بِلَادِهِ مِنَ الإِضَاعَةِ ؛ وَلْيَقْرُنْ ذَلِكَ بِإِصْفَاءِ مَوَارِدِ الْمَوَدَّةِ ، وَإِضْفَاءِ
مَلَابِسِ الطَّامَةِ الَّتِي لَا تَزْدَادُ بِمَحْسَنِ الْوَفَاءِ إِلَّا جِلْدَهُ ؛ وَأَسْتِرَارِ الْمُنَاصَحَةِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ ،
وَأَجْتِنَابِ الْمُخَادَعَةِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ؛ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ فِيمَا أَسْتَقَرَّ مَعَهُ الْخَلْفُ عَلَيْهِ ،
وَبَيَانَةِ مَا يُخْشَى أَنْ يَتَوَجَّهَ بِسَبِيهِ وَجْهٌ عَنَبَ إِلَيْهِ ؛ وَأَسْتِدَامَةِ هذه النعمةِ بِحِفْظِ
أَسْبَابِهَا ، وَأَسْتِمَامَةِ أحوَالِ هذه المِنَّةِ بِرَفْضِ مُوجِبَاتِ الْكَدْرِ وَأَجْتِنَابِهَا ، وَإِخْلَاصِ
النِّيَّةِ الَّتِي لَا تُعْتَبَرُ ظَوَاهِرُ الْأَحْوَالِ الصَّالِحَةِ إِلَّا بِهَا .



ومن ذلك ما يكتب به لحكم رُماةِ البندق

قَدْ جَرَتْ الْعَادَةُ أَنَّهُ إِذَا كَانَ لِلْسلطانِ عنايةٌ بِرُمِيِ البُنْدُقِ ، أَقَامَ لِرُمايِهِ حاكِمًا من
الأُمراءِ الَّذِينَ لَمْ عنايةٌ بِرُمِيِ البُنْدُقِ .

وهذه نسخةُ توقيعِ من ذلك :

الحمد لله الَّذِي خَصَّ أَيَّامَنَا الزَّاهِرَةَ ، بِاسْتِكْمالِ الْحَاسِنِ فِي كُلِّ مَرَامٍ ، وَجَعَلَ [من]
أَوْلِيَاءِ دَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةِ ، مِنْ أَصَابِ مَنْ كُلِّ مَرْمِيٍّ بَعِيدِ شَاكِلَةِ الصَّوَابِ حَتَّى أَصْبَحَ

حائِكًا فيه بين كُلِّ رَامٍ ، وجمع خلَواصِنًا من أَشْثاتِ المَفسائِرِ ما إذا برُزُوا فيه للرياضة ليلًا [أَغْنَتْ] قِسْمَهُم عن الأهلَّةِ ورجومُها عن رجومِ الظلامِ ، وسَدَّدَ مقاصِدَ أَصْفِيائِنَا في كُلِّ أَمْرٍ فَا شَغِلُوا بِمَسْرَةِ سِرِّ لَآ وَكَانَتْ من أَقْوَى أَسْبَابِ التَّمَرُّنِ عَلَى شَوْصِ الغَمَرَاتِ العِظامِ ، وَأَقْنَعَامِ الحَرْبِ اللُّهَامِ ، وَأَشْتِمَالِ جَلَابِيبِ الدُّجَى في مصالِحِ الإسلامِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى قِمَمِهِ الرُّوسَامِ ، وَأَيَادِيهِ الجِسامِ ، وَأَلَائِهِ الَّتِي مَا بَرَحَتْ بِهَا تُفَوِّرُ المسَارَ دَائِمَةَ الانْتِصَامِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ لَإِلَهِ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةٌ تَعَيَّنُ مِنَ الزَّلْزَلِ ، وَتُؤَمِّنُ مِنَ الزَّيْغِ وَالْخَلَلِ ، وَتُلَيِّسُ التَّمَسُّكَ بِهَا مِنْ أَنْوَارِ الجَلَالَةِ أَيْهَى الحَلَلِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ عَمْدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الْمُنَزَّهَ عَنِ الهَوَى ، الْمَخْصُوصَ بِالْوَحْيِ الَّذِي عَلَيْهِ شَدِيدُ القُوَى ، الدَّلَالُ عَلَى اعتِبارِ الأَعْمَالِ بِصِحَّةِ القَصْدِ بقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ » وَإِنَّمَا لِكُلِّ أَمْرٍ مَانُوئٌ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَوَحَّيَهُ الَّذِينَ وَفَّقَ الإِخْلَاصُ مَسَاعِيَهُمْ ، وَوَفَّرَ الإِيْمَانُ تَوَاصِيَهُمْ ؛ صَلَاةً دَائِمَةً الْإِتِّصَالِ ، مُسْتَمِرَّةً الإِقَامَةَ بِالْقُدُورِ وَالْأَصَالِ ، وَسَلَمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَ رَمَى البُنْتِيقِ مِنْ أَحْسَنِ مَا لَمَّتْ بِهِ الحِكْمَةُ ، فِي حَالِ سِيَاهِهَا ، وَمِنْ أُنْهَجٍ مَا حَفِظَتْ بِهِ الرُّمَاءُ ، حَيَاةً نَفُوسِهَا وَعِزَّةً عَزَمَها ؛ عَلَى مَا فِيهِ مِنْ أَطْرَاجِ الرَّاحَةِ وَأَجْتِنَابِهَا ، وَأَسْتِدْعَاءِ الرِّيَاضَةِ وَأَجْتِنَابِهَا ، وَخَوْصِ الظُّلُمَاتِ فِي الظُّلَامِ ، وَتَوَحُّيِ الإِصَابَةِ فِي غَمَرَاتِ الدُّجَى الَّتِي تَخْفَى فِيهَا المَقَاتِلُ عَلَى حَذَقِ السَّهَامِ ، وَأَرْتِقَابِ ظَفَرِ يُسْفِرُ عَنْهُ وَجْهُ سَفَرٍ ؛ وَمُهَاجِمَةِ خَطَرٍ ، تُهْضِي إِلَى بُلُوغِ وَطَرٍ - وَلَهُ شَرَائِطُ تَهْتَضِي التَّقَدُّمَ مِنْ أَرْبَابِهِ ، وَقَوَاعِدُ لَا يَخَالِفُهَا مَنْ كَانَ مُبَدِّرًا فِي أَحْصَابِهِ ؛ وَأَدَوَاتُ

(١) في الأصل «في مخاقها» ولا معنى له - تأمل .

كمال، لأبد للتحلي بهذه الرتبة منها، وحسن خلال، تُهذّر أعمال من بعد عليه مرامها وقصرت مساعيه عنها؛ وعوائد معلومة، بين أرباب هذا الشأن وكبرائه، ومقاصد مفهومة، فيما يتميز به المصيب الحاذق على نظرائه .

ولما كان الجنب العالى الغلائى ممن يشار إليه في هذه الرتبة بتان الترجيح، ويرجع إلى أقواله فيما اقتضى التعديل فيما بين أربابها والتجريح، ويعمل فيها بإشارته الخالصة من الهوى والأغراض، ويعول فيها على قدم معرفته المميزة بين أقدار الرماة مع تساوى إصابة الأغراض؛ لأحتوائه على غايات الكمال فيها، وسبقه منها إلى مقامات حسان لا يعطيها حقها [الا] مثله ولا يؤفها - اقتضى رأينا الشريف أن نعلق به أحكامها، وزدنا إلى أمره ونهيه كبراءها وحكامها .

فُرم بالأمر الشريف أن يكون حاكما في البندق لما يتعين من اختصاصها بيمناه، ويتبين من أولويته بالحكم في هذا الفن على سائر أربابه .

قليل ذلك حاكما بشروطه اللازمة بين أهله، المتبعة بها خلال الكمال في قول كل أحد منهم وفعله، المميزة بين تفاوت الرماة بحسب كيفية الرمي وإتقانه، المرحمة في كثرة الطير بإمكانه له في وقت البروز ومكانه، المهذرة ما يجب بين أهل هذا الفن إهداره، المثبتة ما يتعين في كمال الأدوات إثباته في قدم الكبراء وإقراره، ويعمل في ذلك جميعه بما تقتضيه معرفته المجمع في فنه عليها، ويتقدم فيه بما تله طيه خبرته التي ما برح وجه الاختيار مصروفا إليها؛ والله تعالى يسدده في القول والعمل، ويبلغه مراتب الرقة في خلاله الجميلة وقد فعل؛ وانخير يكون، إن شاء الله تعالى .

قلت : وربما كان المرسوم المكتتب لمن هو دون من قلّم من أمير عشرة أو من في معناه . فيفتح به «أما بعد» ويكمل على نحو ما تقدم .

وهذه نسخة ثانية لحاكم البندق، مفتوحة بها ما بعده :

أما بعد حمد الله الذي لا معقب لحكمه ، ولا يعزب شيء عنه ، ولا قنوط
من رحمته وسعة حلمه ، ملهم أهل محاربة أعداء دينه بالرياضة لها في أيام سليه ،
ومُنْجِزُ وُعود السُّعود لمن كان التَّجَمُّ مَبْدَأَ هِمَّتِهِ ، والصَّنْفُ حُلَّةَ تَجَمُّعِهِ ، والعَزْجُ حِلَّةَ
أَسْمِهِ ، والصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي هَدَى اللَّهُ بَنُورَ مِلَّةِ الْعَادِلَةِ مِنْ تَرْدِي
فِي ظُلُمَاتِ ظُلْمِهِ ، وَرَفَعَ مَنَارَ النُّبُوَّةِ بِمَا خَصَّهُ بِهِ مِنْ أَفْتَحِ التَّقَدُّمِ فِي رَتَبَتِهَا
وَحَنَنِهِ ؛ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ سَرَى كُلُّهُمْ إِلَى غَايَةِ الْكَمَالِ عَلَى تَجَاوِبِ هِمَّتِهِ
وِجَادِ عَزَمِهِ - فَإِنَّ أَوَّلِيَّ مَنْ رُصِّحَتْ لَهُ أَسْبَابُ قَدَمِهِ وَتَهَنُّئِهِ ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ
حُكْمِهِ فِي رُتَبَتِهِ وَتَحْكُمِهِ ؛ وَأَعِيدَ إِلَى مَكَاتِهِ الَّتِي رَقَّاهَا بِاسْتِحْقَاقِهِ قَدِيمًا ، وَرُفِعَ إِلَى
مَنْزِلَتِهِ الَّتِي لَمْ يَزَلْ بِقَوَاعِدِهَا خَيْرًا وَأَوْضَاعِهَا عَلِيًّا - مَنْ ارْتَقَى فِي رُتَبَتِهِ إِلَى تَجَمُّعِ أَفْعَاهَا ،
وَأَفْتَدَى فِي مَنَاجِيهِ بِدَلِيلِ مَسَالِكِهَا وَطُرُقِهَا ؛ فَاتَّقَى فِي مَصَالِحِهَا بَيُوتَ الْإِصَابَةِ مِنْ
أَبْوَابِهَا ، وَقَلَّ فِيهَا أَوْضَاعَ الْإِجَادَةِ عَمَّنْ كَانَ أَذْرَى بِهَا ؛ وَتَهَدَّمْ فِيهَا تَهْدَمُ هِجْرَتُهُ
وَسَبَقَ قَدِيمُهُ ، وَبَلَغَ فِي مَقَامَاتِهَا الْغَايَةَ بَيْنَ وَثَبَاتِ سَامِعِهِ وَثَبَاتِ قَدِيمِهِ ؛ وَجَمَعَ مِنْ
أَشْنَاتِ الطَّيْرِ مَا أَقْرَبَ فِي غَيْرِهِ ، وَحَوَّى مِنَ السَّبَقِ إِلَى أَنْوَاعِهَا مَا حَكَمَ بِسَعْدِ تَجَمُّعِهِ
وَيَمُنْ طَيْرُهُ ؛ فَكَمَّ لَيْلَةً أَسْفَرَ فِيهَا أَبْرُؤُهُ عَنْ صَبَاحِ تَجَاوُحِهِ ، وَكَمَّ طَائِرٌ زَاغَمَ النَّسْرَيْنِ
بِقَوَادِمِهِ أَصْبَحَ لَدَيْهِ عَجُولًا يَجْتَاحُهُ ؛ وَكَمَّ أَنْزَلَتْ أِهْلَةُ قَيْسِيَةِ الطَّيْرِ عَلَى حُكْمِهَا ، وَكَمَّ
حَكَّتْ بَنَادِقُهُ فِي رُجُومِ الطَّيْرِ الْمُحَلَّقَةِ إِلَى السَّمَاءِ أَقْفَاصُ تَجَمُّعِهَا ؛ وَكَمَّ أَبْصَرَ مَقَاتِلَ
الطَّيْرِ وَهِيَ مِنَ اللَّيْلِ فِي ظُلُمَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ، وَكَمَّ أَشْتَغَلَ مِنَ الطَّيْرِ الْوَاجِبِ
بِتَنْتَبِ رَمِيٍّ لَمْ يَسْغَلْهُ مِنْ إَعْدَادِ الْأَهْبَةِ لِلْجِهَادِ عَنِ الْقَرَضِ ؛ حَتَّى كَادَ النَّسْرُ الطَّائِرُ
إِذَا تَوَهَّمَ أَنَّ الْهَلَالَ قَوْسُهُ يَغْدُو كَأَخِيهِ وَاقِعًا ، وَالْمَرْزَمُ الْحَلَقُ فِي الْأَفْقِ يُنْمِشِي لِإِشَارَةِ

بنادقه الثَّمَّ متَّبِعًا ؛ حتى أصبحَ وهو الكبيرُ في فنِّه بآداب التعريف ، وأضحى وهو الخبيرُ بنوِّه بطريق النُّقل والتَّوقيف .

ولمَّا كان فلانٌ هو كبيرُ هذا الفنِّ وخيرُه ، ومُقَدِّمَ هذا النوعِ الذي لم يزل بتجلُّله عَظِيمَ كُلِّ عَصْرٍ وأميرُه ؛ وقديمَ هذا المَرَمَى الذي جُلُّ المَرادِ به الجُدُّ لا اللَّعب ، وألِفَ هذا المَرَامَ الذي يَنْشَطُ إليه اللَّاعِبُ ويستروِجُ إليه التَّعبُ - أَقْنَضَى الرَّأْيُ الشريفُ أنَّ نجعلَه حاكِمًا في هذه الرتبةِ الجليلةِ بما علم أو علَّم منها ، فَاصِلًا بين أهلِها بمعرفته التي ما بَرِحَتْ يُؤْخِذُهَا في قَوَاعِلِهَا ويتَقَلُّ عَنْهَا - فُرُوسَ بالأمر الشريفُ أنَّ يَكُونَ حاكِمًا في البُنْدُق .

فليستَقِرَّ في هذه الرتبةِ التي تَلَقَّاهَا ، يَمِينُ كَفَايَتِهِ وَيُمْنُهُ ، وَأَرْتَقَاهَا ، بِتَقَرُّدِهِ في نوعه وتَهَدُّدِهِ في فنِّه ؛ وليَعْتَمِدِ الإنصافُ في أَحكامِ قَوَاعِلِهَا ، وإِجْرَاءِ أَمْرِ أَرْبَابِهَا على أحوالِها المعروفةِ وعَوَائِلِهَا . وَيُنَافِسِ المعروفينَ بها على التَّحَلُّ بِآدَابِهَا ، والتَّمَسُّكِ مِنَ المُرُوءَةِ والأُخُوَّةِ بأَفْضَلِ أَهْدَائِهَا ؛ وَيُتَصَفَّ بِنَهْمٍ فيما يُعْتَدُّ به من وَاجِبِهَا ، وَيُلْزِمُ الدَّاخلَ فيها بِالْمَشْيِ على المَأْلُوفِ مِنْ طَرَفِهَا والمعروفِ مِنْ مَرَاتِبِهَا ؛ ولا يَحْكُمُ في التَّقديمِ والتَّأخيرِ بهوى نَفْسِهِ ، ولا يَقْبِلُ من لَمْ يَحَرِّ الصَّدَقَ في يومِهِ أَنَّهُ قَبِلَ مِنْهُ في أَمْسِهِ ؛ فَإِنَّ اسْتِدامةَ شُرُوطِهَا أَمَانٌ مِنَ السُّقُوطِ عَنْ دَرَجَتِهَا ، وَإِذَا حَكَمَتْ نَفُوسُ أَهْلِهَا الصَّدَقَ في أَقْوَالِهَا وَأَفْعَالِهَا فَقَدْ تَحَرَّجَتْ مِنْ خَطِّ حَرَجِهَا ؛ وَلْيَرْعَ لَدَوِي التَّقَدُّمَ فيها قِدَمَ هِجْرَتِهِمْ ، وَأَشْتِهَارِ سِيَرَتِهِمُ الحَسَنَةِ بين أَسْرَتِهِمْ ؛ وَقَدْ خُيِّرَ مِنْ أَوْصافِهِ الحَسَنَةِ ، وَسَابِقِي رُبَّتِهِ التي لَمْ تَكُنْ عَيْنَ العِنايةِ عَنْهَا وَسِنَةً ؛ مَا أَقْنَضَى اسْتِقْرَارَ رُبَّتِهِ على مَكَاتِبِهَا ومَكَانِهَا ، وَأَكْتَفَى لَهُ مِنْ مَبْسُوطِ الرِّصَايا بِعُنُونِهَا ؛ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ في قولِهِ وعَمَلِهِ ، وَيَجْعَلِ الاعْتِمَادَ على تَوْفِيقِهِ غَايَةَ آمَلِهِ ؛ وَالْخَيْرُ يَكُونُ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



ومن ذلك ما يكتتب به في لباس الفتوة .

إعلم أن طائفة كبيرة من الناس يذهبون إلى لباس لباس الفتوة، ويقيمون لذلك شروطاً وأدباً جارية بينهم . ينسبون ذلك في الأصل إلى أنه مأخوذ عن الإمام عليّ كرم الله وجهه .

والطريق الجارى عليه أمرهم الآن أنه إذا أراد أحدهم أخذ الطريق عن كبير من كهراء هذه الطائفة، أجمع من أهلها من يتسرع معه، ويقتد ذلك الكبير فيلبس ذلك ^(١) ثياباً، ثم يجعل في كوز أو نحوه ماءً ويخلط به بعض ملح، ويقوم كل منهم فيشرب من ذلك الماء وينسبه إلى كبيره . وربما اعتنى بذلك بعض الملوك . وقد جرت العادة في ذلك أنه إذا لبس السلطان واحداً من الأمراء أن يكتتب له بذلك توقيعاً .

وهذه نسخة توقيع بفتوة، من إنشاء القاضي محي الدين بن عبد الظاهر، وهو :

الحمد لله الذي جعل أنساب الفتوة، متصلة بأشرف أسباب النبوة، وأفضل من أمته منه بكل حيل وقوة، وأسعد من مما فكان طلياً على كل من سام علوه .

لحمده حمداً تغدو الأنواء به مملؤه، ونشكره على مواهبه بآيات الشكر المتلوه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من جعل إلى منهج التوحيد رواحاً وغلوة، ونشهد أن محمداً عبده وسوله الذي شد الله أزره بنجر من أثني وفني فال كل قنوي من الفتيان به شرف الأئمة والنبوة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين نصروا وليه وخذلوا عدوه، صلاة موصلة إلى نيل الأمانى المرجوة .

(١) يباض بالأصول، وله : المرید أو نحوه .

وبعد، فإن خير من اتصل به رجاء الرجال الأجواد، وطوى البعيد إلى تحصيل مرامه كل طود من الأطواد، وأماط به عن مكارم الأخلاق لئلا يفسد كل جود وأمتطى ظهر خير جواد، واستمسك من ملابس الشرف بما يؤمن ويؤمل وما يشد به من كل خير لباس التقوى، وما تؤيد به عزيمته فتوى؛ وما يتقيد به على رؤوس الأحزاب، وما يتزل به عليه أحسن آية من هذا الكتاب - من أشتهر بالشجاعة التي تقدم بها على قومه، وحيد أممها في يومه؛ وبالشماعة التي لها مال للممام من تقويق، ولزرق الأستة من تحديق؛ وليبيض الصفاح من حدة متون، وللسمهرية من أزدحام إذا أزدحمت المتون؛ ومن صدق العزيمة، ما يشهد به كرم الشيمه؛ ومن شدة لباس، ما يجمع [به] على طاعته كثير من الناس؛ ومن صدق اللهجة واللسان، ما أنصف عفاقه منها بأشرف ما يتصف به الإنسان؛ ومن طهارة النفس ما يتنافس على مثله المتنافسون، ويستضيء بأنواره القاسيون، ويرتل في حلل نملاته اللاسيون؛ و[كان] من الذين أبانوا عن حسن الطاعة وأجابوا، وإذا دُعوا إلى استنصار جهاد واجتهد لبوا وأجابوا؛ والذين لا يلوون ألسنتهم عن الصدق، ولا يولون وجوههم عن الحق؛ والذين لا يقيعدهم عن بلوغ الأوطار مع إيمانهم حب الأوطان، وإذا نفدوا في حرب حزب الأعداء لا يتفنون إلا بسطان.

ولما كان فلان ذو المقار، والمكار؛ أمير الفتيان، مُميز الإخوان والأعيان؛ هو صاحب هذا الخيل المعقود، والمندوح بهذا المقال المممود، والمنحوح بهذا المقام المشهود؛ والثناء الذي سربله بما سربله أثواب العزة والفخار، والإعتناء الذي استخير الله في أصطفائه واختياره في ذلك فخار - اقتضى حسن الرأي الشريف - كرم الله أنصاره، وأعلى مناره - أن يُجيب وسائل من وقف في هذا القصد وقفة سائل، لينال بذلك كل إحسان وإحسان كل نائل؛ ودعا إلى الكرم العام بالإتمام،

والدعاء لسلطان يدعى له ويدعو كل الأنام ، فقال : أسأل الله وأسأل سلطان الأرض ، ملك البسيطة إمام العصر ، رافع لواء النصر ، ناصر الملة المحمدية ، محيي الدولة العباسية ، فاتح البلاد والقلاع ، الأمصار ، قاهر الكفار مبيد الفرنج والأرمن والتتار ، سلطان الزمان ، خمرؤان إيران ، شاهنشاه القاف ، سلطان العالم وارث الملك ، سلطان العرب والحجم والترك ، الذي انتهى إليه عن أمير المؤمنين الإمام الأتوب ، المغوار ، علي بن أبي طالب ذي الفخار ، شرف الفتوة وأتصال الأنساب .

قلت : هذا ما وقعت عليه من نسخة هذا التوقيع . وقد ذكر الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في كتابه "حسن التوسل" نسخة تقليد أنشأه في الفتوة ، أسقط منه أول الخطبة وهو : - وأبتدأ منه بقوله :

نحمده على ما منّنا من نعم شتى ، ووعبنا من علم وحلم غلونا بهما أشرف من أفتى ، وأمانا ملك خلال الشرف الذي لا ينبغي لغير ما أختصنا به من الكمال ولا يتأتى ، وخصنا به من رفيع أهل الطاعة إلى سماء النعم يتبوءون من جنان الكرم حيث شاءوا : وغيرهم لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من آتت في فخار أبوة النبي إلى حسب علي ، وآتت في بأوة النبوة إلى مهبط قوى ونسب زكي ، وأرتدى حلال الوقار بواسطة الفتوة عن خير وصي عن أشرف نبي ؛ ونشهد أن عمدا عبده ورسوله الذي نور شريعته بجلي ، وجه شفاعته ملي ، وبسيفه وبه حاز النصر من آتت وفاء إليه : فلا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي .

وبعد ، فإن أولى من لبي إحساننا نداء وده ، وربّي أمتاننا نتاج ولأيه الموروث عن أبيه وجده ، ورقاه كرمنا إلى رتبة علا يقف جواد الأمل عن بلوغها عند حده ؛

وَتَلَقَّتْ كَرَامَتَنَا وَقَدْ قَصَصِيهِ بِالرَّحِيبِ ، وَأَنْزَلَتْ جَارَ رَجَائِهِ مِنْ مَصْرِ نَصِيرِهَا بِالْحَرَمِ
الْأَمِينِ وَالرَّمْعِ الْخَصِيبِ ؛ وَأَدْنَتْ لَأَمَلِهِ مَا نَأَى مِنَ الْأَغْرَاضِ حَتَّى بَلَغَهُ فَضْلُهَا سَهْمُ
أَجْتِهَادِهِ الْمُصِيبِ ، وَأَعَدَّتْ لَهُ مِنْ حُلَلِ الْجَلَالَةِ مَا هُوَ أَبْهَى مِنْ رِثَاءِ السَّمَاءِ الَّذِي
تَزْدَادُ عَلَى الْأَيْدِ حِلَّةٌ بِرِيهِ الْقَشِيبِ ؛ وَخَصَّصَتْهُ لِأَبْنَاءِ الْحَمْدِ بِأَجَلٍ بِنُورِهِ جَعَلَتْ لَهُ
فِي لِرْثِ خِلَالِ الشَّرَفِ أَوْفَرَ حَظٍّ وَأَوْفَى نَصِيبٍ - مِنْ سَمْتٍ مَنَابِرُ الْحَمْدِ يَذْكُرُهُ ،
وَأَبْسَمَتْ أَمِيرَةَ الْحَمْدِ بِشُكْرِ أَوْصَافِهِ وَوَصِيفِ شُكْرِهِ ؛ وَأَخْتَالَتْ مَوَادُّ الثَّنَاءِ بِحَسَنِ
خِلَالِهِ ، وَأَخْتَارَتْ كَوَاكِبُ السَّنَاءِ إِقْبَالَ طَوْلَانِهِ بِطَوَالِحِ إِقْبَالِهِ ؛ وَتَسَكَّ مِنْ طَاعَتِنَا
بَأَمْثَلِ أَسْبَابِ الْهُدَى ، وَأَعْتَصَمَ بِعُرْوَةِ بِنُورِ الْأَبْنَاءِ فَأَوْطَاهُ التَّوَقُّعُ بِهَا رِقَابَ الْعِدَاءِ ،
وَأَنْصَفَ بِحَاسَنِ الشِّيمِ فِي مَوَدَّتِنَا فَأَضْحَى فِي السَّنِّ كَهْلُ الْحِلْمِ يَهْتَزُّ لِلْنَّدَى ؛ وَأَنْتَبَى
إِلَيْنَا فَأَصْبَحَ لَدَيْنَا مَلِكًا مُقَرَّبًا ، وَأَوْجِبَ مِنْ حُقُوقِ الطَّاعَةِ عَلَيْنَا مَا أَمْنَى بِهِ لَدَيْنَا
- مَعَ جَلَالَةِ الْأَبْنَاءِ - أَبْنَاءَ وَغَدَوْنَا لَهُ - مَعَ شَرَفِ الْأَبَاءِ - فِي نَسَبِ الْفَخْرِ الْعَرِيقِ أَبَاءَ ؛
وَنَشَأَ فِي مَهَادِ الْمُلْكِ فَمَا بِهِ الْعِلْمُ وَالْعِلْمُ ، بِالسَّيْفِ وَالْقَلَمِ ، وَبِالْبَأْسِ وَالْكَرَمِ ، وَأَصْرَتِ
إِلَى أَبْوَةِ حُنُونٍ بِبُنُورِ رَجَائِهِ قَشْبُهُ بَعْدَ أَيَّامِنَا : « وَمَنْ يُسَيِّئْ أَبَاهُ فَا ظَلَمَ » ؛ وَتَحَلَّى
بِصُنْقِ الْوَلَاءِ وَهُوَ أَوَّلُ مَا يَطْلُبُ فِي سِرِّ هَذَا النَّسَبِ وَيُعْتَبَرُ ، وَتَحَلَّى لِنَكَايَةِ مَدَنُ
الْإِسْلَامِ بِطُغْفٍ مُكَايِدَةٍ : السُّيُوفُ تُجْزُّ الرِّقَابَ « وَتَعْجِزُ عَمَّا تَنَالُ الْإِبْرَ » .

وَلَمَّا كَانَ فَلَانٌ هُوَ الَّذِي زَانَ بِمُؤَالَاتِنَا عُقُودَ حِمِيهِ ، وَزَادَ فِي طَاعَتِنَا عَلَى مَا وَرِثَ
مِنْ مَكَارِمِ أَبِيهِ وَجَدَّهُ ؛ وَزَانَ الْمُلُوكَ فِي إِقْبَالِ شَبَابِهِ ، وَصَانَ مَلِكًا أَبِيهِ عَنْ حَوَارِضِ
أَوْصَائِهِ بِاتِّبَاعِ مَا أَوْصَى بِهِ ، وَأَنْفَتَ صَوَارِمُهُ أَنْ تَكُونَ لَعْنِ جِهَادِ أَعْدَاءِ اللَّهِ مُعْتَدَةً ،
وَعَزَائِمُهُ أَنْ تَتَخَذَ عَلْوُ اللَّهِ وَعِدْوُهُ أَوْلِيَاءَ تُلْقِي إِلَيْهِمُ بِالْمُودَّةِ ؛ وَسِهَامُهُ أَنْ تُسَلِّدَ
[الـ] إِلَى مَقَاتِلِ الْعِدَاءِ ، وَأَسِنَّتُهُ أَنْ يُبَلِّغَ لَهَا مِنْ غَيْرِ مَنَاهِلِ صُدُورِ الْكُفْرِ صَدْدِي ؛
مَعَ أَجْتِمَاعِ خِلَالِ الشَّرَفِ لَشَرَفِ خِلَالِهِ ، وَأَقْتِرَاقِ أَسْبَابِ السَّرَارِ عَنْ هَالَةِ كَلَالِهِ ؛

وَسْؤَالِهِ مَا لَيْسَ لغيرِهِ أَنْ يَمُدَّ إِلَيْهِ يَدًا ، وَإِتِّمَاسِهِ مِنْ كَرَمِنَا الْعَمِيمِ أَجَلٌ مَا نَحَلَّ وَاللَّهُ وَلَدًا ؛ وَأَنَّهُ وَقَفَ عَلَى قَدَمِ الرَّجَاءِ الثَّابِتِ ، وَمَتَّ بِقَدَمِ غُرُوسِ الْوَلَاءِ إِلَى أَصْلَافِهَا فِي رَوْضِ الْمَوْدَةِ نَابِتٍ ؛ وَقَالَ : أَسْأَلُ اللَّهَ وَأَسْأَلُ سُلْطَانَ الْأَرْضِ ، الْقَائِمَ لِجِهَادِ أَعْدَاءِ اللَّهِ بِالسُّنَّةِ وَالْفَرَضِ ، فَاتَّحَ الْأَمْصَارُ ، الَّذِي لَمْ تَزَلْ سَيُوفُهُ تُهْلِكُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَنْ عُمُودِهَا إِلَى أَنْ صَارَ لَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْكَرَامِ أَنْصَارٌ ؛ الَّذِي كَرَّمَ اللَّهُ شَرَفَ الْقُوَّةِ بِإِتِّمَائِهَا إِلَيْهِ ، وَأَعْلَى قَدْرَ بِنُورِ الْمُرُوءَةِ بِاتِّصَالِهَا بِهِ عَنْ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ عَنْ أَبِي أَوَّابٍ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ ؛ وَأَوْرَثَهُ مِنْ خُلُقِهِ الْكَرَمِ وَالْبَأْسَ فَتَحَلَّى مِنْهُ بِأَجَلِ مُوَافٍ مُوَافِقٍ ، وَمَنْعَهُ بِحِفْظِ الْعَهْدِ مِنْ خِصَائِصِهِ مَا عَهَدَ بِهِ إِلَيْهِ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ مِنْ أَنَّهُ مَا يُجِبُّهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُنْقِضُهُ إِلَّا مُنَافِقٌ ؛ أَعَزَّ اللَّهُ سُلْطَانَهُ ، وَأَوْطَأَ حَيَاتِهِ مَعَاقِلَ الْكُفْرِ وَأَوْطَانَهُ ؛ أَنْ يَتَقَبَّلَ قَصْدِي بِقَبُولِ حَسَنٍ ، وَيُقْبَلَ بِوَجْهِ كَرَمِهِ عَلَى أَمَلِي الَّذِي لَمْ يَقْعُدْ بِهِ عَنْ فُرُوضِ الطَّاعَاتِ وَسُنَنِهَا وَمَنْ ؛ وَيَنْظِمَنِي فِي سَلَكِ عَقُودِ الْقُوَّةِ مُلْتَرِمًا بِأَسْبَابِهَا ، مُقْتَدِيًا بِطَاعَتِهَا الَّتِي هِيَ أَكْمَلُ أَسْبَابِهَا ؛ مُتَصِفًا بِمَوَالَاتِهَا الَّتِي لَا يَثْبُتُ لَهَا حُكْمٌ إِلَّا بِهَا ، آتِيًا بِشُرُوطِ خِدْمَتِهَا الَّتِي مِنْ لَمْ يَأْتِ بِهَا عَلَى مَا يَجِبُ لَهَا آتَى السُّيُوتِ مِنْ أَبْوَابِهَا .

فَاسْتَخَرْنَا اللَّهَ تَعَالَى فِي عَقْدِ لَوَاءِ هَذَا الْفَخَّارِ لِحَبْدِهِ نَفَارًا ، وَنَظْمِنَاهُ لِعَقْدِ هَذَا الْمَقَامِ الْكَرِيمِ وَاسْطَةً لِمَثَلِهِ كَانَ يَزِينُهَا الْأَدْنَارُ .

فَرُسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لِأَزَالِ جُودَهُ يُعَلِّي الْجُنُودَ ، وَيُوَطِّدُ لِأَنْبَاءِ مُلُوكِ الزَّمَنِ مِنْ رُتَبِ الشَّرَفِ فَوْقَ مَا وَطَّدَتِ الْآبَاءُ وَالْجُنُودُ - أَنْ نَصِلَ سَبَبَهُ بِهَذَا السَّبَبِ الْكَرِيمِ ، وَنَقْعِدَ حَسَبَهُ فِي الْقُوَّةِ بِأَوَانِي هَذَا الْحَسَبِ الصَّمِيمِ ، وَنَعِدَّقَ نَسَبَهُ بِأَصَالَةِ هَذِهِ الْأَبَوَّةِ الَّتِي هِيَ إِلَّا عَنْ مِثْلِهِ عَقِيمٌ ، وَيُقَاضَ عَلَيْهِ شِعَارُ هَذَا الْخُلُقِ الْمُتَّصِلِ مِنْ أَكْرَمِ وَصِيِّ بْنِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَقِّهِ : (إِنَّكَ لَمَلَأَ خُلُقِي عَظِيمٌ) .

فليحل هذه المَضْبَةَ التي أَخَذْتُ من مرافق العِزِّ بِالْمَاقِلِ ، ويحل هذه الرتبة التي دُونَ بلوغها من نوع الفَرَاقِدِ أَلْفَ رَاقِدٍ ؛ ويحُرِّدُ رِداءَ الفَخْرِ على أهداب الكواكب ، ويُرَاجِمُ بمواكب مجده النجوم على وُرُودِ نهر المجرة بالمناكب ؛ وليصل شرف هذه النسبة من جهته بمن رآه أهلاً لذلك ، وليقت في الفتوة بما علم من مذهبنا الذي انتهى فيه منا إلى مالك ؛ وليطل على ملوك الأقطار ، بهذه الرتبة التي تفانى الرجال على حبها ، ويصل على صُروف الأقدار ، بهذه العناية التي جعلته - وهي حيلة حزب الله - من حزبها ؛ وليصل سر هذا الفضل العميم بإبداعه إلى أهله ، وأترابه ممن لم يره أهلاً لحمله .

قلت : وما نخدم مما يكتب عن الأبواب الشريفة السلطانية بالديار المصرية والممالك الشامية ، لأرباب السيوف وأرباب الأقلام وغيرهم : من التقاليد ، والتقاويض ، والتواقيع ، والمراسيم : المَكْبَرَةِ والمَصْغَرَةِ ، ليس هو على سبيل الاستيعاب ، بل على سبيل التمثيل والتذكير ، لينسج على منواله ، وينهج على نهجه . فإن استيفاء ما يكتب في ذلك مما يشق ، ويقف القصْدُ دونه . بل لا بد من حوادث تحدث لم يسبق لها مثال يقتضى أثره . فيحتاج الكاتب إلى حُسن التصرف في إيراد ما يلائم ذلك ويتناسبه . وكلُّ كاتب ينفق من كسبه ، على قدر سعته ، والله تعالى هو الموفق إلى نهج الصواب ، والهادي إلى طريق الحق في الأمور كلها ، بمنه وكرمه .

الفصل الثالث

من الباب الرابع من المقالة الخامسة

(فما يكتب من الولايات عن ثواب السلطنة ؛ وفيه طرفان)

الطرف الأول

(في مقدمات هذه الولايات ، ويتعلق بها مقاصد)

المقصد الأول

(في بيان من تصدر عنه الولايات : من ثواب السلطنة)

إعلم أنَّ ثواب السلطنة بالديار المصرية لا تصدر عنهم ولايةٌ في جليل ولا حقيق ، بل التولية والعزل منوطان بالسلطان ، والكتابة في ذلك معذوقةٌ به ، سواءً في ذلك النائب الكافل ، ونائب الإسكندرية ، ونائب الوجهين : القبلي والبحري ، إلا ما يكتب عليه النائب الكافل من القصص في صفائر الولايات : من نظير الأوقاف وغيرها ، ثم تُعين ويُكتب بها توقيعٌ سلطانية .

أما ثواب السلطنة بالممالك الشامية : وهم نائب السلطنة بالشام ، ونائب السلطنة بحلب ، ونائب السلطنة بطرابلس ، ونائب السلطنة بحماة ، ونائب السلطنة بصقند ،^(١) ونائب السلطنة بغزة ، إذا كانت نيابةً لا قديمةً عسكر .

(١) يظهر أن ما سقطا ولله « تصدر عنهم الولاية » أخذوا عما تقدم .

المقصود الثاني

(في بيان الولايات التي تصدر عن تواب السلطنة بالممالك الشامية)

قد هتَم في الكلام على الولايات الصادرة عن الأبواب السلطانية بالممالك الشامية ، أن تواب هذه الممالك يَسْتَبْتُون بتولية ولاية الأعمال ، وقد يَسْتَبْتُون أيضا بتولية صغار التواب ، كالقلاع والبلدان التي تكون نيابتها إمرة عشرة . وربما استبْتُوا بتولية بعض النيابات التي تكون نيابتها إمرة طبلخاناه ، إلا أن تولية العشرات عن التواب أكثر ، وتولية الطبلخاناه عن السلطان أكثر . أما النيابات التي تكون نيابتها مقدمة ألف ، فإنها مخصصة بالسلطان . والنيابات التي يكون متوليها جندياً أو مقدم حلقه فإنها مخصصة بالتواب . وأن تولية أكبر أرباب الأقاليم : كتاب المرء ، والوزير بالشام ، حيث جعلت وزارة ، ونظار النظر ، حيث جعلت نظرا ، وأصحاب دواوين المكتبات ، ونظار المال بسائر الممالك ، ونظار الجيش ، وقضاة القضاة بها . فإن التولية^(١) في ذلك تختص بالسلطان دون التواب . وما عدا ذلك يولى فيه السلطان تارة ، والتواب أخرى . وربما حصلت الولاية في بعض ذلك من بعض التواب ثم يكتب من الأبواب السلطانية بالتمثل عليها ، على ما تقدم بسط القول فيه هناك ، فليراجع منه .

المقصود الثالث

[في افتتاحات التواقيع والمراسيم بتلك الولايات]

تقدم في الكلام على الولايات الصادرة عن الأبواب السلطانية أنه يراعى فيها
 براعة الاستيهلال في الافتتاح وأن الافتتاح فيها بـ«الحمد لله» أعلى من الافتتاح
 بـ«أما بعد» والافتتاح بـ«أما بعد» أعلى من الافتتاح بـ«مرسوم بالأمر الشريف»
 وأن لفظ «أما بعد» أعلى من لفظ «وبعد» وأنه يراعى في الولايات وصف المتولى
 والولاية، ويؤتى لكل أحد من ذلك بما يناسبه من صفات المدح، ثم يقال :
 «ولما كان فلان هو المشار إليه بالصفات المتقدمة، اقتضى حسن الرأي أن يستقر
 في كذا ونحو ذلك». ثم يؤتى من الوصايا بما يناسب مقام الولاية والمتولى لها،
 ثم يؤتى بالاختتام : من المشيئة والتأريض، والحمدلة، والتضيئة، والحسبة .

والأمر فيما يكتب عن التواب جار على هذا المنهج إلا في أمور قليلة :

منها - أن جميع ما يكتب عن التواب بالشام يقال فيه «توقيع» ولا يقال فيه
 «تقليد» ولا «تفويض» وربما قيل «مرسوم» في أمور خاصة .

ومنها - أن التوقيع يوصف بـ«الكريم» لا بـ«الشريف» فيقال : «توقيع كريم»
 أن يستقر فلان في كذا» أو «مرسوم كريم لفلان بكنا» بخلاف ما يكتب عن
 الأبواب السلطانية، فإنه يوصف بكونه «شريفًا» فيقال : «تقليد شريف»
 و«تفويض شريف» و«مرسوم شريف» و«توقيع شريف» على ما تقدم ذكره .

ومنها - أن الكاتب يأتي بنون الجمع [جاريًا] في ذلك على من تصدر عنه
 الولاية، كما أن الولايات عن الأبواب السلطانية [يجرى فيها على] العادة في الكتابة

(١) ذكر هذا في المخالف هو فاته موافق لما يكتب عن السلطان أو الملك كما لا يخفى . (٢) ياض بالأصل .

عن الملوك . وكأنهم راعوا في ذلك أن المكتوب عنه هو السلطان في الحقيقة ،
وفعل النائب كأنه فعله نفسه ، كما يقال : هزم الأمير الجيش ، وفتح السلطان
المدينة ، والذي هزم وفتح إنما هم جنده لا هو في نفس الأمر .

ومنها - أنه إذا أفتح التوقيع بـ «رسم بالأمر» - لا يوصف بـ «الشريف» بل
بـ «العالى» على ما هتتم . فيقال : «رسم بالأمر العالى ، المولوى ، السلطانى ،
الملكى ، القلانى القلانى» . وكذلك إذا أتى بذكر «رسم» بعد الافتتاح بـ «الحمد لله
وأما بعد» فإنه يقال فيه : «العالى» دون «الشريف» .

قلت : هذا ما كان الأمر عليه في الزمن المتقادم كما أشار إليه المقز الشهابى
ابن فضل الله في «التعريف» . ثم أستقر الحال على وصف الأمر بـ «الشريف»
فيقال : «رسم بالأمر الشريف العالى» إلى آخره ، كما يكتب ص السلطان .

ومنها - أنه يقال في آخر التوقيع : «والاعتماد على الخط الكريم أعلاه» ولا يقال :
«على الخط الشريف» ، كما في السلطان .

ومنها - أنه لا يذكر في مواقع التواب مستند كتابتها ، كما يكتب فيما يكتب
عن السلطان .

المقصود الرابع

(في بيان الألقاب)

قد هتتم في المقالة الثالثة ، في الكلام على الولايات الصادرة عن الأبواب
السلطانية أن أعلى ما يكتب لأرباب السيوف «المقز الكريم» ثم «الجناب
الكريم» ثم «الجناب العالى» ثم «المجلس العالى» ثم «المجلس السامى» بالياء ، ثم
«المجلس السامى» بغير ياء ، ثم «مجلس الأمير» ثم «الأمير» .

وأن أعلى ما يكتب لأرباب الوظائف الديوانية : « الجتاب العالى » ثم « المجلس العالى » ثم « المجلس السامى » بالياء ، ثم « المجلس السامى » بغير ياء ، ثم « مجلس القاضى » ثم « القاضى » .

وأن أعلى ما يكتب لأرباب الوظائف الدينية : « المجلس العالى » . ثم أستقر أعلى ما يكتب لهم : « الجتاب العالى » و « المجلس العالى » بعده ، ثم « السامى » بالياء ، ثم « السامى » بغير ياء ، ثم « مجلس القاضى » ثم « القاضى » على ما تقدم فى أرباب الوظائف الديوانية ، إلا فيما يقع الاختلاف فيه من الألقاب والتعوت الخاصة بكل منهما .

وأن أعلى ما يكتب لأرباب الوظائف الشرفية : « المجلس العالى » ثم « المجلس السامى » بالياء ، ثم « المجلس السامى » بغير ياء ، ثم « مجلس الشيخ » ثم « الشيخ » .

وأنه يكتب لأرباب الوظائف العادية : « المجلس السامى ، الصدر الأجل » أو « مجلس الصدر » أو « الصدر » .

وأنه يكتب لزعماء أهل الذمة ألقابهم المتعارفة . فيكتب لرئيس اليهود : « الرئيس » ولبطاركة النصارى : « البطررك » ونحو ذلك .

فأما ما يكتب عن تواب الشام ، فعلى أصناف ، كما تقدم فى الألقاب التى تكتب عن الأبواب السلطانية ، مع اختلاف فى بعض الألقاب بزيادة ونقص ، وطول وهبوط .

الصنف الأول

(أرباب السيوف، ولألقابهم مراتب)

المرتبة الأولى — المقر الشريف . وبذلك يكتب للطبقة الأولى من مقدمي الألواف بالشام، وحلب، وطرابلس، وإذا ولى أحد منهم نظراً وقف، أو نحو ذلك . أما غير هذه الممالك الثلاث، فقد تقدم أنه ليس في شيء منها تسمية ألف، ويقال فيه عندهم : « المقر الشريف، العالى، المولى، الأمير، الكيرى، العالى، العادى، العوفى، النيبانى، الزعيمى، الظهيرى، المخدومى، الفلانى، عز الإسلام والمسلمين، سيد الأمراء فى العالمين، ناصر الفزاة والمجاهدين، زعيم جيوش الموحدين، عون الأمة، كهف الملّة، ظهير الملوك والسلطين، فلان الفلانى : أعز الله تعالى أنصاره » .

المرتبة الثانية — المقر الكريم . وبذلك يكتب للطبقة الثانية من مقدمي الألواف، ويقال فيه : « المقر الكريم، العالى، المولى » . بنحو الألقاب المتقدمة .

المرتبة الثالثة — المقر العالى . وبه يكتب للطبقة الثالثة من مقدمي الألواف، ويقال فيه : « المقر العالى، المولى » بنحو الألقاب المتقدمة أيضاً [كما^(١) يكتب لقبب الأشراف بحلب، وهى : « المقر العالى، الأمير، الكيرى، النقيب، الحسيبى، النسيبى، العريقى، الأصبلى، الفاضلى، العلامى، العارفى، الحجى، القدوى، الناسكى، الزاهدى، العادى، الفلانى، جلال الإسلام والمسلمين، جمال الفضلاء البارعين، نحر الأمراء الحاكمين، زين العزة الطاهرة، شرف الأسرة

(١) يباين بالأمول .

الفائز، حجة العصابة الهاشمية، قنوة الطائفة العلوية، ثجبة الفرقة الناجية الحسينية، شرف أولى المراتب، قبيب ذوى المناقب، ملاذ الطلاب الداعين، بركة الملوك والسلاطين، فلان : أسبغ الله عليه ظلاله .

المرتبة الرابعة — الجنب الكريم . وبه يكتب للأمرء الطلحانة، ويقال فيه : « الجنب الكريم، العالى، المولوى، الأميرى، الكيبرى، النصيرى، المجاهدى، المؤيدى، الثخري، الظهيرى، الفلانى، مجد الإسلام والمسلمين، شرف الأمراء فى العالمين، نصرة الغزاة والمجاهدين، ظهير الملوك والسلاطين، فلان : أعز الله تعالى نصرته .

المرتبة الخامسة — الجنب العالى . وبه يكتب لأمرء العشرينات، ويقال فيه : « الجنب العالى، الأميرى، الكيبرى، الثخري، النصيرى، المجاهدى، المؤيدى، الأوحدي، الأكلى، الظهيرى، الفلانى، مجد الإسلام والمسلمين، شرف الأمراء فى العالمين، نصرة الغزاة والمجاهدين، ظهير الملوك والسلاطين، فلان : أدام الله تعالى نعمته .

المرتبة السادسة — المجلس العالى . وبه يكتب لأمرء العشرات، ويقال فيه : « المجلس العالى، الأميرى، الكيبرى، الأجلى، المجاهدى، النصيرى، المؤيدى، المأمي، الأوحدي، الثخري، الفلانى، مجد الإسلام والمسلمين، شرف الأمراء فى العالمين، نصرة الغزاة والمجاهدين، عضد الملوك والسلاطين، فلان : أدام الله تعالى رفعتة .

المرتبة السابعة — المجلس السامى بالياء . وبه يكتب لمقدمي الحلقة، وأعيان جند الحلقة، ويقال فيه : « المجلس السامى، الأميرى، الأجلى، الكيبرى،

المجاهدى، الأعزى، الأخصى، الأكلى، الأوحى، الفلانى، جند الأمراء،
زين الأكابر، دُخر المجاهدين، فلان : أدام الله توفيقه .

المرتبة الثامنة — المجلس السامى بغير ياء . وبه يكتب للطبقة الثانية من
جند الحلقة ، ويقال فيه : « المجلس السامى ، الأمير ، الأجل ، الكبير ، الغازى ،
المجاهد ، المرتضى ، المختار ، فلان الدين ، جند الإسلام ، بهاء الأنام ، زين الأمراء ،
نقر المجاهدين ، عمدة الملوك والسلطين ، فلان : أعزّه الله تعالى » .

المرتبة التاسعة — مجلس الأمير . وبه يكتب للطبقة الثالثة من جند الحلقة ،
ويقال فيه : « مجلس الأمير ، الكبير » . يفتوا ألقاب السامى بغير ياء .

المرتبة العاشرة — الأمير . وبه يكتب لجند الأمراء وشيوخهم ، ويقال فيه :
« الأمير الأجل » .

الصف الثاني

(من أرباب الولايات بالممالك الشامية — أرباب الوظائف

الديوانية ، وفيهم مراتب)

المرتبة الأولى — المقر الشريف . وبه يكتب لكاتب السر بالشام ، وصاحب
ديوان الرسائل بحلب ، ومن في معناهما .

وهذه ألقاب كتب بها لكاتب السر يدمشق بولاية مشيخة الشيوخ ، ويبلغ فيها
جد المبالغة ، إلا أنها ليست حسنة التأليف ، ولا راتبة الترتيب ، وهى : « المقر
الشريف ، العالى ، المولى ، القاضى ، الكبير ، العالى ، العالمى ، العلامى ،
الإمامى ، الفريدى ، المقبضى ، القدوى ، المجبى ، الأجل ، الحبرى ، المحققى ،

المُدَقِّق، الزَاهِدِي، العَارِفِي، الخَاشِعِي، النَّاسِكِي، المُسَلِّحِي، العَابِدِي، المُرْشِدِي،
الرَّبَّانِي، الْوَرَعِي، الْمَهْدِي، الْمَشِيدِي، الْمَشِيرِي، السَّفِيرِي، الْيَمِينِي، الْمَلَّذِي،
الشَّيْخِي، الْقَلَانِي، جَلَّالُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، سَيِّدُ الْأَكْبَرِ وَالرُّؤَسَاءِ فِي الْعَالَمِينَ،
عَوْنُ الْأُمَّةِ، صَلَاحُ الْمِلَّةِ، جَمَالُ الْمُلْكَةِ، نِظَامُ الدَّوْلَةِ، عِزُّ الْمُلْكِ، لِسَانُ الْمَمْلَكِ،
زَيْنُ الْأَوَّلِيَاءِ، مُظْهِرُ أَنْبَاءِ الشَّرِيعَةِ وَنَاصِرُهَا، مُؤَيِّدُ الْحَقِّ وَالْمُعِينُ عَلَى إِظْهَارِهِ،
قَامِعُ الْبِدْعِ وَمُخْنِفُ أَهْلِهَا، رَحْمَةُ الْحَقَّائِطِ، عِلْمُ الْمُفَسِّرِينَ، حُجَّةُ الطَّالِبِينَ، سَيِّفُ
الْمُنَاطِرِينَ، قُدْوَةُ الْعِبَادِ وَالزُّهَّادِ، مَلْبَأُ الصُّلَحَاءِ وَالْعَارِفِينَ، حَسَنَةُ الْأَيَّامِ، فَرْدُ
الزَّمَانِ، غُرَّةُ وَجْهِ الْأَوَانِ، شَيْخُ الْمَشَائِخِ، مُفِيدُ كُلِّ قَادٍ وَرَاجِعٍ، مُوَصِّلُ السَّالِكِينَ،
مُرَبِّي الْأَتْقِيَاءِ وَالْمُرِيدِينَ، كَثْرُ السَّالِكِينَ وَالْمُرْشِدِينَ، مُمَهِّدُ الدُّوَلِ، مُشِيدُ الْمَمَالِكِ،
مُجْمِلُ الْأُمُصَارِ، مَدَبِّرُ أُمُورِ سُلْطَانِهِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، مُجْتَهِدُ نَفْسِهِ فِي رِضَا مَوْلَاهُ،
مُعِينُ الْخَلَائِقِ عَلَى حُقُوقِهِمْ، مُدِلُّ حَزْبِ الشَّيْطَانِ، مَلَأَ الْبُلْغَاءَ وَالْمُتَكَلِّمِينَ،
خُلَاصَةُ سَلَفِ الْقَوْمِ الْمُبَارِكِينَ، بَرَكَةُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ، وَلِيُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَانُ
الْفَلَانِي: أَسْبَغَ اللَّهُ تَعَالَى ظِلَالَهُ. .

المرتبة الثانية — المقرِّ الكريم. وبه يُكْتَبُ للطبقة الثانية من أَرْبَابِ الْوُظَافِ
الدِّيَوَانِيَةِ. وَيُقَالُ فِيهِ: «المَقَرُّ الْكَرِيمُ، الْعَالِي، الْمُتَوَلَّى، الْقَاضِي»، بِتَحْوِ الْأَتْقَابِ
السَّابِقَةِ مَعَ «المَقَرِّ الشَّرِيفِ». .

المرتبة الثالثة — الجَنَابُ الْكَرِيم. وبه يُكْتَبُ للطبقة الثالثة من أَرْبَابِ الْوُظَافِ
الدِّيَوَانِيَةِ. وَهَذِهِ أَلْقَابُ كُتِبَ بِهَا لِبَعْضِ الْكُتَّابِ بِكَاتِبَةِ الْإِنْسَاءِ وَالْجَيْشِ بِحَلَبَ،
وَهِيَ: «الجَنَابُ الْكَرِيمُ، الْعَالِي، الْمُتَوَلَّى، الْقَضَائِي، الْكَبِيرِيُّ، الْعَالِي، الْفَاضِلِيُّ،
الْبَارِعِيُّ، الْكَامِلِيُّ، الْمَاهِدِيُّ، الْأَوْسَدِيُّ، الْإِثْرِيُّ، الْإِثْلِيُّ، الْأَصْلِيُّ، الْقَوَائِي،

النظامى، الفلانى، ضياء الإسلام والمسلمين، أُوحد الفضلاء فى العالمين، خالصةُ الملوك والسلاطين، فلان : ضاعف الله تعالى نعمته .

المرتبة الرابعة — الجنب العالى . وبه يُكتب لكتاب الدست ونحوهم . وهذه ألقابُ كتب بها لبعض كتاب الدست بالشام، وهى : «الجنب العالى، القضائى، الكبيرى، العالمى، الفاضلى، الأجلّى، البارعى، الأوحدى، القوائى، النظامى، المنقوهِ، الرئيسى، الماجدى، الفلانى، مجد الإسلام والمسلمين، شرف الرؤساء فى العالمين، أُوحد الفضلاء الماجدين، قُدوةُ البُلغاء، جمال الكتاب، زين المنتشين، خالصةُ الملوك والسلاطين، فلان : أدام الله تعالى نعمته» .

المرتبة الخامسة — المجلس العالى . وهذه ألقابُ كتب بها لكتاب درج بالشام جليل القدر، وهى : «المجلس العالى، القضائى، الأجلّى، الكبيرى، العالمى، الفاضلى، البارعى، الكاملى، الرئيسى، الأوحدى، الأثيرى، الأصيلى، العريقى، الفلانى، مجد الإسلام، شرف الرؤساء فى الأنام، حجة البُلغاء، قُدوة الفضلاء، أُوحد الأئمة، زين الكتاب، رضى الدولة، صفوة الملوك والسلاطين، فلان : أدام الله طوّه» .

المرتبة السادسة — المجلس السامى بالياء . وهذه ألقابُ كتب بها لبعض كتاب دِمَشق بنظر الرباع وهى : «المجلس السامى، القضائى، الأجلّى، الكبيرى، الرئيسى، الأوحدى، الأجلّى، الماجدى، الأثيرى، الأتميلى، الأصيلى، الفلانى، مجد الإسلام، شرف الرؤساء، أُوحد الفضلاء، صفوة الملوك والسلاطين، أدام الله تعالى علوه» .

المرتبة السابعة — المجلس السامى بغير ياء . وهذه ألقابُ كتب بها لكتاب درج بالشام، وهى : «المجلس السامى، القاضي، الأجل، الكبير، الفاضل، الأوحُد،

الأئمة، الرئيس، البلخ، الأصيل، فلان الدين، مجد الإسلام، بهاء الإنعام، شرف الرؤساء، أوحده الفضلاء، زين الأعيان، نحر الصدور، تجل الأكابر، سليل العلماء، صفوة الملوك والسلاطين، فلان : أدام الله تعالى رفعة .

المرتبة الثامنة — مجلس القاضى . وهى : « مجلس القاضى ، الأجل ، الكبير » والباقي من نسبة ألقاب السامى بغيره .

المرتبة التاسعة — القاضى . ويقال فيها : « القاضى ، الأجل » . وربما زيد على ذلك قليلا ، كما تقدم فى السلطانيات .

الصفن الثالث

(من أرباب الولايات بالممالك الشامية — أرباب الوظائف

الدنية ، وفيه مراتب)

المرتبة الأولى — المقر الشريف . وبذلك يكتب لقضاة القضاة ومن فى معانهم .

وهذه ألقاب كتب بها لقاضى القضاة المالكي يدمشق بتصدير ، وهى : « المقر الشريف ، العالى ، المولى ، القضائى ، الكبيرى ، الإمامى ، العالمى ، العلماى ، الفريدى ، المفيدى ، الخاشعى ، الناسكى ، الرحلى ، القدوى ، الملائى ، العابدى ، المحققى ، المدققى ، المحسنى ، الحاكى ، الفلانى ، جلال الإسلام والمسلمين ، سيد العلماء فى العالمين ، قنوة البارعين ، سيد المناظرين ، لسان المتكلمين ، ملاذ الطالبين ، كثر المتفقهين ، إمام الأئمة ، حجة الأمة ، ناصر الشريعة ، فرد الزمان ، أوحده الوقت والأوان ، رحلة القاصدين ، حكم الملوك والسلاطين ، فلان : أسبغ الله ظلاله . »

المرتبة الثانية — المقر الكريم . وبه يُكتب لمن دونه من هذه الرتبة .

وهذه ألقاب تُكتب بها لقاضى القضاة بحلب بوظيفة دينية ، وهى : « المقر الكريم ، العالى ، المولى ، القاضى ، الكبير ، العالمى ، العادل ، الأصلى ، العريق ، القوامى ، النظامى ، الإمامى ، العلمى ، القدوى ، المقيدى ، الشبى ، الركنى ، الصاحبى ، الحاكم ، المحسن ، القلانى ، فلان الإسلام والمسلمين ، شرف الفضلاء فى العالمين ، قدوة العلماء العاملين ، لسان التكلمين ، برهان المناظرين ، صدر المدرسين ، رحمة الطالبين ، بقية السلف الكرام الدارين ، بركة الملوك والسلاطين ، خالصة أمير المؤمنين ، فلان : أقر الله تعالى أحكامه » .

المرتبة الثالثة — الجنب الكريم . وهذه ألقاب تُكتب بها لبعض المشايخ بتدريس بالشام ، وهى : « الجنب الكريم ، العالى ، المولى ، القضاى ، الكبير ، العالمى ، الفاضل ، المفيدى ، الفريدى ، المحقق ، المدقق ، الأوحى ، الأكلى ، القلانى ، مجد الإسلام والمسلمين ، شرف العلماء فى العالمين ، جمال الفضلاء المدرسين ، خالصة الملوك والسلاطين ، فلان : أسبغ الله تعالى ظله » .

المرتبة الرابعة — الجنب العالى . وهذه ألقاب من ذلك تُكتب بها لقاض من قضاة العسكر بالشام ، وهى : « الجنب العالى ، القضاى ، الكبير ، العالمى ، الفاضل ، الرئيسى ، الأكلى ، الإمامى ، العلمى ، المفيدى ، المحقق ، الفريدى ، البارعى ، المدقق ، الأوحى ، القدوى ، الحبرى ، الحافظى ، الأصلى ، الأثيرى ، الناسكى ، الورعى ، العلمى ، مجد الإسلام والمسلمين ، شرف العلماء العاملين ، زين الحكام فى العالمين ، حجة المذهب ، إمام البلاء ، مفتى المسابن ، مفيد الطالبين ، قطب الزهاد ، ملاذ العباد ، خالصة الملوك والسلاطين ، فلان : أدام الله تعالى نعمته » .

المرتبة الخامسة — المجلس العالى . وهى : « المجلس العالى ، القضاىء ، الأجل ، الكبير ، العالمى ، الفاضل ، الكامل ، الرئيسى ، الأوحدى ، الأثيرى ، الأملى ، الأصلى ، العريق ، القلانى ، مجد الإسلام ، شرف الرؤساء فى الأنام ، حجة الفضلاء ، صدر المدرسين ، مرتضى الملوك والسلاطين ، فلان : أدام الله تعالى علوه » .

المرتبة السادسة — المجلس السامى بالياء . وهى : « المجلس السامى ، القضاىء ، العالمى ، الفاضل ، الكامل ، الأوحدى ، الأصلى ، العريق ، المحقق ، القلانى ، مجد الإسلام والمسلمين ، أوجد الفضلاء فى العالمين ، صدر المدرسين ، أوجد المفيدين ، مرتضى الملوك والسلاطين ، فلان : أدام الله سعادته » .

المرتبة السابعة — المجلس السامى بغيرياء . وهى : « المجلس السامى ، القاضى ، الأجل ، الكبير ، الأحد ، المرتضى ، الأكل ، فلان الدين ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، زين الفضلاء ، أوجد العلماء ، رضى الملوك والسلاطين ، فلان : أدام الله عزه » .

المرتبة الثامنة — مجلس القاضى . وهى : « مجلس القاضى ، الأجل » بتحو الألقاب المذكورة فى « السامى » بغيرياء .

المرتبة التاسعة — القاضى . وهى : « القاضى الأجل » على ما تقدم .

الصنف الرابع

(من أرباب الولايات بالممالك الشامية — مشايخ الصوفية)

ولم أقف على شيء من ألقاب ما كتب من هذا الباب . سوى [ما كتب] فى مشيخة الشيوخ بالشام لكاتب السر ، وقد تقدم ذكره فى أول الألقاب الديوانية

هناك . وألقاب الجناح العالى فيما كُتِب به فى مشيخة الزاوية الأيمينية يَدْمَشْق ، وهى :
« الجناحُ العالى ، الشيخُ ، العالمى ، العالمى المَلَّاحى ، الأوحدى ، القدوى ،
المابدى ، الزاهدى ، الورعى ، الناسكى ، الخاشعى ، المسلكى ، المرقى ، الربانى ،
الأصيلى ، الفلانى ، مجد الإسلام ، حسنة الأيام ، قنوة الزهاد ، ملاذ العباد ، جمالُ
الورعين ، مربي المريدين ، أُوحد السالكين ، خلف الأولياء ، بركة السلاطين ،
فلان : أئاد الله تعالى من بركته » .

ومن هذا يُؤخذ ما حدث كتابته مما هو فوق ذلك أودونه .

الصنف الخامس

(من أرباب الولايات بالمالك الشامية - أمراء العربان)

ولم أقف على شيء مما كُتِب به من ألقابهم ، سوى ألقاب « السامى » بغير ياء
لبعض أمراء بنى مهدي ، وهى : « المجلس السامى ، الأمير ، الأجل ، الكبير ،
المجاهد ، الأصيل ، العريق ، الأوحده ، فلان الدين ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ،
شرف العربان ، زين القبائل ، عمدة الملوك والسلاطين ، فلان : أعزّه الله
تعالى » . وعليه يُقاس ما عساه يُكتب من هذا النمط .

الصنف السادس

(من أرباب الولايات بالمالك الشامية - أرباب الوظائف

العادية ، كرامة الطب ونحوها)

وألقاب رئيس الطب : « المجلس العالى ، القضاى » على نحو ما هتَم
فى الديوانيات .

الصنف السابع

(من أرباب الولايات بالنيابات الشامية - زعماء أهل الذمة)

وهي رئاسة اليهود، وبطريركية النصارى .

أما رئيس اليهود، فالذى رأيته لهم من القضاة في عهد قديم، كتبه ابن الزكي في الدولة الأيوبية . قال في ألقابه : « الرئيس ، الأوحُد ، الأجل ، الأعرز ، الأخصن ، الكبير ، شرف الداووديين ، فلان » .

وأما بطرك النصارى ، فرأيت لهم فيه طريقتين :

الطريقة الأولى : « البطريرك المحتشم ، المبجل ، فلان ، العالم بأمور دينه ، المعلم أهل ملته ، ذخيرة الملّة المسيحية ، كبير الطائفة العيسوية ، المشكور بعقله عند الملوك والسلطين ، وفقه الله تعالى » .

الطريقة الثانية : « مجلس القسيس ، الجليل ، الروحاني ، الخطير ، المتبتل ، ابن المعطران ، الناصب ، الخاشع ، المبجل ، قدوة دين النصارية ، نحر الملّة العيسوية ، عماد بني المعمودية ، جمال الطائفة القلانية ، صفوة الملوك والسلطين ، فلان : أدام الله تعالى بهجته » .

المقصد الخامس

(في بيان مقادير قطع الورق المستعمل فيما يكتب)

عن ثواب الممالك الشامية)

قد تقدم في المقالة الثالثة ، في الكلام على مقادير قطع الورق ، أن الورق المستعمل في دواوين الممالك الشامية على ثلاثة مقادير : قطع الطلحية الشامية الكاملة ، وهو

في عَرْضِ الطَّلْحَةِ المعبر عنها بالقرْخَة وطُولِهَا . وقطع نصف الجُمُودَى ، وهو في نصف عَرْضِ الطَّلْحَةِ التي في قَطْعِ الجُمُودَى وطُولِهَا ، وَرُبَّمَا قَصَصَتْ في الطول . وقَطَعِ العادة ، وهو على نَحْوِ مَنْ قَطَعَ العادة البلدى . وقد تَهْتَمُّ ذكره .

فما كان منها في طول الشائِئِ الكامل كُتِبَ بقلمِ الثلث . وما كان في قَطْعِ نِصْفِ الجُمُودَى كُتِبَ بقلمِ التوقيعات . وما كان في قَطْعِ العادة كُتِبَ بقلمِ الرُّفَاعِ . ثم ما كان في قَطْعِ الطَّلْحَةِ ، أَفْتَحَ ما يكتب فيه بـ«الحمد لله» . وما كان في قَطْعِ نِصْفِ الجُمُودَى ، أَفْتَحَ ما يكتب فيه بـ«أما بعد حمد الله» . وما كان في قطع العادة ، أَفْتَحَ ما يُكْتَبُ فيه بـ«رُئِيسُ الأَمْرِ الشريف» سواء في ذلك عَلَتِ الألقابُ أو انْحَطَّتْ ، حتَّى إِنَّهُ رُبَّمَا كُتِبَ بـ«المقرَّر» في قَطْعِ العادة ، آخِياراً بِحالِ الوَظِيفَةِ .

المقصود السادس

(في بيان ما يكتب في طُرَّةِ التواقيع)

اعلم أَنَّ التَّوَابَ بالمالِكِ الشَّامِيَّةِ حادِثُهُمْ في العلامة كتابة اسمِ النَّائبِ ، كما أَنَّ السُّلْطَانَ فيما يُكْتَبُ عنه من الولاية يكتب في العلامة اسمه . وحيثُ لَزِمَ فيحتاجُ الكاتِبُ إلى أَنْ يَكْتُبَ في أَمْلَى النَّزَجِ في الوسط ما صورته : « الأَمُّ الكَرِيمُ » ثم يكتب من أَوَّلِ عَرْضِ النَّزَجِ ما صورته : « تَوْقِيعُ كَرِيمٍ بِاسْتِقْرَارِ الْمُقَرَّرِ الشَّرِيفِ أَوِ الْكَرِيمِ ، أَوِ الْجَنَابِ الْكَرِيمِ أَوِ الْعَالِي ، أَوِ الْمَجْلِسِ الْعَالِي أَوِ السَّامِي ، أَوِ مَجْلِسِ الأَمِيرِ أَوِ الْقَاضِي ، أَوِ الشَّيْخِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ ، في كَذَا وَكَذَا إلى آخِرِهِ » . فَإِنْ كَانَ فِيهِ مَعْلُومٌ كُتِبَ آخِرًا : « بِالْمَعْلُومِ الشَّاهِدِ بِهِ الدِّيوانُ المَعْمُورُ ، أَوِ الشَّاهِدِ بِهِ كَاتِبُ الوَقْفِ » وَنَحْوِ ذَلِكَ ثم يكتب : « حَسَبَ مَا رُئِيسُ بِهِ عَلَى مَا شَرَحَ فِيهِ » . وَلَفْظُ :

«حَسَبَ مَا رُسِمَ بِهِ» مما جَرَتْ بِهِ عَادَةُ كُتَابِهِمْ، بِخِلَافِ مَا يَكْتُبُ بِهِ مِنَ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ .

وهذه طُورَةُ تَوْقِيعِ بِنْقَابَةِ الْأَشْرَافِ بِحَلَبِ الْحُرُوسَةِ ، كُتِبَ بِهِ لِلشَّرِيفِ « غِيَاثِ الدِّينِ أَحْمَدَ » بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْمَدْحُوحِ ، وَهِيَ :

تَوْقِيعٌ كَرِيمٌ بِأَسْتِقْرَارِ الْمُقَرَّرِ الْعَالِي ، الْأَمِيرِيِّ ، الْكَبِيرِيِّ ، الشَّرِيفِيِّ ، النَّقِيبِيِّ ، الْحُسَيْنِيِّ ، الْأَصِيلِيِّ ، الْعِزِّيِّ ، بَرَكَةِ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ ، أَحْمَدَ ابْنَ الْمُقَرَّرِ الْعَالِي ، الشَّرِيفِيِّ ، النَّقِيبِيِّ ، الشَّهَابِيِّ ، أَحْمَدَ الْحُسَيْنِيِّ ، أَسْبَغَ اللَّهُ ظِلَالَهَا ، فِي وَظِيفَةِ تَقَابَةِ السَّادَةِ الْأَشْرَافِ ، وَنَظَرَ أَوْقَافَهَا ، وَالْحُكْمَ فِي طَوَائِفِهِمْ عَلَى اخْتِلَافِهِمْ أَجْمَعِينَ ، عِوَضًا عَنْ وَالِدِهِ الْمَشَارِإِ إِلَيْهِ بِرِضَاهُ ، عَلَى عَادَتِهِ فِي ذَلِكَ وَمُسْتَقَرِّ قَاعِدَتِهِ ، وَتَعَالِيمِهِ الْمُسْتَمْرَةِ إِلَى آخِرِ وَقْتٍ ، حَسَبَ مَا رُسِمَ بِهِ بِمَقْتَضَى الْخَطِّ الْكَرِيمِ ، عَلَى مَا شَرَحَ فِيهِ .



وهذه نَسْخَةُ طُورَةِ تَوْقِيعِ بِكَشْفِ الصَّفْقَةِ الْقَبْلِيَّةِ بِالشَّامِ ، مِمَّا كُتِبَ بِهِ لـ«غُرْسِ الدِّينِ خَلِيلِ النَّاصِرِيِّ» وَهِيَ :

تَوْقِيعٌ كَرِيمٌ بِأَنْ يَسْتَقَرَّ الْجَنَابُ الْكَرِيمُ ، الْعَالِي ، الْمَوْلَوِيُّ ، الْأَمِيرِيُّ ، الْكَبِيرِيُّ ، الْغُرْسِيُّ ، ظَهِيرُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ ، خَلِيلُ النَّاصِرِيِّ ، آدَامَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ ، فِي كَشْفِ الْبِلَادِ الْقَبْلِيَّةِ الْحُرُوسَةِ بِالشَّامِ الْحُرُوسِ ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدَّمَ فِي ذَلِكَ وَمُسْتَقَرِّ قَاعِدَتِهِ ، حَسَبَ مَا رُسِمَ بِهِ ، عَلَى مَا شَرَحَ فِيهِ .



وهذه نَسْخَةُ طُورَةِ تَوْقِيعِ بِالْمُهَنْدَرِيَّةِ بِالشَّامِ الْحُرُوسِ ، كُتِبَ بِهِ لـ«غُرْسِ الدِّينِ خَلِيلِ الطَّنَاحِيِّ» وَهِيَ :

توقيع كريم باستقرار الجناح العالى، الأميرى، الكبيرى، الفرمى، عضد
الملوك والسلاطين، خليل الطناحى، أدام الله تعالى نعمته، فى وظيفة المهندارية
الثانية بالشام المحروس، عوضاً عن حسام الدين حسن بن صاروجا، بحكم شغورها
عنه، لما اتفق من الغضب الشريف عليه، واعتقاله بالقلعة المنصورة بحلب
المحروسة، على أجل عادة، وأجل قاعلة، حسب ما رسم به، على ما شرح فيه .



وهذه نسخة طرة توقيع بتصدير بالجامع الأموى بالشام، كتب به للقاضى
«ناصر الدين» بن أبى الطيب كاتب السر بالشام، وهى :

توقيع كريم بأن يستقر المقر الشريف، الناصرى، محمد بن أبى الطيب العمري،
العثمانى، الشافعى، صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالمملكة الشريفة الشامية
المحروسة، عظم الله تعالى شأنه، فى وظيفة التصدير بالجامع الأموى المعمور بذكر الله
تعالى، عوضاً عن القاضى صدر الدين عبد الرحمن الكفرى الشافعى، بحكم وفاته
إلى رحمة الله تعالى، بماله من المعلوم الذى يشهد به ديوان الوقف المبرور، حسب ما
رسم به، على ما شرح فيه .



وهذه نسخة طرة توقيع بإعادة مشيخة الشيخ بالشام إلى القاضى «ناصر الدين
ابن أبى الطيب» المذكور أعلاه، وهى :

توقيع كريم بأن تموض إلى المقر الشريف العالى، المولى، القاضى،
الناصرى، محمد بن أبى الطيب العمري، العثمانى الشافعى، صاحب ديوان الإنشاء
الشريف بالمملكة الشريفة الشامية المحروسة، أعاد الله تعالى من بركاته، وأسبغ

ظلاله ، مشيخة الشيوخ بالشام المحروس ، وظيفته التي خرجت عنه ، المرسوم الآن
إعادتها إليه ، عوضاً عن هي بيده ، بمعلومه في النظر والمشيخة ، الشاهد بهما ديوان
الوقف المبرور ، إلى آخر وقت ، على أجل العوائد ، وأجل القواعد ، حسب ما رسم
به ، على ما شرح فيه .



وهذه طرة توقيع الحمل على التزول والتقرير الشرعي ، بالزاوية الأيمينية ، بالقدس ،
كتب به للشيخ «برهان الدين الموصل» وهي :

توقيع كريم بأن يحمل الجناح العالي ، الشيخ ، البرهاني ، إبراهيم ابن سيدنا
المرحوم الشيخ القطب ، تقي الدين أبي بكر الموصل ، رضى الله عنه وأعاد من
بركاتهما ، في وظيفتي النظر والمشيخة ، بالزاوية الأيمينية بالقدس الشريف ، على حكم
التزول الشرعي ، واستمرار ذلك بمقتضاها ، ومنع المنازع بغير حكم الشرع الشريف ،
حسب ما رسم به ، على ما شرح فيه .



وهذه طرة مرسوم برنج تقلمة إمرة بني مهدي ، كتب به له «عيسى بن
حناس» وهي :

مرسوم كريم بأن يستقر المجلس السامي ، الأمير ، شرف الدين ، عيسى بن
حناس (؟) ، أعزه الله تعالى ، في رنج تقلمة بني مهدي ، على عادة من تقلمه ، حملاً
على ما بيده من التوقيع الكريم ، على ما شرح فيه .



وهذه طرة توقيع بطركية النصاري الملكية بالشام ، كتب به له «داود
الخورى» وهي :

تَوْقِيعٌ كَرِيمٌ أَنَّ يَسْتَقَرُّ الْبَطْرِيكُ ، الْمُخْتَشِمُ ، الْمَبْعُولُ ، دَاوُدَ الْخُورِيِّ ، الْمَشْكُورِ ، بِعَقْلِهِ لَدَى الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، وَفَقَهُ اللَّهِ تَعَالَى ، بِطَرِيكَ الْمَلِكِيَّةِ بِالْمُلْكَةِ الشَّرِيفَةِ الشَّامِيَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، حَسَبَ مَا اخْتَارَهُ أَهْلُ مَلِكِهِ الْمُقِيمُونَ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ ، وَرَغِبُوا فِيهِ ، وَكَتَبُوا خُطُوطَهُمْ بِهِ ، وَسَأَلُونَا تَقْرِيرَهُ دُونَ غَيْرِهِ ، حَسَبَ مَا رُسِمَ بِهِ ، عَلَى مَا شَرَحَ فِيهِ .

المقصود السابع

(في بيان كيفية ترتيب هذه التواقيع)

قَدْ جَرَتْ عَادَةُ كُتَّابِ هَذِهِ النِّيَابَاتِ أَنْ تُكْتُبَ الطُّورَةُ بِأَعْلَى الدَّرَجِ كَمَا تَقْدَمُ . ثُمَّ يَتْرَكُ وَصْلَانُ بَيَاضًا بِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ وَصْلِ الطُّورَةِ ؛ ثُمَّ تُكْتُبُ الْبَسْمَلَةُ فِي أَوَّلِ الْوَصْلِ الثَّالِثِ ، ثُمَّ يُكْتُبُ تَحْتَ الْبَسْمَلَةِ عَلَى سَمْتِ الْجِلَالَةِ : « الْمَلِكِيُّ الْفُلَانِيُّ » ثُمَّ يَخْتَلُّ بِتِ الْعَلَامَةِ نَحْوَ سِتَّةِ أَصْبَاحٍ مُعْتَزَّةٍ ، ثُمَّ يُكْتُبُ السَّطْرَ الثَّانِي وَيُؤَاتِي كِتَابَةَ السَّطْرِ ، وَيَكُونُ مَا بَيْنَهُمَا بِقَدْرِ أَصْبَعَيْنِ ، وَالْبَاقِي عَلَى نَحْوِ مَا تَقْدَمُ فِي السُّلْطَانِيَّاتِ .

الطرف الثاني

(في نسخ التواقيع المكتوبة عن نواب السلطنة بالممالك الشامية)

قَدْ تَقَدَّمَ فِي الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ أَنَّ بِالْبِلَادِ الشَّامِيَةِ سَبْعُ نِيَابَاتٍ : دِمَشْقُ ، وَحَلَبُ ، وَطَرَابُلُسُ ، وَحِمَاةُ ، وَصَفَدُ ، وَغَزَّةُ إِنْ كَانَتْ نِيَابَةً ، وَالكَرْكُ . وَأَنَّ أَعْلَاهَا دِمَشْقُ ، ثُمَّ حَلَبُ ، ثُمَّ طَرَابُلُسُ . وَفِي مَعْنَى طَرَابُلُسُ حِمَاةُ وَصَفَدُ .

وَقَدْ أَقْتَصَرْتُ فِي نَسْخِ التَّوَاقِيعِ عَلَى مَا يُكْتُبُ فِي ثَلَاثِ نِيَابَاتٍ [تَحْدِيدًا لَهَا ^(١)] عَلَى مَا عَدَّاهَا .

النيابة الأولى الشام

(والتواقيع التي تُكتب بها على خمسة أصناف)

الصنف الأول

(ما يُكتب بوظائف أرباب السيوف ، وهو على ضربين)

الضرب الأول

(ماهو بمحاضرة دِمَشْق ، وهو على مراتب)

المرتبة الأولى

(ما يفتح به الحمد لله » وفيها وظائف)

وهذه نسخ تواقيع من ذلك :

نسخة توقيع بولاية دِمَشْق :

الحمد لله الذي جعل هذه الأيام الزاهرة تنقل أولياء الآله الشريفة إلى أعلى
المراتب ، ويُجزل لهم من مَنِّهِ الجمَّة الموابب ، وتضاعف لهم النِّعمة بكرمها الذي إذا
انهمَل كان كالغَيْث السَّاب .

نحمده على أن جعل نظرنا يمتح أهل المهَم ويراقب ، ونشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له شهادة يبلغ قائلها بركتها المنى والمآرب ، وتهون عليه كل
المصاعب ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي أظهر الله بُعْثِهِ الحق
في المشارق والمغارب ، وأثار به ظلم الغياهب ؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين
شيدوا منار الإسلام وأقاموه بالسيوف القواضب ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن المناصب بمتولّيها ، والمعالى بمعلّيها ، والعقود ليست بمن تحلّيه بل بمن يحلّيها ؛ وأطيب القاع جناباً ما طاب أرحاماً وثماراً ، وبخّر خلاه كل نهر «بروع حصاه حاليّة العذاري» ورنحت معاطف غصونه سلاف النسيم قراها سكارى ، وتمتد ظلال الفصون فيخال أنها على وجّات الأنهار عذرا .

ولما كانت دمشق المحروسة لها هذه الصفات ، وعلى صفاتها تهبّ سمات [هذه] السمات ، لم يتّصف غيرها بهذه الصفة ، [ولا اتفق أولو الألباب إلا على محاسنها المختلفة] ^(١) وكان الجنب الكريم هو من أعيان الدولة وأماثلهم ، ووجوه رؤسائهم وأفاضلهم ؛ وله في طاعتها استرسال الأمن من سوء مواطن المخاوف ، ووصل في ولايتها القديم بالحديث والتألّد بالطّارف ؛ وتولّى مهمّات الخدمة فأبان في جميعها عن مضاء عزّمه ، وكان من حُسن آثاره فيها ما شهر غفلتها بوشمه ؛ فنأواه من أقرانه أربى عليه وزاد ، ومن بآراء من أنظاره أنسى ذكره أو كاد .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف أن يستقرّ في ولاية مدينة دمشق المحروسة .
فليأثر هذه الولاية : عاملاً بتقوى الله تعالى التي أمر بها في مُحكم الكتاب ، حيث يقول : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَآتَقُوا يَأُولَى الْأَلْبَابِ ﴾ . وليشمل كافة الرمايا بالحفظ والرعاية ، ويُخزل حظّهم من الملاحظة والعناية ؛ وليساو في الحق بين ضعيفهم وقويّهم ، وفقيرهم وغنيّهم ؛ وليلزم أتباعه بحفظ الشوارع والحارات ، وحراستها في جميع الأزمنة والأوقات ؛ مع مواصلة التطواف كلّ ليلة بنفسه في أدنى عدّه ، وأظهر عدّه ، مُتّهما في ذلك وفيما يُجاريه إلى ما يشهد بجتهاده ، ويُربّ عن سبّاده ، ويعلم منه صواب قصّبه وأعتاده ، وبذلّ مناصحته في إصداره وإبراده ؛ والله تعالى يُعينه على ما ولّاه ، ويحفظ عليه ما تولّاه وأولّاه بمنّه وكرمه .

(١) الزيادة ما تقدّم في الصف الثالث في توافيق أرباب الوظائف في حاضرة دمشق ليستقيم الكلام .



وهذه نسخة تَوْقِيعِ بَنَظَرِ الجامعِ الأُمَوِيِّ، لصاحبِ سَيْفٍ : كُتِبَ به في الدَّولةِ الظَّاهِرِيَّةِ « بَرَقُوق » لناصر الدين « محمد » ابن الأمير جمال الدين، عبد الله ابن الحاجب، عند مُصَاهَرَتِهِ الأمير بطا اللودادار، وهي :

الحمد لله الذي قدَّم أعظمَ الأمراءِ لِعِمْ مَواطِنَ الذِّكرِ بَنظَرِهِ السَّعيد، وأقام لَتَعْظِيمِ بَيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ، [أميرا] في الاكْتسابِ للأجورِ أَسْرَعَ من البرِّيد، وأطربَ المَسامِيعَ بِسِيرَتِهِ في أَحْسَنِ مَعْيَدٍ جُلِّيتَ فيه عُرُوسٌ مَهْرُهَا كَتَابُ اللَّهِ تَعَالَى والنُّورُ من زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ وَصَرَفَتْ^(١) عَلَيْهِ من مَكَانٍ بَعِيدٍ .

نَعْمَدُهُ عَلَى أَنْ أَحَلَّ ناصر الدين بِجَمَالِهِ الأَمْنِيَّ أَشْرَفَ المَرَاتِبِ، وبَوَّاهَ المَحَلَّ الرِّفِيعَ الَّذِي بَلَغَ به الأُمَّةُ المَحْمَدِيَّةُ المَارَبَ، وسارَ خُبْرُ سِيرَتِهِ في المَشَارِقِ والمَغَارِبِ، وَبَلَغَ بِمُشَارَفَةِ نَظَرِهِ السَّعيدِ الشَّاهِدَ وَالغَائِبَ ؛ حَمْدًا نَرَفَعُهُ عَلَى النُّسْرِ الطَّائِرِ، وَنَتَمَثَّلُ بِقَوْلِ القَائِلِ : كَمْ تَرَكَ الأوَّلُ لِلآخِرِ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الَّذِي خَلَقَ العِبَادَ لِعِبَادَتِهِ، وَفَضَّلَ بَعْضَ المَساجِدِ عَلَى بَعْضٍ لِمَا سَبَقَ فِي عِلْمِهِ من إِرَادَتِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا خَيْرَ الخَلَائِقِ عِبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي سَنَّ الجُمُعَةَ والجَمَاعَةَ، وَعَمَّرَ المَساجِدَ بِالرُّكُوعِ والسُّجُودِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا، وَلَا زَمُوا المَساجِدَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، وَحَضَبُوا عَلَى الجَمَاعَةِ لِكَيْ يَوْمَ تَكُونُ الجِبَالُ فِيهِ كَتِيبًا مَهِيلًا؛ وَسَلِّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعدُ، فَلَمَّا كَانَ جَامِعُ دِمَشْقَ المَحْرُوسَةِ رَابِعَ المَساجِدِ، وَمَوْطِنَ كُلِّ رَاكِعٍ وَمَسْجِدٍ؛ وَتَقْصِصُهُ الأُمَمُ من الأَقْطَارِ، وَلَمْ يَحْتَلِ من العِبَادَةِ فِي اللَّيْلِ والنَّهَارِ، وَرَوَاتِبُ حُكَّامِ الشَّرِيعَةِ عَلَيْهِ، وَالْعُلَمَاءُ الأَعْلَامُ تَبَّتْ فِيهِ العُلُومُ وَتَأَوَّى إِلَيْهِ؛ وَغَالِبُ المَساجِدِ

(١) في الاصل «دُمِرَتْ» ولم يهجم منها .

إلى سِمَاطٍ وَقَفِهِ مُضَافَهُ، وَخَطَابَتُهُ مُضَاهِي مَرْتَبَةِ الْخِلَافَةِ؛ وَهُوَ أَجَلُ عَجَائِبِ
الدُّنْيَا الَّتِي وُضِعَتْ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ، وَبِهِ يَفْتَحِرُ أَهْلُ الْهُدَى عَلَى أَهْلِ الضَّلَالِ - تَعَيَّنَ
أَنْ يَكُونَ النَّاطِرُ فِي أَمْرِهِ مَنْ عَظُمَ قَدْرًا، وَطَابَ ذِكْرًا، وَفُتِحَ لَوْفُهُ بَابُ الزِّيَادَةِ
عَلَى مُضَيِّ السَّاعَاتِ، وَجَمَعَ أَمْوَالَهُ بَعْدَ الشُّنَاتِ؛ وَوَصَلَ الْحَقُوقَ لِأَرْبَابِهَا الَّذِينَ
كَانَتْهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ، وَلَمْ يُضَعْ مِنْ مَالِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ وَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ صَدَقَهُ فَيَوْمُهُ يَوْمٌ
حَسْرٍ، وَجَمَعَ جَمِيعَ الْمَسَاجِدِ الْمُضَافَةِ إِلَيْهِ بِالْقُرْشِ وَالتُّوَيْرِ، وَبَدَأَ الْأُيُمَّةَ وَالْمُؤَذِّنِينَ
وَالْحَلَمَةَ بَعْدَ الْعِمَارَةِ عَلَى الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ.

وَكَانَ الْجَنَابُ الْكَرِيمُ - ضَاعَفَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ - هُوَ الَّذِي يَقُومُ فِي هَذَا الْأَمْرِ
أَحْسَنَ مَقَامٍ، وَيَصْلُحُ لَهُ فِي مَصْلَحَتِهِ الْكَلَامُ.

رُفِعَ بِالْأَمْرِ الْعَالِي، الْمَوْلَوِيُّ، السُّلْطَانِيُّ، الْمَلِكِيُّ، الظَّاهِرِيُّ، السِّنِّيُّ - لِأَزَالِ
هَذَا الدِّينَ الْقِيَمَ قَائِمًا بِحُجْمِهِ، وَالْمَسَاجِدَ الْمَعْمُورَةَ [مَعْمُورَةً] بِإِكْرَامِ مَسْجِدِهِ -
أَنْ يَسْتَقَرَّ الْجَنَابُ النَّاصِرِيُّ الْمَشَارِئُ إِلَيْهِ فِي النَّظَرِ السَّعِيدِ عَلَى الْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ الْمَعْمُورِ
بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَوْقَافِهِ الْمَبْرُورَةِ، عَلَى أَجْمَلِ الْعَوَائِدِ، وَأَجْمَلِ الْقَوَاعِدِ؛ بِالْمَعْلُومِ
الشَّاهِدِ بِهِ دِيْوَانُ الْوَقْفِ الْمَبْرُورِ، إِلَى آخِرِ وَقْتٍ.

فَلْيُبَاشِرْ ذَلِكَ: لِمَا يَعْرِفُ مِنْ فِعَالِهِ الْحَسَنَةِ، وَخَيْرِيَّتِهِ الَّتِي تَطَلَّتْ بِهَا مِنَ الْحَاوِرِ
الْأَقْوَامُ وَمِنَ الْأَقْلَامِ الْأَلْسِنَةُ؛ وَلِمَا حَازَهُ مِنْ فَضِيلَتِي السَّيْفِ وَالْقَلَمِ، وَأَعْمَارِ التِّي
بَدَتْ لِلْهُتَدَى بِهَا كُنُوزُ لَا تَأْرِ عَلَى عِلْمٍ؛ وَلِيُعَمَّرَ مَا دَرَمَ مِنَ الْأَوْقَافِ وَلِيُوصَلَ الْحَقُوقُ
إِلَى أَرْبَابِهَا، وَلِيُنْفَجَّ الْأَمْوَالُ إِلَى مَنْ هُوَ أَوْلَى بِهَا؛ وَيُكَفَّ كَفَّ الظُّلْمِ وَلِيُبَلِّغَ
الْمُسْتَحِقَّ الْمَآرِبِ، وَلِيُحْجِبَ الْخَوَنَةَ عَنِ التَّوَصُّلِ إِلَى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ يَجِدُّهُ فَهُوَ بِحَدِّهِ
حَاجِبٌ؛ وَلِيَسْدَأَ بِالْعِمَارَةِ وَالْقُرْشِ وَالتُّوَيْرِ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ، وَأَرْبَابِ الصَّلَاةِ

وَالصَّلَاتِ . وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَهِيَ أَدْرَى ، وَتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِلَاكُهَا وَلَا زَالَ يُفِيدُهَا كَمَا يَعْلَمُ الشَّجَاعَةُ زَيْدًا وَعَمْرًا ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُهُ أَبَدًا لِلدِّينِ نَاصِرًا ، وَيُصْلِحُ عَمَلَهُ أَوَّلًا وَآخِرًا ، وَالْإِعْتِمَادُ فِي مَعْنَاهُ ، عَلَى الْخَطِّ الْكَرِيمِ أَهْلَاهُ .

المرتبة الثانية

(مَا يُفْتَحُ بِهِ أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ « وَفِيهَا وَظَائِفٌ)

وهذه نسخة توقيع ... (١) ... الزكاة ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، وهي :
أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ مُسَبِّحٍ مِنْ زَكَاهِ عَمَلِهِ ، وَوَقَّاهُ وَعَدَ الْخَيْرِ أَمَلُهُ ، وَمُصْبِحٍ مِنْ وَقْتِ
فِي تَدْيِيرِ الْوُظَائِفِ تَهَاصِيلِ أَمْرِهِ وَوَقَرَتْ فِي تَعْمِيرِ الْأَمْوَالِ جُمْلُهُ ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ
عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَيْهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي أَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ، وَشَقَى جَانِبَ الدِّينِ الْقِيَمِ
مِنَ الشُّكَاةِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ الْقَوِيمِ سَائِرُهُمْ ، وَتَرَكَى - وَإِنَّمَا
يَتَرَكَى لِنَفْسِهِ - مُتَجِدُّهُمْ وَظَائِرُهُمْ - فَإِنَّ أَحَقَّ الْوُظَائِفِ أَنْ يُنْصَبَ لِحِمَايَتِهَا الْحُسَامُ ،
وَيَتَرَكَبَ لِكِفَايَتِهَا مَنْ تَحَلَّى بِالْحَمَادِ شَيْئَهُ الْحُسَامِ - وَظِيفَةُ الزَّكَاةِ الَّتِي وَصَلَتْ سَهْبُ
مَكَانِهَا بِإِمَّاكِنِهَا ، وَبُنِيَتْ شَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ عَلَى أَحَدِ أَرْكَانِهَا ، وَمُئَلِّحَتْ الْمَمْلَكَةُ بِعَالِي
الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ الْمُنْتَظَمَةِ مِنْ دِيَوَانِهَا .

وَلَمَّا كَانَ فَلَانٌ مِّنْ زَكَّتْ صِفَاتُهُ ، وَتَمَّتْ بِالْجَمِيلِ سِمَاتُهُ ، وَوَحَّخَتْ كِفَائَتُهُ
وَدَرَايَتُهُ ، وَصَلَحَتْ حِمَايَتُهُ الْحُسَامِيَّةُ وَوَقَايَتُهُ ، وَكَانَ الْيَمْنُ فِي قَبْضَةِ مَصَاتِيهِ ، وَتَجَرِيدُهُ
وَأَنْتِصَابُهُ ، وَكَانَ نَقُودُ أَمْرِهِ وَاقِعًا عِنْدَ حَتْمِهِ وَاقِعًا عَلَى وَفْقِ آرْتِضَائِهِ - تَعَيَّنَ أَنْ يُوصَلَ
سَبَبُ الشَّدِّ بِأَسْبَابِهِ ، وَيُرْجَعَ إِلَيْهِ فِي الزَّكَاةِ الْمُسْتَحَقِّ نِصَابُهَا حَتَّى يُقَالَ : رَجَعَ الْحَقُّ
بِالْحُسَامِ إِلَى نِصَابِهِ .

(١) بياض بالأصل ولعله : بتولية وظيفة الزكاة الخ .

فلذلك رُسم أن يرتب علماً بأنه الكافي الذي إذا شُدَّ سَدٌّ، وإذا قَصُرَ رَأْيُهُ عَلَى الصَّنْعِ الْجَمِيلِ مَدٌّ؛ وَالْخَيْرُ الَّذِي إِذَا جَمَعَ مَالًا وَعَلَدَهُ كَانَ مَشْكُورًا ، وَإِذَا فَرَقَهُ فِي مُسْتَحِقِّهِ كَانَ خِلَافَ الْغَيْرِ بِالْخَيْرِ مَذْكُورًا ؛ وَالنَّاهِضُ الَّذِي مَا تَبَرَّمَ بِمَضَائِقِ الْمُهَمَّاتِ وَلَا شَكَاها، وَالْمَهْيَبُ الَّذِي قَدْ أَمِنَ مَنْ سَارَ بِالْبُضَاعَةِ إِلَيْهِ وَقَدْ أَقْلَحَ مِنْ زَكَاها .

فَلْيَسْتَقِرِّ فِي هَذِهِ الْجِهَةِ اسْتِقْرَارًا يَزِيدُ مَكَانَهُ وَإِمَكَانَهُ ، وَيُثْمِرُ عَمَلَهُ وَدِيَوَانَهُ ، وَيُؤَوِّضِلُ كُلَّ ذِي حَقٍّ إِلَى حَقِّهِ فَإِنَّمَا بُسِطَتْ أَيْدِي وُلاَةِ الْأُمُورِ لِيَسْطُرَ عَدْلُهُ مَتَوَلِّيها وَإِحْسَانُهُ . وَتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى هِيَ الْعُمْدَةُ : فَلْيَحَقِّقْ بِاعْتِمَادِها فِيهِ ظُنُونُ الرَّاجِينَ ، وَلْيَسْتَعِنْ بِها عَلَى رِضا الْمُسْتَعِضِينَ لَهُ وَعَلَى رِضا الْمُحْتَاجِينَ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُلْهِمُهُ الْخَيْرَ فِي ذَوِي الصَّادِرِ وَالْوَارِدِ حَتَّى يَكُونُوا إِلَى خَيْرٍ «لَا جِنَّ» خَيْرَ لَا جِنَّ .



وهذه نسخة توقيع بَشَدَّ الحَوَطَاتِ بِدَمَشْقٍ . كُتِبَ بِهِ لِشَرَفِ الدِّينِ بِمِجِيِّ بْنِ الْعَفِيفِ ، [بِاجْرَائِهِ] عَلَى عَادَتِهِ ، وَحَمَلَهُ عَلَى مَا بِيَدِهِ مِنَ التَّوْقِيعِ الشَّرِيفِ ، وَهِيَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي سَهَّلَ الْخَيْرَاتِ بِأَسْبَابِها ، وَأَقَرَّفَ الْوُظَائِفَ السَّنْبَةَ كَفَّاهُ أَرْبَابِها ، وَكَمَّلَ أَصَوَاتِ مَنْ حَنَكَنَهُ التَّجَارِبُ فِي الْمُبَاشَرَاتِ حَتَّى دَخَلَ الْمُنَاصِبَ الْعَلِيَّةَ مِنْ أَبْوَابِها ؛ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ الْأَتَمِّينَ الْأَكْمَلِينَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي جَاءَ بِرُشْدِ الشَّرِيعَةِ وَصَوَابِها ، وَعَرَّفَ بِحُسْنِ الصَّبِيغَةِ وَنَوَابِها ؛ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَغُرَّتِهِ الطَّاهِرِينَ - فَإِنَّ أَوَّلِيَّ مَنْ لَقَيْنَا إِلَيْهِ جِدَّ الْإِحْسَانِ ، وَأَلْقَيْنَا إِلَيْهِ طَرَفَ التَّكْرِيمِ فَبَلَغَ الْأَمَانِيَّ وَالْأَمَانَ ، وَلَحَظْنَاهُ بَعَيْنِ عِنَايَتِنَا فَتَالَ مِنْ فَضْلِنَا مَا أَجْمَلَ النَّيْتِ الْهَتَّانِ ؛ وَمَتَحَنَاهُ مِنْ رُبَّنَا مَا شَرَحَ لَهُ صَدْرًا ، وَأَسْتَصَحَبْنَا لَهُ مَا أَلْفَهُ مِنْ كَرَمِنَا وَجَعَلْنَا لَهُ بَعْدَ

عُسْرُ يُسْرًا، وَأَقْضُنَا حَظَّهُ وَقَدْ كَادَ أَنْ يَفْقَى، وَأَطْلَعْنَا كَوَكَبَ سَعْدِهِ بَعْدَ أَنْ كَادَ يَخْفَى - مِنْ أَلَقَتْ مُهِمَاتُنَا مِنْهُ الْهِمَمَ الْعَلِيَّةَ، وَسَلَكَ بَيْنَ أَيْدِينَا الْمَسَالِكَ الْمَرْضِيَّةَ، وَأَثْمَنَ عَلَى أَمْوَالِ الْحَوَاطِثِ الدِّيَوَانِيَةِ فَنَمَتَ بِحُسْنِ أَمَانَتِهِ، وَشَكَرَتِ الدَّوْلَةُ بِجَمِيلِ تَدْوِيرِهِ وَدِرَآئَتِهِ .

وكان المجلس العالي فلان - أدام الله عزه - هو الذي أخبر عنه الوصف بما أثبتته العيان، وأظهر الاختبار منه حُسن السيرة والسيرة والسجايا الحسان .

فلذلك رُسم بالأمر العالي - أعلاه الله تعالى، وضاعف لإحسانه على أهل الهمم وإلى - أَنْ يَسْتَمِرَّ الْمَشَارُ إِلَيْهِ فِي شَدِّ الْحَوَاطِثِ الدِّيَوَانِيَةِ يَلْمَشُقُ الْمَحْرُوسَةَ، عَلَى عَادَتِهِ، وَمُسْتَقَرَّ قَاعِدَتِهِ، وَحَمَلَهُ عَلَى مَا يَبْدُو مِنَ التَّوَقُّعِ الشَّرِيفِ الْمُسْتَمَرِّ حُكْمَهُ .

فليُباشِرْ هذه الوظيفة على أجمل عوائده، وليَعُدَّ إِلَيْهَا عَلَى أَكْمَلِ قَوَاعِدِهِ، إِلَّا أَنْ التَّنْذِيرُ بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى لِأَبَدٍ مِنْ أَقْتِبَاسِ ضِيَاهَا، وَالتَّنْبِيهِ عَلَى سُلُوكِ سَبِيلِ هُدَاهَا، فَتُكُنَّ قَاعِدَةً أَمَلَهُ، وَخَاتِمَةً عَمَلِهِ . وَالْإِعْتِدَادُ فِي مَعْنَاهُ، عَلَى الْخَطِّ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

المرتبة الثالثة

(من تَوَاقِعِ وَظَائِفِ أَرْبَابِ السُّيُوفِ يَلْمَشُقُ - مَا يُشْتَبَحُ بِهِ «رُسْمُ

بِالأمر العالي» وفيه وظائف)

وهذه نسخُ تَوَاقِعٍ مِنْ ذَلِكَ :

نسخةُ تَوَقُّعٍ بِشَدِّ مِرَاكِرِ الْبَرِيدِ، مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ نُبَاتَةَ، كُتِبَ

بِهَا لِمَنْ لَقِبَهُ «بَدْرُ الدِّينِ» فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ، وَهِيَ :

رُسم بالأمر العالي - لا زالت البرد سائرة بأوامر عتله المديد ، وهوامر جوده
 الحميد ، وسوائر الأخبار عن بأسه ونذاه المروى سندهما عن ثابت وزيد ، ولا برحت
 جوامع عطاياه وقضاياه : هذه فاتحة لمصالح الآمال باب الزيادة وهذه فاتحة لمصالح
 الإسلام باب البريد - أن يستقر المجلس على عادته الأولى ، وقاعدته التي ما برحت
 قتم مساعيه فيها المقدمة ويد أمانته الطولى ؛ علما بكفائه التي شهدت بها حتى
 الخليل المائلات نربما فافصحت ، المواصلات سعيًا فالتجحت ، الموريات قدما
 إلا أن ألسنة الأحوال في شهادتها ما قدحت ، المنبرات على المرى صبيحا مادار عليها
 شفق العشي فاعتقت ، حتى دار عليها شفق الفجر فاضطجعت . ومراكر الطرق
 التي حتمها مهائنه فكأنها مراكر الأسل ، ومرايكس السبل ، كل واحد منها وما حمل
 وكل حديب وما تسلى ؛ وأعتادا على سداد عزمه الذي وافق خبره الخبر ، ورشاد سعيه
 الذي كل أوقاته من وجوه الإجابة ووجوه الجهاد غرر ؛ وركونا إلى أنه الكافي
 فيما يعتد به ويراه ، السارى في المهمات لا يمل وهيئات أن يمل البدر من سراه ؛ كم
 أغان الإسلام على ما آتخذ من قوة ومن رباط الخيل ، وكم جاد على الجهاد على القيث^(١)
 حتى سارت بين يديه كالسبل ، وكم حفظ عليها قوتها وقوتها فبعد ما كانت تموت
 بالعد صارت تعيش بالكيل .

فلما شرم عول فيه عليه ، وأعيد من حقه وإن كان نرج عنه إليه ، ولطابق يد
 أمره ونهيه بما يشره أن يقسمه بين يديه ؛ حريصا على أن تتطرق هذه النواب
 الخرس قذا بئانه ، مجريا لقوائمها وللإقامة بها على عادة إجرائه ؛ متخيرا لها كل
 حسن الإمرة والسياسة عند رجليها وقدميها ، ومن إذا عرضت عليه بالعشي
 الصافات الجياد طفق مسح ولكن باماطة الأذى عن جسودها ؛ موسعا عليها من

المباني والأحوال كُلِّ مَضِيْقٍ ، آمِرًا بما يحتاج إليه نَوْعُهَا البَدِيعُ من صِنَاعَتَيْ تَرْشِيحٍ وَتَطْيِيقٍ ؛ مُسْتَأْمِنًا من الأَيْدِي من يَرُدُّ عَنْهَا الأَيْدِي الضَّائِمَةُ ، ومن يُسَاوِي بِهَا في الأَقْوَاتِ حَتَّى لَا تَكُونَ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ : « خَيْلٌ صَبَامٌ وَخَيْلٌ ضَيْرُ صَاهِمَةٍ » ؛ مُسَحَّرِيًا في تَكْفِيفِهَا أَجْمَلَ الطُّرُقِ وَالطَّرَائِقِ ، مُسْتَجَبِلًا صُنُوفَ العَلِيقِ فَلَا تَنْقَطِعُ مِنْ بَرِّهَ العَلَائِقِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَمُدُّهُ بِعَوْنِهِ وَرَشْدِهِ ، وَيَجْعَلُ عَزْمَهُ سَائِقًا إِلَى التَّوْفِيقِ « سَبَقَ الْجَوَادُ إِذَا أَمْتَوْنِي عَلَى أَمْدِهِ » ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ .



وهذه نسخة تَوْفِيقِ بِنْقَابَةِ النُّقْبَاءِ ، من إِنْشَاءِ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ نُبَاتَةَ أَيضًا ، كَتَبَ بِهَا لِشَهَابِ الدِّينِ « بُولَاقِي » عَوْضًا عَنْ أَبِيهِ ، فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِمِائَةٍ ، وَهِيَ :
رُئِيسَ بِالْأَمْرِ الْعَالِي - لِأَزَالِ بِإِنْعَامِهِ يُسْفِرُ عَنْ وَجْهِهِ الْأَمَلِ قَبَابَهُ ، وَيَحْفَظُ لِكَافِيهِ الخِدْمَةَ أَغْقَابَهُ ، وَيَلْوِي بِاسْتِمْرَارِ النِّعَمِ أَنْوَارَ الزَّمَانِ وَأَحْقَابَهُ ، وَيُطْلِعُ فِي آفَاقِ دَوْلَتِهِ شَهَابَ كُلِّ عَزْمٍ تَحْمَدُ عَسَاكِرُهُ الْمَنْصُورَةَ أَرْقَاءَهُ وَأَرْقَابَهُ - أَنْ يَرْتَّبَ الْمَجْلِسُ السَّامِي ، الْأَمِيرُ : طَلَبًا بِأَوْصَافِهِ الْحَسَنَةِ ، وَأَوْضَاعِهِ الَّتِي لَا يَحْتَاجُ الْحَكْمُ بِقَضَائِهَا إِلَى إِقَامَةِ بَيْنِهِ ، وَكَفَافَتِهِ الَّتِي تَنْطَلِقُ بِهَا أَلْسِنَةُ الْأَحْوَالِ الْمُؤْمِنَةِ وَقُلُوبُ الْعَسَاكِرِ الْمُؤْمِنَةِ ، وَهَمَّتِهِ الَّتِي إِذَا وَقَفَتِ الْمَوَاقِفُ عَلَى الْأَعْدَاءِ عَرَفَتْهُ أَصْحَابُ الْمِيْمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمِيْمَةِ ، وَتَصَدِّقًا لِدَلَالَةِ عَزْمِهِ الْوَاعِدِ ، وَتَحْقِيقًا لِحِمَايَةِ شَهَابِهِ الْوَاقِدِ ، وَرُكُونًا إِلَى قِيَامِهِ مَقَامِ أَبِيهِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الخِدْمَةِ حَتَّى كَانَ لَمْ يَفْقِدْهُ مِنَ الْجَيْشِ قَاقِدٌ ؛ وَأَنَّهُ لَدَرَجَاتِ الْأَسْتَحْقَاقِ رَاقِيٌ ، وَأَنَّهُ الْوَعُضُ غَرَبُ أَبِي لَاقِيٍّ مَنِيَّتُهُ وَكُلُّ أَمْرِيٍّ لَاقِيٍّ الْمَنِيَّةِ وَأَبْنُ لَاقِيٍّ ؛ وَأَنَّهُ كَفَّ هَذِهِ الْمَتَزَلَّةَ كَمَا حَكَمَ الرَّأْيُ وَأَقْتَضَى ، وَكَأَشْهَدُ (؟) لَعَزْمَتِهِ بَغْرِيرِ الْفَوَائِدِ وَكَيْفَ لَا وَهُوَ ابْنُ النُّقْبِ الْمُرْتَضَى ! .

فَلْيَتَلَقَّ شِبهَايَه المُنْصِيءَ هَذَا المَطْلَعُ الأَسْنَى ، وَلْيَقُمْ فِي هَذِهِ الوُضُفَةِ عَلَى قَدَمِ الخِدْمَةِ
صُورَةٍ وَمَعْنَى ؛ مَقْدَمًا عَلَى التَّشْيَاءِ تَقْدِيمِ إِمَامِهِمْ ، مُعَلِّمًا لِحُدُودِ الإِسْلَامِ مَعْلُومَ مَقَامِهِمْ ؛
مَالِكًا بِإِتْهَانِ مَعْرِفَةِ الحِلِّيِّ سَمِعَ مِنْ أَسْتِمْلَاهُ ، مُحْظِيًا لِلْجُنْدِيِّ مُعِينًا لَهُ عَلَى حُصُولِ الخَيْرِ
حَتَّى يَشْكُرَهُ شُكْرًا مِنْ أَطْعَمَهُ وَحَلَّاهُ ؛ نَاطِمًا لِلْوَاكِبِ عَقْدَ مُجْتَمَعِهَا الثَّمِينِ ، مُصَاحِبًا لَهَا
صُحْبَةً يُثَوِّقُ بِهَا عَلَيْهِ وَحَسْبُهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ؛ مُرْتَبًا لَهَا أَحْسَنَ تَرْتِيبٍ ،
مُنْتَقِبًا عَنْ عَمَاسٍ يُجْمَلُهَا : فَإِنَّ أَسْمَ التَّنْقِيبِ مُشْتَقٌّ مِنَ التَّنْقِيبِ . وَيُكَائِرُ حَمَلَةَ
السُّيُوفِ فَإِنَّهُ حَامِلُ سَيْفٍ وَعَصَا ، وَإِنَّهُ بِهِذِهِ مُخْلِصٌ حَقُوقَ مَنْ أَطَاعَ وَبَهَذَا مُوَبِّقٌ
نَفْسَ مَنْ عَصَى ؛ وَلْيَحْرِضْ عَلَى أَنْ يَقُومَ بِوَعْدِ الاجْتِهَادِ الْمُتَجَرِّزِ ، وَعَلَى أَنْ يَكُونَ
مُسَيِّفَ تَحْرِيطِضَ عَلَى جَرَحِ الأَعْدَاءِ مُجْهِزَ ، وَعَلَى أَنْ يَحْصُلَ فِي مَوَاطِنِ الجِهَادِ عَلَى
الأَجْرَيْنِ : أَجْرِ المُقَاتِلِ وَأَجْرِ المُجَبِّزِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُجِدُّ فِي الخَيْرِ طَرِيقَهُ ، وَيُؤَيِّدُ عَزْمَهُ
الْجَيِّشِيَّ حَتَّى تَلْهَجَ بِشُكْرِهِ أَلْسِنَةُ الأَعْلَامِ الخَافِقَةِ ؛ وَالاعْتِمَادُ



وهذه نسخة توقيع بَشْدَ خَزَائِنِ السِّلَاحِ ، مِنْ إِنْشَاءِ أَيْنِ ثُبَاتَةٍ أَيْضًا ، وَهِيَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَتْ أَسِنَّةُ نَجُومِ السَّعْدِ مِنْ سِلَاحِهِ ، وَصَوَاعِقُهَا مِنْ
أَعْوَانِ صِفَاحِهِ ، وَسِمَاكُهَا الرَّايْحُ مِنْ أَنْصَارِ رِمَاحِهِ ؛ وَلَا يَرِيحُ يَعْمَلُ مَعَادِنَ الأَرْضِ
حَتَّى يَفْتَقِيَ ذَهَبُهَا وَحَدِيدُهَا عَلَى يَدَيِّ بَأْسِهِ وَسِمَاحِهِ - أَنْ يَرْتَبَ لِأَنَّهُ النَّاهِضُ
الَّذِي تَتَرَيَنَّ الوُظَائِفُ بِسَمِيَّتِهِ وَبِأَسْمِهِ ، وَتَتَعَيَّنُ المَصَالِحُ وَالمَنَاجِحُ بِعَزَمِهِ وَحَزْمِهِ ؛
وَالْمُسْتَدُّ مِنْ آرَائِهِ سِهَامًا ، وَالْمُجَرَّدُ مِنْ أَهْتِمَامِهِ كُلِّ مَاضِي الحَدِّ إِذَا كَانَ بَعْضُ الأَهْتَامِ
كَهَامًا ؛ وَالْوَفِيُّ فِي شَدِّ الْجِهَاتِ قَوْلًا وَعَمَلًا ، وَالمُلِيُّ بِجَمَلِ السِّلَاحِ وَأَسْتِمَالِهِ عَلَى رَغَمِ
الْقَائِلِ : «أَصْبَحْتُ لَا أَجْمِلُ السِّلَاحَ وَلَا» ؛ وَالخَيْرُ بِحَاسِنِ الاِقْتِرَاحِ ، وَالكَافِيُّ وَلَا

عَجِبَ إِذَا سَلَّمَتْ لَهُ دَعْوُ الْوُظَافِ وَأَقْبَتَ عَلَيْهِ السِّلَاحَ ! ؛ كُو الْعَزْمِ الْأَشَدَّ ، وَالرَّأْيِ الْأَسَدَّ ، وَالذِّكْرِ الَّذِي إِذَا تَنَاولَ بَعْضَ الْأَسْلِحَةِ وَأَنْتَسَبَتْ شَجَاعَتُهُ رَأَيْتَ الْقَوْسَ فِي يَدِ عَطَارِدٍ فِي يَدِ الْأَسَدِ .

فَلْيُبَاشِرْ هَذِهِ الْوُظِيفَةَ الْمُبَارَكَةَ بِعَزْمٍ أَقْطَعَ مِنْ حُصَامٍ ، وَأَمَانَةٍ أَقْوَمَ مِنْ أَلْفِ وَصِيَانَةٍ أَحْصَنَ مِنْ كَلَامٍ ؛ مُعْتَبَرًا لِأَحْوَالِهَا ، مُقَرَّرًا لِمَطَالِبِ مَالِهَا مِنْ مَالِهَا ؛ مُوَفِّرًا مِنْ أَسْلِحَتِهَا الَّتِي تَتَوَفَّرُ بِهَا مِنَ الْخَيْرِ سِهَامُهَا ، مُنْصِفًا لَصُنَائِعِهَا الَّذِينَ يُحْمَدُ عِنْدَ اسْتِعْمَالِهَا صَنِيعُهُ وَأَهْتِمَامُهُ ؛ مُكَثِّرًا لَخَزَائِنِهَا مِنْ ذَخَائِرِ الْعُنْدِ ، مُجَهِّزًا لْجِيُوشِ الْإِسْلَامِ مِنْ مَادَّةِ عَمَلِهَا بِأَنْفَعِ مَتَدٍ : مِنْ قِيَمِي تَقْضِي أَهْلَهَا بِقَطْعِ أَعْمَارِ الْعَدَا ، وَسُيُوفِ صَقِيلَةٍ إِذَا نَادَتْ دِيَارُ النَّاسِ أَجَابَتْ النَّدَا ؛ وَدُرُوجِ تَمُوجَتْ قُدْرَانُهَا إِلَّا أَنَّهَا فِي مَهَالِكِ الْحَرْبِ لَا تَنْفُورُ ، وَزِيَامِجِ أَطْرَدَتْ كَعُوبُهَا فَكَلَّهَا عَلَى عَدُوِّ الْإِسْلَامِ كَتَبُ مَدَقُورٍ ؛ إِلَى خَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى عَزَمِهِ الْحَمِيدِ ، وَيَقْضِي لِلنَّعْمَةِ عَلَيْهِ بِالْمَزِيدِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَتَّقِفُ عَزَمَهُ ، وَيُوفِّرُ مِنَ السِّلَاحِ وَالنَّجَاحِ سَهْمَهُ .



وهذه نسخة توقيع بشد الجوالى ، من إنشاء ابن نُبَاتَةَ أيضًا ، وهى :

رسم بالأمر الشريف - لا زالتُ سَعُودُ أَوَامِرِهِ وَإِصْحَاقُ الْأَدْلَةِ ، نَافِذَةُ الْحُكْمِ عَلَى كُلِّ مَلَةٍ ، قَائِمَةٌ لِحُصْبِ الْبِلَادِ بِالْعَدْلِ مَقَامِ السُّعْبِ الْمُسْتَهْلَةِ - أَنْ يَرْتَبَ فُلَانٌ فِي شَدِّ الْجَوَالَى بِدِمَشْقِ الْحُرُوسَةِ : لَمَّا ظَهَرَ مِنْ نَجَابَتِهِ ، وَأَشْتَهَرَ مِنْ حَزْمِهِ وَمَهَابَتِهِ ؛ وَبَدَأَ مِنْ هِمَمِهِ الْعَوَالَى ، وَعَزَائِمِهِ الَّتِي تَجَلُّوْ صِدْقًا أَلْهَمَ بِالْجَوَالَى ، وَإِذَا قِيلَ لِحَاسِدِهِ : لَهُ وَلَإِيْبِهِ إِسْمَرَةُ الْخَيْلِ قَالَ : وَالْجَوَالَى لِي ، وَأَنَّهُ الْكَافِي الَّذِي إِذَا اسْتَنْهَضَ كَانَتْ عَزَائِمُهُ شَابَهُ ، وَنَفْعَاتُ ذِكْرِهِ الْجَمِيلِ هَابَهُ ؛ وَتَجَلُّلُ الْهَامِ الَّذِي أَشْهَدُ عَلَى كِفَايَتِهِ النَّهَارَ وَعَلَى

تعبده الليل ، وأعد لمصالح الإسلام ما أستطاع من قوة ومن رباط الخيل ؛ وأن
مرياه بجمل ، ومنشاه في منازل الخير دليل .

فليباشر هذه الوظيفة المباركة بعزم يثمر مالها ، ويقرر على السداد أحوالها ؛
ويستخلص الحق من أهل الاعتقاد الباطل ، ويستخرج الوفر من أهل الجلد
الماتل ؛ فلا نصراني إلا وهو يتضرع تحت الزرقاء من بابه ، ولا يهودي إلا وهو
يشكو الصفراء في رأسه ، ولا سامري إلا والنار الحمراء مطلقة على أنفاسه ، حتى
تكون أوصاف شدة متلوّه ، وعزائم في الجوالى مجلوّه ؛ وهمه جارية على إيلافها
ومألوفها ، مجزئة لأفلام الحساب والدراهم على حروفها ؛ صحيحة الوزن غير منهوك ،
أخذة الدينار من وزنه وهو كالمأخوذ منه مصكوك ؛ شأنا تتعقد على اختياره
الخصائص ، وكما أن للإسلام منه قوة فليكن للوظائف الدينية منه ناصر .

الضرب الثاني

(ممن يكتب له عن نائب السلطنة بالشام من أرباب
السيوف - من هو بأعمال دمشق ، وواضعهم على ثلاث مراتب أيضا)

المرتبة الأولى

(ما يفتتح به الحمد لله وفيها وظائف)

وهذه نسخ توابع من ذلك :

نسخة توقيع بناية بعلبك كتب بها لركن الدين « عمر بن الطحان » وهي :

الحمد لله الذي جعل بحاسن زينه من استحق الصعود إلى أعلى المنازل ، وجعل نجم
سعدنه بارتقائه إلى سماء المناصب طالعا غير آفل ، وصان بعقله الراجح أحسن المعامل .

نَحْمَدُهُ عَلَى إِحْسَانِهِ الْوَاصِلِ ، وَغِيثِ جُودِهِ الَّذِي هُوَ عَلَى الدَّوَامِ هَاطِلٌ ؛ حَمْدًا يَنْطَلِقُ بِمَدْحِ مَعْدِنِهِ كُلِّ لِسَانٍ قَائِلٌ ، وَيَزِيدُ خَيْرُهُ عَلَى كُلِّ عَايِمٍ قَائِلٌ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الَّذِي أَحْلَى جِيَادَ الْأَوَانِحِ بِالْأَوَائِلِ ، وَجَعَلَ أَجْمَلَ الْأَمْراءِ يَقُوقُ الْبُدُورَ الْكَوَامِلَ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي جَعَلَهُ لَدَيْهِ أَكْظَمَ الْوَسَائِلِ ، وَتَلَاَزَمَ هُوَ وَجِبْرِيلُ فِي عُلوِّ الْمَنَازِلِ ، وَالتَّقَدُّمِ فِي الْحَافِلِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَطَى آلَهُ وَصَحْبَهُ سَادَاتِ الْعَشَائِرِ وَالْقَبَائِلِ ، وَالْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِالْبَيْضِ الْبَوَائِرِ وَالشَّعْرِ الدَّوَائِلِ ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَلَمَّا كَانَتْ بَعْلُوكَ الْمَحْرُوسَةُ مِنْ أَعَزِّ بِلَادِ الْإِسْلَامِ ، وَأَبْهَجِ مَدُنِ الشَّامِ - تَعَيَّنَ أَنْ تُعَيَّنَ لَهَا حَاجًا دِينِيًّا خَيْرًا ، أَمِينًا أَمِيرًا ؛ شُجَاعًا مُهْتَابًا ، بَطَلًا بَرُّمَحًا وَسَيْفِيًّا فِي صُدُورِ الْأَعْدَاءِ وَرِقَابِهِمْ طَعَانًا ضَرَّابًا ؛ وَكَانَ الْجَنَابُ الْكَرِيمُ فَلَانُ : - ضَاعَفَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ ، وَحَرَسَ مِنَ الْغَيْرِ مُهَجَّتَهُ - مِنْ بَلَّتِ كَانَ عَلَى التَّقْوَى أُسَاسُهُ ، وَعُدَّتْ لِدَفْعِ الْمُعْضَلَاتِ أَنْاسُهُ ، وَأَشْتَهَرَتْ هِمَّتُهُمْ فَلَا يَرُدُّ لَهْمَ مَهْمٍ وَلَا يُطَاقُ بَأْسُهُ ؛ طَالَمَا نَفَّوْا عَنِ الدِّينِ الْحَنِيفِيِّ حَبَّتِ الْكُفْرُ بَعْدَ مَا تَمَكَّنَتْ أَدْنَانُهُ ، وَتَمَرَّوْا عَنْ سَاعِدِ الْأَجْتِهَادِ فُجِحَ بِسُيُوفِهِمْ ضَلَالُ الشَّرِكِ وَأَرْجَاسُهُ ؛ وَهُوَ أَعَزَّهُ اللَّهُ تَعَالَى مِمَّنْ فَجَحِيَ بِشَجَاعَتِهِ ، حُلُوقَ الْكَاتِبِ ، وَوَقَّى بَعْدَهُ وَحُسْنِ سِيَاسَتِهِ ، حُقُوقَ الْمَنَاصِبِ ؛ وَقَامَ فِي خِدْمَةِ الدَّوْلَةِ الشَّرِيفَةِ أَحْسَنُ قِيَامٍ ، وَهَدَّبَتْهُ بِمُرُورِهَا اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ ؛ وَتَاهَلُ لِحُلُولِ الرِّتَبِ الْعَالِيَةِ ، وَتَعَيَّنَ لَارْتِقَاءِ الْمَرَاتِبِ السَّيِّئَةِ ؛ فَارْزَدْنَا أَنْ نَخْتَرَهُ فِيمَا نُؤَلِّهِ ، وَنُخْبِرُ عَزَمَهُ فِيمَا نُؤَلِّهِ .

فَلَنْبِكَ رُؤْمٌ بِالْأَمْرِ الْعَالِي - لَا زَالَ أَمْرُهُ مُسْتَمِرَّ الْإِحْسَانِ ، مُجْزِلًا لَدَوِي الْأَسْتَحْقَاقِ عَوَارِفِ النِّعَمِ الْحَسَنِ - أَنْ يَسْتَقَرَّ الْجَنَابُ الْكَرِيمُ الْمَشَارِ إِلَيْهِ - ضَاعَفَ

(١) فِي الْأَمَلِ «مَهَايَا» وَلَمْ يَجِئْ مِنْ هَذِهِ الْمَادَّةِ قُلُوبًا رَائِعَةً يَهْدِي بِهَا إِلَى الْوَارِدِ هَاهُ وَهَاهُنَا .

الله تعالى نِعْمَتَهُ - في نيابة السلطنة الشريفة بعلبك المحروسة والقاعين المعمورين، على عادة من تقدمه في ذلك، ومُسْتَقَرَّ قاعدته، بالمعلوم الذي يشهد به الديوان المعمور، إلى آخر وقت .

فليباشر هذه النيابة الشريفة بخاطر مُنْفِصِح حاضِر، وقلب مُنْشِرح على الخيرات مُشارٍ، وليتخذ الشرع الشريف إماما، وليتوخَّ أوامره ونواهيته تقضاً وإبراما؛ وليقف عند حدوده المشروعة، ولا يتعدّها ومن يتعدّ حدود الله فيده من الإيمان مَرْزُوعه؛ ولين جانبَه للرعيه^(١)، وليحملهم من العدل والإنصاف على المحبة الواضحة الجليّة؛ فإنهم الرعية الضعفاء الصالحون الذين أنعم الله عليهم بتقويض أمورهم إليه، وليعرفهم قول النبي صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ [أُمُور] أُمَّتِي شَيْئاً فَرَّقَ بِهِمْ فَارْتَفَقَ بِهِ وَمَنْ شَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْتَقَّ عَلَيْهِ»؛ وليعمر البلاد، وليقمع أهل الفساد؛ وليهدم البقاع، وليحي مَوَات الضياع؛ وليقيم على القلعة المنصورة الحرس، ولا يفتل عن حفظها بمعرفته التي أكثت له من السعادة سبباً، والله تعالى يبلّغه من إحساننا أرباباً، ويُنَجِّح له من فضلنا طلباً، ويحرّسه بسورتي فاطر وسبأ، والأعتماد في معناه، على الخط الكريم أعلاه .



وهذه نسخة توقيع بكشف البلاد القبلية، كتب به لفرس الدين خليل الناصري في الدولة الظاهرية «برقوق» وهي :

الحمد لله الذي جرد من أولياء هذه الدولة الشريفة سيوفاً تحميم موادّ الفساد، وتبيد أهل الزيف والعناد، وتم بيأسها وبذلها البلاد . حمداً مستمراً على الآباد،

(١) في الأصل : العلماء، والتصحيح من الرسالة الآتية بعد .

(٢) الزيادة من الرسالة الآتية بعد .

مَرْوَدًا غَرَسَهَا النَّافِعَ وَنِعْمَ الزَّادُ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ رَبُّ الْعِبَادِ ، الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَالْمُجَازِي لَهَا بِمَا عَمِلَتْ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا خَيْرَ الْخَلَائِقِ عِنْدَهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي بَلَّغَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَقْصَى الْمُرَادِ ، وَفَضَّلَهُ عَلَى الْخَلَائِقِ : الْأَلَاِفِ وَالْمِائِينَ وَالْعَشْرَاتِ وَالْآحَادِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ فَصَّحُوا الْبِلَادَ ، بِسُيُوفِهِمُ الْحِدَادَ ، وَمَرَّقَتْ رِمَاحُهُمْ مِنْ مُخَالِفِي دِينِهِمُ الْقَوِيمِ الْقُلُوبَ وَالْأَجَادَ ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ .

وَبَعْدُ ، فَلَمَّا كَانَتِ الْمَمْلَكَةُ الْقَبِيلَةُ جُبْلُ الْبِلَادِ الشَّامِيَةِ ، وَبِهَا أَرْزَاقُ السَّاسِكِ الْإِسْلَامِيَةِ ؛ وَطَرِيقُ الْحَاجِّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، وَزِيَارَةِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ؛ وَإِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ ، الَّتِي هِيَ عَلَى الْخَيْرَاتِ مُؤَسَّسَةٌ ؛ وَإِلَى الْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ السُّلْطَانِيَةِ ، وَمَرَجِّ التَّجَارِ قَاصِدِينَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ؛ وَمَنَازِلِ الْعُرْبَانِ ، وَمَوَاطِنِ الْعَشْرَانِ^(١) - وَجِبَ أَنْ يُفَوَّضَ حُكْمُهَا إِلَى مَنْ عُرِفَ بِالشَّهَامَةِ وَالشَّجَاعَةِ ، وَالْيَقَظَةِ الَّتِي لَا يَفُتِّلُ بِهَا عَنْ مَصْلَحَةِ الْمُسْلِمِينَ سَاعَةً ؛ مَنْ أَعْمَرَ غَرَسُهُ وَمَا يَفُوهَ ، وَأَيْنَعَ بِالْمُرُوءَةِ وَالْفَتْوَى ؛ وَتَقَدَّمَ فِي الْكَمَالِ عَلَى زَيْدٍ وَعَمْرُو ، وَأَضْرَمَ فِي قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ نَارًا أَحْرَمَ الْجَمْرَ .

وَكَانَ الْجَنَابُ الْكَرِيمُ - أَدَامَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ - هُوَ الْمَشْهُورُ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ ، وَالْمَنْعُوتِ بِالشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ وَحُسْنِ الْأَدْوَاتِ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الْعَالِي - لَا زَالَ إِحْسَانُهُ يُثْمِرُ غَرَسًا ، وَجُودُهُ يُسَرُّ نَفْسًا - أَنْ يَسْتَقَرَّ الْجَنَابُ الْمَشَارُ إِلَيْهِ فِي كَشْفِ الْبِلَادِ الْقَبِيلَةِ الْمَحْرُوسَةِ عَلَى مِتْوَالٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ وَطَادَتِهِ ، وَحُدُودِهِ فِي ذَلِكَ وَمُسْتَقَرَّ قَاعِدَتِهِ .

(١) لم يرد هذا الجمع نيا بأيدينا من كتب اللغة ولمله ارتكب القياس في اللغة بجملة كزيف ورغفان وقطاف .

فليأثر ذلك بهمة العلية، وشجاعة الأخرية، وقسه الأية؛ وليبيض وجهه في هذه التوبة حتى يطرب الناس بالتوبة الخلية؛ وليعبد في الكبير والصغير، وليجمع رؤوس عشير آخذوا رأسهم مولى : فليئس المولى وليئس العشير؛ وليدفع أدبى العرب، وليحذرهم شراً أقرب؛ وليكثر الركوب إلى المعاملات، ولا يخش من كثرة الحركات، وليعلم أن كل ما هو آت آت؛ وليتخذ الشرع الشريف إماماً، وليتوخ أواصره ونواحيه تحضاً وإراماً؛ وليقف عند حدوده المشروعة، ولا يتعدّها: ومن يتعدّ حدود الله فيده من الإيمان مژوعة؛ وليكن جانبه للرعية، وليحملهم من العدل والإنصاف على المحبة الواضحة الخلية؛ فإتّم الرعية الضعفاء الذين أنعم الله عليهم بتفويض أمورهم إليه، وليعتمد قول النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم من ولي من أمور أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به ومن شق عليهم فاشقق عليه »؛ والوصايا كثيرة وتقوى الله عز وجل نظامها وقوامها، وأتباع سنة نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قيادها وزمامها، والاعتقاد في معناه، على الخطّ الكريم أطلاه .



وهذه نسخة توقيع بكشف الرملة، كُتب به لأبي بكر «أمير علم» ، في الدولة الظاهرية «برقوق» وهي :

الحمد لله الذي قلّد أجياد المجاهدين، سبف نصيره ، وأكّد بعزائم أهل اليقين ، حماية حوزة الإسلام وصيانة قهره؛ وجعل السنة أسنة المرابطين في قم الثغرى إذا أزدان بغزة بديره، وأنزل بأعداء الدين قوادح نهمه وقوارع قهره .

أحمد أن حمى بأولي النجدة والبأس للساكنين حمى، وأشكره على ما جمع من صيب نعمائه وهمى؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أئمتها عند الله

دُخْرًا ، وأَرْجُو بها في القُبَى أَجْرًا ؛ وأشهدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي آتَى بِهِ
بِالسَّيْفِ وَأَمَلَهُ أَبَدًا ، وَعَلَى آلِهِ الَّذِينَ حَلُّوا بِهِمُ الْإِسْلَامَ حَيْدًا ، وَصَحَّحَهُ الَّذِينَ جَلَّ
بِبَوَارِقِ صِفَاحِهِمْ ، وَخَوَارِقِ رِمَاحِهِمْ ؛ غُثِّمَ الْمَجَالُ ، وَغُثِّمَ الْقِتَالُ ؛ فَلَمْ يُهْمَلِ الْأَعْدَاءُ
وَلَمْ يُهْمَلْهُمْ رُؤُوسًا .

وبعدُ ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَنْ جُعِلَ فِي تَحْرِ الْبَحْرُ هُمَا صَارِمٌ ، وَأَشَدُّ مَنْ قَاطَعَ أَعْدَاءَ
الَّذِينَ وَصَارِمٌ ؛ مَنْ تُضَرَّبُ بِشَجَاعَتِهِ الْأَمْثَالُ ، وَيُورَدُ فِي صُدُورِ الْأَبْطَالِ صُمُّ
الْأَسَلِ النَّهَالِ ؛ وَيَسْجَى حِمَى الثَّغْرِ فَلَا يَدْعُ عَدُوًّا وَلَا يَرْهَبُ نَهْبًا ، وَيَرْقَى رِقَابَ الْكُفْرِ
فَيُؤْمِنُونَ وَإِنْ كَانَ وَرَاءَهُمْ مَلَكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا .

ولما كَانَتِ الْجَنَابُ الْكَرِيمُ فَلَانٌ - أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ - هُوَ الَّذِي أَخْلَصَ
فِي الطَّاعَةِ ، وَنَصَحَ سُلْطَانَهُ حَسَبَ الطَّاقَةِ وَالْإِسْطِطَاعَةِ - رُسمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ
الْعَالِي - لِأَزَالِ سَيْفِ عَدْلِهِ مَاضِيًا ، وَكُلُّ بِحُكْمِهِ رَاضِيًا - أَنْ يَسْقُرَ الْجَنَابُ الْمَشَارُ
إِلَيْهِ كَاشِفًا بِالرَّمْلَةِ الْمَعْمُورَةِ ، عَلَى حَادَةٍ مِنْ تَهْدَمُ فِي ذَلِكَ .

فَلْيُبَاشِرْ ذَلِكَ مُعَمَّرًا تِلْكَ الْبِلَادَ بَعْدَهُ ، مُجْتَمِعًا عَلَى إِيصَالِ الْحَقِّ إِلَى أَهْلِهِ ؛
وَلْيَتَخِذِ الشَّرْعَ الشَّرِيفَ إِمَامًا ، وَلْيَتَوَخَّ أَوَامِرَهُ وَنَوَاهِيَهُ تَقَضًّا وَإِرَامًا ؛ وَلْيَقِفْ عِنْدَ
حُدُودِهِ الْمَشْرُوعَةِ ، وَلَا يَتَعَنَّهَا ؛ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَيُدْخِلْهُ مِنَ الْإِيمَانِ مَزْوَعةً ؛
وَلْيَلِمْ جَانِبَهُ الرَّعِيَّةَ ، وَلْيَحْمِلْهُمْ مِنَ الْعَنَلِ وَالْإِنْصَافِ عَلَى الْمَحَبَّةِ الْوَاضِحَةِ الْجَلِيلَةِ ؛
[فَإِنَّهُمْ الرِّعْيَةُ الضَّعْفَاءُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِتَقْوِيضِ أُمُورِهِمْ إِلَيْهِ] ^(٢) وَلْيَعْتَمِدْ فِيهِمْ قَوْلَ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أُمُورِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَّقَ بِهِمْ فَارْقُ بِهِ
وَمَنْ شَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ» . وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَأَهْمُهَا التَّقْوَى فَلْيَلْزَمْ عَلَيْهَا فَإِنَّهَا

(٢) الزيادة مأخوذة مما تقدم .

(١) وقف عليه بقية ربيعة .

تَحْفَظُهُ ، وبالسَّيَادَةِ والسَّعَادَةِ تَحْفَظُهُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُ تَوْفِيقَهُ ، وَيَسَهِّلُ إِلَى نَجْحِ
الْمَقَاصِدِ طَرِيقَهُ ؛ وَالْإِعْتَادُ فِي مَعْنَاهُ ، عَلَى الْخَطِّ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ .

قُلْتُ : وَمَنْ تَأَمَّلَ وَصَايَا هَذِهِ التَّوَاقِعِ الثَّلَاثَةِ الْمُتَقَسِّمَةِ الذِّكْرَ ، عِلْمَ مَا كَانَ عَلَيْهِ
كُتَابُ الزَّمَانِ ، مِنْ اقْتِرَاعِ الْفَقَرَاتِ مِنْ تَوْقِيعٍ ، وَتَرْصِيعِهَا فِي تَوْقِيعٍ آخَرَ ، مِنْ خِبرٍ
تَغْيِيرِ لَفْظٍ فِي أَكْثَرِهَا .

المرتبة الثانية

(من تَوَاقِعِ أَرْبَابِ السُّيُوفِ مِمَّنْ بِأَعْمَالِ دِمَشْقٍ - مَا يُشْتَبَحُ بِهِ «أَمَّا

بِسَدِّ حَمْدِ اللَّهِ » وَفِيهَا وَظَائِفُ)

وهذه نسخ تَوَاقِعِ مِنْ ذَلِكَ :

نَسَخَةُ تَوْقِيعِ بِنْيَابَةِ بَعْلَبَكَّ لِمَنْ دُونَ مَنْ يَهْتَمُّ فِي الْمَرْتَبَةِ الْأُولَى ، مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ
جَمَالِ الدِّينِ بْنِ نُبَاتَةَ ، كُتِبَ بِهِ لِمَنْ لَقِبَهُ «نَاصِرُ الدِّينِ» : وَهِيَ

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي لَمْ يُجْعَلْ مَمْلَكَةً إِسْلَامِيَّةً مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ، وَلَمْ يُجْعَلْ أَمْرُهَا
عَلَى ذِي عَزْمٍ قَاصِرٍ ، وَلَمْ يُجْعَلْ وَجْهَهَا إِلَّا بِنِئْسَى بِهِ الْقَدِيمُ وَشَهِدَ لَهُ الْمُعَاصِرُ ، وَلَمْ
يُلَاقِ مَقَالِيدَهَا إِلَّا لِمَنْ وَضَّحَ بَرَايَةَ الْإِنْهَاءِ وَثَبَّتَ بِفَضْلِهِ الشَّهَادَةَ وَعَقَدَتْ عَلَى ذِكْرِهِ
الْخَنَاصِرُ . وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي شَيَّدَ مَعَالِمَ الدِّينِ وَأَرْكَانَهُ ، وَجَعَدَ
مَكَانَ الْحَقِّ وَإِمَكَانَهُ ؛ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ تَابَعُوا فِي الْخَلْقِ عِلَّةً وَإِحْسَانَةً ،
وَشَاقِبُوا فِي النَّصْرِ تَصَلَّاهُ وَسَنَنَاهُ ؛ مَا أَسْنَتَابُ الْوَدْقِ فِي سُقْيَا الرِّيَاضِ غُذْرَانَهُ ، وَخَلَعَ
عَلَى الْقُصُوفِ خِلْعًا خَطَرَ فِيهَا الزَّهْرُ بِأَسْجَامِهِ وَعَقَدَ مِنَ الثَّمَرِ تَيْجَانَهُ - فَإِنَّ شَرَفَ
الْأَمَاكِنِ بِسَاكِنِيهَا ، وَجُسُومَ الدِّيَارِ بِنُفُوسِ قَاطِنِيهَا ؛ وَالْمَنَازِلَ بِكُوَاكِبِهَا ، وَالْمَنَاصِبَ

بَنَصِيهَا مِنَ الْكَفَاةِ وَنَائِبَهَا ؛ وَإِنَّ مَدِينَةَ بَعْلَبَكَّ عِلْمٌ فِي الْمَدَائِنِ مَرْفُوعُ الْخَطِّ ، وَجِسْمٌ
 مِنْ جُجُومِ الدِّيَارِ قَدْ آتَاهُ اللَّهُ بَسْطَهُ ؛ يُنْبِئُهُ مَسْلِيَانِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهِ بِالْمَلِكِ قَدِيمَةُ
 الْاِخْتِصَاصِ ، وَبُنِيَّتِي الْجَنَّةَ الْمُنْسُوبَةُ عُقُودُهَا الْعَلِيَّةُ وَالنَّزَرَةُ إِلَى كُلِّ بِنَاءٍ وَغَوَاصٌ ؛
 وَشَامُ الشَّامِ الْمُعْجِبُ ، وَرَوْضَةُ نَدَاهِ الْمُعْشَبُ ؛ وَثَنِيَّةُ تَغْرِهِ الْبَاسِمُ ، وَعَرَفُ أَعْرَاقِ
 حَيَاءِ النَّاسِمِ ؛ وَمَأْوَى صَلَاحَاتِهِ أَحْيَاءُ بَيْنِ أَوْطَانِهَا ، وَأَمْوَاتُ بَيْنِ صَفِيحِ لُبَانِهَا ؛
 لَوْ عَرَضَتِ الْبِلَادُ مُحِبًّا لَقِيلَ لَسَحَابُهَا : يَا كَثِيرَ الْمَنِّ ، وَلَوْ صُوِّرَتْ أَنَا مِثْلِي لَقِيلَ
 لِإِنْسَانِهَا : يَا طَيْبَ النَّجْرِ وَاللَّبَنِ ؛ لَا يَمْنَعُ مَاعُونُهَا ، وَلَا يَنْقَطِعُ عَوْنُهَا عَنْ الْبِلَادِ وَمَا
 أَدْرَاكُ مَاعُونُهَا ؛ وَلَا تَلِيْقُ مِنَ التَّوَابِ إِلَّا بِكُلِّ سِرِّ الْعَزْمِ وَالْهِمِّ ، عَلَى الْآرَاءِ
 فِي الْمِلَّةِ الْمُدْلِمَةِ ؛ نَاجِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، صَالِحٌ لِأَن يُنْبِئَ عَلَى نِيَابَتِهِ الْبَعْلَبَكِّيَّةِ صَالِحُ
 الْمَدِينَةِ وَالْجَبَلِ ؛ مُكَمَّلٌ لِسُلُوكِ الْحَقِّ الْأَنْجَمِيِّ وَالْعَزْمِ الْأَنْجَمِدِ ، مُؤَهَّلٌ لَارْتِقَاءِ الرُّتَبِ
 الَّتِي تَمَاحِدُنَا ^(١) وَلَهَا الْأَجْمَدُ .

وَكَانَ فَلَانٌ هُوَ بَعْجَلَةٌ هَذَا التَّفْصِيلِ ، وَجَمَالَ هَذَا التَّفْصِيلِ ؛ وَكُفَّ هَذِهِ
 الْعَقِيلَةَ ، وَسَعَدَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي مَتَتْ بِالسَّيْفِ وَالْقَلَمِ ذِرَاعَهُ وَتَغَلَّمَتْ مِنَ الْبِنَاءِ
 الْكُلَيْلَةَ .

فَلَنَلِكُ رُحِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَتِ الْمَالِكُ بِحَاسِنِ أَيَّامِهِ إِرَمَ ذَاتِ الْعِيَادِ ،
 وَبِالْبِلَادِ ذَاتِ الْخَضْبِ السَّنِيِّ لَا ذَاتِ السَّنَةِ الْجَمَادِ - أَنْ يَرْتَبَ فِي نِيَابَةِ بَعْلَبَكَّ
 الْمَحْرُوسَةِ : مُجَنَّدًا بِهَيْئَتِهِ الْعَالِيَةِ عُلُوِّ صَرَحِهَا ، وَحِمَايَةِ مَرَحِهَا ، وَرِيَايَةِ جَبَلِهَا وَسَفْعِهَا ،
 مُوَرِّيًا بِمَصَالِحِهَا زِنَادَ فِكْرِهِ الَّتِي لَا تَتَمَكَّنُ أَقْوَالُ الْعُدَاةِ مِنْ قَدْحِهَا ؛ مُصَرِّقًا أَوَامِرَهُ
 كَيْفَ شَاعَتْ ، مُنْصِفًا لِلْأَحْوَالِ الْمُتَوَلِّدَةِ بِرِعَايَتِهِ إِنْ دَنَتْ أَوْ تَنَاعَتْ ؛ بِاسْطًا لَعْدِلَ
 قَلَمِهِ عَلَى الْمُجِيدِينَ ، وَسَطَوَاتٍ سَيِّفِهِ عَلَى الْمُعْتَدِينَ ، وَازِمًا بِمَهَابَتِهِ مَنْ جَاوَرَ جِبَالَ

(١) لعله "التي إذا خلت من ماجد تارها" الخ .

العمل من الضالين، (فحسب أولئك أن يكونوا من المهتدين) ولينبؤا منها مفعلاً
يحمده المناصر والمهاجر، وليحط منها فقراً مساويكهُ الأسئل والمسعى إليه على المحاجر؛
وليُجر أمور الديوان على منن التميم والتثمير، وليدبر الأوقاف المبرورة بحاسن
التدبير، وليشارك أهلها في الأجر الأول بالأجر الأخير؛ والأسوار هي وقلوب الرجال
من أهم ما يعمره، وتؤور الحواصيل والسلاح مما للولي ولقاء العدو يدبره، وتقوى
الله عز وجل مما لا يزال لسانه يستحلي القول فيه فيكرهه؛ والله تعالى يمد يدايته
ولطفه، ويكفيه ما أهم من الأمور فتكفي من لم يكفه .



وهذه نسخة توقيع بولاية الولاية بالشام المحروس لمن لقبه «عز الدين» من إنشاء
الشيخ جمال الدين بن نباتة أيضاً، وهي :

أما : يا حمد الله الذي جعل للولاة في هذه النولة عزاً يتجدد، وعزاً ما يتشدد،
وبعلاً لا يتعدى إذا حكم وزيدا لا يتعدى ^(١)، وكفاي ولاية يتلذذ الواصف بذكر
أهتمامه الذي إذا أهم لا يتلذذ، وإذا اعتبر عزمه وحزمه فهذا فضل يتجدد، وهذا
وصف لا يتجدد . والصلاة والسلام على سيد الخلق عهد، وعلى الله وصحبه ذوى العز
المؤبد، والعزم المؤيد، ما كتب قلم النيث الجائد على طرس الروض بخود . فإنه
لما كانت الولاة في خدمة البلاد جيشاً يحون سرحها، ويصمرون صرحها، ويخصبون
بالعدل قبل العارة سقحها، ويحكمون في رعاياها، ويتمكنون في قضايها، وقرعون
تغورها، وقرعون ثباها . تعين أن تقلم على هذا الجيش المذكور أميراً يقرر
أمرها، وينسق من ميمته ويمسرتة يمتها ويمسرها؛ ويجرد من الرأي سلاحه،
ويمسر قلبه بالتدبير ويريش جناحه .

(١) كذا في الاصل بالامال ولعل موايه «وفلا إذا حكم لا يتعدى ورأيا لا يتعدى» .

وكان المجلس السامي هو الأمير الدال عليه هذه الإمارة ، المُنحى بهذه الشارة والاشارة ؛ المُستحق بشريف نفسه مدارج الأرقاء ، ومباهج الانتقاد والانتقاء ؛ المُسبَل أذبال مفانحه أى إسبال ، المرقوم باسمه ورسمه على أرجاء الولايات : « عز يدوم وإقبال » ؛ المُقيم من أماته ومهاجته بين حَزْنٍ ، الشَّهْم الذى لا يَنْل وهو من نَعته ومُنْتَسبه بين عَزْنٍ ؛ الصَّمَصَام الذى تُسر [به] يد من أرْتضاه وأَنْتضاه ، والمَاشِي على الحق الظاهر حتى يقال : أهذا وإلى الولاية أم فاضى القضاء ؟ .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - شرفه الله وعظمه - أن يستقر اعتماداً على شهادته التى يمثلها مُهمّد البلاد ، وكفائه التى تُفصح بالخيرات السنية السنية الجهاد ، وصرامته التى تُشد على أيدي الولاة فيردون الحقوق من أيدي الاختصاص ، وديارته التى ينتسبون إليها فينشُدون :

وَكُنَّا كَالسَّهَامِ إِذَا أَصَابَتْ * مَرَامِيهَا فَرَامِيهَا أَصَابُ^(١).

فليأشُر هذه الرتبة بكفئتها : من العزم العالى ، والقدير العالى ؛ والمعيلة التى تُمسك منها الأحوال بأوتق العرا ، وتلوس سيارتها المرفقة : (وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى) .
مراعياً لجميع الأحوال ، مُتمكراً لمرجع الأموال ؛ وإلياً على ولاية إن شكوا فى صنع الله فالهم من الله من وال ، ماشياً من تقوى الله تعالى فى كل أمر على أقوى وأقوم منوال ؛ والله تعالى يُجْصِب البلاد بفهام رأيه الصيَّب ، ويُطَيِّب الأماكن المنبتة بِمِثْلِهِ : « وَكُلِّ مَكَانٍ يُنْبِتُ الْعِزَّ طَيِّبٌ » .



وهذه نسخة توقيع بولاية البقاء والصلت ، من إنشاء ابن نباتة ، وهى :

(١) الرواية : أصابا يأنف الإطلاق ، وحذفت هنا مراعاة الفاصلة .

أما بعد حمد الله مُضَاعِفَ النِّعَمَةِ ، ومُرَادِفَ رُتَبِ الْإِحْسَانِ لِمَنْ أَخْلَصَ
 فِي الْخِدْمَةِ ، وَجُدَّ مَنَازِلَ الْعِزِّ لِمَنْ طَلَعَتْ كَوَاكِبُ أَهْلِيهِ فِي آفَاقِ الْأُمُورِ الْمُهِمَّةِ ،
 وَمُؤَكَّدِ سِهَامِ الْخَيْرِ الْمُقْتَسَمَةِ ، لِمَنْ سَدَّدَ فِي شَرَفِ الْأَعْرَاضِ رَأْيَهُ بِلِ سَهْمِهِ .
 وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ هَادِي الْأُمَّةِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ حِمَاةِ
 الدِّينِ مِنَ الْعَوَارِضِ الْمُلِئَةِ ، صَلَاةٌ تَكُونُ بَيْنَ أَرْوَاحِهِمُ الزَّكِيَّةِ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً - فَإِنَّ
 أَحَقَّ الْأَوْلِيَاءِ بِمَزِيدِ الْآلَاءِ الْمُتَّصِلَةِ ، وَتَجْدِيدِ النِّعَمِ الْمُقْبِلَةِ وَتَهْدِيمِ الْمَسَاعِي الَّتِي
 لَا تُلْهِسُ حُلُلَ الْفَخَارِ إِلَّا مُكْتَمِلَةً - مَنْ وَصَّحَتْ فِي صِفَاتِ الْفَضْلِ آيَاتُهُ ، وَتَهَابَلَتْ
 فِي حَالَتِي التَّذْيِيرِ سَطَاهُ وَأَنَاتُهُ ، وَرَقَى غُلَّةُ الْبَلَدِ الْخَائِفِ نَفَاضَ عَلَى الْمُغْنِيِّينَ
 جَنُودُ سَيْفِهِ وَجَرَتْ بِالْدَّمِ قَنَاتُهُ ؛ وَقَامَ عَلَى قَدَمِ الْاجْتِهَادِ ، وَقَسَمَ بَيْنَ جَفْنِهِ وَجَفْنِ
 سَيْفِهِ السُّمَادِ .

ولما كانت المجلس هو المقصود بهذه الكناية ، والمشهود له في طائفتي هذه
 النِّبَاةِ ؛ وَالْعَالِي بِهَيْمِهِ عَلَى دَوَى الْأَرْتِقَاءِ ، وَالْوَالِي الَّذِي إِذَا رَكِبَ الْوَلَاةَ لَاشْتِهَارِ
 ذِكْرِهِ كَانَ مِنْ بَيْنِهِمْ قَارِسَ الْبَلْقَاءِ ؛ وَالنَّاهِضَ بِتَشْيِيرِ الْأَمْوَالِ نَحْمَامَ رَأْيِهِ الصَّيِّبِ ،
 وَالطَّيِّبَ بِسِيَاسَتِهِ حَمْلَ الْوَلَايَةِ : « وَكُلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ الْعِزَّ طَيِّبٌ » - تَعَيَّنَ أَنْ تَرْتِدَ
 مَنْصِبُهُ إِذَا تَزِيدَتْ الْمَنَاصِبُ ، وَأَنْ تَسْتَمِرَّ مَرَّتَهُ إِذَا مَرَّتْ لَهَا بِهَا الْمَرَاتِبُ ؛
 وَأَنْ يَشْتَمَلَ فِي اسْتِمْرَارِهَا عَلَيْهِ ، وَأَنْ يَكُونَ فِي إِعْرَابِ الدُّوَلَةِ الْقَاهِرَةِ مُضَافًا
 وَمُضَافًا إِلَيْهِ .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - أَعْلَى اللَّهِ تَعَالَى أَبَدًا عِمَادَهُ ، وَجَعَلَ لَوَلَاةِ أَيَّامِهِ
 الْحُسْنَى وَزِيَادَهُ - أَنْ يَسْتَمِرَّ عَلَى وِلَايَةِ الْبَلْقَاءِ عَلَى عَادَتِهِ ، وَأَنْ تُضَافَ إِلَيْهِ وِلَايَةُ
 الصَّلَاتِ : ^(١) جَمْعًا لَهُ بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ حَلَالًا ، وَالذَّوَتَيْنِ مَنَالًا ، وَالرَّائِسَيْنِ نُهُوضًا بَيْنَهُمَا

(١) لم يدركها القاموس ولا يافوت وفي تقويم البلدان هي بلدة وقعة من جند الأردن .

وَأَسْتَقْلِلَا؛ وَعَلِمَا بِوَفَاءِ عَزْمِهِ الَّذِي أَمَرَ أَمْرَهُ، وَرَفَقًا لَقَدْرِهِ الَّذِي حَسَنَ أَنْ يَقُولَ لِمَنْصُوبِ الْبَلْقَاءِ : « لَنَا الْأَبْلَقُ الْفَرْدُ الَّذِي سَارِدَ كُرْهُ » ، وَتَيْمَنًا بِغُرَةِ الصَّلَاتِ فَإِنَّ الصَّلَاتَ هُوَ الْجَبِينُ الْوَاضِعُ بِشْرِهِ ؛ وَكَيْفَ لَا ؟ وَهُوَ الْكَافِي الَّذِي جَمَعَ مَالَ الْحِبَاهِ فَأَوْعَى ، وَقَسَمَ فُتُونُ الْمَصَالِحِ جَنَسًا وَتَوَاطَا ، وَحَسَمَ أَدْوَاءَهَا بِحُسَامِ رِفْقِهِ كَرَهَا وَطَوَّعَا .

فَلْيَا شِرَّ الْعِزِّ وَالْإِيمَنِ جِهَتِهِ ، وَلْيَأْخُذْهُمَا بِكُلِّمَا يَدِيهِ ، وَلْيَفِضْ وَجْهَ عَزْمِهِ فِي أَرْضِ الدَّوْلَةِ حَتَّى يَكُونَ شَبَهُ الْبَلْقَاءِ الْإِلَازِمِ لِأَحَدِي وَلَا يَتِيهِ ؛ عَحْصَتًا بِسِمَا كَيْ سَيْفِهِ وَقَلْبِهِ فَنِعْمَ الْبَلَدَانِ ، مُتَمَرِّدًا بِسَلَادِ قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ وَمِنْ دُونِهِمَا جَتَانٌ ؛ مُؤَفِّيًا لِلْمَحْقُوقِ ، مُعْفِيًا لِاعْتِرَافِ النِّعْمَةِ مِنَ الْعُقُوقِ ، رَاقِيًا بِهَيْمَتِهِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - إِلَى رُتَبٍ لَوْ رَامَهَا نَجْمُ الْأُفُقِ لِعَاقَةُ الْعَيُوقِ ، حَامِلًا بِتَقْوَى اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ فِلَافٌ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِتَقْوَى اللَّهِ مَعْدُوقٌ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُوَسِّعُ لِرَأْيِهِ أَجْمَلَ الطَّرَاقِ ، وَيُجَبِّحُ عَلَى الْبَلْقَاءِ وَغَيْرِهَا سَعْيَهُ السَّائِقِ ، وَفِكَرَهُ السَّابِقِ ؛ بِمَنْهَ وَكْرَمِهِ ! .



وهذه نسخة توقيع بولاية نابلس ، من إنشاء ابن نباتة أيضا ، وهي :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ عَلَى مَا هُنَا مِنَ الْمَوَاهِبِ ، وَهِيَ مِنْ عِلِّيِّ الْمَرَاتِبِ ، وَأُنْجَزَمِنْ وَعُودِ السُّعُودِ بَعْدَ مِطَالِ الْمَطَالِبِ ، وَزَيْنٍ مِنْ سَمَاءِ الْوِظَائِفِ عِنْدَ إِزْهَاتِهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ، وَعَمْرٍ مِنْ صُنُورِ الْوَلَاةِ وَالْوَلَايَةِ بَعْلِي ثَنِي عَلَيْهِ الرَّعِيَّةُ « وَلَوْ سَكُنُوا أَثْنَتَ عَلَيْهِ الْحَقَائِبِ » . وَالصَّلَاةُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي جَرَّدَ لِنَصْرِ الْإِيمَانِ حَذَّةَ الْقَاضِبِ ، وَحِزْبَةَ الْغَالِبِ ، وَتَلَبَّ لِإِحْيَاءِ الْحَقِّ عَلَيْهِ بَعْدَ مَا هَمَّتْ بِهِ التَّوَادُّبِ ؛ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَمَاتِ جَمَالُ الْكُتُبِ كَمَا كَانُوا فِي الْحَيَاةِ

بجمال الكنايب؛ صلاة تنعطر بنفحاتها الصبا وتنقطر من خلف سُرّها الجنائب - فإن عفايل الولايات أولى بخطبة أكفائها، ورغبة السراة من ذوى أصطفائها، ونسبة من يقوم للأمر المحللة بقائونها وشقاياها .

ولما كانت بلد نابلس المحروسة من أعلى عفايل البلاد قدرا، وأمرها الجهات أمرا، وأسرى الولايات محلا وذكرًا، وأوفى النواحي من زمان بنى أيوب على تكاليف الملك صبرا، وأثره البقاع التي لو رآها الملك المصرى لما استغنى غرطة الشام بشبرين من شبرا؛ بلد أعارته الحمامة طوقها وحملت الثناء فوق طوقه، ونجم نبات واديسا الزهر حتى تساوى النجان من تحته ومن فوقه - تعين أن يختار لولايتها من تعين ولأؤه، ويمكن في الرتب علاؤه، وتبين في مصالح الولايات أحفظه وأحفظه، وشهر وقاؤه بالخدمة فلا شرف بسى إلا له منه شينه وراؤه وقاؤه؛ من شهدت السواحل الشامية في مباشرته أنه أجرى منها المال بحرا، وأفاض الوصف ذرا، وشهدت الزكاة - وديوانها المادح - أنه أطلع من زكاها خبرا وخبرا .

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يرتب فلان ... علينا بأنه الأوحد الذى جمع الأوصاف المتقدمة، وأتمتع من المحامد نتيجة لها من كلا قوله وفعله مقدمه؛ وأطلع في آفاق الوظائف كنجوم الجوزاء الثلاثة رايه وسيفه وقلمه، وأطلع على محاسن التدبير فكان في رعايا بلده ممن تواصوا بالصبر وتواصوا بالرحمة؛ وأنه الكافي الذى إذا ولي تمر، وإذا صال على المفسدين دمر، وإذا شامت الميهمات بارق عزم، أسبل وإذا شامت قواه تمر؛ وأنه الأمين إذا تصرف، والمأمون إذا تعرف، والشجاع إذا تحصنت البلاد بنسبه الحصى: فسواء في شمول الأمن ما توسط منها وما تطرف .

فليأشر هذه الولاية المباركة بعزم يوضح بشرها، ويخبر أمرها، ويقيم في خطبة علاه عذرهما؛ وحزم يثمر مالها وغلامها، ويتبع ظنها ويضع أغلامها؛ وبأس يدع

المُفْسِدَ مِنْ سَفَهٍ أَوْ قَيْدٍ فِي طَوْقٍ أَوْ حِجْلٍ ، وَيَذُرُ السَّارِقَ وَالْمَارِقَ يُسِيرُ بِلَا كَفٍّ
وَيَسْعَى بِلَا رِجْلٍ ، مُشِيدًا لِنَوَاحِيهَا بِالْتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ عَلَى أَوْتَقِ الْمَبَانِي ، مُضِلِّحًا
بَيْنَ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ حَتَّى لَا يَضُرَّ قَوْلُ الْقَائِلِ : «رَفِيقُكَ قَيْسِي وَأَنْتَ يَمَانِي» ، مُتَفَقِّدًا
مِنَ الْأَحْوَالِ كُلِّ جَلِيلٍ وَحَقِيرٍ ، نَاهِضًا فِي تَلَقِّي الْمَهْمَاتِ عَلَى قَدَمِ التَّقَدُّمِ بِالْعَزْمِ
الْأَثِيرِ ، جَاعِلًا مِنْ لَدَى عَجْجَةِ عَمَلِهِ لِمَصْلَاحِ الْعَشِيرَةِ نِعَمَ الْعَشِيرِ ، عَامِلًا بِتَقْوَى اللَّهِ
تَمَالَى فِي كُلِّ أَمْرٍ وَإِلَيْهَا بِالْحَدِيثِ يُسِيرُ .



وهذه نسخة توقيع بشد الدواوين بغزة ، من إنشاء ابن نباتة ، كُتِبَ بِهِ
لـ «علاء الدين بن الحصني» الملقب ذِكْرُهُ فِي التَّوْقِيعِ قَبْلَهُ ، وَهِيَ :

أَمَّا بَعْدُ حَمْدِ اللَّهِ عَلَى كُلِّ نِعْمَةٍ جَلَّتْ ، وَنِعْمَةٍ فِي أَهْلِهَا حَلَّتْ وَحَلَّتْ ، وَرَبَّةِ
بِإِنْتِسَابِ كَافِيهَا وَبِاسْمِهِ تَحَصَّنَتْ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَتَعَلَّتْ ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى سَيِّدِنَا
مُحَمَّدٍ خَيْرٍ مِنْ سَائِلَتٍ عَلَيْهِ الْأَلْسِنَةُ وَصَلَّتْ ، وَسَلَّتْ بِهِ سُيُوفُ النَّصْرِ وَصَلَّتْ ، صَلَاةَ
دَائِمَةٍ مَا أُمْلِيَتْ عَلَى الْأَسْمَاعِ قَلَّتْ ، وَلَا قَابَلَتْهَا وَجْوهُ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا تَهَلَّلَتْ وَلَا تُحِبُّ
الرِّضْوَانُ إِلَّا أَنْهَلَتْ . فَإِنَّ مَقَرَّةً يُسْتَقَى [مِنْ] مُهْمَاتِ الدَّوْلَةِ خَيْرُهَا ، وَيُسْتَدْعَى مِنْ جَانِبِي
مِصْرَ وَالشَّامَ سَبْرُهَا ، وَيُحْمَدُ إِلَيْهَا مِنْ نَاحِيَتِي السَّاحِلِ وَالْجَبَلِ سُرَاهَا وَسَبْرُهَا ، وَتِلْكَ
وُظِيفَةُ شَدِّ الدَّوَاوِينِ الْمَعْمُورَةِ بِغَزَّةِ الْحَرُوسَةِ الَّتِي تُثَلِّقُطُ مِنْ سَاحِلِ بَحْرِهَا دُرُرُ الْخَيْرِ
الْمُقْتَبِلِ ، وَقَوْلُ الْمِهْمَاتِ الشَّرِيفَةِ لِمَرَاةٍ اسْتِنَاضَهَا : يَا سَارِيَّةُ الْجَبَلِ - حَقِيقَةٌ
أَنْ يُخَيَّرَ لَهَا مِنَ الشَّاكِرِينَ مَنْ يُحْمَدُ أَجْتِهَادُهُ وَجِدُّهُ ، وَمَنِ السَّابِقِينَ إِلَى الْمَقَاصِدِ مَنْ
يَحْسُنُ - كَمَا يُقَالُ - تَهْرِيْبُهُ وَشِدُّهُ ، وَمَنْ شَكِرَتْ فِي الْوَلَايَاتِ آلَاؤُهُ ، وَمَنْ إِذَا عَلَا
نَظَرُ رَأْيِهِ فِي الْمَصَالِحِ قَبِلَ : قَامَ عِلَاؤُهُ ، وَنَ إِذَا دَبَّرَ جَهَّةً قَالَتْ بِلِسَانِ الْحَالِ :
لَقَدْ زَادَ فِي الْمَصَالِحِ حُسْنًا ، وَلَقَدْ تَحَصَّنَتْ بِإِنْتِسَابِ ذِكْرِهِ فَلَا عِدَمْتُ مِنْهُ حُسْنًا .

ولذلك رُسم بالأمر الشريف أن يستقر لما عُرف من حُزبه
وعُزِّيه ، ولما جُتد في مقلّمات القُدّر من رُفيعه وفي إعلاء المهمّات من جُزّيه ؛
ولما عُهد من هِمِّه في جِهايت دبرها ، وفي ولايات ثمرها ، وفي وظائف شلّها :
أما على العتاة فشَلَّدها وأما على المُستحقّين فَيَسَّرَها ؛ ولما أشتَهَر من ذِكْره الذي
لا يَرَحَ عَليّا ، ولما ظهر من دِرايته التي جعلت كوكب سَعده وسَعيه دُرّيا ، ولما
بهر من تَميِّزه الذي إذا هَرَّ عِصاه بيد ساقِطٍ على المقاصد رُطبًا جَنّا .

فليأشُر هذه الوظيفة المباركة مباشرة بُيُض لها وجهاً وعِرضاً ، وإذا أُنْشِئ عليه
المُنشئ تَهْنِئاً كافاه حتّى يَكُون قَرْضاً مجتهداً في تَمْيير الأموال والغلال ، صَابطاً لأُمُور
الدِّيان حتّى لا يَشْكُو الخَلَّة ولا الاختِلال ؛ قائماً بحقوق الخَلِعة ، مُتَرَيِّداً - بِسُكْرِ
الأقوال والأفعال - لما يَرِجُّ له من أقسام النعمة ، عَليّاً على كُلِّ حالٍ إذا وَفَّت
الفِكر قُدْرته وإذا ذُكِر اللِّسان أَسْمه .

المرتبة الثالثة

(من توابع أرباب السيوف بأعمال دِمَشق ما يفتتح «رُسم» وفيها وظائف)

وهذه نسخ توابع من ذلك :

نسخة توقيع بناية قلعة القُدس ، من إنشاء الشيخ جمال الدِّين بن بُنّانة ، كُتِبَ
بها لشرف الدِّين «مُوسى الرِّكّادى» وهى :

رُسم - لا زالت ولاة أيامه عالية الشَّرَف ، سامية المُستشرف آوية من جَنّات
خير الدُّنيا والآخرة إلى عُرف من فوقها عُرف - أن يستقرَّ المجلس السامى
علماً باهتمامه الوفى ، وأَعزّاهه المتيقِّظ إذا نام حدّ المُشرف ؛ وأَسْتانداً إلى رأيه الذى

يقول نجمه الطالع: «مَا أَبْعَدَ الْعَيْبَ وَالْقُصَانَ مِنْ شَرَفِي» !! ؛ وإرشاد سعيه إلى أن
أَتَّخِذَ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ دَارًا ، وَمِنْ حَرَمِهِ الشَّرِيفِ جَارًا ، وَأَتَّقِدَ ذَهْنَهُ وَشَجَاعَتَهُ
الَّذَيْنِ آتَسَ بِهِمَا مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا ؛ وَكَيْفَ لَا ؟ وَقَدْ قَالَتْ هِمَّتُهُ : يَا مُوسَى
أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ، وَأَنْخِرْ بِذِكِّ الْبَيْضَاءِ فِي النَّيَابَةِ تَكُنْ أَحَقُّ مَنْ اعْتَرَفَ بِهَا الْإِحْسَانُ
وَأَعْتَرَفَ .

فليأشرف ما قُوضَ إليه مباشرةً يملؤ بها شَرَفُ أَسْمِهِ وَمُسَمَاهُ ، وَيَسْتَدُوا للاختيار
والاختبار فضلُ التَّعَدُّمِ الَّذِي إِذَا بَدَأَ لَهُ كِفَاهُ ؛ وَلِيَجْرِهِنَّ الرِّبَّةَ رَأْيًا حَسَنَ الْإِحْكَامِ ،
وَلِيُوَاطِبَ عَلَى حِفْظِ هَذِهِ الْقَلْعَةِ الَّتِي قُتِحَ بِهَا عَلَيْهِ فَإِنَّهَا مِنْ أَكْثَرِ قُتُوحِ الْإِسْلَامِ ؛
وَلِيَمْسُدَّ عَلَيْهَا مِنْ كِفَايَتِهِ سُورًا حَوْلَ سُورِهَا ، وَلِيَتَفَقَّدَ رِجَالَهَا وَعُدَدَهَا تَفَقَّدَ الشُّهْبَ
فِي تَيْمُورِهَا ، وَلِيَرُدَّ عَنْهَا بَزْمُهُ الرِّكَادِيُّ عُيُونَ الْأَعَادِي الزُّرْقَ حَتَّى لَا يَرَاعَ فِي أَرْضِ
الْخَرَمِ وَلَا حَامَاتُ طُيُورِهَا . وَلِيَشْكُرْ نِعْمَةَ آوَتْهُ إِلَى هَذِهِ الْمَنَازِلِ الطَّاهِرَةِ ، وَلِيَقْرُبَ لِيَدِ
أَمَلِهِ طَلَبَ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . وَلِيَقْدُمَ مِنَ الْوَصَايَا تَقْوَى اللَّهِ الَّتِي عَنْ أَصْلِهَا تَنْفَرُجُ
نِعْمَةُ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ ، حَتَّى يَجْعَلَ لَهُ فِي الْوَادِي الْمُقَدَّسِ رِبْعًا مَانُوسًا ، وَجَمْعًا
مَحْرُوسًا ، وَأَحَادِيثَ حَسَنَةً قَوْلٍ لِمُسْتَمِيعٍ مِثْلَهَا فِي الْآفَاقِ : (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى) .
وَاللَّهُ تَعَالَى يَمْلِكُ بِإِطَاعَتِهِ ، وَيُلْهِمُهُ شُكْرَ مَا رَزَقَ مِنْ فَضْلِ مَكَانِهِ وَمَكَانَتِهِ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ !



وهذه نسخة توقيع بناية قلعة صَرَحَدَ لِمَنْ لَقِبَهُ «بِجَالِ الدِّينِ» وَهِيَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَ يَتَّخِذُ لِقَلَاعِهِ النَّائِبَ وَيَتَّخِذُ مِنَ النَّائِبَةِ ، وَيُمِدُّهَا بِسَحَابٍ رِيٍّ^(١)
وَفِكَرِهِ الصَّبَائِيَّةِ ، وَيَتَدَبَّرُ لِحُلْمَتِهَا كُلِّ سَيْفٍ يُرِضِي النَّادِبَ وَيُقِيمُ عَلَى غَيْرِهَا النَّادِبَةَ -

أن يُرتب مجلس الأمير ... لأنه الكافي الذي تُسرُّ الحصون بأمثاله، وتنبئهم شُرَفَات القلاع لإقباله، وتشرح منازلها بتقل نجوم الهداية من أفعاله وأقواله، والمليُّ بأداء الخلد، والمرشح لما هو أوفى وأوفر من الأمور المهمة .

فليأثر نيابة هذه القلعة القديم أثرها، والشهير خبرها وخبرها، بعزيمة مسيف قاطعه، وحدة بأس ذائمه، ومهابة ذكرٍ لشياطين التفاق عنها رادعه؛ فإنها من بناء المردة : فليرد عنها آفة جنسها، وليحط برقى عزائمها حول نقاستها وقسمها؛ وليجبر أمرها على السدد، وليبنيها بلزومه المهدي أوثق مما بناها أولئك بالصفاح والعمد، وليرض الآثار السلبيانية بسلمان بيت الملازمة على طول الأبد، وليجتهد فيما هو بصده حتى تُدَمَّر بتدمر جوائنح الحسدة بالكبد؛ مكثراً يذكُر مهابته لعددها، موقراً لمديدها، مستوجباً لاستجلاب الإنعام عليه باستجلاب مديدها .



وهذه نسخة توقيع بناية قلعة الصببية، وهي :

رُسم بالأمر العالي - لا زال إحسانه يُعيد إلى الحصون ناصرها وزينتها، ويُعيد أصحاب الهمم صونها، ويحررها من إذا نظر فيها وحماتها كان عوناً وعيناً - أن يستقر المجلس السامي الأميري لما ألفت هذه القلعة المنصورة من تحصينته وتحسينه، وعرفته من ترتيبه في عمارتها وترتيبه؛ ولأنه الأدرى بالمصالح العائد نفعها، والأدرب بتأجيلها الحميد وقعتها؛ الذي باشرها من قبل فأحسن السلوك، ونصح هذه الدولة القاهرة فأثنى على سيرته ملوك الحصون وحصون الملوك .

فليعد إلى هذا المعقل المنيع عود الماء إلى مشاربه، وليسر في أرجاء أبراجها مسير القمر بين كواكبه؛ وليتفقد أمور رجالها المستخدمين، وليستجاب قلوب

حَفَظَتْهَا الْأَقْدَمِينَ؛ مُتَحَاشِيًا مِنْ رَأْيِ الْقَاصِرِ النَّعِيِّ، قَائِمًا بِالْمُهَيَّمَاتِ الَّتِي تَزَاحَمُ مِنْهُ
بَسِيخٌ لَا تَزَاحَمُ بِصَبِيٍّ؛ مُقِيًّا عَلَى رَفْعِ الْأَدْعِيَةِ لِهَذِهِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ، مُسْتَرِيدًا بِالشُّكْرِ
لِنِعَمِ اللَّهِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ، مُجْتَهِدًا مُعْتَمِدًا عَلَى تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي جَعَلَتْ لَهُ مَكَانًا
مَكِينًا فِي الدُّنْيَا وَطَرِيقًا سَهْلًا إِلَى الْآخِرَةِ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُجَبِّحُ قَصْدَهُ، وَيَتَقَبَّلُ جِهَادَهُ
وَجُهْدَهُ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! .

قُلْتُ : هَذَا كَانَ شَأْنَهَا حِينَ كَانَ يُوَلَّى بِهَا مَقْدَمُ حَلْفَةٍ أَوْ جُنْدَى مِنَ الشَّامِ .
لَكِنْ قَدْ تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى تَرْتِيبِ الْمَسَالِكِ الشَّامِيَةِ فِي الْمَقَالَةِ الثَّالِثَةِ أَنَّهَا آسَتْقَرَتْ
فِي الدَّوْلَةِ النَّاصِرِيَةِ «فَرَج» فِي سَنَةِ أَرْبَعِ عَشْرَةٍ وَثَمَانِمِائَةٍ [وَلَايَةٍ] ^(١) .

وَحِينَئِذٍ فَكَوْنُ وَلَايَتِهَا مِنَ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَةِ . فَإِنْ عَادَتْ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ
أَوَّلًا، عَادَ الْحُكْمُ كَذَلِكَ .



وهذه نسخة توقيع بناية قلعة حمص ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ،
وهي :

رسم بالأمر - لا زال يَنْتُزِعُ خِلْمَةَ قِلَاعِهِ كُلَّ سَيْفٍ مُخْتَبَرٍ، وَمُجَرَّبٍ صَبَرَتْ عَلَيْهِ
الْعَبَرُ، وَمُؤَدِّ لِفَرَاغِضِ الْخِلْمَةِ : إِمَّا بِقِيَامِ عِنْدَ الصَّبَا وَإِمَّا بِقُعُودِ عِنْدَ الْكِبَرِ - أَنْ
يُرْتَّبُ فُلَانٌ فِي نِيَابَةِ قَلْعَةِ حَمَصِ الْمَنْصُورَةِ إِبْجَابَةً لِسُؤَالِهِ فِيمَا سَأَلَهُ : مِنَ التَّوَفُّرِ عَلَى
مَوَاصِلَةِ الصَّلَوَاتِ، وَرَفْعِ الدَّعَوَاتِ، وَجَمْعِ ثَوَابِ الْجِهَادِ وَالْخَلَوَاتِ؛ وَتَقَضِّيِ بَاقِيِ
الْعُمُورِ أَدَاتًا، مَتَسَكًا طَائِعًا؛ إِذَا بَكَى بِجَوَارِهِ حَتَّى النَّهْرِ الْعَاصِي رَقَّ عَلَيْهِ فَمَا يَعدَمُ
مِنْهُ بُكَاءٌ .

(١) يَاضُ بِالْأَسْلِ وَالصَّحِيحُ مِنْ بَغْيَةِ الْكَلَامِ وَمَا تَقَدَّمَ .

فليأشُر نياحة هذه القلعة العليّ خبرها وخبرها، المنيّ سمعها ومنظرها، المطة
على مراكر الزماح المشهورة، ومهابّ الرياح : إنا بنيت السّماء ممطرة وإنا بسهام
النّيت مطوره، المجاورة لسيف الله «خالد» فهي بإعراب المجاورة منصورة غير
مكسورة، معتبرا لأحوالها، مُستدعيا لما تحتاج إليه من عُدّها ومدد رجالها،
محصّنا باستدعاء السّلاح وسلاح الأذعية الحديريّين بأمثالها .



وهذه نسخة توقيع بناية قلعة جعبر، قبل أن تُنقل إلى حلب، وهي :

رُسم بالأمر الشريف - أعلى الله تعالى في مماء الملك كواكبه، ونصر في أقطار
الأرض كُتبه وكُتّبه، وصرف بأوامره العالية كلّ نائب وفرق بها كلّ نائبه -
أن يُرتب عليّا بأنّه الكافي الذي تُعقد على هِمته الخناصر، ويُثني
على تقديم عزائمه القديم والمُعاصر، وتقوى الجهات وتُنصر باسمه بعد أن كانت
بغير قُوّة ولا ناصر، وأعتادا على كفاءته النافعة، ونهايته الرَّاهمة الرَّائعه، ودرأيته
التي تُضيء بها القلعة وتُسوّح حتى يقول الاستيقان : ما هُنّه شمسٌ هذه شمسٌ
طالعه .

فليأشُر هذه القلعة القديم أثرها، الحميد خبرها وخبرها، المصغر تصغير التحبيب
والتّحسين أسمها ومنظرها، المنفرد سملها بذيل الآفاق فتعسك بسحبها، المنشدة
لأرتقاب نهضة حال من علم أين منصورها، راقيا صرحها، راعيا بالمصالح

(١) كذا في الأصل ومواهب شمية .

(٢) هذا الوصف يناسب قلعة الصبيح فانها هي المنصورة .

(٣) في الأصل «تمسكا» .

مَرَحَهَا ، مُجْتَهِدًا فِيمَا يَقْضِي لِقَدْرِهِ بِالرَّحْمَةِ ، وَلَرَأَيْدَ أَمَلِهِ يَخْضِبُ النَّجْعَةَ ، جَاعِلًا هَذِهِ
الْمَنْزِلَةَ أَوَّلَ دَرَجَاتِهِ : وَحَسْبُهُ بِمَنْزِلَةٍ يَكُونُ أَوَّلَ دَرَجَاتِهَا قَبَّةَ قَلْعِهِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُسَدِّدُ
عَزْمَهُ وَحَزْمَهُ ، وَيُجِئُهُ فِي الْكُفَاةِ خَيْرَهُ كَمَا أَحَدَ فَيْهِمْ أَسْمَهُ ؛ بِمَنْ وَكْرَمَهُ ! .



وهذه نسخة توقيع بناية مغارة زلايا، من إنشاء ابن نباتة، وهي :

رُسم بالأمر - لا زال يَزِيدُ قِلَاعَ الْإِسْلَامِ عِلَاءً فِي السَّيِّئَةِ وَالْأَمْرِ ، وَفِي الْقُوَّةِ
وَالْحُسْنِ ، وَفِي اخْتِنَاءِ يَجْعَلُ لِعَقِيلَتِهَا بَيْنَ الْحُسْنِ وَالْقِسْمِ - أَنْ يُرْتَّبَ مَجْلِسُ الْأَمِيرِ
لِقِيَامِهِ بِوَأَجِبِ الْخُلُصَةِ ، وَمُلَازِمَةِ فَوَائِضِهَا الْمُهِمَّةِ ؛ وَعَزْمَتِهِ الْوَفِيَّةِ فِي النَّفْسِ ، الزَّائِدِ
وَصَفْقِهَا عَلَى الْأَمْسِ ، الْعَلِيِّ نَسَبُهَا وَحَسَبُهَا : فَتَارَةً إِلَى الْعُلَى وَتَارَةً إِلَى الشَّمْسِ .

فَلْيَا شِرْ هَذِهِ الْقَلْعَةُ الَّتِي عَلَتْ بِتَقْمِهَا مَعْلًا وَسَكَنًا ، وَقَالَ سَاكِنُ مَغَارِهَا لثَنَانِي
أَتَيْنِ مِنْ حَزْمِهِ وَعَزْمِهِ : (لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) ؛ وَأَسْتَعْلَى ثَنَانِيهَا فَأَنْشُدُ :
"أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعِ الثَّنَائِيَا" ، وَنَادَى بُقْعَتَهَا : هَذَا عَزْمِي وَحَزْمِي لَا يُقَالُ وَلَا يَزَلَايَا ؛
مُجْتَهِدًا فِي مَدَادِ أُمُورِهَا ، وَتَحْصِينِهَا بِالْمُهَابَةِ الْقَائِمَةِ مَقَامِ سُورِهَا ؛ مُسْتَجَبًّا مَا يَحْتَاجُ
إِلَيْهِ وَمَا يُرْتَّبُ مِنْ عُدَّةٍ ، مُلَازِمًا لِرُؤْمِ الْخَمْسِ لَأَوْقَاتِ مُبَاشَرَتِهَا لِأُيُوصَفُ بِالزُّوَالِ
بَلْ بِكُلِّ الْمُنَّةِ .



وهذه نسخة توقيع بولاية القدس، من إنشاء ابن نباتة، وهي :

رُسم بالأمر لا زال يَشْمَلُ بَظْلَهُ وَفَضْلَهُ ، وَيَجْمَلُ بِإِحْسَانِهِ وَعَدْلِهِ ،
وَيُنْقَلُ شَمْسُ الْوَلَاةِ مِنَ الْبُرْجِ الظَّاهِرِ إِلَى مِثْلِهِ - أَنْ يُنْقَلُ فَلَانٌ مِنْ كَذَا إِلَى وَلَايَةِ

القدس الشريف : هَلَا بِكَفَايَتِهِ الَّتِي تَهْدَمُ، وَشَهَامَتِهِ الَّتِي تَحْكُمُ، وَإِمَامَتِهِ الَّتِي
سَلِمَتْ فِيهَا سَلَامَتٌ، وَهِمَّتِهِ الَّتِي وَصَحَّتْ تَحْسَبًا فَلَا تُنْفَسُ، وَقَالَتْ لِقِيَامِهِ فِي الْمَصَالِحِ :
(أَخْلَعَ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ) .

فَلْيَا شَرُّ هَذِهِ الْوَلَايَةِ مُبَاشِرَةً تَحْوِي بَضِيَاءَ شَمْسِهِ ظُلُمًا وَظُلَامًا، وَهَوْلُ لَنَارِ الْحَوَادِثِ
فِي الْمَشَاهِدِ الْجَلِيلَةِ : (يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا) ؛ مُجْتَهِدًا فِيهَا هُوَ بِصَدِيدِهِ ، عَارِفًا
بُوجُوهِ الْمَصَالِحِ حَتَّى يَكُونَ السَّكْنُ أَعْرَفَ بِشَمْسِ بَلَدِهِ ؛ نَاهِيًا بِأُمُورِ الدُّيُونِ
جَلِيلًا وَخَفِيًّا، وَصَبَّ الْمَهْمَاتِ حَافِلَهَا وَخَفِيًّا ؛ مُسْتَرِيدًا بِالشُّكْرِ لِمَادِي النِّعَمِ ، قَائِلًا
فِي حِلِّ الْبَلَدَيْنِ الْمُبَارَكَيْنِ : مَا سَرْتُ مِنْ حَرَمٍ إِلَّا إِلَى حَرَمٍ .



وهذه نسخة توقيع بولاية غزّة، وهي :

رُسم بالأمر - لا زال يُثْبِتُ فِي رِيَاضِ الْإِحْسَانِ غَرَسًا، وَيُحَقِّقُ فِي آسْتَحْقَاقِ
الْكَفَاةِ حَدْسًا، وَيُقَدِّمُ مَنْ لَا تَزَالُ الْوِلَايَاتُ تُحْمَدُ لَهُ يَوْمًا وَيَذْكُرُ لِقَوْمِهِ أَمْسًا -
أَنْ يُرْتَّبَ لِمَا عُرِفَ مِنْ عَزَمِهِ الَّذِي جَرَّدَ مِنْهُ الْإِخْتِيَارُ وَالْإِخْتِبَارُ جَمِيلًا،
وَكَيْلَ تَخْفِضِهِ الَّذِي آتَمَّخَهُ التَّوْفِيقُ فَلَمْ يَلْ : (لَيْتَنِي لَمْ آتَمَّخْ فَلَانًا خَلِيلًا) ؛ وَأَعْتَادَهُ
الَّذِي يُصْبِحُ فِي الْحَامِدِ وَيُغْمَى، وَيَنَافُسُ مَرَبَاهُ فُهَذَا يَقُولُ : تَمْرِي وَهَذَا يَقُولُ :
غَمْرِي .

فَلْيَا شَرُّ هَذِهِ الْوَلَايَةِ بَعَزَمِ مُقْتَبِلِ الشَّيْبَةِ، وَحَزْمِ لَا يُقَعِدُ الرَّأْيَ الْحَبِيلُ تَجْرِيدَهُ
فِي الْمَصَالِحِ وَتَجْرِيدَهُ ؛ وَنَقَعَ فِي الْمَهْمَاتِ وَرَدَّجَ لِلْفَسْدِ مُحَمَّدُ مَوَارِدُهُ وَمَصَادِرُهُ،
وَذَكَّرَ لَهُ حَسَنَ تُلْقُطُ مِنْ سَاحِلِ الشَّامِ جَوَاهِرُهُ ؛ مُسْتَرِيدًا لِمَا رَتَّخَ لَهُ مِنْ دَرَجَاتِ

الأُمُور المُهمَّة ، مُنَّه العِرضُ عن كُلِّ لائِمَةٍ مُرَجَّحًا تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ مَلْمَأَةٍ ؛
وَاللَّهُ تَعَالَى يُجِدُّ فِي اِلْحِسْمَةِ آثَارِهِ ، وَيُعِزُّ فِي وِلَايَةِ حَرْبِهِ السَّاقَةِ إِذَا هَانَتِ الْحَرْبُ
عَلَى النِّظَارَةِ .



وهذه نسخة توقيع بولاية لُدْ، لمن اسمه «نجم الدين أيوب» وهي :

رُسم بالأمر - لا زالت تُجُومُ أوَامِرُهُ سَعِيدَةً ، وَظِلَالُ عَوَارِفِهِ مَدِيدَةً ، وَمَنَازِلُ
الوَلَايَاتِ حَامِدَةً لِمَنْ يُقَدِّمُهُ وَطَوَالِيعُ أَفْقِهَا حَمِيدَةً - أَنْ يُرْتَبَ أَعْتَادًا عَلَى
كَفَائَتِهِ الَّتِي تُسَيِّدُ لَهُ جَمْدًا ، وَتُعَقِّبُ مَسْعَاهُ حَمْدًا ، وَتَكْفِي مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ وَأَهْلِهَا بَلَدًا
وَقَوْمًا لُدًّا : لِمَا أَحْتَوَى عَلَيْهِ مِنْ مُوجِبَاتِ الْأَصْطِنَاعِ وَدَوَائِعِهِ ، وَقَاتَ بِاسْتِقْلَالِهِ
أَمَدَ مُسَاجِلِهِ وَمُنَاوِيهِ ؛ وَأَشْتَقَلَ عَلَى اِلْحِلَالِ الَّتِي قَضَتْ بِتَقْدِيمِهِ ، وَالْأَفْعَالِ الَّتِي
أَسْتَدْعَتْ الْمُبَالَغَةَ فِي تَفْخِيمِهِ وَتَكْرِيمِهِ ؛ وَسَلَكَ مِنْ اِلْمُخَالَصَةِ مَا يُوجِبُ اِلْاِسْتِحْقَاقَ
وَالْاِسْتِجَابِ ، وَيُوصِلُ حَمِيدَ مَسْعَاهُ إِلَى بُلُوغِ الْأَمَالِ وَإِذْرَاكِ الْحَبَابِ .

فَلْيُبَاشِرْ هَذِهِ الْوَلَايَةَ : حَامِلًا بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِيمَا يُسِرُّهُ وَيُعْلِنُهُ ، مُعْتَمِدًا فِيهَا
غَايَةً مَا يَسْتَطِيعُهُ الْمُكَلَّفُ وَنِهَايَةً مَا يُمْكِنُهُ ؛ وَلْيُسَوِّينِ التَّقْوَى مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْوَلَايَةِ
وَالضَّعِيفِ ، وَلَا يَجْعَلْ فِي الْحَقِّ فَرْقًا بَيْنَ الْمُشْرُوفِ وَالشَّرِيفِ ؛ وَيَمْدَدْ عَلَى كَافَتِهِمْ
رِوَاقَ السُّكُونِ وَالْأَمْنَةِ ، وَلْيُجَرِّمِ فِي الْمَعْلِلَةِ عَلَى الْعَادَةِ الْجَمِيلَةِ الْحَسَنَةَ ؛ وَلْيَأْخُذْ
فِي الْأُمُورِ الدِّيَوَانِيَّةِ بِالْاِجْتِهَادِ مُرَاعِيًا فِي ذَلِكَ حَالَ الْعِيَارَةِ ، آتِيًا مِنَ الْإِحْسَانِ
إِلَى الرَّعِيَةِ مَا يَكُونُ لِلْعَدْلِ شَارَهُ ؛ وَافِيًا فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بِالْمَطْلُوبِ ، صَابِرًا عَلَى تَكَالِيفِ
الْمُهِمَّاتِ وَلَا يَنْكُرُ الصَّبْرَ لِأَيُّوبِ .



وهذه نسخة توقيع بولاية يَمَّانَ ، لمن لقبه « شهاب الدين » من إنشاء ابن
نُبَّانة ، وهى :

رُسم بالأمر - لا زالت مُهْبُ أوقاته مَسْعِده ، وَحُبُّ هِباتِه مَاجِبَة الجُود
مَدِيدَه ، وبحورُ نَعماته الحَقِيقِيَّة كُبحورِ الأَعاريضِ المَجازِيَّة : كَاملَة مُنْسَرَحَة مَدِيدَه -
أن يَستقرَّ أَعْتادًا على عَزَمِ المُنِيرِ شَهابِه ، الكَثيرِ تَوَقُّدِه فى أوقاتِ المَهمَّاتِ
وَأَلْهائِه ، وأَسْتَبادًا إلى كَفاءَتِه الَّتِى يَشْهَدُ بِها وَلأُوهُ فى الخِلمَةِ وَلِأَيَّتِه ، وشَهادَتِه
الَّتِى يُعْزِمُ بِها فى الأَمْرِ رَأْيَه وترَفَع فى الخِلمَةِ وَلِأَيَّتِه ومَهابَتِه ، وِطْأَ بِسَياسَتِه
الَّتِى يَقْعُمُ بِها أَهْلُ الفِسادِ ، وتَكاذُفِ تَفْخَرِ يَمَّانُ بِفَضْلِها كَما تَحَرَّتْ بِ«مَفاضِلِها»
على البَلاَدِ .

فَلْيَقُمْ فى وَظيفَتِه على قَدَمِ أَجْتهادِه ، وَكَرَمِ آرْتِبادِه وَأَعْتِبادِه ، شَافِيًا لأَحوالِ أَهْلِ
ناحِيَتِه مِنَ الوَصَبِ ، مُتَمَرِّمًا لِلنِّلالِ والأُمُوالِ بِعَزَمٍ قَدِ ارْتَضَعَ وَأَنْشَبَ ؛ ظاهِرًا
فى الخِلمَةِ بِجَهودِه ، مُلَيَّنًا لِحَديدِ مَنْ عَصَى عَليه فى عَمَلِه كَما أَوْرَثَه دَاوُدُ ؛ وَاللهُ
تَعَالَى يُوَفِّقُه .



وهذه نسخة توقيع بولاية صَبَداءَ ، لمن لقبه « شجاع الدين » بـ«المجلس العالى»
وهى :

رُسم بالأمر العالى - أَفْذَه اللهُ فى الأَقطارِ ، وَنَجَّمَ بَولاتِه أَيَّامَ الأوطانِ والأَوطارِ ،
وأَجْرَى بِسُكْرِهِ سُفْنَ الرِكاثِ وَرِكاثِ السُّفْنِ إِذا سَفَّ وَإِذا طارَ - ان يَستقرَّ
فَلاَنٌ : رُكُونًا إلى عَزَمِه وَحَزَمِه ، وَسُكُونًا إلى أَهْتمامِه الَّذِى حَكَمَ فى الإخْبارِ

بِسْمِهِ؛ وَصَلَّى أَنْ لِّلْوَلايَاتِ بِهِ الْإِنْتِفَاعَ، وَلِحُصُونِهَا الْإِمْتِنَاعَ وَالْإِرْتِفَاعَ؛ وَأَنَّهُ إِذَا
وَلَّى رَعَى وَإِذَا أَقْوَى كَانَ أَحْصَمَ رَاعَ، وَإِذَا فَكَّرَ فِي الرَّأْيِ وَوَقَّبَ فِي الْمُهَيِّمِ كَانَ
فِيهِ الشُّجَاعُ.

فَلْيُبَاشِرْ وَلَايَةَ عَمَلِهِ نَاهِضًا بِأَعْيَانِهِ، وَرَافِعًا بِالْعَدْلِ لَأَرْجَائِهِ وَرَجَائِهِ، حَرِيصًا عَلَى
طَلِبِ الْأَخْبَارِ الْمُنْتَشِرَةِ مِنْ كَافُورِ صُبُوحِهِ وَمِسْكِ مَسَائِهِ. وَلْيَتَفَقَّدْ أَحْوَالَ بَرِّهِ وَبَحْرِهِ،
وَلْيَبْقِظْ لِنَاكِ الْبَرِّ وَجْهَهُ، وَذَلِكَ الْبَحْرُ وَسِرُّهُ؛ حَتَّى يَتَحَلَّتِ الْبَحْرُ عَنْ عَزْمِهِ
وَلَا تَحْرَجَ، وَيَسِيرَ ذِكْرُهُ كَتَسِيمِ الرُّوضِ لِأَضَائِعِ الصَّنْعِ وَلَكِنْ ضَائِعِ الْأَرْجِ؛ وَيَعْتَمِدَ
مَصَالِحَ التَّوَالِي وَسُكَّانِهَا، وَالْأَمْوَالِ وَدِيَوَانِهَا، وَالْإِلَهَاتِ وَشَمَائِهَا، وَتُجُومِ التَّقْسِيطَاتِ
فِي الْبَلَدَةِ وَتَحْرِيرِ مِيزَانِهَا، وَيَجْمَعُ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالشَّمْسَةِ بِسِيَاسَةٍ لَا يَخْرُجُ بِهَا الرَّأْيُ عَنْ
إِبَانِهَا، وَتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى هِيَ الْعِمْدَةُ فَعَلِهَا يَتَّعِمِدُ، وَعَلَى رُكْنِهَا يَسْتَنْدُ؛ حَتَّى تَجْعَلَ
لَهُ عَلَى الْمَصَالِحِ أَبَدًا، وَحَتَّى تَثْبِي نَحْوَ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ عَمْرًا وَزَيْدًا، وَحَتَّى تَجْعَلَ لَهُ بَأْسًا
فِي الْأَعْدَاءِ بِكَيْدٍ كَيْدًا، وَحُسْنِ ذِكْرِ فِي الْبَلَدِ يَصِيدُ «صَيْدًا».



وهذه نسخة توقيع بولاية قاقون، من إنشاء ابن نباتة، وهي :

رُحِمَ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَ يَنْدُبُ لِمَصَالِحِ الْوَلايَاتِ سُيُوفًا، وَيَقْدُمُ ظُلْمًا فِي الْكُفَاةِ
يَعْلَمُ أَنَّهُ سَيُوفِي، وَيُذِنِي مِنْ قَمَرَاتِ الْإِنْسَامِ وَالْإِرْغَامِ لِأَيْدِي الْمُجْتَبِينَ قُطُوفًا - أَنْ
يَسْتَقِرَّ آعْتَادًا عَلَى هِمَّتِهِ الشَّائِكَةِ، وَدِرَاسَتِهِ السَّائِكَةِ، وَأَمَانَتِهِ الشَّاهِدَةِ،
وَصِفَاتِ عَزَمِهِ الَّتِي هِيَ فِي الْوَلايَاتِ «مَعْنٌ» وَهِيَ «زَائِكَةٌ»؛ مُجْتَهِدًا عَلَى أَنْ يُثْمَرَ عَمَلُ
وَلَايَتِهِ فَتَرْكُو أَعْمَالَهُ، وَتَرُدُّ عَلَيْهِ الْمُهَيِّمَاتُ فَتَتَلَقَّاهَا بِالْكَفَاءَةِ أَفْعَالُهُ الْمَعْرُوفَةُ وَأَقْوَالُهُ،
وَتَشْهَدُ مِنْهُ الْأَحْوَالُ مَعْنَى بِلْ مَعَانِي يَشْهَتُ بِهَا فِي الْأَذْهَانِ قَبُولُهُ وَإِقْبَالُهُ.



وهذه نسخة توقيع بولاية صرخند، من إنشائه، لمن لقبه «جمال الدين» وهى :

رُسم بالأمر أعلاه الله تعالى، وبلغ بأيامه الرتب وأهلها آمالاً، وزان الولايات بما ينتج من مُقدمة فعله وقوله جمالاً - أن يُرتب مجلس الأمير لأنه الكافى الذى عُرفت فى المهمات همتُه، وأُلفت عزمته، وأُديرَت أوصافه عَقاراً صرخديّة ولا عجب أن سرت بالنواحي خدسته؛ والناهض الذى وفى الولاية حقها، وأدّى الأمانة وسلك طُرُقها، وأطلع فى سماء الولاياتِ شهبَ رأيه فحى وزان أفعها.

فليأشِر هذه الولاية بعزم سنى، وعزم مرى، ومهابة تأخذ للضعيف من القوى، وديانة تمشى من الكفاءة والأمانة على صراط سوى، مُتمراً للال والغلال، رافقاً للخليل الذّكر بحسن الخلال، مُحسّناً لذّكر ولا يجه حتى يجمع لها بالوصف والتّعت بين الحُسن والجمال، وإياه والجُبن عن المهمات فما كل جُبن صرخدى تحوّد العاقبة والمآل .



وهذه نسخة توقيع بولاية سايّة، من إنشائه، كتب به لشهاب الدين الحجازى» وهى :

رُسم لا زال يُطلّع شهب الولا مشرقه، ويُنشئُ شهب الإحسان مُغلّقه، ولا يرحّت أفلامُ علاميه كالقصبون بأحسن ثمرات الدّوج مُثمرة مُورقة - أن يُرتب علماً أنه الناهض الذى إذا ولي كفى، وإذا طبّ الولاية الملتة بتقديم المعرفة سنى؛ ورُكّونا إلى عزمه الذى أبى لشهابه أن يحد، وكفاءته التى

قَصَتْ لاسْمِهِ بِالْعَوْدِ : فَإِنَّ الْعَوْدَ أَحْمَدُ ؛ وَأَعْتَادًا عَلَى سِيرَتِهِ الْحَسَنَةِ السَّمْعَةِ ، الْحَقِيقَةِ بِالرَّقْعَةِ ، وَدَلَّى سَطَوَاتِهِ بِالْفُقُصَيْنِ الَّتِي حَسَنَتْ أَنْ يُقَالَ فِيهِ : «لَقَدْ أَوْقَعَ الْجَحَافُ بِالْيَشِيرِ وَقَعَهُ» .^(١)

فَلْيَا شَرُّ هَذِهِ الْوَلَايَةِ بِعَزَمِهِ الْمُتَوَالِي ، وَاجْتِهَادِ رَأْيِهِ الَّذِي يُطْرِبُ بَارِقَهُ الْمُتَعَالِي ؛ جَارِيًا عَلَى عَادَةِ مَسَلَدِهِ ، مُجْتَهِدًا فِيهَا هُوَ بَصَدِّهِ ؛ مُسَدَّدًا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، مَانِعًا لِنَاجِيَتِهِ الْأَعْرَابِيَّةِ مِنْ تَطْرِيقِ الْخَطَلِ وَتَطْرِفِ الْجَلَالِ ؛ مُصَاحِبًا بِالْتَذِيرِ عَمَلِ مَا يَشْهَدُ بِعَزَائِمِهِ الْوَقْفَةِ ، وَهَمِيمِهِ الْجَلِيلَةِ الْجَلِيلَةِ ، وَإِذَا سَأَلَ عَنْ شِدَّةِ الْوَلَايَةِ وَاحِدٌ قِيلَ : سَلْ مَبَّةً عَنْ سَلَابِيهِ .



وهذه نسخة توقيع بَشْدٍ مُتَحَصِّلٍ قَامَةِ ، مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ ثُبَاتِهِ ، وَهِيَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - بِسَطِّ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْأُمَمِ مَهَابَتَهُ وَظِلَّهُ ، وَبَاسَهُ وَقَضَلَهُ ، وَوَجَّهَ إِلَيْهِ أَمَالَ الْخَلْقِ مِنْ كُلِّ قِبَلِهِ ، وَأَعْلَى آرَاءِهِ الَّتِي يَقَالُ لَعْدَلُهَا : «لَقَدْ جُدْتُ حَتَّى جُرْتُ فِي كُلِّ مِلَّةٍ» - أَنْ يُرْتَبَ مضافًا لما بيده ، وَاسْتِنَادًا إِلَى صَحِيحِ خَبَرِهِ فِي الْكِفَاءَةِ وَتَلَوُّ سَنَدِهِ ، وَآزِتِيادًا لِهَمِيمِهِ الَّتِي إِنْ رَوَاهَا مُسْلِمٌ عَنْ طَوَّعِهِ رَوَاهَا نَصْرَانِيٌّ عَنْ تَجَلُّدِهِ ؛ وَمُسْكُونًا إِلَى حَرَكَتِهِ الَّتِي تُحْصِلُ مَالًا ، وَتَصِلُ إِلَى مَالٍ ؛ وَتُسَخِّرُ الْوَفَرَ مِنْ مَكْنِهِ ، وَتَأْخُذُ الْحَقَّ [مِنْ] قُدَامِ يَدَيِ الْمَائِلِ وَمِنْ خَيْفِ أُذُنِهِ ؛ وَدَلَامًا أَنَّ الْمُلْتَصِقَ قَامَةً مِثْلَ عَزَمِهِ الْمُخْتَارِ ، وَرَفِيقِهِ الَّذِي يَسْتَرِلُ دَرَّ الْقَصْدِ الْمِدْرَارِ ، وَاجْتِهَادِهِ الَّذِي زَرَعَهُ الْمُسْتَعْرِضُونَ فَاسْتَوَى عَلَى سَوْقِهِ يُجِيبُ الزَّرَاعَ لِيُغِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ .

فَلْيَا شَرُّ هَذِهِ الْوَلَايَةِ بِسَيْئَةِ وَلِيِّنِ يَحْمِلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي مَوْضِعِهِ وَمَقَامِهِ ، وَحَقِّ مُتِيرٍ يَجْعَلُ سَبَبَ نُورٍ كُلِّ لِيَالِيهِ وَأَيَامِهِ ؛ وَأَمَانَةٍ مِدَلِّهِ ، وَكِفَاءَةٍ مُظِلِّهِ ؛ وَصِيَانَةٍ

(١) صدر بيت اللانخطال وقامه «إلى الله منها المشتكى والمقول» والجفاف اسم رجل والبشر اسم جبل .

تُوجِبُ مَزِيدَ الْخَيْرِ إِذَا لَهُ ، وَمَهَابَةَ إِذَا أُدِخِلَتْ مُسْتَخْرَجَ قِسَامَةِ أَصْلَحَتِهِ وَجَعَلَتْ
أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذَلَّهُ ؛ لَا يَلْتَنِي هِمَمُهُ النَّفِيسَةِ ، وَلَا يَلْتَفِتُ - كَمَا يُقَالُ - لِتَبْخِيرِ الْكَنْيَسَةِ ؛
بَلْ يَسْتَعْمَلُ فِرَاسَةً تَرُوعُ مِنْ حَمَلٍ عَنْ أَدَاءِ الْحَقِّ بُهْتَانًا ، وَمُنَاقَشَةً تَكْشِفُ عَنْ
جِبَالِ التَّجَلُّدِ أَكْثَانًا ، وَرَأْفَةً مَعَ ذَلِكَ بِالظَّاهِرِىِّ الْعَجِزِ : ذَلِكَ إِنْ مِنْهُمْ قَسِيْسِينَ
وَرُهْبَانًا ، وَمَتَابَعَةً لِلضَّرَائِبِ الْقَدِيمَةِ لَا يُصْرِفُ عَنْهَا ، وَأَسْتَخْلَاصَ مَا عَلَى الرَّأْسِ حَتَّى
يُقَالُ : «لَيْسَ تَحْتَ الزَّرْقَاءِ أَخْضَعُ مِنْهَا» ؛ طَامِلًا بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّ أَهْلَ مَعَامِلَتِهِ
أَهْلُ ذِمَّتِهِ ، مُجْتَنِبِينَ فِي أَسْتَحْقَاقِ مَا يَتَرَفَعُ لَهُ مِنْ وَلايَاتِ الْأُمُورِ الْمَهْمَةِ .

الصنف الثانى

(مما يكتب لأرباب الوظائف بدمشق - تواقع أرباب
الوظائف الدينية، وهى على ضربين)

الضرب الأول

(ما يكتب لمن هو بمحاضرة دمشق، وهو على ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى

(ما يُقْتَضَى بِهِ «الْحَمْدُ لِلَّهِ»)

وهذه نسخ تواقع من ذلك :

تَوْقِيعٌ بِنَظَرِ الْحِسْبَةِ بِالنَّشَامِ ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِى «نُورُ الدِّينِ عَلِىِّ بْنِ أَبِي الْفَرَجِ»
بِالْجَنَابِ الْكَرِيمِ « وَهُوَ :

الحمد لله الذي جعل مقام الأولياء علياً ، ورفق بهم إلى طور العناية فأشرق نورهم سنياء ، ووقّهم للأمر بالمعروف فلم يزل غيث الندى بهم ولياً ، وزند سبل الرّشاد والحكمة وريراً .

نحمده حمداً كثيراً طيباً زكياً ، ونشكّره شكراً لا يزال غصنه بالزيادة جنيّاً ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نكرّها بكثرة وعشياً ، ونسلّك بها صراطاً سويّاً ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده الذي اختاره صفيّاً ، وقرّبه نجيّاً ، ورسوله الذي قام به الحق وأصبح به الباطل خفيّاً ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة ينال بها المؤمن يوم العطش رياً ، ويحوز بها في جنة المأوى حللاً وحليّاً ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ، فإن أولى ما يلزم الفكر [فيه] ويتعين ، ويتم النجح بحسن النظر فيه ويتبين - أمر الحسبة الشريفة : فإنها المنصيب الذي به صلاح أحوال الرعية ، وقوام إقامة الحدود الشرعية ؛ تسلك العامة مستوليّه سبل صناعه ذللاً ، وتكسو بآثانها أنواع بضائعها حللاً ، ويتفع بمعرفته الأمر والمأمور ، وتخط المعاش عن غشيان الغش من حرمة بسور ، وتطمئن القلوب بإصلاح المطاعم وتتهنى ، وتقول الأليسة : شكراً لمن سن هذه السنة الشريفة وسنى ، وردع ذوى الغش عن غوايتهم : فمن غشنا ليس منا ؛ لاسيما بدمشق فإنها شامة البلاد المحروسة ، وموطن البركة الماثورة والبهجة الماثوسة ؛ بلد شاع ذكرها في المغارب والمشارق ، وإن محاسنها لن تُفاس بغيرها : والجوامع الفارق .

وكان فلان ممن تحلى من عقود المحامد بجواهرها ، وأردى من حلل المآثر بمفاجيرها ؛ وعرف بالهضة والعفاف ، وأنصف بحيل المعرفة والإنصاف ؛ وحسنت سيرته في أحكامه ، وحلت قواعد تملّته ونصارة نظامه .

فلذلك رُسم بالأمر العالى - لا زال يُولى بجيلا ، ويُولى فى الوظائف السنية جليلا - أن يستقر المشار إليه فى نظر الحسبة الشريفة بالشام المحروس ، على عادة من تهتد به فى ذلك ، والقاعدة المستمرة ، بالمعلوم المستمر للوظيفة المذكورة ، إلى آخر وقت : وضعا للشيء فى محله ، وتفويضا لجميل النظر إلى أهله .

فليأشرك ذلك أمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر ، سالكا من حُسن الطريقة ما يُجهد به ويُشكر ، ويسره حين تُسلى سور محاسنه وتذكر متفقد أحوال العامة ومعايشها فى كل آن ، ملتفتا فى أمر ما يكال أو يُوزن إلى قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الزَّوْزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ . مُشتمرا عن ساعده فى الإجراء على العوائد المستحبة ، مُحترزا فيما يأمر به : فإن الله تعالى لا يخفى عليه متقال حبه ، ولينظر فى الدقيق والجليل ، والكثير والقليل ، وليستكثر الأخبار ، وليستعلم الأسعار ، ولا يفُقل عن تعاهد السوق آناء الليل وأطراف النهار ، وليلاحظ أمر السكة السلطانية بإصلاح العيار ، وضبط أحوال النقود بمقدار ، وليقيم من خدمته رقيقا على من آتهم فى صنعه أو استراب . وليبلغ فى النظر فى أمر المأكول والمشرب فإن أكثر الداء من الطعام والشراب ، وليزجر بتأديبه من أقرئ ، أو تلقى الرُكبان أو غدا فى الأقوات مُحذرا ، وليعلم أنه قد أمر هذه الوظيفة المباركة : فليختر من يستنيب ، وليبصر كيف يسلك برعايته من حكم عليه فما يلقط من قوب إلا لديه رقيب ، والوصايا كثيرة وأصلها التقوى التى هى أجل ما يقتنى المؤمن ويكتسب ، وأجدر بالزيادة : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ . والله تعالى يُديم علاه ، ويتولاه فيما تولاه .



وهذه نسخة توقيع بنظر الجامع الأموي، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة،
كُتِبَ به للقاضي «عماد الدين بن الشيرازي» في الدولة الصالحية «صالح بن الناصر
محمد» بـ«الحناب الكريم» وهي :

الحمد لله الذي أذن ليوبته أن تُرفعَ فرفعَ عمادها، وأعاد أحسنها إلى نظر من صَرَفَ
أُمُورَها بما حَبَسَ وصَرَفَها عما دَهَى، وأحيا الآثارَ الأمويةَ حتى غَدَتْ كالمشيمية
تدعو أجوادها وتُجَادِها، وأنجزَ وعدَ أهلها بمن أشارت إلى مُباشِرتهِ أعلامُ أعلام
المنابر بالأصابع ونصّت المآذن أجنادها .

نحمده على ما هيا من الفوائد، وهنّا من العوائد؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة يقوم بها الخطّابُ شاهداً ويقوم بها الخطباءُ في المشاهد، ونشهد
أنّ محمداً عبده ورسوله الذي أوتى الجوامع من الكلم وجُعِلَتْ له الأرض من
المساجد؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين عمروا بيوت العبادات بهدايته،
وظهروا في مجال الجمع وسجال الجموع تحت رايته؛ صلاة متصلة السير كالسيل،
مُسَبَّلة الغمام كالذيل، وإضحة كدج الخلق لدلوك الشمس فائمة كفتيت المسك
إلى غسق الليل .

وبعد، فإن أولى الأمور الدينية بتقديم الأهِتمام، وتقدير الاعتناء إلى الاعتزام؛
وتشجيع ساعد الرأي وزهراته على الانجاء - أمرٌ تكون إقامة الصلوات أحد
أركانهِ، وتغيير المصالح مُشيراً إلى علوّ شأنهِ، وأرزاق العلماء والصلحاء تُستدّر من
هطّاله وهنّاته .

وكان الجامع الأمويّ يدمشق المحروسة لهذه الأركان بمنزلة الأسّ الراسخ تمكينه،
والفرج الشامخ في وجه السحاب عزّينته ؛ وبنية زمان بنى أمانة الذين عفا شرف
مفاتيحهم وما عفا شرفه ونفّره، ووكر الإسلام الذي مضى لبدا أمثاله وما بقي إلا نسر
السماء ونسره ؛ ذو المرائى الشارح والفضل المشروح ، والحسن الذي إن تفالّى
في وصف الجوامع قوم قيل : باب الزيادة مفتوح ؛ تفخّره دمشق وحق
لها على كلّ مضير أن تفخر ، وتبعث نظرات حسنة الفخر من حملة فصوص
الترخيم إلى الأسود والأحمر ؛ يحمّد المجاور به مغناه وغناه ، ويسع أرباب العلم
والمقاصد نأديه ونذاه ، ويطلع المسك سطور مياهه المتجسّدة فأقول ما يقرأ من
تثبيته عزّيه باب المياه ؛ وقد عهد أن يتولّى نظره كلّ سنيّ المفارح، سرى
المآثر ؛ كريم الفرع والأصل ، ماضى العزم كالنصل ، حائر من أقلامه أمد العلاء
وقصب النصل .

ولذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال وجهه التفضل بدولته الشريفة وإحضا،
ويزان العدل والإحسان راجحا ، ولا زال في كنف من من به على الدين والدنيا
وآثامها صالحا - أن يقوِّض إلى فلان نظره الجامع الأمويّ المذكور : ليأعرف
من أنه الرئيس الذي ماسد سديّ ، والكايل الذي إذا أنس [سار] فإفكرته وجد على
النار هديّ ؛ وأنه باشر نظره هذا الجامع قدما بحمله ، ورصد سنه فكلّه ، وأسند
في محض ديوانه على التزاهة أقلامه المعدّلة ، وتديّره المعدّ له ؛ وكثر أوقافه وكانت
قد أضحكت ، وشيد عمائر وكانت قد استقلت ، وملا حواصله وكانت أقلام
المكتسبة تُنشد : «أسألكم أيّ المواطن حلت » ؛ وليألف هذا الجامع المعمور من
عواطفه ، وعرف من عواريفه ، وشهد من جلوسه لمصالح وفقه أحسن الله مكافأة
جالس له وواقفه ؛ فاثبت في صدر المحافل أن الله تعالى قد رزقه من الفضل جسيما ،

وَكُتِبَ لَهُ مِنْ شَرَفِ الْاِكْتِسَابِ وَالْاِكْتِسَابِ حَديثًا وَقَدِيمًا ؛ وَالَّتِي إِلَى يَدِهِ قَلَمٌ كَفَاءٌ وَأَمَانَةٌ كَانَ كَرَمُهَا لِلْأَمَلِينَ حَصِينًا وَكَانَ قَلَمُهَا لِلْحَاقِسِينَ خَصِيمًا ؛ كَمْ وَفَرَّ بِهِ الْمَصَالِحَ قُوًى ، وَكَمْ جَمَعَ بِهَيْمَتِهِ الْمَحَاوِلَةَ مَالًا بِفُهْزَ بِهِ مِنْ جُنْدِ الدُّعَاءِ صَفًّا ؛ كَمْ سَرَّ بِمَنَاقِبِهِ سِرًّا سَلَفٍ مَامِنْهُمْ إِلَّا جَوَادٌ لَا يَرْضَى فِي مَبْنَى الْمَكَارِمِ بِحَاجَتِهِ ، وَكَاتِبٌ يَكْبُرُ عَنْ قَوْلِ الْوَاصِفِ : إِنَّ يَاقُوتَا فِي فَصِّ حَاجَتِهِ ؛ وَرَئِيسٌ هُوَ أَجَلُ مَا أَهْدَتْ شِيرَازُ إِلَى دِمَشْقَ مِنْ طَالِي طِرَازِ الْفَضْلِ وَعَالِمِهِ .

فَلْيَبَاشِرْ مَا فُوضَ إِلَيْهِ بِعَزْمٍ لَا يَهْتَلُ مَضَارِبُهُ ، وَرَأْيِي لَا تَأْكُلُ كَوَاكِبُهُ ، وَمَعْدِنَ وَفَاءٍ بِالْمَنْصِبِ لَا يَبْرَحُ لُجْنَةُ الْخِيَانَةِ مَهَالِكُهُ وَلُجْنَةُ الْإِحْسَانِ مَطَالِبُهُ ؛ نَاطِرًا فِي حُسْنِ وَظَيفَتِهَا بِاجْتِهَادٍ لَا يَمَلُ مِنَ النَّظَرِ ، مُتَمَرِّدًا لِأَوْقَافِهَا بِغَضَنِ قَلْبِهِ الَّذِي لَا يَنْكُرُ لِأَصْلِهِ الصَّائِبِ أَطَالِبُ الثَّمَرِ ؛ مُلَاحِظًا لِمَبَانِي هَذَا الْجَامِعِ بِسَعَادَتِهِ : وَإِنَّ السَّعَادَةَ لِلْحَقِّقِ الْجَمْرِ ، صَارِقًا لَدَوَى الْأَسْتَحْقَاقِ مُسْتَعْقِمًا كَمَا عَوَّدُوا مِنْ إِمَامِ بَرَاعَتِهِ الْمُتَنَطِّرِ ؛ مُجْتَهِدًا عَلَى أَنْ يَرْضَى الْوِظِيفَةَ وَالْقَوْمَ ، مُعِينًا عَدُوَّيْ أَنْامِلِهِ الْخَمْسَ عَلَى عَدِيدِهَا مِنْ فَرِيضَةِ اللَّيْلَةِ وَالْيَوْمِ ؛ عَالِمًا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَحْيَا هَذَا الدِّيَّانَ فَإِنَّهُ كَمَا عَلِمَ أَصْلُ فِي بَابِهِ ، أَمْرًا بِمَا يَفْتَرِحُ لِنِظَامِ هَذَا الدِّيَّانِ وَكُتَابِهِ ، مُتَقَدِّمًا حَالٍ مِنْ إِذَا عَمَّرَ دَوَاءً فِي وَقْفٍ كَانَتْ سَبَبًا لِعُمُرَانِهِ أَوْ سَبَبًا - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى - لِحَرَابِهِ ، مُطَالِبًا مَنْ ظَنَّ أَنَّ حِسَابَهُ يَهْمَلُ فِي دَهْرِ هَذِهِ الْمُبَاشَرَةِ «فَكَانَ حِسَابُ النَّهْرِ غَيْرَ حِسَابِهِ» ؛ مُتَخَيِّرًا مِنَ الْكُفَاةِ كُلِّ مَا ثَوَّرَ الْفِضِيلَةَ ، وَمِنْ الْأَمْنَاءِ كُلِّ مَأْمُونِ الرِّذِيلَةِ ، وَمِنْ الْقَوَامِ كُلِّ مَنْ لَا يَقْعُدُ عَنِ الْوَاجِبِ ، وَمِنْ الْوَقَادِينَ كُلِّ مَنْ لَا يُعَابُ بِطُولِ الْفَتِيلَةِ ، جَاعِلًا تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ مَا يَأْتِي وَيَذُرُّ سَابِقَهُ إِلَى الْقَوِزِ وَدَلِيلَهُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُمِيتُهُ بِالسَّدَادِ ، وَيَصِلُ مَفَاحِرَهُ بِالسَّنْدِ وَيَحْرُسُ شَرَفَ بَيْتِهِ مِنَ السَّنَادِ ، وَيَجْعَلُ كُلَّ مَنْصِبٍ كَرِيمٍ بِاسْمِهِ وَقَلْبِهِ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ : «رَفِيعَ الْعِمَادِ طَوِيلَ النَّجَادِ» .



وهذه نسخة توقيع بنظر مدرسة الشيخ أبي عمر، من إنشاء ابن نباتة، كتب به للقاضى «تقى الدين» بالخطاب العالى، وهى :

الحمد لله الذى عَمَّرَ عَهْدَ التُّقَى بِتَقِيَّةٍ ، وَأَقَرَّ نَظْرَهُ بِمُشَاهَدَةِ أَبْيَضِ الْعَرِضِ تَقِيَّةً ،
وَأَخْصَبَ مَنَازِلَ الْأَوْلِيَاءِ بِمَنْ يُنُوبُ تَشْمِيرُهُ وَتَقْدِيرُهُ عَنِ الْغَيْثِ مَنَابَ وَلِيَّةٍ ، وَمَنْ إِذَا
شَهِدَ مَقَامَ الزُّهَادِ بِمَعْرُوفِهِ شَهِدَ مَدَادَ الْعَزَمِ بِسِرِّيَّةٍ .

نَحْمَدُهُ عَلَى جَلِّ اللَّطْفِ وَخَفِيَّةٍ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
شَهَادَةً وَإِنِّ الْحَقَّ وَفِيهِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ أَكْرَمَ بَعْدِهِ وَنَبِيَّهُ ، وَرَسُولَهُ
وَصَفِيَّهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً يَمْزُجُ أَرْجُحَهَا كَافُورَ صَبَاحِ النَّهَارِ بِمِسْكِ
عَشِيَّةٍ .

وبعد ، فغير النظر ما كان به الثواب مأمولاً ، والعمل مقبولا ، والآخرة للناهض
فيه خيرا من الأولى ، وتخير الأكتفاء لمناصبه الدينية سببا لخير الدارين موصولا .

ولما كانت المدرسة الصالحية بجبل الصالحية المعروفة بالشيخ العارف أبي عمر:
رضى الله عنه وأرضاه، ومسقى سبل الغيث آثاره الطاهرة وثرأه، مما يتعين في مصالحها
حسن النظر، ويتبين في القيام بأمرها فضل الآراء والفكر؛ إذ هى زاوية الخير
النافعه، ومدرسة الذكر الجامعه، وعُشُّ القرآن المترنمة أطيأه بحققان القلوب
الخاشعه؛ وصفة الفقراء الذين لا يسألون الناس إلحافا، والأصفياء من الطمع الذين
لا يتقاضون الدهر إنصافا وإن صافى؛ ومتركن سوايق الأعمال والأقوال، ومقر

الْقُرَاءَ وَالْقِرَاءَةَ عَلَى سَمَرِ اللَّيَالِي الطَّوَالِ، وَمَعْدِنُ التَّلَاوَةِ الْمَأْتُورِ غَنَائُهَا فِي ذَلِكَ الْجَبَلِ
وَمَا كُلُّ الْمَعَادِينِ وَلَا كُلُّ الْجِبَالِ؛ وَالْبَيْتَةُ لِلَّهِ وَتَحْتَاجُ مَنْ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ فِي وَقْفِهَا،
وَيَحْفَظُ مَسَالِكَ جَمْعِهَا وَصَرَفِهَا، وَيَمْتَنِي حَالِ دِرْهِمِهَا بِتَدْيِيرِهِ الْوَاقِي : فَرُبَّمَا أَبْقَتْهَا
الْأَحْوَالُ مِنْهُ عَلَى نَصْفِهَا .

وَكَانَ فَلَانٌ مِمَّنْ لَحَظَ أُمُورَهَا عَلَى بُعْدِ فَشُخْفِ الْمَحُوطِ بِالْإِلَاحِظِ ، وَحَفِظَهَا عَلَى
تَأْيٍ فَكَأَنَّمَا رَوَتْ بِالْإِجَازَةِ عَنْ الْحَافِظِ ؛ وَأَدَارَ عَلَيْهَا مِنْ رَشَفَاتِ قَلَمِهِ نَقَبَةُ السَّائِي ،
وَأَنْهَلَهَا شَرِيَّةٌ مَضَى بِهَا مَا مَضَى مِنْ تَعَدُّ الْمَسَالِ : وَفِي الْجَرَائِدِ بَاقِي يُطَلَّبُ الْبَاقِي ؛
وَسَأَلَ أَهْلَهَا بَعْدَ ذَلِكَ مَلَازِمَتَهُ لِلنَّظَرِ فَلَزِمُوا ، وَرَفَعُوا قِصَصَهُمْ فِي طَلَبِهِ لِهَذِهِ الْوُظُفَةِ
بِجَزْمٍ ، وَكَيْفَ لَا ؟ وَهُوَ نِعَمُ النَّاطِلِ وَالْإِنْسَانِ ، وَفِي مَصَالِحِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ذُو الْيَدَيْنِ
وَاللِّسَانِ ، وَذُو الْعِزَامِ الَّتِي تَقِيَّتْ فِي حُبِّهِ الرُّتْبُ : « وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ » ، وَالْمُتَقَدِّمُ
فِعْلُهُ وَرَأْيُهُ فِي الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ ، وَالْمَأْمُونُ الَّذِي يُعْزَى إِلَى عَقِيلَةٍ نَسَبَةِ الرَّشِيدِ
وَلَا عَجَبَ أَنْ يُعْزَى الْمَأْمُونُ إِلَى مَرَاجِلِ^(١) ، كَمْ جَرَتْ أَلْسِنَةُ الْأَوْقَافِ بِأَوْصَافِهِ ، وَكَمْ
رَوَى الْجُلَاحِصُ الصَّحِيحُ خَبْرًا عَنْ مُسَلِّمٍ عَفَافِهِ ، وَكَمْ جَلَّدَ لِبَنَاتِهِ زُنُفَرًا بَعْدَ مَا كَادَ نَادِبُ
الرُّسُومِ يَقِفُ عَلَى أَحْقَافِهِ ؛ كَمْ وَقَرَ عَلَى الْإِيْتَامِ مِيرَاتٍ وَفَرَّهَا ، وَكَمْ قَالَ اخْتِبَارُ الْمُلُوكِ
الْبَاقِيَةِ : « لَأَشْكُرَنَّكَ مَا حَيَّتْ » فَقَالَ مَا ضَى الْمُلُوكِ ذَوِي الْأَوْقَافِ : « وَلَتَشْكُرَنَّكَ
أَعْظَمَى فِي قَبْرِهَا » - فَاقْتَضَى الرَّأْيُ أَنْ يَحَابَ فِي طَلَبِهِ الْمُهِّمِ سَوَالُ الْقَوْمِ ، وَأَنْ يَتَّصَلَ
أَمْسُ الْإِقْبَالِ بِالْيَوْمِ ؛ وَأَنْ تَبْلُغَ هَذِهِ الْوُظُفَةُ أَمَلَهَا فِيهِ بَعْدَ مَا مَضَتْ عَلَيْهَا مِنَ الدَّهْرِ
مَلَاوَهُ ، وَهَذِهِ الْمَدْرَسَةُ الَّتِي لَوْلَا تَدَارُكُهُ لَكَانَتْ كَمَا قَالَ الْخُرَازِمِيُّ : « مَنَارِسُ آيَاتِ
خَلَّتْ مِنْ تِلَاوَةٍ » .

(١) يشير إلى المأمون بن هرون الرشيد العباسي وأمه مراجل .

ولذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال يُراعى مصالح المؤمنين - أن يفوض إليه النظر على هذه المدرسة المعمورة، وأوقافها المبرورة؛ إجابة لسؤال من فيها من جماعة الفقهاء ورغبتهم فيه، وأرتقايم لعزيمه الذى إذا نظره حالها الأول تلا فيه تلافيه؛ على أن يتيسر فى أمرها شرط الواقف برأى غير قاعد، وإن كان لا يزيد فيها على أربعمائة فقر إلا أن يزيد ربع الوقف وهو - إن شاء الله - يركته وهيمته زائد.

فليباشر ما فوض إليه مباشرة من إذا بدأ أعاد، وإذا دعى لمثل هذا الحال الضعيف طُلب وعاد؛ ممثرا لما لها - على عادة فُصين قلبه الأخضر - أتمارا، مُستخلصا للبواقي من أربابها التى تنهب العين وتدعى لفتراتها أنيكاسا؛ فاعلا فى حال هذه المدرسة بالمعطف، مُساويا فى المُواساة بين قُرواتها عند الميزان والصرف، نازلا بنور بشره ووده بينهم منازل القلب والطرف؛ مُجهزا بجيش عُسرتهم فإنهم جمع للتلاوة والصلوات، مُطلعًا لخبرهم فإنهم أجتادُ صفوف الانحمار وسلاحهم الدعوات؛ وتقوى الله تعالى مُشتق منها أسمه فتكن شقيقة نفسه فى الخلوات؛ والله تعالى يحفظ عليه حقا نفيسا، وقدرا للنجوم جليسا، ويحيى به ميت الوظائف حتى يقال: أَسْلِيَانُ أَنْتَ أُمِّ عَيْمَى ؟



وهذه نسخة توقيع بخطابة الجامع الأموى، من إنشاء آبن نبأته، كُتب به باستمرار القاضى تاج الدين «الجناب العالى» وهى :

الحمد لله الذى رفع للناس رؤسا باستقرار تاجها، وجمع لصلور المحارب شملا بعوائد أيتها جها، وزين مواقع النعم بالتكرار كما ترائن لآلى النظام بازديادها، وبين مطالع الفرج بعد النعم؛ وما النعم إلا ليل غمة ثم صبح أنفراجها .

نحمدُه على مَعَادِ الآمالِ ومَعَايِجِها ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له
شهادةً تَمْشِي البصائرُ إلى الحقِّ يسراجِها ، ونشهدُ أنَّ محمدًا عبده ورسوله القائمُ على
المنابرِ لمداواةِ الفُهومِ وعِلاجِها ، ومُداواةِ الخُصومِ وجِجَاجِها ، القائلُ له تَأْدِيبُ رَبِّهِ :
(وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ) آيَةٌ تَسْرِي القُطنَ على مِنهاجِها ، صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله
وصحبه بِجُورِ النِّعمِ والنعَمِ عَندِها وأَبْجَاجِها ، وبُذُورِ مَسَاجِدِ التُّقَى ومَشَاهِدِ الوَعَى عند
عِجَاجِ لَيْلِها وَلَيْلِ عِجَاجِها ، صلاة كَصَلَاتِهِمْ أَمَنَةٌ مِنْ خِذَالِجِها ، ما مَدَّتْ قَهَحَاتُ
الروضِ إلى غَالِطَةِ سِيرِهِمْ يَدَ احْتِجَاجِها ، وما زَجَّتْ مَعَالِيهِمُ النُّجُومَ لِحُسْنِ بَكَّاسِ
الْقُرَى شَرْفَ أَمْتِجَاجِها .

وبعدُ ، فإنَّ أَوَّلَى الناسِ باستقرارِ مَنَاصِبِ الدِّينِ العَرِيقَةِ ، وأَسْتَقْرَارِ عُلُوقِ
الدَّرَجَاتِ : إِمَامٌ مِنَ المَرَاتِبِ مجازًا وإِمَامٌ مِنَ المنابرِ حَقِيقَةً ، وأَسْتَقْرَارِ الوُضَائِفِ بِيادةِ
فَضْلِهِ ولا سِيَمَا أَعْوَادِ الخُطَابَةِ ، وأَسْتَبْصَارِها بِلَفْظِهِ ولا سِيَمَا إِذَا مُسَلِّمَتِ الرِّايَةُ
العِبَاسِيَّةُ مِنْ نَفْطِهِ لِعَرَابِهِ - مِنْ دَرَجٍ مِنْ عَشِّ فُرُوعِها خَافِقًا طِيَهُ جَنَاحًا حَلَمِيهِ ،
وصَعِدَ إلى عَرَشِها مُقَبَّلَةً بَنَظَرَاتِ الحُقُونِ المُتَسَامِيَةِ آثارَ قَدَمِيهِ ؛ وأَعْرَقَ نَسَبُهُ
فِي مَوْطِنِ مَكَانِهَا المَكِينِ ، وَبَلَغَ مَقَامَهُ مَقَامَ سَلَفِهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً فِي الطُّلُوعِ بِأَفْقِهَا المُنِيِّ ،
وَقَالَ اسْتِحْقَاقُ مِيرَاثِهِ : ”وماذا تَدْرِي الخُطْبَاءُ مِنِّي“ * ”وقَدْ جَاوَزْتُ“ بِمَقَامِ السَّلَفِ
”حَدَّ الأَرْبَعِينَ“ ؛ وَمَنْ إِذَا سُمِعَتْ خُطَابَتُهُ قَالَ الحَفَلُ : لا فُضَّ فُوهُ ، ولا عُلِمَ الْبَيْتُ
ولا بَنُوهُ ، وَمَنْ إِذَا طَلَعَ دَرَجَ المُنْبَرِ قال المُسْتَجِلُّونَ لِسَنَاهِ : أَهْلَ البَدْرِ؟ قِيلَ لَهُمْ :
أَخُوهُ ؛ وَمَنْ إِذَا قامَ قَرِيبًا عَدَّ بِأَلْفٍ مِنْ فَرَائِدِ الرِّجَالِ تُنْظَمُ ، وَإِذَا أَقْبَلَ فِي سَوَادِ
طَلِيسَانِهِ واحِدًا قِيلَ : جَاءَ السَّوَادُ الأَعْظَمُ .

ولما كان فلانٌ هو معنى هذه الإشارة ، وحقوى هذه العبارة ، وصتر هذا التصدير : ومن سواه أحق بصفات الصدارة ؟ ، ومن إذا ضرب المثل بالخطابة النبائية في حلب قال لخطابته بدمشق : «إياك أعني فاسمعي يا جاره» ؛ ومن نشأ في محل تغار طيب المعاهد ، ومن وضع رجله على المنابر ومدّ عزمه إلى الفراقيد ، ومن شمر في أوائل عمره إلى العلياء وحيدا وخلف دونها من أتاده ألف راقد ؛ ومن إذا صعد لخطابة أشد الحفدة :

ولما رأيت الناس دون محله * تيقنت أن الدهر للناس ناقد

وكانت خطابة الجامع الأموي المعمور بذكر الله تعالى بدمشق المحروسة هو الذي كلّ بيان إلى حسنه يُشير ، وكلّ ذى مذهب إذا عاين تصنيف وضعه قال هنا لفقهِ الحامس هو الجامع الكبير ؛ ميزابه (؟) المسلم لرشده ، المُعلم بطرازى تسبه ورشده ، المقدم ليد نصرته مئيف خطابة لا يخرج بيد الاستحقاق عن حده ؛ تكاد المنابر تعود للنشأة الأولى طربا لسجع بيانه ، يُسهب ويقول الناس ليته لا اختصر ، ويؤثون لو ليس كل يوم سواد أهيتيه وزيد فيه منهم سواد القلب والبصر ؛ وعارضه من العظاء الكفاة من نوى بدلا فأبى حنوا الدولة إلا عطفًا ، ونأزله وأرد من القضاء ولكن أنزل الله عليه مع القضاء لطفًا .

ولذلك رُسم بالأمر الشريف أن يستقر على عادته في خطابة الجامع المذكور ، وما يتعلق بذلك : من تدريس وتصدير ، وتقرير وتقدير ، وتأثيل وتأثير ؛ ومحكوم بالتفويض إليه ومحكم ، ومرسوم لا يُغير عليه ما رُسم به وما رُسم ؛ وأن يُمنع دليل

(١) الكلام هنا غير مستقيم ولعل الصواب «ولما كان فلان هو معنى الخ وكان الجامع الأموي هو الذى الخ تعين أنه المسلم ليه .

الاعتراض ويُدفع، ويكفّ حتى تتصل العتايه بهذا البيت الذي هو من بيوت أذن الله أن ترفع، وحتى يعلم أن قوماً أحسنوا صحبة النول فسعدوا، ونهوا عهود الخدمة لأعقابهم ومجدوا، وحتى يقول هذا النجل الظافر بعد آبائه وأخيه: ليت أشياحي يتدبر شهدوا .

فليعُد حليث منصبه القديم، وليقم إلى تشيف الأسماح من تثير لفظه بأهوى من العقد النظيم، وليفك أسر القلوب برواتب إشارته: فإنه «الفاضل عبد الرحيم»؛ وليبك السبون بوعظه وإن أقرها بمشاهدته، وليعرض على نحر الدولة الشريفة به كما نحر سيف الدولة بأبن نبأته .

وصايا هذه الرتبة منشعبة وهو على كل حال أدرب وأدرى بها، وما استقرت على قبض سيفها يده إلا ورجعت الحقوق إلى نصايها؛ وكذلك ما هو معنوق بوظائفه: من مدارس علوم، ومجالس نظير طائفة نظري كتبها وهو الصحيح نظرة في النجوم - لا يحتاج فيها إلى مطالعة الوصايا فإنه من كل أبوابها دخل، ولا يمر بها على أذنه ثم المبلغ فإنها من فيه أحلى ومن تسويج فيه أحل؛ ولكن التدكار بتقوى الله تعالى فيما يأتي ويذر أس جليل، ووجهه تتفاضل وجوه الألفاظ من ذكره على لفظ جميل، والألفاظ الخطيب المتقى إذا وصلت من القلب إلى القلب وفَت برى الغليل؛ والله تعالى يمدّه بالظافه، ويحريه على عوائد إسعاده وإسعافه، ويروى بصواب كله الأشماع وبصوب النمام عهود أسلافه .



وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة المسروية بدمشق، من إنشاء الشيخ صلاح الدين الصفدي، كُتب به للشيخ «تقي الدين السبكي» بـ «المقر الكريم» وهي:

الحمد لله الذى جعل نبيّ الدين علياً ، وأوجده فرداً فى هذا المَلَأ فكان بكلِّ علمٍ ملياً ، وأظهر فضله الجليل فكان كالصباح جلياً .

نحمده على نعيمه الذى تكاثرت فأنجَلت النعيم ، وتوفرت الأئمة على حمده فعملت أُنبياءها الحمايم ، وتأثرت بمواقفها الأحوال فأنملت زهر النمايل فى الكايم . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا شبهة تُمكن ما صفاً من لُجتها ، ولا ريبة تُورس ما تسهل من عَجبتها ، ولا ظلمة باطل تُكدر ما أثار من عَجبتها . ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى جُمعت فيه مكارم الأخلاق ، وتقدّر بمزايا منها أنه حبيب الخلق ، وشارك الأنبياء فى مُعجزاتهم وزاد عليهم بما أُتيح له من تحسيس لم يعطوه غيره منهم على الإطلاق . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين تفقهوا فى الدين ، وحازوا الأجور لما جروا إلى جز العلايم من المُلحدين ، وأنزلوا لما نازلوا أبطال الباطل والمعتدين من المعتدين ؛ صلاة يَفُوحُ نَسَمُ ربابها المتأرجح ، ويلوحُ وسيمُ عُجاها المتضرّج ؛ ما فرّج العلماء مضايق الجدل فى الدروس ، وقبّلت نُفُور الأقلام وجنات الطروس ؛ وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

وبعد ، فإن المدارس - عمرها الله تعالى بالعلماء - لو أقيمت شروط ، ولأهلها هم أنزلها بالتجوم منوط ؛ يفوضون بحور البحوث فى طلب الآلى ، ويقطعون خُلل الظلام بالسهر فى حبِّ المعالى ؛ سيما المدرسة المسرورية : فإن واقفها - آتاه الله تعالى - شرط فى المدرّس بها شروطاً قلَّ من يُلقها ، أو يتعلّى بعقودها أو يحلّها ؛ وكان مقرّفاً قد تحلّى بتأج تجوهر ، ومُفلقها قد ضمَّ منه فاضلاً تهملت به قواعد المنهّب لما تمهر ؛ فاعرض عنها ، ونقض يده منها ؛ رغبة فى الإقبال على شأنه ، وأنشطاً إلى مالك الأمر وديانته ؛ فخلا ربّهما من أنسه ، وكادت تكون طلالاً بعد درسه .

وكان فلان - أنسخ الله ظله - قد وافق بعض ما فيه شرط الواقف ، وشهد
بمشرعونه البادي والعاكف ، وطاف بكمبة فوائده كل طائف ، ينصرف عنه
باللغائف ؛ أما "التفسير" فإنه فيه آية ، وأما "الحديث" فإنه الرحلة في الرواية
والدراية ، وأما "الأصول" فإنه زار به الرأزي « حتى أختفى » ، وأما "الفقه" فلو شاء
أتمل في كل مسألة منه مصنفًا ؛ وأما "الخلاف" فقد وقع الاتفاق على أنه شيخ
المذاهب ، وأما "العربية" ف« الفارسي » يعترف له فيها بالغرائب ؛ إلى غير ذلك من
العلوم التي هو لها حامل الرأي ، وله بالتدقيق فيها أتم عناية ، ولذا كان أهل كل علم
في المبادئ كان هو في الناية .

فلذلك رسم بالأمر العالي - أعلاه الله تعالى - أن يفوض إليه كذا وكذا : وضعا
للشيء في محله ، ومنعًا لتاريخ ولاية غيره أن يفجا في غير مستهلته ؛ فالآن أمسى
الواقف مسرورًا على الحقيقة ، والآن جرى الخلاف فيها على أحسن طريقه ، وهو -
أنسخ الله تعالى ظله - أجل خطرًا من أن يذكر بشيء من الوصايا ، وأعظم قدرًا
من أن تذل ألمعيته على نكبتها الخفايا ؛ لأنه بركة الإسلام ، وعلامة الأعلام ،
وأوحد المجتهدين والسلام ؛ والله تعالى يمتع المسلمين ببقائه ، ويعلل درجات أرقائه ؛
والخط الكريم أعلاه الله تعالى أعلاه ، حجة في ثبوت العمل بمقتضاه ؛ إن شاء
الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة الناصرية الجوانية ، من إنشاء الصلاح
الصفيدي أيضًا ، كتب به للقاضي ناصر الدين « محمد بن يعقوب » كاتب السريومند
بالشام ، حين عاد إلى تدرسه بها بعد انفصاله عنه ، به «المقر الكريم» وهي :

الحمد لله الذى بدأ النعم وأعادها ، وأفاء المنّ وأفادها ، وزان المناصب السيئة
 بمن يليها وزادها ، وشاد عماد المال بأربابها وصانها عماد دهي .

نحمده على نعمه التى بدأت بالمعروف وتمت ، وخصصت بالإحسان وعممت ،
 وبرأت من التقايص وسكنت ، وقلت بالألطف الخفية صوارم الحوادث وتلكت .
 ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تضيء بها الحنادس ، وتزكو
 بانوائها منابئ الإيمان والمغارس ، وتسمو بأفتانها إلى عليين النفوس الثغاس ،
 ويرفخ المؤمنون بإعلانيها من الكفار المعاطس ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله
 الذى نتم للناس مكارم الأخلاق ، وأنجل بمجود كفه الفيض صوب النيت الدفاق ،
 وفصح البدر اللياح فى الدجى بنور جبينه البراق ، وهنم النبیین والمرسلين فى حبة
 الشرف على جواد فضله السباق ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أعلی من نصبوا
 للهدى أعلاما ، وأرقى من أصبح العلم لفضيلهم الباهر رقاما ، وأحل من كان الزمان
 بوجودهم وجودهم للعفاة أحلاما ، وأقوى من كان الإيمان بهم إذا استنجد على
 الكفر أقراما ؛ صلاة لا ينقذ لها أمد ، ولا يفتى لها مدد ، ما شب بارق ونعد ،
 وشفى الفلم طرف زهر من الرمد ؛ وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين .

وبعد ، فإن مدارس العلم الشريف لها الذكر الخالد ، والشرف الطارف والتأيد ؛
 بها تتيقن فوارس الجلال فى مضائق الجلال ، وتجلي بنور الكلام فى مطالع الكمال ،
 وتبدو شمس الجلال فيها لها من قسيح المجال ؛ والمدرسة الناصرية - أئاب الله تعالى
 وأقيفها - هى الواسطة فى عقودها ، والذرة الثمينة بلا كفى لها بين قيم تقودها ؛
 قد تدبج فيها البناء ، وتارج عليها البناء ، وتخرج عنها الحسن فإن له بها مزيد
 اعتناء .

وكان المقر الفلاني قد نفّض يده من عثائها، ورفض عن اختيار بهاء جنانها؛ وثقّ طلبته عن محاورتها، ورمى أميته من مجاورتها؛ فسأه من بها من أهل العلم فراقه، وأوحشهم وجهه الذي أنجل البسور روقه والبحر أندفاقه، وفقدوا مكارمه التي ما سمع «السمناني» بمثله ولا وصلت إلى «الصولي» ولا صحت أوراقه .

فلذلك رُمى بالأمر العالي أن يُعاد إلى تدريسه : لأنّ العود أمْدَحُ وأحمد، والرجوع إلى الحق أسعفُ وأسعد .

فلما شر ما فُوض إليه مباشرة ألفت من كمال أدواته، وعرفت من جمال ذاته ؛ فأشرا أعلام علومه المتنوّعة، وفضائله التي تقصّر عن الثناء عليها أنفاس الرياض المتنبّوّة ؛ فلوعاصره « ابن عطية » أمسك عنه في تفسيره ، أو « صاحب الكشف » لغطى رأسه من تفسيره ؛ أو « الرافعي » لأصبحت رأيه رأيه في الفقه خافضة رافعه، أو « النووي » رحمه الله لاستعمار منه زهرات روضته الباقية ؛ أو « الأمدئي » لما امتدّت له معه في أصوله خطوه ، أو « ابن الحاجب » لما كان له مع ابن الحاجب خطوه ؛ أو « ابن يعيش » لما ذكره في النحوي فكان فقيدا، أو « ابن مالك » لأسمى « تنبيهه » فقيدا ؛ أو « الشبلي » لعلم أنه ما شبّ له في التصريف مثل شبيله ، أو « ابن عربي » لأعرب عن مجمّة وما تمسك صوفي بجبله ، إلى غير ذلك من إنشاء إنشاء ساد فيه العبدان : « عبد الحميد » و « عبد الرحيم » ، وتظيم كلّما نظما إلى رشفه طاقت علينا قوافيه بكائس مزاجها من تسنيم ، وعلى الجملة فتفصيل معارفه يضيق عن فضها فضاء هذا التوقيع الكريم، وسرد محاسنه لا تتسع له حواش ، هذا البرد الرقيم ؛ ولكن أشارت أمثلة القلم منها إلى نبّهه ، وعلمنا أنّ القلوب تستأق إلى أوصافه قللنا لها من ذلك قلده .

وأما الوصايا فيثله لا يدرك بئى منها ، ولا يقال له : دَع هذه الودعة وهذه الدرّة صنّها ؛ لأنّ الأمر والنهى له فى ذلك ، وإذا أطلع بدور وصيّة صوّأ أحوال الديّاجى الحوَالِك ؛ ولكن تقوى الله عز وجل ذكرها فى كلّ توقيع طرازه المُعَلِّم ، ونكته التى طودها لا يثُل وحدها لا يثُل ، فليكن مُستصحب حَالها الحالى ، مُستصحب فراقها الذى يهونه البال البالى ؛ والله تعالى لا يثُل رُبوع العلم من أنسه ، ويعمل سَعته فى غِد زائداً كما زاد فى يومه على أنسه ، والخط الكرم أعلاه ، حجة فى ثبوت العمل بمقتضاه .



وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة النورية ، من إنشاء الشيخ جمال الدين ابن نباتة ، كُتب به لقاضى القضاة «نجم الدين الحنفى» بزلول والده عنها به «الكتاب الكرم» وهى :

الحمد لله الذى أتمى أهلة العلم فأبدرت ، وفروصه فأثمرت ، ونجومه فاستقلت مطالعها النورية وتوَّرت ، ولآله فى بحار اللفظ والفضل فتجوهرت ، وأنهاره التى أخذت فى المدّ مأخذ تلك البحار فاسترحبت وأسبحرت .

نحمده على نعمه التى قرّت وقرت ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة إذا خصلها اليقين وفرت ، وإذا نصلها الإخلاص مضت فى أوداج الباطل وفرت ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الحاكم فى فصل الأفضية لمّا شجرت ، والنائظم دُرر الإيمان حتى زهت فى أعناق العقائد وزهرت ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه فئة الحق التى ظهرت وطهرت ، وعصاية الإسلام التى سرت خلفها

(١) مستار من نصل السيف والرخ والسهم ركب فيه الاتصال وهو وحيد .

سرايا الدين نهاجرت في الله ونصرت، صلاة طيبة تحلو إذا تكررت، ونجاة باقية تُشْرِقُ شمسها إذا الشمس كورت، وتبقى صفحات شيرها إذا الصحف نُشرت .

أما بعد، فإن منازل العلم من خير ما أتى الآباء للأعقاب، وأكل ما دُخِرَ لُجَبَاءِ الأبناء على مدى الأقطاب، وأعدل ما شهد بلسان حاله المتمثل أن وكر العقاب لابن العقاب؛ وكانت المدرسة النورية الكبرى يدمشق المحروسة هي الوسطة والمدارس دُرر، والصبح وأوطان العلم غرر، ومزلة الحكم الأمنع، وبيت القضاء الذي أذن الله لقديره أن يُرفع، ومكان ذى اليد الماضى سيئف حكمه إذا قُرِعت العصا لذي الإصبع؛ وذات العباد التي أدخرها لنجله، وأعدت فضلهما في العباد والبلاد لفضله؛ وكان ذلك قد نزل لولده فلان عن الحكم على هذا الحكم، ونطق بجزية الاستحقاق وقلوب بعض الأعداء صم بهم؛ ورغب - أجله الله - فيما يرغب فيه من الانقطاع ذو السن العالى، والقدر العالى، وأنظم تقليده الشريف فكان أجود حلية على أجسن جيد حالي؛ ثم التوقيع بتدريس هذه المدرسة التي زُكّي في أهل الفضل شهيداً، ونظيرها الذي خلف في حكمه ولى عهدته عن أبيه: فله أمين هذه الخلافة ورشيدها .

ولذلك رُسم بالأمر الشريف أن يفوض إلى فلان تدريس المدرسة النورية ونظيرها: لاستحقاقه لها بشقعة منصب الحكم العزيز، ومثل الفضل الحريز، ووجيز التزول المكتتب، وقبول هبة والده الذي يعتاد أن يهب الجليل لمن يهب؛ وتشريفه بإتمامها النفيس، وإجلاله بها على مرتبة حكيم وبساط فكري ومجادة تدريس؛ وعلماً بأن نجم ذلك النير أولى بهذه المنازل، وشبل ذلك الأسد أحق

(١) لعله «وكان ذلك الامام الموصوف» أى والده نجم الدين .

(٢) نص أهل اللغة على أن السن بمعنى العمر مؤنثة .

بهذا الغائب المائل، وأنه كوكب هذا المذهب المتبر، وإمام جامعة المعروفين : كبير وصغير، وصاحب شبيبة العزم المقتبل، والرأي المؤي على قياس الأمل، وتجنيس الجود والإجاده، وتكميل بحري العلم والبر واجتهاد الزيادة، وأنه ممن آتاه الله رفعة في القدر والأسم، وزاده بسطة في العلم والجسم، وأحكم بديهة علمه فما تستوقف الأسماع رويته، وأعلاه وعظمه فما هو النجم الذي تستصغر الأبصار رؤيته .

فلما شرّ تدريس هذه المدرسة ونظرها بعزمه الباهر وصفا، التالي بلسان الحمد :
 ((إبراهيم الذي وفق))؛ جاريًا على أعراق نسبه المشهور، فائض اللفظ والفضل فإنه بحر من البحور، مظهرًا من مباحثه التي هلد القول بأبهى مما هلد النور، مهتديًا من رأيه ومن بركة الواقف - رضى الله عنه - بنور على نور، والله تعالى بزين بجمه أوفق السيادة، ويزيد فيما وهبه من الفضل إن كان التمام يقبل زياده .



توقيع بتدريس المدرسة الريمانية الحنفية، من إنشاء ابن نباته، كتب به للقاضي «عماد الدين الحنفى» بهـ الحناب الكريم» وهو :

الحمد لله الذى جعل مدارس العلم بذات عمادها، وصاحب ثقلها واجتهادها، ومثمر عهدا ومثقى عهدها، وواصل مناسبا التي لو آدتها دونه زيد أكانت دعوى زيادها، ومفصيح فتاويها على منبر قلم أهر عوده وتفتح وأطرب : فتأهيك بثلاثة أعوادها ! .

نحمده على نعمه التي قصى الحمد بأزديادها، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تعكها النفس لمعادها، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله هادى الأمة

إلى سبيل رَشَادِهَا ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ بِحَارِ الْعِلْمِ وَأَطْوَادِهَا ، مَا قَامَتْ
الطُّرُوسُ وَالسُّطُورُ لِعُيُونِ الْأَلْفَاظِ مَقَامَ بَيَاضِهَا وَسَوَادِهَا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ لِمَذَاهِبِ الْعِلْمِ رِجَالًا يَوْصَحُونَ طُرُقَهَا ، وَيَتَدُونُ فِي الْمُبَاحِثِ طَلَقَهَا ،
وَيَعْمُرُونَ مَدَارِسَهَا : فَيَالَهَا مِنْ ذَاتِ دُرُوسٍ يَكُونُ الْعُمَرَانُ مُعْتَلِقَهَا وَمُعْتَنِقَهَا ! .

وَلَمَّا كَانَتْ الْمَدْرَسَةُ الرَّيْحَانِيَّةُ يَبْتَشِقُ فِي أَيْدِي الْعُلَمَاءِ نُجْمَةٌ رِيْحَانِيَّةٌ ، وَشَقِيقَةٌ
نَفِيسٌ نُعْمَانِيَّةٌ ؛ مَاهُولَةٌ الْمَنَازِلِ وَبِكُلِّ ذِي فَضْلٍ جَلِيٍّ ، وَطِلْمٌ مَلِيٍّ ؛ وَوَصِيفٌ
كَرِيمٌ ، وَنَفِيسٌ نَفِيسٌ يَتَقَاءُ مِنْهَا رَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ ؛ وَخَلَّتِ الْآنَ مِنْ إِمَامٍ
كَرُمَتْ خِلَالُهُ ، وَعَظُمَتْ خِصَالُهُ ، وَمَضَى وَتَمَضَى وَمَا يَبْقَى إِلَّا اللهُ جَلَّ عَنْ الْحَوَادِثِ
جَلَالُهُ - فَتَعَيَّنَ أَنَّ نَحْنَارَ التَّدْرِيسِ مَكَانَهَا مِنْ يَفْتَخِرُ بِهِ الْمَكَانُ وَالزَّمَانُ ، وَيَتَشَيَّدُ
بِزِيَادَةِ عِلْمِهِ لِصَاحِبِ مَذْهَبِهَا أَضْعَافٌ مَا شَهِدَهُ زِيَادَ اللَّتَمَانِ ؛ مِنْ شَيْدِ الشَّرِيعَةِ
الشَّرِيفَةِ مَقَالَهُ وَمَقَانَهُ ، وَعِلَافَةِ عِمَادِهِ إِلَى عُقُودِ الشُّبُهَةِ فَتَهُ مُرَادُهُ وَمَرَامُهُ ، مِنْ
لَوْ حَاصِرِهِ «أَبْنِ الْحُسَيْنِ» لِحَسَنِ أَنْ يَعْتَرِفَ بِقُدْرَةِ الْجَلِيلِ ، وَقَالَ عِنْدَ حَاضِرَةِ بَحْثِهِ
كَمَا قَالَ «أَبُو يَوْسُفَ» : فَصَبْرٌ بِجَمِيلٍ ؛ وَاسْتِرَادَ «شَمْسَ الشَّرِيعَةِ» فَكَيْفَ «السَّرَاجِ»
مِنْ لَمَعَةِ الْبَرِيقَةِ ، وَقَالَ «أَبْنِ السَّاعَاتِي» : مَا رَأَيْتُ أَرْفَعَ مِنْ هَذَا الْقَدْرِ دَرَجَةً
وَلَا أَبْدَعَ مِنْ هَذَا اللَّهْنِ دَقِيقَةً .

وَلِنَلِّكَ رُسْمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ عَالِيًا بِأَمْرِهِ كُلِّ عِمَادٍ ، زَاهِيًا بِجَمَادٍ مُلْكِهِ
كُلِّ نَاطِقٍ وَجَمَادٍ ، أَنْ يَفُوضَ لِفَلَانٍ لِأَنَّهُ الْمَعْنَى بِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَوْصَافِ
الْحُلُولَةِ إِذَا تَكَرَّرَتْ ، وَالْمَقْصُودُ بِالْفَظَائِلِ إِذَا تَعَنُّوَتْ الْأَفْهَامَ وَتَيَسَّرَتْ ؛ وَالْمَعْوَدَةُ فَرَاغُ
مُبَاحِثِهِ الْمَفْرُوقَةِ بِـ «إِذَا الْكَوَاكِبُ أَتَتْ وَإِذَا الْبَحَارُ بَجَرَتْ» ؛ وَإِمَامُ الْمَذْهَبِ
الْحَنِئِيِّ وَالْحُكْمُ الْأَحْنَقِيُّ ، وَحَصَاةُ الْقَلْبِ الَّتِي تَنْسِفُ بِإِشَارَتِهَا جِبَالَ «النَّفْسِيِّ» ،
وَلِسَانُ النَّظَرِ الَّذِي أَشْرَفَ عَلَى بُعْدِهِ فَآخَتْنِي فِي قُرْبِهِ الْمَشْرِقِي ؛ وَصَاحِبُ الْفُنُونِ وَمَا

وَسَقَتْ، وَأَفَانِ الْحُكْمَ وَالْحِكْمَ وَمَا بَسَقَتْ، وَتَوَاتَرِ الْقَضِيلِ وَالْفَضَائِلِ وَمَا عَطَفَتْ
من البيان وَنَسَقَتْ .

فَلْيَتَوَلَّ تَدْرِيسَ هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ الْمَعْمُورَةِ مُؤَيِّدَ الْوَلَايَةِ، مُجْتَدِدَ الْبَدَايَةِ لِحَنِيفِيَّتِهَا
وَالنِّهَايَةِ، سَاجِدًا قَلَمَ الْفَتَاوَى وَالْفُتُوحِ كَلِمًا تَلَا كَرَمُهُ وَكَلِمَةً بَعْدَ آيَةٍ مُنْفِقًا مِنْ
أَلْفَاظِهِ حَتَّى يَسْتَفْنِيَ عَنْ «الكَثَرِ» وَصَاحِبِهِ، وَيُرَدِّدَ فِرْعَ الْمَقَالِ عَلَى الْأَصْلِ وَطَالِيهِ؛
وَيُعْرِضَ عَنْ أَعَارِضِ «الْهَيْسِطِ»، وَيُفَرِّقَ فِي أَفْكَارِ وَارِدِهِ «الْمَحِيطِ». وَيَمْدِّ سَمَاطَ
الْعِلْمِ الَّذِي وَفَى بَعْدَ «الْقُدُورِيِّ» وَمَا خَانَ، وَتَفْخَرُ بِقَاضِيَا أَعْظَمَ مَدِينَةٍ فَا يَضُرُّهَا
فَقْدُ «قَاضِي خَانَ»، وَتُنْذِرُ الْمَقْدِمِيَّةَ مِنْ طَلَبَتِهِ فَوَائِدَ الْحَلَقَةِ، وَيَنْتَقِلَ الْجَنَابُ
الْكَرِيمَ مِنْ تَهْدِيمَتِهَا إِلَى مَا هُوَ أَوْفَى فِي الْفَرَضِ وَأَوْفَى فِي التَّفَقُّهِ؛ وَاقِهِ تَعَالَى يَزِيدُ رُتَبَ
الْعِلْمِ بِهِ سُرُورًا، وَيَجْعَلُ لَهُ بِاسْتِظْلَاعِهَا كِتَابَ حُكْمٍ وَحِكْمٍ يَلْقَاهُ مَنُشُورًا .



وهذه نسخة توقيع بتصدير بالجامع الأموي، كتبت به لقاضي القضاة «علم الدين
أَبْنُ الْقَفْصِيِّ» قَاضِي قِضَاةِ دِمَشْقَ : «الْمُقَرَّرُ الشَّرِيفُ» وَهِيَ مِنْ تَلْفِيقِ كُتَّابِ
الزَّمَانِ . عَلَى أَنَّهَا بِالْمَدْرَسِ الْأَيْقُ مِنْهَا بِالْمَصْدَرِ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْلَى عِلْمِ أَيْمَةِ الدِّينِ إِلَى أَعْلَى الْغُرَفِ، وَمَيَّزَهُم بِالْعِلْمِ الشَّرِيفِ الَّذِي
يَسْمُو شَرْفَهُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ، وَأَوْضَعَ بِهِمْ مَنَهِجَ الْحَقِّ الْقَوِيمِ فَعَلًا بِإِزْشَادِهِمْ سَبِيلُ
الْهُدَى وَأَنكَشَفَ .

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَفَاضَ مِنْ نِعَمِهِ الْمَتَوَاتِرَةِ كُلِّ حِينٍ، وَنُشْكِرُهُ عَلَى إِحْيَاءِ مَعَاهِدِ
الْمَعَايِدِ بَيْنَ حَدَا حَتَوِ الْأَوْلِيَاءِ الْمُتَّقِينَ؛ حَمْدًا يُظْهِرُ الْآيَاتِ الْمَحْمَدِيَّةَ وَالْبَرَاهِينَ،
وَيَبْسُطُ ظِلَّ مَنْ هُوَ عَنِ الْحَقِّ لَا يَمِينُ. وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ

رَبُّ الْعَالَمِينَ ، الَّذِي عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ وَهُوَ الْعَالِمُ بِمَا تُخْفِي الصُّدُورُ وَيَعْلَمُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَوْتِيَ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، وَكَانَ مِنْ دَمَائِهِ لَشَيْبَةٌ : « اللَّهُمَّ فَتَّحْهُ فِي الدِّينِ » . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ عَمِلُوا بِمَا عَلَّمُوا فَكَانُوا أَيْمَّةَ الْمُسْلِمِينَ ، وَالْعُمَدَةُ عَلَى أَقْوَالِهِمُ الَّتِي تَقْلُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ، عَلَى تَوَالِي الْأَيَّامِ وَالْجَمْعِ وَالْأَشْهُرِ وَالسِّنِينَ ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَلَمَّا كَانَتْ أَعْلَامُ الْعُلَمَاءِ فِي الْإِفَاقِ مَنْشُورَةً ، وَرُبُوعُ الْفَوَائِدِ بِطَرِيقَتِهِمُ الْمَثَلِيِّ مَعْمُورَةً ، وَصُدُورُ الْمَعَادِ الشَّرِيفَةِ مَحْتَاجَةً إِلَى صِلَتِهَا بِكُفِّهَا الْفَرْدَ مَسْرُورَةً ؛ وَكَانَ فَلَانٌ - أَسْبَغَ اللَّهُ تَعَالَى ظِلَالَهُ ، وَضَاعَفَ جَلَالَهُ - هُوَ الَّذِي مَلَأَتْ مُبَاشَرَتُهُ الْعُيُونَ وَالْأَسْمَاعَ ، وَانْقَلَبَتْ عَلَى تَقْرِيدِهِ فِي عَصْرِهِ كَلِمَةُ الْإِجْمَاعِ ، وَأَشْتَهَرَ ذِكْرُهُ الْجَمِيلُ بِأَنْوَاعِ الْمَكْرَمَاتِ وَأَطَاعَتِهِ مِنْ مُشْكِ الْمُنْتَهَبِ مَا هُوَ عَلَى غَيْرِهِ شَدِيدُ الْإِمْتِنَاعِ ؛ وَأَصْحَحَتْ فُضَائِلُهُ « الْمَدُونَةَ » وَلَفَظُهُ الْجَلَّابَ ، وَكَتَفُهُ « الْمَوْطَأَ » لِلطَّلَبَةِ يُغْنِيهِمْ عَنْ مَعَاهِدِ « عَبْدِ الْوَهَّابِ » ؛ وَعَزَمَتِهِ لَا يُلْحَقُ غُبَارُهَا فِي الْمَعَارِكِ ، وَلَا يَظُنُّ خُدَّامُ الْعُلُومِ الشَّرِيعَةِ وَالْأَدَبِيَّةِ إِلَّا أُمَّ مَالِكٍ وَأَبْنَ مَالِكٍ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لِأَزَالِ يَجْمَعُ لِمَنْ بَرَعَ فِي الْعُلُومِ مِنْ أَلْوَانِ الْمَنَاصِبِ الْمُخْتَلَفَةِ ، وَيَرْفَعُ قَدْرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ قَلْبُهُمْ عَلَى التَّقْوَى مُؤْتَلِفَةٌ - أَنْ يَسْتَقَرَّ الْمَشَارُ إِلَىهِ فِي وَظِيفَةِ التَّصْدِيرِ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ بِدِمَشْقِ الْحَرُومَةِ - عَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِذِكْرِهِ - عَوَضًا عَنْ فَلَانٍ يُحْكِمُ تَرْوِيلَهُ عَنْهُ بِرِضَاهُ ، حَمَلًا عَلَى مَا بِيَدِهِ مِنَ التَّرْوِيلِ الشَّرْعِيِّ ، بِالْمَعْلُومِ الَّذِي يَشْهَدُ بِهِ دِيْوَانُ الْوَقْفِ الْمُبْرُورِ ، عَلَى أَجَلٍ طَائِلٍ ، وَصَرَفَهُ إِلَيْهِ مُهَنَّا مَيِّسَرًا أَسْوَةً أَمْثَالَهُ .

فَلْيُبَاشِرْ هَذِهِ الْوِظِيفَةَ عَلَى عَادَةِ مُبَاشَرَاتِهِ الَّتِي حُفَّتْ بِالْعُلُومِ ، وَأَفْتَخَرَتْ بِمُحْسِنِ الْمَنْطُوقِ الدَّلَالِ عَلَى الْمَعْنَى الْمَفْهُومِ ؛ وَيُنَدِّ مَوَائِدَ عِلْمِهِ الْمُحْتَوِيَةِ عَلَى أَنْوَاعِ الْفَضَائِلِ ،

وَلِيَّتَيْنِ مَا يَتَخَيُّ عَلَى الطَّلَبَةِ بِأَوْضَحِ الدَّلَائِلِ ؛ وَلِيُؤَدَّ الْفَوَائِدَ الْوَاصِلَةَ إِلَى الْأَنْهَانِ عَلَى أَحْسَنِ أُسْلُوبٍ ، وَلِيَقَرِّرَ الْأَصُولَ الَّتِي أَمْتَدَّتْ فُرُوعُهَا بِقَوَائِدِ السُّنَنِ الْمَحْمَدِيَّةِ وَفِي ثَمَرِهَا الْجَنِّيَّ تَقْوِيَةَ الْقُلُوبِ ؛ وَلِيُكْرِمْ مِنْهُمْ مَنْ يَبْضُغُ فَضْلَهُ لَدَيْهِ وَيَبِينُ ، وَلِيَنْسُطَ هَمَمُهُمْ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» . وَلِيُوضِّحَ طَرِيقَ إِرْشَادِهِ لِيَسْتَهْلَ سُلُوكَهَا عَلَيْهِمْ ، وَلِيَجْعَلَ وَفُودَ فَوَائِدِهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَاصِلَةً إِلَيْهِمْ ، وَلِيَتَّبِعَ «إِمَامَ دَارِ الْهِجْرَةِ» فِي مَذْهَبِهِ الْمَذْهَبِ ، وَلِيَحْلِذَ مِنْ صِفَاتِهِ الْجَمِيلَةِ مَا يَنْهَى الزَّمَانُ وَلَا يَنْهَى ؛ وَلِيَسْمَحَ لِلْفَقَهَاءِ بِوَاصِلَةِ فَضْلِهِ الْأَعْمِ ، فَإِنَّهُ أَنْ يُهْدَى بِهِ وَاحِدٌ خَيْرٌ مِنْ مِائَةِ النَّعَمِ .

وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَمِنْهُ يُطَلَّبُ بَيَانُهَا ، وَبِهِ تَقْوَى أَسْبَابُهَا وَيَعْلَمُ بُنْيَانُهَا ؛ وَلَكِنْ الذِّكْرُ نَبْعُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيُظْهَرُ [بِهَا] مِرْخَبُهُمْ وَيَسْتَدِينُ ؛ وَتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى هِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى ، وَالْخَصْلَةُ الَّتِي بِهَا يَعْظَمُ كُلُّ وَاحِدٍ وَيَرْقَى ؛ فَلْيُؤَاظَمْ عَلَيْهَا ، وَلْيَصْرِفْ وَجْهَ الْعَيْنَةِ إِلَيْهَا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى الْمَسْئُولُ أَنْ يَجْعَلَ عِلْمَ عَلَيْهِ دَائِمًا فِي الْإِفَاقِ مَنْشُورًا ، وَذَكَرَهُ الطَّيِّبُ عَلَى أَلْسِنَةِ انْخِلَاقِ كُلِّ أَوَانٍ مَذْكُورًا .

المرتبة الثانية

(من تَوَاقِعِ أَرْبَابِ الْوِظَائِفِ الدِّينِيَّةِ بِمَحَاضِرَةِ دِمَشْقَ -
مَا يَجْتَنِعُ بِهِ «أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ» وَفِيهَا عِدَّةُ وَظَائِفَ)

وهذه نسخ تَوَاقِعِ مِنْ ذَلِكَ .

تَوَقَّعُ بِقَضَاءِ الْعَسْكَرِ بِدِمَشْقَ ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي شَمْسِ الدِّينِ «مُحَمَّدِ الْإِخْنَانِي» الشَّافِعِيَّ ، بِ«الْجَنَابِ الْعَالِي» وَهُوَ :

أما بعد حمد الله تعالى مضاعف النعمة ، ومُرادف رُتب الإحسان لمن أخلص في الخُلُصه ، ومُجَدِّد منازل السعد لمن أطلعت كواكب أهتمامه في آفاق الأمور المِهْمه ؛ والصلاة والسلام الأتمين الأتكلين على سيدنا محمد وآله الذي بشر بنصر هذه الأمة ، ووعد بأن سيكشف به غمام كل عُمه ، وأنه يتجاوز عن أهلها بشفاعته وكيف لا ؟ وقد أرسل للعالمين رحمته ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تُجزل لقائلها نصيبه من الأجر وتوفر قسمه . فإن أحق الأولياء من تأكدت له أسباب السعادة ، وكافأناه بالحسنى وزادته ، وبلغناه من إقبالنا غاية ما ربه ومطالبيه ؛ وعرفت منه العلوم التي لا يسك فيها ، والنباهة التي لا يقدر أحد من أقرانه يوفيا ؛ والخبرة الوافية الوافره ، والديانة الباطنة والظاهرة ؛ وسار بعلومه المثل ، وسلك مسلك الأولياء في العلم والعمل ؛ واعتبرت أحواله التي توجب التقديم ، واختبرت فعاله التي ضاعفت له مزيد التكريم .

وكان فلان - أدام الله تعالى نعمته - هو الذي أشق العلوم بحثا وتهنبا ، وبرهن عن المسائل الشرعية بأنهم تريدنا إلى الطالين تقريبا ؛ وأوضح عويص مشكلاتها ، وصحح من ألسن العرب لغاتها .

فلذلك رُسم بالأمر العالي - لا زالت تسمه بالعباية مشرقه ، وأنواء فضائل أوليائه مُغدقه - أن يستقر فلان في وظيفة قضاء العساكر المنصورة الشامية : حملا على ما بيده من التزول الشرعي ، على عادة من تقلصه في ذلك وقاعدته ، ومعلومه الذي يشهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت . فهو الحاكم الذي لم يزل للعساكر المنصورة نعم الصاحب ، والمورد على تبعهم من الأحكام الشرعية ما يقتدى به الحاضر والغائب ؛ والقائم بأعباء العساكر المنصورة ، والحافظ لنظام الملك الشريف على أحسن صورته .

فليأثر هذه الوظيفة المباركة وليحل في قضاء العساكر المنصورة بطلته السنية ،
وليفصل بينهم في الأسفار كل قضيه ، ويعرفهم طرق القواعد الشرعية ؛ وليحتز
في كل ما يأتيه ويذكره ، ويفصده ويحذره ، ويورده ويصدره .

والوصايا كثيرة ومنه تستفاد ، وإليه يرجع أمرها ويعاد ، ولكن لا بد للقلم
من المرح في ميدان التذكار ، والتنبيه على منهاج التقوى التي هي أجل شعار ؛
والله تعالى يمنعه من إحساننا جزيل العطاء والإيثار ، ويسمعه من أنباء كرمنا كل
آية أطيب الأخبار ، بمنه وكرمه !



توقيع بنظر جامع يلغا الجاوى ، كتب به للامير جمال الدين «يوسف شاه»
العمري الظاهري بـ «الكتاب الكريم» وهو :

أما بعد حمد الله الذي أظهر جمال الأتقياء في كل مشهد وجامع ، وقدمه بما أولاه
على كل ساجد ورايع ، وخصه من فضله بما قصرت عنه الآمال والمطامع ؛
والصلاة والسلام الأتمين الأكلين على سيدنا محمد عبده ورسوله مولى الخير الواسع ،
والإحسان المتتابع ، ومن أحيا جود جوده النفوس وسر القلوب وأطرب ذكرك
عقلاته المسامح ؛ وعلى آله وصحبه النجوم الطوالع ، والذين أودعهم العلم الذي آتاه
لإقامة دينه من لا تحيب لديه الودائع ؛ والتشريف و[الإكرام] ، والتبجيل
والإعظام - فإن أولى من رعيناه حق الخدم ، ووقوفه في الطاعة الشريفة على
أثبت قدم ؛ من قام بما لم يحم به غيره ، وحسنت سيرته وسيره .

وكان فلان أدام الله تعالى نعمته ، وحرس من الغير مهنجته ؛ ممن جمل المالك
ودبرها ، وضبط أموال الأوقاف وحررها ؛ وأنفع على الرؤوس ، وحصل أموال

الأوقاف التي فُكّرَتْ تَحْصِيلُهَا أَجَادَ الْخُلُوفَةِ وَسَرٌّ مِنْ مُسْتَحَقِّهَا النُّفُوسُ - تَعَيَّنَ أَنْ نَعْرِفَ لَهُ مِقْدَارَهُ الَّذِي لَا يَنْجَحِي ، وَتَوْفِيْقَهُ بَعْضَ حَقِّهِ فَإِنَّهُ الَّذِي بِالْإِحْسَانِ قَدْ أَوْفَى .

فَلِذَاكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ يُقْبَلُ عَلَى فَضْلِ وَلِيٍّ ، وَيَضَاعِفُ لَهُ الْإِرَّ الْمُسْتَمْتَرَّ مِنْ غَيْثِ جُودِهِ وَلِيٍّ - أَنْ يَسْتَقِرَّ فَلَانٌ فِي كَذَا ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدَّمَ فِي ذَلِكَ وَمُسْتَقَرَّ قَاعِدَتِهِ ، بِالْمَعْلُومِ الشَّاهِدِ بِهِ دِيَوَانُ الْوَقْفِ الْمَبْرُورِ إِلَى آخِرِ وَقْتِ .

فَلْيَبْشِرْ هَذِهِ الْأَوْقَافَ ، وَلْيَسْلُكْ فِيهَا طُرُقَ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ ، وَلْيَتَّبِعْ شَرْطَ وَاقِفِهَا - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - الْجَمْعَ عَلَى صِحَّتِهِ مِنْ غَيْرِ خِلَافٍ ؛ وَلْيُحْيِ مَا تَسَعَّتْ وَتَحَرَّبَ فِي الْجَامِعِ الْمُشَارِإِلِيهِ وَأَوْقَافِهِ بَعَيْنَ بَصِيرَتِهِ ، وَلْيَقُمْ بِالْمَعْرُوفِ مِنْ مَعْرِفَتِهِ ؛ وَهُوَ أَعَزُّهُ اللَّهُ تَعَالَى أَوَّلَى مَنْ بَاشَرَهُ ، وَعَمَرُ دَائِرَتِهِ ، وَأَحْرَى مَنْ تَحَرَّى مَبَارَهُ وَمَا تَرَاهُ ؛ وَمِيزَ أَوْقَافِهِ ، وَتَدَارَكَ بَتَلَاغِيهِ تَلَاغَهُ . وَهُوَ غَنِيٌّ عَنِ شَرْحِ الْوَصَايَا فَإِنَّهَا مِنْ آدَابِهِ تُعْرَفُ ، وَمِنْ بَحْرِ آدَوَاتِهِ تُعْرَفُ ؛ وَمِلَاكُهَا تَهْوَى اللَّهُ تَعَالَى الرَّغُوفَ ، فَلْيَكُنْ عَلَى مُسْتَحَقِّ هَذَا الْوَقْفِ عَطُوفٌ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُجْزِلُ لَهُ أَجْرًا ، وَيَجْعَلُ لَهُ مَا يَفْعَلُهُ مِنْ الْخَيْرِ دُنْرًا .



تَوْفِيقٌ بِنَظَرِ ثُرْبَةِ أَرْغُونِ شَاهٍ ، كُتِبَ بِهِ « لَقَبَا السِّيفِي بُوْطَا ، بِدِ الْخَنَابِ الْعَالِي » وَهُوَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي بَلَغَ الْأَوْلِيَاءَ مِنْ مَبْرَاتِهِ الْأَمَلِ وَالْإِرَادَةِ ، وَأَثَقَى مَقَالِيدَ الْأُمُورِ إِلَى مَنْ آسَتْحَقَّ بِحُسْنِ مُبَاشَرَتِهِ الزِّيَادَةِ ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ الْأَتَمِّينِ الْأَكْمَلِينَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ صَاحِبِ لَوَائِ الْحَمْدِ وَالنَّصْرِ ، وَمَنْ جَاءَتْ آيَاتُ تَفْضِيلِهِ كَقَفَاقِ الصَّبِيحِ وَجَمَلَتْ حَاسِنَتُهُ كُلَّ عَصْرِ ؛ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ نَصَرُوهُ فَنَصَرَهُمْ

الله ، وحجّبوه بأنفسهم عن البأس ولم يحجّبوه عن الناس لخفيص جناحه لمولاه ؛
والتشريف والتكريم ، والتبجيل والتعظيم .

ولما كان فلان - أدام الله تعالى نعمته - هو المعروف بالأوصاف الجميلة ،
والمعنوت بالنعوت التي أنت في وصفه بكل فضيلة .

فلذلك رُسم بالأمر العالى - لازال إحسانه عمياً ، وقضله لذوى الانسحاق أبداً
مقيماً - أن يستقر فلان في كذا ، على عادة من تقدمه في ذلك ومُسْتَقَرَّ قَاعِدَتِهِ ،
بالمعلوم الذى يشهد به ديوان الوقف المبرور إلى آخر وقت .

فليأشِرْ ذلك بهمة العلية ، ونفسه الأبية ؛ والوصايا كثيرة وأهمها التقوى :
فيلازِمَ عليها فإنها تحفظه ، وبالسَّيادة تَحَظُّهُ ، والله تعالى يكملُ تَوْفِيقَهُ ، ويسهلُ
إلى مُجِيعِ المقاصد طريقه ؛ بحمده وآله ! .



توقيع بتدريس الجامع الأموى عوداً إليه ، من إنشاء جمال الدين بن نباتة ،
كُتِبَ به للقاضى «نفر الدين المصرى» وهو :

أما بعد حمد الله مُعِيدِ الحق إلى نصابه ، والقيث إلى مصابه ، والليث - وإن
قَاب - إلى مُسْتَقَرِّ غايه ، وشرف المكان إلى مَنْ هُوَ أَحَقُّ وَأَوْلَى بِهِ ، وبحر العلوم
إلى دَوَائِرِ عَافِيَاهِ فى الدُرُوسِ وإلى قَوَى أسبابه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد
الذى هاجر فرجع بنعيمته ولما به ، وطلع من نَيَّاتِ الدَّاعِ طُلُوعِ البدر المشرق
فى أنشاء نَحَائِهِ ؛ وعلى آله وصحبه الشائمين سَبَلِ صَوْبِهِ السَّالِكِينَ سَبِيلِ صَوَابِهِ ،
ما قُطِفَ من عُصُونِ أَقْلَامِ العلماء مُرَّ «البيان والتبيين» مُتَشَابِهاً وَفِرَّ مُتَشَابِهاً -

فَإِنَّ شَرَفَ الْكَوَاكِبِ فِي سِيرِهَا وَرُجُوعِهَا ، وَثُمُو تَشَعُّلِهَا مَا بَيْنَ قَتَرَةٍ مَفِيبِهَا
وَطُلُوعِهَا ؛ لَا سِوَا الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ يُبْتَدِئُ بَأَنْوَارِهِمْ ، وَيُقْتَدِئُ بِأَنْوَارِهِمْ ، وَمَصَابِيحُ الْحَقِّ
الَّتِي تُقَدِّحُ وَلَا يُقَدِّحُ فِي أَزِيدَةِ أَفْكَارِهِمْ .

وَكَانَ مِنْ قُصَصِ بَهَذَا التَّلَوِيحِ ذِكْرُهُ ، وَعُرِفَ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى الْمَفْهُومِ نَحْوُهُ ؛ قَدْ
حُمِدَ بِمَجَالِسِ التَّصْدِيرِ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ مَا ذَكَرَهُ مِنْ سَلَفِ أَعْيَانِهِ ، وَقَامَ بِوُجُودِ الدَّلِيلِ
عَلَى وُجُودِ مَاضِي بُرْهَانِهِ ، وَجَادَلَ لِسَانُهُ وَقَلَمُ يَدِهِ عَنِ الشَّرِيعَةِ : وَغَيْرِهِ مِنَ الْعَمَلِ
لَا مِنْ يَدِهِ وَلَا مِنْ لِسَانِهِ ؛ ثُمَّ هَجَرَ مَكَانَهُ هِجْرَةً عَلَى الْعُسْدِ نَحْوَهُ ، وَهَاجَرَ إِلَى حَرَمِ اللَّهِ
تَعَالَى وَحَرَمِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هِجْرَةً مَقْبُولَةً ؛ وَرَأَى بَعْضُ الصَّبِيَّانِ التَّقَدُّمَ إِلَى
رَبِّهِ الشَّيْخِ فَقَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي ، فَأَنَا مِنْ مَخْطُوبَاتِ الْأَكَاكِفِ أَنَا مِنْكَ وَلَا أَنْتَ
مَعِي ؛ ثُمَّ حَضَرَ إِلَى عَمَلِهِ الْكَرِيمِ مِنْ غَابٍ ، وَرَجَعَ إِلَى مُسْتَقَرِّهِ الْأَمَثَلِ بِهِ : وَمَا كُلُّ
حَمَزَةٍ أَسَدُ اللَّهِ فَلَيْسَ كُنَّ فِي ذَلِكَ الْغَابِ .

فَلَذَلِكَ رَمَى بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَتْ صَلَاتُ مَرَامِهِ بِجَمِيلَةِ الْعَوَائِدِ ، جَلِيلَةِ
الْفَوَائِدِ ؛ وَأَقْلَامُهَا أَغْصَانُهَا مَمْدُودٌ بِهَا الرِّزْقُ فَهِيَ عَلَى الْوَصْفَيْنِ مَوَائِدُ - أَنْ يَسْتَمَرَ
عَلَى عَادَتِهِ فِي كَذَا وَكَذَا ، وَإِطَالُ مَا كُتِبَ بِهِ لغيره : عَمَلًا بِاخْتِبَارِ الْحَاضِرِ ، وَاخْتِيَارِ
نَظَرِ النَّاطِرِ ؛ وَعِلْمًا بِأَنَّ هَذِهِ الْمَرْتَبَةَ لَمْ يَلْهُ لِمَنْ تَقَانُ عَقْلُهَا وَتَقَلُّهَا ، وَتَلَاوَةُ فِي مَوْضِعِ
الْوَقْفِ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ .

فَقُولَا لِلْمَنْعُوقِ : مَا كُلُّ عِزٍّ بِدَائِمٍ ، وَلَا كُلُّ ذِي طَلَبٍ بِكَالِ الْوُجُوبِ قَائِمٌ ؛ وَمِنْ
أَيْنَ لِهَذِهِ الرَّتْبَةِ مِثْلُ هَذَا الْكُفِّ الَّذِي أَشْتَهَرَ نَحْوُهُ ، وَزَهَتْ بِهِ عَلَى الْأَمْصَارِ شَامُهُ
وَمَصْرُهُ ؟ ؛ وَهَذَا الْإِمَامُ ، وَكُلُّ مُضَاهٍ مَأْمُومٍ ، وَهَذَا الْمَقْدَامُ ، تَحْتَ عِلْمِ الْعِلْمِ وَكُلِّ
مُبَاهٍ مَهْزُومٍ ؛ وَهَذَا النَّائِبُ وَكُلُّ نِدٍّ مُشَرَّدٍ ، وَهَذَا الْكَامِلُ وَكُلُّ ضِدٍّ مُبَرَّدٍ .

فليستمر على عادته الجميلة مُجَلِّلاً لزمانه ومكانه ، مُكَلِّلاً في وشائع العلم ما يشي
«أَبْنُ الصَّبَاغِ» من ألوانه ؛ مَالِكاً لما حَرَّرَهُ «الشَّافِعِيُّ» ، جازماً بفعل مانصبه
«الرَّافِعِيُّ» ، سامياً عن وفاء الوَاصِفِ : فسواء في ذكره إِسْرَافُ بَيَانٍ أَوْ إِسْرَافُ عَمَلٍ ؛
شاملاً للطلبة المتعدين بِعَطْفِهِ ، مُقَابِلاً لِلسَّتَفَتِينَ بِطَانَتِهِ وَأُطْفَحِهِ ، بلِجَاناً عن دُرَرِ
الجدال بفكره إِذَا بَحَثَ قَلَمُ بَعْضِ المُجَادِلِينَ عَنْ حَقِّهِ بِظُلْفِهِ ، دَاعِياً لهذا الملك
الصالحى فَإِنَّ دُمَاءَ الْعَالَمِ الصَّالِحِ سُورٌ مِنْ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْقِهِ ؛ وَاللهُ تَعَالَى يُجِيرُهُ
عَلَى خَيْرِ الْعَوَائِدِ ، وَيَمُدُّهُ بِأَقْبَالِ النِّعَمِ الزَّوَائِدِ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! .



تَوَقَّعْ بِتَدْرِيسِ الْمَدْرَسَةِ الدِّبَاغِيَةِ بِمَشَقِّ ، مِنْ إِنْشَاءِ أَبْنِ ثُبَاتَةٍ ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي
جَمَالِ الدِّينِ «أَبِي الطَّيِّبِ ، الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ» الشَّافِعِيِّ ، وَهُوَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ رَافِعِ مُنَادَى الْعِلْمِ بِمُقَرَّدِهِ ، وَبَيْتِ الثَّقَلَيْنِ بِقَافِيَةِ سُودَدِهِ ، وَنَظْمِ
الْمُفَاضِلِ بْنِ إِذَا قِيلَ : «أَبُو الطَّيِّبِ» أَصْنَى الْحَقْلِ لِمُشِيدِهِ ، وَمَشْهَدِ الْفَضْلِ بِإِمَامِهِ :
وَحَسْبُكَ مَنْ يَكُونُ «الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ» إِمَامَ مَشْهَدِهِ ؛ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا
عَدِيدِ عِيْدِهِ وَرَسُولِهِ سَيِّدِ الْخَلْقِ وَسَيِّدِهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَتَحْفِيهِ السَّائِرِينَ فِي الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ عَلَى
جَدِّهِ ، مَا حَسَبَ نَسِيبُ الرُّوضِ بَرْدَهُ وَأَقَرَّ لَعَسَ السَّعَابِ عَنْ ثَقِيرِ بَرْدِهِ - فَإِنَّ لِلْعِلْمِ
أَبْنَاءَ يَنْشُتُونَ فِي ظِلَالِهِ ، وَيَسْكُنُونَ فِي حِلَالِهِ ، وَيَفْرَقُونَ لِمَخْلُوقِ يَنْ حَرَامِ الْمُشْتَبَةِ
وَحِلَالِهِ ، وَيُجَمِّلُونَ وَجْهَ الزَّمَانِ : فَلَا عِلْمَ الزَّمَانِ مِنْهُمْ وَجْهَهُ وَلَا وَجْهَ جَمَالِهِ ؛
تَرْتَشِفُ شِفَاهُ الْمَدَارِسِ مِنْ كَلِمَتِهِمْ كُلِّ عَذْبِ الْمَسَاغِ ، وَتُشَافِقُهُ مِنْهُمْ كُلُّ ذِي فَضْلٍ
مَا هُوَ عِنْدَ الْبَلَاغِ بِلَاغٌ ، وَتُشَاهَدُ مَا خُصُّوا بِهِ مِنَ الشَّرَفِ وَالرَّأْسَةِ فَلَا عَجَبَ أَنْ
يَحْلُمَهُمَا مِنْهَا عَمَلُ الدِّبَاغِ ! .

وكانت المدرسة الشافعية الدماغية يَدْمَشْقُ المحروسة رأماً في مدارس العلم، وهامة في أعضاء منازل ذوى الحكم والحلم؛ لا تَسْمُو هِمَّتُهَا إلا بكل سامى الهامة، هَامَى الفضل كالفهم، ساجج اللفظ إلا أنه أبهى وأزهى من طوق الحمادة، كائد للملحد مكرم الطالب ولا تَكِيدَ لأبن الخطيب ولا كرامه - واسطة بين العادية والأشرفية تليق بمن يكون عَقْدُ كلامه المثلث، ونظامه الأمكن، وبيانه المنشد «أجارة يَتِيئاً» يعنى بيت النسب وبيت المسكن .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لازال يَحْدُ لوجوه العلم جمالا، ولوجوب الحمد توالا، ولوجود الفضل كرما ما قال قط ولا نوى: لا - أن يفوض إلى فلان - أيد الله مجتهده، وحرّس للساكنين أباه وأعلى بالسعادة جده - تدرّس المدرسة الدماغية المذكورة: لأنه جمال العلم المعقودة على خطيته الآمال، المعدودة بمقدمات فضله وفصله نتائج الأقوال الصالحة والأعمال؛ المحبوبة إلى الله والخلق سيّاه وشيمه ولا نكر: فإن الله جميل يحب الجمال؛ ولأنه العالم الذى إذا قال لم يترك مقالاً لغائل، وإذا شرح على قياسه أتى بما لم تستطعه الأوائل؛ وإذا جارى العلماء كاد «إمام الحرمين» يقول: أنا المصلى وأنت السابق، «والغزالي»: من لى أن أنسج على منوال هذا اللفظ الرائق؟ «وآبن دقيق العيد»: ليت لى من هذه الدقائق بلغه؟، و«آبن الصباغ»: هذا الذى صبغه الله من المهدي عالم! ومن أحسن من الله صبغه؟؛ ولأنه العالم الذى أحيأ ذكر «آبن نقطة» بعد مدارت عليه الدوائر، وأغنى وحده دِمَشْقُ عن أتى فى النسب «بسائر»، ولأنه فى البيان ذو الانتقاد والانتقاء، والعربى الذى إن كان لرقاب الفضلاء «آبن مالك» فإن قرينه «أبو البقاء»؛ والكامل حسباً، ومثل جيله المنقود لا يُبهرج، والواصل نسباً، ومثل قرينه بعد أصله: «ولله أوس آخرون وتخرّج» .

فليباشر هذا التدريس بعزائم سرية ، ومباحث تستنار منها معارف القول التبرية ،
وطرائف لا تمحس بدمشق على نقلتها المصرية ، ولينصر منذهب الإمام الشافعي
رضي الله عنه فإن قومه الأنصار ، وليخفض جناحه للطلبة فطالب خفصت الملائكة
أجنحتها ليصير فلا تعجب أن صار ! ؛ ولينفذ وأفديه وهو قاعد أضعا ف ما أفادهم صاحب
المكان وهو واقف ، وتقوى الله عز وجل أولى ما طالع في سره وجهه من "عوارف
المعارف" والله تعالى يمدّه بإسماعه ولطفه ، ويحوطه بمعقبات من بين يديه ومن
خلفه ؛ ويضيء بارق كلمه الصيب ، ويطرب أسماع الطلبة بالطيب من معاني
« أبي الطيب » .



توقيع بتدريس المدرسة الركنية الحنفية بظاهر دمشق ، كُتب به للقاضي
بدر الدين « محمد بن أبي المنصور » الحنفى بـ «المقر العالى» وهو :

أما بعد حمد الله الذى أطلع بدر الدين مشرقاً فى منازل السجود ، وحرّس سماء
تجده فلا يطيق من رام جناها الاستطراق إليها ولا الصعود ؛ وجعل ركنه الشديد
فى أيامنا الزاهرة المشيد وظله الممدود ؛ والصلاة والسلام الأتمين الأكلين على
سيدنا محمد ذى الخوض المورود ، والكرم والجود ؛ وعلى آله وصحبه نجوم الهدى
وأعيان الوجود ، ما أورق عود ، ومحدث عقبي الصلور والورود ؛ صلاة دائمة
إلى اليوم الموعود - فإن أعلام الهدى لم تزل متشورة بمعال العلماء ، وأقطار الأرض
ما برحت مشرقة بمن تستغفر لهم الحيتان فى البحر والملائكة فى السماء ، وطول
الأرض إلى فضائلهم أشد اضطراباً وأحوج إلى القرب إليهم والانتفاء ؛ وكان فلان -
أدام الله تعالى تأييده - من بيت شهدت الأيام مقابره ، وحمد الأمام أوائله وأواخره ،

وأصْحَتْ عَيُونُ الزَّمَانِ إِلَى مَا ثَرَهُ نَاطِرُهُ ، وَغُصُونُ الْفُنُونِ بِفَرَائِدِهِ نَاضِرُهُ ، وَأَوْصَافُهُ الْجَلِيلَةُ لِلْأَبْصَارِ وَالْبَصَائِرِ بَاهِرُهُ ، وَأَصْنَافُ الْقَضَائِلِ مِنْ إِمْلَائِهِ وَارِدَةٌ صَادِرُهُ .

فلذلك رُمِيَ بالأمر العالى - زاده الله تعالى على العلماء إقبالا ، وضاعف إحسانه إليهم وإلى - أَنْ يَسْتَمِرَّ الْمَشَارُ إِلَيْهِ فِيمَا هُوَ مُسْتَمِرٌّ فِيهِ : مِنْ تَدْرِيسِ الْمَدْرَسَةِ الرُّكْنِيَةِ الْحَنْفِيَّةِ ، بظَاهِرِ دِمَشْقِ الْحُرُوسَةِ ، حَمَلًا عَلَى مَا بِيَدِهِ مِنَ الْوِلَايَةِ الشَّرْعِيَّةِ وَالتَّوْقِيعِ الشَّرِيفِ : رِعَايَةً لِجَانِبَيْهِ وَتَوْفِيرًا ، وَإِجَابَةً لِقَصْدِهِ الْجَمِيلِ وَتَوْفِيرًا ، وَاسْتِمْرَارًا بِالْأَحَقِّ وَتَقَرُّبًا .

فَلْيُبَاشِرْ ذَلِكَ مَبَاشَرَةً أَلْفَتْ مِنْهُ ، وَاشْتَهَرَ وَصَفُهَا الزَّكِيُّ عَنْهُ ؛ وَلْيُوصَحَّحْ لِلطَّلَبَةِ سُبُلَ الْمُهَادِيَةِ ، وَلْيَوْصَلْهُمْ مِنْ مَقَاصِدِهِمُ الْجَمِيلَةِ إِلَى الْغَايَةِ ؛ وَلْيَسَلِّكْ طَرِيقَةَ الْوَيْدَةِ ، فَلْيُنْهَا الطَّرِيقَةُ الْمُثَلَّى ، وَلْيَتَحَلَّ مِنْ جَوَاهِرِ قَرَائِدِهِ ، فَلْيُنْهَا أَهْلُ قِيمَةٍ وَأَعْلَى ، وَيُثْبِتْ عَلَى الْأَسْمَاجِ فِضَائِلَهُ الَّتِي لَا تُحْمَلُ حِينَ تُحْمَلُ .



وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة الخاتونية البرانية الحنفية بدمشق ، كُتِبَ بِهَا لِلشَّيْخِ صَدْرِ الدِّينِ «عَلِيٌّ بْنُ الْأَدَمِيِّ» الْحَنْفِيُّ بـ «الْجَنَابِ الْكَرِيمِ» . وَكَأَنَّهُ فِي الْأَصْلِ لِمَنْ لَقَبُهُ . «بَدْرِ الدِّينِ» لِأَنَّ الْبَدْرَ هُوَ الْمُنَاسِبُ لِهَذَا الْإِفْتِتَاحِ ؛ فَتَقْلَهُ بَعْضُ جَهْلَةٍ الْكُتَّابِ إِلَى «صَدْرِ الدِّينِ» كَمَا تَرَاهُ . وَهَذِهِ نَسَخَتُهُ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي زَانَ أَهْلَ الْعِلْمِ الشَّرِيفِ بِصَدْرِ أَخِي تَوْرَةِ الشُّمُوسِ ، وَأَعْلَاهُ - لِمَا حَازَهُ مِنَ الشَّرَفِ الْأَعْلَى - عَلَى الرُّعُوسِ ، وَجَعَلَ كُلَّ قَلْبٍ يَأْوِي إِلَى تَيَّانِ بَيَانِهِ يَوْمَ الدَّرُوسِ ؛ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ الْأَتَمِّينِ الْأَكْمَلِينَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي أَذْهَبَ اللَّهُ بِرُكْنِهِ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ كُلِّ مَكْرٍ وَبُؤْسٍ ، وَخَصَّصَهُ فِي الدُّنْيَا بِطَيْبِ

الحياة وفي الآخرة بسرور النفوس ، وعلى آله وصحبه صلاة مُمِيزة الغُروس - فإنَّ أولى من تُصَرِّفُ إليه الهمم ، من تَبْلُو دلائل علمه كنور لا نار على علم ، وتُسِيرُ فضائله في الآفاق سِرَ الشُّموسِ والأقمار ، وتبرز إذا يُبدِئها صدره من حُجُبٍ وأستار .

وكان فلانٌ - ضاعف الله تعالى نعمته ، وحرس من الخير مُهَجَّتَه - هو الذي أُشِيرَ إلى ما حواه صدره الكريم من الفضائل ، وأشتهر في دُرُوسِه بإقامة الحجج وإيضاح الدلائل ؛ وبرع في العلوم الدينيَّة ، وفاق أبناء عصره في الصناعة الأدبيَّة ؛ وأنفق كثره على الطُّلاب ، فأصبح "عمدة المحدثين" وأُمِّي "مختار الأصحاب" ، «أبو يعلى» يتزل ببابه ، و «أبن عَقل» يرتدُّ على أعقابِه ؛ و «أبن الحاجب» يرقعه على عينه ، و «الرازِئ» يتحرَّك سببه لوفاء دينه ؛ و «أبن بطة» يطيرُ من مواقع سِهَامِه ، و «مُقَاتِل» مجروحٌ بحمد كلامه ؛ و «أبن قدامة» متأخر عن مجاراته ، و «الأثرم» يحرس عند سماع عباراته .

فلذلك رُسم بالأمر العالي - لازل يجمع لمن برع في العلوم من ألوانِ المناصب المختلفة ، ويرفع قدر القوم الذين قلوبهم على التقوى مُؤْتَلِفَه - أن يستمرَّ الجَنابُ الكريم المشار إليه بالمدرسة الخاتونية البرانية الحنفية ، حَمَلاً على ما بيده من التَّوَلُّ الشَّرْعِيَّ والولاية الشرعيَّة : لأنَّه الخِلاصَةُ التي صَفَتْ من الأفكار ، والعُدَّةُ ليومِ الحِدادِ إذا وَلَّى غيرُه الأَذبار ؛ والمختارُ الذي جَنَحَتِ المناصبُ السَّنيَّةُ إلى أخياره دون من سِواه ، رَغْبَةً فيما آذَره من الفضائل وحواه ؛ «بدايئة» «نهاية الطلاب» ، وعلومه «مُخَفَّةُ الأصحاب» ؛ إنَّ حَدَثَ «فابن معني» بصحة نقله يَحْيَا ، أو فسر «فُجَاهِد» عن مجاراته يَحْيَا ؛ و «الزَّحْمَشِيُّ» يُبْعَدُ عن الحِوَارِ ، و «البَغَوِيُّ» يَتَنَّى الوقوف على الآثار ؛ و «سيبويه» عند ما يَتَحَوَّ قصد «التسهيل» من لفظه المُغْرِبِ المُعْرِبِ ، و «أبن عُصْفُورٍ» يكاد يطيرُ طَرَباً لما يُبْدِيهِ من «الرَّقِصِ المُطْرِبِ» ؛

و « أبو يوسف » أصبح بصُحْبَتِهِ مَنصُورًا ، و « محمد بن الحَسَن » أخفى برُفْعَتِهِ مَسْرُورًا ؛ هُوَ فِي الْقَدَرِ « عَلى » وَفِي الطَّرِيقَةِ « مَحْمُود » وَفِي الْعُلُومِ « مُحَمَّد » ، وَفِي النُّطْقِ وَالْحَرَكَةِ « سَعِيد » وَفِي النِّظَرِ « أَسْعَد » ؛ وَفِي النَّصَارَةِ « النِّعْمَان » وَ « طَاوُس » يَحْمَلُ جِزَاءً مِنْ كَيْالِ خِصَالِهِ ، وَ « الْحَسَنُ » يَقْتَدِي بِحَسَنِ فِعَالِهِ ؛ نَسَا فِي الْعِفَّةِ وَالصِّيَانَةِ ، وَكَفَلَهُ التَّوْفِيقُ وَزَانَتْهُ الْأَمَانَةُ ؛ فَهُوَ بَحْرُ الْعُلُومِ ، وَمُسْتَخْطِصُ دُرِّهَا الْمَكْنُونِ وَمُظْهِرُ سِرِّهَا الْمَكْتُومِ ؛ لَوْ رَأَاهُ « الْإِمَامُ » لَنَاسَ عُلَاهُ بِالشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ ، وَلَوْ حَاصَرَ الْأَصْحَابَ لَفَتَتْ أَعْيُنُهُمْ بِهِ قَرِيرَهُ .

فَلْيَا شِرْهَاتِيْنِ الْوُظَيْفَتَيْنِ اللَّتَيْنِ آكَلْتَسَا بِهِ بَعْدَ نُورِ الشَّمْسِ جَلَالًا ، وَلِيَلْقِي عُلُومَهُ الَّتِي يَقُولُ الْقَائِلُ عِنْدَ سَمَاعِهَا : هَكَذَا هَكَذَا وَإِلَّا فَلَا لَا ؛ وَلْيَعْلَمْ الطَّلَبَةُ إِذَا أَدْهَشْتَهُمْ كَثْرَةُ عُلُومِهِ أَنَّ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عِلْمٌ ، وَلْيَتَكَّرْ عَلَيْهِمْ بِكَثْرَةِ الْإِفَادَةِ فَإِنَّ عَلِيًّا هُوَ الْكَرِيمُ ؛ وَلْيَقُفْ فِي مَبَاشَرَةِ النَّظَرِ كُلِّ مَثِيلٍ وَنَظِيرٍ ، وَلَا يُنْهَكَ مِثْلُ خَيْرٍ ؛ وَلْيَجْتَهِدْ عَلَى عِمَارَةِ مَعَادِمِهَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَدَاءِ الْوُظَائِفِ بِحُسْنِ مُلَاحَظَتِهِ ؛ لِيَزْدَادَ عِنْدَ الْخَلِيقَةِ جَلَالًا ؛ وَفِيهِ - بِحَمْدِ اللَّهِ - مَا يُغْنِي عَنْ تَأَكِيدِ الْوَصَايَا ، وَيُعِينُ عَلَى السَّدَادِ وَقَضَائِ الْقَضَايَا ؛ وَكَيْفَ لَا ؟ وَهُوَ الْخَيْرُ بِمَا يَأْتِي وَيَذَرُ ، وَالصِّدْرُ الَّذِي لَا يَعْدُو الصَّوَابُ فِي وَرْدٍ وَلَا صَدْرٍ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَسِّرُ الْقُلُوبَ بِعُلُومِ مَرَاتِبِهِ ، وَيُقِرُّ الْعُيُونَ بِمَقَاصِدِهِ وَمَآرِبِهِ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ !



تَوْقِيعُ بَحْطَابَةِ جَامِعِ جِرَاحٍ ، مِنْ إِنْشَاءِ آبْنِ نُبَاتَةِ ، كُتِبَ بِهِ لـ « شَرَفُ الدِّينِ بْنِ عَمْرٍو » بِـ « الْمَجْلِسِ الْعَالِي » وَهُوَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي قَسَمَ لَنَا بِرَشْرَفًا يَجْعَلُ دَعْوَانَا مِنَ الْقُصَمَاءِ يَتَأَكَّدُ ؛ وَعَلَانَا مَرْفُوعًا لَا يَتَعَدَّى وَعَلَانَا مَنصُوبًا لَا يَتَعَدَّدُ ؛ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِ النَّبَاتَيْنِ

وصاحب القبتين محمد ، وعلى آله وصحبه القانتين القامين الرُكَّع السُّجَّد ؛ ما عَظُمَ خَطِيئَتُهُ وَجَدَّ ، وبدا في حِلْيَةِ سِيَادَةٍ وَأَهْبَةِ خَطَايَةٍ وهو على الحالين مُسَوَّد - فإنَّ لَصَوَاتِ المنابر فُرْسَانًا ، ولَصُدُورِ المحارِبِ أَعْيَانًا ، ولِعُيُونِ المشاهدِ أَنَاسِيٌّ يَرَايِي منها الاستحقاق لكلِّ عَيْنٍ إِنْسَانًا .

ولمَّا كان جامعُ جراح المعمورِ يذكُرُ الله تعالى ممَّا أُسِّسَ على التَّقْوَى ، ووُهِمَ بأهلِ الزُّهْدِ سِمَةً إِذَا ضَعُفَتِ السَّمَاتُ قَهْوَى ؛ يَجْمَعُ الصُّلَحَاءَ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، وَمُسْتَجِعُ الْفُقَرَاءِ : فَنِعَمَ الْجَامِعُ لَمْ وَنِعْمَتِ الزَّائِرُ ! ؛ وَمَقَرَّعُ الْعُظَمَاءِ عِنْدَ اسْتِدْفَاعِ حَرْبٍ وَكَرْبٍ ، وَمَطْلَعُ نُورِ الْهُدَاةِ الَّذِي أَغْرَبَ فَاطِلُ نُجُومِهِمْ مِنَ الْقَرَبِ - تَعَيَّنَ أَنَّ نَحْنَارَ لَهُ الْخُطْبَاءَ وَالْأُئِمَّةَ ، وَنَتَخَيَّبَ لِمَنْصِبِهِ مِنْ أَفْضَلِ الْأُمَمَةِ ؛ وَتَنَاسَبَ حَضَارِ مِنْبَرِهِ بِصَاحِبِ عُلُومِهِمْ وَأَعْلَامِهِمْ وَإِمَامِهِمْ ، الْمُسْرُورِينَ بِهِ يَوْمَ يَأْتِي كُلُّ أَنَاسٍ بِإِمَامِيهِمْ .

فُرُوسٌ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَتْ أَعْوَادُ الْمَنَابِرِ يَذْكُرُهُ أَرْجَاهُ ، وَأَعْلَامُهَا كَالْأَنْسَةِ بِجَمْدِهِ لَمَجَّة - أَنْ يَفُوزَ لِفُلَانٍ حَالِمًا بِاسْتِحْقَاقِ شَرَفِهِ لِهَذِهِ الرَّتَبَةِ ، وَصُعودِ هَذِهِ الذَّرْوَةِ وَالْمَنْصِبَةِ ؛ وَلَأنَّه الْأَوَّلِيُّ بِدَرَجَاتِ الرَّتَبِ النَّفَاسِ ، وَالْأَجْدَرُ بِحَيِّ فُرُوسِهَا الْمَوَائِسِ ؛ وَالْإِمَامُ عَلَى الْحَالَتَيْنِ إِذَا قَامَتْ صُفُوفُ الْمَسَاجِدِ وَإِذَا قَعَلَتْ صُفُوفُ الْمَدَارِسِ ، وَالْعَرِيُّ الَّذِي إِذَا رَقَى ذِرْوَةَ مِنْبَرٍ أُطْلِقَتْ عَلَيْهِ لَفْظَةُ فَارِسٍ ؛ وَالْوَرَعُ الَّذِي آتَرَفِي مَنْاصِبِهِ الْبَاقِيَّةَ عَلَى الْفَانِيَةِ ، وَمَنَارُ الْحُكْمِ الْمُضِيئَةِ عَلَى مَرَاتِبِ الْحُكْمِ الْمَاضِيَةِ ؛ وَعَلَى مَجَالِسِ الدَّعَاوَى مَجَالِسِ الدَّعَوَاتِ ، وَعَلَى مَقَامِ الصَّلَاتِ مَقَامِ الصَّلَوَاتِ ؛ وَعَلَى الْقَضَاءِ الْقَرْضُ ، وَعَلَى الرَّجْبَةِ ^(١) وَلَوْ كَفَّحِصَ الْقَطَاةُ مِنَ الْأَرْضِ ؛ وَعَلَى عَرَضِ الدُّنْيَا الْقَلِيلِ جَوْهَرِ الْفَضْلِ الْكَثِيرِ ، وَعَلَى "كِتَابِ أَدَبِ الْقَاضِي" "كِتَابِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ" .

(١) - لَمْ يَلَهُ عَلَى الرَّجْبَةِ الْمَحَلَّ الْأَرْقَى وَلَوْ أَلْخَ

فليأثر هذه الوظيفة المباركة : خطيباً تدرأ مواعظه الخطوب ، وأعظاً من قلب
 تقى تصل هدايا نقاه إلى القلوب ؛ فصيحاً تكاد المنابر تهترط طرباً ببيانه ، نجيحاً تكاد
 أجنحة أعلامها تطير فرحاً بمكانه ؛ شاملاً بنفحات فضله النواسيم ، كاملاً ! لو تقدم
 زمانه لم يقل : « فلا الكرج الدنيا ولا الناس قاسم » ؛ والله تعالى يسد أقواله
 وأفعاله ، ويرفع على المنابر والرتب والمراتب مقامه ومقاله ، ويمتعه بهذه الرتبة التي
 أشبهت معنى في الخلافة : « فلم يكن يصلح إلا لها ولم تكن تصلح إلا له » .

المرتبة الثالثة

(من توابع أرباب الوظائف الدينية بحاضرة دمشق -

ما يفتح به « رسم بالأمر » وفيها وظائف)

وهذه نسخ توابع من ذلك :

نسخة توقيع بالتدريس بالجامع الأموي والإفتاء به ، من إنشاء الشيخ جمال الدين
 ابن نباتة ، كتب بها للشيخ « نحر الدين المصري » استمراراً ، به « المجلس العالي » وهي :
 رُسم بالأمر الشريف - لا زال لملوكه الفخر على الإطلاق ، والمن على الأعناق ،
 والكرم لطالبي الإزفاد والإرفاق ، والتكريم والتقديم لنوى التأهيل والأسحقاق ؛
 ولا يرحى النعم الثابتة للساجدين بمدحه المطرب قائمة مقام الأطواق - أن يستقر
 فلان نفع الله ببقائه ، ورفق عيون الأنجم لدرجات أرقائه ؛ : لفوائده
 التي شملت الورى ، وعلت الدرا ، وحملت الأفهام عند صباحها السرى ، وقعد بها
 مسيل ذيل الحياء وصار يذكره من لا يسير مشمراً ؛ ومزجته التي نصبت للهدى
 علماً ، وألفاظه التي أحرمت عن بدائع بهرت فما فتح بمنيلها العلماء قفاً ؛ وأسديطه

الذى يقول للأول : قال وقتم ، وأقام وزُتْم ؛ واحتياطه الذى يقول للسائلين :
أهبطوا من آنتساب حلقته مضراً فإنَّ لكم ما سألتم ؛ وأنه الفاضل الذى ما استنار
بعلمه فنى فتاه ، والنافع الذى ما استطبَّ بكلماته سقيمُ ذهنٍ فلبَّ تحركت شفتاه
شفتاه ؛ كم جلس للأشغال فنى أنفس المارة عن أشغالها ؛ ونصر العلم فى حلقته
المجنَّدة فكان من أمرائها المنصور ولم يكن للأنداد من رجالها ؛ كم سلم ليان بجته
الحقيقى والمجازى ؛ كم سَطَّرت لمناظرته المحمدية مع أهل الزنج سير ومغازى ؛
وكم خلَّص دينار فهمه المصرى على التقيد فهتات أن يروِّد مثله «الرازى» ؛ كم فخرت
مضرباً بنسابه ؛ ودمشق بسُقى صحابه ؛ وكم قال الرازى : ليت لي هذا الفخر
فأروى فى الأول بقى خطيبه وفى الآخر بقى خطابه .

فليستمر - نفع الله به - على وظيفته المأثورة ، وحلقته التى نُصِبَتْ على مصابيد
كلماته المشهورة ، ومائكة عليه المنصوبة وذُيُول منافعها فى الآفاق مجروره ؛
وليؤاظب على جلوسه بالجامع المنشرح المشروح ، ودرسه المتضمن فتح أبواب العلوم
وقبَّره كما يقال : على المفتوح ؛ سالكا من نهج الإفادة مسالكه ، مكثراً بأجنحة فتاويه
الطيارة ما يُسَطُّ لديه من أجنحة الملائكة ؛ متصرفاً على عادة عبادته فى مواطن العلم
والعمل ، مُستَنَدًا فى جلسته إلى سارية يقول لها وقاره وحلمه : يا ساريةُ الجبل
الجبل ، داعياً لهذه الدولة الشريفة : فإنَّ دعاء العالم مثله طائر لآفاق القبول من
أوكار القبل ؛ والله تعالى يمدَّ بعونه ولطفه ، ويحوط مجالس علمه بالملائكة المقرَّين
من بين يديه ومن خلفه ؛ بمنه وكرمه !



وهذه نسخة توقيع بتدريس مدرسة القصّاعين ، من إنشاء ابن بُناة ، كُتِبَ به
لفخر الدين «أحمد بن القصّيح» الحنفى المقرئ به المجلس السامى» وهى :

رُسم بالأمر الشريف - لا زال يقدّم من العلماء أنفرهم ذكراً، وأحمدهم أمراً،
وأفصحهم نسب فضائل وفضائل نسب يقول الاستحقاق : كلاًهما وتمرا - أن
يرتب فلان ... : لما شهر من علومه السيّية، وفوائده السريّة ؛ ووجوه فضائله
الحسنة ، وعبود كلماته المتيقّظة إذا كانت بعض العيون مستوسّنة ؛ ولأنّه غريب
في الوصف والمكان، وصاحب علم لا يكاد يوجد له شقيق وإن كان منسوباً إلى
« النعمان » ؛ وإمام قراءات ثبتت له فيها على « أبي علي » المجّه ، وتوسّحت بيانه
الحجّه ؛ وتعيّن محله الأمير ، وروى الطالب من عليه عن « نافع » ومن ذهبه
في الفوائد عن « ابن كثير » ؛ وأنّه نفّر الحفّة القائم في الشمعة مقام « رازيها » ،
المطلّ بمنّير قلبه على المعاني إطلال بأزيها ؛ « الأكل » الذي له من علوم صدره
نخزانه ، « الصدر » الذي كل صدر يشهد له بعلو مكانته .

فليأشر تدريس هذه المدرسة المباركة : حقيقة يجلس صدرها، خليفاً بتجديد
شرفها وذكراها ؛ مظهرها لخبيا التكت في زواياها، جديراً بأن يكون في خفايا
المسائل ابن جلاها وطلّاع شأياها ؛ يملأ بيان بحوثه فكر الواعي وسمعه ، ويسير
بنان قلم فتيانه ما يتجدّد له من رفعة ، ويسطّ إدلال الطلبة حتى يأكلوا في القصّاعية
معه في القصّعة ؛ والله تعالى ينّره من مدارس الحفّة بهذه البدايه ، ويقرّه بما
يتجدّد من وظائفها التالية : (وما تزيهم من آية) بمنه وكرمه ! .



وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة الطرخانية، من إنشاء ابن ثبّانة، كُتب به
للقاضي جمال الدين « يوسف الحنّفي » بزوي من والده ، وهي :

رُسم بالأمر الشريف - لازالت مواطن العلم مُكَلَّمةً بِذِكره ، مُبَجَّلَةً بِأَمْرِهِ ،
 مُؤَهَّلَةً^(١) لِكُلِّ يَوْسُفَى الْجَمَالِ يَذْكُرُ عَزِيزُ شَامِهِ عَزِيزُ مِصْرِهِ - أَنْ يَسْتَقَرَّ فَلَانُ فِي كَذَا ،
 بِحُكْمٍ مَا قَرَّرَهُ مَجْلِسُ الْحُكْمِ الْعَزِيزِ الشَّافِعِيِّ ، وَنِعْمَ الْمَالِكُ لِمَذْهَبِ شَافِعٍ ، وَاتِّبَاعًا لِمَا
 حَزَرَهُ الْجَنَابُ الشَّرِيفُ التَّقْوِيُّ ذُو النَّسَبِ الصَّحَابِيُّ الَّذِي كُلُّ أَمْرٍ لِأَمْرِهِ تَابِعٌ ،
 وَعَمَلًا بِمَا رَأَاهُ الرَّأْيُ الْكَرِيمُ الَّذِي إِذَا كَانَ الْجَمَالُ شَافِعًا كَانَ هُوَ لِلْجَمَالِ شَافِعٌ ، وَإِذَا
 أَتَى مِنْ أَتْبَاءِ الْعُلَمَاءِ قُرُوعًا [لَا] تَمِيلُ عَلَيْهِمُ الْأَيَّامُ مِيلَهُ ، وَإِذَا وَقَفَتْ فِي طَرَفِهِمْ
 الْأُنْدَادُ قَالَ اقْتَصَارُ نَسَبِهِ الْأَنْصَارِيُّ : يَا بَنِي اللَّهِ ذَاكَ وَبَنُو قَيْلَةٍ ؛ وَقَبُولًا لَتَزُولُ^(٢)
 هَذَا الْوَالِدِ الَّذِي أَعْرَقَتْ فِي آفَاقِ الْعِلْمِ مَطَالِعُهُ ، وَإِقْبَالًا عَلَى هَذَا الْوَلَدِ الَّذِي تَبَحَّثَ
 فِي أَسْتِحْقَاقِ التَّقْدِيمِ مَطَامِعُهُ ؛ وَطَلَبًا بِجَنَابَةِ هَذَا الْفَاضِلِ الَّذِي طَلَبَ أَصْلًا وَفِرْعًا ،
 وَقَلَّمَ نَفْسَهُ وَوَالِدَهُ وَتَرَا وَشَقَمَا ؛ وَهَذَا الْبَادِي الشَّيْبَةِ الَّذِي يَأْمُرُ بِفَضَائِلِهِ عَلَى
 الشَّيْبِ وَيَنْهَى ؛ وَهَذَا الْوَاضِحُ الدَّلَالَةِ عَلَى مَفَاحِرِ قَوْمِهِ : حَبِذَا الدَّعْوَى وَبَيْتُهَا
 مِنْهَا ؛ وَهَذَا النَّجِيبُ الَّذِي قَدَّمَهُ أَبُوهُ مُنْجِبًا ، وَذَكَأَهُ مُعْجِبًا ، وَقَلَّمَهُ فِي الْأَوْرَاقِ
 مُعْشِبًا ، وَاشْتَفَاهُ : إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَيُّسَ يَا آيَتُ إِنِّي رَأَيْتُ مِنْ مَحْفُوظَاتِ كُتُبِي
 مَا يَقَارِبُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ؛ وَإِذَا دَرَسَ كَانَ لَطَلَبَتِهِ مَلَاذًا ، وَإِذَا عَانَدَهُ مُعَانِدٌ قَالَ
 بِرَفِيعِ هِمَّتِهِ : يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنِّي هَذَا ؛ وَإِذَا قَرَأَ كُتُبَ فَصَاحَتِهِ أَنْهَلَ ذَوِي
 الْأَلْبَابِ ، وَإِذَا فَتَحَ لِتَفْسِيرِ كِتَابِ اللَّهِ فَاتِحَةً ، عُوذَ بِفَضْلِ : ((أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ))
 وَإِذَا رَوَى الْأَحَادِيثَ أَطْرَبَتْ حَقِيقَتُهُ السَّمَاعَ ، وَإِذَا أَخَذَ فِي دَفَائِقِ الثَّقَلِ وَالْعَقْلِ
 عُلِمَ وَعُقِلَ أَنَّ الْفِتْرَةَ صَنَاعٌ .

(١) في القاموس «أهلته لذلك رآه له أهله» .

(٢) هي قبلة بنت كاهل أم الأوس والخزرج .

فليأثر هذه المدرسة المباركة ببيان عربي وإن كان نسبها طرخانياً، وعلم روضي لا يعرف العلماء شقيقه وإن كان مذهبُه نُهانياً ؛ ومباحث تُدكي نارَ قريحته : فكم طَبَّخَ لأنداده من أصحاب «القُدوري» قدرا ، ولزومِ دريسٍ يسرُ أباه بمذهبه : فإنه القاضي «أبو يوسف» خبراً في الحقيقة وخبراً ؛ والله تعالى يَصُونُ شيعته المقبلة من طواريق الحداث، وينفعُ بعلومِ بيته التي من شك منها في الحق فكأنه من الحداث.



وهذه نسخةُ توقيعِ بتصديرِ الجامع الأمويّ، من إنشاء ابن نباتة ، كُتب به
«شمس الدين بن الخطيب» وهي :

رسم بالأمر الشريف - لا زالت نعمه ظاهرة الفضل كالشمس ، طاهرة
الوضوح من دَنَسِ اللبس ، وأفرة الثمّو فيومها قاصِر عن الغد زائدٌ على الأَمْس - أن
يرتّب فلانٌ في كذا ويرتّب له كذا على المصالح ، فكم للسامين في جامعِ طَلِبه مَصلح ،
وفي منافجِ قَصده متاجح ؛ وفي فوائده نصيب ، وفي طُرُقِ هُدهاء معالِم : ولا تُشكر
«المعالم» لأبن الخطيب ؛ ليتناول هذا الراتبُ المستقرّ من أحلّ الجهات وأجلّها ،
وتكون شمسُه المباركة خيرَ شمسٍ تجرّى لُستقرّها ؛ عوضاً عما نزل عنه من تدريس
الحلقة الممدوقة بصاحبِ خمسٍ وتصديرًا بالجامع الأمويّ - يسط به أنواره
الشمسية ، وينقلُ أسمه إلى إمرة العلم بدمشق عوضاً عن الحلقة الحِصية ؛
فليعتمد ما رسم به ، ولا يتحوّل عما قضى العدل والإحسان بموجبه .

الضرب الثاني

(من توقع أرباب الوظائف الدينية بالشام -

ما يكتب به لمن هو بأعمال دمشق ، وهو على مرتبتين)

المرتبة الأولى

(ما يفتتح به « أما بعد حمد الله » وفيها وظائف)

توقع بتدريس المدرسة النورية بدمشق^(١) ، من إثناء الشيخ جمال الدين بن نباتة ،

كتب به للقاضي زين الدين « عمر البغلياني » به المجلس العالي وهو :

أما بعد حمد الله الذي جعل لوجوه العلم زيناً وأبى زين ، وأقر لأما كتبها عينا
 بمن يكون التنبيه على فضل مكانته فرض عين ، ونشر أحاديثها بمن إذا حدث عن يد
 تمكنه في العقل والنقل قيل : صدق « ذو الدين » ، وأحيا مذهبها بمن إذا عقدت
 الخناصر على أمثاله العلماء كان أول العقد وثاني النيث وثالث الثمرين « ،
 والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله الذي أوضح تبيين الهدى وسنة ،
 وأرهم شبا الحق وسنة ، وعلى آله وصحبه الذين منهم « علي » مفتاح مدينة العلم
 و« عمر » سراج أهل الجنة ، ما جرت أقلام العلم والجود في هذه الأيام الصالحة
 طلاقة العنان مطلقه الأعنة - فإن أولى العلماء بمدارس علم لا خلت ، وبجالس
 فهم عزت بأهلها فلا تمزقت ، ومشاهد عقل وتقل لا عقلت ألسنتها بعد مستحقها
 ولا أنتقلت - من أضاءت مشكاتها النورية بمصابيح كليمه ، وفحت كائنها النورية
 عن زهرات الهدى بقطرات قلبه ، وتذكرت بأوقاته الأخيرة عهد أهلها من هداة
 الاسلام وأوقات ذى سلمه .

(١) صوابه بمص ، كما يؤخذ من التوقيع .

ولما كان فلان هو المقصود بخلاصة هذا المعنى، والممدود إليه نظر هذا الوصف
 الأسنى؛ والعالم الذي تشبهت بأسباب محاسنه بلد «المهمين»، والسابق وإن خلا
 وقته الطاهر خلف وقت «إمام الحرمين»؛ كم أجتنى ثمر الفوائد من أصل وفرع؛
 وكم بات قلبه من ورق فتاويه وإسكات مناويه بين وصل وقطع؛ كم صدق برق
 بديته الأفكار حين شامت؛ وكم تبهرت عند ليل المَشكلات «عمر» ثم نامت؛
 وكم تهادت نظره كُتب العلم حتى قال «كتاب الأثم»: «نعم الولد النجيب»، وقال
 «كتاب الروضة»: «نعم أخو الغائب الصائب على رياض القول المصيب»؛ وقال
 «الشامل» من فضله: هذا لطلبته «نهاية المطلب»، وقال «التنبيه» على محاسنه:
 «ليت النافعة» وآه فدرى أى الرجال «المهتّب» وكانت المدرسة الشهدية الثورية
 بمحضر المحروسة قد شهدت مع من شهد بفضله، وسعدت ببُسله؛ ووُسمت بعلم
 جانيه، وسمت سمو الشهباء: هذه بمقرّ تدرسه وهذه بمجلس حكه؛ ثم زار دمشق
 زورة تشوّقت [إليه] بعدها تلك المشاهد، وتشوّقت إلى العود هاتيك المعاهد؛ وقضى
 الوفاء أن يعاد إليها أحسن إعاده، وأن يرجع إلى الأماكن الشهدية الشاهدة بـ
 فكون منه عادة ومنها شهاده، وأقضى الاستحقاق أن يردها بالمعلوم المستقرّ وزيادة
 وأحسن ما وُرد البحر في الزماده.

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - أعلاه الله وشرفه، وحلّى بسيره الصالحة شمع
 الدهر وشقته - أن يستقرّ فلان في تدريس المدرسة الثورية بمحضر المحروسة على

(١) يشير إلى بيت بشار بن مراح عمر بن العلاء أحد عمال المهدي.

إذا أظفلك حروب العدا * فبسه لها عسماً ثم نم

وبسده

فنى لا ينام على غسرة * ولا يشرب الماء إلا بدم

حادثه ، وعلى نهج إقامته وإفادته ؛ بالمعلوم المقرر له يجلس الحكم العزيز الشافعي
بدمشق المحروسة : رعاية تلك المعاهد الثورية التي تتأرجح بها الأصال والبكر ، وأنوار
القبول القائلة لوفئها الطارق : «عليك سلام الله يا عمر» .

فلبعد إلى هذه الوظيفة عود الحلي إلى العاطل ، وليقبل على رتبته المرتبة إقبال
القيث على الماحل ، وليقل بلسان تهديه لمعانيه : إن كان أعجبكم عامكم فعودوا إلى
خص في قابل ، ولينصريقاعها المحصية بجلاد جلاله فإنها من أول جند الإسلام ،
وليقيم الآن في هذه الأوقات الشامية فإنه بركة الوقت والبركة في الشام ، مثيراً من
أفلام علومه أزكى القروس ، مظهرًا من مباحثه النقائس مبهمًا من ملكيته النفوس ،
عامراً لمعاهدنا بدروسه : وبأعجبا لمعاهد تعمّر بالدروس ! ؛ ذاكرًا للوصايا الحسنة
التي لا تقص عليه فهو أخبر بها ، والتي من أولها وأولها تهوى الله تعالى وهي
بأفعاله أمسك من تغايل العروض بسببها ؛ والله تعالى يمضده في رحلته ومقامه ،
ويتمع الرتب تارة يجالس دروسه وتارة يجالس أحكامه ، ويروى صدئ مضر
والشام من موارد ضربه : هذه بأوفى من نيلها وهذا بأوفر من غمامه .

المرتبة الثانية

(من توابع أرباب الوظائف الدينية بأعمال دمشق -

ما يفتح به «رسم بالأمر» ، وفيها وظائف)

وهذه نسخ توابع من ذلك :

نسخة توقيع بحسبة بعلبك : من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، كُتب بها

ل«شهاب الدين بن أبي النور» ، وهي :

رُسم بالأمر الشريف - لازالت تُهْب أوامره عالية السَّنا والسَّناء، وفيَّة لذوي
الاستحقاق بَمزيد الاعتناء والاعتناء ، جليَّة البرِّ بمن شهد بِحُسنِ حِسْبته حتَّى لسانُ
الميزان وفمُ الكَلِّ وشَفَّةُ الإناء - أن يستمرَّ فلانٌ ... لِما ذكر من أوصافه التي
ضاعفت فيه الرِّغبه ، وحالفت به شُمُو الرُّبّه ، وشهدت بها حِسْبته تلو الشُّهود :
وحسبك من آجتمعت على فضله شهادة القرض وشهادة الحِسْبه ؛ وَلِما صحَّ من
كفائه وتجريده ، ووضَّح في هذه الوظيفة من تدرِّسه التي تدرِّى به ؛ وَلِما تعيَّن
من استمرار شهابه في المتزلة التي تتكسَّى من أضوائه وتكتسب ، وهذه الرتبة التي
تعلو بمعرفته : وكفاه أنه يرزق من حيثُ يَحْتَسِب ومن حيثُ لا يَحْتَسِب ! ؛ وأنه
فيها ذو الرأى الرَّائد ، والنفع الوارد ، والشَّهاب الذي نُورُهُداه في وجه المريد وأثرُ
كَيِّ حِسْبته في وجه المارد ؛ وأنه وَلِيها ولاية لا تزال تُذكر وتُشكر ، وعُرف بوفائها
وكان أوفى من أمرٍ بمعروف أو نهي عن مُنكر ؛ وأنه قام حقَّ القيام حتَّى قال
البلد : رعى الله زمانك ، وأجتهد حتَّى قال الاعتبار للميزان : لا تُذكر الزَّيف
ولا تُحرَّك به لسانك .

فليستمرَّ في حِسْبته المباركة استمرارًا يُستحلى ذكره ، ويُستحلى في الأسمِ شهابه
وفي السَّمة بدُّه ، وليَحْتَسِب في نفع المسلمين حِسْبَةً يَحْتَسِبُ بها عند المملَكة سَناه
وعند الملائكة أجره ؛ سالكا على نهج العزم الجميل ، جاعلا أولَ نظره من أقوات
الرَّعيَّة في البقيق والجليل ؛ مُستبينًا لما أكتسب من غشِّ المطاعم والمشارب فلم يَسْتَنِ ،
حاكما - ولا سَيِّما في قاعات بعلبك - برأى يفرِّق بين الماء واللبن ؛ جانا على بيع
الماكِلِ بِخِبرَةٍ من مَلَأ بصره ، حريصا على أن لا يُنشد لسانُ الدَّاخل فيه « ومن لم
يَمُتْ بالسَّيف مات بغيره » ؛ دافعا ضرر المُجْتَرى البائع عن المُشْتَرى المسكين ، ذِكْما
فيا يَدُ كَيِّ فيدنج بسكِّين ويذبح مُتَنَوِّله بغير سَكِّين ؛ قاضيا بالحق في كلِّ ما يُسْتَرى

وبياح، متكئاً في أنواع الملابس وغيرها بالبائع والدَّراع؛ وأزناً بالْعَدْل في كلِّ موزون ومكيول، رادعاً لكلِّ عَمَالٍ مُدَاهِنٍ في كلِّ مَنهون ومعمول، حاملاً على الحال المستقيم كلَّ حَيٍّ لديه وكلَّ من هو على آلَةٍ حَدْبَاءَ تَحْمُولٍ؛ ومن زاد في الإضرارِ فليمنع زائده، ومن زاد في الاشتطاط وتنجير الشراء فليقطع بالنكال زائده؛ ومن دَسَّ في الأُمْرِ به فلا يلبث أن يُلَظَّظَ التَّادِيْبَ وأن يُرْفَقَ، ومن سَقَى الضُّعْفَاءَ منها كما يقال: سَقِيَّةٌ فَلْيَسْقِهِ من السُّوطِ ما يكاد يَنْتَرِجُ جِسْمَهُ على الحقيقه؛ ومن عَاتَى صِنَاعَةً ليس له فيها يدٌ فَلْيُزِمْهُ بما بَسَطَ في إفساده اليدين، ومن حَكَمَ في صِنَاعَةِ الطَّبِّ بما لم يَسْغُ في المسائل فَلْيَصْرِفْهُ منها بِخَفَى حَيْنٍ؛ ومن تَمَرَّدَ في مُعَامَلَتِهِ فَلْيَرْدِّهِ بالقهرِ إلى صالح مَرَدِّهِ، ومن عَدَا وَعَتَا فَلْيُعَامِلْهُ بما يخرجه من التَّرجِح لامن الفَرْح من جِلْدِهِ؛ مُقْدِماً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا جَزَع، مُسْتَمِعِياً بالدِّبْوَانِ فيما أَمَرَ: فَإِنَّ اللَّهَ يَزَعُ بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزَعُ؛ مُجْتَهِداً فيما يَزِيدُ تَهْتُمُ سَعْيِهِ المشكور، وَصُنِّعِهِ المبرور، مُتَنَبِّهاً لآفَاقِ مَنْصِبِهِ وكيف لا وهو الشَّهَابُ بن أبي الثَّور؟؛ وَتَقْوَى الله تعالى هي السَّبِيلُ الْأَقْوَمُ فَلْيَكُنْ لها مِنْهَاجاً، وَلْيُؤَاطَبْ على طَرِيقَةِ الْحَقِّ: فَكَمْ شَرَّعْنَاهَا حَادٍ وَكَمْ خَيْرٍ مِنْهَا جَا! .



توقيع بنظر السبيل بدرج الحجاز، بالركب الشامي، من إنشاء ابن ثباته، كُتِبَ به للقاضي «قطب الدين السبكي» وهو :

رُسم بالأمر - لا زال يُقَرُّ بالوظائف الدِّينية من يُجِبُّها ويُجِبُّه، ومن يتواردُ على ذِكْرِهِ بِأَدَى الشُّكْرِ وَرَكْبِهِ، ومن إذا بَدَتْ مَطَالِيعُ الْخَيْرِ فهو نَبِيٌّ وَإِذَا دَارَ فَلَكُ التَّناء فهو قُطْبُهُ - أن يستقر ... : لما ذُكِرَ مِنْ وَصْفِهِ الْجَمِيلِ، وَأَسْتَحْقَاقِهِ الَّذِي دُلَّ عَلَيْهِ

البرهانُ فى محفله وبرهنَ فى موكبه الدليل ؛ وديانته التى هى لمباني الأوصاف الرُفعة
 أساس ، وكفائته التى لها من نفسه نص ومن نفس قومه قياس ؛ ومربراه فى بيت
 تقي صحّت تجارب معدنه على السبك ، و[دلت] مناقبه على استحقاق الرتب التى يقول
 بشيرها : ففأ نبشيم ! ويقول حاسدها : ففأ نبك ؛ وليا تقدم من تشوفه لهذه
 العزمة الناجحه ، وتشوفه من هذه المبرة الشريفة الصالحية بسلك تلك الفجاج
 الصالح ؛ ولأن الضعف عاقه عن الماضى فاطلقته الآن هذه القوة ، وجعلت له
 بأوفى القادرين على الحسنات والإحسان أسوه ، ومكنته فى هذه الشقة الطويلة
 على تحب أذبال المعروف من متزل الكسوة إلى منازل ذات الكسوة .

فليأشر هذه الوظيفة المبرورة بعزم يُبهر من الوجد ما كنه ، وحزم يُبهر من المدح
 المشكور كائنه ، ومُتمعة على ألسنة التذكار يمتضى وتبقى حتى تكاد تكون للكواكب
 السبعة تأمينه ؛ مُتصرفاً فى الإرفاد والإرفاق ، بأراء يؤيد الله [بها] الذين هم رفاق
 وأى رفاق ؛ مُتفقاً فى سبيل الله على يده أعدل إيثاق ، حامياً عدله من لفظة نفاق ؛
 مُخصباً بإنعام الدولة الشريفة فى القفر الماحل ، حاملاً للنقطع على أنهض وأبرك
 الرواحل ؛ مواصلاً لنقل الأزداد إقامته ومسيره ، بالماء والشراب الطيبين الطهورين
 ضعیفه وقعيه ، وبأنواع الأدوية والعقاقير التى تُتم متابع الركب [و] عقيره ، ويَجْبُر
 على الحالين كسيره ، وبوفاء جميع المستحقين تألياً عن لسان الدولة الشريفة :
 ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ داعياً مجلّود مُلكها فى تلك المشاهد
 التى هى بقبول مصابيد الدعوات وتزول مواعد البركات جديره ؛ والله تعالى يتقبل
 دعاءه وسعيه ، ويحسن كلاءته ورعيه ، بمنه وكرمه ! .

الصنف الثالث

(من التواقيع التي تكتب لأرباب الوظائف بِلِمَشَقٍّ - ما يكتب لأرباب
الوظائف الديوانية، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما يكتب لمن يحاضرة يَمَشَقُّ منهم، وهو على ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى

(ما يفتح به «الحمد لله» وفيها وظائف)

وهذه نسخ تواقيع من ذلك :

- نسخة توقيع بكابة الدُّسْت بِلِمَشَقٍّ ، كُتِبَ به لِنَاجِ الدِّين « عبد الوهاب »
- ابن المنجا التنوخي، عوضاً عن شمس الدين «محمد بن حميد» بالوفاة، وهي :
- الحمد لله الذي جعل نَاجِ الأولياء أَيْثَمًا حَلَّ حَلِّي المَرَاتِبِ وَزَانَهَا ، وَقَدَا عَلَى التَّحْقِيقِ
كُفَاهَا وَوِزَانَهَا ، وَأَلْبَسَهَا مِنْ بَرَاعَتِهِ وَرَاعَتِهِ عَقُودًا تَرُّ دُرَرَهَا وَبُحْمَانَهَا ، وَمَنَعَ
دَسْتَهَا الْعَلَى مِنْ أَلْفَاظِهَا الْمَجِيدَةِ بَيَانَهَا ، وَزَادَهَا بِأَصَالَتِهِ نَفَارًا يَسْتَصِحِبُ وَقْتَهَا
وَزَمَانَهَا ، وَأَرْتَقَى ذِرْوَتَهَا الَّتِي طَالَكَ زَادُ بِالْمَعَالَى أَرْكَانَهَا ، فَتَبَوَّأَ بِمَزِيدِ الْمَجْدِ مَكَانَهَا .
- نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي أَجْرَلَتْ إِحْسَانَهَا ، وَأَجْمَلَتْ أَمْتِنَانَهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تَشْهَدُ الْقُلُوبُ لِيَمَانَهَا ، وَيَدْنَحِرُ الْقَائِلُ إِلَى يَوْمِ الْخَوَافِ
أَمَانَهَا ، وَيَتَبَوَّأُ بِهَا فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ مِنْ يُخْلَصُ فِيهَا جَنَّتُهُ جَنَّتَانَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا
عَمَّادَ عِبَادِهِ وَرَسُولَهُ الَّذِي أَظْهَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ الشَّرِيعَةَ الْمَطْهُرَةَ وَأَبَانَهَا ، وَشَرَفَ هَذِهِ
الْأُمَّةَ وَرَفَعَ عَلَى جَمِيعِ الْأُمَمِ شَانَهَا ، وَبَعَثَهُ رَحْمَةً إِلَى كُلِّ خَلْقٍ فَأَقَامَ بِمَسْجَرَاتِهِ دَلِيلَ

الهداية وبرهانها ، وأطلقا بُنود إرشاده شَرَر الضلالة ونيرانها ؛ وأحمد بدينه القويم
وصراطه المستقيم مُعْتَقِدَات [طوائف] الشُّرك وأديانها ؛ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ الَّذِينَ مَأْمَنُوهُمْ إِلَّا مَنْ تَزَهَّ نفسه النَّفِيسَة وصانها ، وسَلَّكَ في خِدْمَتِهِ وَصَحْبَتِهِ
الطَّرِيقَة الْمُثَلَّى فَاحْسِن أَسْرَارَ أُمُورِهِ وإِعْلَانَهَا ، صَلَاةً دَائِمَةً باقيةً تَحْمَدُ بِالْأَجُورِ
أَقْرَانَهَا ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَنْ جَدَّدَنَا رِفْعَةً تَاجِهِ ، وَسَدَّدَنَا قَوْلَهُ في مجلسٍ مَدْلٍ يَنْشُرُ فِيهِ
بِكَلِمَةِ الْحَقِّ مَا أَنْطَوَى مِنْ أَذْرَاجِهِ ، وَحَدَّدَنَا لَهُ مَحَلَّ سَفَارَةٍ يُلْحَظُ فِيهِ حَوَائِجُ السَّائِلِ
فِيُغْنِيهِ عَنِ الْحَاجَةِ وَبِحَاجَتِهِ - مَنْ هُوَ فِي السُّودِّ عَيْرِيقٍ ، وَلِسَانُهُ فِي الْفَضَائِلِ
طَلِيقٍ ، وَقَلَمُهُ حَلَّى الطُّرُوسِ بِمَا يَقُوقُ زَهْرَ الرِّيَاضِ وَهُوَ لَهَا شَقِيقٌ ؛ وَكَانَ فُلَانٌ
هُوَ الَّذِي صَلَا تَاجَهُ مَقَرَّقَ الرَّأْسِ ، وَجَلَا وَصَفَهُ صُورَ الْحَاسِنِ وَالنَّفَّاسِ .

• فَرُسِمَ بِالْأَمْرِ الْعَالِي - لَا زَالَ يُؤَلَّى جَمِيلًا ، وَيُؤَلَّى الْمُنَاصِبَ الْجَلِيلَةَ جَلِيلًا - أَنْ
يَسْتَقَرَّ الْمَشَارُ إِلَى فِي وَظِيفَةٍ تَوْقِيعِ الدَّمِ الشَّرِيفِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ ، عِوَضًا عَنْ فُلَانٍ
بِحُكْمِ وَفَاتِهِ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، بِالْمَعْلُومِ الشَّاهِدِ بِهِ الدِّيَوَانُ الْمَعْمُورُ إِلَى أَنْ رَوَّقَتْ .

فَلْيَا شَرُّ ذَلِكَ مَبَاشَرَةً تُشْكِرُ مَدَى الزَّمَانِ ، وَتُحْمَدُ كُلُّ وَقْتٍ وَأَوَانٍ ، وَيُمَلَأُ بِالْأَجُورِ
لَنَا صُحُفًا بِمَا يُؤَدِّيهِ عَنَّا مِنْ خَيْرٍ وَإِحْسَانٍ ؛ وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَأَهْمُهَا التَّقْوَى ، فَلْيَلْزَمْ
عَلَيْهَا فِي السَّرِّ وَالنَّجْوَى ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَحْرُسُهُ وَيَرْطَاهُ ، وَيَتَوَلَّاهُ فِيمَنْ تَوَلَّاهُ ،
وَالْإِعْتِمَادُ



[وهذه نسخة] توقيع بَنَظَرِ الْخَاصِّ ، مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ ثُبَاتَةَ ، كَتَبَ بِهِ لِلْقَاضِي

«بهاء الدين بن ريان» ، وَهِيَ :

الحمد لله على رُتب الأعيان ، ومِنَى أجباء السيادة على ممر الأحيان ، ومُبْدَى
«بهاء» المناصب ، بمن فضله الواضح والصبحُ مَيَّان ، ومُنْشَى ثمرات المناقب ،
في منابت أهلها حيث الفرجُ باسِقٌ والأصل «زَيَّان» .

نحمده على أن يسرَّ اليَتَّ المعلِّ بِحَسَنِهِ ، وأَعِظَ جَفَنَ الآمال من وَسَنِهِ ؛ ونشهدُ
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تجمع لنا من خيري الدنيا والآخرة كَرَمَ
المُطَلِّين ، وَشَرَفَ الْمُتَصِبِينَ ، ونشهدُ أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المَشْرِقُ فضله
على أهل المَشْرِقِينَ والمَغْرِبِينَ ؛ صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وصحبه الذين أصبح التَّاءُ عليهم
وقفا ، وأَشْتَمَلَ الذِّكْرُ عليهم عَطْفًا ، صلاةٌ تُضِيءُ أَفَاقَ القَبُولِ بِسَمْعَةِ صُبْحٍ لا تُقَطُّ
ولا تُطْفِئُ ؛ وسَلَّمَ .

أما بعدُ ، فإنَّ للنَّاصِبِ الدِّينِيَّةِ نِسْبَةً بِيُوتِ أَهْلِ الدِّيَانَةِ ، وَخُلَاصَ الرُّتَبِ تَعَلُّقًا
بِالْخُلَاصِ من ذَوِي الكِفَاةِ والأَمَانَةِ ؛ والمنازلُ بِكَوَاكِهَا المُنَاقِبَةِ ، والحِداثُ بِمُغَارِيبِهَا
الْمُنَاقِبَةِ ، ونَفُوسُ الدِّيَارِ بِسُكَّانِ مَعَاهِدِهَا الْمُتَشَوِّفَةِ الْمُتَشَوِّفَةِ .

ولَمَّا كَانَ الْخُلَاصُ الشَّرِيفُ وَالْوَقْفُ الْمَنْصُورُ لَوَجْهِ الْمُنَاصِبِ الشَّامِيَةِ بِمِزَلَةٍ
حُسْنِ الشَّامَتَيْنِ ، وَلِرِثَائِهِ الْخُصْبِ من جِهَتَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِمَجْلٍ نَفْعِ الْفَلَاحَتَيْنِ ؛ هَذَا
عَلَى صُنْعِ الرَّائِدِ الْمُصَوِّرِ ، وَهَذَا لِسَعَابِ الْخَيْرِ سَفَاحٍ لِأَنْهَرِ جِهَةٍ لِدَامَنْصُورٍ ؛
يَعْلُو هَذَا بِالْناظِرِ فِي دِفَاعِهِ إِلَى أَعْلَى الدَّرَجِ ، وَيَتْلُو هَذَا بِلسَانِ مِيزَانِهِ الْمُتَّفِقِ عَلَى
الْمَارِسَتَانِ : (لَيْسَ عَلَى الضَّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحِلُّونَ مَا يُنْفِقُونَ
حَرَجٌ) - لا يُلِيقُ الْجَمْعُ بَيْنَ رَتَبَيْهِمَا إِلَّا لِمَنْ يَجْمَعُ بِسَعْوِهِ فَضْلَ الدَّارَيْنِ ، وَمَنْ يُجِيدُ
بَنَاءَ قَلَمِهِ الْحَلْبِيَّ حَلَبَ ضَرْعَيْهِمَا الدَّارَيْنِ ؛ وَمَنْ تَشَأَ فِي بَيْتِ سَعَادَةٍ أَذِنَ اللهُ لِقَدْرِهِ
أَنْ يُرْفَعَ ، وَأَقْلَامُ بَيْتِهِ أَنْ تَنْفَعُ ، وَلِحَاسِنُ ذَوِيهِ أَنْ تَسْفَعَ بِجَاهِلِهَا إِلَى قُلُوبِ الْأَوْلِيَاءِ
قُسْفَعٌ ؛ وَمَنْ يَسُرَّ رِوَايَةَ فَضْلِهِ وَبُرُوقَ السَّمْعِ وَالْعَيْنِ ، وَمَنْ يَقْتَرِضُ شَرْفَهُ وَشَرَفُ

إخائه حُبَّ «الحسن» و«الحسين» ؛ ومن تَبَهَّجُ جوائح المحارب بتعبه ، وتلهَّجُ
ألسنته مصابيح المساجد بالنساء على تَرَدُّده وتَوَدُّده ، وَتَسْتَبِقُ جِياذَ عَزمه : فيدنا
الكُمَيْتُ في الشَّبهاء تَابِعُ أدبه إذا بَأَن أَدَهَمَ رَسِيلُ تَرَهْدِه ؛ ومن هَوَّلُ مناصبُ
حَلَب : لَهِ تَرَبَّاهُ المَقْتَبِل ! ؛ ومن يَنْشُدُ ثَبَاتُ وَقَارِه مع لُطَافَةِ حُلُقِه : «يا حَبْدًا جَبَلُ
الرَّيَّانِ من جَبَل» ! ؛ ومن تَتَهَّجُ أَخْبَارُه مَنَافِجُ الْأَزْهَار ، ومن يَشْهَدُ بِفَضْلِه جَيْشُ
المحارب في اللَّيْلِ وبِمباشرة جيش الحرب في النهار ؛ ومن تَأْمِي بلدةً فاروقها فِرَاقُ العَيْنِ
لِلوَسْن ، ومن يَرَوِي صَامِتٌ يَمْشِقُ وَغِيرها من تَدْبِيرِه عن «عامر» وعن «حسن» .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال من ألقابه الشريفة صالحُ المؤمنين ، وعِمادُ
الدَّاعِينَ لِدَوْلته الفاهرة والمُؤْمِنِينَ - أَنْ يَفُوضَ لِلجَنابِ العالِى فَإِنَّهُ الْمُعْتَمِدُ بِهِ
الأوصاف المتقدِّمة ، والمقصودُ بِإِفاضةِ حُلُلِها المُعلِّمة ؛ والموصوفُ الذى يَحُلُو وَصْفُه
إذا كُرِّر ، وَيَسْتَعِيدُ الأوصاف والأسماع إذا حُرِّر ، والأحقُّ بِرَبْيةِ عِزِّ في النُّظار
مَضَى وَأَبْقَى شَاءَ ، ومكانُ نَظَرٍ إِنْ لم يُقْلِلِ الدِّماءُ اليَوْمَ : أدام اللهُ عِزَّهُ ! قال :
أدام اللهُ بَهَاءَه ؛ وَاللَّائِقُ بِتَقْرِيرِ مَنْصِبٍ تَهَضُّرُ دَوْنَه المَطامِع ، وَتَصْدِيرِ دِيوانٍ إِنْ
أَتَقَطَعَتْ رِوَايَتُه عن «حمزة» فقد أَتَقَطَعَتْ رِوَايَتُه عن «نافع» .

فليأشِرْ هَذَيْنِ الْمُتَنَبِّهِينَ الْمُتَنَجِّبِينَ ، مجتهدًا في مصالح الخالص الشريف ، والوقف
الذى لا تحتاج هِمَّتُه فِيهِ إلى توقيف ؛ حَتَّى يَكُونَ خَيْرُ الخالصِ عامًا ، وأمرُ الوقفِ
تَامًا ؛ وَرِيعُهُما بالبركات خيرٌ محفوف ، والمنصوريُّ من جهة المعاضدة قد أَصْحَى وهو
بِالْعَضْدَيْنِ موصوف .

والوصايا متعدِّدةٌ وهو أَدْرِي وَأَدْرِبُ بِها ، وتقوى الله تعالى أَوَّلَى وَصِيَّةٍ تَمْسُكُ
المرءُ بِسَبِيحِها ، وشكْرُ النعمة أدلُّ على نَيْبِه هِمَمِ الرِّحالِ وعلى فَضْلِ مُهْدِيها ؛ والله تعالى
يَسُدُّ قَلَمَه ، وَيَثْبِتُ في مطالع العزِّ قَدَمَه ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِه ! .



توقيع بنظر الخزانة العالمة، من إنشاء ابن نباتة، كتب به للقاضي «تقي الدين ابن أبي الطيب» بـ«الجناب العالي» وهو :

الحمد لله الذي له خزائن السموات والأرض، وبجنته يهب منها ما يشاء لمن يشاء رضى المعاند أم لم يرض ، ويمتته فضلت مراتب أهل التقى على الرتب كما فضل على النافلة القرض ، وبعنايته بنيت بيوت أهل السيادة على الطويل وبقي صالح عملهم إلى القرض ، وهدايته سما إلى أعلى الخزائن من قهرضها أوصاف قلبه وقلم أبيه أحسن القرض .

نحمد على ما منح من خزائن فضله ، ونشكره والشكر ضامن المزيدي لأهله ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يدخرها الإنسان لنيته وقوله وفعله ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي جمع بفضله وفرق ببذله ، وأعطى ما لم تنطو ضمائر الأكياس في صدور الخزائن على مثله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه السالكين سنن فضيلته وفضله ، التابين في الكرم والبأس قياس بيانه ونص نصله ؛ ما أطلعت خزانة الوحي آثار تقط الغيث كالدرهم ، وخلعت على الدنيا خلع الروض متقلسة بمستدير الظلال مزروعة بمقود الكائن ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن الرتب ذخائر قويم في خزائن الاختيار ، وأخير أهل تركو هود شيمهم على حك الاعتناء والاعتبار ، وفروع خلف تظهر مظاهرها نصوصها الزكية سابعة الظل راحة الزهر فاهمة الثمار ؛ إذا احتيج منهم إلى ذخيرة نفع ، وإلى أخير وقت أروى على عزائم الأول وما صنعت ، وإلى فروع شجرة سرت محامد الضائفة : لا بما ضاعت بل بما تضرعت .

ولما كانت رتبةُ نظَر الخزانةِ العاليةِ بِمَشَقِّ المحروسةِ أَحَقُّ بِنَ هَذَا وَصْفِهِ ،
وهذا نَعْتُهُ فِي مُقَدِّمَةِ الذِّكْرِ الْجَمِيلِ وهذا إِلَيْهِ عَطْفُهُ ؛ إِذْ هِيَ مَرْتَبَةُ الْعُلِيَاءِ وَمَكَانُهَا ،
وَزُحْرَةُ سَمَاءِ الْمَلَكَةِ وَمِيزَانُهَا ؛ وَمَثَلُ غِيُوْثِ صَلَاتِهَا الْمَاحِرَةِ ، وَمَنْبُتُ رِيَاضِ
خَلْعِهَا الزَّاهِرَةِ ؛ وَأَفْقُ السَّعَادَةِ وَمَطْلَعُ نَجْمِهَا الْمُنِيرِ ، وَجَنَّةُ أَوْلِيَاءِ الدَّوْلَةِ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا
حَرِيرٌ ، وَمَعْنَى شَرَفِ الْأَكْتِسَاءِ وَالْأَكْتِسَابِ ، وَمَأْوَى الْفَاضِلِ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - الَّذِي
يَحْفَظُهَا التَّحْصِيلُ بِحِسَابٍ وَيُعْطِيهَا الْجُودُ بِغَيْرِ حِسَابٍ .

(١) ... (١) ... مَنْ تَضَمُّعَ أَطْرَافِهِ أَنْوَارِ السَّعَادَةِ ، وَتَحَفُّعَ أَطْرَافِهِ ...
السَّيَادَةِ ، وَتَنَقُّلُ جَلَسَتِهِ : إِمَّا مِنْ تَفْقِيزِ الدِّيْوَانِ لِمَرْتَبَتِهِ وَإِمَّا مِنْ تَدْرِيسِ الْعِلْمِ
لِسَبَابَتِهِ ؛ ذُو الْفَضْلِ وَالْفَضَائِلِ حَسَنُ التَّجَنُّيسِ وَالتَّطْيِيقِ ، وَالْكَتَابَةُ : مِنْ حِسَابِ
وَأَنْشَاءِ زَاكِيَةِ النَّثْرِ عَلَى التَّعْلِيقِ ؛ وَنَفْعَاتِ الْبِرِّ مِنْ نَفْعَاتِ الْعَيْشِ أَجُودُ ، وَالشَّيْبَةِ
فِيهَا النِّهْيُ فَكَانَهُ كَمَا قَالَ الْبَحْرِيُّ : نَسَبُ أَسْوَدَ ؛ وَالْهَيْمَ الَّتِي حَاوَلَتْ مَنَالَ الشُّهْبِ
الْمُتَنَعَةِ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ، وَالْكَلِمَةُ الَّتِي لَوْ طَائَنَ « الْبَصْرِيُّ » فَرَانِدٌ تَحْرِيرُهَا لَقَالَ :
كُلُّ هَذِهِ دُرَّةُ الْغَوَاصِ ، وَالْعَزَائِمُ الَّتِي رَامَتْ الْمَنَاصِبَ فَمَا قِيلَتْ مِنْ خِرَاطَتِهَا سِوَى
الرَّفِيعِ وَمَا رَضِيَتْ مِنْ دِيْوَانِهَا سِوَى الْخَاصِ ؛ كَمْ نَبَّهَتْ مِنْهُ الْمَقَاصِدُ « عُمَرُ »
ثُمَّ نَامَتْ ! ، وَكَمْ أَجْلَسَتْهُ كَوَاكِبُ الْيُمْنِ فِي صَدْرِ حَقِيلٍ ثُمَّ قَامَتْ ! ؛ كَمْ حَوَّيْ مِنْ
الْحَمْدِ سِنِيًا ! ، وَمَلَأَ الرَّبَاعَ خَيْرًا وَفِيًا ! ، وَقِيَّضَ اللَّهُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْأَيَتَامِ حَتَانًا مِنْ لَدُنْهِ
وَزَكَةً وَكَانَ قَيًّا .

(١) بياض بالأصل في الموضعين .

(٢) أخذه من بيت بشار :

إذا أيقظتك حروب العدا * فنبه لها عسرا ثم

يريد عمر بن العلاء أحد عمال المهدي وكان على طبرستان .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا بَرَحَ بَصَالِحِ الدهر كالزهر ، مالكُ ثَمُوسِ
الأولياءِ والأعداءِ : هاتيكِ بالإِنعامِ وهاتيكِ بالقهر - أن يفوضَ إليه نظراً الخزانةَ
العاليةَ مُضَافاً إلى ما بيده من نظر الخالصِ الشريفِ : لأنَّ مثله لا يُصرفُ عن وظيفتهِ
بِسَناه تُعترفُ ، ومن نداه تُفترِفُ ، وأنَّ اجتماعَ الدليلِ والمعرفةِ قاضٍ بأنَّ «عمر»
لا يتصرفُ ؛ وأنَّ الخالصَ لخاصِّ الأولياءِ أمسَّ مكانه ، وأنَّ الخزانةَ أنسبُ بمن
عُرفَ بالصيانةِ ، وأنَّ نِزائِنَ الأرضِ وهى مِصرُلو تَطْلُقُ ظَئيرُها فقال : ليس لى مثلُ
هذهِ الخزانةِ ؛ وأنَّ عينَ الأعيانِ أولى بالنظرِ ، وأنَّ الأنظارَ لا بل الصَّماةُ أحقُّ
بـ«عمر» ؛ لِمَا عُلِمَ من سيرتهِ النقيةِ ، ومسيرتهِ التقيةِ ، وصفاتهِ التى يمتدُّ فيها نفسُ
القولِ حتَّى ينقطعَ فى الأوصافِ بعدُ بقيةٌ وبقيَّةُ .

فليأشِرْ ما فُوضَ إليه من أعلى المراتبِ المُتَّجِباتِ ، والوظائفِ المُتَّجِباتِ المُعْجِباتِ ،
والجهاتِ التى مالها كَيْتتهِ الطَّيِّبِ : والطَّيُونُ للطَّيِّبَاتِ ؛ مُستَعِجلاً من نظر هذهِ
الخزانةِ تَوَبَّ سَعْدُهُ الجديدِ ، مُعَمِّلاً فى مصارفِ النَّهَبِ والْفِضَّةِ بَصَرَآرائِهِ الحَديدِ ؛
مُنْبَها لها عِزَمَهُ العَمَرىَ ونعم من يُنبِّه ، مُشَبِّها فى الكِفَاءَةِ أباهُ المَرْحُومَ وما ظَلَمَ من
أشبهه ؛ مُقرِّراً من أحوالِها أحسنَ مُقرِّراً ، مُحَرِّراً من أُمُورِها أولى ما أَعْتَمَدَ والخِزانةُ
أولى بالمُحرِّرِ ؛ حَافِظاً لما لها بَقَلَمِ التَّحْصِيلِ حتَّى ينفذَ قَلَمُ الإِطْلَاقِ ، صائِناً لَوَفْرِها حتَّى
يُنْفِقَهُ الكَرَمُ خَشْيَةَ الإِمْسَاكِ بعد ما أَمْسَكَ الصُّونُ خَشْيَةَ الإِنْفَاقِ ؛ مُسْتَدْعِياً من
أَصْنانِها كُلِّ ما تَوَسَّعَ وَتَصَنَّفَ ، وَتَوَسَّعَ وَتَقَوَّفَ ، مُثَبِّتاً كُلِّ ما خَلِيعَ من ديوانِها العَزِيزِ
وَتَحَلَّفَ ؛ مُؤَلِّفاً للكِساوى^(١) فى رِحْلَةٍ كُلِّ صَيْفٍ وَشَتَوَةٍ ، مُوَاصِلاً للأَحْمالِ من دِمَشْقَ
على كُلِّ حالٍ من جهةِ الكُسُوفِ ؛ مُنْبِيا لإِنعامِها بَقَلَمِ الإِطْلَاقِ التَّامِ ، مُتَّقِفاً بِعَصَا قَلَمِهِ
فى يَدِهِ البَيْضاءِ ما تَأْتِىكَ عَصَا الأَقْلَامِ ، حَرِيصاً على أن يكونَ بابُها فى الكَرَمِ كما يقالُ :

(١) لم يرد هذا الجمعُ فإِيايَدينا من كتبِ الفقه - والظاهرُ أَنه جارى العامة فى استعمالهِ .

«سَهْلُ الْجَبَابِ مُؤَدَّبُ الْخُدَامِ» ؛ حَامِلًا بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي بِهَا يُبْدَأُ الذِّكْرُ الْجَمِيلُ وَيُنْتَهَى ، وَيُلْبَسُ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ رِدَاءُ الْخَيْرِ الْمُعْلَمِ ، غَنِيًّا عَنْ تَبْيِينِ بَقَايَا الْوَصَايَا الَّتِي هُوَ فِيهَا بِحَرٍّ ، وَأَبْنُ بَحْرِ بِكُتَابِ «الْيَانِ وَالتَّبْيِينِ» أَعْلَمُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَمْدُهُ بِفَضْلِهِ ، وَيَحْفَظُ عَلَيْهِ الْفَضْلَ الَّذِي هُوَ مِنْ أَهْلِهِ ؛ وَيَمْلَأُ أَمَالَهُ بِغَنَامِ الْخَيْرِ الصَّيِّبِ . وَيُذِيقُ سَعَادَةَ بَيْتِهِ الَّذِي لَا يَرْفَعُ الشُّكْرَ لَطِيهِ إِلَّا الْكَلِمُ الطَّيِّبُ .

المرتبة الثانية

(من تَوَاقِعِ أَرْبَابِ الْوُظَانِفِ الدِّيَوَانِيَةِ بِمَحَاضِرَةِ دِمَشْقٍ - مَا يُفْتَحُ بِهِ «أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ»)

وهذه نسخ تَوَاقِعِ مِنْ ذَلِكَ :

[نسخة] تَوَقِيعُ بَنْظَرِ الْأَمْرِئِ وَنَظَرِ الْأُمُورِ ، كُتِبَ بِهَا لِلدُّوَادَارِ الْأَمِيرِ «سُودُونَ الطَّرْفِ نَظَائِ» كَافِلِ الشَّامِ ، وَإِنْ كَانَتْ هِيَ فِي الْأَصْلِ دِيَوَانِيَةً أَوْ دِيْنِيَّةً ، وَهِيَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي خَصَّ أَوْلِيَائَهُ بِفَضْلِهِ الْوَافِرِ ، وَعَمَّهُمْ بِحُسْنِ نَظَرِهِ فَأَشْرَقَ صُبْحُ صَبَاحِهِمُ السَّافِرِ ، وَأَتَتْصَى مِنْ عَزَائِمِهِمْ لِنَصْرَةِ الدِّينِ سَيْفًا يُسْرِ الْمُؤْمِنَ وَيَغِيظُ الْكَافِرَ ، وَأَجْتَنَى مِنَ الْكُفَاةِ مَنْ يَشِيدُ مَعَاقِلَ الْإِسْلَامِ بِفَضْلِهِ الْمُتَطَاوِرِ ؛ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ الْأَمِينِ الْأَتَكِلِينَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي أَضَاءَ بَرَسَاتِهِ الْوُجُودَ ، وَخَصَّصَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْصِّفَاتِ الْفَاتِحَةِ وَالْمَآثِرِ الْحَسَنَةِ وَالْجُودِ ؛ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ حَرَسُوا الْمِلَّةَ الْحَنِيفِيَّةَ مِنْ جِهَادِهِمْ بِأَمْنٍ سَوْرٍ ، وَأَوْهَنُوا جَانِبَ الْكُفْرِ وَأَتَقَدَّوْا الْأَمِيرَ وَجَبُّوا الْمَكْسُورَ ؛ صَلَاةٌ دَائِمَةٌ مَدَى الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ ، مُغْلِيَةٌ لِلْأَوْلِيَاءِ عِلْمَ النَّصْرِ الْمُنْشُورِ - فَإِنَّ أَوْلَى مَنْ عَدَّقْنَا بِهِ الْمَنَاصِبَ السَّيْنِيَّةَ ، وَفَوَّضْنَا إِلَيْهِ جَلِيلَ الْوُظَانِفِ الدِّيْنِيَّةِ ؛

وَنُظُنَّا بِهِ فَكَ رَقَبَةِ الْمُسْلِمِ مِنْ أَمْرِهِ ، وَخَلَّاصَهُ مِنْ عَدُوِّهِ الَّذِي لَا يَرَى لِمُسْكَنَتِهِ
وَلَا يَرَى لِكُنْهِرِهِ ؛ وَأَجْرُنَا قَلْبَهُ بَيْنَ الْفِدَاءِ ، وَجَمَلُنَا يَدَاهُ دِرْيَاقًا لِمَرَضِ الْأَمْرِ
الَّذِي يَعْدِلُ أَلْفَ دَاءٍ ، وَأَقْنَاهُ لِلْعَائِي مِنْ شَرِّكَ الشَّرِّكَ مُنْقِذًا ، وَلِلدَّافِعِ فِي بَيْدَاءِ الْعِدَا
بِحُسْنِ إِعَانَتِهِ مُنْجِدًا ، وَالْأَسْوَارِ الْمُتَمَتِّعَةِ بِجَمِيلِ نَظَرِهِ مُنْقِذًا - مَنْ أَحْسَنَى فَضْلُهُ
ظَاهِرًا ، وَجَلَّالُهُ بَاهِرًا ، وَخِلَالُهُ مَوْصُوفَةٌ بِالْحَاسَنِ أَوَّلًا وَآخِرًا .

وَكَانَ فَلَانٌ هُوَ الَّذِي بَهَرَتْ مَا ثَرَهُ الْأَبْصَارُ وَلَمَّاتِ الْأَشْمَاعُ ، وَأَنْعَقَدَتْ عَلَى
تَفْرُدِهِ فِي عَصْرِهِ بِالْمَفَاخِرِ كَلِمَةُ الْإِبْجَاعِ ، وَسَارَتْ الرُّكَّانُ بِذِكْرِهِ الَّذِي طَابَ وَجُودِهِ
الَّذِي شَاعَ ؛ وَصَفَتْ سِرِّيَّتُهُ ، فَأَحْسَنَى جَمِيلَ الْإِعْلَانِ ، وَحَدَّثَ سِفَارَتَهُ ، فَكَانَتْ
حَاقِبَةُ كُلِّ صَغْبٍ بِرُكْنَتِهَا أَنْ لَا نَ .

فَلِذَلِكَ رُئِيَ بِالْأَمْرِ الْعَالِي - لِأَزَالِ يُؤَلَّى جَمِيلًا ، وَيُؤَلَّى فِي الْوُظَائِفِ جَلِيلًا -
أَنْ يَسْتَقَرَّ الْمَشَارُ إِلَيْهِ فِي وَظِيفَتَيْ نَظَرِ الْأَسْرَى وَالْأَسْوَارِ يَدْمَشَقِ الْمَحْرُوسَةِ ، عَلَى
أَجَلٍ عَادَةٍ ، وَأَكْلِ قَاعَةٍ ، بِالْمَعْلُومِ الشَّاهِدِ بِهِ دِيْوَانِ الْوَقْفِ الْمَبْرُورِ إِلَى آخِرِ
وَقْتٍ : وَضَعًا لِلشَّيْءِ فِي مَحَلِّهِ ، وَتَقْوِيضًا لَجَمِيلِ النَّظَرِ إِلَى أَهْلِهِ .

فَلْيَبْشُرْ ذَلِكَ مَبَاشَرَةً تَسُرُّ النُّفُوسَ ، وَتَرِيدُ بِهَا الْغِلَاطُ وَتَزُكُّ بِهَا الْفُرُوسُ ؛ وَلْيُجِزِ
أَحْوَالَ الْوَقْفِ الْمَبْرُورِ عَلَى مَقْتَضَى شَرْطِ الْوَاقِفِ وَالشَّرْعِ الشَّرِيفِ ، وَلْيَتَصَرَّفْ
فِي تَحْصِيلِ الْمَالِ وَإِنْفَاقِهِ أَحْسَنَ تَصَرُّفٍ ؛ وَلْيَجْتَهِدْ عَلَى تَخْلِيصِ الْمَأْسُورِ ، وَإِغَاثَةِ
مَنْ ضُرِبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ بَسُورٌ ؛ وَيُسَارِعْ إِلَى تَشْيِيدِ الْأَسْوَارِ الْمُتَمَتِّعَةِ ، وَإِقْنَانِ تَحْصِينِهَا ؛
لِيَتَضَاعَفَ لِمَنْ حَوَتْهُ مِنْ الْأَمْنِ وَاللَّحَةِ ؛ وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَمِثْلُهَا هَوَى اللَّهِ تَعَالَى
وَسُلُوكُ صِرَاطِ الْحَقِّ الْمُسْتَقِيمِ : فَلْيَوَاطَلِبْ عَلَيْهَا ، وَلْيَصْرِفْ وَجْهَ عَنَابَتِهِ إِلَيْهَا ؛ وَاللَّهُ
تَعَالَى يُدِيمُ عُلَاهُ ، وَيَتَوَلَّاهُ فِيمَا تَوَلَّاهُ ؛ بِمَنْنِهِ وَكَرَمِهِ .

تَوْفِيعُ بَصَّاحَةِ دِيْوَانِ الْأَمْرِ ، مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ نُبَاتَةَ ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي شَرَفِ الدِّينِ «سَالِمِ بْنِ الْقَلَاقِسِيِّ» ، وَهُوَ :

أَمَّا بَعْدُ حَمْدُ اللَّهِ الَّذِي جَدَّدَ بِطَالِعِ الشَّرَفِ قَوَاعِدَ بَيْتِ السِّيَادَةِ ، وَمَشَاهِدَ حَوَاجِ السَّعَادَةِ ، وَمَصَابِدَ دُرَى الْأَقْلَامِ الَّتِي قَسَمْتَ بِجَانِي قَصَبِهَا لِلْإِفَادَةِ وَالْإِفَادَةِ ، وَمَعَاهِدَ الْقَوْمِ الَّذِينَ سَلَكَوا مَسَالِكَ سَلَفِهِمُ الْحُسْنَى : وَلَوْ كَانَ التَّمَامُ يَقْبَلُ هَذَا مَزِيدًا قِيلَ : وَزِيَادَةً . وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي شَدَّ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ أَرْزَاقَ الْحَقِّ وَشَادَهُ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ذَوِي الْأَفْئَادِ الْمُسْتَرَادَةِ الْمُسْتَجَادَةِ ، مَا أَتَّصَلَ بِمَحْدِثِ الْفَضْلِ سَنَدُهُ وَأَمِنْ بَيْتِ التَّقْوَى سِنَادُهُ - فَإِنَّ الْيُوتَ الْمُتَنَزِّعَةَ نَقَارُهَا ، الْمَأْمُونُ مِنْ عَرَضِ الْأَيَّامِ زِحَافُهَا وَأَنْكِسَارُهَا ؛ أَوَّلَى بِأَنْ تُنْتَخَبَ لَهُمُ الْمَنَاصِبُ كَمَا تُنْتَخَبُ لِلْيُوتِ الْمَعَانِي ، وَتُسْتَقْرَى الْوِظَائِفُ الْعَالِيَةُ كَمَا تُسْتَقْرَى الْمَوَاضِعُ كُلُّهَا الْمَبَانِي ، وَتُخْتَارَ لِنَجْلِ الْأَصْحَابِ (؟) بَيْنَهُمْ كُلِّ جِهَةٍ مَأْمُونَةُ الصَّحَابَةِ ، مَوْفُورَةُ السَّعَادَةِ ، مَجْرُورَةُ ذَيْلِ الْخَيْرَاتِ السَّعَادَةِ ؛ مَصُونَةٌ عَنْ غَيْرِ الْأَكْفَاءِ كَمَا يُصَانُ لِلْجِهَاتِ مُجْبَى ، لَا تَهْمُ بِالْأَفْضَلِ لِأَنَّ الْأَوْفَافِ الْأَمْرِي بِالْفَاضِلِ نَسَبًا .

فَلَنَلِكُ رُحْمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ يَرْتَبَ فِي كَذَا : عَلَمًا بَأَنَّهُ الرَّئِيسُ الَّذِي إِذَا وَلِيَ وَظِيفَةً كَفَّاهَا ، وَإِذَا وَصَّاهَا بِصَلَاحِ التَّذِيرِ وَقَاهَا ، وَإِذَا وَصَلَ نَسَبَهَا بِنَسَبِهِ كَانَ مِنْ إِخْوَانِ صَفَائِهَا لَا مِنْ إِخْوَانِ صَفَاهَا ؛ وَالْخَيْرُ الَّذِي آسَتْوَضُحُ بَيْنِ الرَّأْيِ مَذَاهِبِهِ وَمَسَالِكِهِ ، وَالْعَالِمُ الَّذِي إِذَا مَشَى الْأُمُورَ بَسَطَ جَنَاحَ الرَّفْقِ وَإِذَا مَشَى بِسَطَتْ لَهُ أَجْنِحَتَا الْمَلَائِكَةِ ؛ وَالْجَلِيلُ الَّذِي إِذَا نَظَرَ ذَهْنَهُ فِي الْمَشْكَلاتِ دَقَّقَ ، وَالْكَاتِبُ الَّذِي تَعَيَّنَتْ أَقْلَامُ عَلَيْهِ وَكَفَّاهُ إِلَّا أَنْ كُلَّهَا فِي الْفَضْلِ مُحَقَّقٌ ؛ هَذَا وَخَطُّ مِثَارِهِ مَا كُتِبَ فِي اخْتِصَارِ حَوَاشِيهِ ، وَلَيْلُ صَبَاهُ مَا اكْتَمَلَ ! فَكَيْفَ إِذَا أُطْلِعَتْ كَوَاكِبُ

المشيب دياجيه؛ وكيف لا؟ وأبوه - أعلى الله تعالى جده - صاحب المجدي الأصيل،
والفضل الأصيل، ووكيل السلطنة الذي إذا تأملت عاينته قالت: حسبنا الله
ونعم الوكيل.

فليأشر هذه الوظيفة برأي يسهل - بمشيئة الله - عسيرها، وفك - بمون الله -
أسيرها؛ واجتهاد سني يحسن قلبه في الأمور مئري، واعتماد مئري لا يرى ديوان
أشري منه أشري؛ مشيها أباه في عدله ومن أشبه أباه فإ ظلم، وتوقد رأيه لدى
طود حليم وعلم «فيا لك من ناز على علم!»؛ حتى يأمن ديوان مباشرته من ظلم الظالم،
ويشعل ذكاه حتى يقال: عجا للشعل نارا وهو سالم!؛ ويشتر مال الجهة بتدبيره،
ويشترك لفظ إطلاق الديوان في ماله وأسيره، وتثقل الأشرى من ركوب الأدهام
إلى ركوب الشهب والحجر من دراهمه ودانيره؛ ويحدد على الإطلاق، وينفق خشية
الإسك إذا أسك [خشيعة الإنفاق؛ ويمشي بتقوى الله عز وجل - في الطريق
الأحجب، ويُسبب إلى ديوانه وقومه فيقال: صاحب طامك أنتسب من سلقه
لصاحب؛ والله تعالى يُنجح لكواكب رأيه مسيرا، ويحجر به من ضعف الحلال كسيرا،
ويكافي سادات بيته الذين (يطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا).

المرتبة الثالثة

(من تواقع أرباب الوظائف الديوانية بمحاضرة دمشق -

ما يُفتح به «رسم بالأمر الشريف»)

وهذه نسخ تواقع من ذلك :

(١)

نسخة توقيع من إنشاء ابن بُناة ، كُتب به للقاضي

«علاء الدين بن شرف الدين بن الشهاب محمود» عند موت أبيه وهو صغير، وهي :

(١) يياض في الأصل ولعله «توقيع بكتابة السر» .

رُسم بالأمر الشريف - لا زال يَجْبُرُ بِهِ مُصَابَ الأبناء بِآبائهم ، وَيَسْرهم بما
يَجْعَلُ في كواكب الشرف من علانهم ، وَيُعْتِق قلوبهم من إَسَارِ الحزن حتى يَاشُوا
من الصغر على أنساب عفتهم وولائهم - أن يستقر ... أعتاداً على نجاته الشاهدة ،
وَحَايِلِ هِمته السائده ، وأستناداً إلى أصاليه التي لا يُبدى فرعها إلا زكى الثمر ،
ولا يهتدى بحرهما إلا أنفَس الدُرر ، ولا يخلف أفعها إلا كبيراً تَسْتَصِفِرُ الأبصارُ
رؤيته : والذنبُ للظرف لا للكوكب في الصغر ؛ وعلماً أنه من أسره شهابية لا يهتدى
في الإنشاء إلا بنورهم ، ولا يَسَلُّ بالعجائب إلا عن بحورهم ؛ ولا يُنْتِ أفلام
البلافة إلا عُنُوبهم ، ولا تُعْشِب روضات الصحائف إلا نُحُوبهم ، ولا تُثَبِّت أفلاك
الكتابة إلا كُتُبهم ؛ صَغِيرهم في صدور الإنشاء كبير ، ومُلقن آيات فضيلهم يَرَوِي
أُعداد الفوائد عن « ابن كثير » ، وعليهم بعد « أبي بكر » قول المحامد لسلفه
وخلفه : منّا أميرٌ ومنكم أمير ؛ وأنه اليوم لا سَيْف إلا « ذو الفقار » من أذهانهم ،
ولا قتي إلا « علي » من ولدانهم ؛ وأن فرخ البط ساج ، وسعد القوم للأنداد ذابح ؛
وخواتم مُحُفّ الجمع الظاهر أشبه بالفوائح ، والبلافة في الدنيا كنوز والأفلام
في أيديهم مفاتيح ؛ وأت الكلام حليته وسمته ، وأنه إذا خدم دولة بعد تحلقه قيل
للذاهب : لقد أوحشنا وجهه وللقادم : لقد آسنتنا خدمته .

فليأخذ في هذه الوظيفة بقوة كتابه ، وليتناول باليمن واليمن قلم جدّه كما تناول
رأية مجده عرابه ؛ وليتقلّد بقلائد هذه النعم غيب ما تزع التائم ، وليجهّد في إمرار
كلمه الخلو الذي أوّل سماه قطر ثم صوب التائم ؛ مجوداً خطه ولقظه حتى تناسب
عقده ، ناشئاً على كتم السر حتى كأن الفؤاد قبره والجنب لحنه ، مُهتدياً بالعلم الشهابي
في رُأخيه الأكبر فأنه من بوارق المزن ، مُبتدياً مع أخيه الآخر السرور إذ يترع

(١) في الأصل هكذا "وأن الكلام عليهم" .

عنهما لياصهما من الحزن ؛ والله تعالى يزيد في فضله ، ويقيم عليه النعمة كما أنعمها على
أبيه من قبله ، وفقهه في السيادة حتى يحسن في الفخار رد الفرع إلى أصله .



توقيع بنظر مطايخ السكر ، من إنشاء ابن نباتة ، كُتِبَ به للقاضي « شرف الدين
ابن عمرو » وهو :

رُسم ... لا زالت سمة المناصب في دولته الشريفة مشرفة ، وأقلام الكفاية
مُصرفة ، وألفاظ الشكر ثابتة عند ذوي الاستحقاق ومصطفة ، والنعماء المنصفة
لأمثالهم حلوة المناقين من توج ومن صفه - أن يستقر ... لما عُرف من
شيمه المستجاده ، وشمه المستزاده ، وكفائه اللاتي بها حسن النظر الثابت بفضلها
رقم الشهادة ، وأصاليه التي نهض أولها بهمت النول فلوراه معاوية - رضى الله
عنه - لقال : يا عمرو أنت عمرو وزياده ؛ وليا ألف من مباشرته المنصفة خبرا
وخبرا ، وأنظاره السامية إلى معالي الأمور نظرا ؛ ووظائفه التي لا يكاد يبلغ العشر
منها ذوو الهيم العلية ، وجهاته التي عُرف بها سلفه وخلفه فلا غرو أن ليس عمامة
مقايير بيضاء وسكريه .

فليأشر هذه الوظيفة الحلوة معنى ومدافا ، الحليّة عقدا ونطاقا ، المحسوبة على
مطالع الشرف وفقا وآفاقا ، جاعلا شكر النعمة من أوفى وأوفر مزاياه ، وصَلَفَ الهمة
من أولى وأول وصاياه ، حافظا للطايخ وإن كان عادة آياته بثلها ، مُنْخِراً للنفان
وإن كانت سمة قراهم لزالها ونقلها ؛ حريصا على أن لا يحمل لأيدى الأقلام الخائنة
مطمعا ، وعلى أن ينشد كل يوم للتدبير لا للتبذير .

* [لنا] الجفائن الغريمتين في الضحى *

مُحرراً لحسابِ دِرْهَمِها ومُجْهولها ، ومَصْرُوفِها ومَحْصُولِها ؛ مُعْتَرِضاً على مُبَاشَرَتِهِ من الخَلَلِ في هَذينِ المَكَانِ ، حَذِراً من كِفَتْها وَقَبَانِها فَإِنَّهَا تَتَكَلَّمُ في الحَمْدِ أَوْ في الذَّمِّ بِلِسَانَيْنِ ؛ بَلْ تُعَلِّنُ - إن شاء الله - بِمَجْدِهِ المُقَرَّرِ ، وتُكَرِّرُ الأَحَادِيثَ الحُلُوءَ عَنْهُ مِنْ عِنْدِهَا نَرجِ حَلِيقَتِ الحُلُوءِ المُكَرَّرِ ؛ والله تَعَالَى يُمِدُّ مَسَاجِدَ النُّجُجِ الوَفِيِّ ، وَيُلْهِمُ هِمَّتَهُ أَنْ تُنْشِدَ : « مَا أَبْعَدَ الْعَيْبَ وَالتَّقْصَانَ مِنْ شَرْقِي ! » .



تَوْقِيعٌ بِنَظَرِ دَارِ الطَّرَازِ ، مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ نُبَاتَةَ ، وَهُوَ :

رُسمٌ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَتْ سِيَرُهُ بِمَرْقُومِ الحَمَامِدِ مُطَرَّزُهُ ، وَدَوَّلَتُهُ بِمُجَاسِنِ التَّائِيدِ وَالتَّائِيدِ مُعَزَّزُهُ ، وَيَنْعَمُهُ وَيَقْمُهُ : هَذِهِ عَلَى الأَعْدَاءِ مُجَهَّزَةٌ وَهَذِهِ إِلَى الأَوْلِيَاءِ مُجَهَّزَةٌ - أَنْ يَرْتَبَ فَلَانٌ : لِكِتَابَتِهِ الَّتِي رَقَّتِ الطُّرُوسُ ، وَطَرَزَتْ بِالظُّلُمَاءِ أُرْدِيَةُ الشُّمُوسِ ، وَأُمُتِرَتْ أَقْلَامُهُ بِمُجَاسِنِ التَّنْذِيرِ فَكَانَتْ فِي جِهَاتِ الدُّوَلِ نِعَمُ الغُرُوسِ ؛ وَحِسَابُهُ الَّذِي نَاقَشَ وَنَقَشَ ، وَرَقَمَ الأَوْرَاقَ وَرَقَشَ ؛ وَأَعْتَزَّاهِ الَّذِي عَلَّمَ رَشْدًا ، وَسَلَكَ طَرِيقًا فِي الخِدْمَةِ جَدِّدًا ، وَقَوَّى أَسْمُهُ وَتَكَاثَرَتْ أَوْصَافُهُ فَمَا كَانَ مِنْ أُنْدَادِهِ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقْلَ عَدَدًا ؛ وَأَنَّهُ الكَافِي الَّذِي إِذَا قُدِّمَ نَهَضَ ، وَإِذَا سُدَّ سَهْمَ قَلْبِهِ أَصَابَ الغَرَضَ ؛ وَالسَّامِيُّ إِلَى سَمَاءِ رُتْبَتِهِ بِالْقَلْبِ وَالطَّرْفِ ، وَالْمُتَرَفُّ لِقَلَمِهِ الحُرِّ مَنْ أَنْ يَسْتَعْبِدَ عَلَى حَرْفٍ .

فَيُبَاشِرُ هَذِهِ الوَظِيفَةَ بِكَفَافَةٍ عَلَيْهَا المَعُولَ ، وَأَقْلَامَ إِذَا تَمَشَّتْ فِي دَارِ الطَّرَازِ عَلَى الوَرَقِ قِيلَ : « شُمُّ الأَثُوفِ مِنَ الطَّرَازِ الأولِ » ؛ مُسْتَدْعِيًا لِأَصْنَافِهَا وَمَالِهَا ، حَادِلًا فِي قِسْمَةِ رَجَائِهَا وَرَجَالِهَا ؛ مُعْمِلًا رَاحَتَهُ بِالْقَلَمِ فَإِنَّ كِتَابَتَهَا مُتَّبِعَةٌ ، مُهْتَدِيًا فِي طُرُقِ حَسَابِهَا فَإِنَّهَا طَرُقٌ مُتَشَعِّبَةٌ ؛ مَاشِيًا عَلَى نَهْجِ الإِحْتِرَازِ ، سَاعِيًا إِلَى الرُّتَبِ بِإِرْهَافِ عَزْمٍ كَالسَّيْفِ الجُرَازِ ، سَعِيدٌ السَّعْيِ - إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى - حَتَّى يَقُولَ سَنَاءُ المَلِكِ

المُسْتَعِضُّ لَهُ : هَذَا الْقَاضِي السَّعِيدُ وَهَذِهِ دَارُ الطَّرَازِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُوَفِّقُهُ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ ، وَيُوَيِّدُ مَسَاعِيَ قَلْبِهِ الَّذِي تَنَسَّجُ أَقْلَامُ الْكُفَاةِ عَلَى مَنَوَالِهِ .



تَوَقِّعُ بِنَظَرِ الرَّبَاعِ ، مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ صِلَاحِ الدِّينِ الصَّبْقِيِّ ، بِاسْمِ الْقَاضِي نَجْمِ الدِّينِ « أَحْمَدُ بْنُ نَجْمِ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الطَّيِّبِ » ، وَهُوَ :

رُسمُ بِالْأَمْرِ الْعَالِي - لَا زَالَ نَجْمُ أَوْلِيَانِهِ ^(١) يَتَقَدُّ نُورًا ، وَخَاطِرُ أَوْلِيَانِهِ يَتَّحِدُ بِالْأَمَالِ سُرُورًا - أَنْ يَرْتَّبَ الْمَجْلِسَ السَّامِعِي الْقَضَائِي - أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى عُلُوَّهُ - فِي نَظَرِ الرَّبَاعِ الدِّيَوَانِيَّةِ ، وَمِبَاشَرَةِ الْإِيْتَامِ - حَرَسَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى - عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ وَقَاعِدَتِهِ ، بِالْمَعْلُومِ الَّذِي يَشْهَدُ بِهِ الدِّيَوَانُ الْمَعْمُورُ إِلَى آخِرِ وَقْتٍ : لِأَنَّهُ النَّجْمُ الَّذِي بَرَّغَ فِي أَفْقِ الرَّأْسَةِ ، وَجَمَلَ مَا آثَرَهُ قَبِيلُهُ وَأَنَاسَهُ ؛ وَالْأَصِيلُ الَّذِي شَادَ الْفَضْلُ بِجَمَدِهِ ، وَأَحْكَمَ الْفَخْرُ عَقْدَهُ ؛ وَالرَّيْسُ الَّذِي يَصْلُقُ التَّقَرُّسُ فِي شِمَائِلِهِ ، وَيَحْكُمُ الظَّنَّ الصَّابِغَ فِي أَنْشَاءِ مَخَايِلِهِ .

فَلْيَبَاشِرْ ذَلِكَ مِبَاشَرَةً هِيَ مَعْرُوفَةٌ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ ، مَأْلُوفَةٌ مِنْ كَبِيرِهِمْ وَصَغِيرِهِمْ : فَإِنَّهُمْ لَا تَوَفَّيْهِمْ وَلَا يَتُّيْهِمْ ؛ مُعْتَمِدًا عَلَى سُلُوكِ طَرِيقَةِ أَخِيهِ وَأَبِيهِ ، مُجْتَنِبًا عَلَى اتِّبَاعِ اعْتِمَادِهِمَا فِي تَوَخِّيهِ الصَّوَابِ أَوْ تَأْيِيهِ ؛ حَتَّى يَقَالَ : هَذَا صِنْتُ ذَلِكَ النَّصْنِ النَّاضِرِ ، وَهَذَا شَبْلُ ذَلِكَ اللَّيْلِ الْخَادِرِ ؛ وَتُضْبِحُ الرَّبَاعُ بِحُسْنِ نَظَرِهِ آهَلَةً بِالْأَهْلِ ، كَامِلَةً بِالْحَاسَنِ إِلَى تُمْنِيهِ الْأَقْسَارِ مِنْهَا مُسْتَهْلَةً ؛ وَتَعُودُ الْإِيْتَامُ بِمِشَارَتِهِ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْقِدُوا بَرَّ وَالِدِهِمْ ، وَلَمْ يَحْتَاجُوا مَعَ تَدْيِيرِهِ إِلَى مُسَاعِلِهِمْ . وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَأَهْمُهَا تَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلْيَنْهَا الْحِصْنَ الْأَوْقَى ، وَالْمَعْقِلَ الْمَنِيْعَ الْمَرْقَى ؛ فَلْيَتَحَنَّنْهَا لِعَيْنَيْهِ نَضْبًا ، وَلْيُسْقِلْ

(١) كَذَا بِالْأَصْلِ ، وَلَهُ : آيَةٌ .

بها صَمِيرَةٌ حَتَّى يَكُونَ بِهَا صَبَاً ؛ وَاقَهُ تَعَالَى يُمْنِي غُصْنَهُ النَّاصِرُ ، وَهُرُّ بِكَالِهِ الْقَلْبُ
وَالنَّاطِلُ ! وَالخَطُّ الْكَرِيمُ أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ ، حُجَّةٌ فِي ثُبُوتِ الْعَمَلِ بِمَا أَقْتَضَاهُ ؛
وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ بِمَنْدِهِ وَكَرَمِهِ ! .



تَوْقِيعٌ بِاسْتِيفَاءِ الْمَقَابِلَةِ وَأَسْتِيفَاءِ الْجَيْشِ ، وَهُوَ :

رُسْمٌ بِالْأَمْرِ - لِأَزَالَةِ الْمُنَاقِبِ فِي دَوْلَتِهِ الشَّرِيفَةِ شَمْسِيَّةِ الْأَنْوَارِ ، قُرْشِيَّةِ الْفَخَّارِ ،
مُشْتَقَّةِ الْحَمَامِدِ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالْآثَارِ ، مُحْصَلَةٌ بِأَفْلَامِ الْيَمِينِ مَا يَسْتَلْهُ الْكَرَمُ مِنْ أَقْسَامِ
الْإِسَارِ - أَنْ يَسْتَقَرَّ ... حَسَبَ الْأَسْتَحْقَاقِ الْمُقْتَضَى ، وَالْأَخْيَارِ الْمُرْتَضَى ؛ وَعَيْنِ
الرَّأْيِ الَّذِي مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّأْيِ حَاجِبٌ ، وَتَهْدِيمِ السُّنَنِ الْقَدِيمَةِ فَإِنَّ التَّقْدِيمَ لِقُرَيْشٍ
وَإِجِبْ ؛ وَلِأَنَّ الصِّفَاتِ الشَّمْسِيَّةَ أَوْلَى بِشَرَفِ أَفَاقِهَا ، وَمَنَازِلِ إِشْرَافِهَا وَإِشْرَاقِهَا ،
وَمَطَالَعِ مَسْعِدِهَا الْمُتَرَمَّةِ عَنِ اللَّئِيسِ ، وَجَلَائِلِ قَلْبِهَا الْعُطَارِدِيِّ فِي يَدِ الشَّمْسِ ؛
وَلِأَنَّ الْمُنَازِلَ إِلَيْهِ أَحَقُّ بِمَصَادِيدِ الْمُتَرَقِّينَ ، وَلِأَنَّهُ تَرَبَّى فِي بَيْتِ النَّبِيِّ فَكَانَ اللَّهُ مَعَهُ
إِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ .

فَلْيَبَاشِرْهَا بَيْنَ الْوُظُفِيَّتَيْنِ عَلَى الْعَادَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِعَزَمِهِ السَّيِّدِ ، وَمَدَّاتِ قَلْبِهِ الَّتِي
بَحَرَهَا فِي السَّجْعِ بَسِيطٌ وَظِلُّهَا فِي النَّفْعِ مَيِّدٌ ؛ وَلِيَتَمَثَّلَ بِدِيْوَانِ مُقَابِلَةِ فَرِيدٍ لَا يَرْهَبُ
مُتَأَلَّهِ ، وَلِيَجْزُبَ أَحْوَالَهَا بِضَبْطِهِ حَتَّى يَجْمَعَ بَيْنَ الْجَبْرِ وَالْمُقَابَلَةِ ؛ وَلِيُؤَدِّ الْجَيْشُ الْمَنْصُورَةَ
مِنْ أَوْرَاقِهِ بِأَعْلَامِهِ ، وَمِنْ قَصَبَاتِ السَّبْقِ بِرِمَاجٍ تُعَرِّفُ بِأَفْلَامِهِ ؛ وَلِيَسْتَرْفِعَ مِنَ
الْحُسْبَانَاتِ مَا يَحْمُو بِإِيضَاحِهِ وَتَكْيِيلِهِ مِنْ مُقَدَّمَاتِ ظُلْمٍ وَإِظْلَامٍ ، وَلِيَجْمَعَ بَيْنَ ضَرْقِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِي شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ ؛ وَاقَهُ تَعَالَى يُمْدِدُ قُرْشِيَّتَهُ بِأَنْصَارٍ مِنَ الْعَزَمِ ، وَتَابِعِينَ
بِإِحْسَانٍ مِنْ نَوَافِدِ نَوَافِلِ الْحَزَمِ .



تَوْقِيعٌ بِصَحَابَةِ دِيوَانِ الْأَسْوَاقِ ، مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ بُنَاتَةَ ، وَهُوَ :

رُيِّمَ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَتْ أَسْوَاقُ نِعَمِهِ قَائِمَةٍ ، وَأَجْلَابُ كَرَمِهِ دَائِمَةٍ ، وَلَا يَرِحَتْ
الْمُنَاصِبُ مُكَلَّلَةٌ بِكُفَاةِ أَيَّامِهِ الدِّينِ يُحَقِّقُونَ ظُنُونَهَا السَّامِيَةَ وَيَرْعَوْنَ أَحْوَالَهَا
السَّائِمَةَ - أَنْ يَرْتَبَ فَلَانٌ ... : حَلَمًا بِكَاتِبَتِهِ الَّتِي وَسَّيَتْ الدَّفَائِرَ أَحْسَنَ مِمِّهِ ،
وَأَسْتَبَقَتْ إِلَى صُنْعِ الْخَيْرِ الْمُسَوِّمَةِ ؛ وَكَفَاءَتِهِ الَّتِي لَا تَزَالُ تَمُولِدُهُ وَتَنْتَمِي ، وَرِاعَتِهِ
الَّتِي إِذَا سُئِلَ عَنْهَا السُّوقُ قَالَ : هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنِيِّ ؛ وَدِرَاقَتِهِ
الَّتِي تُعِينُ الْمَمْلُوكَةَ عَلَى الْمِيرِ ، وَيَنْهَدُ تَيْمَنُهَا أَنَّ الْخَيْلَ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرَ ؛ وَتُحَقِّقُ فِيهِ
الظَّنَّ وَالْأَمَلَ ، وَتُحَوِّطُ السُّوقَ عَنِ الْخِلَائِنِ حَتَّى يَقُولَ : لَا نَاقَةَ لِي فِي هَذَا وَلَا جَمَلَ ؛
وَأَنَّهُ الْكَافِي الَّذِي إِنْ قَالَ أَوْفَعَلَ كَانَ مُسْتَدًّا ، وَإِنْ ضَبَطَ دِيوَانَ الشَّدِّ السَّعِيدِ كَانَ
عَلَى الرَّائِفِينَ مِنَ الْكُتُبَةِ حَرَفًا مُسْتَدًّا .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوُظَيْفَةَ الْمُبَارَكَةَ مُمَكِّنَ الْأَسْبَابِ ، مَالِكِ الْحَزْمِ وَالرَّفْقِ حَتَّى تَكْثُرَ
لَدَيْهِ الْجَلَالُ ؛ مُعِينًا لِمَيْتِ الْمَالِ عَلَى الْإِنْفَاقِ ، قَائِمًا بِمَحْقُوقِ ذَوِي الْأَسْتِحْقَاقِ ،
حَلِيمًا أَنَّهُ [مَتَوَلَّى] أَكْثَرُ جِهَاتِ الْخَيْرِ الْمُطْلَقِ فَلْيَكُنْ بِهَا مُشْكُورًا عَلَى الْإِطْلَاقِ ، مُجْتَنِدًا
فِي رِضَا الْمَطَالِبِينَ حَتَّى يَدْعُوا سَنَنَ الْمُرْسَلِينَ فِي هَذِهِ [الْصِفَةِ] بِأَكْلُوْنَ الطَّعَامَ وَيَشْرَبُونَ
فِي الْأَسْوَاقِ ؛ مُوَاطِبًا عَلَى الدِّيَوَانِ الَّذِي هُوَ بِصَحَابَتِهِ مَعْدُودٌ ، سَالِكًا سُبُلَ الصِّيَانَةِ
وَالْكَفَاءَةِ فَكَلَامُهُمَا نِعَمُ السَّيْلِ الْمَطْرُوقِ ، مُخْتَرِزًا مِنْ ذِي خِيَانَةٍ إِنْ غَفَلَ عَنْهُ طَفِيقُ
مَسْعَا بِالسُّوقِ ؛ وَاللهُ تَعَالَى يُؤَقِّقُ عِزَّائِهِ الَّتِي هِيَ أَشْهَرُ مِنْ عِلْمِ ، وَهَيْئَتِهِ الَّتِي قَاسَمَتْ
« أَبَا الطَّيِّبِ » : « وَالْخَيْلُ تَشْهَدُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ » .



نسخة توقيع بشهادة الخزانة العالية ، من إنشاء ابن نبأته ، كُتِبَ به لجمال الدين «عبد الله بن المهدي الشيرازي» وهي :

رِسِمَ بالأمر الشريف - لا زالت سِمَةُ المناصب في دَوَلِهِ بِأَسْمَاءِ الْكُفَاةِ مُجَمَّلَةً ،
وَحُلُغَ الْمَفَاحِرِ عَلَى بُيُوتِ السِّيَادَةِ مُكَمَّلَةً ، وَخَزَائِنُ الْمُلْكِ بَيْنَ تَقْيِضَيْنِ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ :
فَبَيْنَمَا هِيَ بِأَقْلَامِ الْكُفَاةِ مُحْتَفَظَةٌ إِذَا هِيَ بِأَقْلَامِ الْكُفَاةِ مُبَدَّلَةٌ - أَنْ يَسْتَقَرَّ الْمَجْلِسُ
السَّامِيُّ : عَلِمَا بِمَحَاسِنِهِ الَّتِي وَضَّحَ بِجَاهِهَا ، وَتَفَسَّحَ فِي الْعِلْيَاءِ بِجَاهِهَا ، وَنَجَّحَ
فِي مَنَاقِبِ الْفَضْلِ أَصْلَهَا ، وَشَرَّفَ بِكُوَاكِبِ الْإِيْمَنِ أَتْقَانَهَا ، وَمَعَالِيهِ الَّتِي تَهَلَّلَ بِهَا
وَجْهُ الْأَصْلَاحِ ، وَكُلُّ بَيْتِ الرَّأْسِيَةِ وَالْجَلَالَةِ ، وَمَسَاحِيهِ الَّتِي آسَتَوْفَى بِهَا أَجْنَاسُ
الْفَضْلِ وَتَوَرَّيْتَهُ فَمَا أَخَذَهَا عَنْ كَلَالٍ وَلَا وَرَّيْتَهَا عَنْ كَلَالَةٍ ؛ وَسِيرَتِهِ الَّتِي تَطْوِي
نَحَارَ الْأَفْرَانِ حِينَ تُنْشَرُ ، وَهَيْمَتِهِ الَّتِي أَنْشَدَتِ السَّعَادَةَ فَرَعَهَا الْكَرِيمَ : «مَبَادِيكَ
فِي الْعِلْيَاءِ خَايَةُ مَعَشَرٍ» ؛ وَمَكَاتِهِ مِنْ بَيْتِ السِّيَادَةِ الرَّفِيعِ عِمَامَتُهُ ، الْبَدِيعِ سَنَدُهُ الْمُنِيعِ
سِنَادُهُ ، الْمَدِيدِ مِنْ تَلْقَاءِ الْحَجَرَةِ طُنْبُهُ الثَّابِتَةِ مِنْ حَيْرِ النُّجُومِ أَوْتَادُهُ ؛ وَأَنَّهُ يَجَلُّ السَّرَاةِ
الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ الْفَضْلِ فِي كُلِّ وَادٍ ، وَأَسْتَشْهَدُوا عَلَى مَنَاقِبِهِمْ كُلِّ عَدُوٍّ وَكُلِّ وَادٍ ؛
وَحَمَلُوا مِنْ صَنَاعَتِهِمْ رَايَاتٍ عَبَاسِيَّةً سَارَتْ بِهَا رِيحُ أَقْلَامِهِمْ تَحْتَ أَبْدَعِ سَوَادٍ ،
وَمَلَّشُوا قَدِيمَ الْأَوْطَانِ بِشَرَفِ الْآخِرِ : فَسَوَاءٌ عَلَى شِيرَازِ مُحَاسِنُ «ابْنِ الْعَمِيدِ»
وَمُحَاسِنُ «ابْنِ الْعِيَالِ» ؛ وَتَيَقَّنْتَ مَنَاقِبَهُمْ بِهَذَا النَّجْلِ السَّعِيدِ طُرُقَ الْمَرَاتِبِ كَيْفَ
تُسَلِّكُ ، وَإِخْرَازِ الْمَنَاصِبِ كَيْفَ يَكُونُ لَهَا يَدُ أَرْبَابِ الْبُيُوتِ أُمْلَكُ ، وَدَرَجَاتِ
الْوِظَافِ كَيْفَ تُسَرُّ الْوَالِدُ بِالْوَلَدِ حَتَّى يَقُولَ : لَا أَبَالِي هِيَ الْيَوْمَ لِي أُمُّ لَكَ ؟ ؛
لَمْ أَسْتَيْضَ وَاللَّهِ لِلْجَلِيلِ فَكُنِّي ، وَبَحِيلِ قَصْدٍ فَوَيْ ؛ وَأَوْقَاتٍ عَلَتْ حَتَّى أَعْمَحَ

إلى علاه تَنَسَّب ، وَمَنَاصِبَ رُزِقَ - بَقَّوَاهُ فِيهَا - مِنْ حَيْثُ يَحْتَسِبُ وَمِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ؛ وَجَاءَ هَذَا الْوَلَدُ ذَخِيرَةَ وَالِدِهِ فَحَسَنَتْ لَخَزَانَةِ الذَّخِيرَةِ ، وَعُضِدَتْ الْأَوَّلَةُ مِنْ السِّيَادَةِ بِالْآخِرَةِ .

فَلْيَاثِرُ هَذِهِ الْوَلِيْفَةُ مُبَاشِرَةٌ هِيَ أَعْلَى مِنْهَا وَأَشْرَفُ سِيرَةٍ مُجْتَهِدًا فِيهَا يُبَيِّضُ وَجْهَ طَلِبِهِ وَتَسْبِيهِ ، طَارِقًا قَدَرَهُ هَذِهِ الرُّتْبَةُ مِنْ أَوَائِلِ رُتْبَتِهِ ، مَتَقَطِّ الْأَفْكَارِ وَالطَّرْفِ ، مَتَّارِجِ الْمَعْرِفَةِ إِذَا ذَكَرُوا الْعَرَفَ ، زَايَجًا تَرْتِشْهَادَتِهِ عَلَى التَّعْلِيْقِ فَلَا يُتَّقَدُّ عَلَيْهِ فِي مُتَحَصِّلٍ وَلَا صَرْفٍ ؛ حَتَّى يَقُولَ الْخَزَانَةُ : نَيْمُ الْعَزْمِ الشَّاهِدُ ! وَحَتَّى يَشْهَدَ بِوَفَاءِ فَضْلِهِ الْمَضْمُونُ ، وَحَتَّى يُعْلَمَ بِأَمَانَتِهِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ هُوَ «الْمَأْمُونُ» ؛ وَتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِي الْوَصَايَا أَوَّلَ وَأَوَّلَى مَا تَمَسَّكَ بِهِ ، وَاسْتَقَامَ عَلَى شَرَفِ مَذْهَبِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُسَرُّ الْإِسْلَامَ بِتَنْبِيهِ قَدْرِهِ وَيُقَرُّ الْأَوْصَافَ بِمَهْدِيهِ !



تَوْفِيقُ بَشَادَةِ الْأَسْوَارِ ، وَهُوَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَ يُمَدُّ عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْ عَنَابَتِهِ سُورًا ، وَيُحَدِّدُ لِلْأَوْلِيَاءِ رُؤَا مَهِسُورًا ، وَيُسْعِدُهُمْ بِكُلِّ تَوْفِيقٍ يَكُونُ بِالْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا - أَنْ يَرْتَّبَ الْمَجْلِسُ : حِلْمًا بِعَزْمِهِ السَّاهِدِ ، وَحَزْمِهِ الشَّاهِدِ ؛ وَكَفَاءَتِهِ وَأَمَانَتِهِ الَّتِي مَا كَانَ وَصْفُهَا حَلِيمًا يُفْتَرَى ، وَنَظَرًا حَالِمًا وَحَالِ الْأَسْوَارِ : قِبَالَهَا شَهَادَةُ كَانَ أَصْلُهَا نَظَرًا .

فَلْيَاثِرُ هَذِهِ الرُّتْبَةُ الْمُبَارَكَةُ كَمَا عُهِدَ مِنْهُ مُبَاشِرَةً حَسَنَةَ الْآثَارِ ، مُشْرِقَةً الْأَنْوَارِ ، جَاعِلَةً تِلْكَ الْعَائِرِ حَلِيمَةً لِدِمَشْقَ : فَيُنَا هِيَ سُورًا إِذَا هِيَ سِوَارٍ ؛ ضَابِطًا لِمَتَحَصِّلِهَا وَمَصْرُوفَهَا ، مُحَرَّرًا لَوْفِهَا مُحْتَرِزًا مِنْ وَقُوفِهَا ، جَارِيًا عَلَى حَبِيلِ عَادَتِهِ ، زَايَجًا بِكَمِ اللَّهِ

تعالى على التوفيق تبرُّشهادته ؛ حتى تشهد هذه الوظيفة بهِمته المتمكِّنة الأسباب ،
ويضرب بين المدينة وبين من كادها بسورِ باطنه فيه الرَّحمة وظاهره من قبله العذاب ؛
والله تعالى يسدُّه في كلِّ أمر ، ويحفظ هِمته وبركته «ليوم كريمة وسدادِ نقر» .



تَوْفِيقٌ بِمُشارَفَةِ خِزَانِ السِّلَاحِ ، لِمَنْ لَقِبَهُ «جمال الدين إبراهيم» وهو :

رُسم بالأمر العالي .. أعلى الله تعالى أعلام حِمِّه ، وجعل أحكام المقادير من
جُنْدِه ، ولا زالت أفلاكُ الشُّهبِ من خِزَانِ سلاحِ سَعْدِه .. أَنْ يُرْتَبَ ... : سَمَلًا
على حُكْمِ التَّزْوِلِ الشَّرْعِيِّ ، وَالطَّلُوعِ إِلَى رُتَبِ الاسْتِحْقَاقِ الْمُرِغِيِّ ؛ وَعِلْمًا بِكِفَايَتِهِ
الَّتِي بَلَّغَتْهُ آمَالًا ، وَجَعَلَتْ لِلْوَظَائِفِ بِذِكْرِهِ جَمَالًا ، وَثَمَرَتْ بِقَلْبِهِ لِلْجَاهَاتِ مَالًا ،
وَأَوْصَلَتْهُ عَلَى رَغَمِ الْإِتِّدَادِ لِمَا لَا ؛ وَاعْتِمَادًا عَلَى أَمَاتِهِ الَّتِي أَعْلَمَهَا مَلَاذًا ، وَأَكْتَفَى
بِهَا سِلَاحَ عَزَمِهِ نَقَازًا ؛ وَصِيَانَتِهِ الَّتِي طَلَمًا أَعْرَضَ [لَهَا] عَرَضُ الدُّنْيَا فَقَالَتْ :
يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ؛ وَاسْتِنَادًا إِلَى تَشَاتِيهِ فِي بَلِيَّتِ عِلَّتْ فِي الْمُنَاصِبِ أَعْلَامُهُ ،
وَصَدَقَتْ فِي الْمِرَاتِبِ حُلُومُهُ وَأَعْلَامُهُ ، وَتَنَاسَبَتْ الْآنَ تَصَرُّفَاتُهُ السَّعِيدَةُ : فِيمَا فِي تَدْيِيرِ
الْجُيُوشِ وَإِمَا فِي تَنْمِيزِ السِّلَاحِ أَقْلَامُهُ .

فليأشُرْ هذه الوظيفة المباركة بعزمِ بَادِي النُّجَا والنَّجَاحِ ، وَقَلَمٍ عَلَى حَالَتِي وَظَنِّيَّتِهِ
وَهِمَّتِي مَاخِضِي عِزِّمِ السِّلَاحِ ؛ مَقَرًّا لِعَمَلِهَا وَمَعْمُولَهَا ، ضَاطِحًا لَوَاصِلِهَا وَتَحْمُولَهَا ؛ حَتَّى
يَذْهَبَ لِسَانُ سَيْفِهَا بِشُكْرِهِ ، وَتَطْلُعَ أَهْلَةُ قَيْسِيَّهَا بِبَيَانِ ذِكْرِهِ ، وَتَكُونُ كُحُوبُ رِمَاحِهَا
كُلُّهَا كَتَبٌ مُبَارَكٌ بِمُباشَرَتِهِ وَبِشْرِهِ ؛ وَاللهُ تَعَالَى يَسُدُّ قَلَمَهُ فِي وَظِيفَتِهِ تَسْدِيدَ
سَهَامِهَا ، وَيُوَفِّرُ لَهُ مِنْ أَنْصِبَاءِ الْمُرَاشِدِ وَسَهَامِهَا .



قلتُ : وهذا توقيفٌ بوظيفةٍ بكاتبَةِ ديوانِيَةِ سامِرِيٍّ ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نُباتَةَ ، وهو :

رُسِمَ بالأمر - لا زال قَلَمُ أَوَامِرِهِ الْفِضْيَى يُظْهِرُ ثَمَرَهُ ، مُسَمِّعاً حَدِيثَ الْإِنْعَامِ
الشَّامِلِ حَتَّى سَمَرِهِ - أَنْ يَرْتَبَ فَلَانٌ فِي كُنَا : عِلْمًا بِكَفَايَتِهِ الَّتِي يُعَدُّ بِهَا فِي قَوْمِهِ عَلَى
سُلُوكِ النَّبِيِّ ، وَحَدِيقِ حِسَابِهِ الَّذِي هُوَ الذِّمَّةُ مِنَ السَّلَوى مُجْتَنِيَةً وَجُتْنِيَةً ؛ وَوَقَرِيحَتِهِ الَّتِي
إِذَا آخَرَارُهَا أَخْيَارُ قَوْمٍ مُؤَمِّينَ فَازَ مِنَ الْعَمَلِ بِمَطْلُوبِهِ ، وَإِذَا قِيلَ : يَا سَامِرِيُّ
مَا قَتَمَكَ عَلَى الْقُرْنَاءِ فِي الْحِسَابِ ؟ قَالَ : بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ، وَأَمَانَتِهِ الَّتِي
حَاطَتْ بِحَيَاةِ الصَّعْدَةِ السَّمَرَاءِ ، وَرَفَعَتْ رَأْيَتَهُ عَلَى الْأُمْدَادِ قَائِلَةً : مَا حَاطَ الْبَيْضَاءُ
وَالصُّفْرَاءُ كَصَاحِبِ الْخَمْرَاءِ ! ؛ وَأَعْتَادَا عَلَى كِتَابَتِهِ الَّتِي شَهَدَتْ بِهَا مِنْ حُسْبَانَاتِهِ
الْأَسْفَارِ الْمُبِينَةِ ، وَإِقْرَاءِ لِمَصْنَعَاتِهِ الَّتِي تَحَرَّتِ الْفِكَرُ حَتَّى قِيلَ : هَذَا مِنْ مَنَعِبِ
الْقُرَآئِينَ وَالْكَهَنَةِ .

فَلْيَبَاشِرْ هَذَا الْأَسْتِيفَاءَ لِأَوْفَى مِنْهُ مُتَرَقِّيًا ، وَلِكَلِمَاتِ الْإِخْتِيَارِ مُتَلَقِّيًا ؛ نَاهِضًا
بِالْحِلْمِ ، مَجْتَدًا بِاعْتِرَافِهِ الْإِسْرَائِيلِيَّ ذِكْرَ النِّعَمَةِ ، عَارِفًا قَدْرَ الْإِنْعَامِ الَّذِي رَعَى وَشَمِلَ
كُلَّ ذِمَّةٍ ؛ سَالِكًا مِنَ الْأَجْتِهَادِ فِي خِدْمَةِ حِسَابِهِ كُلِّ طَرِيقَةٍ ، غَافِلًا لِلْخُسَادِ مِنْ أَهْلِ
مِلَّتِهِ : فَيَعْبُدُونَ الْعِجْلَ مَجَازًا وَحَقِيقَةً ؛ عَجَمَدًا فِي أَسْتِزَالِ الْمَنِّ لَا الْمَنَعَ ، مُعَوِّذًا آلَافَ
الْحَوَاصِلِ بِمَنْشُورِ كَلِمَاتِ رَأْيَتِهِ مِنْهُ فِي السَّمْعِ ، مُعَلِّقًا عَلَى جَمِيعِهَا هَيْكَلًا مِنْ أَمَانَتِهِ فَهُوَ
أَدْرَى فِي الْهَيْكَلِ بِشَرِّ الْجَمْعِ ؛ صَابِتًا لِنَفْسِهِ مِنْ صُدُورِ الْخِيَانَةِ حَتَّى لَا يَدْرُو
فِي سَنَةٍ وَلَا فِي أَحَدٍ ، مُتَتَرِّجًا عَنْ أَكْلِ الْمَالِ مَعَ الْخَوَنَةِ حَتَّى يَقَالَ : نِعَمَ السَّامِرِيُّ
الَّذِي لَا يَأْكُلُ مَعَ أَحَدٍ .

الضرب الثاني

(من الوظائف الديوانية بالشام - ما هو خارج عن حاضرة دمشق .

وغالب ما يكتب فيها من التواقيع مفتوح بـ «رسم»)

وهذه نسخ تواقيع من ذلك :

نسخة توقيع بنظر غزّة ، وهى :

رسم بالأمر - لازال النصر المكرر، يحلّو بذكره، والسعد المقرّر، يحلّو وجوه الآمال
بدهره، ولا برح سراج الخدم مضياً عند ليلى نيه الحالك وأمره - أن يستقر
فلان ... : لما عريف فى المناصب من نُهوِضِه الذى راق وراج، وفى المهمات
من رأيه الذى يمشى أحوال الجهات المستقيمة بسراج ؛ ولما شهرله فى الأنظار
المتعددة من علو الهيم ، وفى الوظائف المترددة من العزمات التى يقول السداد :
نبّه [لها] عمراً ثم تمّ ؛ ولما وُصف من أمانته وِدراجه وهما المراد [تان] من مثله ،
ورأسه خلقه وخلقه المشيدين عن حُسن الثناء وسهله ، وآثاره الحميدة المتقلات
وكيف لا ؟ وهو المنتسب إلى سلف يحمّد لسان الإسلام أثر عقله وتقله .

فليأشّر هذه الوظيفة المباركة على العادة مباشرة يحمّد أثرها ، ويُستند عن صحيح
عزمه خبرها وخبرها ، ويُورق بفضون الأقلام ورق حسابها ويروق تمرّها ؛ مجتهداً
فهو من تسَل المجتهدين فى عوائد التحصيل والتحصيل ، والتأثير والتأثيل ، ملياً بما
يجبر كسر هذه البلاد بالصحة ويأسو جرحها بعد التعديل ، حريصاً على أن يُجى -
بمشيئة الله تعالى وتديره - عملها الذى لم يبق الموت من ذمائه غير القليل ؛ سالكاً

من التَّزَاهَةِ وَالصَّيَانَةِ طَرِيقَتَهُ الْمُثَلَّى، وَمِنَ الْكَفَاءَةِ وَالْأَمَانَةِ عَادَتُهُ الَّتِي تَرْفَعُ دَرَجَتَهُ -
إِنْ شَاءَ اللَّهُ - إِلَى مَا هُوَ أَعْلَى وَأَعْلَى؛ مُسْتَرَفِعًا لِلْحَسَابِ وَلِقَدْرِهِ فِي الْخَلْقِ، شَاكِرًا :
فَإِنَّ الشُّكْرَ صَهْنٌ لِأَزْدِيَادِ النِّعْمَةِ بَعْدَ النِّعْمَةِ، سِرَاجًا وَهَّاجَ الذِّكْرِ عَلَى الْمَنَارِ وَلَا ظُلْمَ
مَعَ وُجُودِهِ وَلَا ظُلْمَهِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُعَلِّ قَدْرَهُ ، وَلَا يُطْنِي ذِكْرَهُ .



تَوْقِيعُ بَصْحَايَةِ دِيَوَانِ الْحَرَمَيْنِ ، مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ ثُبَاتَةَ ، لِمَنْ لَقِبَهُ « شَمْسُ
الدِّينِ » وَهُوَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَتْ أَوَامِرُهُ نَائِدَةً فِي الْآفَاقِ ، حَاطِفَةً عَطْفَ النَّسَقِ عَلَى ذَوِي
الِاسْتِحْقَاقِ ، مُطْلِعَةً شَمْسَ الثَّقَى وَالْعِلْمِ فِي مَنَازِلِ الْإِشْرَاقِ - أَنْ يَسْتَقِرَّ الْمَجْلِسُ ... :
عَلَمًا بِاسْتِحْقَاقِهِ لَهَا هُوَ أَكْثَرُ وَأَكْبَرُ ، وَأَوْفَى وَأَوْفَرُ ، وَإِطْلَامًا لَشَمْسِهِ وَإِنْ أَعْرَضَهَا
غَمٌّ غَمٍّ فِي مَطَالَعِ شَرْفِهَا الْأَنْوَرِ ؛ وَإِعْلَامًا بِأَنَّهُ غَمٌّ يَزُورُ وَيَزُولُ ، وَنَقْصٌ لَا يُقِيمُ
إِلَّا كَمَا يَنْهَبُ حَارِصٌ مِنْ أَقُولِ ؛ وَاعْتِمَادًا عَلَى مَا عُرِفَ مِنْ وَفَاءِ صَحَابَتِهِ ، وَأُلْفٍ مِنْ
سَنَاءِ دِرَازَتِهِ وَدَرَايَتِهِ ، وَوُصِفَ مِنْ أَيَّامِ دِيُونَتِهِ ^(١) بَعْدَ أَيَّامِ حُكْمِهِ بَعْدَ أَيَّامِ خَطَايَاهِ ؛
وَأَسْتِنَادًا إِلَى نَشْأَتِهِ فِي بَيْتِ الْعِلْمِ الْمُسْتَفَادِ ، وَالْحُكْمِ الْمُسْتَجَادِ ، وَالْفَضْلِ الْمُسْتَرَادِ ،
وَتَرْبِيَةِ الْوَالِدِ الَّذِي كَانَ الْإِخْتِيَارَ يَحْلِفُ بِالْفَخْرِ أَنَّهُ مَا يَرَى أَظْهَرَ مِنْ نَائِثِ الْعَادِ .

فَلْيُيَاشِرْ صَحَابَةُ دِيَوَانِ هَذَيْنِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ بِأَمَلٍ مَهْسُوطٍ ، وَحَالٍ يَبْنَاهُ
مَنْحَوْسٌ حَظٌّ إِذَا هُوَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - مَغْبُوطٌ ؛ وَاجْتِهَادٍ مَضْمُونٍ لِحُلُوهِ فَضْلُ
الزِّيَادَةِ ، وَسَيَّرَ لَا يَزَالُ بِشَمْسِهِ حَتَّى تَجْرَى لِمُسْتَقَرِّهَا مِنْ مَنَازِلِ السَّعَادَةِ ، وَمُبَاشَرَةً
لَأَوْقَافِهَا ثَمَانٍ وَتُعَادُ أَجْمَلُ إِعَانَتِهِ وَرَأَى كَلَّ إِعَادَهُ ، وَصَحَابَةُ يَنْتَوِعُ فِي نَفْعِهَا وَيَتَعَيْنُ حَتَّى
تَكُونَ [مِنْهُ] عَادَةً وَمِنْهَا شَهَادَةٌ .

أَيَّامُ كَانَ بِدِيَوَانِهِ - وَهُوَ لَفْظٌ يَحْيِي لَيْسَ بِمَرْبِي .



تَوْفِيعٌ بَنَظَرُ الشُّعْرَا وَبَانِيَّاسٌ، مِنْ إِنْشَاءِ أَبِي نُبَاتَةَ، لِمَنْ لَقِبَهُ «صَدْرُ الدِّينِ» وَأَسَمَهُ
«أَحْمَدَ» بِالْعَوْدِ، وَهُوَ :

رُسمُ بالأمر - لا زالتُ صُدُورُ الكُفَاةِ مُنْشِرَحَةٌ فِي أَيَّامِهِ ، مُنْشِرَحَةَ الْأَمَالِ
فِي إِنْعَامِهِ ، وَلَا يَرِجُ عَوْدُهُ أَحْمَدٌ إِلَى الْمُنَاصِبِ فِي ظِلَالِ سُيُوفِهِ وَأَقْلَامِهِ .

ومنه : فليأشُرْ هذه الوظيفة الشاكرة له أولاً وآخرها ، وليجتهدْ فيما يزيده من
الاعتناء والاعتناء باطناً وظاهراً ، وليستردْ بُسْكُوه من النعمة فما أخلفَ وعدُ المَزِيدِ
شاكراً ، وليخِرْصْ على أن يرى أبداً في المراتب صدراً ولا يرى عن ورود الإحسان
صَادراً .



تَوْفِيعٌ بَنَظَرُ جَمِصٍ، مِنْ إِنْشَاءِ أَبِي نُبَاتَةَ، كُتِبَ بِهِ لِأَبْنِ الْبَدْرِ نَاطِيزُ جَمِصٍ
بِالتَّزْوِيلِ مِنْ أَبِيهِ عِنْدَ مَا أَسَنَّ، وَهُوَ :

رُسمُ بالأمر - لا زالَ حَسُنَ النَّظَرُ مِنْ مَوَاهِيهِ ، وَيُمِنُ الظَّفَرُ مِنْ مَرَاكِبِهِ ، وَسَقَى
الْبِلَادَ صَوْبَ الْعَدْلِ مِنْ بَهَائِيهِ ، وَلَا يَرِجُ سَنَا الْبَدْرِ مِنْ خَدَمِهِ فَإِذَا أَحْسَسَ بِالسَّرَارِ
أَلْقَى الْخَلْدَةَ إِلَى أَزْهَرِ كَوَاكِبِهِ - أَنْ يَسْتَقِرَّ الْمَجْلِسُ ... : لِمَا عَلِمَ مِنْ رَأْيِهِ الْأَسَدَ ،
وَعَزَمَهُ الْأَشَدَّ ، وَمَرَّبَى وَالِدَهُ حَتَّى يَبِينَ عِظَمُ الْهَنَاءِ بِالشَّبْلِ عِنْدَ مَا وَهَنَ عَظْمُ الْأَسَدِ ؛
وَرَكُونَا إِلَى نَجَابَتِهِ الَّتِي سَمَتْ أَصْلًا وَفَرْطًا ، وَقَدِمَتْ غَنَاءً وَنَفْعًا ، وَتَبَسَّمتْ كَلَامًا
أَصْلِيهَا الْمُسْتَنْفَعَةُ حَيْثُ كَادَ الزَّمَانُ يَتَعَيَّ مِنْهُ يَتَعَا ، وَاسْتَنَادًا إِلَى أَنَّ الصَّنَاعَةَ شَابَهُ ،
وَنَسَبَاتِ التَّمَكِينِ حَابَهُ ؛ وَإِلَى أَنَّ أَغْصَانَ الْعَزَائِمِ نَضَرَهُ ، وَإِلَى أَنَّ مَعَ الْقُدْرَةِ قُدْرَهُ ،
وَإِلَى أَنَّ كَوَكَبَ الْعِزِّ فِي الْمَتَرَلَةِ قَدْ خَلَفَ بَدْرَهُ ، وَاعْتَادًا عَلَى سِيَهَامِ تَنْفِيذِهِ الصَّائِبِ ،

وأحكام همه الواجب ، وأقلام يده التي تحسن إخراج الأمل فيه وكيف لا ؟ وهي الحاسبة الكاتبة .

فليأشُر هذا النظر المفوض إليه ما يَظُرُه ، زائِجًا في الخدمة خُبْرُه وخَبْرُه ، شاكِرًا هذا الإنعام الذي برَّأياه وأُسعدَ جَلَّتْهَ ومَزِيدُ الإنعام مضمونُ المَزِيدِ ^(١) لمن شَكَرَه ؛ طَالِ أَنْ هذه المملكة الخِصِيَّة من أقدم ذخائر الأيام ، وأكرم ما أفاء الله من غَنِيَمَتِهَا وظَلَّهَا على جُنْدِ الإسلام ، وأنها من مراكز الرِّمَاح كما شَهِرَ فُلُجَّتُهَا من تَدْيِيرِه برِماح الأَقْلَامِ ؛ ولِيُؤاظَبَ بِحُسْنِ نَظَرِه على تَقَرُّرِ أحوالها ، وتَقَرُّيبِ آمالِها ، وتأثيرِ المصالح في أَعْمَالِها ، ولا يَحْصُصْ أمرها في التَّضْيِيقِ فكُنْى بِاحْصَاشِهَا الأيام على تعاقبِ أحوالها ؛ بل يَجْتَهِدْ في إِزَاجَةِ أَعْزَارِهَا بِسَدَادِ الرَّأْيِ الرَّابِعِ ، وإشاعة الذِّكْرِ الحَسَنِ مع كُلِّ غَايَةٍ ورَاحٍ ، وَرَفْعِ الأَيْدِي بِالْأَذْخَةِ الصَّالِحَةِ في تلك المشاهد لِلِكِ «الظاهر» في هذا الوقت والملك «الصالح» ؛ حَتَّى يَشْهَدَ سَيْفُ اللهِ «خالد» بِمَضَاءِ سَيْفِ حَزْمِهِ وَعِزِّهِ ، وَحَتَّى يَتَوَقَّرَ مِنْ غَرَضِ الخَيْرِ وَالْجِدِّ نَصِيبُ سَهْمِهِ ، وَتَقْوَى اللهُ تَعَالَى أَوَّلُ الوَصَايَا وَآخِرُهَا فَتُكُنْ أَبَدًا فِي هِمَّةِ قَهْمِهِ .



تَوْقِيعُ بَنْظَرِ الرَّجَبَةِ ، من إنشاء ابن بُنَاتَةَ لِمَنْ لَقِبَهُ «تاج الدين» وهو :

رُسم بالأمر - لا زَالَ مَلِيَّ السَّحَابِ ، بِسُقْيَا الأَمَالِ الوارِدِ ، تَمْلُؤُ الرُّحَابِ ، بِكُفَاةِ الأَعْمَالِ السَّائِدَةِ ، تَحْدُومُ المَمَالِكِ والأَيَّامِ بأَقْلَامِ الدَّوَاوِينِ الحَاسِبَةِ وَأَقْلَامِ الدَّوَاوِينِ الحَامِدَةِ - أَنْ يَسْتَقَرَّ : لِكِفَائِهِ التي وافقَ خُبْرُهَا الخَبْرَ ، وَنُشِرَ ذِكْرُهَا نَشْرَ الخَيْرِ ، وَصِنَاعَةُ حِسَابِهِ التي لَوْعَاشُ «أَبُو القَاسِمِ المَعْرَى» لَمْ يَكُنْ لَهُ فِيهَا قِسِيَا ،

ولو عاصرها «أَبْنُ الْجَرَّاحِ» بِقَدَمِهِ وإِقْدَامِهِ لَا قَلْبَ عَنْهَا جَرِيحَ الْفِكْرِ هَزِيمًا ؛
بَلْ لَوْ تَأَوَّاهُ الشَّدِيدُ الْمَاعِزُ لَذُبَّ بِغَيْرِ سَكِّينَ ، وَالتَّاجُ الطَّوِيلُ لَرَجَعَ عَنْ هَذَا التَّاجِ
الطَّائِلُ رُجُوعَ الْمُسْكِينِ .

فَلْيَبَاشِرْ مَا قُوِّضَ مِنْ هَذِهِ الْوُظَيْفَةِ إِلَيْهِ ، وَنَبِّهِ الْأَخْبَارَ فِيهَا نَظَرَهُ الْجَمِيلَ وَنَظَائِرَهُ ؛
جَارِيًا عَلَى عَوَائِدِ هِمَمِهِ الْوَثِيقَةِ ، مَا شَاءَ عَلَى أَنْجَحِ طَرِيقٍ مِنْ آرَائِهِ وَأَوْضَحِ طَرِيقِهِ ،
نَازِلًا مَنزِلَةَ الْعَيْنِ مِنْ هَذِهِ الْجَهَةِ الَّتِي لَوْ صُوِّرَتْ بَشَرًا لَكَانَ نَظَرُهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ ؛
مُقَرَّبًا لِمَضَائِقِهَا حَتَّى تَكُونَ كَمَا يُقَالُ رَجَبِهِ ، مُقَصِّحًا مِنْ حُرُونِ أَحْوَالِهَا الْعَقَبَةِ
وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ؟ فَكَمْ مِنْ رِقَابِ السُّفَّارِ الْمَعْوِقِينَ رَقَبَهُ ؛ وَأَطْعَمَ أَرْبَابَ
الْأَسْحَقَاتِ فِي يَوْمِ ذِي مَسْغَبِهِ ، وَسَاعَفَ بِتَيْسِيرِ الْمَعْلُومِ كُلِّ كَاتِبٍ ذِي مَتَرَبَةٍ ؛
حَرِيصًا عَلَى أَنْ يُغْنِيَ الدِّيَّانَ بَوْفَرِهِ ، وَتُغْنِيَ حُدَاةَ الثُّجَّارِ بِسُكْرِهِ ، وَعَلَى أَنْ يَقُومَ
رِجَالُ الْأَسْتِخْدَامِ فِي الْمُهِمَّاتِ بِنَصْرِهِ ؛ وَعَلَى أَنْ تُسَاقَ بِفَضْلِ قَلْبِهِ الْأَمْوَالُ أَحْسَنَ
مَسْوُوقٍ ، وَعَلَى أَنْ يَكُونَ لِأَهْلِ الرَّحْبَةِ مِنْ إِحْسَانِهِ «مَالِكٌ» وَمِنْ جَدْوَى تَدْيِيرِهِ
«طَوَقٌ» ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُوضِّحُ فِي الْمَصَالِحِ مِنْهَاجَهُ ، وَيُعَلِّي عَلَى رُؤُوسِ الْأَوْصَافِ تَاجَهُ .



تَوَقَّعْ بِنَظَرِ جَبَرٍ قَبْلَ أَنْ تُثْقَلَ إِلَى عَمَلِ حَلَبَ ، مِنْ إِنْشَاءِ أَبْنِ نُبَاتَةٍ ، كُتِبَ بِهِ
«لَهْبَةُ اللَّهِ بْنِ النَّفِيسِ» ، وَهُوَ :

رُسم بالأمر - لَا زَالَتِ الْمُنَاصِبُ فِي دَوْلَتِهِ الشَّرِيفَةِ تَسْتَقْبِلُ هِبَةَ اللَّهِ بِسُكْرِهَا ،
وَنَتَائِجَ الذِّكْرِ النَّفِيسِ بِمَقْدَمَاتِ تَشْرِهَا وَبُشْرَاهَا - أَنْ يَرْتَبَ ... : لِكِفَائِهِ
الَّتِي أَشْهَرَتْ ، وَأَمَانَتِهِ الَّتِي طَهَّرَتْ فَظْهَرَتْ ، وَمُبَاشَرَتِهِ الَّتِي ضَاهَتْ يُجُومُ السَّمَاءِ
إِذَا زَهَرَتْ ، وَجُجُومَ الْأَرْضِ إِذَا أَزْهَرَتْ ؛ وَأَنَّهُ الَّذِي جُرَّبَ عَزَمُهُ فَرَكَهَا عَلَى

التَّجْرِبَ ، وَرَفَى فِي مَطَالَعِ التَّنْذِيرِ والتَّوْبِ ، وَنَصَّ حَدِيثُ أَجْهَادِهِ الْمُقَرَّبَ فَكَانَ
مُسَاقًا عَلَى النَّصِّ والتَّقْرِيبِ ؛ وَأَنَّ هَذِهِ الْبُقْعَةُ الْمُبَارَكَةُ مِّنْ أَطْلَابِ التَّارِيخِ خَبَرُهَا ،
وَقَصَّ سِيرَهَا ؛ وَحَمَدَ صَاحِبَهَا الْعَقِيلَى مِنْ قَدِيمِ أَثَرِهَا ، وَعَرَفَ بَرَكَتَهَا لِمَا أَسْتَسْقَى بِهَا
مِنَ الْمَاءِ عَلَى لِسَانِ بَعْضِ الْحَيَوَانِ مَطَرَهَا .

فَلْيَبَاشِرْ هَذَا الثَّمَرُ الْمُحْرُوسَ بِكَفَاءَةِ بِاسْمِهِ ، وَعَزْمَةِ كَالْحُسَامِ لِأَنْوَاءِ الْأُمُورِ حَاسِمَهُ ؛
وَرَأَى لِلتَّنَاجِ حَسَنِ الْأَسْتِصْحَابِ ، وَتَمَيَّزَ كَمَا مَلَأَ الرَّحْبَةَ فِيمَلَأَ بِمُضَاعَفَتِهِ الرَّحَابَ ؛
مُؤَفِّرًا الْعَدَدَ لِلْحَوَاصِلِ وَحَوَاصِلِ الْعِدَادِ ، فَاتِّحًا لِأَنْوَاءِ التَّقْوَلِ بِذِكْرِ الْجَمِيلِ فِي التَّهَانِمِ
وَالْتَبَادِ ، مَا شِئْنَا فِيمَا يَأْتِي وَيَذَرُ عَلَى سَدَادِ الطَّرِيقِ وَطُرُقِ السَّدَادِ .



تَوْقِيحٌ بِنَظَرِ الْبِقَاعِ ، مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ نُبَاتَةَ ، وَهُوَ :

رُسمُ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَ يُبَيِّنُ لِلْكَفَاءَةِ رِزْقًا ، وَيُهِبِي لَتَجْدِيدِ الْمَنَاصِبِ مُسْتَحَقًّا ،
وَلَا بَرَحَ الْبِقَاعِ بِأَيَّامِهِ الْكَرِيمَةِ تَسْعَدُ كَمَا تَسْعَدُ الرِّجَالُ وَلَا تَسْقُ - أَنْ يَرْتَبَ ...
حَسَبَ مَا تَضَمَّتْهُ مَكْتَابَةُ الْجَنَابِ الْفَلَائِي : مِنْهَا عَلَى قَدْرِ هَذَا النَّظَرِ الْمُهْتَبِ وَصْفُهُ ،
الْمُرْتَبَ عَلَى نَحْوِ الثَّنَاءِ نَعْتَهُ وَعَطْفُهُ ؛ الْمَشْهُورِ بِمَبَاشَرَتِهِ اسْتِفَاعَ الْوُظَافِ وَأَرْتِفَاعِهَا ،
الشَّاهِدِ بِكَفَائَتِهِ وَأَمَانَتِهِ مَسَالِكِ الْأَعْمَالِ وَقِاعِهَا ؛ وَأَعْتَادًا عَلَى مَبَاشَرَتِهِ الزَّكِيهِ ،
وَكِتَابَتِهِ الَّتِي لَا يُدَاهِنُهَا الْمُدَاهِنُونَ وَهِيَ نَعْمُ الْبَلْبَلِكِيَّةُ ^(١) .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوُظَيْفَةَ الْمُتَيَمِّنَةَ بِمَطَالَعِ رَشْدِهِ ، وَمَطَالَبِ سَدِّهِ ، طَالَمَا أَنَّ الْبِقَاعَ
كَالرِّجَالِ تَسْعَدُ وَتَسْقُ : فَلْيَكُنْ سَعْدُهَا عَلَى قَلْبِهِ وَيَدِهِ ؛ مَجْتَهِدًا فِيمَا يُبَيِّضُ وَجْهَ

(١) نسبة إلى بلبك عند من يجعله اسمًا واحدًا ويمتنع من الصرف فأما من يضيف الأول إلى الثاني
ويجري الأول بوجه الأعراب فالنسبة عنه بعل.

شاكِرِه، حَرِيصًا على آزيداد الصفات التي كانت في عقد حساب العمل محلّ بَنَانِه
 بفعلته الآن محلّ نَظَرِه ؛ مُتَمَرِّزًا لأموال النواحي وَغَلَايِهَا ، واضِعًا عن أرباب
 الاستحقاقات ما عليها من سُوء التدبير : من إضِرَّها وأغَلَايَها ؛ محتاطًا لنَفْسِه
 في الحوطات حتّى لا يُذَكَّر إلا بَخَيْرٍ، ولا يُعرف قَلَمُه إلا بِمَيْرٍ؛ ناثِرًا حَبَّ حُبِّه حتّى
 تهوى إليه ألفاظُ النِّشاء هَوَى الطَّيْرِ، جاعِلًا تقوى الله مَقْصِدَه : فإنَّها السَّبيلُ إلى فوز
 الدارين لا فَيْر .

الصنف الرابع

(مما يكتب لأرباب الوظائف بالشام - توقيع مشايخ الخوآتق ،

وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما هو بمخاضة دِمَشق ، وهو على ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى

(ما يفتتح به « الحمد لله »)

وهو توقيعُ شَيْخ الشيوخ بِدِمَشق : وهي مَشِيخَةُ أُلُحَّا قِقاء الصلاحية المعروفة
 بالشُمُيصاتية . وقد تَقَدَّمَ أنها يكتب بها أيضًا من الأبواب السلطانية . ثم هي تُفرد
 تارةً عن كتابة السّر بالشام ، وتارة تُضَافُ إليها .

تَوْقِيعُ مَشِيخَةِ الشيوخ بالشام ، من إنشاء الشَّيخ جمال الدين بن نُباتة ، كُتِبَ به
 للشيخ « علاء الدين علي » مفردة عن كتابة السّر ، وهو :

الحمد لله الذى جعل شرف أوليائه عليا ، وفضله الجليل جليا ، وأتصال علامهم
كأتصال كوكب الشرف ببللّاء الخيرات مليا ، وحاضر أفيقهم كغائبه إذا سطرت
دعواته واستمرت هباته كان على كلاً الخالين وليا .

نحمده على توالى التيمم الإنيقه ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
شهادة تستمر بأصلها فروع الحقيقة ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أجدر الخلق
بكرم الخليفة ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين سلكوا بهداه أحسن طريق
وسلكوا فى أحسن طريقه ، صلاة دائمة لا تزال بها عقائد الإخلاص موقفة وألسنة
الذكر طليقة ، ونحية إذا بدت فى حضرة الأذكار كانت للأعين من النور نهاره
وكانت للأتيم من القدر شقيقه .

أما بعد ، فإن أولى المراتب الدينية بتقديم العناية ، وتفخيم الرعاية ، وتكريم التولية
ولا سيما إذا كانت منتسبة إلى أهل الولاية - مرتبة مشيخة الشيوخ التى يجمع عباد الله
الصالحين نطقها ، ويضمهم روافها ، وتعلمهم مطالع كواكب الهدى أفاؤها المنيرة
وأوفائها .

ولما خلت الآن هذه الرتبة بالشام المحروس من شيخ تلوّن هذه الطائفة على
قُطْبِهِ ، وتجتمع على مائدة قرباته وقُربِهِ ، ونمشي على قدّمه وتناجى صلاح أحوالها
عن قلبه - نعين أن نختار لها من كملت بالله أدائه ، وصفت فى مشاهد الحق
ذاته ، وزكّت فى علمي الإبانة والأمانة شهادته المُقَصِّحة ومشاهداته ، وأجمع الناس
على فوائد تسليكه وإسلاك قلبه حيث بدت فى وجوه الحسن حسناته ، ووجوه
الشام شاماته ؛ لما شهر من معرفته وعرفانه ، ولما دعى له ببقاء نوح لما فاض

فِي الْعِلْمِ مِنْ طُوفَانِهِ ؛ وَلَيْسَ قَامَ فِي الْأَذْهَانِ مِنْ طَبَقَةِ قَدْرِهِ الْمُوصُوفِ ، وَلَيْسَ سَارَ مِنْ رِسَالَةِ أَخْبَارِهِ إِذَا قَالَتِ الْآثَارُ : « هَذَا الْمَرْيُ » قَالَ الْإِيثَارُ : « وَفَضْلُهُ مَعْرُوفٌ » .

فَلْيَبْشُرْ هَذِهِ الْمَشِيخَةَ الْمُبَارَكَةَ بِصَنْدِرِ السَّالِكِينَ رَجِيبٍ ، وَبِرِّ السَّائِلِينَ مُجِيبٍ ، وَفَضْلٍ يَقُولُ الرَّائِدُ وَالْمُرِيدُ بَدَارَ إِقَامَتِهِ : قِفَا نَبِّكَ مِنْ ذِكْرِي مَثَرِلٍ وَحَيْبٍ ؛ وَبَشُرْ بَشْرِي يَمْلَأَنَّ عَيْنَ الْمُجْتَلِيِ وَيَدَ الْمُجْتَدِيِ ، وَعَطْفٍ وَلُطْفٍ إِذَا قَالَ الْذَاكَرُ لِمَنْ مَضَى : رَاحَ مَا لَكَ ! قَالَ الْمَعَانِي : وَجَاءَ سَيِّدِي ؛ وَلِيَرِاجِ أُمُورَ الْخَوَانِقِ الشَّامِيَّةِ مَا غَابَ مِنْهَا وَمَا حَضَرَ ، وَمَا سَمِعَ مِنْهَا وَمَا نَظَرَ ، وَلِيَهْدُبَ قُلُوبَ سَاكِنِيهَا حَتَّى يَعُودَ كَأَخْوَانِ الصَّفَاءِ مِنَ الْمَوَدَّةِ قَوْمٌ كَانُوا لِأَخْوَانِ الصَّفَاءِ مِنَ الْحَجَرِ ؛ قَائِمًا بِحَقِّ الرُّتْبَةِ قِيَامَ مِثْلِهِ مِنْ أَيْمَةِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ ، دَائِمًا لِهَذِهِ الدَّوْلَةِ الْعَادِلَةِ فَإِنَّهُ أَقْصَى دَوَائِي الْأَمَلِ ، مُعَرِّبًا - لِأَنَّ الْعَرَبِيَّةَ مِنْ عُلُومِهِ - عَنِ الْإِيضَاحِ ضَمِيًّا عَنْ تَفْصِيلِ الْجَمَلِ ؛ وَهُوَ الْمَسْلَكُ لَهَا بِحِثَابِ تَسْلِيكِ دُرَرِ الْوَصَايَا ، الْمُخْبِوءِ لِمِثْلِ هَذِهِ الزَّوَايَا الْمَبْرُورَةِ : فَنِعْمَ الزَّوَايَا الْمُخْبِوءَةُ نِعْمَ الْخَلَايَا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُعِيدُ عَلَى الْأُمَّةِ بَرَكَاتِهِ ، وَيُمَتِّعُهُمْ بِاسْتِسْقَاءِ الْغُيُوثِ : لِمَا يَسْطِطُهَا عِنْدَ رُبِّهِ ! وَإِنَّمَا يَسْطِطُهَا عِنْدَ دَعْوَاتِهِ .



وَهَذِهِ نَسَخَةٌ تَوْقِيعَ بِمَشِيخَةِ الشُّيُوخِ بِالشَّامِ أَيْضًا ، مُضَافَةً إِلَى كِتَابَةِ السَّرِّبَةِ ، كُتِبَ بِهَا لِلْقَاضِي نَاصِرِ الدِّينِ « مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الطَّيِّبِ » كَاتِبِ السَّرِّبِ بِالشَّامِ بِـ « الْمَقَرَّرِ الشَّرِيفِ » وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَحَ صُدُورَ أَوْلِيَائِهِ بِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَأَتْبَاعِهِ ، وَجَعَلَ لَهُمْ خَوَاصَّهُ الَّذِينَ غَدَّوْا مِنْ أَتْبَاعِ الْحَبِيبِ وَأَشْيَاعِهِ ، وَرَفَعَ ذِكْرَهُمْ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ وَأَوَاهُمُ إِلَى مَقَامِ الْأَنْسِ فِي مَحَلِّ الْقُرْبِ بِالتَّسْلِيكِ الْمُحَمَّدِيِّ الَّذِي أَوْصَلَ إِلَيْهِ مَرِيدَهُ بِانْقِطَاعِهِ ، وَخَصَّهُمْ

ببركات من حصّهم على الأعمال الصالحة بقصده الجميل وعليه التزير وأتضاعه ،
ومنّهم بمن أَوْضَحَ لهم الطريق المستقيم بإبدائه الحقّ وإبدار إبدائه ، وغذاهم بالحكمة
فلتشتوا بالمعرفة وصارهم العقل السليم بالتحفظ من الأهوية الرديّة فسلمت لهم الطيبة
على قانون الصّحة بحسن تركيه وأوضاعه ، وأفاض عليهم من بحر علمه ما نالوا به الرشد
فصاروا أولياء بملازمة أوراده ومتابعة أوزاعه .

نحمده على ما ألهنا من وضع الشئ في محله ، ولإيصال الحقّ إلى أهله ، وإجابة
سؤال الفقراء وإعانتهم بمن أغناهم عن السؤال بفضائله وفضله ، حمداً بعيد كشاف
الكرب على مُريدَيْه وطلبته ، ويرفع مقام من قام بشعار الدين بتعظيم قدره وطوّ
درجته ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي من تهرب منه ذرأاً ،
تقرب منه باءاً ، ومن أتاه يمشي أتاه هرولة وإذا تهرب إليه عبده بالنوافل
أحبه ، (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من
ورقة إلا يعلمها ولا حبه) . ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أضاءت
الأشكوان من نور هديه فأهتدت به أصحاب المعارف المسلمون لموجدهم الأمر
والإرادة ، ومن هو روح الوجود الذي أحيا كل موجود وسلك طريق سلّته
الموصلة إلى عالم الغيب والشهادة ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين صفت
قلوبهم من الأكدار وإلى التقوى سبقوا ، وصدقوا في المحبة فاستحقوا ثناء مولاهم :
(من المؤمنين رجال صدقوا) ؛ فمنهم من ثبت من فيه رائحة كيد مشويته من
خشية الله ، ومنهم من حلت بما شاهده ببصره وبصيرته على البعد وراءه ؛ ومنهم
من أحيا ليله واستحييت منه ملائكة السماء ، ومنهم من آخذ أخا إذ هو باب
مدينة العلم وركن العلماء ؛ صلاة دائمة تطيب أوقات الحيين ، وتطرب بسماعها
قلوب المتقين أهل اليقين ؛ وسلم تسلياً .

أما بعد، فإنَّ أَوْلَى مَنْ قَدَّمْنَاهُ، إِلَى أَهْلِ الصَّلَاحِ، وَرَفَعْنَاهُ، إِلَى عِلِّ الْقُرْبِ وَرُوحِ
 الأرواح؛ وَحَكَمْنَاهُ، عَلَى أَهْلِ لُتْخِيرٍ، وَمَكَّنَّاهُ فِي حَرْبِ اللَّهِ الَّذِي ظَلَبَ لَنَا أَجْتَهَدُوا عَلَى
 إخراج حزب الشَّيْطَانِ مِنْ قُلُوبِهِمْ وَزَحَفُوا عَلَى قَرَارِهِ بِمَجِيشِ التَّقْوَى وَبِمَتِّهِمُ الزُّهْدِ
 وَحُسْنِ السَّيْرِ؛ وَوَلَّيْنَاهُ أَجَلَ الْمَنَاصِبِ الَّذِي يَجْتَمِعُ فِيهِ قُلُوبُ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى الطَّاعَةِ،
 وَأَحْلَلْنَاهُ أَرْفَعَ الْمَرَاتِبِ الَّذِي خَطَبُهُ مِنْهُمْ خِيَارُ الْجَمْعِ لَجَلْوَةِ عُرُوسِ الْجَمَالِ فِي الْخَلْوَةِ
 بِعَقْدِ مِيثَاقِ سُنَّةِ الْحُبِّ وَشَهَادَةِ قُلُوبِ الْجَمَاعَةِ - مِنْ جَمَلَةِ صَوْرَةٍ وَمَعْنَى، وَأَتَخَرَّجَهُ
 أَحَادٍ وَمِثْقَالٍ؛ وَبَاشَرَهُ عَلَى أَحْسَنِ الْوُجُوهِ، وَبَلَغَ كَلَّامًا مِنْ مُرِيدِهِ وَطَلَبَتِهِ مِنْ فَضَائِلِهِ
 وَقَضَلَهُ مَا يُؤْمَلُهُ وَيَرْجُوهُ؛ وَمَدَّ مَوَائِدَ مُلُومِهِ الْمُخْتَوِيَةِ عَلَى أَنْوَاعِ الْفَضَائِلِ الْمُغْضِيَةِ
 لِلْقُلُوبِ، وَجَلَسَ فِي حُلِيِّ الرِّضَا فَكَّسَا الْقَوْمَ الَّذِينَ لَا يَسْتَقِي بِهِمُ الْجَلِيسُ مَلَائِسَ
 التَّقْوَى الْمُطَهَّرَةِ مِنَ الشُّبُوبِ؛ وَظَهَرَ فِي مَحْفَلِهِمُ لِلْهُدَايَةِ كَالْبَسْمِ وَهُمْ حَوْلَهُ هَالَةٌ،
 وَكَانَ ذَلِيلُهُمْ إِلَى الْحَقِّ فَدَنُوا بِتَسْلِيكِهِ مِنْ مَشَايِخِ الرِّسَالَةِ؛ وَجَاهَدَ فِي بَيَانِ مَعَانِي
 الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ حَتَّى قِيلَ لَمَّا قَسَرَهُ: هَذَا «مُجَاهِدٌ»، وَأَسْتَدَلَّ عَلَى تَثْرِيهِ مِنْ تَكَلُّمِهِ بِهِ
 - سُبْحَانَهُ - عَنِ التَّنْبِيهِ وَالتَّحْلِيلِ «وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ»؛ وَتَقَلَّ
 الْحَدِيثَ الْمُحَمَّدِيَّ الَّذِي هُوَ «مَوْطَأٌ» لِنَفْهِمِ «الْغَرِيبِ» مِنْهُ وَمِيزِ «صَحِيحِهِ» لِكُلِّ
 «مُسْلِمٍ» فَاطْرَبَ بِسَاعَةِ الْوُقُودِ، وَأَفَادَ الْعِبَادَ «تَنْبِيهِ الْغَافِلِينَ» فَقَامُوا فِي الْخِدْمَةِ
 فَأَصْبَحُوا تَعْرِفُهُمْ بِسَيَاهِمِ: (سَيَاهِمٌ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ)؛ وَخَفَضَ جَوَاهِرَهُ
 الَّذِي عَبَّرَهُ الشَّعْرَى الْمَبُورَ وَالنَّمْرَ الطَّائِرَ، وَسَارَ إِحْسَانُهُ إِلَى طَوَائِفِ الْفُقَرَاءِ فَصَارَ
 مَثَلًا لِحَبِيدِنَا «الْمَثَلُ السَّائِرُ».

وَكَانَ فَلَانٌ - أَعَادَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ بَرَكَاتِهِ وَأَسْبَغَ ظِلَالَهُ - هُوَ الَّذِي أَقَامَهُ اللَّهُ تَعَالَى
 لَهُذِهِ الطَّائِفَةِ الْمُبَارَكَةِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، وَذُكِرَتْ صِفَاتُهُ الْجَمِيلَةُ فَكَانَ مِثْلَهُ لِلْعَيُونِ قُرَّةً؛

وَأَتَصَفَّ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الَّتِي مَلَأَتْ الْأَفْوَافَ وَالْمَسَامِعَ كَمَا لَمَّتْ مِرْءَاتُهُ الْمُثْقَلُ، وَحَصَلَ
 الْبَشَرُ بِمَعْرُوفِهِ الَّذِي تُتَبِعُهُ السَّرَى أَبُو يَزِيدَ بَخْرِيٌّ عَلَى عَادَةِ الْقَوْمِ الْكَرَامِ، وَوَصَلَ،
 وَنَبَتْ عَنَاصِرُ فَضَائِلِهِ فَكَانَتْ شَرَابَ الَّذِينَ صَفَتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ كَدِّهَا، وَأَمْطَرَتْ
 سَحَابُ طَلْوِيهِ الْإِلَهِيَّةِ الدَّازِعَةَ مِنْ سَمَاءِ الْحَقِيقَةِ فَسَالَتْ أَوْدِيَةً بِقَدْرِهَا، وَظَهَرَتْ لَمْعَةُ
 أَنْوَارِ شَمْسٍ مَعَارِفِهِ عِنْدَ التَّجَلِّيِّ عَلَى الْمُرِيدِ، وَمَنَاقِ نُفُوسِ الْقَائِمِينَ لَهَا عَنْ مَطْلَبِهِمْ
 بِأَصْلِهِ الَّذِي شَرَحَ طَلَايِمَ قَلْبِ الْقَائِمِ بِذِكْرِ الْبَاقِي فَفَرَّقُوا فِي بَحَارِ الْمَحَبَّةِ (وَبَادَتْ كُلُّ
 نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ) .

فَلَذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الْعَالِي - لَا زَالَ يَرْفَعُ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ إِلَى أَعْلَى مَقَامٍ،
 وَيُنِيهِ لَمْ فِي جَنَّاتِ الْقُرْبِ قُصُورَ الرِّضَا: (لَمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا) وَمَنْ يَزِيدُهُمُ الْإِكْرَامَ -
 أَنْ تُفَوِّضَ إِلَيْهِ مَشِيعَةُ الشُّبُوحِ بِالشَّامِ الْخَرُوسِ : وَظِيْفَتُهُ الَّتِي خَرَجَتْ عَنْهُ،
 الْمَرْسُومُ الْآنَ إِطَادَتُهَا عَلَيْهِ، عَوْضًا عَنْ كَانَتْ بِيَدِهِ، بِمَعْلُومِي النَّظَرِ وَالْمَشِيعَةِ الشَّاهِدِ
 بِهِمَا دِيْوَانَ الْوَقْفِ الْمَبْرُورِ إِلَى آخِرِ وَقْتٍ، عَلَى أَجْمَلِ الْعَوَائِدِ، وَأَكْلِ الْقَوَاعِدِ،
 تَقْوِيضًا تُظَلِّمَتْ بِالْقَبُولِ حُقُودُهُ، وَدَامَتْ فِي دَارِ السَّعَادَةِ سُعُودُهُ، وَفِي تَرَجِ الْمَعَالِي
 صُعُودُهُ .

فَلْيَتَّقِ ذَلِكَ بِالْقَبُولِ، وَلْيَتَلَقَّ الْفُقَرَاءَ مِنْ إِقْبَالِهِ الْجَمِّ الَّذِي أَلْجَمَ عَنْهُ الْمُنَى وَالسُّوْلُ،
 وَلْيُعَامِلِ الْمُرِيدِينَ بِالثَّقَفَةِ الْمَعْرُوفَةِ مِنْ رَحْمَةِ دِينِهِ وَإِفْضَالِهِ، وَلْيَشْمَلْ كُلًّا مِنْهُمْ
 بِسَاتِيَتِهِ وَلُطْفِهِ فَإِنَّ الْخَلْقَ عِيَالُ اللَّهِ وَأَحْبَبُّهُمْ إِلَيْهِ أَشْفَقُهُمْ عَلَى عِيَالِهِ، وَلْيَأْمُرْهُمْ بِإِلَازِمَةِ
 إِقَامَةِ الصَّلَاةِ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ، وَإِذَا مَالُوا - وَالْعِبَادَةُ بِاللَّهِ تَعَالَى - يَوْمًا
 إِلَى مُنَاقَسَةٍ بَيْنَهُمْ فَلْيَقُلْ: أَتَهْوَى اللَّهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا وَلَا تَمِيلُوا كُلَّ
 الْمِيلِ، وَلْيَنْسَحِ لَمْ حَرَمِ الْخَيْرِ الَّذِي وَقَفُوا فِيهِ مُنْجَاهَ قَصْرِ تَعَبُّدِهِ الَّذِي عَلَا بِالْجَوْهَرِ

الْقَرْدِ وَقُوَّةَ الْإِخْلَاصِ ، وَلِيُدْخِلَهُمْ مِنْ جَنَّةِ إِبْقَالِ فَوَائِدِهِ الَّتِي فِيهَا مِنْ أَبْكَارِ مَعَانِيهِ حُورٍ مَقْصُورَاتٍ فِي خِيَامِ أَدَانِهِ لَمْ يَطْمِئُنْ لِنَاسٍ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ وَأَعْجَزَ قَصْرُهُ الْعَالِي وَجَوْهَرُهُ الْغَالِي كُلُّ بِنَاءٍ وَغَوَاصٍ ؛ وَلِيَجْعَلَهُمْ لَهُ عَلَى جَبَلِ اعْتِمَادِهِ وَمَرْوَةٍ مُرْوَتِهِ إِخْوَانَ الصِّفَاءِ ، وَلِيُقِمَّهُمْ فِي رُكْنِ مَقَامِ الْمُنَاجَاةِ إِذَا زَمَزَمَ مُطْرِبُ حَيْثُ تَلْقَاءُ أَهْلِ الْوَفَا ؛ وَلِيَقْدِّمَ السَّائِقِينَ بِمَعْرِفَةِ حَقِّهِمْ وَنَجَلَتِهِم بِالْوَرَعِ الَّذِي يَقْبَلُونَ بِهِ الشَّيْطَانَ فَإِنَّ حَزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ، وَلِيَسْداؤُ قُلُوبِهِم الْمَرْضَى بِشَرَابِ الْحُبَّةِ وَتَرْكِيبِ أَدْوِيَةِ الْإِمْتَلَاءِ مِنَ الدُّنْيَا لِيَقْتَدُوا وَقْتَ السَّحْرِ [بِحَيْثُ] [هَلْ مِنْ تَأْتِي] وَلَا يَسْقِيهِمْ كَاسَاتٍ تَضَعُفُ عَنْهَا قُوَّتُهُمْ حَتَّى يَقْتُوا مِنْ بَرْدَةِ الْهَوَى الْمُضِرَّةِ وَيَنْسَلُوا بِحَارٍّ بِجَارِي دُمُوعِ الْخُشُوعِ وَيَلْبَسُوا جَنِيدَ مَلَائِكَةِ التَّقَى وَيَغْدُوا مِنَ الْحَبَائِبِ . وَمِنْهُ تُعْرَفُ الْوَصَايَا ، وَعَنْهُ تُثْقَلُ الْمَزَايَا ، وَكَرَّمَ الْأَخْلَاقَ وَالسَّجَايَا ؛ وَلِيَأْمُرَ السَّالِكِينَ بِمَدَامَةِ الْأَعْمَالِ الَّتِي قَامَتْ بِحُسْنِ الْعَقَائِدِ وَأَسْتَقْلَتْ ، وَلِيَحْصُصَ الْمُرِيدِينَ أَوَائِلَ التَّسْلِيكِ عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَذْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّتْ ؛ وَلِيَعْرِفَهُمُ الْحُبَّةَ بِذِكْرِ اللَّهِ لَثَلَا يَقُومُوا عَلَى قَدَمِ الْهَيَامِ ، وَلِيَبَيِّنَ لَهُمُ الْمَعْنَى إِذَا لَمْ يَعْرِفُوا الْمَعْنَى لِيَقْطَعُوا الْهَوَا حَرَفِي طَلَبِ الصَّيَامِ ؛ وَلِيَفَرِّقَ بَيْنَ الْوَارِدَاتِ بِمُلَازِمَةِ الْأَوْرَادِ لَثَلَا يَقَعُوا مِنَ الْأَشْتِبَاهِ فِي حَيْثِهِ ، وَلِيَأْمُرَهُمْ بِادِّخَارِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ لَتَكُونَ التَّقْوَى لِقُلُوبِهِمْ قُوَّتًا وَالزُّهْدُ مِيرَةً ؛ وَلِيَقْمَعَ أَهْلَ الْبِدْعِ ، وَلِيَرَفَعَ مَنْ أَنْتَضَعَ ؛ وَلِيَنْتَفِدَ أَحْوَالُ أَوْقَافِهِمْ بِجَمِيعِ الْخَوَافِقِ وَالرُّبُطِ وَالزُّوَايَا بِالْجَمِيلِ مِنَ النَّظَرِ ، وَلِيَزِدَّ فِي الْأَجُورِ بِمَا يَوْثُرُ فِيهَا نَظَرُهُ الَّذِي مَازَالَ لَهُمْ مِنْهُ أَوْفَرُ نَصِيبٍ خَبْدًا عَيْنٍ وَآثَرًا ؛ وَالْوَصَايَا وَإِنْ كَثُرَتْ فَهِيَ مُفِيدُهَا وَعِنْدَهُ مَتَبِعُهَا ، وَتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي هُوَ شَيْخُهَا وَمُرِيدُهَا فِي بَيْتِهِ الْمُبَارَكِ حَلَاوَةٌ ذَوِقُهَا وَجَمْعُهَا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَكُونُهُ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بَيِّنَاتٍ ، وَيَرْفَعُهُ بِهَا وَيُرْقِيهِ إِلَى أَعْلَى الدَّرَجَاتِ .

المرتبة الثانية

(من تواقيع مشايخ الأمانة بمحاضرة دمشق - ما يفتتح به «أما بعد حمد الله» وفيها وظائف)

نسخة توقيع بمشيخة إقراء القرآن ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، كتب به للشيخ شهاب الدين «أحمد بن النقيب» بد المجلس العالي» وهي :

أما بعد حمد الله رافع شهب المدي أعلاما ، وجاعل رتب أفضلها أعلى ما ، ومحل أحدها من مدارس الآيات منازل بدر إذا عا الحاق من هذا أسما أثبت من سمو هذا قرأ تمام ، ومُسكِنه من مواطن الذكرك جئات قورم بارهاتهم وبقاء ذكركم خالدين فيها حسنت مستقرًا ومقامًا ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أرفع من أخذ القرآن إماما ، وأتبع من عقد استحقاق النبوة على حمده خنصرًا وجلًا الحق بهداه إلهامًا ، وعلى آله وصحبه أمتع من ليس بسردي الآيات درعا وأقسم من بركتها سهاما - فإن وظيفة يكون القرآن الكريم ، ربيع فصلها وفصلها ، ورثة يكون الذكر الحكيم ، مداوى قلوب جفيلها ، ومشيخة يكون مرید الآيات البينات وارید زوايا أهلها - لأحق أن تتخير لها الأكفاء من ذوي الفضل الأثير ، والأدلاء على أشرف نتائج الهداية من ذوي الحليم الساكن والعزم المثير .

ولما كانت مشيخة إقراء القرآن بالترتبة المعروفة بأمر الصالح بدمشق المحروسة : هي كما يقال : أم العلم وأبوه ، وأخوه وحموه ، وصاحبته وأهل الكتاب والسنة بنوه ، وخلصت الآن من شيخ [كان] يحيى حماها ، وتقيم الخلوات والآيات من بركتها وتلاوته بـ«الشمس» وحماتها والقمر إذا تلاها» وكان فلان هو الذخيرة الخبوء لهذا الأمر ، وفو السيرة المحبوبة بهذا الشرف الغمر ، وصاحب القراءة والبيان الذي لا يعوز زمان

طَلَبْتِهِ [أَبُو] عُمَرُ وَلَا أَبُو عَمْرٍو؛ وَالْجَامِعُ لَعُلَّ اللهُ تَعَالَى جَمَعَ سَلَامَةً فِي فَنِّهِ، وَصَحِيحَةٌ فِي شَرَفِ ذَهْنِهِ، وَجَوَّازٌ أَمْرِي بِشَهْدِ أَنْ الْبَحْرَ يُخْرِجُ [لَدَى] الْمَشْكَلَاتِ مِنْ صَدْرِهِ وَيَدْخُلُ عِنْدَ عَقْدِ الْحَبَا فِي رُذْنِهِ، وَالْقَارِئُ الَّذِي إِذَا قَالَ مُبِينًا قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ، وَالتَّالِي الَّذِي إِذَا قَصَرَ أَوْ مَدَّ، مَدَّ إِلَى سَمَوَاتِ الْعُلَى بِأَسْبَابِ، وَالْمُسِيرُ إِلَى عِلْمِهِ الْمَرْسُومِ بِمُصَحَّفِهِ فَلَا عَدَمَ إِمَارَتِهِ وَمَرْسُومِهِ أَوَّلُ الْأَثَابِ؛ وَالْمُجَلِّي وَإِنْ سَمَّاهُ الْعُرْفُ تَالِيًا، وَالْمُنْتَقِبَ عَنْ غَوَامِضِ التَّفْسِيرِ: وَ«أَبْنُ النُّعَيْبِ» أَوَّلِي بِسَنَدِ التَّفْسِيرِ تَالِيًا؛ وَالْإِمَامَ السُّنِّيَّ وَإِنْ سَمَّاهُ الشَّرْعُ الْإِمَامَ الْحَاكِمَ دَهْرًا وَأَقَامَ لَهُ فِي أَفْقٍ كُلِّ فَضْلٍ دَاعِيًا، وَالسَّامِي الَّذِي يَسْلُكُ بَخَرِهِ عَلَى «الْعِرَاقِ» أَوْضَعَ حُجَّتَهُ، وَالْعَرَبِيُّ الَّذِي مَا «الْفَارِسِيُّ» دَخُولٌ فِي بَابِ تَيْقِنِهِ وَإِنْ جَاءَ بِحُجَّتِهِ، وَذُو الرِّوَايَاتِ الْمُؤَيَّدَةِ بِصَحَابَتِهِ، وَخَلَفَ الْعُلَمَاءَ الْأَبْيَضُ فَمَا «خَلَفَ الْأَخْمَرُ» مِمَّا يُقَارِبُهُ، وَلَا «تَعَلَّبَ» مِمَّا تَضَيِّحُ لَدَيْهِ تَعَالِيَهُ، وَلَا «أَبْنُ خُرُوفٍ» مِمَّا يُدَانِيهِ وَهُوَ «الَلِيثُ» وَمِنَ الْأَقْلَامِ تَحَالِيَهُ، وَبَقِيَّةُ السَّادَةِ الْقُرَّاءِ الْمُنْشِدُ قَوْلَ الْحَمَاسِيِّ .

وَأَمَّا مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمُ هُمْ * إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ !
بُدُورُ سَمَاءٍ ، كَمَا ظَبَّ كَوَكَبٌ ، * بَدَا كَوَكَبٌ ، تَأَوَّى إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ !
تَعَيَّنَ أَنْ يُخْطَبَ لِهَذِهِ الْمَشِيخَةِ خُطْبَةُ الْفَتَى لِاقْتِبَالِ تَجْدِيدِهِ وَالشَّيْخِ لِتَوْقِيرِهِ ، وَيُطْلَبَ لِهَذِهِ الرِّتَبَةِ طَلَبًا يَقْضِي الْأَمْلَ فِيهِ بِعَنَوَانِ تَيْسِيرِهِ .

فُرُومٌ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ يَسْتَقَرَّ ... : وَضَمًّا لِلْأَشْيَاءِ فِي مَحَلِّهَا ، وَرَفْعًا لِأَقْدَارِ الْأَفَاضِلِ إِلَى أَعْلَى رُتَبِ الْفَضْلِ وَأَجَلِّهَا ؛ وَعِلْمًا بِمَقْدَارِ هَذَا الْعَالَمِ السَّابِقِ فِي أَفْقِ الْهُدَى شَهَابًا ، الْمُدْفِقِ عَلَى رِيَاضِ الْعِلْمِ سَحَابًا ، النَّاقِلِ إِلَى مَجَالِسِ الْأَسْتِغْنَالِ خُطًّا يَقُولُ لَهَا الْمُؤْمِنُ بِالْإِكْرَامِ وَالْكَافِرُ بِالْإِرْغَامِ : (يَا لَيْتَنِي كُنْتُ رُبًّا) .

فليأشُرْ هـ هذه الوظيفة مباشرة مثله من كَوَى الأناة والإفادَة ، وكُفَاة المناصب
الذين على سَعِيهِم الحُسْنَى وطى الدولة تَصُلُّ الزيادة ؛ وَلَيْسُكَ فى الأشغال عادة نُظْمُهُ
الأحسن ، وَلِيَعْمَلِ طَلَبَتَهُ فى المباحث بغير ما أَلْفَا من الخلق الأَخْسَن ، وَلِيَعْلَمْ أَنَّهُ
قد جُمِعَ بين رَّبِّهِ وَتَرْبَةِ الأُمِّ كى تَهَرَّعَتْهَا وَلَا تَحْزَن ؛ فَلْيَسْرِهَا بِنَبْلِهِ ، وَلْيَبْرَهَا بِفَضْلِهِ ؛
وَلْيُوَفِّرِ السَّعَى إِلَيْهَا كُلِّ وَقْتٍ فى المسير ، وَلْيَفْسَرْ أَحْلَامَ أُمْلَاهَا فِيهِ مِنْ مُفْرَدَاتِ علومه
التفسير ، وَلْيُحَسِّنْ تِلْكَ مِدَّتَهُ الْجَمْع ، وَلْيَحْمِ رَحْمَى رَوَايَاتِهِمْ من الخطأ ولا تَعْجَبْ أَنْ يُجِئَ
رَحْمَى السَّيِّئِ ؛ نَالِيَا كَلَامَ رَبِّهِ كَمَا أُتِرِلَ وَحَسْبُهُ ، دَاعِيَا بِسَبِّ قِرَائَتِهِ إِلَى أَنْ كَتَبَ
فَحَبْنَا نَسْبَهُ الْمُبَارَكُ وَكَتَبَهُ ؛ نَاصِبًا بِمَنْظَرِ تَخْصِيصِهِ أَشْخَاصَ أُمَثَالِهِ الأولِ بعد ما ضمهم
صَفِيحَ التَّحْقِيقِ وَتَرْبُهُ ، حَتَّى يَمِيسَ «الْكِسَائِيُّ» فى بُرْدِ مَسَرَّتِهِ الْفَانِرِ ، وَيُفْتَحَ عِيُونَ
«حَمْزَةِ» عَلَى زَهْرَاتِ رَوْضِ عَيْقِ الْمُبَانِرِ ، وَيَتَرَنَّمُ وَرَشَانُ «وَرِش» فى الأوراقِ
على بِحْرِهِ الزَّائِرِ ، وَيُظْهَرُ بِفَضْلِهِ ذِكْرُ «الشَّاطِئِي» فَيَكُونُ «القَاضِي الْفَاضِل» رَحِمَهُ اللهُ
قد أَظْهَرَ فى الزَّمَنِ الأولِ و«القَاضِي الْفَاضِل» أَجَلَهُ اللهُ قد أَظْهَرَ فى الزَّمَنِ الآخرِ ،
وَتَهْوَى اللهُ تَعَالَى كَمَا عُلِمَ خِتَامُ الوَصَايَا الْبَيضِ فَلْيَنْتَوَلِ مِسْكَهَا الَّذِى هُوَ بِشَدَا الْمِسْكِ
سَاحِرٌ ؛ وَاللهُ تَعَالَى يَنْفَعُ بِعلومِ صَدْرِهِ الَّذِى مَا ضَاقَ عَنِ السُّؤَالِ فَاللهُ ، وَيَمْتَعُ بِعلومِ
قَدْرِهِ الَّذِى إِنْ لَمْ يَكُنْ هُوَ لَفَضْلُ النَّاءِ فَمَنْ لَهُ .

المرتبة الثالثة

(من تَوَاقِعَ مشايخ الأماكن بِمَحَاضِرَةِ دِمَشْقٍ - مَا يُفْتَحُ بِ«رُسْمِ بِالْأَمْرِ»)

تَوْقِيعٌ بِمَشِيخَةِ الْجَوَالِقِيَّةِ ، من إِنْشَاءِ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ نُبَاتَةَ ؛ وَهُوَ :

رُسْمٌ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَ حُسْنُ اعْتِقَادِهِ يَسْتَتِرُ النَّصْرَ فَيُنْصَرُ ، وَيَسْتَبْصِرُ مَطَالِعَ
الْفَوْزِ فَيُبْصِرُ ، وَيَسْتَجِلِبُ الْأَدْعِيَةَ الصَّالِحَةَ مِنْ كُلِّ زَاهِدٍ إِذَا حَامَ فى أَفْقِ الْعِبَادَةِ

حَلَقَ وما قَصَّرَ - أن يستقر ... : حملاً على الوصية التامة الحكم والأساس، وعلمًا بأنه ممن حلَّ في مشيخته لباسُ بَلَّاسٍ^(١)، ونزع في الزهد عما عُدَّ زينةً في النَّاسِ ؛ ومِزَجَ شَعْرَهُ حقيقة التَّسْرِيجِ فأطلقه ، ونَحَارَقَ مَوَادَّهُ وبياضه فأعتقه ؛ ولازَمَ طَرِيقَ مشايخه فما ، وشَكَرَ الحَالَ فجعل في مَنِيَّتِ كُلِّ شَعْرَةٍ لِسَانًا لِلشُّكْرِ وَمَا ؛ وَسَرَّ طَائِفَةً وَرَدُّوا عَلَى آثَارِهِ مَنَاهِلَ الوَفَا ، وَصَفَّتْ قُلُوبُهُمْ وَوَجَّهَتْهُمْ فَنَادَتْ عَلَيْهِمُ كُتُوبُ إِخْوَانِ الصِّفَا ؛ حَتَّى مَشَوْا إِلَى مَطَالِبِ الْخَيْرِ مَشَى الرَّخَاخِ ، وَقَانَعُوا أَقْوَامًا دَنَسُوا عِزَّةَ رُتَبَتِهِمْ فَلَوْلَا أَدْبُهُمْ لَأَنَسْنُوهُمْ : «عُقُولُ مُرْدٍ وَلِحَى أَشْيَاخٍ» .

فَبَقِيَ فِي مَشِيخَتِهِ قِيَامًا يُحْيِي الْقَوْمَ بِأَفْسَاسِهِ ، وَيُبَهِّجُهُمْ بِكَرَامَةِ الْكَشْفِ مِنْ قَلْبِهِ وَتَكْرِيمِ الْكَشْفِ مِنْ رَأْسِهِ ؛ سَالِكًا بِهِمْ فِي طَرِيقِ الْخَيْرِ مُسْتَبْشِرِينَ ، آمِرًا بِتَقْصِيرِ الْمَلَابِسِ وَرَمًا حَتَّى يَدْخُلَ بِهِمْ إِلَى النَّسْكِ مُحَلِّقِينَ وَمُقَصِّرِينَ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَنْفَعُ بِهِ ، وَيُفِئَ حَالَهُ بِمُخْتَلَفٍ مَنَهِبِهِ .

الضرب الثاني

(من تواقيع مشيخة الأماكن - ماهو بأعمال دمشق، وفيه مرتبة

واحدة ، وهي الاقتراح بـ«رسم»)

وهذه نسخ تواقيع من ذلك :

نسخة توقيع بمشيخة الحرم الخليلي ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن ثباته ، كُتِبَ بِهِ لِلشَّيْخِ «شَمْسُ الدِّينِ بْنِ الْبَرَهَانِ» الْجَعْفَرِيُّ بِـ«الْمَجْلِسِ» وَهِيَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَبَسَطَ عِثْلَهُ الَّذِي لَا يَلِغُهُ الْوَاصِيفُ وَلَوْ تَعَالَى ، وَسَرَى لِأَوْلِيَاءِ بَنِي الْأَوْلِيَاءِ بِهِ الَّذِي نَسَنَ بِسُنَّةِ الْغَيْثِ ثُمَّ تَوَالَى - أَنْ

(١) البلاس ككتاب المشع فارسي مريب .

يستقر ... - أدام الله تعالى بركته الانتفاع، وباقتداء سلفه الارتفاع، وأعاد من بركات بيته الذي قام البرهان بفضله وقال بوضوح شمس الإجماع - في مشيخة حرم سيدنا الخليل صلوات الله عليه وسلامه، على عادته القديمة المقتسة، ومستقر قاعدته المعلومة المعلمة، بعد إبطال ما كُتب به لغيره فإن هذا الوليَّ أولى، ولأن الحق معه وباع الحق أطول على المعنيين إطالة وطولاً، وضماً للشئ في عمله الفاعر، وحمل على ما بيده من تواقع شريفة توارث بركتها ملوك البسيطة في الأول والآخر، وصلاً أنه بقية العلم المشيد، والزهد المتيد، وخليفة السلف الصالح وما منهم إلا من هو «أمين» العزم «رشيد»، وأنه الشيخ وكل من عرفه في بقائه وإقائه مُريد، والقائم بالمقام الخليلي - صلوات الله تعالى على ساكنه - مقاماً مجتبي، والمنسب إلى خدمة الحرم الإبراهيمي محمداً صلى الله عليه ونسباً، والقديم المهجرة فلا تتركه الأوطان ولا تهجره، والمقيم بالبلد الخليلي على إقامة الخير: فما ضره أن الملو يشكوه إذا كان «الخليل» يشكوه، وقد سبقت له مباشرات في هذا الحرم الشريف فكان عزها تماماً، وشكرها لازماً، وكانت على الصادرين والواردين كتلك النار النبوية برداً وسلاماً. فليعد إلى مباشرة وظائفه المذكورة في التواقع الشريفة التي بيده، وليكن يومه في الفضل زائداً على أمسه مقصراً عن غده، بثناء يتلق أضياف أبي الأضياف، باليف أحوال الداخلين إليه شتاءً وصيفاً وإن لم تكن رحلة لإلاف، جارياً في بركة التدبير والتشهير على عادته وعادة سلفه فتم الخلف ونعم الأسلاف، مؤظماً على عادة تقواه ورفع الأدعية لهذه النولة الشريفة، جاعلاً ذلك منه أول وآخر كل وظيفه، والله تعالى ينفع ببركات سلفه وبه، ويكافئ عن الأضياف بسط راحته بالخيرات وفضل تبعه.



تَوْقِيعُ بِمَشِيخَةِ الزَاوِيَةِ الْأَمِينِيَّةِ بِالْقُدْسِ وَنَظَرِهَا ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي « بَرَهَانُ الدِّينِ »
أَبْنُ الْمَوْصِلِيِّ بِـ « الْجَنَابِ الْعَالِي » وَهُوَ :

رُسم ... - لا زال يُجْرَى الْأَوَلِيَاءُ فِي مَقَاصِدِهِمْ عَلَى أَجْمَلِ حَالِهِ ، وَيُخْتَارُ مِنْهُمْ لِمَوَاطِنِ
الْخَيْرِ مَنْ يَرِثُهَا بِنَظَرٍ يُكْرِمُهَا السَّعَادَةِ - أَنْ يُجْعَلَ فَلَانٌ فِي وَظِيفَتَيِ النَّظَرِ وَالْمَشِيخَةِ
بِالزَاوِيَةِ الْأَمِينِيَّةِ بِالْقُدْسِ الشَّرِيفِ ، عَلَى حَكْمِ التَّزْوِلِ وَالتَّقْرِيرِ الشَّرِيعِيِّ الْمُسْتَمَرِّ
حُكْمُهُمَا إِلَى آخِرِ وَقْتٍ ، وَأَسْتَمَرَّاهُ فِي الْوِظِيفَتَيْنِ الْمَذْكُورَتَيْنِ بِمُقْتَضَاهُمَا ، وَمَنْعِ
الْمُنَازَعِ بِغَيْرِ حَكْمِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ .

فَلْيَأْمُرْ ذَلِكَ بِمَا يُقْتَدَى بِهِ مِنْ تَسْلِيكِهِ وَتَأْدِيهِ ، وَتَسْرِعِ رَفْعَتِهِ فِي هَذَا الْمَقَامِ
وَمِنْ عَنَابَةِ تَهْنِئَتِهِ ؛ وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَلَكِنْ لَا تُهَالُ لِشُغْلِهِ إِذْ هُوَ مُعَلَّمٌ ، وَتَقْوَى اللَّهِ
سَبْحَانَهُ أَهْمٌ وَأَعْظَمُهَا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى الْمَسْئُولُ أَنْ يَرْشِدَنَا إِلَيْهَا ، وَأَنْ يَجْعَلَ فِي كُلِّ
الْأُمُورِ أَعْتَادَنَا عَلَيْهَا ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! .

الصنف الخامس

(مِمَّا يُكْتَبُ لِأَرْبَابِ الْوُظَائِفِ بِالشَّامِ - تَوَاقِيعُ الْعُرَبَانِ)

وَالَّذِي وَقَفْتُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ مَرْسُومٌ مَكْتُوبٌ بِرُيُوحِ تَهْدِئَةِ بَنِي مَهْدَى بِـ « الْمَجْلِسِ
السَّامِيِّ » بِغَيْرِ يَدٍ ، كُتِبَ بِهِ لـ « مَوْصِي بْنِ حَنَاسٍ » مَفْتُوحًا بِـ « أَمَّا بَعْدَ » وَهُوَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي جَمَعَ عَلَى الطَّاعَةِ الشَّرِيفَةِ كُلِّ قَبِيلَةٍ ، وَبَسَطَ عَلَى ذَوِي
الْإِخْلَاصِ ... (١) ... الظِّلِيلَةِ ؛ وَالشَّهَادَةِ بِأَنَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ

(١) يَبَاضُ فِي الْأَصْلِ رُحْلُهُ « ظِلَالٌ نَحْوُ الظِّلِيلَةِ » .

شهادة أتممتها للتوحيد دليلاً ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عليه ورسوله الذي
 آتخذ الله تعالى حبيبه وخليفه ، وآتاه الدرجة الرفيعة والوسيلة ، وعلى آله وصحبه
 صلاة مباركة أصيله - فإن الأولى لتركية القوم تُرعى ، وذا الإخلاص يفتح له
 كل مسعى ، والجدير بالنعم من يُجيب بالطاعة حين يُدعى ؛ من سلك في الخدمة
 الشريفة مسلك الأسلاف ، وتجنب ما يقضى إلى الشقاق والخلاف ؛ فعند ذلك
 رفعتا مراتبه ، وضاعتا مواهبه ، وأزنا بالإقبال الشريف كواكبه ، وأجلنا مكاسبه ؛
 وبسطنا في رُبع مقدمة بنى مهدى كلامه ، ونقدنا أمره على طائفتيه : قوله وإبرامه ؛ من
 أضحى مشكوراً من كل جانب ، مُجتهداً في المصالح وبلوغ المآرب ؛ من عُرف بالأمانة
 فسلكتها ، وأشتهر بالصيانة فلكتها ؛ وحاز أوصافاً حسنة ، وسيرةً نطقَتْ بها
 الأئسنه ؛ وكان فلان هو الذي أضحى على عُمرانه مقدماً ، ومن أكارهم معظماً .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لازلث مراتبه الشريفة عالية نافذة ، وأوامره
 بصلة الأرزاق عائده - أن يستقر ... على عادته وقاعدته : حملاً على ما بيده من
 التوقيع الكريم .

فليباشر هذه الإمرة مع شركائه مباشرة حسنة ، وليسير فيها سيراً تشكره عليه
 الأئسنه ؛ وليظهر السداد ، وليبدل الطاعة والاجتهاد ؛ وليسلك المسالك الحسنه ،
 والله تعالى يجعله من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ؛ والوصايا كثيرة
 ويلاكمها تقوى الله تعالى ، والله تعالى يجعل إحساننا إليه يتوالى .

قلت : وقد تقدم أنه يكتب بإمرة بنى مهدى من الأبواب السلطانية أيضاً .
 على أن هذا التوقيع من التواقيع الملققة ، ليس فيه مطابقة للتواقيع ، وليس براق
 اللفظ ، ولا مؤرق المعنى .

(١) هذا الكلام كان به عليه المؤلف بعد غير منضم بل غير مستقيم .

الصنف السادس

(مما يكتب لأرباب الوظائف بالشام - توابع زعماء

أهل النمة : من اليهود والنصارى)

وهذه نسخة توقيع لبترك النصارى مفتتحاً بـ «أماً بعد» كُتب به للبترك
« ميخائيل » وهى :

أماً بعدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي جَعَلَنَا نَشْمَلُ كُلَّ طَائِفَةٍ بِمَزِيدِ الْإِحْسَانِ ، وَنُفِيضُ مِنْ
دَوْلَتِنَا الشَّرِيفَةِ عَلَى كُلِّ بَلَدٍ أَطْمَئِنَّا لِكُلِّ مِلَّةٍ وَأَمَانٍ ، وَنُقَرِّطُهُمْ مِنْ اخْتَارُوهُ
وَنُرَاعِيهِمْ بِمَزَايَا الْفَضْلِ وَالْأَمْنَتَانِ ؛ وَالشَّهَادَةُ بِأَنَّهُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْوَاحِدُ
الَّذِي لَيْسَ فِي وَحْدَانِيَّتِهِ قَوْلَانِ ، وَالْقَرْدُ الْمَتَّهِ عَنْ الْجَوْهَرِ وَالْأَقْنُومِ وَالْوَالِدِ وَالْوَلَدِ
وَالْحُلُولِ وَالْحَدَثَانِ ، [شهادة] أَظْهَرَ إِقْرَارَهَا اللِّسَانُ ، وَعَمِلَتْ بِهَا الْجَوَارِحُ وَالْأَرْكَانُ ؛
وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَرَسُولِهِ الْمَبْعُوثِ إِلَى كَافَّةِ الْمَلَلِ وَالْإِنْسِ وَالْجَانِّ ،
الَّذِي بَشَّرَ بِهِ عِيسَى وَآمَنَ بِهِ مُوسَى وَأَنْزَلَ عَنْهُ رِيسَالَتَهُ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ
وَالْفُرْقَانِ ، فَصَحَّ النُّقْلُ بِنَبِيِّهِ وَأَدَمَ فِي الْمَاءِ وَالطِّينِ وَأَوْضَحَ ذَلِكَ الْبُرْهَانُ ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ الَّذِينَ سَادُوا بِإِخْلَاصِ الْوَحْدَانِيَّةِ ، وَشَادُوا أَرْكَانَ الْمِلَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، وَأَعَزُّوا
الْإِيمَانَ وَأَذَلُّوا الطُّغْيَانَ ، صَلَاةً يَنْفَعُ طَائِفَتَهَا ، وَيُقْصِحُ خَطِيئَتَهَا ، وَيَفْرَحُ بِهَا الرَّحْمَنُ -
فَإِنَّ أَوْلَى مِنْ أَقْنَاءِ بَطْرِيكَائِ عَلَى طَائِفَةِ النَّصَارَى الْمَلِكِيَّةِ ، عَلَى مَا يَمْتَنِيهِ دِينُ
النَّصْرَانِيَّةِ وَالْمِلَّةِ الْعِيسَوِيَّةِ ؛ حَاجِبًا لَهُمْ فِي أُمُورِهِمْ ، مُقْصِحًا عَمَّا كَانُوا فِي صُدُورِهِمْ -
مِنْ هُوَ أَهْلٌ لِهَذِهِ الْبَطْرِيكِيَّةِ ، وَعَارِفٌ بِالْمِلَّةِ الْمَسِيحِيَّةِ ؛ أَخَذَهُ لَهَا أَهْلُ طَائِفَتِهِ ، لِمَا
يَعْلَمُونَ مِنْ خَيْرِيَّتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ ، وَكِفَايَتِهِ وَدُرْبَتِهِ ؛ وَنُدِبَ إِلَى وِلَايَةِ يَسْتَحَقُّهَا
عَلَى أُنْبَاءِ جَنْسِهِ ، وَرَغِبَ فِي سُلُوكِهِ لِمَا مَعَ إِطَابَةِ نَفْسِهِ ، مَعَ مَالِهِ مِنْ مَعْرِفَةِ سَرَتِ

أخبارها ، وظهرت بين النصارى آثارها ؛ وكان فلان - أدام الله تعالى بهجته - هو من النصارى المليكىة بالمعرفة مذكور ، وسيره بينهم مشكور ، القائم فيهم بالسيرة الحسنه ، والسالك في مذاهبهم سيرا تشكره عليها الأئسته .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال إحسانه العميم لكل طائفة شاملا ، ويره الجسيم لساير الملك بالفضل متواصلا - أن يستقر بطركا على النصارى المليكىة بالشام وأعماله ، على عادة من تقلمه في ذلك ، وتقوية يده على أهل ملته ، من تقادم السنين بحكم رضاهم ، ومنع من يعارضه في ذلك : حملا على ما بيده من التوقيع الكريم المستعز حكه إلى آخر وقت .

فليأثر هذه البطركية مباشرة بمحودة العواقب ، مشكورة لما عملت به من جميل المناقب ؛ ولحكم بينهم بمقتضى مذهبه ، وليرس فهم سيرا جميلا ليحصل لهم غاية قصده ومأربه ؛ ولينظر في أحوالهم الرحمه ، وليعمل في تعلقاتهم بصنق القصد والهمه ؛ وليسلك الطرق الواضحة الجليّه ، وليتخلق بالأخلاق المرضيه ، وليفصل بينهم بحكم مذهبه في موارثهم وأنكحتهم ، وليعتمد الزهد في أموالهم ومتعتهم ؛ حتى يكون كل كبير منهم وصغير ممثلا لأمره ، واقفا عندما يقدم به إليه في سره وجهره ؛ متصيين لإقامة حرمة ، وتنفيذ أمره وكليته ؛ وليحسن النظر فيمن عنده من الرهبان ، ويرفق بنوى الحاجات والضعفاء : من النساء والصبيان ، والأفاقه والمطارنة والقسيسين زيادة للإحسان ؛ إحسانا جاريًا في المساء والصباح ، والغدو والرواح .

فليمتثلوا أمره بالطاعة والإذعان ، ولجيئوا تنبيه من غير خلاف ولا توان ؛ ولا يمتكن النصارى في الكائس من دق النافوس ، ورفع أصواتهم بالضجيج ولا سيما عند أوقات الأذان لإقامة الناموس ؛ وليتقدم إلى جميع النصارى بأن كلا منهم يلزم

زِيَّة، وما جاعت به الشروط العُمرِيَّة - عُرِّن الخطاب رضى الله عنه - لتُكوِّنَ أحوالهم في جميع البلاد مَرَّعِيَّة؛ وَلِيَحْشَ عَالِمُ الْخَفِيَّاتِ، وَلِيَسْتَعْمِلَ الْإِنَاءَ وَالصَّبْرَ فِي جَمِيعِ الْحَالَاتِ؛ وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَهِيَ بِهَا عَارِفٌ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُلْهِمُهُ الرُّشْدَ وَالْمَعَارِفَ .

قُلْتُ : وَهَذَا التَّوْقِيعُ فِيهِ أَلْفَاظٌ وَمَعَانٍ غَيْرُ مُسْتَحْسَنَةٍ، وَأَلْفَاظٌ وَمَعَانٍ مُنْكَرَةٌ، أَحْفَشُهَا قَوْلُهُ : مُفَضَّصًا عَمَّا كُنْ فِي صُدُورِهِمْ . فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا تُخْفِي الصُّدُورُ وَتُكْنِئُهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى .

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ رُبَّمَا أَفْتَحَ تَوْقِيعُ الْبَطْرِيكِ عَنْهُمْ بِ«رُسْمٍ بِالْأَمْرِ» .



تَوْقِيعُ لِبَطْرِكَ النِّصَارِيِّ بِالشَّامِ أَيْضًا، كُتِبَ بِهِ لِلْبَطْرِيكِ «دَاوُدُ الْخُصْرِيُّ» بِ«الْبَطْرِكَ الْمُحْتَشِمِ» وَهُوَ :

رُسْمٌ بِالْأَمْرِ - لِأَزَالِ يَبِزُّ بِالْإِكْتِبَاءِ إِلَى حَرَمِهِ مِنْ يَأْوِي إِلَيْهِ، وَيَقْصِدُ عَثْلَهُ مِنْ أَهْلِ الْمَلَلِ وَيَعْتَمِدُ عَلَيْهِ - أَنْ يَسْتَفِرَّ فُلَانٌ - وَقَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى - بِطَرِيكِ الْمَلِكِيَّةِ، بِالْمُلْكَةِ الشَّرِيفَةِ الشَّامِيَّةِ الْمَحْرُوسَةِ، حَسَبَ مَا اخْتَارَهُ أَهْلُ مِلَّتِهِ الْمُقِيمُونَ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ وَرَغِبُوا فِيهِ، وَكَتَبُوا خُطُوطَهُمْ بِهِ، وَسَأَلُوا تَهْرِيرَهُ فِي ذَلِكَ دُونَ غَيْرِهِ؛ إِذْ هُوَ كَبِيرُ أَهْلِ مِلَّتِهِ، وَالْحَاكِمُ عَلَيْهِمْ مَا أَمَدَ فِي مَدَّتِهِ؛ وَإِلَيْهِ مَرْجِعُهُمْ فِي التَّحْرِيمِ وَالتَّحْلِيلِ، وَفِي الْحُكْمِ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي التَّوْرَةِ وَلَمْ يُفْسَخْ فِي الْإِنْجِيلِ؛ وَشَرَعَتْهُ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْمَسَاحَةِ وَالْإِحْتِمَالِ، وَالصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى وَعَدَمُ الْإِكْتِمَاتِ [بِهِ] وَالْإِحْتِفَالِ .

نَقُذْتُ نَفْسَكَ فِي الْأَوَّلِ بِهَذِهِ الْأَدَابِ، وَأَعْلَمْتُ أَنَّ لَكَ فِي الْمَسْخَلِ إِلَى شَرِيعَتِكَ طَرِيقًا إِلَى الْبَابِ؛ فَتَضَلَّقْ مِنَ الْأَخْلَاقِ بِكُلِّ جَمِيلٍ، وَلَا تَسْكُنْ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا

فإنه قليل ؛ وقدم المصالحة بين المتحايين إليك قبل الفصل البتَّ فإن الصلح كما قيل : سيّد الأحكام ، وهو قاعدة دينك المسيحي ولم تخالف فيه المحمديّة الفراء دين الإسلام ، ونظف صدور إخوانك من الفلّ ولا تقنع بما ينظفه ماء المعمودية من الأجسام ؛ وإليك الأمر في البيع ، وأنت رأس جماعتك والكل لك تبع ؛ وإياك أن تخذلها لك تجارة مريضه ، أو تهبط بها مال نصراني تهزبه فإنه ما يكون قد قرب به إلى المذبح وإنما ذبحه ؛ وكذلك الديارات والقلالي ، [يعين عليه أن يتفقد فيها كل أمر في] الأيام والليالي ؛ وليجتهد في إجراء أمورها على ما فيه رفع الشبهات ، ولعلم أنهم إنما اعتزلوا فيها للتعب فلا يدعها تتخذ متزّهات ؛ فهم إنما أحدثوا هذه الرهبانية للثقل في هذه الدنيا والتعقّف عن الفروج ، وحسبوا فيها أنفسهم حتى إن أكثرهم إذا دخل إليها ما يعود ينق له خروج ؛ فليحذروهم من عملها مضيئة لئال ، أو خلوة له ولكن بالنساء حراما ويكون إنما تنزه عن الحلال ؛ وإياه ثم إياه أن يؤوى إليه من الغرباء القادمين عليه من يريب ، أو يكتم عن الإنهاء إلينا مشكل أمر ورد عليه من بعيد أو قريب ؛ ثم الحذر الحذر من إخفاء كتاب يرد [إليه] من أحد من الملوك ، ثم الحذر الحذر من الكتابة إليهم أو المشى على مثل هذا السلوك ؛ وليتجنب البحر وإياه من أفتحامه فإنه يفرق ، أو تلقى ما يلقيه إليه جناح غراب منه فإنه بالبين يتفق ؛ والتقوى مأمور بها أهل كل مله ، وكل موافق ومخالف في القبلة ؛ فليكن عمله بها وفي الكتابة ما ينبغي عن التصريح ، وفيها رضا الله تعالى وبها أمر المسيح .



توقيع براسة اليهود بالشام ، مفتضا بـ «رسم» من إقشاء الشيخ جمال الدين
أبن نبأته ، وهو :

رُسِمَ بالأمر - لا زال جُودُهُ في كُلِّ مِلَّةٍ ، وَغَمَّامُ كَرَمِهِ عَلَى الْخَلْقِ كَأَنَّهُ ظُلُمَةٌ ،
وِذِمَامُ نِعْمَةٍ يُبَلِّغُ الْمُسْلِمَ وَالذَّمِيَّ مِنَ الْأَسْتَحْقَاقِ مَحَلَّهُ ، أَنْ يَسْتَقِرَّ الْحَكِيمُ ... (١)

ومنه : - وَأَنْ يَظَاهِرَهُمْ عَلَى مَا أَلْفَوْهُ مِنَ الْأَحْكَامِ ، وَيُنْصِفَ صَاحِبَ حَقِّهِمْ
مَنْ مُتَّطَلِّهِمْ : حَتَّى لَا يَبْغُوا أَحَدًا فِي سَبْتٍ وَلَا فِي سَائِرِ الْأَيَّامِ ؛ وَيُهْدَبَ وَحْيِيٌّ
جَاهِلُهُمْ بِإِنْسَانِهِ ، وَيَعَالَجَ سَقَمَ كَاهِلِهِمْ حَتَّى تَطْلُعَ الصُّفْرَاءُ مِنْ رَأْسِهِ .

فَلْيَقُمْ مَقَامًا فِي هَذِهِ الطَّائِفَةِ الْقَدِيمَةِ ، وَلْيَعْبُرْ مِنْ أَسْفَارِ صِبْرَانِيَّةٍ عَنْ عَوَائِدِ قَضَائِيَاهُمْ
النَّظِيمَةِ ؛ مُقَرَّرًا بِمَعْرِفَةِ كُلِّ حِرَّانٍ ، جَامِعًا كُلَّ شَعْبٍ عَلَى عَدْلٍ عِنْدَهُ وَإِحْسَانٍ ؛
شَاكِرًا لظُلُلِ النِّعْمَةِ ، طَارِقًا بِالْعَوَارِفِ الَّتِي تَرْغَى يَمِينُهَا كُلُّ ذِمَّةٍ .

النيابة الثانية

(من النيابات التي يكتب عن نوابها بالولايات - نيابة حلب)

وهي على نحو من نمط دِهَشَقٍ فيما يكتب عن نائبيها . فيكتب عن نائبيها أيضا
بالتواقيع لأرباب الوظائف بحاضرة حلب وأعمالها : من أرباب السيوف ، وأرباب
الأقلام الدِّيَّةِ ، وأرباب الأقلام الديوانية ، وشاخي الأماكين وضيهرهم ، مُرْتَبَةً عَلَى
المراتب الثلاث : من الافتتاح بـ «الحمد لله» ، والافتتاح بـ «أما بعد حمد الله» ،
والافتتاح بـ «رُسِمَ بالأمر» .

وهذه نسخ تَوَاقِيْعٍ مما كتب به لأرباب السيوف بحاضرة حلب وأعمالها ،
يُسْتَضَاءُ بِهَا فِي ذَلِكَ :

تَوْفِيقٌ بِتَقَابَةِ الْأَشْرَافِ، كُتِبَ بِهِ لِلشَّرِيفِ عِزِّ الدِّينِ «أَحْمَدُ بْنُ أَحْمَدَ الْحُسَيْنِي»
بِـ«الْمَقَرِّ الْعَالِي» وَهُوَ :

أَبَا بَعْدَ نَحْمِدِ اللَّهَ الَّذِي خَلَدَ السِّيَادَةَ فِي بَيْتِ الشَّرِيفِ أَحْمَدَ تَحْلِيدَ ، وَقَلَّدَ تَقَالِيدَ
السَّعَادَةِ ، لِأَهْلِ الْإِفَادَةِ ، أَسْعَدَ تَحْلِيدَ ، وَجَدَّدَ الْوِفَادَةَ ، لَحَرَمِ الْعِبَادَةِ ، بِعِزِّ الْعِصَابَةِ
الْمُحَمَّدِيَةِ أَكَّدَ تَحْلِيدَ ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِ الْخَلْقِ الَّذِي عَقَدَ الْعَهْدَيْنِ لِأَمْنِهِ ،
بِالتَّقْلِيدِ : مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَعِثَرِهِ ، وَسَرِّ النُّفُوسِ الْمُؤْمِنَةِ هُدَاهُ بِكُلِّ أَمْرٍ مِنْ أَسْرَرِهِ ، وَأَثَرِ
الْعِيُونَ الْمُرَاقِبَةِ بِكُلِّ سِرٍّ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ تَهَيَّ أَنْوَارُ النُّبُوَّةِ مِنْ أَسْرَرِهِ ، وَعَلَى آلِهِ حَبْلُ
النَّجَاةِ لِلتَّمَسُّكِ ، وَسُبُلُ الْهُدَاةِ لِلتَّلَسُّكِ ؛ وَصَحِّهِ نَجُومُ الْهُدَى ، وَرُجُومُ الْعِدَا ، وَأَمْنَةُ
الْخَيْرِ لِمَنْ بِهِمْ أَقْتَدَى ؛ صَلَاةٌ وَسَلَامًا ، يَتَعَاقَبَانِ دَوَامًا ، وَيَتَلَاوِمَانِ عَلَى الْأَلْسِنَةِ مَدَى
الْمَسَدَى إِزَامًا ؛ مَا خَلَا بَيْنَ وَطْفٍ ، وَمَا عَلَا عَلَوَى ذُرًّا شَرَفَ - فَإِنَّ أَمْرًا مَا أَغْنَى
بِهِ وُلَاةُ أُمُورِ الْإِسْلَامِ ، وَأَمْرًا مَا أَقْنَى مِنْهُ رُمَاةُ أَجْوَرِ الْحُكَامِ - رِيَاةُ مَصَالِحِ أَهْلِ
الْبَيْتِ ، وَاتِّهَازُ الْفُرْصَةِ فِي مَوَالِيهِمْ حَتَّى لَا يَقَالَ لِقَوَاتِمَا : لَيْتَ ؛ وَتَعْظِيمُ مَا عَظَّمَ اللَّهُ
تَعَالَى مِنْ حُقُوقِهِمْ ، وَتَكْرِيمُ مَا كَرَّمَ رَسُولُهُ مِنْ رِثْمٍ وَاجْتِنَابُ حُقُوقِهِمْ ، وَتَقْدِيمُ
أَحَقِّهِمْ بِالتَّقْدِيمِ لِأَحَقِّ مَسَابِقِهِمْ إِلَى غَايَاتِ الْغُلُوتِ وَمَسْبُوقِهِمْ ؛ وَالتَّعَبُّدُ بِالتَّعَبِ
وَالْاجْتِهَادُ فِي نَفْعِهِمْ ، وَنَضَبُ النُّفُوسِ لِلنَّصَبِ لَتَجَرُّدُ بَوْلِ الْفَخْرِ بِمَوَالِيهِمْ ،
وِإِعْلَامُهُمْ عَلَى الرُّؤُوسِ وَرَفْعُهُمْ ؛ اخْتِيَارًا لِرَأْيٍ مَنْ زَادَ فِي الْعَنَايَةِ بِالْعِتْرَةِ الطَّاهِرَةِ
وَأَرْبَى ، وَأَتَمَّارًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)
خُصُوصًا قِيَادَةَ الْأَشْرَافِ ، وَالنَّظَرَ فِيمَا لَهُمْ مِنَ الْأَوْقَافِ ؛ فَهِيَ شَامِلَةٌ جَمْعُهُمْ ، وَجَامِعَةٌ
تَحْتَلِمُهُمْ ، وَوَاصِلَةٌ نَفْعُهُمْ ، وَنَافِعَةٌ كُلُّهُمْ ؛ وَبِفَضْلِ مِبَاشَرِهَا تُسَبِّحُ عَلَيْهِمُ النِّعَمُ ،
وَتُسْتَدْرُ بِرِكَهٍ لِجَمَاعِهِمْ عَلَيْهِ مَحَبُّ الرَّحْمَةِ ؛ وَبِكِفَائِهِ تُجْمَعُ الْمِنَّةُ لِمَرَاتِبِهِمْ وَأَحْسَابِهِمْ ،
وَبِإِيَالِيهِ تُدْفَعُ الظَّنَّةُ عَنْ مَنَاقِبِهِمْ وَأَنْسَابِهِمْ ؛ وَهُوَ الْقَائِمُ عَنْ وُلَاةِ الْأُمُورِ مِنْ خَدَمِهِمْ

بفروض الكفاية ، والدائم الدَّائِمُ لمرآة أدبهم لتَحَسُّن لهم الرِّايه ، فوجب الاحتفال باختيار من يُحَلِّي هذا المَنَصِبَ الشريف ، وتَعَيِّن الابتِهَالُ في أَمْتِياز مَنْ يُسَبِّغُ عليه هذا الظِّلَّ الوَرِيفَ ؛ مَنْ قَلَمٌ في هذه السِّيَادَةِ يَدُّهُ ، وأرتفع بخفض العِيشِ لِقَرَاتِهِ بَعَافِهِ وِدْيَانَتِهِ صِبْنُهُ ؛ وَتَرَّه عن كُلِّ مَا يَتَسَيَّنُ وَتَبَرَّأ ، وَاكْتَسَى حُلَّ الفَخَارِ العَلِيَّةِ .
ومن أَعْرَاضِ الدُّنْيَا الدُّنْيَا تَعَرَّى .

وكان فلان بن فلان - أسبغ الله تعالى ظلاله ، وضاعف بمعالى الشرف جلاله - مَن حَازَ في هذه انْخِلَالِ النَّازِعِ ، وَجَازَ نِهَايَةَ هذه انْخِلَافِ بِلَا مُنَازِعِ ، وَوَرَدَ من حِيَاضِ المُنَاقِبِ الجَمِيلَةِ أَغْذَبَ المَشَارِعِ ؛ وَدَرَى المَرَاقِيَ إِلَى المَجْدِ وَدَرَبِ ، وَبَلَغَتْ نَقُوسُ حُجَّيْهِ من مَخَالِ سَعُودِهِ الأَرَبِ ، وَفَرَّتْ عِيُونُ أَقَارِبِهِ بِمَا حَصَلَ لَهُ مِنَ القُرْبِ ؛ وَنَشَأَ في جَبْرِ السَّعَادَةِ ، وَأَرْتَضَعَ لِبَآنِ الإِفَادَةِ ، وَلِجَوِّ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ من أَهْلِ بَيْتِهِ في الزَّهَادَةِ ، وَتَبَلَّلَ بالإِخْلَاصِ فَظْهَرَتْ عَلَى وَجْهِهِ أَنْوَارُ العِبَادَةِ ؛ وَأَقْطَعَ عَلَى العَمَلِ ، وَبَلَغَ مِنَ العِلْمِ الأَمَلِ : قَوْومُ تَشَبُّهُ بِالمَجْمَرَةِ وَهُوَ شَامَةُ في شامهِ المَلْسُوبِ :

وَرِثَ السِّيَادَةَ كَارِياً عَنْ كَارِيهِ ! * كَالرَّيْحِ أَتُوبُ عَلَى أَتُوبِهِ .

أَصْلُ نَفَارِ سَمَاءٍ ، وَفَرَعُ نِجَارِ سَمَاءٍ ، وَغِيثُ فَضِيلِ هَمَى ؛ أَثْبَتَ في أَعْلَى المَعَالِي قَدَمَاءَ ، وَنَاسِبَ قَدَرِهِ سَعِيَهُ كَرَمًا ؛ وَجَلَّتْ صِفَاتُ حَاسِنِهِ الأَلَمَّةِ ، وَحَلَّتِ الأَفْوَاهُ مَدَامِحُ سِجَايَاهِ الرِّائِمَةِ ، وَتَمَلَّتْ الأَلْسُنُ وَمَا مَلَّتْ مَا تَمَلَّى عَنْهُ بِالنَّحِيرِ كُلِّ نَاطِقِهِ .

فَلَذَلِكَ رُحِمَ بالأمر الشريف - لَا زَالَتْ أَوَامِرُهُ بِرِّ آلِ مُوَالَاتِهِ مَاضِيَةٍ ، وَنَوَاحِيهِ بِقَهْرِ أَهْلِ مُعَادَاتِهِ قَاضِيَةٍ - أَنْ يَسْتَقَرَّ أَسْتَقَرَّارًا يُقَرَّرُ عَيْنَ العُلَا ، وَيُسَرُّ نَقُوسَ أَهْلِ الوَلَا ؛ وَيَبْضَعُ الأَشْيَاءَ في عَمَلِهَا ، وَيُسَيِّدُ الأُمُورَ إِلَى أَهْلِهَا ؛ وَيَسْتَجِلِبُ الأَدْعِيَةَ ،

وَيُحْمَلُ بِالْوَلَاءِ الْجَمِيلِ أَلْوِيَهُ ، وَيُسْرَحُ خَوَاطِرُ الْأَشْرَافِ وَيُطَيَّبُ نَفُوسُهُمْ ، وَيَرْفَعُ
بَعْدَ مُجُودِ الشُّكْرِ بِالْإِطَاءِ رُؤُوسَهُمْ .

فَيُيَاثِرُ هَذِهِ الْوُظَيْفَةَ مَبَاشَرَةً يَفْقُوهَا آثَارُ بَيْتِهِ الطَّاهِرِ ، بَعِزِّمْ كَرِيمٍ : لِكُلِّ مُصْلِحٍ
بِالْخَيْرِ غَايِرٍ ، وَلِكُلِّ مُفْسِدٍ بِالضَّرِّ قَاهِرٍ ، وَحَزْنِ حَلِيمٍ : لِكُلِّ حَقٍّ نَاصِرٍ ، وَلِكُلِّ
كَثِيرٍ جَائِرٍ ، وَلِيُصِلَ بِالرَّحْمَةِ ، وَلِيَكُنْ لِلضَّعِيفِ كَلِمَةٌ ، وَلِيَقُمْ بِأَمْعَاءِ هَذِهِ الْوُظَيْفَةِ
قِيَامَ عَمَّةِ الشَّرِيفِ وَأَيْسِهِ ، وَلِيَعْمَ عَنْ أُمُودِ الْأَوْقَافِ صِيَامًا يُقَرِّبُهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ
وَيُخَيِّدُهُ ، لِيَحْمَدَ ، هَذَا الْمَنْصَبُ الْجَلِيلُ ، فِي بَيْتِهِ الْأَصِيلِ ، عَوْدَهُ عَلَى أَحَدٍ ،
وَلِيَنْفَعُ قَرَابَتَهُ بِتَثْمِيرِ أُمُودِهِمْ ، وَلِيَشْفَعَ النُّهْضَةَ بِالْمَعْرِفَةِ فِي تَثْمِيرِ غِلَافِهِمْ ، : لِنُدْرَ بَرَكَتَهُ
أَخْلَافَ أَرْزَاقِهِمْ ، وَتَقَرَّ خَوَاطِرُهُمْ بِمُضَاعَفَةِ أَرْزَاقِهِمْ وَإِطْلَافِهِمْ ، وَيُخَيِّصَ
فِي جَنَابِهِ مَرَحَاهُمْ ، وَتُقَرَّبَ فِي بَابِهِ مَسَاعِلُهُمْ ، وَتَنْطَلِقَ بِشَكَرِهِ أَلْسِنَتُهُمْ الشَّرِيفَةُ ، وَتَنْطَلِقَ
عَلَى صُحْبَتِهِ ظِلَالُ بَيْتِهِمُ الْوَرِيفَةِ ، وَلِيَعْتَبَرُوا وَيُخْتَرُوا أَشْفَالُهُمْ وَلِيَمْتَنِعَ شُبَّانُهُمْ مِنَ الْإِحْتِرَافِ
بِحَرَفِ الْأَدْنِيَاءِ ، وَلِيَأْمُرَ الْآبَاءَ بِتَعَهُدِ تَرْبِيَةِ الْأَبْنَاءِ ، وَلِيَأْمُرَهُمْ مِنَ الْعَمَلِ بِمَا يَنْسَبُ
مَعَالِيهِمْ ، وَلِيَجْبُرَهُمْ بِتُدْيِيرِهِ السَّيِّدِ جَبْرًا يُكَيِّمُهُمْ بِحَسَنِ السَّمْتِ مِنْ أَوْلِيَائِهِمْ : وَكُنَّا
مِنْ مَوَالِيهِمْ .

وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ ، وَهِيَ مَلُومَةٌ بِتَعْدَادِهَا بِصَبْرِهِ ، وَتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى لَا يَهْمَلُ النَّصْ
عَلَيْهَا ، وَالْإِشَارَةُ بِحَسَنِ الْبَيَانِ وَحَسَنِ الْبَيَانِ إِلَيْهَا ، فَتَكُنْ رُكْنٌ أَسْتَنَادُهُ ، وَرَأْسُ
مَالِ أَعْمَادِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُدْخِلُهُ فِي صُعُودِ دَرَجِ السُّعُودِ مُدَّةَ حَيَاتِهِ ، وَيَجْعَلُ لَهُ خَيْرَ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِرَفْعِ دَرَجَاتِهِ .



وهذه نسخة توقيع بقابة الجيوش بحلب ، كُتِبَ بِهِ لِمُتَاصِرِ الدِّينِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ
بِ«السَّامِيِّ» بِغَيْرِيَاءَ ، وَهِيَ :

رُسم بالأمر الشريف - لا زال أمره الشريف يُعَصَّد الجيوش بأعضدٍ ناصر،
وُبرِشْدُ أولياء الخدمة إلى ارتقاء رُتب المعالي فكلُّ إنسانٍ عن إدراك محلّها قاصِر -
أن يستقرّ فلانٌ - أدام الله توفيقه، وجعل الثمن والسعد قرينته ورقيقته - ... استقرّاراً
يُظهر مالم يخف من نهضته وكفائته، ويُشهر معلن سرّ يقظته ودرأيته؛ لأنّه الفارسُ
الذي أعز كل راجلٍ بشجاعته، والممارسُ الذي خَبَر الوقائع بحُسن دُرّته ودراية
صنّاعته؛ والعارفُ الذي أنصف بالخبرة وحُسن الصّغه، وعُرف في أموره بالعدل
والمعرفة؛ والهامُّ الذي طَلَتْ هِمته فوق كلّ هِمّة، وكشف بجَزِيل مُروءيته من
الكُربات كلّ غمّه؛ ومار في الجيوش سيرة والده، فشهِد كلّ بما حواه من طاريف
الفضل وتآلده .

فليأشِرْ ذلك : سائرًا في الجنود أحسن سيره، مُراقبًا الله تعالى فيما يُبديهِ من القول
والفعل والعلاية والسريّة؛ مُلازمًا ما يلزمه من حقوق هذه الوظيفة، قائمًا بما يجب
من أداء الخدمة الشريفة؛ وليتقدّ ما يؤمّر به من الأوامر، حاليًا بما يتعيّن من
حقوق المأمور والامر؛ [وليُجْتَهد] في جمع المساكر وإعلامهم بالمهمّات، وليتقدّد
أحوال الجنود في سائر الأوقات؛ وليُسفِر النقاب عن الوجوه بالحليّة يوم العرض،
وليُسبِّل حجاب السّتر على من أدركه العجز عن أداء الفرض؛ والوصايا كثيرةٌ لا تحتاج
إلى التعداد، وتقوى الله تعالى هي العُمنة في كلّ الأمور وعليها الاعتماد .



توقّع بالمُهَنْدِارِيَّة بِحَلَبَ، كُتِبَ به لـ «فرس الدين الطناحي» بـ «الجناب
العالى» وهو :

رُسم بالأمر الشريف - لا زالت عزائمهُ تتدبّ للهّمات من غير ستّ برياض
وليّه أدواحُ الهِمم فزكا غرسا، وتحرّرها من شاب قودّه في إفادة الوفود فأجاب

قَصْدًا وَأَطَابَ نَفْسًا، وَلَا بَرَحَتْ عَنَانُهُ تَشْمَلُ مِنْ أَوْلِيَاءِ خِدْمَتِهَا كُلِّ شَيْءٍ إِذَا سَلَ
عَضْبًا أَزَالَ نَفْسًا وَأَسَالَ نَفْسًا، وَتَعَيَّنَ مِنْ أَعْيَانِهِمْ كُلِّ جَمِيلٍ يَوْذُ الْمُنَافِسُ
لَوْ شَهِدَهُ وَلَا يَخْشَى يَدَ الرُّبِيِّ مِنْهُ نَفْسًا - أَنْ يَسْقُرَ لِأَنَّهُ ذُو الْهِمَمِ الَّتِي
لَا تُلْحَقُ جَيَادُهَا، وَلَا تُسَبِّقُ جَوْدَةُ جَيَادُهَا^(١)؛ لَا مُنْتَهَى لَصِغَارِ هِمَمِهِ فَأَنَّى تُدْرِكُ
بِكَارِهَا، وَلَا تُدْرِكُ سَوَاقِيهَ فَأَنَّى تُقْتَنَى أَثَارُهَا؛ لَهُ قَدَمٌ إِقْدَامٌ فِي الثَّرَى لَا يَزَالُ رَاسِخًا^(٢)،
وَهَامَةٌ هِمَّةٌ لَمْ يَزَلْ شَرَفُهَا عَلَى الثَّرَى بَازِيخًا؛ وَلِأَنَّهُ الْفَارِسُ الَّذِي تَفَرَّسَتْ فِي مَخَالِيهِ
الشَّجَاعَةُ، وَتَبَضَّعَ الشَّهَامَةُ فِي الْحُرُوبِ فَكَانَتْ أَرْحَ بَضَاعِهِ؛ وَكَمْ أَزْرَتْ سُمُرَ رِمَاحِهِ
بِهَيْفِ الْقُدُودِ، وَأَتَجَلَّتْ بِيضُ صِفَاحِهِ كُلِّ حَوْدٍ أُمْلُودٍ؛ وَكَمْ جَرَّدَتْ مِنْ مُطَرِّبَاتِ
قِسْبِهِ الْأَوْتَارُ قَرَا قَصَبِ الرُّؤُوسِ، وَشَرِبَتْ الرَّمَاحُ نَحْرَ الدَّمَاءِ فَعَرَبَتْ عَلَى الثُّغُوسِ:

لَهُ هِمَمٌ تَمْلُؤُ السَّحَابَ رِفْعَةً، * وَكَمْ جَادَ مِنْهَا بِالنَّفَاسِ وَالنَّفْسِ!

وَتُجْنَى ثَمَارُ الْفَضْلِ مِنْ دَوَاحِ غَرَسِهِ! * وَلَا غَرَوَ أَنْ تُجْنَى الثَّمَارُ مِنَ الْغَرَسِ!

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوُظُفَةَ مَبَاشَرَةً تَحْمَدُ فِيهَا الْوَرَادَ، وَتَشْكُرُهُ بِالْقَصْدِ أَلْسِنَةُ الْقَصَادِ،
وَتَذْكُرُهُ الْبَرِيدِيَّةُ بِالْخَيْرِ فِي كُلِّ وَادٍ؛ وَلْيُمِثِّيْ لَهُمْ [مِنْ الْقُرَى مَا يَهْتَمُّهُ^(٣)] الْمَضِيفُ،
وَلْيَحْصَلْ لَهُمُ التَّالِدُ مِنْهُ وَالطَّرِيفُ، وَلْيَتَلَقَّهِمْ بَوَاجُ الْإِقْبَالِ، وَلْيَبْدَأْهُمْ بِالْخَيْرِ لِيُحْسِنَ
لَهُ الْمَالُ، وَلْيُجْعَلِ التَّقْوَى إِمَامَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ، وَلْيَنْصَفْ بِالْإِنْصَافِ فَهُوَ
أَحْمَدُ الْأَوْصَافِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ.



تَوَقُّعٌ بِتَقْدِيمَةِ الْبَرِيدِيَّةِ بِحَبِّبٍ، كُتِبَ بِهِ لِعَلَادِ الدِّينِ «إِسْمَاعِيلُ» بِ«الْمَجْلِسِ
الْعَالِي» وَهُوَ:

(١) كَذَا فِي الْأَسْلَ مَشْرَاهُ إِلَيْهِ بِمَلَامَةِ التَّوَقُّفِ وَلَا تَوَقُّفَ لِأَنَّ الْأَوَّلَ جَمْعٌ جَيِّدٌ قَبِيضُ الرَّدَى. وَالثَّانِيَةُ
جَمْعُ جَوَادٍ لِقَرَسِ الرَّائِعِ السَّابِقِ -

(٢) ذِكْرُ الْقَدَمِ وَهِيَ أُنْفَى مَجَاوِزَةِ الْعَامَةِ . (٣) زِيَادَةُ تَقْلِيلًا صَحَّةَ الْمَعْنَى .

رُسم بالأمر الشريف - لا زالت حنايته الكريمة تُقدِّم إلى الرُتب العلية من بَنَى
 أَسْ إقدامه من المروءة على أشرف عماد ، وَصَيْنَ لِلْهَمَّاتِ الشَّرِيفَةِ من أَمْتَطَى من
 جِيَادِ الْعَزْمِ أَسْبَقَ جَوَادٍ ، وَتَنَدَّبَ لها من أولياء خَدَمِهِ كُلِّ نَدَبٍ لم يَزَلْ سَاعِدُ سَعْدِهِ
 مَبِينًا على السُّدَادِ ، وَتَضَعِدَ إلى أَقْفَاهَا من ذَوَى الشَّهَامَةِ من فَاقَتْ بِمِيزَانِهِ الصُّعَادِ -
 أن يستقر ... : لأنه ذُو الْهِمَمِ التي ساعى بها الْفَرَاقِدُ ، وَالْكَفْءُ الذي نَشِطَ
 إلى القيام بالعزائم إذا قعد عنها من ذَوَى الْهِمَمِ أَلْفُ رَاقِدٍ ؛ وَالْمَقْسَمُ الذي قَدَّمَهُ
 الإقدام على قَضَاءِ الْأُمُورِ الْمُغْضَلَاتِ ، وَحَلَّى أَجْيَادَ ذَوَى الْمَارِبِ إِذْ حَلَّ لَمْ مِنْهَا
 يَمُنْ عَزَمِهِ الْمُشْكَلاتِ ؛ مَا عَلَا جَوَادَ بَرِيدٍ إِلَّا وَصَابِقُ الطَّرْفِ بِلِ الْعُرْفِ إلى المَرَادِ ،
 وَلَا تَدْبُ إِلَى مُهِمٍّ لِحَكْمٍ فِيهِ نَيْلًا لِأَمَلٍ إِلَّا قَدَحَ مِنْ رَأْيِهِ فِي قَضَائِهِ أَوْ رَى زِنَادَ ؛
 وَالْفَارَسُ الذي تَمَايَلَتْ بِكَفِّهِ الْعَوَامِلُ مُجْبَا فَانْجَلَّتِ الْأَغْصَانُ ، وَحَلَّتْ إِذْ حَلَّتْ
 بِقُلُوبِ الْأَعْدَاءِ وَإِنْ كَانَتْ مِنَ الْمُرَانِ ؛ وَالشُّبُّمُ الذي سبق السُّهْمَ إلى الْفَرَسِ ،
 وَالشُّجَاعُ الذي مَا أَعْرَضَ عَنْ مُحَارَبَةِ الْأَقْرَانِ : فَصَفَى جَوْهَرَ شَجَاعَتِهِ مِنَ الْعَرَضِ ،
 وَالْبَقِظُ الذي لم يكن يَنَظُرُهُ إِنْسَانٌ ، وَلَا أَنْطَبَقَ عَلَى أَسْيَافِهِ الْمُسَهَّدَةِ بِمِيزَانِهِ أَجْفَانُ .
 فليأشِرْ هذه التَّقْدِمة مباشرة يشهد الحامدُ له فيها بالتقديم ، ويُقرُّ بالحادِّ أنه أَهْدَى
 لِمَا أُسْدَى إِلَيْهِ إِلَى صِرَاطِ عَزِمٍ مُسْتَقِيمٍ ؛ وَلِيُطَرِّقَ إِلَى قَضَاءِ الْمُهَمَّاتِ الشَّرِيفَةِ بِأَجْنَحَةِ
 السُّدَادِ ، وَلِيَمْتَصِّطَ مِنْ جَوَادِ الْجَوَادِ أَسْبَقَ جَوَادٍ ؛ وَلِيُسَوِّينَ الْبَرِيدِيَّةَ فِي الْأَشْغَالِ ، وَلِيُقْبِلَ
 عَلَيْهِمْ فِيمَا يَرُومُونَهُ مِنْ حُسْنِ السَّفَارَةِ بِوَجْهِ الْإِقْبَالِ ؛ وَلِيُسَلِّكَ مَنَ الصَّدْقِ وَالْتِقْوَى
 وَلِيَجْعَلَهُمَا لَهُ أَحْسَنَ سُنَّةٍ ، وَلِيَلْبَسَ سَوَابِغَ الْإِنْصَافِ فَإِنَّهَا مِنْ سِهَامِ الْخَلَلِ جُنَّةُ .



نسخة توقيع بناية عيتاب ، كُتِبَ به لناصر الدين «محمد بن شعبان» بـ «المجلس
 العالي» عوضًا عن كان بها ، وهي :

رُسم بالأمر الشريف - لا زال إحسانه العميم، يرفع لناصر الدين قدراً، وامتنانه
الجسيم، ينقذ له في حفظ الممالك المنصورة أضرأ، ويؤلى أمر الرعية من حسنت
سيرته سراً وجهراً - أن يستقر ... : لأنه شهم سهم عرفانه مُصيب، وفارس
ربيع خبره وخبره خصب، له مناقب جليله، وسيرة محمودة جميلة، تتقل في المراتب
تقل البدر في صعوده، وأرتقى ذروة السيادة أرتقاء الكوكب في منازل صعوده،
مباشرة مباشرة إلا ونشرت له بها أعلام شكره، ولا علا مثله إلا تليت بها سور حمده
وذكره، لم يزل متبعاً للحق في أحكامه، سالكاً سبل الصواب في تقضيه وإبرامه،
فتح له إقبالنا الكريم بابه، فلذلك قدم على غيره في هذه النيابة .

فليأشرفها مقتضياً آثار العقاف، مُرتدياً أروية العدل والإنصاف، مُقيماً مَنار
الشرع الشريف، مُنصفاً من القوى الضعيف، والله تعالى يوفقه للصواب فيما
تولاه، والخط الكريم شاهد أعلاه .

قلت : وعلى نيابة عينتاب هذه يُقاس ما في منها من نيابات العشرات، فيجري
الحكم في توابعها كذلك . أما الطلبخانات فقد هتم أن الأصل أنه لا يؤلى فيها
إلا من الأبواب السلطانية .



وهذه نسخة مرسوم بإمارة الركب الحلي المتوجه إلى الجواز الشريف، كُتب به
لشهاب الدين « أحمد بن الطنبغا » به « الجناب الكريم » . والياض فيه وصل
واحد، وهي :

رُسم بالأمر العالي - لا زال يمنح وقد الله تعالى بمن لم يزل شهاب هيمه في أفق
الصيانة منيراً، ويُسند أمرهم إلى كل تدب لا يزال على الحق ظاهراً وعلى ذوى الباطل

ظهيراً - أن يستقر فلان من أعيان الموالى الأمراء الطلحات بجلب المحروسة -
 أعز الله تعالى نصرته - أميراً على ركب الحاج الحلي في هذا العام المقبل ، على أجمل
 العوائد ، وأكمل القواعد ، حسب ما رسم به . استقراراً يحمده بالوفد عند صباح همه
 السرى ، ويبلغ بهم قرى الغفران بأم القرى ؛ وينال به طيب العيش بطيبة وطابه ،
 ويدرك بيجاد فضله آراه ؛ ويمتخ به زيارة سيد البشر عليه أفضل الصلاة والسلام ،
 ويقوق به سهم إصابته من البشر إلى مرابي المرام ؛ ويشهد به بين قبره ومنبره روضة
 من رياض الجنة ، ويلبس به سوايخ القبول لتكون له من سهام الذنوب أوقى جنة ؛
 ويتردى [به] برود الثنى حين يترغ محرمات الإحرام ، ويقل به على ذكر الله تعالى
 في الوهاد والبقاع والآكام ، ويستقبل به حرم بيت الله الحرام ، ويشب له
 الهنا حين دخوله المسجد من باب بنى شيعة ، ويتعاطى به أسباب التوبة ، لينال
 من العفو من الله الكريم سيئه ؛ ولا يقتصر به عن التناول إلى الدماء إلى الله تعالى
 لثعمه الرحمة بفضله وطوله ، ويدخل به حرماً آمناً يحفظ الناس من حوله ،
 ويفتح به إلى المقام باباً من الأمن إلى يوم القيامة مقيم ، ويدكر بوقوفه بعرفات
 وقوفه (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) .

فليأشر هذه الإمرة المباركة مباشرة يتقط منها لجر المنام ، وليصرف وجهه
 سهامه إليها في المسير والمقام ؛ ولينفق على الحاج من كنوز معيذته ، وليجعل القيام
 بمصالحهم من أكبر همته ؛ وليسع بالصفا في حراستهم من أهيل الفساد ، وليعتمد
 صونهم من ذوى العناد ؛ وليعاملهم بالإزفاد والإزفاق ، وليقطع من بينهم شقة
 الشقاق ؛ وليجعل أقوى الله إمامه في القول والعمل .



وهذه نسخ توابع لأرباب الوظائف الدينية بحلب :

توقيع بقضاء القضاة، كُتب به لقاضى القضاة جمال الدين «إبراهيم بن أبى جرادة»
قاضى قضاة حلب المحروسة الشهير: «أبى العديم» من إنشاء ... الحنفى «المفتى»
الكريم» وهو .

الحمد لله الذى رفع مراتب المناصب العلية وكساها من ملابس أهلها حلل الجلال،
وجمع قتلها فأقترنت بإلفها أقران النيرين: تيس الضحى وبيت الكمال، ورفع عنها
يد المتناول والمتناول فأصبح رقم طرازها الموشى متنسجا على أحسن منوال، وقطع
الأطعاع عن إدراك شأوها فلا يصل إليها إلا كل فحل من الرجال .

نحمده على نعمه التى أعترف من أعترف من بحرها الوافر بالخير الكامل والفضل
المديد، وأعترف من أفتطف ثمار جودها جميل النوال المفيد، وجزيل الإحسان
العديد؛ حمدا يوافي نعمه ويكافى مزيده، ويمم بالإتمام الشامل نائله ومزيده؛
ونشكره على منتهى التى يقصر لسان الإطناب عن حصرها وتعدادها، وتجزئ بنات
الفكر عن إدراك وصفها وتردادها، شكريا ينال به العبد رضا المعبود، ويبلغ به من
مقاصد الكرم والجود غاية المقصود؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
ولا ضد، ولا والد له ولا ولد ولا ند؛ شهادة تبيض وجه قائمها عند العرض،
وينطق بها لسان التوحيد يوم تبدل الأرض غير الأرض؛ ونشهد أن سيدنا محمدا
عبده ورسوله الذى أظهر الله به الحق وأعلنه، وهرج بمقائق معجزاته العقول فاعترف

كُلِّ بِصِحَّةٍ مَاعَرَفَهُ وَبَيَّنَّهُ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَخْبَاهِهِ الَّذِينَ نَصَرَ اللَّهُ بِهِمُ
الْإِسْلَامَ وَأَبَدَ أَحْكَامَهُ، وَأَحْكَمَ بِهِمْ مَبَانِيَ الْإِيمَانِ الْمُتَيَّرَةِ وَأَيَّدَ إِحْكَامَهُ؛ صَلَاةً تَعَطَّرُ
بِنَفَحَاتِ عَرَفِهَا أَرْجَاءُ الْمَدَارِسِ، وَيُنَادِي لِسَانُ فَضْلِهَا لِرَأْيِ فَرَائِدِ الْمَعَالِي عَلَى طُولِ
الْمَدَامِ^(١) رِسْ، وَسَلَّمَ وَبِحَمْدِ وَكَرَّمَ، وَشَرَّفَ وَبِجَلِّ وَعَظَّمَ .

وبعد : فَإِنَّ أَوَّلِيَّ مَنْ لَحَظْنَاهُ عَيْنَ الْعِنَايَةِ وَالْقَبُولِ ، وَأَجْدَرُ مَنْ بَلَغَ مِنْ مَقاصِدِ
الْمُنَاصِبِ الْعِلْمِيَةِ غَايَةَ الْقَصْدِ وَالسُّؤْلِ ؛ وَأَعَزُّ مَنْ رَقِيَ دَرَجَاتُ الْمَعَالِي وَارْتَفَعَ ، وَأَجَلُّ مَنْ
وُصِفَ بِالْأَوْصَافِ الْجَمِيلَةِ وَنُصِّتَ بِالْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى - مَنْ سَارَتْ سِيرَةُ فَضْلِهِ فِي الْأَفَاقِ ،
وَدَلَّ عَلَى صِفَائِهِ السَّرِيرَةِ مِنْهُ حُسْنُ الْأَخْلَاقِ ؛ وَأَشْهَرُ بِالْعُلُومِ الْحَزِيلَةِ ، وَالْمُنَاقِبِ
الْجَلِيلَةِ ، وَعَرِفَ فِي الْإِنْصَافِ بِالْأَوْصَافِ الْمَحْمُودَةِ وَالْحِصَالِ الْجَمِيلَةِ ؛ وَأَظْهَرَ مِنْ
الْعُلُومِ الشَّرِيفَةِ ، مَا حَيَّرَ الْعُقُولَ ، وَحَقَّقَ مِنَ الْمَسَائِلِ الطَّيْفَةَ ، مَا جَمَعَ فِيهِ بَيْنَ الْمَقْذُوفِ
وَالْمَعْقُولِ ؛ وَدَقَّقَ الْمُبَاحِثَ حَتَّى اعْتَرَفَ بِفَضْلِهِ الْخَاصِّ وَالْعَامِ ، وَفَرَّقَ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ
وَالْمَحَاجِزِ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى اسْتِعَارَةٍ إِذَا تَنَسَّبَ الْأَخْصَامُ ، وَحَكَّمَ بِمَا أَرَاهُ اللَّهُ فَأَحْكَامُهُ
مَرْضِيَّةٌ ، وَقَضَايَاهُ فِي الْجُمْلَةِ قَدْ أَتَجَّهَتْ فَهِيَ مُقَدِّمَةٌ فِي كُلِّ قَضِيَّةٍ ؛ وَثَابَرَ عَلَى الْقَاءِ
الدُّرُوسِ فِي وَقْتِهَا وَأَوَانِهَا ، وَقَرَّرَ كُلَّ مَسْأَلَةٍ فِي مَحَلِّهَا وَمَكَانِهَا ؛ وَأَفَادَ طُلَّابَ الْعِلْمِ
الشَّرِيفِ مِنْ فَوَائِدِهِ الْجَمَّةِ ، وَكَشَفَ لَهُمْ عَنْ غَوَامِضِ الْمُبَاحِثِ بِخَلَاةٍ عَنِ الْقُلُوبِ
كُلِّ عُجْمَةٍ ؛ وَجَالَ فِي مَيَادِينِ الدُّرُوسِ فَخِيرَ الْأَبْطَالِ ، وَحَازَ قَصَبَ السَّبْقِ فِي حَلِّبَةِ
النِّقَاطِ قَرْدَ مُتَأَسِّفٍ كُلِّ بَطَّالٍ ؛ وَنَظَرَ فِي أُمُورِ الْأَوْقَافِ بِمَا أَرَاهُ اللَّهُ فَأَتَقَنَ بِحُسْنِ
النَّظَرِ وَجَهَ ضَبْطِهَا ، وَأَجْرَى أُمُورَ الْوَاقِعِينَ عَلَى الْقَوَاعِدِ الْمَرْضِيَّةِ فَوَافِقَ الْمَشْرُوطِ
فِي شَرْطِهَا ؛ وَجَمَعَ مَا تَفَرَّقَ مِنْ شَتْلَمَا فَأَجْمَلَ وَفَصَّلَ ، وَحَفِظَ أُمُورَهَا فَخَصَّلَ

وأصل ؛ فهو الحاكم المشهور بالعدل والمعرفة ، والناظر الذي حَمدت الأمور
تصرفه ؛ والإمام الذي أتم الإنعام بأقواله وأفعاله ، والعالم الذي يَحمد الطالب إليه
شَيد رحاله ؛ والمدرس الذي أفاد بفقهِه المُفيد النافع ، وترفع في البداية والنهاية
فهو المختار في المنافع ؛ وسلك منهاج الهداية ، فال من العلوم الغاية ؛ فبدائع
ألفاظه لمقائد الدين منظومه ، وكثر صرْفانه عزيز المطلب ومحاسنه المشتملة على
الكمال معلومه .

ولما كان فلانٌ - أعز الله تعالى أحكامه ، وقرن بالتوفيق والسادد نقضه
وإبرامه ؛ هو المشار إليه بالأوصاف والتعوت ، والمعلول عليه إذا تعلق بالفضائل
والحاضرون سكوت ؛ والمشكور أثر بته المشهور ، والمنشور علم عليه من السنة
والشهور ؛ ياله من بيت لم يزل معموراً بالتقوى والصلاح ، تَجِيءُ بأسلحة أهله : فمن
أحكامهم السيوف ومن أقلامهم الرماح ؛ فهو العديم المثل وبيته العديم ، وحرَم
فضل يُجج إليه الراجل والقيم ؛ فاستحق أن تقابل مقاصده بالإقبال ، ويُقابل
بما يؤمله مُقابلة مثله ولا كسائر الأمثال .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لازالت مرايحه المطاعة تُقر الحق في يد مُستحقه ،
وترد الأمر إلى وليه ومالك رقه ؛ وتسوق هدى الإحسان إلى محله ، وتضع
الاستحقاق في يد مُستحقه والحق وضع الشيء في محله - أن يستقر بحكم
ظهور الحق بيده المباركة ، وخفاء الباطل الذي ليس له في الحق مُشاركه ؛ استقراراً
مباركاً مميّزاً ، بالخير والسعد مقروناً ؛ لأنه الأحق بأمر وظائفه ، والطائف حول
حرمة المنوع طائفه ؛ وأولى من عُقلت عليه عقيلته ، وردت إليه قريته ، وبأشر
بنفسه الكريمة ما عهد إليه سلفه ، وأنفرد به فلا يتأله - إن شاء الله - إلا خلفه ؛

طالباً أَلَقَتْ مِنْهُ الْأَوْقَافُ مِنَ الشَّقَقَةِ وَالْخَيْرِ، وَحَفِظَ جِهَاتِهَا الْحَمِيَّةَ عَنْ تَطَاوُلِ
يَدِ الْغَيْرِ؛ وَنِعِمَ بِحُسْنِ نَظَرِهِ مِنَ الْمَدَارِسِ كُلِّ دَارِسٍ، وَفَازَتْ مِنْهُ الدَّرُوسُ بِالْعَالِمِ
الْعَارِفِ وَالْبَظَلِ الْمُبَارِسِ .

فَلْيَا شَرَّ ذَلِكَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ لَهُ مِنْ حُسْنِ الْمُبَاشَرَةِ ، وَلْيَجْتَهِدْ - عَلَى عَوَائِدِهِ -
فِي تَحْصِيلِ رَيْبِهِ مُتَابِعاً عَلَى الْأَجُورِ أَشَدَّ مُتَابِعَةً ؛ وَلْيَصْرِفْ أَمْوَالَ الْأَوْقَافِ فِي مَصَارِفِهَا ،
بَعْدَ الْعِمَارَةِ وَالتَّثْمِيرِ الْمُبْدَأَيْنِ فِي شَرْطِ وَأَقْفِهَا ؛ وَلْيَسُوْ - عَلَى مُقْتَضَى مَعْدِلَتِهِ - بَيْنَ
الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ ، وَالشَّابِّ الصَّغِيرِ وَالشَّيْخِ النَّجِيفِ ، عَلَى قَدَرِ تَفَاوُثِهِمْ فِي الْعِلْمِ
الشَّرِيفِ ؛ وَلْيُطْلَقِ لِسَانُهُ فِي إلقاءِ الدَّرُوسِ عَلَى عَادَتِهِ ، وَلْيُتِمِّدْ لِّلشَّغْلَيْنِ طَرِيقَ
الْفَهْمِ لِيَنَالُوا الْقَصْدَ مِنْ إِفَادَتِهِ ؛ وَهُوَ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى أَوَّلَى مِنْ آدَى الْأُمُورِ عَلَى الْوَجْهِ
الْمُسْتَقِيمِ ، وَوَقَى الْمَنَاصِبَ حَقَّهَا فَإِنَّ الْوَفَاءَ جَدِيدٌ بِ«إِبْرَاهِيمِ»^(١) .

وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَإِلَيْهِ مَرْجُوعُهَا ، وَمَنْ يَحَارِ عِلْمُهُ وَيَدِينُهُ الْمُتَيْنِ يَبْذُوعُهَا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى
يُؤَيِّدُ بِهِ الْمَنَاصِبَ ، وَيَرْفَعُ بِعُلُوِّ رُتَبَتِهِ الْمَرَاتِبَ .



نَسَخَةُ تَوْقِيعِ بَحْطَابَةِ جَامِعِ ، كُتِبَ بِهِ لِقَاضِي الْقَضَاةِ «كَمَالُ الدِّينِ عَمْرُ» ابْنِ
قَاضِي الْقَضَاةِ جَمَالُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي جَرَادَةَ الْحَنْفِيِّ ، الشَّهِيرَ بِابْنِ الْعَدِيمِ ؛ «بِالْمَقَرِّ
الشَّرِيفِ» وَهِيَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَتْ عِنَايَتُهُ تَرْقَى فِي مَنَازِلِ الْحَمْدِ مِنْ تَتَابُلِ بِقَضَلِهِ
بِهَجَّةٍ وَكَمَالَا ، وَتُدْزَلُ جَيَادُهَا لُقُوسَانِ الْفَضَائِلِ فَتُجِيدُ لَهُمْ فِي مِيدَانِ الْبَلَاغَةِ كَمَالَا ،

(١) يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : (وَابْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَى) .

وَسَلَّمَ رَأْيَهَا [إلى من صدق بارق سعه ، ووهب من العلم] ملكا لا ينبغي لأحد من بعده - أن يستقر ... لأنه الإمام الذي [لو] تَقَبَّلَ عَصْرَهُ لكان أحد أئمة الاجتهاد، والعارف الذي بلغ بولايته مُريد الفضل غاية المراد، والعالم الذي وجدت أخبار علومه نسبة يطابقها في الخارج صالِحُ العمل ، وأتبع سنن الكتاب والسنة فلم يتخلل طريقته المثلّى خَلَلٌ ؛ والمُحَقِّقُ الذي وجد إلى كُنْه الحقيقة أَكْمَلَ جَازٍ ، والمُفَوِّزُ الذي بلغ من البلاغة في كلام البشر حدَّ الإعجاز ؛ لأنَّ خطبَ شَتَفٍ بِذَرِيرِ مواعظه الأسماع ، وشَرَفٍ بِغُرُورِ فرائده الانبجاع ؛ وأهتَرَتْ أعواد المنابر طرباً لكلمه الطيب ، وروى أوام القلوب مع فضله الصَّيِّب ؛ وإن قرأ في غمراه أقر بفضلِه الجمعُ الجامع ، وأسقلَ «أبن كثير» حين وجد «الكسائي» عارياً مما لديه وفضله الجم أكل «نافع» :

خَطِيبُ إِذَا الصَّادِي تَصَدَّى لِفَضْلِهِ : * لِيَرَوْنِي ، فَأَنوَأُ الْمُلُومَ تُفَيْضُهُ !

وَلَا نَفِيَّ يَرَوِي بُلْبُلًا أَخْبَارَ أَحْمَدٍ ، * نَفَيْرٌ جَلِيسٌ لَا يُمَلُّ حَدِيثُهُ !

وهو الكامل الذي أدرك درجَاتِ الكمال في البداية فأمين في النهاية وهو قاض من النقص ، وسارت عيسُ الطلاب إلى حضرته الكريمة وأخذة ولكن بالنقص ؛ والصاحبُ الذي استصحب يسار العقاة باليمين ، وأزال ظنَّ قاصده في بَرِّه الشامل باليقين ؛ كم أطلق بأفلامه المقيدة مكرمة بصلة الأرزاق ، ونسخ بحقِّق فضله رِقَاعَ الأول بالعطاء على الإطلاق ؛ ولو نظر الملكان : هَارُوتُ وَمَارُوتُ ما ملكه من

(١) الزيادة يقتضها المقام .

(٢) الأوام بالضم الطنن .

كُتِبَتْهُ السَّاحِرَةُ لِأَقْرَأَ أَنَّهُ السَّحَرُ الْحَلَالُ ، وَلَوْ قَابَلَهُ «أَبْنُ هَلَالٍ» لَأَتَخَسَفَ بِدَرِّ فَضْلِهِ
عِنْدَ الْكَمَالِ :

فَفِي كَفِّهِ الْأَقْلَامُ تَهْتَزُّ بِالْقَنَّا ، * وَتَحْتَشِي سَطَاها الْأُسْدُ فِي غَايِبِ ظَاهِهَا !
يُرْوَعُ سُيُوفُ الْمُهْنِدِوَرِيِّ بِرَأْعِهِ ، * وَقَدْ طَارَ مِنْ خَوْفِ حَدِيدِ دُبَاهِهَا !^(١)

فَلْيُباشِرْ هَذِهِ الْخَطَابَةَ مُباشِرَةً تَرْشُفُ مِنْهَا كُتُوبُ كُلِّهِ الْإِسْمَاعِ ، وَلْيُكْشِفْ لَهَا
عَنْ وُجُوهِ فَضَائِلِهِ الْقِنَاعَ ؛ وَلْيُنْزِلْ عَلَيْهِمْ مِنْ دُرَرِ بِلَاغَتِهِ مَا تَلْقِطُهُ أَفْوَاهُ الْمَسَامِعِ ،
وَلْيُنْشُرْ مِنْ طَلْقِ لِسَانِهِ عِلْمَ مِلَّةِ الَّذِي لَا يَقَاسُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ أَبِي اللَّهِ وَالْفَارِيقُ الْجَامِعُ ؛
وَلْيُطَرِّبْ بِمَوَاصِلِ أَنْجَاعِهِ الْقَاطِعَةِ بِفَضَائِلِهِ الْمَكْمَلَةِ ، وَلْيُظْهِرْ مَا جَمَعَهُ مِنْ مَحَاسِنِهِ الَّتِي
هِيَ الْجَمْعُ الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ ؛ وَلْيُنْفِقْ عَلَى الْجَمْعِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ كُنُوزِ
الْفَضَائِلِ ، وَلْيُلْقِمْهُمْ مِنْ بِلَاغَتِهِ الَّتِي أَنْعَلَتْ ذِكْرَ «قُسٍّ» وَ«مُحِبِّانٍ وَأَمِلٍ» ؛ وَأَنْتَ
- أَسْبِغِ اللَّهُ تَعَالَى ظِلَالَكَ - مُعِدُّ الْفَضَائِلِ فَأَنْتَ تُهْدِي إِلَيْكَ الْوَصَايَا ؛ وَالْمُتَصِفُ
بِصِفَاتِ الْكَمَالِ فَكَيْفَ تُعَرِّضُ عَلَيْكَ الْمَزَايَا ؛ وَلَكِنَّ الْوَصِيَّةَ بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ
شُعَائِرِ الْإِسْلَامِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُدِيمُكَ غُرَّةً فِي جَبْهَةِ الْأَيَّامِ .



وهذه نسخةٌ تَوْقِيعُ بَتَدْرِيسِ بِالْجَامِعِ الْمَذْكُورِ ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي عِلَاءِ الدِّينِ
«عَلِيٍّ الصَّرْحَدِيِّ» الشَّافِعِيِّ ، نَائِبِ الْحَكَمِ الْعَزِيزِ بِجَلْبِ بِ«الْمَقَرَّ الْعَالِي» وَهِيَ :

رُسمُ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَتْ صِدْقَاتُهُ تَمْنَحُ دُرُوسَ الْعِلْمِ الشَّرِيفِ بَعْلَى الْعُلُومِ ، وَتَتَدَبُّ
لَهَا مِنْ ذَوَى الْأَجْتِهَادِ مِنْ سَائِرِ بِهِمِهِ الْبَرْقِ وَسَائِرِ النُّجُومِ ، وَتُقَرَّرُ لِلطَّلَبَةِ مِنْ

(١) فِي الْأَصْلِ «دَوَى» بِشَدِيدِ الْيَاءِ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

أولى العناية من حقق الفضائل وأطلع على سرها المكتوم، وتدير عليهم من مشرب فوائده ما يحال أنه الرحيق المختوم - أن يستقر فلان استقرأاً تقر به عين الطالب، وتلمح من صوب فضله عين الصواب؛ ويُسَيِّد به دَارُ الدروس، ويطلع به في سماء الفضائل أنور شمس؛ وتُنشر به أعلام العلوم من طي الألسنة، ويذهب من كل الطلبة في تحصيل العلم الشريف وسنه؛ لأنه الخبر الذي شهدت فضله الأسفار، ورحلت إلى فوائده الجية السفار؛ والبحر الذي جرت سفن الأنهان به فلم تدرك غاية قراره، وعجزت الأمثال عن خوض تياره؛ والعالم الذي أقر عينه الأعلام، وشهدت بإحكام أحكامه الأحكام؛ ما برز في موطن بحث إلا وبرز على الأقران، ولا جأراه مجتهد إلا وكانا كفرسي رهان، ولا تعلق بمنطلي إلا وانثجت مقدمات همه العلية واجتهاده على فضله أكل برهان، ولا أجرى جواد علومه إلى غاية إلا مطلقة العنان، ولا رآه من أخبر عن فضله إلا تمثل له : ليس الخبر كالبيان؛ إن تصدّر للفوائد ألقطت الإجماع دُر عليه النفيس، وإن درس تحال الطلبة أنه «أبن إدريس»؛ فهو طود فضيل لا يسامى علواً ورفعة، ولا ينوي متاواته متاوي ولو كان «أبن رِفْعَة» :

إمام غدا للسالكين مُسَلِّكاً، * عليم، وم أولى الفضائل من ولي!

علا فأسال البحر من فيض علمه! * وذلك سيل جاء بالفضل من على!

فليأشِر هذا التدريس المبارك مباشرة يُثَبِّت بها فوائده، وينشر بها فرائده؛ ويَطْرِبُ الطُّلَّابَ بطريق العلم وتالده، ويجمع لهم من صِلَةِ الفضل وعائده؛ ويُلازِمُ المباشرة ملازمة لا ينفك عنها أيام الدروس، ويُثِرُ القلوب بمصابيح الكتاب والسنة ويسر النفوس .

وَأنت - أمتع الله بفوائدهك - من نُورِكَ الوصايا تُقْتَبَسُ ، ولم آتس الطالبُ نارَ
فضلاً فأتى منها بأنورِ قَيسٍ ؛ والله تعالى يُعْطِيكَ للعلومِ كَثْرًا لا تُنْفِي مَوَاهِبُهُ ، ويُدِيمُكَ
للطُّلابِ بحرًا لا تُنْقِضِي عَجَائِبُهُ .



وهذه نسخةٌ توفيق بتدريس بالجامع المذكور الحنفِيّ ، كُتِبَ به للشيخ شمس الدين
« محمد القرمي » الحنفِيّ ، بـ « الجنب العالی » ، وهي :

رُسم بالأمر - لا زالت عنايته الكريمة تُطْلِعُ شمسَ الدين للهداية في أفق المدارس ،
وتُشِيدُ بالعباء الأعلام من رُبعها كلِّ دارٍ ؛ وتمنحُ الفقهاء ؛ بَنَ إِذَا تَصَدَّقُوا
للإفادة جادت نفسه بالدرر الثغاس ، وتندب لها من أُولي البلاغة مَنْ إِذَا أَلْفَ
فَصلاً وَجَدَتْ غُصُون أَقْلَامِهِ فِي رَوْضَاتِ الطُّرُوسِ أَحْسَنَ مَوَاسٍ - أَنْ يَسْتَقِرَّ
فَلَانٌ : اسْتِقْرَارًا يُجَلُّ بِهِ الدُّرُوسُ بِالْفَوَائِدِ ، وتمنحُ الطُّلَبَةَ مِنْهَا بِالصَّلَةِ وَالْعَائِدِ ؛ وَيَعُدُّ
لَهُمْ مِنْ مَوَادِّ الْعُلُومِ أَشْرَفَ مَوَائِدَ ، وَيُورِدُهُمْ مِنْ مَتَاهِلِهَا أَعْنَبَ مَوَارِدَ ؛ لِأَنَّهُ شَمْسُ
الْعُلُومِ وَمِصْبَاحُهَا ، وَقُرْ لَيْلِ الْمُشْكَلَاتِ وَصَبَاحُهَا ؛ وَسَاعِدُ الْفَتَاوَى الطَّائِرَةِ بِفَضَائِلِهَا
فِي الْآفَاقِ وَجَنَاحُهَا ، وَرُوحُ كُثُوسِ الْعُلُومِ وَرَاحُهَا ؛ وَطَلِيعَةُ الْحَقَائِقِ وَعُتُونُهَا ،
وَعَيْنُ الدَّقَائِقِ وَإِنْسَانُهَا ؛ وَالْإِمَامُ الَّذِي أَتَمَّ بِهِ الطُّلَابُ فَاسْتَحَقَّ الْإِمَامَةَ ، وَالْعَالِمُ
الَّذِي أَجْتَهَدَ عَلَى فَضْلِ الْعُلُومِ فَاسْتَوْجَبَ أَنْ يُنْعَتَ بِالْعَلَامَةِ ؛ وَالْفَاضِلُ الَّذِي
ضَبِطَ أَقْوَالَهُ : لِلْأُطْلَاعِ عَلَى سِرِّهَا الْمَكْتُومِ ، فَأَخْتَصَّ فِعْلُ جَانِبِهِ الْمُتَعَدِّي بِاللُّزُومِ
لِاتِّصَافِهِ بِالْعُمُومِ ؛ كَمَا أَلْتَقِطْتَ مِنْ دُرُوسِهِ الْجَوَاهِرَ ، وَتَمَثَّلَ لِأَبْكَارِ فَوَائِدِهِ : كَمَا تَرَكَ
الْأَوَّلَ لِلْآخِرِ ؛ قَابِلَتَهُ الْأَسْفَارُ عَنْ وَجْهِهِ فَوَائِدُهَا بِالْإِسْفَارِ ، وَأُظْهِرَتْ لَذَكَاءَ ذِكَاةِ
مَا صَحَّتْ أَحْسَاؤُهَا مِنَ الْإِحْضَارِ ؛ فَهُوَ الْمُخْتَارُ لِهَذَا التَّدْرِيسِ : إِذْ دُرِّرُ فَوَائِدُهُ مَنْظُومَةً ،
وَالْمُجْتَبَى لِلْإِفَادَةِ بِسُلُوكِهِ طُرُقَ الْهُدَايَةِ إِلَى دَقَائِقِهَا الْمَكْتُومَةِ ؛ وَكَمَا اسْتَنْارَتِ الطُّلَبَةُ

من سَمَرِ فَضْلِهِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَكُونَ ثَالِثَ الْقَمَرَيْنِ، وَجَمَعَ فِي صَدْرِهِ بَحْرَى الْمَقُولِ
وَالْمَقُولِ حَتَّى قِيلَ : هَذَا «بِجَمْعِ الْبَحْرَيْنِ» :

هُوَ الْبَحْرُ، إِلَّا أَنْ فِيهِ عَجَائِبُ ، * وَوَارِ فَضْلٍ لَيْسَ يُوجَدُ فِي الْبَحْرِ !
بَلَاغَتُهُ السَّحَرُ الْحَلَالُ، وَإِنَّمَا * بَدِيعُ مَعَانِيهَا يَجِلُّ عَنِ السَّحَرِ !

فَلْيَا شِرْ هَذَا التَّدْرِيسَ نَائِرًا دُرْدَرِ فَرَائِدِهِ، نَاشِرًا غَرَرِ فَوَائِدِهِ؛ جَانِدًا بِجِيَادِ فَضَائِلِهِ
السَّابِقَةِ إِلَى الْغَايَاتِ، عَائِدًا بِصَلَاتِ حَقَائِقِهِ لِكُلِّ اللَّطِيفَةِ بِهِ الْمَسْرَاتِ؛ وَلِيْلَازِمِ أَيَّامِ
الدَّرُوسِ مَا أُسِيدَ إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْوُظُفَةِ، وَلِيَرْتَقِيَ مِنْ دَرَجِ الثَّقَوَى لِنُفَرِّغِ الْمَعَارِفِ
الشَّرِيفَةِ .



وهذه نسخة توقيع بإمامية وتصدير يجامع منكلي بنا الشمسى بحلب ، كُتِبَ بِهِ
للشيخ شمس الدين «محمد الإمام»، بـ«الجناب العالي»، وهى :

رُسم بالأمر - لا زالت صدقائه البهيمية تُطْلِعُ شَمْسَ الدِّينِ فِي أَفْقِ الْمَعَالِي، وَتَرْفَعُ
مِنْ أَوْلِيَائِهِ خِدْمَةَ مَنْ جِيَدُهُ بِالْفَضْلِ حَالِي؛ وَتَمْنَحُ رِهَاً مَنْ أَعْرَبَتْ عَنْ لَحْنِهِ الطَّيِّبِ
وَتَسْتَفْتِ مَنْ فِيهِ بِالْأَلَا لِي، وَتَسْفَحُ قَيْثَ جُودِهَا عَلَى مَنْ أَجْمَعَ عَلَى طَيْبِ مُسَامَرَتِهِ
وَرَفَعَ أَدْعِيَتِهِ الْأَشْمَاعَ وَاللَّيَالِي - أَنْ يَسْتَقِرَّ فَلَانٌ - أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى ضِيَاءَ نَفْسِهِ، وَبَنَى لَهُ
رَبِّعَ السَّعْدِ مِنْ جُودِهِ عَلَى أَسَسِهِ - لِأَنَّهُ الْإِمَامُ الَّذِي شَهِدَتْ بِمُحْسِنِ قِرَاءَتِهِ
الْحَارِيبُ، وَالْآتِي مِنْ فَضْلِ فَضَائِلِهِ بِالْأَغَارِيبِ؛ وَالْفَاضِلُ الَّذِي سَلَكَ طُرُقَ الْفَضَائِلِ
أَحْسَنَ سُلُوكٍ، وَشَهِدَ بِسُقُوتِ جِيَادِ جُودِهِ فِي حَلْبَةِ الْأَخْبَارِ كُلِّ حَتَّى الْمُلُوكِ؛ وَالْكَائِلُ
الَّذِي كَلَّمَ أَوْصَافَهُ الْمَحْمُودَةَ فَا مِّنَ النِّقَاصِ، وَأَخْتَصَّ بِجَمِيلِ الثَّيَمِ وَحُسْنِ الْخِصَائِصِ؛
مَا أَمَّ إِلَّا وَشَهِدَ بِفَضْلِهِ كُلِّ مَأْمُومٍ، وَأَقْرَأُوا أَنَّ أَصْمَاعَهُمْ أَرْتَشَفَتْ رَحِيقَ فَضَائِلِهِ مِنْ

كأَيِّهَا الْمُخْتَوَمُ ؛ وَمَا سَامَرَ الْخَوَاصَّ إِلَّا وَشَهِدَ الْعَوَامُّ بِحُسْنِ صِفَاتِهِ ، وَلَا حَدَّثَ إِلَّا وَكَانَتْ الْمُلُوكُ مِنْ رُؤَاتِهِ .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوُظَائِفَ الْمُبَارَكَةَ مَبَاشَرَةً تَقَرُّ بِهَا النَّوَظِرُ ، وَيَجْتَمِعُ الْأَلْسِنَةُ عَلَى أَنَّهُ أَكْرَمُ إِنْسَانٍ وَخَيْرُ نَظِيرٍ ؛ وَلْيَتَصَدَّرْ لِإِقَاءِ الْفَوَائِدِ ، وَلْيُكَسِّبِ الْأَسْمَاعَ مِنْ عِلْمِهِ بِالطَّرِيفِ وَالنَّالِدِ ؛ وَلْيَتَنَاوَلَ مَعْلُومَهُ أَوَّانَ الْوُجُودِ وَالْإِسْتِحْقَاقِ ، هَيِّئًا مُبَسَّرًا مِنْ خَيْرِ تَقْيِيدٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ ؛ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ فِيهَا أُسْدِيَّ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ ، وَلْيَسْلُكْ مِنْ مَنَنِ التَّقْوَى - بِقَدَمِ الصَّنِيقِ - أَحْسَنَ الْمَسَالِكِ .



وهذه نسخ تواقع لأرباب الأقلام الديوانية بحلب وما معها :

تَوَقَّعُ بِكَاتِبَةِ الدَّسْتِ بِحَلَبَ ، كُتِبَ بِهِ لـ «بهاء الدين بن الفرفور» ونظر بيت المال بحلب ، بـ «الجناب العالي» ، وهو :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَ يَنْظِمُ عُقُودَ الْإِحْسَانِ فِي أَجْيَادِ أَوْلِيَائِهِ ، وَيُجَزِّلُ لَهُمْ بِوَافِرِ نَفْثِهِ وَافِيَّ عَطَائِهِ ، وَيُجَرِّى بِهَاءِ الدِّينِ عَلَى أَحْسَنِ نِظَامٍ فَيُنْجِزُ لَهُ حِدَّةَ وَفَائِهِ - أَنْ يَسْتَقَرَّ أَسْتَقْرَارًا يَبْلُغُ بِهِ وَجُوهَ الْأَمَالِ ، وَيَكْشُو الدَّوَابِينَ مَلَاسَ الْبَهَاءِ وَالْكَوَالِ ، وَيَزِيدُهَا رِفْعَةً بِمَا يَفْضُلُهُ مِنْ ذَلِكَ الْجَمَالِ ؛ لِأَنَّهُ الْفَاضِلُ الَّذِي إِذَا قَصِدَ الْمَعَانِي أَصَابَ ، وَإِذَا سُئِلَ عَنْ كُلِّ مَعْنَى لَطِيفٌ أَجَادَ وَأَجَابَ ؛ وَالْفَصِيحُ الَّذِي إِذَا تَكَلَّمَ أَجَزَلَ وَأَوْجَزَ ، وَأَسَكَتَ كُلَّ ذِي لِسَانٍ بِفَصَاحَتِهِ وَأَعْجَزَ ؛ وَالبَلِغُ الَّذِي أَبْدَعَ فِي مَكَاتِبَاتِهِ بِمُتَوَرِّعِهِ وَمَنْظُومِهِ ، وَاللَّيْبُ الَّذِي أَطْلَعَ مِنْ أَزْهَارِ كَلِمِهِ الْمَسْمُوعَةِ فِي رِيَاضِ الطُّرُوسِ مَا يُجَمِّلُ الرُّوضَ إِذَا أَفْتَحَرَتْ بِمَشْمُومِهِ ؛ وَالكَاتِبُ الَّذِي قَطَعَتْ بِمَرْقَتِهِ الْأَقْلَامُ ، وَالْحَاسِبُ الَّذِي حَقَّقَتْ عَلَى خَبْرَتِهِ خَنَاصِرُ الْأَنَامِ ؛ وَالْأَدِيبُ الَّذِي

جمع بين قلم الإنشاء الشريف (٩)، وحاز ما في ذلك من تأليده وطريفه؛ فله دهره من
كاتب زين الطروس بحسن كتابته، وجل الألفاظ والمعاني بحيل درايته وفصاحته.
فليسائر ما علق به من ذلك مباشرة مقرونة بالسداد، مشكورة المساعي
والاعتماد؛ مظهرًا براعة براعه، بإسطايد إبداعه الجميل وإبداعه؛ موقوفًا حواشي
القصص بتوقيعاته، مؤشيا برود الطروس بتصريحاته وتوضيحاته؛ ناظرًا على اعتماد
مصالح بيت المال المعمور، وتحصيل حواصله على الوجه المشهور والطريق
المشكور؛ عاينًا بتقوى الله عز وجل في ضبط مصالح ديوان الجيوش المنصورة،
سالكًا من حسن الاعتماد طرقًا على السداد والتوفيق مقصوده؛ والوصايا كثيرة
وتقوى الله تعالى عبادها، فليجعلها عمده فيما يتم به للنفس المطمئنة مرادها؛
وليتناول معلومه المستقر لذلك أوان وجوبه، والله تعالى يئله غاية قصده ومطلوبه.



توقيع بصحابة ديوان الأموال بحلب، من إنشاء ابن الشهاب محمود، كتب به
للقاضي شمس الدين «محمد بن محمد»، أحد كتّاب النست بحلب، بـ«المجلس
العالي»، وهو :

رسم بالأمر - لازالت صدقاته العيمة تسر هوسا، وتطلع في هالات الوظائف
السليّة عيوض الشمس شموسا؛ وتسقي غرس نعمها الهبات الهية فترهي أغصانها
ياضعة وغروسا - أن يستقر ... : لأنه الأوحد الكامل، والرئيس الفاضل؛ ولأنه
حاز قصب السبق في المباشرات، والمناصب الجليلة والمراتب السنيات؛ طالما
بذل جهده في خدمة الأول، وسلك بحيل مباشرته طريق السلف وسبيل الأول؛
فأدرك بحسن سيرته وبمن طريقته نهاية السؤل وغاية الأمل، وأتى الأمور على

قَدْرٍ وَلَا يَقَالُ : عَلَى عَجَلٍ ؛ وَلَئِنَّهُ الْأَمِينُ فِي صَنْعَةِ الْإِنْشَاءِ ، وَالتَّايِعُ فِي فَنِّهِ فُتُونُ
الْأَدْبَاءِ ؛ إِنَّ رَقْمَ الطُّرُوسِ طَرُزٌ ، وَإِنْ بَارَزَ الْأَقْرَانُ فِي مَوَاطِنِ الْاِفْتِخَارِ بَرَزٌ ، وَإِنْ
بَسَطَ الْجَرَائِدَ ، تَفَارَّ مِنْ حُسْنَيْنِ الْخَرَائِدِ ؛ طَالَمَا نَطَقَ بِالْحِكْمِ ، وَاشْتَهَرَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ
مِثْلَ اشْتِهَارِ النَّارِ عَلَى عِلْمٍ ؛ نَظَمَ الْحَامِسِينَ فِي ثَوْرِ الْبَيْدِيعِ ، وَجَمَعَ بَيْنَ الْأَضْدَادِ فِيمَا يَبْدِيهِ
مِنَ الْإِنْشَاءِ وَيُحْلِيهِ مِنَ التَّصْرِيعِ ؛ قَدُمْتَ هِجْرَتُهُ فِي الْخِلْمَةِ الشَّرِيفَةِ ، وَأَقْتَنَطَ مِنْ
زَهْرِ الصَّدَقَاتِ الشَّرِيفَةِ أَحْسَنَ مَنَاصِبَ وَأَجْمَلَ وَظَيْفَةٍ ؛ وَتَحَلَّى جِيدَهُ بِالْقَلَانِدِ ،
وَحَصَلَ بِسَعْيِهِ مَجْمُوعَ الْفَرَائِدِ ، فَعَادَتْ عَلَيْهِ الصَّدَقَاتُ الشَّرِيفَةُ بِأَجْمَلِ الْعَوَائِدِ ؛ قَدْ
أَسْتَحَقَّ التَّقْدِيمَ ، وَأَسْتَوْجَبَ مِنَ الصَّدَقَاتِ الْعَمِيمَةِ نِهَایَةَ التَّكْرِيمِ .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوِظِيفَةَ مَبَاشَرَةً حَسَنَةً الْآثَارِ ، جَمِيلَةً الْإِيرَادِ وَالْإِصْدَارِ ؛ نَازِلًا بِقَلَمِهِ
الْحِسَابِ عَلَى أَنْوَاعِهِ ، مُحْكِمًا لَهُ عَلَى سِدَادِ أَوْضَاعِهِ ؛ وَلْيُطْلِعْ شَمْسَهُ فِي سَمَاءِ هَذِهِ الْوِظِيفَةِ ،
وَلْيَجْنِ مِنْ رَوْضِهَا الْأَرِيضِ كُلَّ يَانِعَةٍ لَطِيفَةٍ ؛ وَلْيَعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ بَوَادِرُ خَيْرٍ سَرَتْ إِلَيْهِ ،
وَمَسَاوِغُ نَعِيمٍ حُلِمَتْ عَلَيْهِ ؛ وَأَنَّ الصَّدَقَاتِ الْعَمِيمَةَ لَا بُدَّ أَنْ تُؤْلِيَ بِهَا بَعْدَ ذَلِكَ بَرَاءً ،
وَتَرَادَفَ عَلَيْهِ تَتَرَّى ؛ وَتَعْلَى لَهُ بَيْنَ رِقَاقِهِ الْمَرْفُوقِينَ قَدْرًا ؛ وَمِثْلُهُ لَا يُبْنَى عَلَى وَصِيَّةٍ ،
لَا دَانِيَةٍ وَلَا قَصِيَّةٍ ؛ لَكِنِ التَّقْوَى لَا بُدَّ مِنْهَا ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُغْفَلَ عَنْهَا ؛ فَلْيَجْعَلْهَا
أَعْتَادَهُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ ، وَلْيَتَنَاوَلَ مَعْلُومَهُ الْمَقْرَّرَ لَهُ عَلَى الْوِظِيفَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي غُرَرِ
الشُّهُورِ ؛ وَاللهُ تَعَالَى يَضَاعِفُ لَهُ بِمَضَاعِفِ الصَّدَقَاتِ عَلَيْهِ أَوْقَاتَ الشُّرُورِ ، وَيَقِيهِ
بِلُطْفِهِ كُلَّ مَحْذُورٍ .



تَوْقِيعُ بِنظَرِ بَهْشَنِي ، مِنْ عَمَلِ حَلَبَ ، كُتِبَ بِهِ لِفَتْحِ الدِّينِ « صَدَقَةُ بْنُ زَيْنِ الدِّينِ » ،
عَبْدُ الرَّحِيمِ الْمَصْرِيُّ ، « بِالْمَجْلِسِ السَّامِيِّ » ، وَهُوَ :

رُسم بالأمر - لازالت صدقاته المقيمة تفتح لأولياء خدمته أبواب الخيرات ، ولا برحت تُهدى إليهم أنواع الممرات - أن يستقر في وظيفة النظر بمدينة بهشي المحروسة عوضاً عن بها ، بالمعلوم الذي يشهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت ، على العادة في ذلك والقاعدة ، استقراراً يسر خاطره ، ويُقر ناظره ؛ لأنه الماهر في صناعته ، والرائج في متاجر بضاعته .

فليأثر هذه الوظيفة مباشرة حسنه ، لتصبح الأئمة بئسها مُعلمه ؛ ويُصرف قلمه فيما يعود نفعه عليه ، وليجتهد فيما يستجلب الأئمة إليه ؛ وليقيض معلومه أوان وجوبه هنياً ، وليتناوله بيد استحقاقه مرياً ، والوصايا كثيرة وهو - بحمد الله تعالى - غير محتاج إليها ، لأنه الفاعل لها والدال عليها ؛ وتقوى الله تعالى عما دُعا ، وبه قوامها وسنادها ؛ فليتمسك بسببها في الحركات والسكنات ، والله تعالى يُهيئ له أسباب الممرات .



توقيع بكتابة الإنشاء ونظر الجيش بدبركي ، كتب به للقاضي شهاب الدين « أحمد ابن أبي الطيب العمري الثماني » ، بـ « الجتاب الكريم » ، وهو :

رُسم بالأمر - لازال يحمل الثغور بمن تزهو برحيق كلمة الطيب [المناصب] ، ويكمل محاسنها بمن لم تزل الصُحف تقود من جياذ فضله أجمل جنائب ، وجباها شهاب يُهتدى إلى المقاصد بتجم رأيه الناقب ؛ وسرها بكل ندب لم تزل كتبه تُرد من الدُطار الكتّاب - أن يستقر في وظيفة كتابة الإنشاء الشريف والجيش المنصور بدوركي المحروسة ، عوضاً عن فلان ، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر

(١) لفة في دبركي كاسلف قريبا وتقدم في ج ٤ ص ١٣٢ من هذا المطبوع .

وقيت . لأنه من يئت رُفِعَ عِلْمُ قَدْرِهِ عَلَى السَّعَائِبِ ، وَأَنْتَصَبَتْ رَأْيُهُ أَرَائِهِمْ بِالْتِمِيزِ
فِي مَوَاقِبِ الْعِزَّةِ عَنِ الْمَوَاكِبِ ، وَأُضِيفَ إِلَى تَجْمِيدِهِمْ شَرُفُ الْكَمَالِ فَانْجَبَرَّ بِالإِضَافَةِ
ذَيْلُ تَجْمِيدِهِمْ عَلَى الْكَوَاكِبِ ، وَجَزَمَ أَوَّلُو الْفَضْلِ بِنَسِبَتِهِمْ إِلَى الْمَعَالَى فَخَازُوا قَصَبَهَا
أَسْتَحْقَاقًا وَمَا زَاخَمُوا عَلَيْهَا بِالْمَنَاقِبِ ؛ وَأُسِّسَ أَصْلُهُ عَلَى عِمَادِ شَرَفِ «الْفَارُوقِ»
و«ذِي الثُّورَيْنِ» فَفُتِحَ عَلَى أَكْلِ تَنَاسُلٍ بِتَنَاسُبٍ .

النيابة الثالثة

(مما يكتب من التواقيع بالولايات عن تواب السلطنة بها - نيابة طرابُلُس)

وهي على ما تقدم في دِمَشْقَ : من تقسيمها إلى تواقيع أرباب السيوف ، وتواقيع
وظائف أرباب الأقلام الدينية ، وتواقيع أرباب الوظائف الدنيوية ، وأرباب
الوظائف بمشيخة الأماكن وغيرهم ، وتقسيم ذلك إلى ما يفتح بـ «الحمد لله» ، وما يفتح
بـ «أما بعد حمد الله» ، وما يفتح بـ «رُسم بالأمر» .

وهذه نسخ تواقيع من ذلك :

نسخة توقيع بشد الدواوين بطرابُلُس ، كُتِبَ بِهِ لِصَلَاحِ الدِّينِ «صَلَاحِ الْحَافِظِي» ،
بـ «الجناب الكريم» ، وهي :

الحمد لله الذي أَيْدَى هَذِهِ الدَّوْلَةَ وَسَدَّدَهَا بِأَنْوَاعِ الصَّلَاحِ ، وَعَمَّرَ الْعَالَمَ بِعُدْلٍ سُلْطَانَهَا
وَجَعَلَ أَيَّامَهُ مَقْرُونَةً بِالنَّجَاحِ ، وَأَقَامَ لِتَدْيِيرِ الْمُلْكَةِ [كل] كُفَّءَ كَافٍ مَشْهُورٍ بِالْيَقِينِ
وَالْفَلَاحِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الْغَامِرَةِ فِي الْمَسَاءِ وَالصَّبَاحِ ، وَنُشْكِرُهُ عَلَى آلَانِهِ فِي كُلِّ غَدُوٍّ وَرَوَاحٍ ،
وَنُشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً خَالِصَةً ضَوْئِيَّةً كَالْمِصْبَاحِ ،

وَأَنَّ سَيِّدَنَا بِجَدِّ عَبْدِ وَرَسُولُهُ أَشْرَفُ مِنْ أَصْطَفَاهِ وَأَرْسَلَهُ بِالذِّينِ الْحَنِيفِيَّ فَبَشَّرَ
وَأَنْذَرَ حَلَّ وَحَرَّمَ ... (١) ... وَأَبَاحَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ صَلَاةً دَائِمَةً
مُسْتَمِرَّةً مَا حَيَّلَ الدَّاعِي إِلَى الْقَلَاحِ .

وبعدُ ، فَإِنَّ أَوْلَى الْأَوْلِيَاءِ بِمُضَاعَفَةِ الْإِحْسَانِ ، وَأَنْ يَمْلَأَ لَهُ فِي الْمَكَانِ وَالْإِمْكَانِ -
مَنْ حُرِفَ بِأَجَلِ الْمُبَاشَرَاتِ فِي الْفُتُوحَاتِ ، وَأَشْهَرَ فِيهَا بِالْكَفَايَةِ وَالصِّيَانَةِ وَجَمِيلِ
التَّدْيِيرِ وَحُسْنِ الصِّفَاتِ .

وَلَمَّا كَانَ فَلَانُ هُوَ الْمُتَفَرِّدَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْحَسَنَةِ ، وَأَتَمَّقَتْ عَلَى نُعُوْتِهِ الْجَمِيلَةِ
الْأَلْسِنَةِ ، وَالْوَحِيدَ بِهَذِهِ السَّجَايَا ، الْفَرِيدَ بِشَرَفِ الْمَزَايَا ، عَقِدَتْ الْخِطَابَ عَلَيْهِ ،
وَأَقْتَضَتْ الْآرَاءُ أَنْ يَسْتَدَ تَدْيِيرُ الْمُلْكَةِ إِلَيْهِ : فَإِنَّهَا لَمْ تَجِدْ لَهَا كُفَاءً غَيْرَهُ ، وَلَا مَنْ
يَجْمَعُ شَمْلَ شَتَاتِ أَقْوَالِهَا وَلَمْ يَفْرِطْ مَقَالِ ذَرَّهُ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لِأَزَالِ يَنْتَبِئُ لِتَدْيِيرِ الْمَالِكِ كُلِّ كُفَيْهِ كَافٍ ، وَيُورِدُ أَوْلِيَاءَهُ
مِنْ مَوَارِدِ إِحْسَانِهِ مَوْرِدًا عَذْبًا صَافٍ - أَنْ يَقَوِّضَ إِلَى الْجَنَابِ الْكَرِيمِ - أَدَامَ اللَّهُ
عُلُوَّ قُدْرِهِ ، وَأَيْدِيَهُ بِالْمُعُونَةِ فِي أَمْرِهِ - شَدُّ الدَّوَاوِينِ الْمَعْمُورَةِ بِالْمُلْكَةِ الطَّرَابُكُوسِيَّةِ ،
بِالْمَعْلُومِ الْمُسْتَقَرِّ ، الشَّاهِدِ بِهِ الدِّيَوَانُ الْمَعْمُورُ إِلَى آخِرِ وَقْتِ ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ .



وهذه نسخة توقيع بالاستمرار في شَدِّ الدَّوَاوِينِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَرَنَ الشَّدَّةَ بِالْفَرَجِ وَجَبَّ بَعْدَ الْإِنْكَسَارِ ، وَأَمْتَحَنَ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ
مِنَ الْحَيْنِ لِيَعْلَمَ الصَّادِقِينَ فِي الْأَصْطِطَارِ ، وَأُطْلِعَ فِي أَفْقِ الْمُلَا سَعَدِ السُّعُودِ سَاطِعًا

(١) بياض بالأصل ولعله : وحظر وأباح ، الخ .

بالتور بعد ما غار ، وجمع لمن أقطع به جبل الرباء من الخلق فتوكل عليه بين نيل
المطلوب وتمحيص الأوزار .

نعمه وفي حماده تطيب الآثار ، ونسكه على ما أسبل من النعم الغزار ؛ ونشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله كشف النعم بعد ما غم القلوب وغطى على
الأبصار ، وفرج الهم ، وقد كان أدغم ، وأظلمت منه النواحي والأقطار ؛ ونشهد
أن محمدا عبده ورسوله المصطفى المختار ، سيد ولد آدم في الدنيا وسيدهم في دار
القرار ، صلى الله عليه وعلى آله الأطهار ، وصحابة الأخيار ، ما أظلم ليل وأضاء نهار .

وبعد ، فإن الله تعالى لطف بهذه الدولة المعظمة في المقام والسير ، فما مضى
لأحد معها يوم سرور إلا والذي من بعده خير ؛ ونصب خيام عدلها على الخلق
وشرع أطناها ، ورغب العباد في فضلها العميم وفتح لهم بابها ؛ وجعلها كاشفة
للكروب المويجة للحر والضيقة ، راشفة من خزائن ملكه ومعادن نصره كأس
رحيق ؛ تصل بقوة وتقطع ، وتفرق بارادته وتجمع ؛ ثم جعل المال نظام ملكها
القويم ، وقوام سلكها النظيم ؛ به تمضي أوامره ونواهيها ، وتجري على السداد بما
يحب ويرضيه ؛ فتعين إعداد من يقيم بعزمه عمده ، ويقعد من أخذ منه بغير استحقاق
من أقعد الدين زنده ؛ وقدّر الله تعالى في هذا الوقت ما قضاه ، وفقد حكمه فيمن
خرج عن طاعته وأمضاه ؛ فلم تبقى مملكة إلا ومساها وأهلها الإضرار ، ولا بقعة
إلا ولحق أهلها بأس أولئك التجار ؛ فادرك اللطف الإلهي ممالك الإسلام ، وحل
الركاب الشريف بأرض الشام ، فكان بردا وسلام ، ونجا المخلص وهلك الناكث
الناكل بقدوم سلطان الإسلام ؛ خلد الله ملكه [ليقنف] بالحق على الباطل ، وأيد
الله دولته الشريفة بعونه المتواصل .

وكان فلان له مباشراتٌ عديده ، وتأثيراتٌ حميده ، وآخر ما كان في وظيفة شدّ الدواوين بطرابلس : فباشرها مباشرةً جميلةً الأثر ، مشكورةً السير عند من ورد وصدر ، ودبر مهماتٍ يصحّز عن حصرها أولو العقول والفكر ؛ وحصل للديوان المعمور أموالاً كالطوفان ولكن بلا غرق ، واستحجب منها كيف حصرتها الأقلام أو وسعها الورق ! ؟ ؛ والذي كان بوظيفة الشدّ الآن زاهدٌ عنها ، ليس له رغبةٌ فيها ولا في شيء منها .

فتعين إعادة الجناح القلاني إليها . ورسم بالأمر - لا زالت أيام دولته الشرفه تُصلح الشأن ، وتعيد الخير إلى ما كان - أن يستقر

فليعد إليها عود الحسام إلى غنمه ، والماء إلى منهل ورده ؛ وليباشرها بمباشرتها المعروفة ، وعزائمه المألوفة ، وهدمه الموصوفه ، مُسترفعاً المتحصل ومصرفه ؛ وليتحقق أن الله تعالى سيصل رزقه فلا يوجس في نفسه خيفه ، وليجعل تقوى الله تعالى دأبه في كل قضيةٍ ثقيلةٍ كانت أو خفيفة ، والله تعالى يمده بالطافه المطيفه ؛ بمته وكرمه .



وهذه نسخة توقيع ببقابة العساكر بطرابلس :

الحمد لله الأول بلا آخر ، الغني في ملكه عن الناصر ، المتزه في سُلطانه عن المؤازر ، المتوحد بعدم الأنساب والنظار ، المبيد لكل مظاهر البناد مجاهر ، العليم بما تكنه الأفكار ومجنه الضمائر ، الرقيب على كل ما تردد من الأحوال بين سوادى القلب والنظر .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً خالصةً يرغم بها كل جاحد وكافر ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث والشرک مدتهم الديار ، والرشد

قد حَيَّم عليه الضَّلَالُ لما له من قُوَّةٍ ولا نَاصِرَ ، فأقام به الدِّينَ الحَنِيفِيَّ النَّبِيَّ الرَّاهِرَ ،
ورَفَعَ ذِكْرَهُ في سائرِ الأقطارِ والأَمْصارِ على رُؤُوسِ المنابرِ ، صَلَّى اللهُ عليه وعلى آلِهِ أَهْلِ
المكارمِ والمآثرِ ، ما حَمَدَ السُّرَى عند الصُّباحِ سائِرَ ، ونَحَمَدَ شَرُّ الشَّرِّ بِكُلِّ مُناضِلٍ
ومناظرٍ ، وسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعدُ ، فإنَّ أَوَّلِيَّ مَنْ سَيِّقَتْ إِلَيْهِ وَقُودَ النَّعْمِ ، وَمُنَحَّ مِنَ الخِطراتِ أَجَزَلَ الْقِسَمِ ؛
وَعُدَّتْ الأُمُورُ بِمِزَانِهِ ، وَأَعْتَمِدَ على هِمَّتِهِ التي هي في المَضْيَةِ كَأَمِينَتِهِ وَصَوَامِرِهِ ؛
وَرُغِيتْ عُهُودُ وَلَايَةِ التي لا تُشْكَرُ ، وَوُصِفَتْ مَسَاجِدُهُ التي أَسْتَحَقُّ أَنْ يُعْمَدَ بِهَا
وَيُشْكَرَ - مَنْ إِذَا حَوَّلَ عَلَيْهِ في المُهِمَّاتِ كَفَاها ، وَإِذَا أَسْتَطَبَّتِ المُعْضَلاتُ بِهِ
شَفَاها ؛ وسارتْ أنباءُ مهابته غُورًا وَنَجْدًا ، وَأَتَصَفَّ بِمُحَسَّنِ التَّدْيِيرِ الذي عليه من
الإقبالِ أَكْمَلُ إِجْدَا .

ولمَّا كانَ فلانٌ هو الذي تَنَاقَلَتْ تَبَاشِيرُ أخبارِهِ الرُّبُكُانِ ، وَأَفْخَى على شَهَامَتِهِ السَّيْفِ
والسَّانِ ؛ وَشَرَفَتْ بِمُحَاسِنِهِ الأَقْلَامُ ، وَارْتَفَعَ ذِكْرُهُ بالشَّجَاعَةِ على رُؤُوسِ الأَعْلَامِ .

فلذلك رُسمَ ... - لا زالَ للدِّينِ الحَنِيفِيِّ ناصِرًا ، والأَعْدَاءُ قَامِعًا قَاهِرًا ، وَلِالحَقِّ
مُؤَيَّدًا باطنًا وظاهرًا - أَنْ يَسْتَقِرَّ الجَنابُ العالِي المَشارُ إِلَيْهِ أميرُ قُقباءِ العساكرِ المَنْصُورَةِ
الطَّرابُلسِيَّةِ ، عِوَضًا عَمَّنْ كانَ بِها ، على عادَتِهِ وقاعدَتِهِ ؛ لِأَنَّهُ الحَبْرُ الذي صُقِدَتْ على
خَبَرَتِهِ الخِناصِرُ ، وَوَرِثَ الشَّهامةَ كَارِيًا عن كَارِيٍّ ، وَأَفْخَى بِتَدْيِيرِهِ وإِخْراجِ النُّورِ ، شَاهِدًا
لَهُ بِهِ العَيْنُ والبَصَرُ ؛ إِنَّ جالِينَ صُفُوفِ العساكرِ كانَ أَسَدًا ، وَإِنْ رَتَّبَ جُيُوشَها
أَحْصاها حِلْيَةً وَعَدَدًا .

فليباشِرْ هِذِهِ الوَظيفَةَ مَحَرَّرًا أَحْوالَ العساكرِ المَنْصُورَةِ ، مَقَرَّرًا لَهم في مَنازِلَهم على
أَكْمَلِ عادَةٍ وَأَجْمَلِ صُورَةٍ ؛ بِمُناصِحَةٍ صُحَّحَ بِمَسْكُها ، وَمُخالَصَةٍ قامَ مَقامَ واسِطَةِ جِوهرِ

سَلِكُهَا ، وَمُلَازِمَةِ خِدْمَةِ تَأَزَّرَتْ بِهَا أَنْطَافُهُ ، وَصَفَاءِ طَوِيلَةِ شَرَفَتْ بِهَا أَوْصَافُهُ ؛ وَحِجَّةٍ عَنَلِ جَمَعَ فِيهَا بَيْنَ قَوْلِهِ وَفَعْلِهِ ، وَإِخْلَاصٍ يَحْسُنُ بِالْمَرْءِ أَنْ يَكُونَ مُلْتَحِقًا بِظِلِّهِ : لِكَيْ يُثِمَّ اللَّهُ النَّعَمَ عَلَيْهِ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ ؛ وَلِيَقْصِدَ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى فِي هَذَا الْأَمْرِ ، لَا رِضًا زَيْدٌ وَلَا عَمْرُو ؛ وَاقَهُ تَعَالَى يَتَوَلَّاهُ فِيمَا تَوَلَّاهُ ، وَالْإِعْتِمَادَ فِي ذَلِكَ عَلَى الْخَلْقِ الْكَرِيمِ أَهْلَاهُ ، حِجَّةٌ بِمُقْتَضَاهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة توفيق بنقابة الأشراف بطرابلس بـ «المجلس السامي» باليه ، وكُتِبَ فيه «القضائي» على خلاف الأصل ، وهي :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَ يَرْفَعُ لَدَوَى الْأَصَالَةِ الشَّرِيفَةِ قَدْرًا ، وَيُنْقِلُهُمْ إِلَى الرَّتَبِ السَّنِيَةِ وَيُعَلِّمُهُمْ ذِكْرًا ، وَيُسَمِّلُهُمْ مِنْ إِحْسَانِهِ بِمَا يَسِرُّهُمْ قَلْبًا وَيَشْرَحُ صُدْرًا ؛ وَيُلَفِّغُهُمْ مِنَ الْمَارَبِ أَوْفَاقًا ، وَمِنْ مَلَابِسِ الْقَبُولِ أَجْلَهَا وَأَسْنَاهَا - أَنْ يَسْتَقِرَّ فُلَانٌ - أَدَامَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ - فِي تَقَابَةِ السَّادَةِ الْأَشْرَافِ بِالْمُلْكَةِ الطَّرَابُطِيَّةِ ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ عَادَتِهِ فِي ذَلِكَ : اسْتِقْرَارًا جَارِيًا فِيهِ عَلَى أَجْلِ الْعَادَاتِ ، وَأَعْتَادًا عَلَى مَا عَهِدَ مِنْ سَلَفِهِ الشَّرِيفِ الذَّاتِ ؛ وَرِضَايَةً لَهُ فِي تَجْدِيدِ الْمَسَارِ ، وَتَرْجِيحًا لِمَا أَشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ حُسْنِ الْكِفَايَةِ فِي كُلِّ لِمَارٍ وَإِصْدَارٍ ؛ وَرِفْعَةً لِيَدِهِ الْبَاسِطَةِ عَلَى أِبْنَاءِ جِنْسِهِ ، وَتَقْوِيَةً يَجِدُّ أَرْهَافًا فِي مَعْنَاهُ وَحِسَّهُ ؛ رَتْمًا يَسْتَوْجِبُ بِهِ النَّعْمَ الْجَزِيلَةَ ، وَوَلَايَةً تُؤَلِّسُهُ مِنَ الْكَرَمِ سُؤْلَهُ ، وَعِنَايَةً تُضَيِّحُ بِهَا رُبُوعُ أُنْسِهِ مَاهُولَهُ ؛ لِأَنَّهُ أَوْلَى أَنْ يُقَرَّرَ فِي هَذِهِ الْوُظُفَةِ وَيُزَادَ ، وَأَحَقُّ أَنْ يُرْعَى لِمَا سَبَقَ لَهُ مِنَ السَّدَادِ ، وَأَجْدَرُ أَنْ لَا يُضَاعَ حَقُّهُ حَيْثُ لَهُ إِلَى رُكْنِ الشَّرَفِ الْمُتَيْنِ اسْتِنَادٌ .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوُظُفَةَ الْمُبَارَكَةَ مَهْضُومًا أَمْلَهُ فِي الْمَزِيدِ ، مَتَوَطًّا رَجَاؤُهُ فِي نِعْمَتَا بَاسْتِنَائِهِ وَتَجْدِيدِهِ ، مَحَوَّطًا مَا بِيَدِهِ مِنْ كَرَمَتَا الْعَدِيدِ ؛ وَهُوَ غَنَى أَنْ نُفَتِّحَ لَهُ الْوَصَايَا

وَنُعِيدُ، مَلِيٍّ بِحَسَنِ السَّجَايَا الَّتِي جُيِّبَتْ عَلَى التَّحْقِيقِ وَالتَّوْفِيقِ وَالتَّسْدِيدِ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُطَوِّقُ بِمَنْ جُودِنَا مِنْهُ الْجِدَّ، وَيُعِدُّ لَهُ سَحَابَ رِقْدِنَا الَّتِي تُجْرِيهِ عَلَى مَا أَلْفَ مِنْ فَضْلِهَا الْعَدِيدِ؛ وَالْعَلَامَةُ الشَّرِيفَةُ - أَعْلَاهَا اللَّهُ تَعَالَى - أَعْلَاهُ، حُجَّةٌ بِمَقْتَضَاهُ .



وهذه نسخة توقيع بشد الشواني بطرابلس، كُتِبَ بِهِ لِعَلَاءِ الدِّينِ «أيد غمش» وهى :
رُسم ... - لَزَالَتْ أَيَّامُهُ، قَائِمَةٌ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَعْلَامُهُ، حَائِمَةٌ عَلَى أَلْتِقَاطِ مَهْجِ الْعِدَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا يُقَرِّبُ لَهُمُ الْأَجَلَ - أَنْ يَسْتَقِرَّ فُلَانٌ فِي شَدِّ الشَّوَانِي الْمَعْمُورَةِ الْمَنْصُورَةِ عَلَى الْعَادَةِ فِي ذَلِكَ، بِهَيْئَتِهِ عَلَيْهِ، وَعِزَّتِهِ الَّتِي هِيَ بِلُغِ الْمَقَاصِدِ مَلِيَّةٌ؛ وَشَهَامَتِهِ الَّتِي تُرْهِبُ الْعِدَا، وَشَجَاعَتِهِ الَّتِي تُلِيْسُهُمْ أَرْضِيَّةَ الرَّدَى؛ وَبَسَاتِيهِ الَّتِي تُبْسِلُهُمْ فِي الْبَحْرِ فَتَصِيرُهُمْ كَالْأَسْمَاكِ لَا يُسَامُ لَهُمْ صَدَى .

فَلْيَجْتَهِدْ فِي ذَلِكَ جِدَّ الْأَجْتِهَادِ، وَلْيُعِدِّ فِيهِ السَّدَادَ وَالسَّدَادَ؛ وَلْيُوقِظْ أَجْفَانَ سَيْوْفِهِ مِنَ الْغَمَضِ، وَلْيُرْهِبِ الْعِدَا بِشِدَّةِ وَطْأَتِهِ الَّتِي لَهَا الثَّبَاتُ فِي الْأَرْضِ؛ وَلْيَلْزِمِ مُوَاطَظَةَ الشَّوَانِي لَيْلاً وَنَهَاراً، وَلْيَكُنْ هُوَ وَمَنْ حَوْلَهُ لِمَنْ بِهَا أَنْصَاراً؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُجْزِلُ لَهُ مَبَاراً، وَيَرْفَعُ لَهُ مِقْدَاراً، بِمَنْتِهِ وَكَرَمِهِ .



وهذه نسخة توقيع بشد دار الضرب، كُتِبَ بِهِ لِدَعْلَاءِ الدِّينِ الدَّوَادَارِ، وهى :
رُسم ... - لَزَالِ إِحْسَانُهُ يُجُودُ عَمَاماً، وَقَضَلُهُ الشَّامِلُ عَلَى الْأَوْلِيَاءِ الْمُتَّقِينَ إِمَاماً، وَبَحَائِبِ رِكَرْمِهِ هَامِيَّةٌ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، هَامِلَةٌ عَلَى أَصْفِيَائِهِ، فَتَرَاهُمْ يَحْرُونَ لِلْأَذْقَانِ مُجْعَدًا وَيَنْتَصِبُونَ قِيَاماً - أَنْ يَسْتَقِرَّ الْمَشَارُ إِلَيْهِ فِي شَدِّ دَارِ الضَّرْبِ : إِمَاعَةٌ لَهُ عَلَى الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ، وَإِرْقَادًا لَهُ بِمَعْلُومِهَا إِذْ هِيَ لَيْسَتْ لَهُ بِوُظُفِيهِ؛ لِأَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ قَدَرًا،

وَأَحَقُّ بِكُلِّ مَنَزَلَةٍ عَلَيْهِ وَأُخْرَى ؛ وَلَكِنْ هَذِهِ الْجَهَةُ هِيَ قَانُونُ الْمُعَامَلَةِ ، وَسَكُنُهَا بِشِعَارِ الْمُلْكِ مُتَّصِلَةٌ وَبَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فَاصِلَةٌ ؛ وَمِنْهَا الثَّقُوشُ الَّتِي هِيَ رُسْتَاقُ الْأَرْزَاقِ ، وَصَدْرُ كُلِّ إِطْلَاقٍ وَقَنْدَاقٍ ؛ حَكِيمٌ مَا أُرْسِلَ فِي حَاجَةٍ إِلَّا وَأُذِنَ لَهَا بِالنَّجَاحِ ، وَلَا أَسْتَوْثَمُ عَلَيْهِ أَمْرٌ إِلَّا بِإِذْنِ الْإِمَامِ إِلَّا وَحَقُّ لَهُ [الْإِتِّصَافُ] بِالْمَصْلَاحِ وَالْفَلَاحِ ؛ هَذَا وَهُوَ فِي الْأَصْلِ مَذْمُومٌ ، وَطَالِبُهُ مَحْرُومٌ : لِأَنَّهُ مَقْسُومٌ ، وَالْأَجَلَ مَحْتُومٌ ؛ وَلَكِنْ تَطْهِيرُهُ مِنَ الدَّنَسِ وَاجِبٌ ، وَالْحَسْبَةُ فِي عِبَارِهِ حَتَّى يَغْدُو وَبُودُنُ صِفَاتِهِ مِنَ النَّفْسِ نَاضِبٌ .

فَلْيَعْتَمِدِ الْمَشَارُ إِلَيْهِ فِي شِدَّةِ هَذِهِ الْجَهَةِ حُسْنَ التَّقْوَى وَيُلَاحِظْ بَعْزُهُ أُمُورَهَا لِتَكُونَ عَلَى السَّدَادِ ، وَيَعْتَمِدَ عَلَى السَّيِّدِ النَّاطِرِ فَإِنَّهُ نِعْمَ الْعِيَادُ ، وَيُقَرَّضُ إِلَيْهِ كَشَفُ الرُّبَايِصِ وَحَكِّ الْعِيَارِ فَهُوَ بِهِ أَذْرَى وَأُخْرَى وَأَذْرَبُ بِإِنْحَاضِ غِشِّ النَّسَادِ ، وَلِيَتَنَاوَلَ مَعْلُومَهُ الْمُقَرَّرَ لَهُ عِنْدَ الْوُجُوبِ وَالْإِسْتِحْقَاقِ ، هُنَا مُبَسَّرًا خَالِصًا مِنَ التَّنَازُعِ وَالشَّقَاقِ ، وَمِثْلُهُ فَلَا يُدَلُّ عَلَى [صَوَابِ] : إِذْ تَقْوَى اللَّهُ تَعَالَى كَلِمَةُ الْفَصْلِ وَفَصْلُ الْخِطَابِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُهَا لَنَا وَلَهُ زَادًا وَحِرْزًا ، وَذُنْخًا يَوْمَ الْمَعَادِ وَرِزْقًا .



وهذه نسخة توقيع بِشَدِّ الْبَحْرِ مِمَّنَا طَرَابُلُسَ ، وَهِيَ :
رُسم بِالْأَمْرِ - لَا زَالَ سَيْفُهُ قَاطِعًا مِنَ الْأَعْدَاءِ نَحْرًا ، وَأَمْرُهُ نَافِلًا بَرًّا وَبَحْرًا ، وَفِعْلُهُ صَالِحًا دُنْيَا وَأُخْرَى - أَنْ يَسْتَقِرَّ الْجَنَابُ الْمَشَارُ إِلَيْهِ فِي شِدَّةِ مِينَا الْبَحْرِ بِطَرَابُلُسَ .
فَلْيُبَاشِرْ هَذِهِ الْوُظَيْفَةَ شَارِحًا لَهَا صَدْرًا ، فَاتِّحَا لَهَا بِحُسْنِ مُبَاشَرَتِهِ الْجَمِيلَةِ بَصْرًا وَفِكْرًا ، بِاعْتِنَا لَهَا فِي الْآفَاقِ بِمُبَاشَرَتِهِ ذِكْرًا جَمِيلًا ، بِاحْتِنَا عَمَّا يَتَعَلَّقُ بِمُتَحَصِّلِ الْمِينَا

المعمورة بُكَرَةً وَأَصِيلًا؛ مُسَوِّيًا بَيْنَ النَّاسِ فِيهَا رَزَقَ اللَّهُ وَقَعَ ، وَبَعَثَ مِنْ فَضْلِهِ
وَمَتَّحَ ، بِحَيْثُ لَا يَقْتُلُ عَزِيزًا وَلَا يُؤْخِرُ ذَلِيلًا ، وَلَا يُرَاعِي فِي ذَلِكَ صَدِيقًا
وَلَا خَلِيلًا .

وَلْيَقْدَمْ خَوْفَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى خَوْفِ خَلْقِهِ ، وَلْيَسَوِّينِ الضَّعِيفَ وَالْقَوِيَ فِيهَا
بَسْطَ اللَّهُ مِنْ رِزْقِهِ ؛ وَآكَدَ مَا نُوصِيهِ بِهِ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِيهَا هُوَ بِصَدَدِهِ ، فَلْيَجْعَلْهَا
فِي أُمُورِهِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ مِنْ عُدَدِهِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَقْدُمُهُ فِي مَبَاشَرَتِهِ لَا قَتْنَاءَ تَحَاسِنِ
الْمَعْرُوفِ وَزُيْدَهُ ، وَيَرْزُقُهُ مِنَ الْأَجْرِ عَلَى مَا يَعْمَلُهُ مِنَ الْخَيْرِ مَعَ تُجَارِ هَذَا الْبَحْرِ بِمَا هُوَ
أَكْثَرُ مِنْ زَيْدِهِ .



تَوْقِيعُ كَرِيمٍ بِنَايَةِ اللَّاذِقِيَّةِ ، مِنْ إِنْشَاءِ الْقَاضِي تَاجِ الدِّينِ بْنِ الْبَارِنَابَرِيِّ ، كَتَبَ بِهِ
لـ «شَمْسِ الدِّينِ» ابْنِ الْقَاضِي ، بِـ «الْجَنَابِ الْعَالِي» ، وَهُوَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي زَادَ «شَمْسَ» الْأَوْلِيَاءِ إِشْرَاقًا ، وَمَتَّحَهُ فِي هَذِهِ الدُّوَلَةِ الشَّرِيفَةِ إِرْفَادًا
وإِرْفَاقًا ، وَصَانَ الثُّغُورَ المحروسةَ بِعِزَاتِهِ الَّتِي سَرَّتْ قُلُوبًا وَأَقْرَبَتْ أَحْدَاقًا ، وَجَدَّدَتْ
لِأَوْلِيَائِهَا مِنْ مَوَاهِبِهَا عَطَاءً وَفَاقًا .

لِحَمْدِهِ عَلَى حُكْمِهِ وَفِعْلِهِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تَمُنُّحُ
قَائِلُهَا مَزِيدَ فَضْلِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَيْدَهُ اللَّهُ بِمَلَائِكَتِهِ
الْمُقَرَّبِينَ ، وَشَدَّ أَرْزُهُ مِنْ أَصْحَابِهِ بِالْآبَاءِ وَالْبَنِينَ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَوَحَّجَهُ
أُمَّةَ الدِّينِ ، صَلَاةَ تَمُنُّحُ قَائِلُهَا غُرَفَ الْحَنَانِ (وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقِيَيْنِ) وَسَلَّمُ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .
وَبَعْدُ ، فَإِنَّ مِنْ شَيْءٍ هَذِهِ الدُّوَلَةُ إِذَا بَدَأَتْ تَعُودُ ، وَإِذَا نَظَرْتَ تَجُودُ ، وَإِذَا
قَدَّمْتَ وَلِيًّا لِحَقَّتْهُ بِأَصْنِ السُّعُودِ .

وكان الجَنَابُ العَالِي - أَدَامَ اللهُ نِعْمَتَهُ - عَيْنَ الْقِلَادَةِ ، وَبَيْتَ السِّيَادَةِ ، وَمَعْدِنَ السَّعَادَةِ ؛ وَأَهْلًا أَنْ يُدَبِّرَ الْأُمُورَ ، وَيُسَدِّ الثُّغُورَ ؛ وَنِيَابَةَ الْأَذْيَاقَةِ بِمَجَاوِرَةِ الْبُحُورِ ، وَجَزِيرَةِ الْعُدُوِّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهَا نَهَارُ فَهَى فِي أَمْرِهَا لَهُ قَاعِدَةٌ فِي النُّحُورِ ؛ وَقَدْ رَأَيْنَاهُ أَهْلًا أَنْ يَصُونَ نَحْرَهَا ، وَيَتَقَلَّدَ أَمْرَهَا ؛ وَيَحْفَظَ بَرَّهَا ، وَيُدْفَعَ شَرَّهَا .

فلذلك رُسمَ بالأمر - أَعْلَى اللهُ تَعَالَى شَرَفَهُ - أَنْ تُفَوَّضَ إِلَيْهِ نِيَابَةُ الْأَذْيَاقَةِ المحروسة ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَحَقُّمِهِ .

فَلْيَسِرْ إِلَيْهَا مِيرَ السَّمْسِ فِي أَبْرَاجِ شَرَفِهَا ، وَلْيُقْبَلْ عَلَيْهَا إِقْبَالَ الدَّرَةِ عَلَى التَّرَائِبِ بعد مُفَارَقَةِ صَدَفِهَا ؛ وَأَوَّلُ مَا تَأْتُرُهُ [بِهِ] : إِرْهَابُ الْعُدُوِّ بِالْعَدَةِ وَالْعَيْدِ ، وَإِعْطَارُ الْمَهَابَةِ فِي الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ ، وَتَقْدُّ الْأَيْزَاكِ بِنَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْكَالٍ عَلَى سِوَاهُ كَمَا يَفْعَلُ الْبَطْلُ الصَّنِيدُ ، وَلِيُخْلَعَ عَنْهُ مَلَأْسُ الْوُثْمِ وَلَيْسَ الْحَدِيدِ ، وَلِيُهْجِرَ الْمُضَاجِعَ وَيَتَّخِذَ ظَهْرَ جَوَادِهِ مَسْتَقَرَّهُ الْعَيْدِ ، حَتَّى يَنْتَشِرَ لَهُ صِيَتْ بَيْنَ أَهْلِ التَّلْيِثِ كَمَا أَنْتَشَرَ صِيْتُهُ بَيْنَ أَهْلِ التَّوْحِيدِ .

وَأَبْسَطُ بِسَاطِ الْعَدْلِ لِبَطَاءِ الْمَوَالِي وَالْبَعِيدِ ، وَأَحْكَمُ بِالْحَقِّ فَالْحَقُّ مُفِيدٌ وَالْبَاطِلُ مُبِيدٌ ، وَمَتَى تَسَامَعَ الثُّجَارُ بِعَدْلِكَ جَاءُوا بِالْأَصْنَافِ وَالْمَتَجَرِّ الْجَلِيدِ ، وَأَرْكَنَ إِلَى أَحْكَمِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ فَإِنَّهُ يَأْوِي إِلَى رُكْنِي شَدِيدٍ ، وَأَتَّقِ اللَّهَ تَعَالَى عَمَامَكَ فِيمَا تَرُومُ وَتُرِيدُ ، وَتَمَسَّكْ بِالسَّيْرِ الْحَسَنَةِ يَزِدُّكَ اللَّهُ رِفْعَةً وَأَنْتَ أَحَقُّ بِالْمَزِيدِ ، وَعَقِبَهَا نَسْتَجِزُكَ لِكَثْرَتِهَا شَرِيفًا مَقْرُونًا بِتَقْلِيدِ أَعْظَمَ مِنْ هَذَا التَّقْلِيدِ ؛ وَانْخُطُّ الْكَرِيمُ أَعْلَاهُ حُجَّةً بِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



تَوْقِيعُ بِنَايَةِ قَلْعَةِ حَصْنِ الْأَكْرَادِ ، كُتِبَ بِهِ لِشَهَابِ الدِّينِ «أَحْمَدُ النَّاصِرِيُّ» ،

وهو :

الحمد لله الذى أطلع فى سماء الدين شهابا، وفتح لمن خافه وأتاه إلى الخيرات
أبوابا، وجآه من إفضاله وألبسه من حُلل إعطاه وقمائه أثوابا .

نحمد على نِعَمِهِ التى أجزل لنا بِمَزِيدِ حَمْدِهَا أَنمًا وَثَوَابًا ، ونشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له شهادة تَقْطَعُهَا من النار حجابا، ونعتد بها فى الآخرة مَقَارًا حَدَائِقَ
وأعْثَابًا، وَكَوَاعِبَ أَثْرَابًا ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى شرفه على الأنبياء
مَنْصِبًا وَنِصْبًا، وَسَبَّحَ بِطَلْعَتِهِ وَطَلَعَتْهُ قُلُوبًا وَأَحْزَابًا، وَقَرَّبَهُ إِلَى أَنْ كَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ
وَأَسْمَعَهُ مِنْ لَدُنْهِ كَلَامَهُ خُطَابًا ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ : أَكْرَمَ بِهِ وَهَيْمَ
الْأَوَّاصِبَا ! ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد، فإنَّ أَوَّلَى مَنْ أَتَيْنَبَّ، لِحَفِظِ الْمَاعُوقِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَأَتَّقِيبَ، وَأُخْرَى مِنْ
لَحَظَتْهُ حَيٌّ عَيْنَانَا فَكَانَ إِلَيْهَا مِنَ الْعَيْنِ أَقْرَبَ، وَأَحَقَّ مِنْ اعْتِمِدَ عَلَى بَسَائِلِهِ
وإِلَالَتِهِ بِمَا سَبَرَ مِنَ الْأَثَامِ وَالْأَيَامِ وَجَرَّبَ - مَنْ عُرِفَ بِشَجَاعَةٍ أَيْنَ مِنْهَا عَمُرُو بْنُ
مَعْدَى، وَأَمَانَةٍ كَفَتْ حِينَ كَفَّتْ كَفَّ التَّعَدَّى، وَعِفَّةٍ جَعَلَهَا فِي أَحْوَالِهِ كُلِّهَا نَصَبَ
الْعَيْنِ، وَسِيَّاسَةٍ مَا زَالَ يُصْلِحُ بِهَا يَنْ ذَوَى الْمُسَاقِقَةِ ذَاتِ الْبَيْنِ ؛ وَكَانَ فَلَانٌ هُوَ
الْمَوْصُولُ الْمُقَدَّمُ، الْمَوْصُوفُ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الَّتِي مَرَّ السَّاحِلُ بِهَا فَتَهَمَّ .

فلذلك رُسمَ بالأمر - لا زال يُطْلَعُ فى آفاقِ الْحُصُونِ الْمُصُونَةِ شَهَابًا ، وَيَرْفَعُ
الْأَوَّلِيَاءَ بِإِحْسَانِهِ الَّذِي يُؤَكِّدُ لَهُمْ فى جُودِهِ أَسْبَابًا - أَنْ يَسْتَقِرَّ ^(١)
حَصْنِ الْأَكْرَادِ الْحُرُوسِ وَأَعْمَالِهَا، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ وَمُسْتَقَرِّ قَاعِدَتِهِ .

فليباشر ما وُلِّيَاهُ وَأَوْلِيَانَهُ : مُبَاشَرَةً تُسْفِرُ عَنْ حُسْنِ فِطْنَتِهِ وَذِكَايَتِهِ ، وَتُضَيِّقُ
الْآفَاقَ بِنُورِ شَهَابِهَا وَسَنَائِهِ ، وَتُظَاهِرُ مَعْرُوفَهَا الْمَعْرُوفَ بِعَدَمِ غَيْبَتِهِ وَخَفَائِهِ ؛ مُعْتَمِدًا

على الله تعالى في إبدائه وإنهائه ، شارحاً لكل قلب ألا أنه إحسانه بعد غفلته وجفائه ، ما يحا من بحر جوده وعدله بالذلل لا يحفائه ، مكرماً لمن بهذا المعقل : من أمرائه وأجناده وأغنيائه وفقرائه ، مقيماً لمنار الشريع الشريف الذي لا تستقيم الأمور إلا بتابعته وإبدائه ؛ وليظهر من شجاعته وبسالته ما لا فائدة في خفائه ، وليشهر سيفه ، في وجه من أظهر حيفه ، وعدم خوفه ، من سطوة ربه وكرامته .

وأعظم ما نوصيه به التقوى ، فإنه بملازمتها يقوى ، على دفع الشر وفعل الخير وإسديته ، والوصايا كثيرة وهو المحزب بالعمل بها لمن يرغب في استيلائه ، والله تعالى يحرق شهاب عدله كل مُتمرّد



وأعلم أنه ربما كتب توقيع نائب حصن الأكراد مفتحاً به «أما بعد حمد الله» . وهذه نسخة توقيع بناية حصن الأكراد ، كتب به باسم «شهاب الدين الجاكي» بـ«الجناب العالي» ، وهي :

أما بعد حمد الله الذي جعل شهاب الدين يتقل في مطالع سعده ، وجلد أبواب النعماء لمن قدّمت هجرته وظهر خيره فأعجز له الإقبال صادق وعده ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تبلغ قاطبها إنالة قصده ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أيده الله بنصر من عنده ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كانوا من أنصاره وجنّده ، صلاة دائمة يبلغ المؤمنين بها غاية رشد ، وسلم تسليماً كثيراً . فإن أولى من شمله إحسان هذه الدولة الشريفة وولّه مُراد ، وأجزل عليه النعم فكان أحق بها لحسن طويته فأجره الله على أحسن عاده ، وبلغه غاية التصد ومعدن السعادة . من سلك مسالك الأمناء الثقات ، وأشتهرت عنه العفة وحسن الصفات ، فعين قدّيمه وحقّريه إلى أجل ولايات الفتوحات .

ولما كان فلان - أدام الله عزّه ، وأنجح قصده - هو المنعوت بصفات السداد ، المشهور بالثبوت والشجاعة في هذه البلاد ؛ الذي حوى المكارم والإفضال ، ووافق خبره في سائر الأحوال .

فلذلك رُسم بالأمر - لا زال شهاب فضله ساطعاً ، ونور إحسانه لامعاً - أن يستقر المجلس العالى الشهابى المشار إليه في ولاية الأعمال الحسنية والمنافس حوضاً عن بها ، على عادته وقاعدته : لأننا وجدناه شمس أعيان الأماثل ، والقيانه قليل الظل والمضاهى والمُحال ، وطيه عُقِدَت الخناصر ، وأتفقت الآراء الناقبة في الباطن والظاهر ؛ ولما جمع من كرم الشيم وجميل الخلال ، وحاز من النباهة الرفيعة الدر المديدة الظلال .

فليتوجه إلى عمل ولايته ، وليظهر ما أكتنه من العدل والإنصاف في ضمائره بحسن سياسته ؛ وليتصف المظلوم ممن جار عليه واعتدى ، ويتبع في ذلك ما يوضح له من طريق منار الهدى ؛ وليسطر المعدلة ويمد باعه ، وليبد الظلم ويقصم ذراعه ؛ وليصرف همته في عمارة البلاد ، وتأمين العباد ، وسلوك سبل الرشاد ؛ وليجتهد في سد الخلال ، وإصلاح ما فسد بغيره من الأحوال ؛ وليجعل تقوى الله محجته ، وأتباع العدل مجته ، وسلوك الحق عُدته ؛ فقد جاءت التقوى في التنزيل مؤكدة ، ووردت في كثير من السور مرّدة ؛ والله تعالى يُعينه على ما ولّاه ، ويحرره ويتولّاه ، بعد الخط الكرم أعلاه .



وهذه نسخة توقيع بناية قلعة المرقب والولاية بها ، كتب به لصالح الدين « خليل » ، بـ « بالجناب العالى » ، وهى :

الحمد لله الذى جعل هذه الدولة الشريفة مقرونة بالتأييد والنجاح، ووفق أوليائها إلى سلوك سبيل السعادة وشيئها بالصلاح، وخولهم فى أيامها المراتب العلية ليتجهلوا بأدعيتهم وبدوامها فى المساء والصباح .

نحمده على نعمه التى لا يرح محطها فى ازدياد وأرتياح، ونشكره على آلائه شكرًا نستحق به المزيد كما أوضح فى القرآن أكل لبضاح، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة معلنة بالفلاح، وأن عهدنا عبده ورسوله الذى أنزل عليه فى محكم كتابه العزيز : (**الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح**) صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الغر الكرام الأشباه، ما ترغم طائر على غصن وحمل الداعي إلى الفلاح، وسلم تسليمًا كثيرًا .

وبعد، فإن أولى من صدقت به نيابة أجل المعاقيل والثغور وفوضت إليه، وعول فى حفظها ومباشرتها الحسنة الجميلة عليه - من عقلت على حزمه الخناصر، وورث الشجاعة والشهامة كابرًا عن كابر، وهو الذى تآمرًا فرعًا وزكا [أصلاً]، وفاق فى المكلام على نظرائه قولاً وفعلًا، فاضحى وإفر الثناء واضح الغرر، شاهدًا له به العين والبصر .

ولما كان فلان هو المتنوع بهذه الصفات، والموصوف فى مواقف الحروب بما لديه من الثبات والوثبات، المشكورة خدمته، شامًا ومضرا، المشهورة بين المهتم همته، برًا وبحرا .

فلذلك رُسِم ... - لازالت مراسيمه الشريفة ماثلة بالعدل والإحسان، ومعديته تستدعى بدوام دولته الشريفة لسان كل إنسان - أن تفوض إليه نيابة قلعة المرقب المحروس، والولاية بالأعمال الشرقية، وما هو منسوب إليها، على العادة فى ذلك ومستقر القاعدة : إذ هو أحق بها وأهلها، وأكمل [من] يجمع شتات شملها .

فليأشُرْ ما يُدب إليه من هذه الجهات مُباشرةً تَقْصُرُ الأفكارُ عن تَوْهَمِها ،
والأبصارُ عن تَوْهَمِها ؛ والخواطرُ عن تَخِيلِ مَبْنَاها ، و [الأذهانُ] عن تَمَثُّلِ صُورَتِها
ومعناها ؛ وليكن لمصالحها مُتَمَسِّحاً ، ولأحوالِ رجالها مُتَصَفِّحاً ، ولأقدارِ جهاتها مُرَبِّحاً ،
ولخواطرِ إِيادِها أحوالها على السدادِ مُرَبِّحاً ؛ ولوظائفِها مُقْبِياً ، وللنظرِ في الكبيرِ والصغيرِ
من مصالحها مُدْبِياً ؛ ولحُرْمَتِها مُضَاعِفاً ، وعلى كُلِّ ما يَتَمَيَّنُ الاحتفالُ به من مُهِمَّاتِها
واقفاً ؛ ويُعَدُّ للعدوِّ الخَذُولُ عندَ تَحَرُّكِ العِزِّ الشديدِ ، ويَهْجُرُ لَيْسَ الوَثْقِي وَيَتَأَلَّفُ
لَيْسَ الْحَدِيدِ ، وَيَتَّخِذُ ظَهْرَ جَوَادِهِ مُسْتَقَرَّهُ الْعَتِيدِ ؛ وَيَسْتَرْ لِيَجْهَدَ ذَيْلًا ، وَمَعَاذَ اللَّهِ
أَنْ يَمِيلَ عَنْهُ مَيْلًا ؛ وَيَسْطِ الْعَدْلُ لِلرَّعِيَّةِ ، وَيُعَامِلُهُمُ الْمَاعِلَةُ الْمَرْضِيَّةُ ، وَيُحْسِنُ
إِلَى الْأَمْراءِ الْبَحْرِيَّةِ ، وَيُلَاحِظُ مَصَالِحَهُمْ فِي كُلِّ قَضِيَّةٍ ؛ وَيَتَقَدَّرُ الرِّجَالُ ، وَأَرْبَابُ
الْأَدْرَاكِ وَالشَّوَانِي وَيُحَدِّثُهُمُ مِنَ الْإِهْمَالِ ، وَيَأْمُرُهُمُ بِالْبَقَّةِ وَالْإِحْتِرَازِ فِي اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ وَمَسَائِرِ الْأَحْوَالِ ؛ وَلِيَعْمَلَ ما يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ آلَاتِ الْجِهَادِ وَلِيَكُنْ عَلَى حَذَرٍ
مِمَّا يَتَجَدَّدُ كُلَّ يَوْمٍ ، وَلِيُوقِعَ الرَّهْبَةَ فِي قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ بِخَيْلِهِ فِي الْبَقَّةِ وَخِيَالِهِ فِي النَّوْمِ ؛
وَيَتَقَدَّرُ الْمَوَانِي فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَلِيُحَدِّثَ أَمْراءَ الْأَيْزَاكِ مِنَ الْعَقَلَةِ
فَإِنَّ النَّافِلَ لَا يَزَالُ عَلَى شَفَا جُرْفِ هَارٍ .

وَلْيَتَّقِ اللَّهَ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ . وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَهُوَ أَزْدَبُ بِهَا وَأَذْدَى ، وَأَبْوَابُ
الْخَيْرَاتِ وَاسِعَةٌ وَهُوَ إِلَيْهَا أَسْرَعُ وَأَجْرَى ؛ وَلْيُشْكِرِ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى مَا وَّلَّاهُ ، وَالْاعْتِمَادُ
عَلَى الْخَطِ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ .



وهذه نسخةُ تَوْقِيعِ بِنَايَةِ حِصْنِ عَكَارَ ، كُتِبَ بِهِ لـ «ناصر الدين الكردي» ،

بـ «الجناب العالي» ، وهي :

الحمد لله الذى نصر هذا الدين الحنيفى بسيد البشر، وخص هذه الدولة الشريفة بالتأييد والظفر، ووافى الأولياء بمجودها الذى لم يزل من ذمة الوفاء ينتظر .

نحمده على منتهى الذى طالب بدا فى جبهات الأولياء بشره وظهره، ونشكره على جوده الذى أغنى عن التحجيل والغرر، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تفتى قائلها يوم الفرع الأكبر، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أقام الله بسيفه الإيمان فأشتره، وكف به يد الطغيان وزجره، صلى الله عليه وعلى آله ما اتصلت عين بنظر وأدنى بحبر، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من رعى له خلم مديده، وعرفت له فى أجل الثغور مباشرات سعيده، وأشتهرت شهادته وكفايته فى الآفاق، وظهرت أمانته ظهور الشمس فى الإشراق، وتقدم بذلك على نظرائه وفاق .

ولما كان الجناح العالى هو المنعوت بهذه الصفات الجميلة، والمحتوى على هذه المزايا الجليلة، الذى شاعت شجاعته مع طهارة يد، ولا عجب فإن هذا الشبل من ذاك الأسد؛ وسارت الركان فى الممالك بنهضتهما فى المباشرات، وسد الخلل فى المهمات المفضلات .

فلذلك رسم ... - لازلنا أيامه مبنوثة بالعوارف والإحسان، ومعدته تستدعى بدوام دولته الشريفة لسان كل إنسان - أن نفوض إليه نيابة قلعة حصن عكا المحروس، على عادة من تقدمه وقاعدته، بالمرتب الشاهد به الديوان المعمور .

فليقدم خيرة الله تعالى ويتوجه إليها، ويصرف وجه الإقبال عليها، وينظر فى عمارتها ومصالحها، ويستدرك ما أسلف من ميوت حواصلها؛ ليصبح وجه هذا الثغر

(١) لعل الصواب «فإن أولى الأولياء بالمناصب من رعى» الخ ليستقيم الكلام .

بُحْلُولِهِ بِهِ بِأَسْمَاءَ ، وَيُسَمِّرُهُ مِنْ حُسْنِ تَدْيِيرِهِ وَجَمِيلِ تَأْيِيدِهِ عِلْمًا ؛ وَلِيُحَسِّنَ إِلَى الْأُمَرَاءِ
الْبَحْرِيَّةِ ، وَيُزِيلَهُمْ مَنَازِلَهُمْ عَلَى الْعَادَاتِ الْمَرْضِيَّةِ ؛ وَلِيَعْدِلَ فِي الرِّعَايَةِ ، وَيُنْصِفَ
الْمَظْلُومَ مِنَ الظَّالِمِ فِي كُلِّ قَضِيَّةٍ ؛ وَيُزَيِّمَ أَرْبَابَ الْوِظَانِ مِنَ الْمُقَدِّمِينَ وَالرَّجَالَةَ
بِالْخِدْمَةِ بِالنُّوبَةِ عَلَى الْعَادَةِ ، وَيُوصِّلَ إِلَيْهِمْ مَعْلُومَهُمْ مِنْ جِهَاتِهِمُ الْمَعْتَادَةِ ؛ وَيَتَّبِعِ
الْحَقَّ الْمُخَصَّ فِي كُلِّ أَمْرٍ ، لَا يَقْتَدِي بِرَأْيِ زَيْدٍ وَلَا عَمْرٍو ؛ وَلِيَعْلَمَ أَنَّهُ مُطَالَبٌ بِالْعَدْلِ
فِي وَظَافَتِهِ ، فَإِنَّ كُلَّ رَايٍ مَسْئُولٌ عَنْ رِعَايَتِهِ ؛ وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَمُعْظَمُهَا تَقْوَى اللَّهِ
فِي سَائِرِ الْأُمُورِ : فَلْيَتَمَسَّكْ بِهَا بِقْوَى ، فَإِنَّهَا السَّبَبُ الْأَقْوَى ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَتَوَلَّاهُ فِي السِّرِّ
وَالنَّجْوَى ؛ بَعْدَ انْخِلَاطِ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ .



وهذه نسخة توقيع بِنَابَةِ بَلَاطَنْسُ بِـ«الجناب العالي» ، وهى :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَسْبَغَ نِعَمَهُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ ، وَأَجَزَلَ كَرَمَهُ عَلَى أَصْفِيَائِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُحْمَى قَائِلُهَا مِنْ وَبِيلِ الْعَذَابِ ، وَتُجَدِّدُ لَهُ
أَسْبَابُ السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْحِسَابِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُبْعُوثُ
بِالنُّورِ الْمُتَيْنِ ، الْمَخْصُوصُ بِالْدِّينِ الْمُتَيْنِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَخْبَائِهِ ، وَأَهْلِهِ
وَأَصْفِيَائِهِ وَأَنْزَلِهِ .

وبعدُ ، فَإِنَّ الْقِلَاعَ الْمَنْصُورَةَ مِمَّا يَتَعَيَّنُ الْأَحْتِفَالُ بِأَمْرِهَا ، وَالْإِكْتِهَامُ بِحِفْظِ
رِجَالِهَا فِي سِرِّهَا وَجَوَّهَرِهَا ؛ وَمِنْ أَجْلِ قِلَاعِ السَّاحِلِ الْمَحْرُوسِ ، وَأَجْلِ مَسَاكِنِ الْبَحْرِ
الْمَأْنُوسِ ، قَلْعَةُ بَلَاطَنْسُ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ ... - لَا زَالَتْ صِدْقَاتُهُ تَشْمُلُ كُلَّ أَوْحَدٍ ، وَتَجْبُرُ كُلَّ وَلِيٍّ أَعْبَدَ - أَنَّ
يَسْتَقَرُّ إِذْ هُوَ الْخَيْرُ ، الَّذِى لَيْسَ لِمَعْرِفَتِهِ نَظِيرٌ ، وَالصَّائِبُ الَّذِى يُحَاقِقُ عَلَى

الجليل والحقير، والفقير والغني، والشجاع الذي هو في يوم النضال على أخذ العدو
لقديره، والضراغ الذي أعطاه الله القوة والمعرفة التامة فهو بهما جدير .
فليسير إلى الثغر المحروس ، ويعتمد في أموره ما هو فيه من الخبرة مقروس .



وهذه نسخة توقيع بتقدمة العسكر بحيلة ، كتب به له صلاح الدين الحافظي ،
به الجناح العالي ، وهي :

الحمد لله الذي جعل هذه الدولة الشريفة تتقل كل ولي إلى درجات سعده ،
وتؤكد أسباب الارتقاء لمن حمدت ما أثره وحسنت سيرته في اليوم والذي من بعده ،
وتجدد أبواب النماء لمن ظهر خيره وخبرته فأنجز له الإقبال صادق وعده .

نحمده على نعمه التي أجزأت لمستحقها مواهب رفده ، ونشكره على منته التي
خصت كل كاف بتأثيل مجده ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
يلتجئ بها قائلها غاية قصده ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي أيده الله تعالى
ببصير من عنده ، وآمنه على وحي الرسالة فنصح الأمة غاية جهده ، صلى الله عليه
وعلى آله وصحبه الذين كانوا من أنصاره وجنده ، صلاة دائمة باقية يبلغ بها المؤمن
غاية رُشده ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن الجناح العالي لما تقلصت له مباشرات ، في أجل الولايات وأحسن
النيابات ؛ وهو يسير في كل منها بأجل سير ، ويحسن إلى رعيتهما فلا غرو أن يذكره
بكل خير ؛ كم قام بمهمات من غير عسف أهل البلاد ، وكم أعان الديوان المعمور
من غير ضرر للعباد ؛ وكم ميز أموالا فكانت أيام مباشراته أعياد ، وكم له من ختم
سار بها الركاب وبلغ بها المراد ، وكم أثنى عليه لسان القلم حتى فقد المبدأ ،

وَكَمْ وَصِفَتْ هِمُّهُ وَحُسْنُ تَأْتِيهِ فِي كُلِّ تَوْقِيعٍ وَتَقْلِيدٍ عَلَى أَنَّ الْكَاتِبَ مَا زَاغَ عَنِ الْحَقِّ وَلَا مَالَ مِنَ الصَّنِيقِ فِيهَا وَلَا حَادَ .

فَاتَّقَضَى تَحْمُودُ رَأْيَا الَّذِي مَابَرَحَ بَعَوْنَ اللَّهِ يُصِيبُ، وَبَجَمِيلٍ فَكَّرْنَا الَّذِي مَا دَعَوْنَاهُ لِأَمْرِ إِلَّا وَبِالْإِصَابَةِ بِحَمْدِ اللَّهِ يُجِيبُ، أَنْ نُنَيِّنَ لَهُ وَظِيفَةً تُرِيحُهُ فِيهَا مِنَ التَّعَبِ، وَنُوَفِّرَهُ مِنْ تَعَبَاتِ الطَّلَبِ؛ وَكَانَ مَنْ فِي تَقْدِيمَةِ الْعَسْكَرِ بِجَبَلَةٍ يَتَعَرِّيه أَلَمْ يَعُوقُهُ عَنِ الرُّكُوبِ فِي الْخِلْمِ الشَّرِيفَةِ وَالزُّرُولِ، سِيَّامًا فِي هَذَا الْوَقْتُ الَّذِي فِيهِ يَتَحَرَّكُ الْعَدُوُّ الْمُخْذُولُ .

فلذلك رسم ... - لا زالت أيامه الشريفة تُيسِّرُ أسبابَ النَّجَاحِ، وَعَوَارِفُهُ تُطَوِّئُ لَهَا أَرْضَ الْبُعْدِ عَنْ أَوْلِيَاءِهَا كَمَا تُطَوِّئُ لِذِي الصَّلَاحِ - أَنْ يَسْتَقَرَّ الْجَنَابُ في تَقْدِيمَةِ الْعَسْكَرِ الْمَنْصُورِ بِجَبَلَةٍ، عَلَى عَادَةِ مَنْ تَقَلَّمَهُ وَقَاعِدَتِهِ .

فَلْيُبَايِسْهَا مَبَاشَرَةً تَلِيقُ بِشَجَاعَتِهِ، وَتُعْهَدُ مِنْ حُسْنِ سِيَاسَتِهِ؛ وَلْيُكْرِمِ الشَّرْعَ الشَّرِيفَ، وَلْيَرْدَعْ مَنْ يَحِيدُ عَنِ الْحَقِّ أَوْ يَحْيِفُ؛ وَلْيَجْمَعْ الْأُمَرَاءَ الْمُقَدِّمِينَ وَالْحَلَقَةَ الْمَنْصُورَةَ عَلَى الرُّكُوبِ فِي الْخِلْمَةِ الشَّرِيفَةِ، وَلْيَشْكُرْ نِعْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى الْمُطِيفَةِ؛ وَلْيَتَّقِظْ لَرَدِّجِ الْعَدُوِّ الْمُخْذُولِ، وَلْيَعْلَمْ أَنَّ اسْتَرْعِيْنَاهُ أَمْرَ ذَلِكَ وَكُلِّ رَاجٍ مَسْئُولٍ؛ وَلْيَتَحَقَّقْ أَنَّ الْعَدُوَّ الْمُخْذُولَ طَالِبٌ لِلِهَالِكِينَ مِنْهُمْ بِالنَّارِ، وَهُمْ قَاصِدُونَ جَبَلَةٍ فَلْتَكُنْ عِنْدَهُ يَقَظَةً وَأَسْنَبَصَارًا؛ وَلْيَرْتَبِ الْأَيْزَاكُ وَلْيُعَمِّرِ الْمَوَانِي بِالرِّجَالِ، وَيَتَفَقَّحُمْ فِي اللَّيْلِ أَكْثَرَ مِنَ النَّهَارِ؛ وَلْيَهْجُرِ النَّوْمَ فِي طَلَبِ الظُّفْرِ وَالْمُنَى فَنَ سَهَرٍ لَذَلِكَ مَا خَاطَبَ، وَلَا يَأْمَنُ مَكِيدَتَهُمْ وَيَعْتَرِّجُهُمْ فَيَقُولُ: قَدْ ضُرِبُ بَيْنَهُمْ وَيَنْهَى بِسُورِهِ لَهَ بَابٍ؛ وَبَاقِي الْوَصَايَا فَهُوَ بِهَا أَعْلَمُ، وَلَمْ يَتَّخِ مُتَقَلِّعًا بِشَوَّيْهَا الْمُعْلَمُ؛ وَمِلَاكُهَا تَعْوَى اللَّهُ تَعَالَى فَنَ لَمْ يَعْمَلْ بِهَا يَأْتُمْ، وَمَنْ تَرَكَهَا يَنْدَمُ، وَمَنْ لَزِمَهَا فَهُوَ فِي الدَّارَيْنِ مُقَدَّمٌ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَتَوَلَّاهُ، وَالْإِعْتِمَادُ عَلَى الْخَطِّ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وأعلم أنه ربما أفتح توقُّع مقدم العسكر بجبلّة بـ «أما بعد حمد الله» .
توقُّع بتقدمة العسكر بجبلّة ، ممّا كُتب به لحسام الدين العلائي بـ «الجناب
العالى» وهو :

أما بعد حمد الله على نِعَمِهِ التي تُنْزِلُ لِكُلِّ وَلِيٍّ من مَوَادِّ فَضْلِهَا إِنْْعَامًا ، وَتَمْنَحُ
من عَوَارِفِهَا أَقْسَامًا ؛ وَتُبَلِّغُ من النُّجُجِ لِنَوَى الْأَمْسَحِقَاتِ آمَالًا وَتَجْعَلُ في نُحُورِ
الْبَاغِينَ حُسَامًا ؛ وَالشَّهَادَةِ له بِالْوَحْدَانِيَةِ التي لم تزلْ لِلأَوْلِيَاءِ الْمُتَّقِينَ لِرِزَامًا ، وَتَرْفَعُ لَهُم
فِي الْجَنَاتِ مَقَامًا ؛ وَالصَّلَاةِ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الذي مَحَا اللهُ بَنِيَّوْتَهُ عَنِ الْأُمَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ
آثَامًا ، وَشَرَفَهُ على سَائِرِ خَلْقِهِ وَجَعَلَهُ لِلْأَنْبِيَاءِ خِتَامًا ؛ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ
الَّذِينَ ظَلَفُوهُ وَيَابَعُوهُ دُحُورًا وَأَعْوَامًا ، صَلَاةً دَائِمَةً تَزِيدُ مُرَدِّدَهَا عِزًّا وَإِكْرَامًا -
فَإِنَّ الْأَهْمَامَ بِكُلِّ جِهَةٍ هُوَ على قَدْرِهَا ، وَالْعَنَاءُ بِقَطْرِهَا .

ولما كانت مدينة جبلّة المحروسة مخصصة بمقام بر^(١) السند، الزاهد الذي
ترك الدنيا والأهل والولد، والولي المبرز في عبادة الخالق، والمتوكل الذي لم يَلْتَحِرْ
قُوَّةَ سَاعَةٍ لِسَاعَةٍ أَعْتَادًا على الرَّازِقِ - تعيَّن النظرُ في أمرها وحفظها من العدو
المخدول، وإن كان بهذا السيد السند قد تين حفظها؛ وكان فلان ممن باشرها
فأحسن فيها المباشرة، وكلا حفظها بيقظته وعينه الساهرة - اقتضى رأينا أن نُعيدَه
إليها، ونُسبِغَ ظِلَّهُ عليها .

فلذلك رُسم بالأمر - لا زال حُصَامُهُ قَاطِعًا من الأعداء نَحْرًا ، وَفِطْلُهُ صَالِحًا دُنْيَا
وَأُخْرَى - أَنْ يُمَادَّ المِشَارُ إِلَيْهِ إلى قَدِيمَةِ الْعَسْكَرِ الْمَنْصُورِ بِجَبَلَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، عَوْضًا
عَمَّنْ بها، وعلى عادته وقاعدته .

(١) يياض بالأصول وله بركات السيد السند .

فَلْيَعُدَّ إِلَيْهَا عَوْدَ الْحُسَامِ إِلَى غَيْمِهِ ، وَالْمَاءِ إِلَى مَنْهَلٍ وَرْدِهِ ؛ وَلْيُقَدِّمَ خَيْرَ اللَّهِ
فِي الْمَسِيرِ إِلَيْهَا ، وَلْيَسُدِّطِ الْعَدْلَ لِيَأْمَنَ أَهْلُهَا بِقُدُومِهِ عَلَيْهَا ؛ وَلْيُكْرِمَنَّ مِنْهَا مِنَ الْعَسْكَرِ
الْمَنْصُورِ ، وَيُحَسِّنَنَّ إِلَى الرَّعِيَّةِ بِهَا لِيُصْبِحَ خَيْرَ مَشْكُورٍ ؛ وَلْيُنْصِفِ الْمَظْلُومَ مِنْ ظُلْمِهِ ،
وَلْيَنْشُرِ لِلشَّرْعِ الشَّرِيفِ عَافِيَةً ؛ وَلْيُخَلِّصِ الْحَقَّ مِنَ الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ ، وَالْدِّينَ
وَالشَّرِيفَ ؛ وَلْيَلْزِمَنَّ مِنْ هَذَا التَّغَرُّبِ عَمَلُ الْبِرِّكَ الْمَعْتَادِ ، وَالتَّيَقُّظُ لِأَمْرِ الْعَدُوِّ الْخَذُولِ
وَمُضَاعَفَةُ الْجَهْدِ ، وَلْيَلْزِمَنَّ قُوَى اللَّهِ تَعَالَى فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى
يَمُنُّهُ مِنْ فَضْلِهِ مَا يَرْجُو مِنَ الْأَمَالِ .



وهذه نسخُ تَوَاقِيْعَ لِأَرْبَابِ الْوُظَافِ الدِّينِيَّةِ بِطَرَابُلُسَ .
تَوْقِيْعُ نَظَرِ الْحِسْبَةِ بِطَرَابُلُسَ ، كَتَبَ بِهِ لِلْقَاضِي « نَاصِرِ الدِّينِ بْنِ شَيْبَةَ » وَهُوَ :
الْحَمْدُ لِلَّهِ مُبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ، وَمَوْصِلِ الْأَرْزَاقِ عَلَى يَدِ أَصْفِيَائِهِ مِنَ الْعَالَمِينَ ، وَمُعِيدِ
كُلِّ وَلِيٍّ إِلَى مَنْصِبِهِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ .

نَحْمَدُهُ عَلَى فَضْلِهِ الْكَبِيرِ ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى أَنْتِ جَعَلَنَا مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَنَشْهَدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً نَدِينُهَا لِيَوْمِ الدِّينِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّادِقُ الْوَعْدِ الْأَمِينُ ، الَّذِي أَرْسَلَهُ بِرَوَاضِحِ الْمُحْجَجِ وَمُحْكَمِ الْبَرَاهِينِ ،
وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا عَرَبِيًّا مُبِينًا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ النَّارِ الْمُحَجَّلِينَ ، صَلَاةً
مُسْتَمِرَّةً عَلَى مِثْرِ الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ وَالسِّنِّينَ ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ أَوَّلِيَّ مَنْ غَزَرْنَا مَوَادِّ رِفْدِهِ ، وَأَجَزْنَا لَهُ حُظُوظَ سَعْدِهِ ، وَبَلَّغْنَاهُ
مِنْ إِقْبَالِنَا غَايَةَ قَضِيَّتِهِ ، وَحَمِدْنَا تَصَرُّفَهُ مِنْ قَبْلِ عِنْدِ مَارَمَ لِمَا جُدِّدَ [مِنْ] بَعْدِهِ ؛
وَأَعَدْنَاهُ إِلَى رُبَّةِ أَلْفَتْ مِنْهُ حُسْنِ السِّيَاسَةِ وَالتَّنْذِيرِ ، وَعُرِفَ فِيهَا بِالْكَفَايَةِ وَالصِّيَانَةِ

وَيُؤْنِ التَّائِبِينَ - مَنْ لَهُ وَلَسَلَفُهُ فِي الْمُبَاشَرَاتِ الْجَلِيلَةِ يَدٌ طَوَّلَتْ ، فَكَانَ بِوُضُوفِهِ أَحَقُّ وَأَوَّلَى .

ولما كان المجلس العالى هو الْمُتَصِفُ بصفات الكمال، الْمُشْكُورُ في سائر الأحوال؛ فلذلك رُسم بالأمر - أَنْقَذَهُ اللهُ فِي الْآفَاقِ ، وَأَجْرَاهُ بِصِلَةِ الْأَرْزَاقِ - أَنْ يُعَادَ فَلَانٌ - أَدَامَ اللهُ نِعْمَتَهُ - إِلَى نَظَرِ الْحِسْبَةِ الشَّرِيفَةِ بِالْمَلَكَةِ الطَّرَائِيسِيَّةِ عَلَى عَادَتِهِ وَقَاعِدَتِهِ ، مُضَافًا إِلَى مَا بِيَدِهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ الْمُتَعَمَّرِ : لِأَنَّهُ الْفَاضِلُ الَّذِي لَا يُمَارَى ، وَالْعَالِمُ بِأَحْوَالِ الرِّعْيَةِ فَلَا يَنَاطَرُ فِي ذَلِكَ وَلَا يُمَارَى ؛ وَالْقَبِيلُوفُ الَّذِي يُظْهِرُ زَيْفَ كُلِّ مُرِيْبٍ ، وَالتَّخْرِيرُ الَّذِي يَنْجِيهِ كُلَّ حَبِيبٍ وَلَيْبٍ .

فَيَنْظُرُ فِي الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ ، وَالكَثِيرِ وَالْقَلِيلِ ؛ وَمَا يُخَصَّرُ بِالْمَقَادِيرِ وَمَا لَا يُخَصَّرُ ، وَمَا يُؤْمَرُ فِيهِ بِمَعْرِفٍ أَوْ يُنْهَى عَنْ مُتَكَرٍّ وَمَا يُشْتَرَى وَيُباعُ ، وَمَا يُقَرَّبُ بِتَجَرُّدِهِ إِلَى الْجَنَّةِ وَيُتَعَدَّى عَنْ النَّارِ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ قَدْ بَقِيَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا قَدْرُ بَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ ؛ وَكُلُّ مَا يُعْمَلُ مِنَ الْمَعَاشِ فِي نَهَارٍ أَوْ لَيْلٍ ، وَمَا لَا يُعْرَفُ قَدْرُهُ إِلَّا إِذَا نَطَقَ لِسانُ الْمِيزَانِ أَوْ تَكَلَّمَ فَمِ الْكَيْلِ ؛ وَلِيَعْمَلَ لَدَيْهِ مُعَدَّلًا لِكُلِّ عَمَلٍ ، وَعِيَارًا إِذَا حُرِضَتْ عَلَيْهِ الْمَعَايِرُ يَعْرِفُ مِنْ جَارٍ وَمِنْ عَدَلٍ ، وَلِيَتَفَقَّدَ أَكْثَرَ هَذِهِ الْأَسْبَابِ ، وَيُحْتَذِرُ مِنَ الْغَشِّ : فَإِنَّ الدَّاءَ أَكْثَرُهُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ؛ وَلِيَتَعَرَّفَ الْأَسْعَارَ ، وَيَسْتَعْلِمَ الْأَخْبَارَ مِنْ كُلِّ سُوقٍ مِنْ غَيْرِ إِعْلَامٍ لِأَهْلِهِ وَلَا إِشْعَارٍ ؛ وَلِيَقِيمَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَمْنَاءِ مَنْ يَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ فِي النَّظَرِ ، وَيَطْمَئِنُّ بِهِ إِنْ غَابَ أَوْ حَضَرَ ؛ وَدَارَ الْقَوْدِ وَالضَّرْبِ الَّتِي مِنْهَا تَبْتَدَأُ ، وَقَدْ يَكُونُ فِيهَا مِنَ الزَّيْفِ مَا لَا يَظْهَرُ إِلَّا بَعْدَ طَوِيلِ الْقَبْثِ ؛ فَلْيَتَصَدَّقْ لِمَهْمَّهَا بِصَدْرِهِ الَّذِي لَا يَتَجَرَّحُ ، وَلْيَعْرِضْ مِنْهَا عَلَى الْحَكِّ [مِنْ رَأْيِهِ] مَا لَا يَحُوزُ عَلَيْهِ بَهْرَجٌ ، وَمَا يَلِيقُ مِنَ الزَّهَبِ الْمَكْسُورِ وَيُروِصُ مِنَ الْفَضَّةِ وَيُخْرِجُ ؛ وَلِيَقِيمَ الضَّمَانَ عَلَى الطَّارِئِينَ وَالطَّرِيقَةِ

في بيع غرائب العقاقير إلا من لا يُستراب فيه وهو معروف ، ويحطّ طيب ماهر
لمريض معين في دواء موصوف ؛ والطريقة وأهل النجامة وسائر الطوائف المنسوبة
إلى ساسان ، ومن يأخذ أموال الرجال بالحيلة ويأكلهم باللسان ، وكل إنسان سوء
من هذا القبيل هو في الحقيقة شيطان لا إنسان ؛ فامنعهم كل المنع ، وأصدعهم مثل
الزجاج حتى لا يجير لهم صدع ، وصب عليهم النكال ولا فاشجدي في تأديبهم
ذات التأديب والصنع ؛ ومن وجدته قد غش مسلماً ، أو أكل باطل دهرها ؛
أو أخبر مشتراً بزياد ، أو خرج عن معهود العوائد ؛ أشهره بالبلد ، وأركب تلك
الآلة قفاه حتى يضعف منه الجسد ؛ وغير هؤلاء [من فقهاء المكاتب ، وطلمات
النساء وغيرهما من الأنواع ^(١)] من يخاف من ذنبه العاث في سرب الظباء والحداد ،
ومن يقدم على ذلك أو مثله وما يحاذر ؛ أرشقهم بسهامك ، وزلزل أقدامهم
بأقدامك ؛ ولا تدع منهم إلا من اخترت أمانته ، واختبرت صيائته ؛ والنواب
لا ترض منهم إلا من يحسن نقاداً ، ويحسن لك أجر استنابته إذا قيل لك : من
استنبت ؟ قلت : هذا ؛ وتقوى الله هي نعم المسالك ، وما لك في كل ما ذكرناه
بل أكثره إلا إذا عملت فيه بمنهج مالك ، والله تعالى يسدك ويرشدك ويوقك
إلى أحسن المسالك .



توقيع بخطابة والإمام بالجامع المنصوري بطرابلس ، كُتِب به الخطيب
« جمال الدين إبراهيم » ، « بالمجلس السامي » بغيراء ، وهو :

وسم بالأمر الشريف - لا زال حود متاير الإسلام بماء إحصانه رطياً ، وبرد
شعائر الدين الحنيفي في أيامه الزاهرة قشياً ، ومواهبه متاقبه تقيم لمحاده في كل

(١) الزيادة من « التعريف صفحة ١٢٦ » وهي لازمة لاستقامة الكلام .

وَإِدِّ شَاعِرًا وَلِحَامِيهِ فِي كُلِّ نَادٍ خَطِيئًا - أَنْ يُرْتَبَ الْمَجْلِسُ السَّامِيُّ، الْإِمَامُ، الْعَامِلُ :
- رَحِمَ اللَّهُ تَعَالَى السَّلَفَ ، وَزَادَ مَجْدَ الْخَلْفِ - خَطِيئًا وَإِمَامًا بِالْمَسْجِدِ الْجَامِعِ الْمَعْمُورِ
الْمَنْصُورِيِّ بِطَرَابِلُسِ الْمَحْرُوسَةِ ، عِوَضًا عَنْ فُلَانٍ ، وَعَلَى طَادَتِهِ وَقَاعِدَتِهِ ، وَمَعْلُومِهِ
الشَّاهِدِ بِهِ الدِّيْوَانُ الْمَعْمُورُ الْمُسْتَقَرُّ بِاسْمِهِ ، إِلَى آخِرِ وَقْتٍ : رِطَابِيَّةٌ لِأَهْلِيَّتِهِ الْوَاسِعَةِ
الدَّلَائِلِ ، وَفَضِيلَتِهِ النَّاطِقَةِ الشَّوَاهِدِ الصَّادِقَةِ الْخَائِلِ ، وَأَوْصَافِهِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي بِهَا تُعْرَفُ
مِنْ أَبِيهِ الشَّمَائِلُ ؛ وَلِأَنَّهُ الصَّدْرُ ابْنُ الصَّدْرِ النَّجِيبِ ، وَالْخَطِيبُ الْإِمَامُ ابْنُ الْإِمَامِ
الْخَطِيبِ ؛ وَالْوَلَدُ النَّجِيبُ الَّذِي حَدَا حَلَوَ وَالِدِهِ فِي الصَّلَاحِ مَا خَابَ وَلَا يَجِيبُ ،
وَالنَّجْلُ النَّبِيَّةُ الْمُهَذَّبُ الَّذِي أَشْبَهَ أَبَاهُ فِي الدَّبْرِ وَالْوَرَعِ : وَمَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ
فِي النَّبَاهَةِ وَالنَّهْيِ .

فَلْيُبَاشِرْ هَذِهِ الْخُطَابَةَ وَالْإِمَامَةَ الَّتِي هُوَ ابْنُ جَلَّاهَا ، وَطَلَّاعُ شَيَاطِمِهَا ؛ زَائِنًا حِلَاهَا ،
زَائِدًا عِلَّاهَا ؛ وَلِيَرْتَقِ ذِرْوَةَ هَذَا الْمَنْصِبِ الَّذِي هُوَ أَعْلَى الْمَنَاصِبِ الدِّينِيَّةِ ، وَلِيَتَلَقَّ
نِعْمَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالشُّكْرِ الَّذِي يُوجِبُ الْمَزِيدَ وَيُكْسِبُ الْمَزِيدَ ؛ وَلِيَقُمْ مَقَامَ وَالِدِهِ
فِي هَذِهِ الرُّتْبَةِ السَّيْنَةِ ، بِإِخْلَاصِ الْعَمَلِ وَصِدْقِ النَّيِّ ، مُجَلِّيًا فِي مِضَارِ الْبَيَانِ الَّذِي
سَلَّمَتْ إِلَيْهِ أَعْتَهُ ، وَأُلْقِيَتْ إِلَيْهِ أَرْزَمَتْهُ ؛ مُحَلِّيًا بِقِلَائِدِ الْمَوَاعِظِ وَقِرَائِدِ الْأَمْثَالِ أَعْوَادَ
الْمُنِيرِ الَّذِي لَوْ أَمَكْنَهُ لَسَعَى إِلَيْهِ ، مُسْتَفًا الْأَشْمَاعَ بِجَوَاهِرِ الْأَوَامِرِ وَزَوَاهِرِ الزُّوَاهِرِ
الَّتِي يَصْدَعُ بِهَا عَلَيْهِ .

وَلْيَسِرْ كَسِيرَةَ وَالِدِهِ فِي الطَّرِيقَةِ الْمُتَلَّى وَسُلُوكِ الْمَتَجِّ الْأَمَّةِ ، وَلِيَجْتَهِدْ فِي إِحْيَاءِ
رُسُومِهِ فِي الْعِبَادَةِ وَأَقْفَاءِ آثَارِهِ فِي الْعِلْمِ وَالزَّهَادَةِ حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ : هَذَا الشَّبْلُ
مِنْ ذَلِكَ الْأَسَدِ ؛ جَارِيًا عَلَى أَفْضَلِ الْعَوَائِدِ فِي دِيَابَتِهِ ، سَارِيًا بِأَجْمَلِ الْقَوَاعِدِ مِنْ
صِيَابَتِهِ ؛ وَلْيُوَصِّلْ إِلَيْهِ مَعْلُومُهُ الشَّاهِدُ بِهِ الدِّيْوَانُ الْمَعْمُورُ الْمُسْتَقَرُّ إِلَى آخِرِ وَقْتٍ ، عَلَى
عَادَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ وَقَاعِدَتِهِ : لِأَسْتِقْبَالِ مُبَاشَرَتِهِ أَحْيَانَ الْوُجُوبِ وَأَزْمَانَ الْأَسْتِحْقَاقِ ،

رِزْقًا دَارًا ، سَاوًا ، هَيَّأَ ، مَرْضِيًّا ، من غير تَتَفَيِّص ، ولا تَتَقَيِّص ، والاعتماد على
العلامة الكريمة أعلاه ، وثبوته إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تَوْقِيع بخطابية ، كُتِبَ به للشيخ «صدر الدين الخابوري» ، بـ «المجلس
السائي» بالياء ، وهي :

رُسم ... لا زَالَتْ أَيَّامُهُ الشَّرِيفَةُ تَضَعُ الْأَشْيَاءَ فِي مَحَلِّهَا ، وَتُقَوِّضُ الْمَنَاصِبَ
الْمُنِيفَةَ إِلَى أَهْلِهَا ، وَتُسَرِّفُ صُدُورَ الْمُحَافِلِ بِصُدُورِ الْعُلَمَاءِ فِي حَرْزِهَا وَسَهْلِهَا - أَنْ تُقَوِّضَ
إِلَى فُلَانٍ الْخُطَابَةَ بِالْجَامِعِ النَّاصِرِيِّ الْمَعْرُوفِ "بِجَامِعِ التَّوْبَةِ" بِطَرَابُلُسِ الْحُرُوسَةِ
وَجُوبًا وَتَعِينًا ، أَقْتَضَى فِي تَهْنِئَةِ الْفَاضِلِ عَلَى الْمَفْضُولِ تَيْقِنًا وَتَبَيَّنًا ؛ لِأَنَّهُ الْحَبْرُ الَّذِي
لَا يُجَارَى فِي فُضَائِلِهِ ، وَالْبَحْرُ الَّذِي يَحْوِذُ فَيْحِيْدُ بِفَوَاضِلِهِ ، وَالصُّدْرُ الَّذِي مُلِئَتْ
بِقَوَائِدِهِ وَفَرَائِدِهِ بَرَامِيهِ مَحَافِلِ صُدُورِهِ وَصُدُورِ مَحَافِلِهِ ؛ كَمْ نَطَقَتْ أُنْسُنُ الْأَقْلَامِ
بِأَفْوَاهِ الْحَابِرِ بِفُضْلِهِ فِي الْأَقَالِمِ وَالْآفَاقِ ، وَكَمْ مِنْ عِبَارَةٍ بِفَصَاحَةٍ وَبَلَاغَةٍ حَقَّقَتْ أَنَّهُ
بِهَا فَاتَ الْفُصَحَاءُ وَالْبُلَغَاءُ وَفَاقَ ؛ لَقَدْ أَصْبَحَ شَمْلُ هَذَا الْجَامِعِ بِهَذَا الْفَاضِلِ الَّذِي
طَالَ أَرْقَابُهُ لَهُ جَامِعًا ، وَأَمْسَى وَقَدْ ظَفِرَتْ يَمِينُهُ مِنَ الْيَمِينِ بِهِ وَالْبَرَكَةُ بِمَا لَمْ يَكُنْ
بَشِيءَ مِنْهُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَيَّامِ طَالِمًا ، فَلِذَلِكَ بَادَرْتُهُ الْمُنِيفُ وَحَلَّ لَهُ حَقُّوهُ
مُسَارِعًا ؛ وَوَطَأَ - لَا مِطْطَأَةَ لِيَاءٍ - صَهْوَتِهِ ، وَغَفَرَ لِلدَّهْرِ بِهَذِهِ الْحَسَنَةِ الْجَمِيلَةِ فِيمَا
سَلَفَ مِنْهُ هَفْوَتُهُ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ الْخُطِيبُ الَّذِي اسْتَقَرَّ يُطَالَعُ الْمُنَازِرِ مِنْ خُطْبَتِهِ بِمَا يُفَجِّرُ
مِنَ الْعُيُونِ مَنَاجِيحَ الْمَدَامِغِ ، وَيُسَوِّقُ إِلَى الْآخِرَةِ : مِنْ أَلْفَاظٍ يُسَنِّفُ بِهَا الْمَسَامِيحَ ؛
وَأَنْ قُسًّا لَا يُقَاسُ بِهِ فِي خُطْبِهِ وَعِظَاتِهِ ، وَأَنْ سَحَابَانِ يَوُدُّ مِنْ نَجْمِهِ أَنْ يَسْحَبَ ذَيْلَهُ
عَلَى مَا ثَرَهُ الْمَأْثُورَةُ عَنْهُ لِيُعْنَى آثَارَ فَلَاتٍ كَلِمَاتِهِ وَلَقَاتٍ لَقَطَاتِهِ .

فليباشر هذه الوظيفة المباركة بالله تعالى مذكراً ، وليأمر عبادَه ونهائم عنه على
 أسماعهم مكرراً ، ويعلم أنه في المحراب مناج لربه ، وأقف بين يدي من يحول بين
 المرء وقلبه ، فليعتصم بالله عز وجل في قوله وفعله ، ويتيقن أن الكلمة إذا خرجت
 من قلب لا تقع إلا في مثله .

وفي إحاطة عامه المشهور ، وفضله المشهود المشكور ، ما يغني عن وصية بها
 يتذكر ، وتذكيرة في صحيفية فكره ترفع وتسطر ، وليوصل إليه معلومه على هذه
 الوظيفة الشاهد به الديوان المعمور . وليوفر خاطره من التبذل في تحصيل معلومه
 الجارية له وطلبه ، ولعامل بما يليق من الإجلال والإعظام بوظيفته الشريفة
 والمحل العالي الرفيع من منصبه ، والعلامة الكريمة أغلاه ، حجة بمقتضاه ،
 إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخ تواقع لأرباب الوظائف الديوانية بطرابلس :

نسخة توقيع بشهادة الجيوش بطرابلس ، كُتب به للقاضي بدر الدين « محمد
 ابن الفرقور » ، ووالده يومئذ ناظر الجيوش بها ، بـ « المجلس العالي » ، وهي :

أما بعد حمد الله الذي زين سماء المآلى ببيدِها ، وأثبت في رياض السعادة يانع
 زهرها ، ورفع المناصب السنية إلى شرف محلها ومحل شرفها ، ونشهد أن لا إله إلا الله
 وحده لا شريك له شهادة خالصة في قولها وفعلها ، وأن محمداً عبده ورسوله أرسله
 بالمله الخبيفة قائماً بفرضها ونفلها ، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر مبليفاً لرسالات
 ربه كلها ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا ينحصر عددها ، ولا ينقضي أمدها ،
 وسلم تسليماً كثيراً - فإن أولي من خطبته المناصب من هو أحق بها وأهلها ^(١) فيها

(١) يياض بالأمل ولعله : وله فيها . الخ .

نِسْبَةً لَا يُنْكِرُ فَضْلُهَا ، وَمُبَاشَرَاتٌ فِي الْمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ مَشْهُورَاتٌ بِالْكَفَايَةِ وَالْعَقَّةِ فِي بَرِّهَا وَبَحْرِهَا .

وَلَمَّا كَانَ فَلَانٌ ... حَرَسَ اللَّهَ جَنَابَهُ وَأَسْبَغَ ظِلَّ وَالِدِهِ ... هُوَ الْمَعْنَى بِهَذِهِ الْإِشَارَةِ ، وَتَمَسَّ هَذِهِ الْمَالَةَ وَبَدَرَ هَذِهِ الدَّارَةَ .

فَلَذَلِكَ رَسِمٌ زَادَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَظَمَةً وَشَرَفًا ، وَمَتَّعَهُ فِي الْحَيَاتَانِ قُصُورًا وَغُرَفًا ... أَنْ يَسْتَقَرَّ ... : أَقْرَارًا لِعَيْنِ وَالِدِهِ ، وَجَمْعًا لَهُ بَيْنَ حَلِيفِ السَّعْدِ وَتَالِدِهِ ؛ لِأَنَّهُ النَّبْعَةُ الَّتِي نَشَأَتْ فِي رِيَاشِ السِّيَادَةِ ، وَالزَّهْرَةُ الَّتِي بَرَزَتْ فِي كَيْلَامِ السَّعَادَةِ ؛ فَلَا يَزَالُ قَرَعُهُ ... إِنْ شَاءَ اللَّهُ ... بِسَعَادَةِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ الشَّرِيفَةِ يَتِمُّ إِلَى أَنْ يَتَأَصَّلَ ، وَزَهْرَتُهُ تُزْهِى إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الْإِمَارَةَ وَتَتَوَصَّلَ .

فَلْيُبَاشِرْ هَذِهِ الْوُظُفَةَ الْمُبَارَكَةَ مُبَاشَرَةً تَظْهَرُ فِيهَا كِفَايَتُهُ عِنْدَ الْاِسْتِقْدَادِ ، وَتُجْمَدُ فِيهَا حُكْمِي الْأَخْتِيَارِ وَالْاِخْتِبَارِ وَالرَّشَادِ ؛ وَلْيَسْلُكْ فِي أَمَانَتِهِ سُنَنَ أَبِيهِ ... أَسْبَغَ اللَّهُ ظِلَّهُ ... الَّتِي أَحْكَمَهَا فِي كُلِّ مَا أَبْدَى وَأَعَادَ ، وَيَتَّبِعْ طَرِيقَهُ الْمَهَادِيَةَ إِلَى سَبِيلِ السَّعَادَةِ وَالْإِرْشَادِ ؛ وَيُسَيِّدْ مَا أَكْتَسَبَهُ مِنَ وَالِدِهِ عَنْ سَلَفِهِ مِنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَهُوَ أَحَقُّ بِهَذَا السُّنْدِ ، وَلَا يَخْرُجْ عَنْ رَأْيِ أَبِيهِ ... أَيَّدَهُ اللَّهُ ... حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ : هَذَا الشَّيْلُ مِنْ ذَاكَ الْأَسَدِ ؛ وَلْيَشْتَرَفِ تَحْصِيلَ الْفَضَائِلِ الَّتِي تُبْلَغُ بِهَا الْأَمَالُ ، وَتَصْلُحُ الْأَحْوَالُ ؛ وَلْيَتَلَقَّ هَذِهِ الْمُبَاشَرَةَ بِعَزْمِهِ الشَّدِيدِ ، بِنَفْسِهِ لَا بِالتَّقْلِيدِ ، فَإِنَّهُ شَاهِدٌ وَمَسْتَشْوِلٌ ، بِقَوْلِهِ يَوْفَى فِي الْأَسْتَحْقَاقِ وَفِي النُّقُودِ وَالْكُيُولِ ؛ وَتَقْوَى اللَّهُ هِيَ السَّبَبُ الْأَقْوَى ، فَلْيَتَسَسَّكْ بِجَبَلِهَا يَقْوَى ؛ وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ فِي ذَلِكَ وَوَالِدُهُ بِهَا أَعْلَمُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُسَلِّكُهُ سَبِيلَ الْهُدَى ؛ فَإِنَّهُ انْتَجَحَ الطَّرِيقَ وَأَسْلَمَ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَتَوَلَّى عَوْنَهُ ، وَيُدِيمُ صُونَهُ ؛ وَالْاِعْتِمَادُ



تَوْفِيقُ بَكَّابَةِ الدَّرَجِ بَطْرَابُلُسَ ، كُتِبَ بِهِ «بِالْمَجْلِسِ السَّامِيِّ» بِالْيَاءِ ، وَهُوَ :

رُئِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَتْ مَرَامِيهِ الْعَالِيَةُ تُطْلِعُ فِي أَفْلَاكِ الْمَعَالَى بَذْرًا مُنِيرًا
هَادِيًا إِلَى الْفَضَائِلِ مَأْمُونًا مِنَ السَّرَارِ ، وَمَكَارِمُهُ الْوَاقِيَةُ تَرْفَعُ مِنْ أَعْلَامِ الْمَعَانِي صَدْرًا
كَبِيرًا رَشِيدًا فِي الْيَابِسِ أَمِينًا عَلَى الْأُمَرَارِ ، وَمَرَامِيهِ الْكَافِيَةُ تُهَرِّعُونَ الْأَعْيَانِ
وَالْأَخْيَارَ - أَنْ يُرْتَبَ فَلَانٌ - ضَاعَفَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْوَارَ فَضَائِلِهِ الَّتِي يَأْتِمُّ بِهَا الْمُسْتَضَى ،
وَالْمُهْتَدَى ، وَيَعْتَشُو إِلَى قِرَآهَا الْمُسْتَعِينُ وَالْمُقْتَدَى - فِي كِتَابَةِ الدَّرَجِ السَّعِيدِ بَطْرَابُلُسَ
الْمَحْرُوسَةِ بِمَا قُرِّرَ لَهُ مِنَ الْمَعْلُومِ الْوَاردِ فِي الْأَسْتِثَارِ الشَّرِيفِ عَلَى مَا يَتَمَيَّنُ بِقَلَمِ الْأَسْتِيفَاءِ
بِحِثِّهِ ، وَبَيِّنُ تَفْصِيلِهِ وَبُحْتِهِ ؛ نَظَرًا إِلَى اسْتِحْقَاقِهِ الظَّاهِرِ ، وَفَضْلِهِ الْبَاهِرِ ؛
وَبَلَاغَتِهِ الَّتِي أَفْصَحَتْ عَنْ بَيَانِ الْبَلِيغِ الْقَادِرِ ، وَفَصَاحَتِهِ الَّتِي بَلَّغَتْ الْكَمَالَ بِعَوْنِ
الْمَلِكِ الْقَادِرِ ؛ وَإِطْرَائِهِ ، فِي إِطْنَائِهِ ؛ وَإِعْجَازِهِ ، فِي إِعْجَازِهِ ؛ فَلَهُ فِي الدَّلَائِلِ قُدْرَةٌ
«الْمُنْتَصُورِ» وَفِي الْفَضَائِلِ قُوَّةُ «النَّاصِرِ» ؛ طَالَمَا أَزْهَرَ بِقَلَمِهِ «الْمُهْتَدَى» لِلصَّوَابِ ،
«السَّافِحِ» كَالسَّحَابِ ، رَوَّضَ الْعُلُومَ وَالْآدَابَ ؛ وَأَظْهَرَ بَيِّنَاتِهِ «الْمُنْتَصِرِ»
فِي الْخُطَابِ ، «الْمُقْتَدِرِ» عَلَى الْاِقْتِضَابِ ؛ طَرَّقَ الْفُنُونَ ، وَأَضْحَمَ الْعُيُونَ ، مُحْكَمَةً
الْأَسْبَابَ ، وَسُبُلَ الْحِكْمِ مُفْتَحَةً الْأَبْوَابَ ؛ فَهُوَ بِالسَّنَا وَالسَّنَاءِ بَذْرُ «الْمُسْتَشْدِ» ،
وَبِالْجَدَا وَالْجَدَاءِ «مُعِزٌّ» «الْمُسْتَعِيزُ» ؛ وَبِفَرْطِ الْحَيَاةِ وَالْحَيَاءِ مَحْبَابُ الْمُسْتَمْطَرِ
وَالْمُسْتَظْهِرِ ، وَبِغَرَبِ الذِّكَا وَالذِّكَا بِرَقِ «الْمُسْتَبِيرِ» وَ«الْمُسْتَبِيرِ» .

فَلْيَا شَرِ هَذِهِ الْوُظَيْفَةَ الْمُبَارَكَةَ «مُعْتَصِمًا» بِحَبْلِ التَّقْوَى ، «مُسْتَعِصِمًا» مِنَ الْمُرَافِقَةِ
بِالسَّبَبِ الْأَقْوَمِ الْأَمْوَى ، مُجَدِّدًا رُسُومَ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الَّتِي رَعِيَتْهَا قَدْ دَرَسَ وَمَحَلَّهَا
قَدْ أَقْوَى ؛ فَإِنَّ «الْمُنْتَفِيَّ» «الرَّاضِيَ» بِهِ هُوَ «الرَّاشِدُ» «الْقَائِرُ» بِالسَّعَادَةِ ،

و«الْمُتَوَكِّلَ» عليه «المُطِيعَ» له هو «الوَائِقُ» ببلوغ القصد الحاضر للارادة ؛ وليطرز
 حُلَّ البیان بوثني بنانه الذي أصبح ديباج الطرس به «مُعْتَرًا»، وليقوم معاني البديع
 بعامل قلبه الخَطِيّ الذي أمسى الفضل به كالسهمري قائمًا مهترًا ؛ «مُسْتَكْفِيًا»
 بما يصرعه ويرصعه نغماً وثراً من البدائع ، «مُسْتَعْلِيًا» لما يرفعه ويرفعه من غرر
 الفقر، ودبر الفكر ، بخاطره الوقاد القواد المتقاد الطائع ؛ «مُقْتَفِيًا» فيما ينشئه آثار
 ما يصدر عن «الحاكم» و«الامر» ، «مكتفيا» فيما يئديه بمقدار ما تبرز به المراسيم
 والأوامر ، «حافظًا» للسر «العزیز» كاتبًا كاتبًا فلا يعضده فيه «عاضد» ولا
 يظفر به «ظافر» ؛ «معتدا» على الكتان في جميع ما يؤرده ويصيده ، مقتصدًا
 بالتوفيق في سائر ما يحفيه ويظهره .

والوصايا فن آدابه تُستفاد ، والنصائح فلها منه المبدأ وإليه المعاد ؛ فليتنسّم ذروة
 أعلاها ، وليتنسّم نفحة رايها



توقيع شهادة دار الضرب بطرابلس ، وهو :

رُسم بالأمر - لا زال رأيهُ الشريف يقربُ من الأمور صوابًا ، ولا يرحَ أفقُ سماء
 مملكته الشريفة يُطلِّع بفلِكِه بذرا منيرا وشهابا - أن يُرتبَ فلانُ ... : لأنه العذل
 الذي أشتهرت عدالته ، والأمين الذي بهرت فظهرت أمانته ؛ والرئيس الذي ما يرح
 صدر المحافل ، والفاضل الذي فاق بفضله على الأقران والأمايل ، وشهدت بزاته
 المشهورة الأواخر والأوائل .

فليأشر هذه الوظيفة مباشرة مطابقة لعدالته المشهورة ، مُعْرِبةً عن أصالته المحبوبة ،
 موصحةً عن دياتته التي غدت في العالمين معروفة غير منكورة ؛ ليُصبِحَ هذا المنصب

مُشْرِقًا بَنُورَهُ ، سَنَى الْأَرْجَاءِ بِسَاطِعِ ضِيَاءِ شِهَابِهِ وَنُورِ بُدُورِهِ ؛ وَهُوَ - أَعَزَّهُ اللَّهُ -
غَنَى عَنْ وَصِيَّةٍ مِنْهُ تُسْتَفَادُ ، أَوْ تَتَّبَعُ عَلَى أَمْرٍ مِنْهُ يُبْدَأُ وَإِلَيْهِ يُعَادُ ؛ وَلِيَتَنَاوَلَ مَعْلُومَهُ
الشَّاهِدَ بِهِ الدِّيَوَانُ الْمَعْمُورُ هَنِيئًا مُبَسَّرًا ، وَلَا يَقِفُ أَمَلُهُ عِنْدَهُ : فَإِنَّا لَنَرَجُو فَوْقَ
ذَلِكَ مَظْهَرًا .



تَوْقِيعٌ بِنَظَرِ الْأَذْنِیَّةِ ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي «بُرْهَانِ الدِّينِ» الْأَنْدَرُغِيّ ، وَهُوَ :
رُسِمَ بِالْأَمْرِ - أَثَقَذَهُ اللَّهُ فِي الْأَفَاقِ ، وَطَوَّقَ بِمَنَّةٍ وَفَوَاضِلِ رَّهْ الْأَعْنَاقِ - أَنْ
يَسْتَقِرَّ الْمَجْلِسُ السَّامِيُّ - حَرَسَ اللَّهُ مُهَجَّتَهُ ، وَأَهْلَكَ حَسَدَتَهُ - فِي نَظَرِ الْأَذْنِیَّةِ
الْمَحْرُوسَةِ ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ وَقَاعِدَتِهِ ، بِالْمَعْلُومِ الشَّاهِدِ بِهِ الدِّيَوَانُ الْمَعْمُورُ إِلَى
آخِرِ وَقْتٍ : عِلْمًا بِأَمَانَتِهِ الْمَشْهُورَةِ ، وَكَفَايَتِهِ الَّتِي هِيَ بَيْنَ أَهْلِ الصَّنَاعَةِ مَشْكُورِهِ ،
وَخَبْرَتِهِ الَّتِي هِيَ فِي الْمُبَاشَرَاتِ مَعْرُوفَةٌ غَيْرُ مَنكُورِهِ ، وَكَفَايَتِهِ الْمَالُوفَةُ الْمُؤَفُّورَةِ ؛ فَإِنَّهُ
بَاشَرَ الْحِسْبَةَ الشَّرِيفَةَ وَنَهَى وَأَمَرَ ، وَأَتَّبَعَ فِي أَحْكَامِهِ مَا أَمَرَ بِهِ «أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ» ؛
وَضَبَطَ أُمُورَ بَيْتِ الْمَالِ بِحُسْنِ نَظَرِهِ وَمِيزَانِهِ .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوُظُفَةَ الْمُبَارَكَةَ مُبَاشَرَةً عَلَى أَجْمَلِ الْعَادَاتِ ، وَيَسْتَرْفِعْ مَا لَمْ يَنْتَفِعْ مِنْ
الْحُسْبَانَاتِ ، وَيُوصِلْ إِلَى أَرْبَابِ الْأَسْتَحْقَاقِ مَا لَمْ يَنْتَفِعْ مِنَ الْحُقُوقَاتِ ، عَلَى مَا يَنْبَغُ بِهِ
الدِّيَوَانُ الْمَعْمُورُ فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ ؛ فَإِنَّ هَذِهِ الْوُظُفَةَ مِنْ أَجْلِ الْمُبَاشَرَاتِ ، وَلِيَتَنَاوَلَ
مَعْلُومَهُ الشَّاهِدَ بِهِ الدِّيَوَانُ الْمَعْمُورُ هَنِيئًا مُبَسَّرًا عَلَى جَارِيِ الْعَادَةِ لِمَنْ تَقَدَّمَ فِي الْفُرُوعِ
وَسَائِرِ الْجِهَاتِ ، وَلِيَعْتَمِدَ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِي سَائِرِ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَّاتِ ؛ وَاللَّهُ
تَعَالَى يَتَوَلَّاهُ ، وَالْإِعْتِمَادُ عَلَى الْخَطِّ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ .



توقيع أيضا في المعنى .

لا زالت صدقاته الشريفة تُهمُّ لاتباع الحقُّ برُحانا، وتُسدي إلى كلِّ أحدٍ خيرا وإحسانا - أن يرتبَ فلانٌ ناظرا بالأذنية المحروسة وما هو مضاف إليها، على عادة من تَهْدَمُه وقاعدته ومعلومه الشاهد به الديوان المعمور : لأنه طالما باشر نظر يَتِ المال فوق الأموال ، وأصلح ما فسد من الأحوال ، وسدَّ بحسن تديره الأقوال والأفعال ؛ وأظهر من الأمانة ما يميز به في مباشراته ، وفاق به على قرنايه وأهل زمانه وأوقاياه ؛ ثم باشر الحسبة فسلك فيها مسلك السرِّ والجهر وصنق الخبر ، وسلك مسلك أمير المؤمنين عُمَر .

فلما شر هذا النظر بقلبٍ مُنْشَرِح ، وأملٍ مُنْفَسِح ؛ ويُظهِر فيه ما جُرب به من الأمانة ، وتجنَّب إتيانه ؛ وليجتهد في تحصيل أموال الديوان المعمور ، ويسيطر قلبه في إصلاح الأمور؛ وليوصل إلى أرباب المرتبات ما هو لهم مُستحق ، فانهم به أولى وأحق ؛ وليوصل إليه معلومه أو أن وجوبه وأستحقاقه



توقيع بمشارفة حصن الأكراد ، كتب به للقاضي « بدر الدين » به المجلس العالي ، وهو :

رُسم بالأمر الشريف - لا زالت مراسمه العالية تُولي الأئام بَرًا ، وتُجَدِّدُ بِإِسْبَاغ الإتمام بَشْرًا ، وتُضَوِّعُ في كلِّ نادٍ من أندية الثناء والثناء تَشْرًا ؛ وتُطْلِعُ في كلِّ أفقٍ من آفاق السيادة من صُدُور الأعيان وأعيان الصُدُور بَدْرًا - أن يرتبَ فلانٌ في مُشارفة حصن الأكراد المحروس : لما هو عليه من العفة والصلف ، والزهامة

التي عُرف بها وأتصف ؛ والرأسة التي أنشئت إلى الخلف عن السلف ، والعدالة التي لا يتكلف لسلوك نهجها ؛ ومن العجب خلو البذر عن الكف ؛ ثم حفظت بمباشرة الأموال ، وصَلَحَتْ بِمُلاحَظَةِ الأحوال ؛ وعُقِدَتْ الخِناصِرُ على سِيرَتِهِ وحُسْنِ سِيرِهِ ، وأشتهر بِجَمِيلِ تَدْيِيرِ أَوْجِبِ تَهْدِيئِهِ على غيره .

فليُبايَشر هذه الوظيفة التي هي من أجلِّ الوظائف ، وليُشْكُرْ ما أُولِيَ من المعروف وأُسْدِيَ إليه من العوارف ؛ وليُنْذِرْ جُهْدَهُ في صلاح الأحوال ، ويُنْصِرِ الأموال ، وتقرير القواعد على السداد ، وإجراء العوائد على وفق المراد ؛ فانه مَنْ دَلَّتْ خِبْرَتُهُ على جَمِيلِ آثاره ، ولاَحَتِ النِّبْطَةُ في اختياره الذي أغْنَى عن تَقْدِيمِ اختياره ؛ كَيْفَ لا ؟ وهو مَنْ نَشَأَ في خُلُوفِ فُتُونِ الكِثْبَةِ ، وأشتهر في مواطن النضال مع وفور الاشتغال بحسن الإصاَبَةِ ؛ فهو إن شاء الإِنشاء بَلَغَ منه المَرَامَ ، وإن بَسَطَ الجِرائِدَ لِلتَّصَرُّفِ قيل : هذا الكَاتِبُ النَّظَامُ ؛ كَمْ لَهُ مِنْ يَدٍ بَيْضَاءَ في التَّيْبِضِ والتَّسْوِيدِ ، وَهِمَةٍ عَلِيَاءَ بَلَغَ بها من السَّيَادَةِ ما كان يُرِيدُ .

فليَقْدِمْ خَيْرَةَ الله تعالى في هذا الأمر ويعملها إمامه ، وليَتَمَسَّكْ بها مُقْتَدِيًا بِمَنْ قَدَّمَها أَمَامَهُ ، وليَكُنْ عند حُسْنِ الظَّنِّ به لِيَبْلُغَ من سَعَادَةِ الدَّارَيْنِ مَرَامَهُ .

والوصايا التي يُمْ نَفْعُهَا ، وَيَتَعَيَّنُ على تَنَاسُبِ الأَعْمَالِ جَمْعُهَا ؛ به تُسَلِّكُ سُبُلُهَا ، وعنه تُؤْخَذُ تَفَاصِيلُهَا وَجُمْلُهَا ؛ فليَسْلُكْ منها الأَقْوَمَ الأَرشَدَ ، وليَتَمَسَّكْ بالأَفْوَدِ الأَمُحَدِ ؛ بِحُزْمٍ وافرٍ ، وعِزِّمَ فِرَاقِصِرٍ ؛ وليَتَبَاوَلْ مَعْلُومَةَ الشَّاهِدِ به الدِّيوانُ المَعْمُورُ أحيانَ الوُجُوبِ والاستِحْقاكِ رِزْقًا دَارًا ، هِنًا مُيسِّرًا سَازًا ؛ من غير تَهْتِيرٍ ولا تَكْذِيرٍ ، ولا تَتَّخِصُّ ولا تَأْخِيرُ .



توقيع بمشيخة المقام الأدهمي ، كُتِبَ به باسم الشيخ « عبد الله السطوحى »
بـ « المجلس العالى » ، وهو :

أما بعد حمد الله الذى سقى عَمَلَنَا بِإِيَّاهُ ، وَأَنْبَتَ عُشْبَنَا بِسَعَادِهِ ، وَأَقْرَأَنَا كِتَابَ
وَجْهِهِ وَأَغْنَانَا مِنْ وَجْهِ كِتَابِهِ ، وَجَعَلَ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا مِنْ صِدْقِ أَوْلِيَانِهِ ، وَمَتَّحَهُمْ
بِمَا اخْتَارَهُمْ مِنْ سِرَائِرِ وَاهِيهِ وَعَطَانِهِ ، وَجَمَعَ قُلُوبَ الْفُقَرَاءِ عَلَى الْعِبَادَةِ وَالِدُعَاءِ
بِوَسْطَةِ مَنْ أَحْبَبَهُ وَأَخْصَاهُ تَحِيَّاتِهِ ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَجْمِ السُّرَى ،
وَلَيْثِ الشَّرَى ، وَسَيِّدِ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ مِنْهُمْ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ لِأَبْرَ
قَسَمَهُ رَبُّ السَّمَاءِ ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا - فَلَمَّا كَانِ الْإِعْتِنَاءُ بِالْأُمُورِ الدُّنْيَا مِنْ
الْوَاجِبَاتِ ، وَالْحَافِظَةُ عَلَيْهَا [مِمَّا] تُبَادِرُ إِلَيْهِ مِنَ الثُّغُورِ الرُّغَبَاتِ ، وَيُؤْتِ اللَّهُ تَمَلُّلًا
فَهِيَ قِيَامُ الدِّينِ الْمَتِينِ ، وَلَا يَهْضُ بِمَارَتِهَا إِلَّا الَّذِينَ اتَّقَوْا وَآمَنُوا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ،
فَقَلُّوا لَهُمْ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ .

ومن البيوت العائرة ، والسراة الطاهرة ، والمقامات التى إذا حَلَّ بِسَاحَتِهَا
أَكْبَهُ الْعَيْنُ بَصَرَهُ مُجُومًا زَاهِرَهُ - مقامٌ مِنْ ذِكْرِ كَرَامَتِهِ أَشْأَمُ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ
وَأَيْمُنُ وَأَتَجَدُّ وَأَنْتَهُمُ ، السَّيِّدُ الْخَلِيلُ وَلَّى اللَّهُ « إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْنَمَ » ، سَيِّدِ الْأَوْلِيَاءِ ،
وَسُلْطَانِ الْإِسْتِغْيَاءِ ، رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ مَا سَارَ عَلَى الطَّرِيقِ سَارُهُ ، وَمَا أَمْتَلَى ظَهَرَ قُلُوبِ
مُسَافِرٍ ، مَقَامٌ بِالزُّهْدِ مَوْصُوفٍ ، وَبِالْبَرَكَاتِ مَعْرُوفٍ ، وَلَهُ الْإِطْلَاقَاتُ الْمَشْهُورَةُ ،
وَالْمُنَاهِلُ الْمَأْتُورَةُ ، فِي وَرِيدِهَا الْمَبْرُورَةُ ، قَدْ اسْتَوَلَتْ عَلَيْهِ يَدُ التَّنْذِيرِ ، وَعَادَ بَعْدَ طَوَّلِ
سِمَاطِهِ فِي تَقْصِيرِ ، وَأَخْلَفَ فِيهِ النَّيَاتُ فَكَانَ فِي كَيْسِ الْفَقِيرِ ^(١) ، فَكَشَفَ اللَّهُ
هَذِهِ النِّعْمَةَ ، وَأَدَامَ سَوَائِغَ النِّعْمَةِ ، وَأَمْسَبَلَ عَلَى هَذَا الْمَقَامِ ظِلَالِ الْحُرْمَةِ ،

(١) لَمَّا الصواب « فكان في كيس الفقى بعد أن كان في كيس » الخ .

وَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ الْمُتَّقِينَ بَاعْتًا مِنْ عِنْدِهِ ، وَأَيَّظَهُمْ لِعَلِّهِ بِأَن كَلَّا وَأَقِفْ عِنْدَ أَمْرِهِ وَحَدِّهِ ؛ وَأَنْطَلِقَ لِسَانٌ مِنْ لَا رَادَّ لِأَمْرِهِ ، فَكَشَفَ نِعْمَةً هَذَا الْمَقَامَ وَعَزَّلَ مِنْ يُخَافُ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ تَدْيِيرِهِ وَشَرِّهِ .

فلذلك رُمِ - أَنْ تَفَوْضَ مَشِيخَةَ الْمَقَامِ الْجَلِيلِ الْأَذْمَى بِشَفَرِ جَبَلَةِ الْحُرُوسِ - عَلَى سَاكِنِهِ الرَّحْمَةِ وَالرِّضْوَانِ - إِلَى فَلَانٍ - تَعِ اللَّهُ بِرِكَاتِهِ ، وَأَعَادَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ صَالِحِ دَعْوَاتِهِ - عِوَضًا عَنْ كَانَ بِهَا بِحُكْمِ أَنْفِصَالِهِ حَسَبَ مَا وَرَدَتْ الْمَرَامِ الشَّرِيفَةُ - شَرَفَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَعَظَّمَهَا - عِنْدَ اتِّصَالِ الْعُلُومِ الشَّرِيفَةِ - زَادَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِأَمْرِ الْمَقَامِ الْمَشَارِ إِلَيْهِ وَأَعْتَادَ الْمُتَصَرِّفِينَ فِيهِ : إِذْ وَضِعَتْ الْآنَ الْأَشْيَاءُ فِي مَحَلِّهَا ، وَأُسْتَدْتُ الْأُمُورُ إِلَى أَهْلِهَا ، وَقُلِّدَتْ هَذِهِ الْمُتَوَبُّةُ إِلَى مَنْ يُظْهِرُ سَرَائِرَ قَضَائِهَا ؛ وَلَحِظَتْ الْآرَاءَ تَجَرَّ هَذَا الْمَقَامِ وَالْأَمْرَ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ السَّعَادَةَ تَحْفَظُ الْحُجْرَ كَمَلِهِ مِنْ آيَاتِ مَشْهُورِهِ ، وَكَرَامَاتِ بِلْسَانِ الْحَمْدِ مَذْكُورِهِ ، وَمَسَاجِدِ الْخَيْرَاتِ مَبْرُورِهِ ؛ وَقَدْ عَمَّ الزَّوَايَا بِأَجْنَائِسِ الْمَكَارِمِ ، وَبَسَطَ لِلزَّائِرِينَ مِنْ إِكْرَامِهِ سِمَاطًا يَقُولُ الزَّائِرُ : هَذَا وَلَا حَاطِمَ :

تَزُورُ دِيَارًا زَارَهَا جُودُ كَفِّهِ ، * وَمِنْ دُونِهَا لِلزَّائِرِينَ مَرَايِلُ ،
وَتَرْجِعُ عَنْهَا وَالْحُقُوفُ قَرِيرَةٌ : * كَمَا رَاجَعَتْ مَأْوَى الْحُقُوفِ الْمَسَاحِلُ !

فَلْيَتَنَّقَ - أَعَادَ اللَّهُ مِنْ بَرَكَتِهِ - هَذِهِ الْوِلَايَةَ ، وَلِيَجْعَلَ لِلْمَشَارِ إِلَيْهِ مِنْ خَاطِرِهِ الْكَرِيمِ أَوْفَرَ عَيْنَايَةٍ ؛ وَيَسْتَخْلِفَ عَنْهُ إِذَا تَوَجَّهَ إِلَى ^(١) بِيحْضِنِ الْأَكْرَادِ فَلَانًا مُسْتَمِرَّةً بِيَدِهِ وَوِلَايَتَهَا بَاقِيَةً عَلَيْهِ ؛ وَأَمْرُهَا فِي إِبْدَائِهِ وَإِعَادَتِهِ عَلَيْهِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَتَوَلَّاهُ ، فِيمَا وَلَّاهُ ؛ وَالْإِعْتَادَ

(١) يياض بالأصل ومراده الى مشيخة ... بيحضن الأكراذ .

قلتُ : وقد أتيتُ على جملة من مواقع أرباب الوظائف : بدمشق وحلب
وطرابلس وأعمال كل منها، يستغني بها الماهر عما سواها، ويقس عليها ما عداها،
إذ لا سبيل إلى استيفاء جميعها ، والإتيان على جميعها .

وفيا ذكر من هذه الممالك الثلاث تنبيه على ما يكتب بحجة وصدد اللتين هما
في رتبة طرابلس ، وتلويح إلى ما عداها ، مما هو دونها كغزة إذا كانت نيابة ،
والكرك التي هي دون ذلك .

والله تعالى هو الهادي إلى التوفيق ، والمرشد للسداد ، بمنه وكرمه .

تم الجزء الثاني عشر . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الثالث عشر

رأته المقالة السادسة

(فيا يكتب في المسامحات ، والاضلاعات السلطانية ، والطرخانيات

وتحويل الستين والتناكر ، وفيها أربعة أبواب)

والحمد لله رب العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

وآله وصحبه والتابعين ، وسلامه

وحسبنا الله ونعم الوكيل

